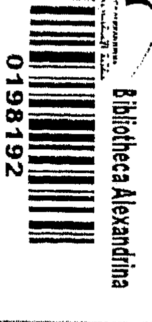
صبري أبو المجد

سنوات ما قبل الثورة

١٩٣٠ - ١٩٥٢





اهداءات ١٩٩٨

مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع

القاهرة

سنوات ما قبل الثورة

يناير ١٩٣٠ ـ ٢٣ يوليو ١٩٥٢

صبرى أبو المجد



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٧



بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

الى أبنائى وبناتى شباب مصر ، نصف الحاضر وكل المستقبل الى ذخر مصر وفخرها وسدها الأعلى ، وحصنها الحصين وركنها المكين اليهم جميعا فى كل زمان ، ومكان ، أهدى هذه الصفحات الصادقة والمشرقة من تاريخ مصر ، أمهم ، « وأم الدنيا » ..

صبرى أبو المجد



البـــاب الأول



الفصـــل الأول

مدخل تمهيدى عام إلى سنوات ما قبل الثورة

(من ١٨٨١ - ١٩٣٠)

لماذا أكتب هذه الصفحات من تاريخ مصر . وعن هذه الفترة (ينـــاير ١٩٣٠ ، يوليو ١٩٥٢) بالذات ؟ .

وفى هذا الوقت بالذات ؟ ولماذا حرصت على أن أوليها ما أوليتها من جانبى ، من اهتمام ما بعده من اهتمام ؟ .

ولماذا أولتها الجماهير عندما نشرت بعض أجزاء منها فى « المصور » فى عامى ١٩٧٧ ، ١٩٧٨ ، أيضا كل هذا الاهتمام ؟ .

ثم لماذا اعتبرها خير ما قدمت من دراسات فى تاريخ حياتى كلهـــا بل اننى أعتبر هذه الصفحات أخطر وأهم ما قدمته لأولادى وبنـــاتى شباب مصر المستقلة الحرة صاحبة التاريخ المشرق . وصاحبة المستقبل الأكثر اشراقا بعون الله سبحانه وتعالى ؟ .

ولماذا طال ترددى ـ فى البداية ـ فى تقديمها فى هذه السلسلة من الكتب الشعبية والتى آمل أن تكون بين يدى كل مواطن مصرى ، وكل مواطنة مصرية بل كل أخ عربى وأخت عربية فى شتى أرجاء الوطن العربى من المحيط الى الخليج بل فى كل مكان به من ينطق العربية ويؤمن بالعروبة ؟ وفى البداية لابد أن أذكر فضل الراحل العظيم عبد الرحمن الرافعى مؤرخ مصر الوطنى وأحد أقطاب الحزب الوطنى ـ حزب مصطفى كامل ومحمد فريد ـ والذى شجعنى منذ نعومة أظفارى على تذوق التاريخ المصرى ، من ناحية ، والذى حملنى ـ كأستاذ ورائد ـ هذه المسئولية الضخمة .

فلقد كان ـ ولما أزل بعد طفلا صغيرا ـ يهدينى كتبـــه الوطنية ويشرح لى ما خفى منها من ناحية .

ثم يعاوننى على أن أشارك فى الحركة الوطنية المصرية قدر استطاعتى . ومنذ نشأتى الأولى من ناحية أخرى .

ولست بناس ما حييت أبدا يوم أن ذهبت اليه فى مكتبه بشارع عدلى باشا بالقاهرة بعد استقرار ثورة ٢٣ يوليو واعلان الجمهورية وسقوط أسرة محمد على ، أقول له : لقد أرخت للتاريخ الوطنى على نحو غير مسبوق ، بحيث كانت كتبك النافذة التى أطللنا منها على تاريخنا ، وخاصة الحديث منه .

ولا شك أنه كانت لديك معلومات تاريخية خطيرة لم تستطع أن تضمنها كتبك لأن الظروف التى كانت سائدة قبل الثورة ، ولأن القوانين السارية المفعول فى سنوات ما قبل تلك الثورة كانت تحول بينك وبين ذلك .

ثم ان هناك وثائق تاريخية هامة وخطيرة ، كانت محبوسة فى القصور الملكية أطلق سراحها بعد قيام الثورة ألا يدعوك كل ذلك الى اعادة النظر فى بعض ما كتبته ؟ .

واذا بالرجل الذى تميز بالوطنية الصادقة الأصيلة وبالتواضع الشديد الجم ، يقول لى فى صراحة القاضى العادل :

لقد أصدرت يابنى أحكاما فى هذه الكتب وليس من حقى أبدا أن أنقضها ، أو أعدل منها .

ولكن من حقك أنت وأنت تلميذى فى العمل الوطنى وفى كتابة التاريخ بل من واجبك الوطنى أن تستأنف هذه الأحكام بما توافر لديك من معلومات ووثائق وظروف مواتية جديدة .

القاضى لا يعدل من أحكامه ولا ينقضها وان كان يسعده أن يرى بعض أبنائه يقوم بتلك المهمة الوطنية .

وأنا أرشحك لا عن عاطفة خاصة ولكن عن ايمان بصدقك ووطنيتك للقيام بهذه المهمة » .

ومن ذلك التاريخ بدأت أهيىء نفسى للقيام بهذا الواجب الوطنى الكبير .

وكانت سنوات ما قبل الثورة قد تعرضت فى بدايات ثورة ١٩٥٢ لحملات عنيفة أريد بها تشويه تلك السنوات قدر الاستطاعة .

كان هناك بعض الكتاب والسياسيين الذين يمالئون السلطة الجديدة وينافقونها .

وكان آخرون لاعتبارات خاصة ولدوافع شخصية وحزبية قد بدأوا يشوهون ما قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وكأنما مصر لم تولد الا من ذلك التاريخ ·

★★★

كتب أحدهم فى احدى المجلات المصرية ــ مجلة الاذاعة ــ يقول « ان ثورة ١٩١٩ ــ وهى الثورة الشعبية الأصيلة التى تأثر بها العالم وخاصة العالم النامى اذ كانت أول ثورة شعبية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ــ من صنع الانجليز ·

ومن صنع السلطان » ·

. . . وما قامت تلك الثورة الا للنيل من سلطتيهما المطلقتين فى مصر : وراح آخر يتصيد بعض عبارات وردت فى مذكرات محمد فريد قام هو شخصيا بشطبها وعدم الاعتداد بها لأنها كانت وليدة معلومات خاطئة وردت اليه وهو فى المنفى ·

هذه العبارات المشطوبة استخدمت للنيل من مصطفى كامل وشقيقه على فهمى كامل ·

كما استخدمت عبارات أخرى كتبها محمد فريد وهو فى ظلمة المنفى وتحت ظروف قاسية ومريرة للطعن على طلعت حرب وشخصيات وطنية أخرى ·

كما استخدم هذا البعض مذكرات وذكريات سيدة فرنسية معروف عنها أنها كانت تعمل فى خدمة المخابرات الفرنسية والانجليزية ، ومن بين مهامها الوظيفية تتبع كل من محمد فريد والخديوى عباس حلمى الثانى ، فى المنفى ·

استخدمت تلك المذكرات والذكريات للاساءة الى محمد فريد أبرز القيادات المصرية الوطنية فى بدايات القرن العشرين ·

وجدنا كتابات أيدلوجية أريد بها هز الوجدان المصرى والنظر الى كل الأحداث الوطنية الكبرى نظرة طبقية بحتة بينما الحركة الوطنية التى كانت قد قامت بمصر فى أعقاب الاحتلال البريطانى لمصر كانت من صنع جميع طبقات الشعب وفئاته ولم تكن أبدا قاصرة على طبقة معينة ·

كما وجدنا كتابات أخرى لاعتبارات حزبية ضيقة الأفق تستهدف تصفية حسابات كانت قائمة بمصر أيام الأحزاب وقبل ثورة ١٩٥٢ ·

وكانت النتيجة ــ اذا ما صدقنا كل ما قيل ، وكل ما كتب عن مصر قبل ثورة ١٩٥٢ ــ انها كانت تعيش فى ظلام العصور الوسطى أو ما هو أشد ·

وأنه لم يكن بها شخصية واحدة سليمة من المطاعن لأن كل تلك الشخصيات قد وصمت بالضعف ، وجرحت وأهيل عليها تراب الظلم ، والاظلام ·

ولاحساسى بخطورة هذا التأثير على الشعب ، وعلى تاريخه كنت أبادر بالرد على كل كتابة من هذا النوع بما يتيسر لدى من معلومات وبما تسمح به ظروف النشر التى كانت وقتذاك صعبة للغاية .

اذ كان الجو المسيطر على الصحافة وقتذاك يوحى بأن الثورة ترحب بالهجوم ولا ترحب بالرد .

***

وللأمانة التاريخية أقول ان دار الهلال فى حدود امكاناتها قد فتحت لى الباب فى المصور وفى الهلال للرد على بعض تلك الحملات ولنشر بعض الصفحات المضيئة من تاريخ مصر .

وأذكر للتاريخ أن صاحبى دار الهلال اميل وشكرى زيدان قد سمحا لى كمحرر فى مجلة المصور أن أقضى أكثر من شهرين أجوب خلالهما الديار من أسوان الى الاسكندرية بحثا عن الشهداء الأحياء ممن شاركوا فى ثورة ١٩١٩ .

وربما كانت هذه الرحلة الشاقة المضنية من الناحية الجثمانية والطيبة المريحة من الناحية النفسية ومن الناحية الروحية ، كانت أول فرصة أتيحت لى لدراسة تاريخ مصر فى فترة من أدق الفترات على الطبيعة .

كنت أجرى وراء الأحياء الذين شاركوا فى ثورة ١٩١٩ فأجد بالمصادفة البحتة من شاركوا فى ثورة ١٩٣٥ وفى بعض الأحيان من شاركوا فى ثورة ١٨٨١ « ثورة أحمد عرابى » .

وعندما لا أجد أحياء شاركوا فى تلك الثورات كنت أبحث عن أحفادهم الذين كانوا ـ أو كان بعضهم بمعنى أدق ـ لا يعرفون تاريخ آبائهم وأجدادهم وفى بعض الأحيان كنت أجد شخصيات لعبت أدوارا هامة فى التاريخ المصرى دون أن تكتشف ، أو دون أن يتذكرها أحد حتى بكلمة طيبة واحدة .

من تلك النماذج التى آحنيت لها رأسى اجلالا وتعظيما ، أسعد مشرقى الذى شارك فى أحداث ديروط وحوكم وقضى عليه ـ فى ١٩١٩ ـ بالاعدام ثم خفف الحكم الى المؤبد .

وقضى حتى عام ١٩٣٦ فى السجن دون أن يشمله العفو الشامل الذى شمل كل العاملين فى الحقل الوطنى من ١٩١٩ حتى عام ١٩٣٦ .

وذلك بمناسبة معاهدة ١٩٣٦ .

ظل الرجل فى السجن حتى أكمل مدة عقوبته كاملة غير منقوصة حتى لم يفرج عنه بعد قضائه ثلاثة أرباع المدة كما هو المتبع فى كل سجون مصر .

سعيت للقاء هذا الرجل الذى انتهى به المطاف ليكون خفير كوبرى المعاهدة قرب ديروط بعد أن تعذر عليه ـ فور خروجه من السجن ـ العثور على عمل مناسب يضمن له الكفاف من الرزق ٠

***

وأحنيت رأسى ـ وأنا أقوم بتلك الرحلة التاريخية ـ اعجابا وتقديرا للرجل الذى شارك فى ثورة ١٩١٩ مشاركة فعلية ٠

وكان له يد فى أحداث ديروط وقام باحدى العمليات الفدائية التى أعقبت ثورة ١٩١٩ ٠

ودخل السجن لسنوات عديدة ، ولم يجد عملا اثر خروجه من السجن ٠

وظل كذلك عاطلا ومتعطلا عن العمل الى أن ألحقه ، أحمد ماهر ، عندما رأس الوزارة فى أكتوبر ١٩٤٤ ورأى ـ وهو الفدائى القديم ما حاق بأحد رفاق الطريق ـ عبد القادر شحاته ـ أن يلحقه باحدى الوظائف فى بنك التسليف الزراعى المصرى ٠

وقد سمعت من شحاته ومن مشرقى ومن مفتاح وغيرهم حقيقة أحداث ديروط وأسيوط وهى أبرز أحداث ثورة ١٩١٩ ٠

ومن كل من التقيت بهم فى تلك الرحلة استمعت الى اعترافات حقيقية ، كشفت الغموض ، عن كثير من تلك الأحداث التاريخيـــة فالمعروف أنه عندما وقعت تلك الأحداث كان المتهمون ومن يتولون الدفاع عنهم يحرصون على انكار اشتراكهم أو اشتراك من يتولون الدفاع عنهم فى تلك الأحداث ٠

أما بعد أن تغيرت الأوضاع وسقطت كل ما سمى بالجرائم بمضى المدة فقد كان هؤلاء المشاركين يقولون الحقيقة ٠

على أننى لم أكن آخذ ما يقول به هؤلاء الاخوة على علاته فقد كنت أتحرى من صدق كل كلمة ٠

وأحاول أن أربط بين ما سمعته من هذا ، وذلك بما سـمعته من هؤلاء وأولئك وبما هو موجود فى السجلات وفى دوسيهات القضايا ٠

الأمر الذى دعانى الى أن أكتب أكثر من مرة مطالبا باعادة كتابة التاريخ من جديد ٠

وكان لدى ـ ولا يزال ـ الكثير من البراهين والأدلة ، التى تقلب بعض الأحداث وتغير من وجهات النظر اليها ٠

وقد باشرت فعلا القيام بتلك المهمة فى قضيتين هامتين أولاهما حادث دنشواى ١٩٠٧ ·

وثانيهما اغتيـال السـير لى ستاك سردار الجيش المصرى والحاكم العام للسودان ·

راجعت فى كل من القضيتين . كل أوراق التحقيق ، كلمة كلمة ، كما راجعت كل مرافعات النيابة والدفاع سطرا سطرا ·

وعدت الى كل الصحف التى اهتمت بهاتين القضيتين ·

وخرجت فيما يتعلق بالقضية الأولى الى أنها كانت غضبة شعبية ولم تكن أبدا مجرد شرارة حرقت الجرن فأدت الى ما أدت اليه من قتل ، ومحاكمة ·

عبارة واحدة وردت على لسان أحد المتهمين فى قضية دنشواى دفعتنى الى الاتجاه الصحيح فى القضية ·

ذكر أحد المتهمين ، أنه فى العام السابق على أحداث دنشواى جاء بعض ضباط جيش الاحتلال لصيد الحمام ورأى بعض أبناء دنشواى أن فى مجيئهم الى قريتهم ما ينافى كبرياءهم الوطنى فأنذروهم بعـدم المجئ الى بلدهم مرة أخرى والا ···

أعدت القيادات الوطنية فى دنشواى العدة للتصدى لأى من جنود أو ضباط جيش الاحتلال اذا ما جاءوا الى قريتهم بحيث لا يعودون الى العاصمة الا وقد لحقت بهم غضبة أبناء دنشواى ·

***

وقد كان ما كان ، الأمر الذى أكد لى مع كثير من الأدلة والبراهين الأخرى أن حادثة دنشواى كانت فى الأصل غضـبة شـعبية على وجود المحتلين فى دنشواى : جاءوا لصيد الحمام ، فاصطادهم بعض أبناء دنشواى ·

أما فيما يتعلق بقضية مصرع السير لى ستاك فقد حدث أننى كنت من الناحية الصحفية أبحث عما تبقى من حادث اغتيال سردار الجيش المصرى وكنت أحرص على البحث عن أبناء وأحفاد الذين حوكموا فى قضية السردار ونفذ فيهم حكم الاعدام ·

وقد تعبت الى حد كبير فى العثور على أبنـاء ابراهيم موسى طيب الله ثـراه ·

وكان من القيادات العمالية الوطنية الثائرة الصلبة وقد بذلت معـــه كل الجهود ليعترف على زملائه فأبى ، بينما اعترف آخرون من حملة الشـــهادات العليـــا .

فى ركن بعيد بعيد فى حى الشرابية بالقاهرة .

وفى احدى الحارات الضيقة وجدت ابن ابراهيم موسى وابنته .

وتوثقت بينى وبينهما صلات الود والحب الى الدرجة التى أشـــعرتهما ــ وأشعرتنى أنا كذلك ــ بأنهما اخوان لى .

وترددت على زيارتهما أكثر من مرة ، وفى احدى المرات قالت لى كريمة الفدائى الكبير ــ وكانت قد وثقت بى ثقة مطلقة ــ : « يوجـــد فى الصندرة [خزانة خشبية تقترب من السقف] كتاب ضخم لا أعرف ما به وقد ظل فى مكانه منذ أن أعدم والدى .

ورأيت أن أعطيك اياه لعلك تستفيد منه » .

وأحضرت سلما وأنزلت الكتاب الضخم لتعطينى اياه .

وكانت المفاجأة عندما تصفحته وأنا فى داخل التاكسى الذى أقلنى الى منزلى أن الكتاب أو ما توهمت ، ابنة ابراهيم موسى أنه كتاب ، ليس سوى محاضر التحقيق فى قضية السردار .

كما أن به ــ وهو يربو على ألف صفحة ــ كل اعترافات المتهمين المكتوبة والمنطوقة وتقارير البوليس السياسى وتقارير الأطباء ، وشهادات شهود النفى والاثبات ، كما أن به بعض تقارير وافية عن الحركات الفدائية المصرية منـذ نشأتها الأولى ونشاط كل المشاركين فيها وطرائقهم فى اغتيال الانجليز والأيمان التى كانوا يقسمون بها وخاصة تلك التى كانوا يؤدونها سرا بطبيعة الحال على قبر ابراهيم ناصف الوردانى قاتل بطرس غالى .

★★★

وأستطيع أن أقول ان هذا الملف ، وهو مطبوع « بالبالوظة » ــ احدى الطرق التى كانت متبعة وقتذاك فى الطباعة ــ كان خير هدية أهديت لى اذ ظهر أنه لا يوجد مثل هذا الملف عند أحد من المحامين الذين شاركوا ــ وهم عمالقة المحامين المصريين ــ فى الدفاع عن المتهمين ، بل انه لا توجد من هذا الملف الا النسخة التى آلت الى

وقد ظللت طويلا أدرس هذا الملف وأستكمل دراستى عن الحادث من خلال أحاديثى مع بعض القيادات الوطنية التى شاركت فى العمل الفدائى وفى المقدمة شيخ فدائى الاسكندرية أحمد رمضان زيان رحمه الله والوزير السابق عبد العزيز على يرحمه الله .

وكان أبرز الفدائيين المصريين وكان في نفس الوقت ، أكثرهم دهاء ومكرا حتى أنه لم يقبض عليه في حالة تلبس ، وان قبض عليه عشرات المرات في كثير من القضايا السياسية ، التي كان يخرج منها كما يقول كما تخرج الشعرة من العجين ٠

وكان عبد العزيز علي ، وهو الموظف الكبير بمحافظة القاهرة يقوم ـ مثلا ـ بطبع المنشورات المعادية للانجليز ولنظام الحكم في مبنى المحافظة ويستعمل أدوات وموظفي المحافظة في توزيعها سرا ٠

من خلال معرفتي بمن تبقى من الفدائيين المصريين وخاصة ـ أيضا ـ الحاج أحمد جاد الله الذي كان عندما تعرفت به قد تجاوز الثمانين من العمر ، وكان يفيض بشرا ، ويتمتع بأكبر قدر من روح الفكاهة التي أنقذته كما قال لي من كثير من المواقف الصغيرة ٠

والذي كان يمشي من شبرا الى الجيزة حيث حديقة الحيوان متأبطا ذراع زوجته المسنة مثله والتي كانت تحمل سلة تمتلىء بالبيض والسميط وكانا يجلسان على مقربة من باب حديقة الحيوان ليبيعا البيض والسميط للجمهور ، وليعطيا المسدسات والقنابل لزملائهما الفدائيين ، حيث يقومون باغتيال بعض الشخصيات الانجليزية التي كانت تسكن على مقربة من حديقة الحيوان ٠

ثم يعودون اليهما بعد الانتهاء من عملهما ، ليعطوهما المسدسات ٠

ثم يعود الحاج جاد الله وزوجته الى حيث جاءا من حي شبرا دون أن يشك فيهما أحد ٠

من خلال تلك الصداقة والمعرفة عرفت الكثير الكثير من الأسرار السياسية ٠

وعندما بدأت أنشر بعض ما سمح المقام بنشره توافد على كثير من الجنود المجهولين الذين شاركوا في ثورة ١٩١٩ ، وما قبلها وما بعدها من ثورات وانتفاضات ٠

***

وكان في مقدمة من أفادني الى حد كبير سيد باشا ـ وباشا هذا لقب لا رتبة والذي كان أحد زعماء الطلبة في ثورة ١٩١٩ ٠

وكانت مهمته الرئيسية اصدار صحيفة الطلبة ـ وهي نشرة سرية ـ وكذلك النشرات الثورية ٠

وكانت لديه ولدى زملائه مطبعة يدوية صغيرة يقومون بنقلها سرا كل

ليـلة من مكان الى آخر على عربة كارو ويشترك صاحبهـا معهم فى عمـلهم الفدائى ·

وعن طريق سعيد باشا تعرفت الى بعض زعماء الطلبة فى سنة ١٩١٩ ممن كانوا يباشرون العمل السرى قبل وبعد ثورة ١٩١٩ ·

★★★

وقد أفادنى الى حد كبير الحاج أحمد رمضان زيان شيخ فدائى الاسكندرية الذى دفع الى بثلاث كراسات تشمل مذكرات وذكريات عن العمل الفدائى فى القاهرة وفى الاسكندرية وتتضمن نبذا شافية وافية عن كل الذين اشتركوا فى العمل الفدائى ومن بينهم كثير من ضـباط الجيش والبوليس ومن بينهم من أصبحوا فيما بعد وزراء ورؤساء وزارات ·

وعن طريق أحمد رمضان زيان التقيت بالبقية الباقية من العاملين فى الحقل الوطنى بالاسكندرية ومن بينهم ياقوت السهوى ، عبد الله حسـن عوض ، سليمان حافظ ·

وقد أفادتنى مذكرات أحمد رمضان زيان ، كما أفادتنى مذكرات عبد العزيز على الى حد كبير جعلتنى على معرفة تامة بكثير من الأحداث الوطنية التى وقعت بمصر منذ ١٩١٠ حتى ١٩٤٤ ·

وأحمد رمضان زيان هـذا كان تاجرا وله محله فى سوق الليمـون بالاسكندرية ·

وعندما قبل أستاذنا عبد الرحمن الرافعى الحكم وتولى وزارة التموين فى وزارة حسين سرى باشا (الثالثة) ٢٥ يوليو ـ ٣ نوفمبر ١٩٤٩ بعد أن اعتقد أن اضراب الحزب الوطنى عن المشاركة فى الحكم لم يعد له ما يبرره بعد أن آمنت البلاد شعبا وحكومة بمبدأ الجلاء ، ووحدة وادى النيل ·

وحدث أن زار عبد الرحمن الرافعى محل رمضان زيان ·

وكانت زيارة وزير التموين لهذا المحل عملا فريدا فى بابه وكان يمكن لصاحب هذا المحل أن يستغل زيارة الوزير له فى محله استغلالا هائلا ·

غير أن أحمد رمضان زيان ـ وقد روى لى أستاذنا عبد الرحمن الرافعى هذه الواقعة قبل أن يرويها أحمد رمضان زيان نفسه بوقت غير قصير ـ فاجأ الوزير بقوله : ألم نكن قد اتفقنا على الاضراب عن المشاركة فى الحكم حتى يخرج الانجليز عن مصر ؟ ·

وعندما حاول الوزير ـ وهو صديقه الصدوق الذى كان يقضى معظم أوقات فصل الصيف فى محله ـ تبرير موقفه رفض أحمد رمضان زيان هذا التبرير حتى لقد غضب الوزير عبد الرحمن الرافعى وانصرف دون أن يشرب القهوة التى قدمت له ·

على أن عملية مدى بالكثير من الأوراق القديمـــة والمذكرات والذكريات والصور التاريخية لم تتوقف عند حد أولئـك الذين تعرفت اليهم عن طريق العلاقات الشخصية التى تربطنى ببعض العاملين فى الحقل الوطنى ، أو عن طريق أبنائهم ، وأحفادهم وحسب ٠

وكانت هوايتى للبحث عن التاريخ وأبطاله قد شاعت وذاعت فى الأوساط السياسية فاذا بالكثيرين يتطوعون لمدى بما لديهم من أوراق ومذكرات وذكريات وصور تاريخية ، كان أولاها وأهمها ما جاءنى عن طريق أستاذى عبد الرحمن الرافعى :

كنت قد عشقت أمين الرافعى الذى لم أعرفه وتأثرت به الى حد كبير وكانت أول كلمة لى نشرتها الأهرام فى صفحتها الأولى عنه ٠

وكنت باستمرار أكتب عنه فى ذكراه وأقيم الحفلات الوطنية لتأبينه منذ أن كنت فى الثالثة عشرة من عمرى ٠

أفضيت اليه ذات يوم ، وكنت قد شببت عن الطوق وأصبحت صحفيا ينتخبه الصحفيون كل عام وعضوا بمجلس ادارة نقابتهم ويختاره المجلس كل عام ؛ ولأكثر من عشر سنوات سكرتيرا عاما ، لنقابتهم بل يختاره الصحفيون العرب فى كل أرجاء العالم العربى أمينا عاما لاتحادهم لفترة تزيد عن اثنى عشر عاما ٠

أفضيت اليه برغبتى فى أن أكتب عن أمين الرافعى مؤرخا لحياته ٠

وترقرقت الدموع فى عينى الرجل وهو يقول : انه لم يكن أخا شقيقا وحسب ولكنه كان رفيق طريق ٠

***

وبالرغم من أننى أرخت للزعيمين مصطفى كامل ومحمد فريد ، وكان واجبا على أن أؤرخ لثالثهما أمين الرافعى الا أننى خشيت أن يقال شقيق يؤرخ لشقيقه فأوقعت الظلم به : **ولو لم يكن شقيقا لى لأصدرت كتابا عنه على غرار** كتابى عن مصطفى كامل ومحمد فريد ٠

وانى لسعيد كل السعادة أن أرى ابنى ، وابن أمين الرافعى يتصـدى للكتابة عنه ٠

ويقوم بالواجب الذى حرمنى حيائى وخجلى من القيام به » ٠

ولم أكد أعود الى مكتبى فى نقابة الصحفيين حتى أنبئت أن سائق عربة نقل يسأل عنى ٠

وعندما ذهبت اليه أخبرنى انه قادم من منزل عبد الرحمن بك الرافعى وأن حمولة هذه السيارة هدية منه لى .

وكانت تحمل الكثير . الكثير من الكنـــوز التاريخية التى خلفهـــا أمين الرافعى : الى جانب الكتب والمجلدات والدوريات التى صدرت قبل أن أولد .

كانت مئات الرسائل الخاصة التى خلفها أمين الرافعى : وكان الرجل دقيقا للغاية . فعندما كان يرسل خطابا الى أى من المعاصرين له كان يحتفظ بصورة مما أرسله له .

وكان عندما يبعث بخطاب مسجل الى جهـــة ما كان يحتفظ بالايصال الخاص بذلك الخطاب .

وكان يحتفظ بأصول المقالات التى تصل اليه من السياسيين والقراء ثم لم تنشر لسبب أو لآخر على أساس أن أصحاب هذه الرسائل عنـــدما بعثوا بمقالاتهم ، أو آرائهم للنشر ، قد أخرجوا تلك المقالات والرســـائل من دائرة الخصوصية الى الدائرة « العمومية » .

بل كان الرجل يحتفظ ببطاقات الدعوة التى كانت تصل اليه من رئاسة الحكومة ، ومن الوزراء ، ومن الشخصيات العامة للمشاركة فى المناسبات .

وبالجملة فان ما خلفه أمين الرافعى من أوراق ووثائق تعتبر ثروة قومية ووطنية لا تقدر بمال .

***

وكانت قد توطدت صلتى بالأستاذ عبد الخالق فريد نجل الزعيم الوطنى محمد فريد عندما كان رئيسا للنيابة فى بنى سويف .

وكنت قد ذهبت اليه لكى يتحدث معى عن والده بمناسبة ذكراه .

ولم أبذل فى حياتى جهدا شاقا ومضنيا كذلك الجهـــد الذى بذلته مع عبد الخالق فريد لكى يفتح فمه .

كان الرجل قد أصيب بحالة من اليـــأس والقنـــوط لما آلت اليه أمور بلده .

وكان قد أصيب فى نفس الوقت بحالة من الاكتئاب لأن الشعب لم يقدر تماما تضحيات والده ، وكان ... وكان ...

وبالكثير من الاصرار ، وبكثير من الزيارات الى بنى ســـويف ــ وكما أوضحت فى مقدمة كتابى عن محمد فريد ــ بدأ الرجل يرتاح لى ويطلعنى على بعض مذكرات والده .

كان يعطينى ــ وكانت هذه أول مرة يسمح فيها الرجل لانسان ما ، بعد عبد الرحمن الرافعى ــ بالاطلاع على مذكرات والده .

كان يعطينى كراسة من كراسات مذكرات والده . لأدرسها ، فى القاهرة .

ثم أعود اليه بعد أسبوعين أو ثلاثة ليعطينى أخرى .

ثم توثقت بيننا العلاقات الى حد كبير عندما نقل الى القاهرة وعندما بدأت أكتب عن والده .

ولم يكن يمضى أسبوع واحد دون أن أراه .

وعندما اقتربت الذكرى الخمسين لوفاته تعاونا معا على العمل للاحتفال بمرور ٥٠ سنة على وفاة محمد فريد فى ١٥ نوفمبر ١٩٦٩ على المستويين الشعبى والحكومى .

***

وأذكر أنه فى ١٩٦٩/٢/٢١ ــ وكان بالاسكندرية ــ بعث الى برسالة يقول فيها : « لقد اقتربت الذكرى الخمسين لوفاة الوالد ، ويجدر بمحبيه وأنت منهم ولا أستطيع أن أقول أولهم ولكنك من أوائلهم ، أن تمهدوا للاحتفال بتلك الذكرى » .

وبدأت أعد لهذه الذكرى بما أملك من جهود وامكانات فنظمت ندوات عن محمد فريد .

ورغم وجودى بدار الهلال منذ عام ١٩٤٦ لقيت الأمرين فى نشر كتابى عن محمد فريد .

وكان المشرفون على اصدار الكتب فى دار الهلال وقتئذ يعارضون فى اصدار كتاب عن محمد فريد فى عام ١٩٦٩ ، فمن الذى يقرأ عن محمد فريد ؟

وفى النهاية وافقوا مضطرين ــ ومجاملة لى لا أكثر ولا أقل ــ على نشر كتابى ضمن سلسلة كتاب الهلال « محمد فريد مذكرات وذكريات » .

وكانت المفاجأة لهم ، أن « بيع » من هذا الكتاب مالم يسبق بيعه من أى كتاب آخر فى هذه السلسلة .

وكان صدور هذا الكتاب وقتئذ ، أشبه ما يكون بظهور الفاكهة فى غير أوانها ، اذ تلقفته الجماهير بحماس منقطع النظير ، ولعل فى مقدمة ما أسعدنى ، فى أعقاب ظهور الكتاب رسالة تلقيتها من قارىء بالزقازيق خشى ــ للظروف القائمة وقتذاك ــ أن يذكر اسمه .

وقد جاء فى تلك الرسالة :

الأستاذ صبرى أبو المجد تحية طيبة ، قرأت كتابك عن محمد فريد وقد أعجبت به الى درجة كبيرة ، ولكن لى هناك ملاحظة واحدة فى باب « بداية حياة » بدأت بكلمة من الميثاق : أريد أن أسأل الأستاذ صبرى أبو المجد ما هو الميثاق ؟ .

وما هو فائدته فى هذا البلد ؟ .

ولماذا عندما يكتب الكتاب فى بلادنا فى أى موضوع سياسى أو تاريخى ينقلون فقرات من الميثاق أو يشيرون الى الميثاق ؟ هل أفاد الميثاق هذا البلد شيئا ؟ ربما يكون الميثاق مكتوبا بطريقة حسنة ولكن الذى يحس به الشعب يا سيدى بأنه حبر على ورق .

وأعجبنى بأنك لم تذكر شيئا عن ....

(وأستسمح القارىء فى عدم ذكر الأسماء ولا الأحداث التى أشار اليها كاتب الرسالة حتى لا أضمن دراساتى ألفاظا لا يرتضيها الذوق السليم) .

ويقول كاتب الرسالة : لقد عرضت كفاح الزعيم فريد بطريقة قيمة وكأن فيه الدعوة الصريحة لهذا الجيل الى التمسك بمبادىء هذا الرجل والسير فى الطريق الذى سلكه .

وتكلمت كثيرا عن الدستور والجلاء .

وكان كلامك عن الدستور رائعا .

وكان هناك بين السطور ما يوحى الى الشعب بكثير من المعانى التى لا يجرؤ أحد فى الكتابة عنها فى هذه الأيام تلبية لتعليمات الحكام الحاليين وهذه خطوة عظيمة أشكرك عليها .

***

ثم أريد أن أسأل الأستاذ صبرى أبو المجد ، أين دور الصحافة فى بلادنا فى هذه الأيام ؟ ان هذا البلد يئن تحت وطأة الذل والمهانة .

والحكم الفردى المستبد يسيطر عليه من جميع أركانه . أين الصحافة الحرة وأين الأحرار من الصحفيين ؟ .

سيدى لابد من وجود رواد يقولون كلمة الحق ويتحملون فى ذلك الكثير .

ولابد من وجود أقلام حرة نزيهة تقول الحق ولا تخشى لومة لائم .

لقد اشتريت الكتاب لا لاسم المؤلف ولكن لاسم محمد فريد .

وقرأت الكتاب وأنا لا أعرف شيئا عن صبرى أبو المجد . وكان غرضى أن أعرف الكثير عن محمد فريد ، فعرفت ، محمد فريد ، وعرفت صبرى أبو المجد وأصبح اسمه فى ذهنى تماما مثل اسم محمد فريد لماذا ؟ لأننى أحسست بأنك صادق الوطنية وبأنك تريد أن تعلم هذا الشعب المعانى الجميلة التى كان يحمل لواءها محمد فريد .

ويمضى صاحب الرسالة قائلا :

لقد كان كتابك التعبير عن الرأى ولكن فى شخص محمد فريد بل فى تاريخ مصر فى هذه الفترة وهو أضعف الايمان .

أتعشم أن تكون فهمت ما أقصد اليه فأنا لم أتعود على الكتابة من قبل الى كتاب مصر وصحفييها : ان بلدنا تمر الآن [١٩٦٩] بمحنة أكبر من المحنة التى كانت أمام المرحوم محمد فريد فقد كانت حرية الرأى فى أيام محمد فريد أكثر ألف مرة من حرية الرأى فى هذه الأيام .

لقد كانت حرية الرأى منذ خمسين سنة أكثر منها بل أضعاف أضعاف مما هى عليه فى هذه الأيام .

ان الكلمة الصادقة أكثر نفعا وأكثر قيمة وصدى من المدفع .

نحن فى حاجة الى كتاب يكتبون لنا التاريخ الوطنى لمصر ويكتبون لنا عن الديمقراطية والدستور وهذه المعانى الجميلة التى تعطى للانسان كرامته : لقد نسي الشعب هذه المعانى ولا يعرف عنها شيئا الآن .

شكرا يا سيدى الأستاذ على كتابك هذا وفى انتظار المزيد .

(مواطن »

واذا كنت قد حرصت على نشر تلك الرسالة التى احتفظت بها ضمن أعز ما أملك رغم اختلافى مع كاتبها فى بعض آرائه الا أن هدفى من نشر الرسالة بنصها وفصها فيما عدا ما أسقطته من بعض الأسماء وبعض الأحداث ، هو اعطاء صورة حقيقية غير مزيفة لرأى مواطن مصرى خشى أن يذكر اسمه فى خطاب خاص خشية أن يقع فى أيدى الآخرين فيناله الأذى .

كما أننى استهدفت أيضا ـ من نشر الرسالة ـ اعطاء صورة صادقة لصدى نشر كتاب عن محمد فريد فى تلك الأيام ، التى لم يكن أحد فيها يحتفى بمثل تلك الشخصيات الوطنية البارزة .

وأعددت جزءا خاصا عن محمد فريد لينشر فى المصور فى مناسبة مرور ٥٠ سنة على وفاة محمد فريد ولكننى فوجئت بحجز ثمانى صفحات لموضوع

ورد من باريس بعثت به الزميلة درية عونى وكانت مراسلة المصور هناك .

وهو عبارة عن حديث مع مدام روشبرون التى ادعت أنها كانت زوجة لمحمد فريد .

وقاومت ـ جهد الاستطاعة ـ نشر هذا الحديث لأنه فى رأيى ضار بسمعة محمد فريد .

وأنه لا يليق بنا ونحن نكرم رجلا فى مناسبة مرور نصف قرن على وفاته . أن نسىء اليه فى تلك الذكرى .

وتيقنت أنه لابد من أن ينشر هذا الحديث اذا أريد نشر الجزء كله بل قيل لى أننى اذا اعترضت على نشر هذا الحديث ، وأصررت على الاعتراض فقد لا ينشر ما أعددته ، وينشر الحديث .

وظللت فى صراع نفسى أكثر من ثمان وأربعين ساعة استخدمت فيها كل ما أملك من أسلحة للحيلولة دون نشر هذا الحديث ،

وكل ما استطعت الوصول اليه بعد مباحثات شاقة وعنيفة أن يختصر الحديث الى ست صفحات ، وأن أتولى بنفسى مراجعة بعض ما جاء فيه مراجعة لا تمس جوهره بأى حال من الأحوال .

ووازنت بين نشر جزء عن محمد فريد وبه حديث يسىء الى محمد فريد وبين عدم نشر هذا الجزء اطلاقا ، وامكانية نشر الحديث فى هذا الجزء : وفى النهاية رأيتنى مضطرا الى قبول الأمر الواقع خاصـــة وقد عرفت أنهم كانوا ـ فى المصور ـ يخشون الاتهام بأنهم حزبيون ، أو يمجدون شخصيات حزبية قديمة فى وقت كان الحديث فيه عن الحزبية وقادة الأحزاب القديمة من الأمور المحرمة ، أو شبه المحرمة ! .

★★★

وصدر المصور يوم ١٤ نوفمبر ١٩٦٩ وبه جزء خاص فى ٣٢ صفحة عن محمد فريد تصدرته عبارة قالها محمد فريد ـ وقد اخترتها من كلماته المأثورة ـ « ان ما تسلبنا اياه الشدة ترده لنا المثابرة ، أما ما نتنازل عنه طائعين فانه يضيع ونفقده الى الأبد ، اننا نعرف كيف نصبر على المكاره ولكننا لا نعرف التسليم لأعدائنا ولا التنازل عن مطالبنا » .

وكانت المقدمة كلمة للأستاذ أحمد بهاء الدين ـ وكان وقتئذ رئيسا لتحرير المصور ـ الى جانب فكرى أباظة الذى لم يطلب منه الاشتراك فى هذا الجزء رغم أنه من قدامى تلاميذ محمد فريد .

قال الأستاذ أحمد بهاء الدين : ان الشعوب الحية لابد وأن تكون لها ذاكرة طويلة يقظة حادة ٠

ما يمر من تاريخها لا يطويه النسيان ولايدفنه التراث لأن من هذا التاريخ يستمد الشعب جذوره ويستخلص دروسه ويستنفر فضائله ٠

وليس معنى ذلك أن يكون التاريخ مقدسا : انهم لا يستحضرونه لكى يصلوا فى محرابه ، انما يستحضرونه لمناقشته وتحليله وتقييمه تقييما نقديا متجددا فهذا هو المهم ٠

***

وهذا هو معنى أن يكون التاريخ خلاقا ٠

ومحمد فريد نمـــوذج فذ للرجل الذى أعطى بلاده كل شىء بلا حساب أعطاها كل ما ورث من مال عريض وأعطاها صحته فمات معدما ، لم يكد يبرح الخامسة والخمسين ، وأعطانا شيئا أهم : انه هتف فى أذن بلاده بكل صيحات العصر : الاستقلال الوطنى ، الديمقراطية ، الدستور ، النقابات العمالية ، محو الأمية ، الجمعيات التعاونية ، المؤتمرات الدولية ، للحركات الاشتراكية ؛ وحركات السلام العالمى ثم ماذا نقول ، اعتذارا عن تقديم هذه الجولة البسيطة فى حياة فريد وأوراقه ورسائله ؟ هل نسوق عتابا جديدا الى كافة الهيئـــات ذات الاختصاص بالتاريخ المصرى وتراثه التى نشعر ــ بعد ــ أنها ــ حقا ــ لا تؤدى رسالتها فى بعث تاريخ هذا الشعب : التاريخ الذى يستمد منه الشعب جذوره ويستنفر فضائله :

أما حديث روشبرون فكان بعنوان : أول حديث صحفى مع صديقة محمد فريدة الفرنسية : عزيزة دى روشـــبرون ، التى لعبت دورا هاما فى الحركة الوطنية ٠

وكانت قد تعبت كثيرا ، فى تغيير العنـوان من أول حديث صحفى مع « زوجة » محمد فريد الى صديقة محمد فريد ٠

وكانت أولى المغالطات التى وردت فى هذا الحديث ، أن محمد فريد قد راجع مذكراتها ، بينما أكد محمد فريد فى مذكراته أنه كان يعرف جيدا أن مدام روشبرون هذه كانت جاسوسة للخديو عليه وأن ــ الخديو ــ كان ينقدها ثلاثين جنيها كل شهر لكى تتجسس عليه ٠

ثانى تلك المغالطات قول مدام روشبرون ان محمـــد فريد لم يكن عنده الاستعداد الفطرى للتنظيمات السرية ، بينما الواقع يكذب هذا الادعاء فقد

كانت معظم الجمعيات السرية التى كانت قد قامت فى مصر قبل وأثناء الحرب العالمية الأولى على علاقة وثيقة بمحمد فريد ·

وكان سكرتيره الشخصى خليل مدكور يقوم وبعض الضباط السابقين بتدريب بعض شباب هذه الجمعيات على استعمال السلاح فى بعض الأماكن النائية من جبال الألب وكان يبديهم المسدسات فى صورة ساعات ! ·

***

وقد أوليت فى هذا الجزء أهمية بالغة للخطابات السرية لمحمد فريد ·

وكان من بين هذه الخطابات التى نشرت لأول مرة خطاب الى محمد بدر من قيادات الحركة الوطنية المصرية يوصيه بالاهتمام بالدعاية للقضية الوطنية ·

ويوجهه الى بذل المال لتدعيم الجمعيات الاسلامية التى تقوم بالرد على الصحف الانجليزية والصحف الفرنسية المناوئة للحركة الوطنية المصرية ·

ومن تلك الرسائل أيضا رسالة بعث بها الى عبد الرحمن الرافعى يقول فيها : كنا معتادين على مساعدة جريدة ايجبت التى تصدر بلندن بمائتى جنيه سنويا ·

ودفعناها تماما فى سنة ١٩١١ ودفعنا جزءا منها فى أوائل عام ١٩١٢ وهو ٤٠ جنيها فقط ·

وقام مستر بلنت واخوانه بمصروفاتها الى آخر عدد منها وصلنى صباح اليوم — بمساعدة بعض الطلبة فى انجلترا — واليوم كتب لى المستر بلنت بعدم امكان اللجنة القيام بنشر المجلة مالم ندفع لها اعانة سنوية قدرها مائتا جنيه ·

وفى نظرى أن بقاء هذه المجلة فى عالم الوجود ضرورى لنا الآن خصوصا وقد أصبحنا بلا لسان يعبر عن أفكارنا فى مصر الا الشعب ·

وطبعا هو قصير العمر مادامت الوزارة الحالية موجودة ·

فأرجو التكلم فى هذه المسألة مع الاخوان لجمع هذا المبلغ ولو على قسطين يدفع الأول فى شهر يناير ١٩١٣ ·

والثانى فى ابريل مثلا ·

لأنه لا يصعب على الأمة التى تجود بمئات الألوف من الجنيهات أن تبخل بمائتى جنيه فقط على مثل هذا العمل المفيد ·

***

ومن بين تلك الرسائل أيضا رسالة بعث بها محمد فريد الى اسماعيل لبيب بك فى ١٨ يونيو ١٩١٩ أى قبل وفاته بحوالى خمسة أشهر يقول فيها : حضرت الليلة هنا والمكان جميل والأكل مستوفى ولكننى لم أدفع الأجرة ريثما أقابل الطبيب باكر ٠

هذا وقد كاتبت البنك فى بال (سويسره) بزيادة السلفة وعرضت عليه ما بقى عندى من أوراق بدون رهن ٠

وأملى أن يجيب الطلب ولكن من باب الاحتياط أردت اخبارك من الآن حتى تتكلم مع على بك الشمسى وتحضر الى ولو ثلاثمائة فرنك فى مسافة ثمانية أيام تكون تحت أمرى لارسالها تلغرافيا لدفع كشف الأسبوع (الفندق) وأجرة الطبيب اذا تأخر البنك عن الارسال الى ذلك التاريخ »

***

وربما كان من آخر الرسائل التى كتبها فريد والتى حصلت عليها من ابنه عبد الخالق فريد تلك التى بعث بها الى عبد اللطيف الصوفانى بك ـ أحد أقطاب الحزب الوطنى ـ فى ١٢ سبتمبر ١٩١٩ والتى قال فيها :

هناك مسألة هامة جدا تستدعى عناية اللجنة على العموم وعنايتك الشخصية على الخصوص وهى مسألة تدبير المال اللازم للاستمرار على نشر مجلتنا الصغيرة التى أنشرها من أبريل الماضى ولكن بلا انتظام ، نظرا لنضوب المال كلية ٠٠ يلزمنى هنا لاستمرار حركة النشر بانتظام مبلغ لا يقل عن ألف فرنك شهريا بخلاف ما يلزم لمصروفى الشخصى وأنتم تعلمون أن حالة عائلتى أصبحت لا تسمح لها بمساعدتى ولا يغرب عن فكركم غلاء المعيشة بأوروبا حتى فى سويسرا أصبحت جنيف غير ما كانت عليه قبل الحرب ، فبالنسبة لاقتصادى المعروف أرى ألف جنيه أو ثمانمائة جنيه على الأقل سنويا تكفينى لنفسى ولأعمالى انما يحسن جمعها وارسالها فى موسم القطن أى فى بحر هذا الشهر لأن حالتى المالية أصبحت سيئة جدا بسبب مرضى وكثرة انتقالى من بلد لأخرى تبعا لاشارة الأطباء ٠ لذلك أكرر طلب ارسال عشرين ألف فرنك فورا على الأقل نصف هذا المبلغ تلغرافيا بمجرد وصول هذا اليكم لأدفع ما على من الديون وهى تزيد على خمسة آلاف فرنك وتزيد يوميا ٠٠ والا يهمل هذا الطلب كما أهمل طلب رفيق أفندى الذى أصبحت حالته أتعس من حالتى وبهذه المناسبة أقول أن تصرفاتكم معه وتركه بلا نقود بعد ما قام به من الخدمة الجليلة فى ايطاليا مما لا يقبل أدنى تبرير مطلقا ٠ على أن الفرصة مازالت سانحة لخدمة المسألة المصرية فى ايطاليا أثناء مناقشة مجلس نوابها فى معاهدة الصلح ولو أرسلتم له المال الكافى لأمكنه القيام بحركة أكثر مما قام به الوفد المصرى ، فى أمريكا بواسطة وكيل أمريكى فعجلوا بارسال المال فى أقرب وقت وبأى طريقة حتى

لا تضيع الفرصة » . وينهي محمد فريد خطابه بقوله : هـذا ما أكرره وألح في طلبه والا فقبض اليد عن خدام الأمة الحقيقيين خصوصا في مثل هذه الظروف يكون جريمة عظمى ، لا تغتفر وأملي أن يصلني الرد (نقدا لا كلاما) بالتلغراف بعد عشرة أيام من تاريخ هذا على الأكثر » .

***

— ومن بين موضوعات ذلك الجزء ما كتبه عبد الخالق فريد عن والده كما عرفه من خلال رسائله اليه والى الأسرة .

من بين رسائل فريد الى الأسرة وكانت زوجته قد بعثت اليه تستشيره في بيع ما تبقى من المنقولات .

وكان الرد في ١٠ أبريل ١٩١٤ . أما بيع العفش فلا أوافق عليه لأنه لا يعوض ولأنه لازم لاعطاء ابنتي فايقه ما يلزمها منه عند زواجها فلا تفكروا في بيعه مطلقا .

ان بعد العسر يسرا » .

وكان من بين ما كتبه عبد الخالق فريد انه استدعى ولما يكن قد تجاوز الثانية عشرة من عمره للذهاب الى محطة مصر ليحيي جثمان والده وهو في تابوته بقسم الأمانات بالمحطة تمهيدا لتشييع جنـازته من المحطة الى المدافن بالسيدة نفيسة .

ويقول عبد الخالق فريد أيضا ان أمه (القديسة) — كما كان يسميها — واصلت الحياة بعد هجرة والدي وعجزت أن تدفع له مصروفات المدرسة » بعد أن باعت — رحمها الله — كل ما تملك حتى بروش من الماس كان عزيزا عليها وأعطته لوالدي لبيعه والانفاق منه على الاحتفال بذكرى مصطفى كامل » .

ويمضي عبد الخالق فريد قائلا : بعد أن عجزت والدتي عن دفع مصروفاتي المدرسية اتصل ناظر المدرسة المرحوم عبد الحميد الشربيني بوزارة المعـارف على ماهر الذي وافق — مشكورا — على أن أتعلم بالمجان في المرحلة الثانوية وفي الجامعة » .

وقال عبد الخالق فريد ضمن ما قاله : امتد شقاؤنا بعد وفاة والدي ولكننا كافحنا كفاحا مريرا ضد الفقر والعوز وضد تجاهل بعض أقاربنا لنا » .

وقد احتفظت ببقية مقال عبد الخالق فريد عن والده اذ لم يتيسر لنا في هذا الجزء الخاص بوالده الا نشر مقتطفات منه على صفحتين فقط .

***

وكان الأستاذ فتحى رضوان قد كتب صورة قلمية عن محمد فريد ٠

وكتب ـ فى نفس الجزء الخاص ـ الأستاذ أمين عز الدين عن محمد فريد صديق الطبقة العاملة ٠

وكان آرثر جولد شميت ـ وكان وقتذاك أستاذا مســـاعدا للتاريخ فى جامعة بنسلفانيا ويعد رسالة الدكتوراه عن الحزب الوطنى ومحمد فريد ـ قد كتب عن « محمد فريد فى نظر مؤرخ أجنبى » ٠

وقد حرصت فى هذا الجزء على أن أحلل العلاقة بين فريد وبين الخـديو عباس على ضوء أوراق سرية نشرتها وقتذاك للمرة الأولى ٠

وانتهيت من هذا التحليل الى أن محمد فريد والخديو عباس حلمى الثانى كانا عدوين لدودين فى كثير من الأحيان وكانا حليفين يحذر كل منهما الآخر فى بعض الأحيان ٠

مرة تقوى العلاقات بينهما وتشتد . ومرة تتراخى وتضعف أو تتلاشى ٠

ترمومتر العداء ، يرتفع ، وينخفض باستمرار ٠

***

ومن خلال أكثر من ٥٠٠ خطاب سرى لمصطفى كامل ومحمد فريد وعلى فهمى كامل وأحمد وفيق والشيخ عبد العزيز جاويش وعبد الملك حمزة ، وأحمد حلمى ، المحرر الأول باللواء ، ومحمود فهمى سكرتير الحزب الوطنى وعبد اللطيف الصوفانى وعبد الرحمن الرافعى ، ومجد الدين حفنى ناصف وغيرهم وغيرهم حاولت التأريخ لمصر خلال الفترة من ١٦ أكتوبر ١٨٨٦ حتى ١٥ نوفمبر ١٩١٩ : أزحت الستار فى هذا التحليل عن كثير من أسرار الحركة الوطنية ٠

ومن بين ما جاء فى تلك الرسائل رسالة من مصطفى كامل الى محمـــد فريد ـ فى ١٩ أغسطس ١٨٩٨ يطلب منه أن يرسل له بواسطة بنك الكريدى ألف فرنك : مهمـا كلفك الأمر ، حتى لا أضـــع نفسى ـ مصـــطفى كامل ـ فى موضع حرج ولولا انك ـ محمد فريد ـ منى مكان الأخ الشقيق ما كلفتك بذلك مع علمى بأنك ربما استلفت أو تصرفت فى مال أبيك » ٠

ورسالة أخرى من مصطفى كامل الى محمد فريد [٢٦ نوفمبر ١٩٠٦] يطلب فيها أن يضمن فريد شقيقه على فهمى كامل بك فى بنك سالونيك فى فتح حساب خصوصى بمبلغ ألف وخمسمائة جنيه مصرى ٠

« وأنا ـ مصطفى كامل ـ متعهد لك بكل ما يخص هذه الضمانة وما يتعلق بها وضامن لشقيقى فى كل ما تضمنه فيه » ٠

رسالة أخرى من على فهمى كامل الى محمـــد فريد [٢٢ مايو ١٩٠٨] يقول فيها : ان اللجنة الادارية للحزب الوطنى ـ فى غياب فريد ـ قررت شكر المصادر المالية فى فرنسا لأنها اكتتبت بأربعة ملايين من الجنيهات فى أسـهم البنك العقارى وان مسألة ضم ليتندار اجيبسيان وذى اجبسيان ستاندرد الى شركة اللواء قد تأجلت الى حين عودة فريد الى مصر من الخارج مكتفين بعمـــل اكتتاب بين أعضاء الحزب الوطنى ، لضمان حياة الجريدتين مدة ثلاثة أشهر .

***

رسالة أخرى بعث بها على فهمى كامل ـ شقيق مصطفى كامل الى محمد فريد ـ لم أستطع معرفة تاريخها بالضبط ، وان كان من الواضح أنها كتبت بعد عام أو عامين من هجرة محمد فريد يقول على فهمى كامل :

ان الدسائس لا تزال تعمل ضد الحزب ورجاله فمهما كان المرء مخلصا وفقيرا وبائسا وفى أسوأ حالات الحياة فانه يسمع التهم توجه اليه ، انى لا أقول لغيرك اننا لا نجد العيش فى هذا العيد لأننى بعت جميع الأثاث ، وليس لدينا خلاف الأسرة الضرورية وترابيزة وستة كراسى ، فهل يدور بخلدك مع هـذا البؤس القاتل أنه يوجد من يتهمنا كما اتهموك من قبل وهم كاذبون بأننـا أخذنا من الخديو نقودا واننا نقابله .. انى الآن ساكن فى المدرسة فى دور صغير وصاحب البيت أنذرنا بالخروج لتأخيرنا عن دفع الأجرة خمسة عشر شهرا وليس فى وسعنا والحمد لله أن ندفعها اليه . وعلى ذلك عولت على اصلاح منزل المرحوم والدى الكائن بدرب المبيضة بالصليبة مسقط رأسنا جميعا لتسكن فيه العائلة وعزمت على السفر بعد شهرين على الأكثر الى الاستانة ومنها الى مسلمى الصين والله قادر أن ينفع بنا المسلمين فى غير مصر » ..

***

رسالة أخرى من الدكتور اسماعيل صدقى أحد أقطاب الحزب الوطنى ـ وهو غير اسماعيل صدقى باشا السياسى ، المصرى ، المعروف ـ .

الرسالة بتاريخ ١٦ أغسطس سنة ١٩١٢ يقول فيها تعليقا على جمعية السلام التى أنشئت ، فى مصر : ان الأسف يخالجنى بأشد تأثيره كلما رأيت الضعف قد تغلب على تلك الهمم التى كانت عمادنا فى القيام بمأموريتنا وتنفيذ مبادئنا على اختلاف أشكالها : رأيتم اجتماع مجلس ادارة الجمعية ولم أر غير وجوب ذلك وقد جاهدت فى أن يتم ذلك فكانت النتيجة مضاعفة الأســف عندى اذ لا يوجد من الأعضاء من يوافقنا فى الظروف الحاضرة ولا أخفى عنكم اننى حاولت تكوين الجمعية طبقا للقانون من سبعة أعضاء فلم أوفق وقد وصل بنا الاهمال الى عدم تلبية دعوة اللجنة الادارية للنظر في حالتنا الحاضرة وحالتنا

المالية خصوصا التى تحتاج الى الاسعاف السريع مثل الأحوال المرضية المفاجئة ، وبالجملة يا سيدى الرئيس فالحالة هنا لا تتناسب مع حسن ظنكم وانى أشير اليها اجمالا وكان بودى عدم الكتابة عنها لعدم انزعاجكم وعدم تحملكم مثل هذه الآلام التى يعلم الله ورسوله درجة ما أعانيه بسببها من الانقباض والحزن .. على أن هذا لا يمنعنى من المثابرة ولوحدى على خدمة مبادئنا القويمة مهما اعترضتنى الأقاويل والوشايات التى أشيعت عنى أخيرا وعلمت مصادرها ، ولكنى لا أعبأ بها مادمت معتقدا أنى أقوم بما فرضته على نفسى وما يرضى ضميرى » . ثم يخبره دكتور اسماعيل بأنه عند عودة أحمد توفيق سيتفق معه على ارسال المائة فرنك باسم محمد فريد الى جمعية السلام وانابتكم عنها فى مؤتمر هذا العام .. » .

★★★

ومن تلك الرسائل أيضا رسالة من أحد تلاميذ محمد فريد وهو الأستاذ أحمد وفيق ، بعث بها اليه من فاقوس « شرقية » وبتاريخ ١٣ يونيو ١٩١٤ تحدث فيها عن الصراعات التى نشبت فى داخل الحزب الوطنى بعد مغادرة محمد فريد مصر الى المنفى .

وكذلك عن الصراعات داخل جريدة الشعب لسان حال الحزب الوطنى حول ما ينشر وما لا ينشر عن رحلات الخديوى ، يقول أحمد وفيق فى رسالته الغاضبة :

« ان أية صحيفة لا يمكن أن تعيش بدون انتشار وان الجرائد الملكية فى فرنسا لا تمتنع عن نشر أخبار رحلة بوانكريه الجمهورى وان الجرائد الجمهورية فى ايطاليا تنشر رحلات ملك ايطاليا و ... » ويقول أحمد وفيق بصراحته المعروفة : « اننا عدد قليل جدا وبكل أسف لا نعمل عملا مطلقا والحركة نائمة وتغط فى النوم واذا كنتم قد قلتم فى خطبتكم التى ارتجلتموها أن أبا الهول لم ينم الا بعين واحدة والثانية تنظر الى الأمم التى فتحت مصر ، فربما يكون هذا القول صحيحا بعد افتتاح الجمعية التشريعية أما نومه من بعد سبتمبر سنة ١٩١٢ الى أكتوبر ١٩١٣ فكان عميقا واذا سمحت لى أن أقول أن النوم ابتدأ بعد مفارقتكم لهذه البلاد التعسة وانى أقسم لك انى لو علمت أن مصير حركتنا سيكون كذلك بعد هجرتكم لكنت أول من ألقى القبض عليك لتمضى السنة ثم نخرج بعدها كما خرجت عقب الأشهر الستة وان أدى ذلك السجن الى التنقل فى الشوارع .. »

★★★

وكنت قد خصصت فى هذا الجزء ما يقرب من أربع صفحات للكتابة عن الحركة الوطنية المصرية بقيادة محمد فريد وكان محمد فريد قد نشر بضعة

مقالات فى صحيفة لى سييكل الفرنسية هاجم فيها محمد فريد الخديو ·

وكان الدكتور منصور رفعت قد كتب مقـالا فى اللـواء مطالبا بخلع الخديو ·

وكان محمد فريد . قد تعمد عدم القيام - فى احدى حفلات الأوبرا - أثناء عزف السلام للخديوى ·

وكانت صحيفة الأهالى قد اتهمت محمد فريد بخيانة العرش تمهيدا للالقاء بفريد فى أعماق السجن وحل الحزب الوطنى ·

وكان انشقاقا قد حدث داخل اللجنة الادارية حول الموقف من الخديو عباس حلمى ·

وكان على فهمى كامل قد بعث برسالة الى محمد فريد بوصفه وكيلا للحزب الوطنى سائلا اياه كرئيس للحزب أن يرد على ما اذا كانت المقالات التى نشرت فى صحيفة « لى سييكل » بقلمه أم لا ؟ واذا كانت كذلك فعليه أن يدافع عن نفسه كما يقضى بذلك قانون الحزب ·

وكان على فهمى كامل قد أشار فى خطابه الى رئيس الحزب أن لجنة تحقيق قد شكلها الحزب وأن اللجنة قد حددت ثلاثة أسابيع للرد فاذا لم يرد اعتبر ذلك امتناعا عن الاجابة ·

وكان محمد فريد قد عقب على ذلك كله بارسال استقالته من رئاسـة الحزب وضرورة عرض أمر تلك الاستقالة على الجمعية العمومية للحزب ·

وبطبيعة الحال لم يستطع على فهمى كامل ومن يؤازرونه فى اللجنة الادارية للحزب أن يعرضوا أمر الاستقالة على الجمعية العمومية للحزب لأنهم كانوا على ثقة مطلقة من أن الجمعية العمومية للحزب سوف ترفض الاستقالة وستسحب الثقة من على فهمى كامل ومن معه ·

وكنت أيضا قد أشرت فى مقالى هذا عن الحركة الوطنية - بالاضافة الى ما سبق ذكره - الى ما ذكره الكونت رفنتلو - من الشخصيات الألمانية البارزة - من أن الحزب الوطنى فى الخارج بقيادة فريد قد نجح فى اكتساب ثقة الرأى العام العالمى وكبار الرجال فى أوروبا على اختلاف طبقاتهم ·

وهذا - الكونت رفنتلو - ما يجعلنا نفخر بهذه الأعمال العظيمة أمام الرأى العالى العالمى ·

***

كما أشرت الى برقية بعث بها محمد فريد الى الزعيم السوفيتى لينين يقول فيها : تتشرف لجنة الحزب الوطنى بأن تعرب عن شكرها الأدبى لحكومتكم

الديمقراطية بمعنى الكلمة بمناسبة تصريحها بأسمى وأغلى ما يمكن أن تصبو اليه الانسانية من المبادىء المتعلقة بالحرية والمساواة ٠

ان هذه المبادىء التى صرحتم بها وأنتم مجردون من الهوى والغرض قد أنعشت النفوس وأحيت فى الأمم المستعبدة ميت الآمال فى حياة جديدة تملؤها السعادة والرفاهية ٠

حياة قائمة على تحريرها من أغلال أصحاب رءوس الأموال وأصفاد محبى الاستعمار ٠

ان اللجنة تشكركم بصفة خاصة على التلغراف اللاسلكى الذى أرسلتموه الى جميع الحكومات طالبين فيه تحرير مصر ونرجو منكم أن تكلفوا مندوبيكم فى مؤتمر برست ليتوفسك بأن يطلبوا تحرير مصر من نير الاحتلال الانجليزى ٠

ان المسألة المصرية فى الواقع مسألة دولية نظرا لمركزها الجغرافى ووجود قناة السويس التى تخترق أراضيها ٠

ولقد كانت تلك المسألة موضوع محالفات دولية عديدة وقعت عليها حكومة روسيا ٠

وعلاوة على ذلك فان الحرب الحاضرة أثبتت أن حرية قناة السويس لا يمكن أن تكون حقيقة الا اذا حكم مصر أبناؤها ٠

وقد أنهيت هذا الجزء الخاص بمحمد فريد بصورة نادرة كانت آخر صورة له » لم تنشر من قبل لمحمد فريد وتحتها قول حافظ ابراهيم فى رثاء فريد :

ها هنا قبر شهيد فى هوى أمة أيقظها ثم رقد !!

★★★

وكانت العلاقات بينى وبين عبد الخالق فريد قد انقطعت تماما اثر نشر هذا الجزء من « المصور » اذ كان رحمه الله يفضل ألا ينشر هذا الجزء اطلاقا الا اذا رفع منه الحديث الذى أجرته زميلتنا درية عونى مع مدام روشبرون ٠

ثم عادت العلاقات أقوى مما كانت بعد ذلك بأشهر قلائل ٠

وكان قد صدر قرار وزارى بالاستيلاء على مذكرات محمد فريد ٠

وأبلغ به المستشار عبد الخالق فريد عن طريق أحد المحضرين وهذا ما آلمه كثيرا حتى أنه عكف فى منزله بضعة أسابيع يرفض أن يزوره أحد الى أن تمكنت من زيارته ونجحت فى ازالة الأثر السىء الذى تركه حادث ابلاغه بالاستيلاء على مذكرات والده بالقوة الجبرية ٠

وقد كان عبد الخالق فريد عنيدا للغاية وربما يكون قد ورث هذا العناد عن والده طيب الله ثراه ٠

اذ فوجئت به يطلبنى ويدعونى الى زيارته فى منزله بمصر الجديدة وهناك ـ فى منزله الهادىء ـ فاجأنى بما كان قد قرره : ان القرار الوزارى قد شمل المذكرات وحدها ولم يشر من قريب أو من بعيد الى خطابات فريد والى الخطابات التى احتفظ بها فريد للآخرين ولقد رأيت أن أهديك هذه الخطابات التى هى فى رأيى أخطر من المذكرات » ٠

وقام من فوره وأحضر لى رزمة كبيرة من الخطابات كانت قد حفظت بعناية تامة ودفعها الى ٠

بعد أن فتحت هذه الرزمة ـ فى بيتى ـ وتبينت محتوياتها تأكد لى فعلا أن هذه الخطابات وهى تقترب فى العـــدد من المائتين من أخطر الخطــابات السياسية ٠

ولم أكن أخشى على منزلى من السرقة الا بسبب تلك الخطابات ٠

وغالبية تلك الخطابات أرسلها محمد فريد الى والده والى زوجته وأولاده ابتداء من عام ١٨٨٦ حتى آخر يوم من حياته ٠

وقد تناولت تلك الخطابات الحياة الشخصية والحياة العامة لمحمـد فريد فيما يقرب من ربع قرن من الزمان ٠

ولن أشير فى هذا المدخل الى تلك الخطابات لأنها العمود الفقرى لكتابى عن محمد فريد فى المنفى الذى انتهيت منه والذى أرجو أن يكون بحق عملا تاريخيا طيبا خاصة وأنه قد أزاح الستار ولأول مرة عن نشاط الحزب الوطنى فى أوروبا فى الفترة من ١٩١٢ حتى نوفمبر ١٩١٩ ٠

وقد أفادتنى تلـك الدراســة الى حــد كبير فى معرفة بعض الأسرار السياسية فى تلك الفترة كما أفادتنى تلك الدراسة الى حد كبير أيضا فى دراستى عن سنوات ما قبل الثورة وذلك عند حديثى عن بدايات الأحزاب فى مصر ، وما سبق وواكب وأعقب ثورة ١٩١٩ من أحداث ٠

***

واذا كنت قد استفدت الى حد كبير من علاقتى بعبد الخالق فريد فاننى قد استفدت الى حد ما من علاقتى بحسن حسنى كامل ، شقيق مصطفى كامل وابنه اللواء على حسن كامل ٠

وكنت مع بداية عملي بالصحافة قد بدأت . أكتب عن مصطفى كامل في كثير من المناسبات الوطنية ٠

وتوثقت علاقتي بالأستاذ حسن حسني كامل وكان صحفيا غير محترف ٠

وعندما تقرر نقل جثمان مصطفى كامل من مقبرته الى الضريح الذى بنى بحى القلعة ، كنت أحد ثلاثة نزلوا الى القبر وحملوا على أيديهم ما تبقى من رفات مصطفى كامل ٠

وكنت قد احتفظت بنسخة من القرآن الكريم . كانت قد وضعت فى القبر فوق رأس مصطفى كامل ٠

وقضيت ليلة كاملة الى جانب الجثمان بعد نقله الى مدرسة مصطفى كامل فى لاظوغلى حيث تقرر أن ينقل الجثمان رسميا فى مظاهرة عسكرية وشعبية يتقدمها قادة ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ وفى المقدمة محمد نجيب وجمال عبد الناصر يرحمهما الله ٠

وكنت قد نزلت الى القبر فى أسفل الضريح لأوسد التراب جثمان الرجل الذى أحببته وعشقته حبا وعشقا أنسيانى كل حب وعشق أحد فيما عدا حبى وعشقى لمحمد فريد ، وأمين الرافعى ٠

★★★

وكنت قد اقترحت اقامة تمثال لمصطفى كامل يوضع فى مدخل نقابة الصحفيين بوصفه من أوائل الصحفيين المصريين الوطنيين حتى لقد كانوا يطلقون عليه « مصطفى كامل اللواء » ٠

واستجابت نقابة الصحفيين ــ مشكورة ــ لاقتراحى وتطوع المثال الكبير ابراهيم جابر لنحت التمثال ٠

ونظرا لأنه لا توجد صور لمصطفى غير تلك الصورة التقليدية اياها فقد جرى الاتصال بشقيقه حسن حسنى كامل ليعرف منه المثال جابر بعض التفاصيل عن ملامح أخيه ٠

وفوجئت بحسن حسنى كامل يقول انه يوجد شبه كبير بينى ــ فى الشكل وكنت وقتئذ شابا ــ وبين مصطفى كامل ٠

وجلست كموديل أمام ابراهيم جابر ساعات طويلة كل يوم ولبضعة أسابيع حتى انتهى من صنع تمثال مصطفى كامل ٠

واحتفلت الدولة بازاحة الستار عن تمثال مصطفى كامل وبقى التمثال قائما يتصدر مبنى نقابة الصحفيين الى أن تركت سكرتارية النقابة فى فبراير

١٩٦٥ فنقل التمثال الى مكتبة النقابة ، ليوضع مكانه تمثال لعبـــد الناصر رحم الله الجميع ٠

***

وعن طريق حسن حسنى كامل وأقاربه وأصهاره ومعارفه وجدت بعض أوراق هامة لمصطفى كامل ٠

وكان العثور على تلك الأوراق من الأمور الهامة لأن على فهمى كامل عندما أرخ لشقيقه مصطفى كامل فى بضعة مجلدات لم يترك شاردة ولا واردة من أوراق مصطفى كامل الا وأوردها فيها ٠

واتجهت الى كثيرين من تلاميذ مصطفى وأنصاره ومعاصريه ــ وفى المقدمة الأستاذ راشد رستم ــ الذين أعطونى صورة كاملة عن الحياة السياسية لعصر مصطفى كامل مما لم يرد ذكره فى الصحف وفى الكتب ٠

وجعلت من نفسى ديدبانا للدفاع عن مصطفى كامل وخاصة بعد أن نشر البعض أن مصطفى كامل « كان شحاذا بردنجوت » ٠

وبعد أن أول البعض العلاقة التى كانت تربط مصطفى كامل بتركيا ــ دولة الخلافة الاسلامية ــ تأويلا سيئا ؛ قلت ــ ضمن ما قلته :

لقد كانت علاقة مصطفى كامل ، والحزب الوطنى بقيادة مصـــطفى كامل وفريد بتركيا علاقة سياسية قائمة على ضمان حقوق مصر وسياستها ٠

وقلت لقد كانت تركيا تحتل مصر ولها عليها حق السيادة كدولة تمثل الخلافة العثمانية فلما ابتليت مصر بالاحتلال البريطانى كان لابد لمصر أن تعتمد على تركيا الدولة مقر الخلافة الاسلامية لطرد الانجليز من مصر ٠

وعندما نشر البعض الخطابات التى كان يرسلها مصطفى كامل الى أستاذه الشيخ عبد الرحيم أحمد ، وكان يعمل وقتئذ فى المعية الخديوية عندما كان مصطفى كامل يتلقى تعليمه فى مدرسة الحقوق بتولوز [فى فرنسا] أكدنا ــ بالوثائق ــ أن الذى أرسل مصطفى كامل ليتعلم الى فرنسا بعد وفاة والده كان أخوه الأكبر وأنه لا غبار على مصطفى كامل ــ الطالب ــ فى أن تكون له علاقة طيبة بالخديوى الذى كان وقتئذ شابا ٠

وكان فى بداية حكمه يقوم بتعضيد الحركة الوطنية المصرية ضد الاحتلال البريطانى وذلك بناء على نصائح بعض الفرنسيين العاملين فى سراى الخديوى والذين كانوا ينفذون مخططات حكومتهم بمعاداة الاحتلال البريطانى لمصر ٠

ولقد انتهت سياسة المعاداة تلك بعد الاتفاق الودى الذى عقد بين فرنسا

وانجلترا عام ١٩٠٤ والذى بمقتضاه أطلقت يد بريطانيا فى مصر . وأطلقت يد فرنسا فى الجزائر .

وقادنى حبى لمصطفى كامل ومحمد فريد والحزب الوطنى الى أن أقف الكثير من جهودى ووقتى لدراسة الحزب الوطنى منذ انشائه لأول مرة فى أواخر عهد الخديو اسماعيل باشا .

***

وقد أمدنى بعض قيادات الحزب . عبد الرحمن الرافعى ، عبد المقصود متولى وقبلهما حافظ رمضان بالكثير من الأسرار السياسية الخاصة بالحزب الوطنى وبالأحداث السياسية التى حدثت بمصر قبل وأثناء الحرب العالمية الأولى .

وأذكر أن أستاذنا حافظ رمضان قد أزاح لى ذات يوم سرا رهيبا ، وهو أنه عندما ضيق الانجليز على الحزب الوطنى الخناق بعد هجرة محمد فريد . فكر بعض أقطاب الحزب الوطنى وبعض ضباط الجيش المصرى فى السودان ، فى القيام بثورة تبدأ من جنوب الوادى وتمتد الى شماله وكانت الأسلحة تهرب من مصر الى السودان .

وقد أفادتنى الى حد كبير مكتبة الأستاذ عبد المقصود متولى وهى مكتبة فريدة فى بابها ، ولست أعتقد أن كتابا عالج القصة المصرية من قريب أو من بعيد باللغة الانجليزية ، أو باللغة الفرنسية ، ولم يكن له وجود فى مكتبة الأستاذ عبد المقصود متولى وقد استفدت فائدة كبيرة من معرفتى بالدكتور حسن نور الدين ، وهو أحد قيادات الحزب الوطنى المغمورة التى لا يذكرها أحد ، بالرغم من أنه لعب أخطر الأدوار بالنسبة لشباب الحزب الوطنى ، وخاصة الذين يعملون تحت الأرض فى نشاط فدائى متميز .

وأذكر أنه كان يرتاد دور الجمعيات ، والأحزاب ويحرص على حضور كثير من الندوات والاجتماعات من أجل كشف العناصر الطيبة من الشباب ليضمها الى صفوف العمل الفدائى .

تعرفت اليه عقب ندوة أقيمت فى جمعية الشبان المسلمين ، ثم التقينا مرة ومرة ثم أعطانى كتابا عن الاحتلال البريطانى ألفه تيودور روذستين الذى كان فيما بعد سكرتيرا للينين الزعيم السوفييتى المعروف .

وبعد أسابيع راح يناقشنى فى محتويات الكتاب .

ثم دعانى الى منزله فى الحلمية بالقاهرة حيث تناولنا الغداء فى المرة الأولى ، ثم سهرنا سهرة طويلة فى المرة الثانية .

وبعد هاتين المقابلتين كان يدربني على استخدام السلاح ٠

وكانت في بيته غرفة مهيأة لمثل هذه العملية ومبطنة تبطينا خاصا حتى لا يسمع دوى الرصاص خارجها اذا ما انطلق داخليا ٠

والدكتور حسن نور الدين ـ وهذا سر أذيعه للمرة الأولى ـ كان الأب الروحي لمحمود العيسوى وكان من بين القلائل الذين عرفوا اتجاه العيسوى الى اغتيال أحمد ماهر في ٢٤ فبراير ١٩٤٥ ٠

وكان أحمد ماهر وقتذاك رئيسا لمجلس الوزراء ٠

***

وجذبتني شخصية الأستاذ أحمد حلمي المحرر الأول للواء والذى عرف بأنه خير من وصف تنفيذ حكم الاعدام فيمن نفذ فيهم حكم الاعدام في قضية دنشواى ٠

وكان أحمد حلمي هو صاحب جريدة القطر المصرى في نفس الوقت ٠

وكان من قيادات الحزب الوطني التي وثق بها مصطفى كامل ومحمد فريد ٠

وقد جذبتني صلابة أحمد حلمي ـ وهو للعلم جد الفنان صلاح جاهين ـ وخاصة عندما درست قضاياه السياسية دراسة وافية ، انقطعت بسببها ـ الدراسة ـ أشهرا معدودات في دار الكتب بالقلعة حيث وجدت بصعوبة أعدادا من جريدة القطر المصرى ٠

وقد حفظت فيما بعد ـ وعن ظهر قلب : أجزاء كثيرة من مقالة « مصر للمصريين » التي أدت بأحمد حلمي الى السجن ٠

وكانت القضية الأولى قد نظرت أمام محكمة الجنح برئاسة علي ماهر (أفندى) القاضي ـ الذى أصبح فيما بعد رئيسا للديوان الملكي ورئيسا لمجلس الوزراء وكان وكيل النيابة في تلك القضية محمود زكي أفندى ٠

وكان ذلك في ١٥ ابريل ١٩٠٩ وقد اتهم أحمد حلمي ـ وكانت سنه وقتذاك ٣٣ سنة ـ في صحيفة أعلنت اليه في ٣٠ يناير ١٩٠٩ بأنه تطاول على « مسند » الخديوية المصرية ٠

وطعن في نظام الوراثة فيها وعاب في حق ذات ولي الأمر وذلك لأنه نشر في جريدته « القطر المصرى » بالعدد ٣٧ الصادر في ٨ يناير سنة ١٩٠٩ مقالة تحت عنوان « مصر للمصريين » قال بنقلها عن جريدة « العدل » التركية العربية التي تطبع بالاستانة ٠ ولأنه نشر في العدد ٣٨ الصادر في ١٥ يناير ١٩٠٩ مقالا

تحت عنوان : يا ولاة الاسلام وعلماء الأنام في دار الاســـلام ، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأمير المصريين عباس بن توفيق ، ويد الجناب العالى وأملاك الجناب العالى ومهمة شكرى باشا •

وقد وقفت النيـــابة طويلا أمام العبــــارة التى جاءت فى مقال « مصر للمصريين » وهذا نصها ، فاذا عرف المصرى مما تقدم أن شـــقاءه وبلاءه كان السبب فيهما عائلة محمد على يجب عليه ، وينبغى عليه أن يتخلص منها لأن أقل واحد من مواطنيه أشفق عليه وأرأف به •

ينبغى للأمة أن تعلم أيضا أنها لا حاجة لها به (بسمو الأمير) وينبغى عليها أن ترسل الوفود الى الممالك الموقعة على معاهدة لندرة لاخبارها بأنها غير راضية بأن يحكمها واحد ، غير مصرى الجنس •

وكان قد جاء فى مقالة « مصر للمصريين » أيضا :

رمتنا بكم مقدونيا فأصــــابنا	مصــوب ســهم للبــلاد شديد
فلمــا توليتم طغيتم وهــكذا	اذا أصبح « القولى » وهو عميـد

★★★

و « القولى » هنا نسبة الى قوله » التى ولد فيها ــ فى ألبانيا ــ محمد على رأس الأسرة المالكة وقتئذ •

وقد جاء فى ذلك المقال أيضا : وقد اقتفى أثر محمد على فى قبح فعله وسوء سيرته ، أولاده وأحفاده من بعده » •

كما جاء فى المقــال أيضا : « وليظــل المصريون خــدما لصبيانهم وأرقاء لنسوانهن •

وقد حكمت المحكمة حضوريا بحبس أحمد حلمى عشرة شهور حبســا بسيطا وأمرت بتعطيل جريدته : ــ القطر المصرى ــ مدة ستة أشهر وباعدام كل ما ضبط وما يضبط من العدد ٣٧ من الجريدة المذكورة •

ونظرت محكمة الجنح المستأنفة القضية فى ٢٩ ابريل ١٩٠٩ •

وكان رئيس المحكمة محمود رشاد بك بحضور القضاة المستر كلايكوت ومتولى غنيم وكان ممثل النيابة محمود فخرى بك •

ورأت محكمة الجنح المستأنفة ــ فى حكمها ــ أن مدة الحبس المحكوم بها على أحمد حلمى قليلة فى « جنب » الطعن الفاحش الذى نشره المتهم للعموم فى

جريدته دوجها لأعلى مقام يجب أن تصان كرامتــه ويجب أن يعطى حقه من التأديب والاحتشام » ·

الصواب التأدب ولكنها أحكام زمان وقضت المحكمة بحبس المتهم ســنة مع الشغل !

***

ووقف أحمد حلمى مرة أخرى أمام محكمة عابدين . بتهمة الاحتجاج على اعادة العمل بقانون المطبوعات وكذلك تهمة التظاهر ·

كانت الجلسة فى ٢٨ ابريل – أى قبل جلسة الجنح الخاصة بالمتهم ، نفسه ، بأربع وعشرين ساعة – وكانت الجلسة تحت رياسة أحمد عبد الرزاق القاضى وبحضور عبد الحميد أفندى بدوى وكان المتهمون مع أحمــــد حلمى بالترتيب ·

المتهم الثانى : عثمان أفندى طلعت صبور ، سنه ٣٠ سنة مزارع العباسية

المتهم الثالث :

محمد أفندى مختار طلعت صبور سنه ٢١ سنة تلميذ بمدرسة الأقباط بالعباسية ·

المتهم الرابع : أحمد أفندى زكى ·

المتهم الخامس : محمود أفندى رمزى نظيم ٢٠ سنة تلميذ مدرسة الأقباط ،

المتهم السادس : غانم يوسف أوغانم

وكانت النيابة قد اتهمت أحمد حلمى أفندى بأنه أهان المستشارين وهم من موظفى الحكومة بأن رماهم بأنهم يرتكبون أثناء تأدية وظائفهم هذا الاثم الفظيع وهو محاربة دولة الاسلام بالدهاء والحيلة ثم أنه حرض على كراهية الحكومة الخديوية وبغضها والازدراء بها بأن رماها بأنها انتهكت حرمة الاسلام بضرب طالبى العلم فى الأزهر الشريف وأنها لما رأت التألم من ذلك أرادت أن تضربهم أيضا ولكن على ألسنتهم وقلوبهم الى غير ذلك من الألفاظ التى وردت فى خطبته التى ألقاها علنا فى وسط الجمهور والتى أدرجها بجريدته القطر المصرى بعد أن حذف منها بعض العبارات بالعدد ٤٩ الصادر فى يوم ٢ ابريل ١٩٠٩ ونسبت النيابة للمتهم الثانى أنه تطاول على مسند الخديوية المصرية بأنه صاح علنا بقوله : ليسقط حكم الفرد » فى وسط ذلك الجمهور العظيم ، ونسبت للمتهم الثالث بأنه حرض على كراهية الحكومة الخديوية بأن نســب اليها الظلم وســلب الحرية والاستبداد والغطرسة ، والعنف وعدم مراعاة الله ، وانعدام الذمة فى الخطة التى ألقاها علنا وسط الحاضرين فى المظاهرة المذكورة ·

وكذلك المتهم الرابع أما المتهم الخامس ، محمود أفندى رمزى نظيم فقد اتهم بأنه أهان الوزارة المصرية بأن نسب اليها الجبن ، وعدم الذمة وبأنه عاب فى حق ولى الأمر وخاطبه ببيتين من الشعر ، ضمن قصيدة ألقاها علنا فى تلك المظاهرة بقصد التحريض على كراهة الحكومة المصرية وبغضها والازدراء بها ٠

والبيتان الواردان فى عريضة الاتهام الخاصة بالوزارة هما :

أما الوزارة فالرحمن ينسفها ... فانها عن صنوف الخزى تنهدم
وزارة لا أقال الله عثرتها ... تمثل الجبن لا عهد ولا ذمم

أما البيتان الخاصان بالخديو فهما :

الله أكبر يا عباس تخذلنا ... وكنت قبلا على الأوطان تضطرم
افعل كما تشاء ويا عباس ان لنا ... عند الاله مقاما جاده الديم

وقد قضت المحكمة حضوريا بالنسبة للمتهمين الثلاثة الأول وغيابيا بالنسبة للباقين : أولا : براءة ابراهيم محمد المتهم السادس مما نسب اليه ٠ ثانيا : حبس أحمد أفندى حلمى ٦ شهور حبسا بسيطا وكفالة ألف قرش وحبس كل من باقى المتهمين مدة ثلاثة أشهر حبسا بسيطا وأمرت بايقاف التنفيذ وقد جاء فى الحكم : أن المتهم الأول (أحمد حلمى أفندى — هو أكبر مسئول فى هذه الدعوى لأنه تعود أن يرأس مثل هذه المظاهرات وهو أول من خطب فى المظاهرة فأثار الحاضرين بتلك الجمل التى كان يلقيها عليهم حتى اثرت خطابته فيهم كل التأثير وصاروا يسلمون بكل ما يقوله ، ولذلك وجب تشديد العقاب عليه) ٠

وعرضت القضية مرة أخرى ١٣ مايو ١٩٠٩ أمام محكمة الجنح المستأنفة بمحكمة مصر برئاسة محمود رشاد بك وبحضور المستر كلايكوت ، وعلى أفندى ماهر ، القاضيين ، وعبد الحميد أفندى بدوى عضو النيابة وقضت المحكمة بحبس أحمد حلمى أفندى أربعة شهور حبسا بسيطا وبراءة عثمان أفندى طلعت ضبور الخ ٠

***

وقد دخل أحمد حلمى أفندى السجن فى ٢٩ ابريل ١٩٠٩ وبقى مدة الحكم فى زنزانة طولها ١٣ شبرا ، وعرضها ٩ أشبار وارتفاعها نحو ثلاثة أمتار ونصف متر ٠

وكان الحكم سنة وستة شهور ٠

وبعد انتهاء مدة تعطيل القطر المصرى صدرت من جديد وهو فى السجن وقد هدده الوكيل الانجليزى فى السجن بارساله الى ليمان طره اذا علم بأنه كتب سطرا واحدا فى القطر المصرى .

وكان أحمد حلمى قد اختار أحد « الطلاينة » ليصبح مدير السياسة المسئول « ليفينا – أحمد حلمى – شر قانون المطبوعات باعتباره رعية ايطالية تنعم بالامتيازات الأجنبية » . وقد ذهب بطرس غالى باشا بصفته ناظر الخارجية ، ورئيس النظارة الى قنصل ايطاليا ليهدد مدير سياسة جريدة القطر المصرى بالنفى من أرض القطر المصرى ، اذا لم ينسحب ويتخلى عن جريدة القطر المصرى .

وصدر العدد الثانى وكان مدير التحرير المسئول رجلا يتبع حكومة فرنسا وقد قاوم ذلك الرجل بطرس غالى كما قاومه أيضا صاحب المطبعة التى طبعت بها الجريدة الخ .

وأفرج عن أحمد حلمى فى ١٩ ابريل سنة ١٩١٠ .

***

وأعطيت له مكافأة قدرها ٤٩٨ مليما لانه اكتسب فى سجنه علامات تعطيه الحق فى تلك المكافأة وقد أرسل أحمد حلمى المبلغ ، الى وكيل الحزب الوطنى لأنه ليس من حقه الحصول عليه لأنه جندى فى الحزب وكل وقته ملك للحزب .

ولأهمية هذا الخطاب – ولأنه فريد فى نوعه – استأذن فى نشره كما هو :

حضرة نائب رئيس الحزب الوطنى .

لم يك غائبا عن علم حضرتكم اننى انضويت الى العمل مع المغفور له مؤسس حزبنا ورئيسه الأول منذ ١٩٠١ ومازلت مجاهدا ضمن جنود الحرية ، الى أن انتقل الى الرفيق الأعلى فى ١٠ فبراير ١٩٠٨ فكان لى من بحر وطنيته الصادقة وعزيمته القوية ينبوع عرفان لا ينضب معينه وما انفككت عاملا بمبادىء الرئيس الكريم بعد مماته ، كما كنت عاملا ، فى حياته باخلاص الى أن تفيأت ظلال السجن فى ٢٩ ابريل ، ولما كان عملى فى السجن لا شأن له بعملى فى الحزب ، ولا أرضى أن ألقى الله وفى سنى حياتى فترة من الزمن غير منصرفة الى نفع حزب يعمل بحق لخير أمتى وبلادى .

وأى نفع خير وأبقى للوطن من المطالبة بدستور يساوى بين الرفيع والوضيع ويؤاخى بين أبناء الوطن ويمتع كل انسان بالحرية الكاملة سواء كانت شخصية خاصة أو عمومية ويحفظ للبلاد أموالها ، ويوفر الخير للصانع والزارع والتاجر والعامل فلا تنقطع بالأولى الأسباب عن كسب رزقه وعياله ولا يحرم

الثانى زرع صنف يعتقد أن له ربحا من ورائه ولا تقف حركة الأعمـال عند الثالث وهو لا يجد من يأخذ بيده . ويكفل للرابع الأعمال فى كل مكان فيعود عليه من وراء مزاولتها القوة والقدرة .

فلذلك أبعث اليكم مع كتابى هذا مبلغ ٤٩٨ مليما وهو المبلغ الذى بعث به سجن مصر العمومى الى سجن الاستئناف يوم ٢٠ ابريل ١٩١٠ نمرة ٧٢٥ وصرفه الى فى ١٤ أغسطس الجارى حال الافراج مشترطا على أن هذا المبلغ الذى هو أجرة لأعمال السجن مدة ١٢ شهرا قمريا (٣٥٥ يوما) من ٢٩ ابريل ١٩٠٩ الى ١٩ ابريل ١٩١٠ صار محتما على بعد قبضه السعى فى اكتساب معاش من الطرق الحلال : طرق الكد والشرف مقترنا بالسلوك الحسن .

أما أنا فبعد الظفر بهذا المبلغ العظيم رأيت أن أرجو من حضرتكم اضافته الى غلة الحزب الوطنى تحت ادارتكم بدلا من مجهوداتى التى انقطعت عن الحزب مدة اعتقالى فى السجن حتى تتصل حلقات أعمالى الحزبية لأنى لم أجد الشرط الذى اشترطته مصلحة السجون فى وجوب صرف هذا المبلغ الا فى مساعدة الحزب الوطنى لأن فى نجاح نهجه والوصول الى أغراضه داعيا الى خلو أماكن السجن أو على الأقل تقليل الزحام فيها وتوفير الخير للذين يملأونها الآن .

وبذلك نقتصـــد كثيرا من الأموال من أمثـال هذه الأموال التى تعطى لمستحقيها من أمثالنا الصحفيين ، اللهم الا اذا كانت الصحافة والأملاك ليست من طريق الحلال فى الحصول على المعاش وانى أكون شاكرا لحضرتكم لو تفضلتم بأن تقيدوا مدة الأربعة الأشهر التى بين ٢٠ ابريل و ١٤ أغسطس ١٩١٠ عطلة للراحة لأن مصلحة السجون لم تعطنى خلالها شيئا بل أخذت منى ١٨ جنيها أجرة للنوم خلال تلك المدة .

فاذا أجبتم طلبى هذا يكون عملى اتصل بالحزب تسع سنوات متواليات وهى مدة ليست كبيرة فى جانبها أجازة أربع أشهر .

أحمد حلمى

***

وقد قبل نائب رئيس الحزب هذا الكتاب والمبلغ قبولا حسنا وبعث اليه ما يؤكد وصول المبلغ ، شاكرا له تلك الروح الوطنية الأصيلة .

واستأذن القراء فى نشر مقتطفات من مقالة مصر للمصريين ـ غير ما سبق نشره ـ التى نشرتها جريدة القطر المصرى فى عددها الصادر فى ٨ يناير ١٩١٩ وهى توضح بجلاء كيف كانت الصحف المصرية الوطنيـــة تتعامل مع الأسرة الحاكمة ، وعلى رأسها الخديو عباس حلمى الثانى :

« ومما يبرهن على صحة ما نقول ويؤيده أننا ما سمعنا أن واحدا ، منهم — من الأسرة الحاكمة — ساعد مشروعا علميا وأعان مصريا على خدمة العلم فى عصر النور كما كانوا فى الزمن الماضى يعمدون الى الكتاتيب ، ويخرجون من فيها من الأولاد المصريين الى مزارعهم يحرثون الأرض ويجنون لهم ثمرات ما ينمون به قواهم فكان لا يقدم على حفظ القرآن غير العميان لأن الأصـــحاء فى رأيهم لا ينبغى لهم أن يزاولوا من الحرف الا الفلاحة بضياعهم ولا أجر لهم غير السياط على ظهورهم ووجوههم فانتشر الجهل وسادت الغباوة ولولا ذكاء المصرى الفطرى وقابليته للعلم لأصبح المصريون وكلهم يشاركون أولاد محمد على فى الجهل : ليس الغريب هذا انما الأدهش والأغرب أن طائفة من عبـــاد السلطة المطلقة يكذبون على التاريخ ويدعون من وقاحتهم أن العائلة المحمدية العلوية خدمت مصر ويستدلون على ذلك بوجود بعض مدارس أنشأوها ليضللوا الناس فى أوروبا لكى تكون بأيديهم كالحجج الدامغة على خدمة العلم وما أنشأوها الا خداعا وغشا حتى لا يتسنى لأحد أن يذكر قبح أثرهم وسوء تاريخهم فى مصر .

وحبنى قلت هذا الصبح ليل   أيحتـاج النهـار الى دليل ؟

***

أما انحطاط مصر ماديا على أيديهم فانهم كانوا يصوبون المدافع على القرى فيهلكونها بأهلها تسلية حتى اعترض أحد الناس على هذا الفعل ، وعابه على سعيد باشا أعدلهم ، وأرحمهم وأشفقهم فقال له : لا تعارضنى فيما أفعل فانى ما استلمتهم بعدد » .

ولم تكفهم هذه الفظائع فأخذوا ينهبون المصرى ويغتصبون أمواله حتى جرى على لسانهم هذا المثل : الأمير من لا يعرفه الأمير .

هذا ومن بين رسائل أحمد حلمى الى زعيمه محمد فريد ، رسالة بتاريخ ١٢ يونيه ١٩١٢ — بينما كان محمد فريد فى المنفى — يقول فيها : نلفت نظركم الى الجيش الجرار الذى سبق الى الآستانة ليرصد خطواتكم لأن ما كتبتموه عن صن يات صن الصينى العظيم ، حرك فى نفوس الأراذل المعروفين هواجس الهموم ، ويقال ان رمزى باشا طاهر . ثم يسافر لاستيطان الاستانة عقب تعيينه وكيلا للبحرية الا لأغراض من هذا القبيل ولكن الحقيقة يمكنكم الوصول اليها بمراقبتكم لا سيما اذا تعمد التعرف بحضرتكم .. ولقد عين حديثا فى ديوان الأوقاف أحد المشايخ الساكنين بشبرا ليكون ملاحظا للمســـاجد ظاهرا وفى الباطن ليكون جاسوسا على رجال الحزب الوطنى لأنه كان معلمـــا فى مدارس الشعب وكان كثير الاختلاط بالشيخ عبد العزيز وهو الذى سرق أصل المقالة التى كتبها الدكتور فؤاد عن (...) وقدمها للمعية — هذا الشيخ سافر الى

الاستانة مع (٠٠٠) وذهب بالضرورة لهذه المهمة لأنه لم يكن من عادته السفر الى الاستانة الا هذين العامين وهمه معرفة أحوال الطلبة أما اســـمه فهو الشيخ عبد الحميد حمدى ، وكانت حالته رثة قبل الاشتغال بالجاسوسية على الحزب الوطنى فاحذروه واحذروا أمثاله وهم كثيرون » ٠

ويمضى أحمد حلمى فى رسالته قائلا : وكذلك أحذر الأستاذ الشـيخ عبد العزيز والدكتور فؤاد حتى يحكم الله ، وهو خير الحاكمين ٠

لقد كان لمظاهرة اخواننا المصريين التى قاموا بها هذا العام فى الاستانة أثرها العنيف عند الحكام هنا ٠٠

شاهدت حضرة الأخ حافظ عند زيارته فى الاسبوع الماضى ورأيت صحته جيدة وهو شجاع أما على بك فانه متأثر ولكنه تجلد وأظهر البسالة ٠

اننى كنت أخشى ارسال خطابات الى حضرتكم لأننى علمت أنهم يفتحون الخطابات التى ترسل باسمكم أو باسم الاستاذ ولذلك انتهزت هذه الفرصة وبعثت بخطابى على يد ذلك السفير الأمين عبده بك فريد لثقتى فى وصول الخطاب بغير أن يطلع عليه أحد من أولئك السفلة ٠

أما خطاباتى المقبلة فسيكون توقيعها (صاحب) فاذكروا ذلك واننى أرجو أن يتيسر لى مشاهدتكم فى فرصة غير بعيدة : هـذا وبلغـوا تحياتى ووافر التسليمات الى حضرات الاستاذ اسماعيل بك والدكتور أحمد فؤاد واذا حضر الدكتور منصور رفعت الى الاستانة فبلغوه سلامى الوفير ، وفى الختام تفضلوا بقبول احترامات المشوق المخلص ، أحمد حلمى » ٠

وفى هذا الخطاب ما يكفى للتدليل على ما وصلت اليه البلاد والحركة الوطنية بعد رحيل محمد فريد ٠

***

وكم كنت تواقا لمعرفة دقائق وتفاصيل حياة الخديو عباس حلمى الثانى فهذا الخديو قد أثار فى شبابه مشاعر المصريين وحبب اليهم ذلك الأسلوب الذى بدأ به حياته السياسية كخديو مصر من معارضة للاحتلال البريطانى ومن أزمات مع المعتمد البريطانى لورد كرومر ٠

وقد بلغ تعلق الشباب المصرى بالخديو أن رفعوا ذات يوم ســـيارته على أكتافهم دليل حب وتقدير ٠

تتبعت ــ فى مذكرات محمد فريد ــ ما جاء عن شخصية الخديو عباس حلمى المتناقضة ٠

وكنت أذكر باستمرار ما كانوا يرددونه ـ في قريتنا ـ من أغان وطنية عن عباس حلمى بعد أن خلعه الانجليز من منصبه كخديو على مصر لأنه وقف الى جانب تركيا ضد بريطانيا التى كانت تحتل مصر وقتئذ (ديسمبر ١٩١٤) ·

وكانت جماهير الشعب المصرى تتظاهر حزينة باكية قائلة ·

الله حى ، عباس جى

وكنا نتلقف ما كان ينشره سكرتيره حسين عفيفى من مقتطفات عن حياة عباس حلمى الثانى وما جرى له قبل أن يخلع من منصبه وما جرى له بعد ذلك الخلع ·· ولم أفرح فى حياتى بمذكرات سياسية وصلت الى قدر فرحتى بمذكرات الخديو عباس حلمى الثانى : كنت فى شوق لأعرف ما يقوله عن مصطفى كامل الذى اتهمه ـ أى مصطفى كامل ـ خصومه بأن كان صنيعة للخديو بينما كل الوثائق تؤكد أن الصلة قد انقطعت بين مصطفى والخديو بعد أن مالأ الخديو الاحتلال البريطانى واقتسم بعض مظاهر السلطة مع كرومر ·

ومذكرات عباس حلمى الثانى من أخطر المذكرات السياسية ، اذ لم يعرف عن خديو أو ملك حكم مصر ، ان كتب مذكراته السياسية وبمثل تلك الدرجة من الصراحة والوضوح وأرجو أن تتاح لى فرصة نشر تلك المذكرات والتعليق عليها ·

قدم الخديو عباس حلمى مذكراته بقوله : الآن وقد انقضى على اختفائى من المسرح العالمى ، أكثر من ربع قرن من الزمان ليس بالغريب وقد كنت خديو مصر خلال ثلاثة وعشرين عاما من ١٨٩٢ حتى ١٩١٤ أن أشعر بالحاجة الى أن أصور بيدى لوحة أعمالى فى الحكم ·

وقد دفعتنى الى الاضطلاع بذلك الواجب عزلتى وتأملاتى الطويلة فيما يعترى العظمة الانسانية من وهن على وهن ·

وقبل كل شىء رغبتى فى أن أزود احدى الفترات المفعمة بالأحداث فى تاريخ وطنى المحبوب بالمساهمة المدعمة بالوثائق : وطنى الذى نهضت من أجله فى مستهل هذا القرن بعبء جسيم وكفاح أليم ·

ولقد ألقت عشرات الأعوام التى سبقت رحيلى ضوءا كاشفا على كثير من الأحداث والأشياء ·

وبلغت الأمور حدا لا يسعنى معه أن أتخلص من نشر هذه السطور وقد جهدت فى أن أكون موضوعيا ودقيقا على قدر طاقتى لعلمى بأن التاريخ الحقيقى الذى يسمو على الجدل لم يكتب ولن يكتب يوما ·

فما من حى يسعه أن يتبين كل وجوه حدث من الأحداث ، وان طائفة شتى من التفصيلات قد تكون جوهرية لتفلت دائما أعنتها من يد المؤرخ المنصف ·

ومع هذا فان الزمان الذى انقضى والبعد عن مسرح الأحـــداث وتجريد الشخصيات والملاحظة الدقيقة للماضى ، وأحداثه ، كل هذه ما كان لها الا أن تحدد فى ذاكرتى الظروف والبواعث التى كان منصب الخديو يجعلها تفلت منى افلاتا لا سبيل الى تجنبه ·

***

واذن فان ما أقوم به الآن ، لا يهدف الى ارضاء كبرياء شخصية وما أبغى هنا الا أن أرد الحق الى ذكرى والدى الخديو توفيق فان السير التى كتبت عنه لم تكن فى أكثر الأحيان دقيقة ولا أمينة كما أنى أريد أن أثبت أيضا أن الوطنية المصرية التى ينظر اليها باعتبارها حركة سياسية حقيقية ترمى الى انقاذ مصر من الدخيل الذى لا يعدل باطله ، غير مشوبة ·

وقد تكشفت تلك الحركة التى أثارت دهشة العالم وعطفه كما أثارت فى الوقت نفسه اضطهادا جائرا ظالما فاضحا فأثبتت وجودها واتسعت دائرتها فى ظل حكمى ثم ضاعت جهودها بعد الحرب العالمية وخيبة الرجاء المتكرر التى كان ينتظرها دون أن تبلغ مع الأسف أهدافها التى سعت اليها سعيها الطويل الدائب ولم يكن لذلك من سبب غير أخطاء الطامحين والأنانيين أولئين الذين فتنوا بالحكم والمال ، غير ما تملك انجلترا من وسائل وأساليب ، شتى الأنواع ·

***

وأريد هنا ــ عبــاس حلمى الثانى ــ أن أنصـــح المصريين الأعزاء بأن لا يقتصر على ذكر أمجاد وطننا التى ترجع الى آلاف السنين بل أن يتدبروا أولا وقبل كل شىء تاريخهم القريب ، فان قربه منهم يجعلهم أقدر على فهمه والحكم عليه ·

***

ان التحليل التاريخى لحكمى سيبين بكل جلاء انى لم أكن قط ذلك « الغلام » الذى زعمه صحفى فرنسى ولا كنت ذلك « الثائر الماكر » الذى يخضع للضغط اليومى من المعتمد والقنصل البريطانى و · و ··

ما كنت ــ عباس حلمى ــ غلاما أو ثائرا ماكرا يومذاك ــ يناير ١٨٩٤ ــ حادث وادى حلفا ــ كشاب فى مقتبل العمر لم أحط نفسى بمن يطمحون الى الظفر لمصر بسيادتها ·

وكيف يلوموننى ان أظهرت ذلك النفور الطبيعى نحو مغتصبى بلادنا الطامعين فيها والذين كانوا قد صرحوا منذ سنة الاحتلال ذاتها (١٨٨٢) والمرة بعد المرة دون أن يفوا بوعودهم وعلى رأسهم لورد دوفرين أنهم متأهبون للجلاء عن مصر ·

ولقد كان اللورد كرومر يدعى لنفسه الحق ـ كما استولى على حقوق أخرى كثيرة ـ فى أن يكون له منى حق العرفان بالجميل وهو جميل ما كنت مدينا به على الاطلاق من أجل الفرمان الذى نصبت بمقتضاه خديويا لمصر ولكنى انما تلقيت الفرمان من سلطان تركيا وبناء على حقى فى وراثته فى ٩ يناير من عام ١٨٩٢ أى بعـــد وفاة والدى الخديو توفيق بيومين تلك الوفاة التى وقعت فجأة فى ٧ يناير ١٨٩٢ ، بينما كنت لا أزال موجودا فى فيينا لاتمام دراستى وقد زعموا بعد ذلك أن يارنج قد حصل من السلطان عبد الحميـد بعـد عناء على فرمان توليتى ·

★★★

والكنهم لم يقدموا لذلك التفسير اللازم : هم لم يفعلوا ذلك لسبب فقد كان عليهم أن يعترفوا بأن الحكومة التركية كانت قد قررت فى اللحظة ذاتها وخلافا لما كان تلح فيه لندن واللورد ـ وعلى اثر حادث ـ أن تنزع من مصر على حدودها فى ساحل البحر الأحمر ، قرى ثلاث هى المويلح وذينه والونج وهى داخلة فى حدودها على الساحل العربى ، وكانت انجلترا تعتزم جعلها قواعد استراتيجية لشبه الجزيرة العربية كما هو الحال فى ميناء العقبـــة وكان ذلك القرار من تركيا واردا بالطبع فى فرمان توليتى ·

★★★

وفى مذكرات الخديوى عباس حلمى«صفحات عن جده اسماعيل · ونشاطه الجبار ومحاولاته جعل مصر قطعة من أوروبا » ·

وفى شاعرية يتحدث عباس حلمى عن احتضار حكم اسماعيل والدور الذى لعبه تريكو القنصل العام الفرنسى فى اقناع الخديو اسماعيل بمغادرة مصر وكذلك دور السفير الفرنسى فى القسطنطينية فورنييه فى اقناع السلطان بأن يدعو ، اليه اسماعيل ·

★★★

ويصف عباس حلمى الوداع الأخير والحزين للخديو اسماعيل (أواخر يونيو ١٨٧٩) ذلك الوداع النبيل المثير بين الأب المخلوع (اسماعيل باشا)

وابنه الخديو الجديد (محمد توفيق باشا) : لقد صحب الابن أباه الى الاسكندرية على اليخت المحروسة :

ذاك الذى حمله نحو المنفى بلا عودة نحو البؤس بعد الأبهة المترفة ونحو الوحدة والصمت المر : ومن نابلى حيث رسى به يخته المحروسة كتب رسالة الى الصدر الأعظم مرفوعة الى السلطان ذكر فيها بعض ما قام به من اصلاحات خلال ستة عشر عاما قضاها فى الحكم « تحت ادارتى ـ اسماعيل باشا ـ انتشرت على أرض مصر شبكة السكك الحديدية ، واتسعت فيها الى حد كبير عملية حفر الترع التى تزيد الأرض خصبا ـ كما أنشأت فى مصر ميناءين كبيرين فى السويس والاسكندرية ، وحطمت فى افريقيا الوسطى منابع الرق ونشرت راية الامبراطورية فى أنحاء لم تكن من قبل قد خفقت عليها .

وشهدت الانتهاء من شق قناة البحرين واهدائها للعالم الخ . الخ .

★★★

ويشرح الخديو عباس حلمى فى تفاصيل دقيقة عهد أبيه توفيق باشا ويرد عباس حلمى على الصورة التهكمية التى وصف بها لورد كرومر فترة حكم والده توفيق باشا فى عشر صفحات ونصف من كتابه ـ كتاب كرومر ـ « مصر الحديثة » ويقول عن والده أنه كان مؤمنا دون مباهاة متدينا دون مغـالاة ومع تهيئه لشد أزر أبناء دينه وأنه ـ أى توفيق باشا ـ كان أمينا وحازما .

واذا كان قد اضطر الى الظهور بمظهر المتساهل فى أكثر ظرف فلقد كان ذلك بوحى وطنيته وقد آلى على نفسه أكثر من مرة أن يتخذ موقفا يمكن أن يكون حاسما ولكنه قد يدفع بشعبه الى حرب أهلية ، لا مخرج منها .

ويقول عباس حلمى : لقد وجد أبى نفسه طيلة الزمن الذى حكم فيه مصر ، محصورا فى حلقة جائرة ظالمة ولا مبرر لظلمها : حلقـة من الأحقاد والعنف والريب وكانت يداه مغلولتين منذ حصار عرابى الذى كان الاحتلال قد ضاعف من خطورة نتائجه وقد وجد نفسه تتقاذفه الأحداث فى أعماله كحاكم وكان الباب العالى واللورد كرومر والمراقبون الأجانب فى الدين العام ، وعدم اكتراث الشعب وترك السودان وعدم مبالاة السياسيين وسائر العقبات العديدة الأنواع التى لم يتمكن قط من التخلص منها ، كل أولئك كانوا يعترضون كل فكرة ، وكل قرار كان يسعه أن يتخذه فى أية ظروف مغايرة .

وانى ـ عباس حلمى الثانى ـ لواثق مع ذلك بأن هذه الحالة التى تبدو بمظهر الضعف قد أوحت له بها رغبته فى تجنيب بلاده كل الشر ، الذى كان

يراه دون أن يكون في وسعه منعه وما من مهمـــة هي أشد عسرا من مهمـــة الحكم ٠

***

ويقول عباس حلمي أنه ورث عن والده الحب الوفي لبلاده -

بعد ذلك الايمان العميق بالدين وشريعة الرسول » ٠

وربما كانت هذه الآراء ، التي عبر عنها عباس حلمي في مذكراته تنشر لأول مرة في مؤلف عربي ، فلقد درجنا ـ وهذا من عيوبنا ـ ألا نهتم الا بالآراء التي تتفق ووجهة نظرنا ٠

ويقول عباس حلمي ان المعاهدات ليست غير مصـــائد وأن ليس تحت الشمس البريطانية مكان لغير الضعفاء والمستسلمين كما يقـــول ان أموال البدل العسكري ، الذي كان يدفعه من لا يريد أن يدخل الجيش المصري كانت تنفق على قلم المخابرات البريطانية » ويقول أيضا ، أن الجيش هو الأداة الوحيدة القادرة على ضمان الحريات الوطنية ٠

***

وعن رياض باشا ـ أحد رؤساء الوزارات في عهده (ناظر النظار) ، انه لم يكن بشرا وما كان يصلح الا موظفا ٠

كان شديد الخضوع لشتى المؤثرات أيا كان مصدرها خفيف النفس يقعد به ضعفه عن أن يشرع في عمل ، حريصا على دعته فما يخطر له أن يكافح ارادة حازمة كارادة اللورد كرومر ، يزعم لنفسه الحق في أن يأمر ملكه ولم يكن يملك حتى القوة على مقاومة أهوائه الخاصة ٠رياض باشا كان يطيع كرومر ، ولا يطيع مولاه الخديو » ٠

وما أكثر ما تحدث عباس حلمي عن القراقوزات المفـــككة التي تشد يد انجلترا خيوطها : كانت انجلترا تنعم بمن يخدمها وكانت مصر وأميرها على العكس من ذلك لا يجدان من يخدمهما بينما كان ذلك ـ عباس حلمي ـ يملأ نفسي بالألم وكانت الخيانة تسمم الجو وكان وكلاء قلم المخابرات البريطاني يحومون حولي في كل مكان ولاء أكبر الموظفين تحت رحمة الأجنبي » ٠

ويقول عباس حلمي انه عندما ارتقى العرش لم يكن بامكانه اختيـــار حاشيته بنفسه : لقد وجدتها كما هي ولم يكن لي من أمرها شيء وما كان يسعني أن أقبلها أو أرفضها ٠

***

وعن مصطفى كامل يقول عباس حلمى : ان الروح الوطنى قد تحدد وتجلى بوجه خاص فى عهدى وقد ظفر ذلك الروح فى اخلاص أكثر زعماء مصر جلدا وبلاغة وموهبة مصطفى كامل وكان مصطفى كامل يرأس حزب الشباب المتطرف وكان حزب أعيان البلاد (الحزب المحافظ) يأتمر بأمر الشيخ على يوسف ٠

وقد أدركت بعد قليل استحالة ضم الفريقين ـ الفريق المحافظ وفريق الشباب ٠

وصار لزاما على أن أسعى عند كل منهما سعيا خاصا به ٠

وكان هذا هو ما جعل البعض يقول انى كنت أقوم بلعبة مزدوجة ولكنى على العكس من ذلك كنت أبغى أن أتجنب ذلك ما وسعنى ذلك ترك هاتين القوتين المتنافستين احداهما بازاء الاخرى ٠

وكنت أحرص قبل كل شىء على ألا تبدر منى بادرة تفضيل قد تثير غيرة تجعل أحد الحزبين ينهض لعداء الآخر ٠

وكان تفضيلى مع المعتدلين ولكنى كنت أفهم المتطرفين ولم أستخدم لنفسى لا هؤلاء ولا هؤلاء ولكن هؤلاء وهؤلاء كانوا يرفضون مبدأ الاحتلال الانجليزى غير المحدد بأجل ٠

***

ويقول عن حزب الأمة ، انه لا خفاء فى أن كان يتلقى الوحى من اللورد كرومر ، ويغلب الاحتمال أن يكون خاضعا لأوامره ولقد أنشىء ذلك الحزب لمحاربة الحزب الوطنى ٠

وقد أنشأه محمود سليمان باشا وكان يملك صحيفة هى « الجريدة » التى كان يتزعمها الاستاذ لطفى السيد بك وقد كان سعد زغلول باشا ، هو الرأس المفكرة وراء هذا الحزب وتلك الجريدة فى مستهل عهدها وكان قد تلقى دروسه الأولى فى السياسة باشراف الأميرة الخديوية (نازلى) سليلة محمد على والموالية مع ذلك للانجليز ٠

وقد تبين فيما بعد لسعد باشا الأهداف الحقيقية لانجلترا ٠

وقد حدث تطور أساسى جعل من ذلك الفلاح ابن الفلاح بطل الاستقلال الوطنى بذلك الاخلاص المطلق ، الذى اتسم به من قبل نشاط مصطفى كامل فى الحزب الوطنى ٠

***

وعن الشيخ على يوسف رئيس حزب « الاصلاح على المبادىء الدستورية » وصاحب جريدة المؤيد يقول الخديوى عباس حلمى الثانى : كنت أريد أن يكون لى صحيفة قادرة على أن تثير الشعب وتقوده شيئا فشيئا الى ادراك أكثر وضوحا للوطن ولواجبات المواطن فدعوت كاتبا من كتاب اللغة العربية كنت قد سمعت عن صفاته ومزاياه وهو الشيخ على يوسف وكان قد تردد على مدرسة المعلمين ، وخارجا من الجامعة الأزهرية وكان قد لفت اليه الأنظار ان لم يكن لاتساع أفقه الفكرى فبحماسته فى المناقشة وبموهبته كمجادل وبقدرته المشهورة على هضم المسائل .

وكان الشيخ على يوسف من أهل الصعيد يعرف عقلية مواطنيه ومطامحهم ، وكان .. وكان .

وبعد أن يطيل الخديو عباس حلمى طويلا فى الحديث عن مزايا الشيخ على يوسف ، يقول : سرعان ما كان معروفا أن القصر يؤيد جريدة المؤيد ويؤيد المبادىء التى تبناها وسرعان ما غدا المؤيد يقرأه الناس من طنجة الى الهند ومن تركيا الى زنجبار وقد كان المؤيد فى الواقع ، يحفل بالمقالات العظيمة بأسلوبها البارع وأفكارها العميقة وكان الشيخ بأسلوبه اللاذع وبلاغته التى لا تقتفى وعاطفته التى كانت تهدىء من غلوائها لحسن الحظ فلسفة انسانية فائقة .

كان على يوسف رجلا ، قاد الرجال ، أدرك معنى الأمة ، ومعنى الاخلاص ، كان مصريا قبل كل شىء ولقد نجح أيا ، ما كانت شخصيته أو كانت آراؤه فى أن يستميل الرأى العام ويجمعه ويعلمه التفكير فكانت مقالات المؤيد تقرأ وتشرح فى أبعد القرى النائية وكان المتعلمون أنصار الجريدة وكانوا يعملون على رواجها على حين كان أهل الريف البسطاء والبدائيون تفتنهم الحجج القريبة الى أفهامهم .

***

وعن مصطفى كامل أيضا يقول الخديو عباس حلمى فى مذكراته : كان مصطفى كامل هو الذى بدأ اذاعة الفكرة الوطنية فى شباب مصر الذى يتلقى العلم فى أوروبا وكان هو الذى هز الروح المصرى فأيقظه من غفوته ، كان مصطفى كامل محيى الوطنية المصرية ، ورسول تلك الفكرة التى كانت قد خنقت فى مهدها ولكنها ظلت تسعى الى الأمام ، وقد كسب لعقيدته ، ولحزبه ، أغلبية الموظفين ، وأعيانا ومثقفين واجماع الطلبة والعمال : كأن فتى خلع عليه الشباب كل نعمة بما فيها نعمة الوهم المقدس .

وكان قد آثر الحياة الروحية على الحياة المادية وكان حديث العهد بذلك البلد القديم الذى لم تكن هالات المجد ترتفع فيه الا على القبور ولا يعرف شيئا عن الوضاعة والمساومات السياسية .

كان مصطفى كامل بسيطا ومستقيما ، وتحت مظهره اللطيف كانت تختبىء روح متفتحة لكل الأحاسيس وقلب حساس لكل ألوان الرقة والحنان وزاده الله بالحجى ، وكانت بلاغته واضحة وحارة وكان أسلوبه الرشيق العامر بالصور يتنقل من البساطة الانجيلية الى بلاغة الخطيب المصقع العظيم وقد أوتى موهبة الاقناع وسحر الشعاع الذى يؤتاه الحواريون والأنبياء ·

★★★

وكان الحب الذى يكنه لوطنه ينبع من حماسته التى لا تفقده سيطرته على عقله ·

وليس من شأنى أن أسجل حياة ذلك الحوارى الرفيع الذى كانت براعته الظاهرة بقدر ثقافته وجدارته قد فتنت به الجماهير ولكن لا يسعنى أن أرد نفسى عن توجيه تحية الاجلال الى ذكرى وطنى أدين له بساعات فائقة من الجمال ·

ومن المؤكد أنه كان فى بعض الأحيان يضايقنى فاننا على اتفاقنا الدائم فى الهدف لم نكن دائما متفقين على الوسائل ·

وقد انزلق أثناء قيامه بدعايته الى ادراك خاطىء للوطنية المصرية وذلك بالتقرب الذى كان ينشده مع تركيا ·

ولكنه عندما وجد من يبين له خطورة تلك السياسة استبدلها بسرعة ·

وقد تطور ببراعة فائقة جعلت تلاميذه يتبعونه دون أن يفطنوا الى الخطأ الأول ·

وكان شباب الزعيم الوطنى يسمح له بأن يسترد خطاه ويتطور فى لطف حول الأخطاء التى يحفل بها الشباب ·

★★★

وقد أوشك مصطفى كامل أن يغدو ذات لحظة ضحية الزهو الذى يتربص بأولئك الذين يقودون الجماهير ، ببلاغتهم ويحسبون أنها معلقة بأفكارهم ·

الى أن يقول الخديو عباس حلمى : ان فضل مصطفى كامل العظيم هو أنه حدد المثل الأعلى للأمة وشجع الجماهير على السعى الى ذلك المثل الأعلى ولكن وطنيته كانت تبلغ أحيانا حد التصلب وأكبر ما كنت آخذه عليه أن ظل معتدا بنفسه وبآرائه عن جميع أولئك الذين كانوا يكافحون حول الراية نفسها ، ولنفس القضية ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكنت قد حلمت بتقرب بين الشيخ على يوسف ومصطفى كامل ولكنى لم أستطع مطلقا أن أحقق هذا الأمل اذ كان يفرق بين هذين الرجلين نوع من الكبرياء المبالغ فيها ولقد كان بوسعهما أن يتفاهما دون أن يتحابا وكان لهما من المزايا والفضائل ما يكفى لكى يظفر كل من صاحبه بالتقدير ٠

فقد كان مع مصطفى كامل الشباب والطلبة والمستقبل على حين كان الشيخ على يوسف يتمتع بالنفوذ على أصحاب المراكز الاجتماعية الهامة ٠

لو أنهما تضامنا أى شىء كنا نعجز عن تحقيقه لو أننا وضعنا حماسة أحدهما فى خدمة تجربة الآخر ؟ ٠

★★★

وان كان مصطفى كامل قد تجلى فى أغلب الأحيان فى صورة الحوارى فليس فى هذه الدنيا مع الأسف شباب بلا أخطاء وما كان مصطفى كامل الا بشرا ومع ذلك فقد ترك عند موته نموذج حياة كرسها صاحبها لتحرير مصر ولو أن مصطفى كامل قد عرف على يوسف ما كانت تلك المعرفة لتقلل من شأنه فما يجدر بالناس أن يشتجروا على المجد عندما يخشى أن يكون الوطن نفسه فدية المعركة ٠

★★★

وقد ظل مصطفى كامل رغم تعليمه العصرى متدينا ومتعلقا بروح القرآن ٠

وقد قيل فى أيام كفاح مصطفى كامل العنيفة أنى كنت خصمه وقيل أيضا أنه كان صنيعتى وليس هناك ما هو أشد بعدا عن الحقيقة من هذا الذى قيل ، ان مصطفى كان لا ينتمى الا الى نفسه : كان رجلا من الصفوة عاش بايمانه ومات بايمانه أما أنا عباس حلمى فما كنت أبدا خصمه وما كنت أبدا وصيه !! ٠ بل كان زعيما رائدا ، وجنديا يحارب تحت راية مثله العليا ٠

★★★

ويقول الخديوى عباس حلمى أن مصطفى كامل أول من فكر فى انشاء الجامعة المصرية وكانت الجامعة قبل أن تولد كابوس بريطانيا : وسوف نعود الى مذكرات الخديو عباس حلمى الثانى خديو مصر ــ مرة أخرى عندما نتحدث عن تنازله عن عرش مصر للملك أحمد فؤاد وذلك فى عهد وزارة اسماعيل صدقى باشا (الأولى) ٠

كما سنعود الى تلك المذكرات ونحن نقوم بتأصيل بعض أحداث سنوات ما قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ٠

وكنت ومنذ بداية . ياتى السياسية أختلف مع قيادات الحزب الوطنى وفى المقدمة أستاذنا عبد الرحمن الرافعي لمواقفهم من عرابى ومن الثورة العرابية وأسباب انتكاستها .

وكنت أقوم باستمرار بنقد تلك المواقف لأنها اعتمدت على عوامل طرأت على الثورة العرابية ولم يكن لعرابى ، ورفاقه أى دخل بها .

كما أن التصريحات التى نسبت الى عرابى وهو فى طريقه من السويس الى القاهرة ، عقب عودته الى المنفى والتى نشرتها المقطم قد تم تكذيبها من قبل عرابى .

أما ما وجه الى عرابى بعد عودته عن رغبته فى مسالمة الانجليز فانه يتسم بالقسوة .

ولم يكن مطلوبا من عرابى وهو الشيخ المحطم العائد من نفى قاس ظالم استمر أكثر من عشرين سنة أن يحارب الاحتلال البريطانى من جديد وكنت أقول وأكتب : أن كل ما وجه لعرابى فى حربه مع الانجليز من مطاعن ... وأن كل ما وجه اليه فى المنفى وبعد عودته من المنفى من مظـــاهر الضعف لا ينفى أبدا أنه كان أول فلاح مصرى قاد ثورة شعبية هائلة كانت من أهم ثورات القرن التاسع عشر .

***

وقد آمنت بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بضرورة رد اعتبار الثورة العرابية وزعمائها .

وكتبت فى هذا السبيل العديد من المقالات ، كان أولاها الدعوة الى رد أملاك العرابيين التى كانت قد صودرت عقب هزيمة الثورة .

وقد استجابت وزارة المالية لما ناديت به وصرفت بعض التعويضات الى أسرة أحمد عرابى وحملت على كتفى عبء اعادة رفات أربعة من زعماء الثورة ماتوا فى منفاهم فى سيلان (سرى لانكا) والسودان .

وأجريت اتصالات بأحفاد وأبناء زعماء الثورة العرابية وقد أمدنى هؤلاء ، ـ وخاصة أحفاد عبد العال حلمى ، والسيدة يوسفية فهمى حفيدة على فهمى الديب ـ بأوراق هامة وخطيرة كان قد خلفها هؤلاء الزعماء .

وأذكر من بين ما تلقيته من معلومات من السيدة يوسفية ، أن على فهمى من أسرة مصرية صميمة « فهو فلاح من سلالة الفلاحين ولد فى صفط جدام مركز تلا منوفية وتعلم بالقرية ثم التحق بالجيش ضمن من التحق به من أبناء

العمد والمشايخ فى عهد سعيد باشا ولما آنس فيه سعيد باشا الشجاعة والاقدام قربه اليه ورقاه ثم اتخذه ياورا له ·

ولما وقعت الحرب التركية الروسية أرسله الخديو اسماعيل ضمن الحملة التى أرسلها لمساعدة الدولة العلية برئاسة راشد باشا حسنى (أبو شنب فضه) ·

وقد أبلى على فهمى من ضروب الشجاعة والفروسية وأظهر جرأة بهرت أنظار القادة الأتراك ·

وصارت مضرب الأمثال بينهم وأطلقوا عليه « الذئب المصرى » ·

***

وتقول السيدة يوسفية عن جدها الذئب المصرى أنه مات فى ٢٢ نوفمبر ١٩١١ فى منزل متواضع بالدرب الجديد بعد أن صادرت الحكومة أمواله والسراى المملوكة وجعلتها سكنا لكتشنر باشا سردار الجيش المصرى وتقع هذه السراى فى ملتقى شارع نوبار وشارع الخديو اسماعيل (شارع التحرير) وشارع فهمى ·

وأن ثكنات الحرس مكانها الآن محافظة القاهرة هى نفس المكان الذى جمع فيه على فهمى الضباط ليقسموا اليمين على المصحف بحضور الشيخ محمد عبده بأن يكونوا يدا واحدة ·· حريصين على حفظ حقوق البلاد وعلى روح الأخوة بينهم » ·

***

وكان من بين المقالات التى كتبها عن عودة رفات الزعماء العرابيين من المنفى مقال بتاريخ ١٩٦٦/١١/١١ (المصور) بعنوان « أطول رحلة نفى فى التاريخ » : متى يعود الزعماء الغرباء الأربعة ؟ ·

ومقال آخر — فى المصور بتاريخ ١٩٧١/٩/١٧ — تحت عنوان « ٩٠ عاما والثورة العرابية لا تزال مظلومة : أعيدوا رفات أبطال الثورة الى مصر » ·

وكنت قد تلقيته فى ١٩ يناير ١٩٧٥ رسالة من الأخ الصديق الدكتور يحيى الجمل وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء يقول فيها : اشارة الى المذكرة الخاصة برد اعتبار أبطال الثورة العرابية واعادة رفات أربعة من قادتها توفاهم الله فى المنفى يسرنى الاحاطة بموافقة السيد رئيس الجمهورية ·

ويجرى الآن اتخاذ الاجراءات اللازمة فى هذا الشأن » ·

وفى ١٥ مارس ١٩٧٥ تلقيت رسالة من الأخ الدكتور يحيى الجمل يقول فيها : الحاقا بالكتاب المؤرخ ١٩ يناير ١٩٧٥ بشأن رد اعتبار أبطال الثورة العرابية واعادة رفات أربعة من قادتها توفاهم الله فى المنفى أرجو التكرم بموافاتنا بمذكرة وافية عن الموضوع لامكان التصرف على ضوء ما تضمنته من وقائع ومعلومات ٠

وقد قمت بالرد على ذلك الخطاب بمذكرة تفصيلية اقترحت فيها الاتصال بحكومات سيرى لانكا ، السودان ، تركيا للموافقة على نقل رفات زعماء الثورة « عبد العال حلمى ، ومحمود فهمى ويعقوب سامى وطلبة عصمت (مدفونون فى سرى لانكا) على الروبى (مدفون فى سواكن بالسودان) عبد الله نديم (مدفون بالأراضى التركية) ٠

***

كما اقترحت أن تتم العودة فى يوم ٩ سبتمبر باعتبار هذا اليوم أكثر أيام الثورة العرابية خلودا وهو اليوم الذى نجح فيه جيش مصر بقيادة أحمد عرابى الى عابدين وفرض ارادة الشعب على خديو مصر ٠

كما اقترحت أيضا اصدار قرارات جمهورية باعادة اعتبار ابطال الثورة العرابية وضم أسماء العسكريين منهم الى سجلات الجيش المصرى بعد أن صدرت الأوامر من الخديو توفيق باشا بمحو تلك الأسماء من سجلات الجيش محوا نهائيا وربما كانت آخر الأوراق الخاصة بذلك الموضوع ما تلقيته من سفير جمهورية مصر العربية فى كولومبو بتاريخ ٦/٦/١٩٧٨ حيث قال : اشارة الى حديثنا فى القاهرة فى العام الماضى وما لمسته من اهتمامك بتلك الفترة من التاريخ عن تاريخ نفى عرابى وصحبه الى سرى لانكا أتشرف بالافادة أن السيد آرثروب والذى كان يعمل بالشرطة المحلية هنا قام باعداد بحث مستفيض مدعم بالوثائق عن تاريخ اقامة عرابى باشا وصحبه فى سرى لانكا كما قام فى سنة ١٩٧٣ بنشر بعض المقالات فى الصحف المحلية عن تاريخ تلك الفترة أيضا » ٠

ويمضى مشكورا السفير مصطفى راتب عبد الوهاب فى رسالته قائلا : وقد قابلت السيد وب وأبدى رغبته فى المضى فى بحوثه وتحقيقاته عن تلك الفترة ٠

كما أبدى بعض أساتذة الجامعات هنا اهتمامهم الشديد واستعدادهم للقيام بالتحقيقات اللازمة ٠

ويبعث السفير مصطفى راتب عبد الوهاب لى بصورة من أبحاث مستر آرثر وب ثم يقول : فى أحاديث مع من تابعوا تاريخ عرابى باشا فى سرى لانكا

يتضح أن فترة تواجده هنا كانت ثرية بالعمل والنشاط وقد ترك رحمه الله آثارا واضحة فى تاريخ سرى لانكا خاصة لدى مسلميها .

وفى اتصالاتى هنا بالسيد رئيس الجمهورية والسيد وزير التربية والتعليم لمست اهتماما واضحا بتاريخ نفى عرابى باشا الى سرى لانكا .

وأعتقد أن متابعة هذه الجهود مثمر ، ومفيد لتدوين اقامة عرابى باشا فى سرى لانكا .

والتى تمثل جزءا هاما من حياته السياسية .

ولتحقيق هذا الهدف يمكن تشكيل لجنة من الباحثين السيرلانكيين والمهتمين بهذا الموضوع ، لمتابعة البحث والتحقيق تمهيدا لنشر هـــذه المعلومات بعـد تمحيصها وتحليلها » .

★★★

والجدير بالذكر أيضا ــ أن ب٠أ٠ لاندرى ــ من رجال البوليس السيلانى كتب فى عام ١٩٧٤ تحقيقا عن حياة أحمد عرابى فى ســـيلان لخصـــه فى روز اليوسف الأستاذ فتحى غانم باذن منه وكان من بين ما قاله « ان أحمد عرابى رفض عرضا مغريا من شاى ليبتون باستخدام صورته فى الاعلانات وأنه عندما سمحوا له بالعودة الى مصر ، لم يجد أجرة السفر .

كما أن ب٠أ٠ لاندرى قال فى اليوم التالى لوصول أحمد عرابى الى جزيرة سيلان أنه توجه الى مسجد ماردانا ليؤدى الصلاة فتجمع المسلمون فى موكب حافل خلفه .

وكان هذا ايذانا بأن أهل المدينة قد اعتبروا الزعيم المصرى زعيما بينهم .

وفى أبريل من نفس العام سار المسلمون فى مواكب كبيرة متجهين الى بيت عرابى الذى كان سيتركه فى الشهر التالى لكثرة نفقاته .

وهناك حيوه واحتفلوا به .

وانزعجت السلطات الانجليزية ولكنها قررت أن تصبر لعـل وجود أحمد عرابى يصبح شيئا عاديا بين الناس فلو تدخلت لفض المواكب التى تسعى اليه لتحول عرابى الى زعيم حقيقى .

وقد نجحت هذه السياسة الى حد ما .

ولكن عرابى أصبح علما يحج اليه السياح الذين يفدون الى الجزيرة .

وهكذا أصبح هناك مكانان لابد وأن يزورهما أى سائح أجنبى تطأ قدماه أرض سيلان حيث توجد السلاحف السيلانية الشهيرة وبيت عرابى .

وعندما زار ملك سيام سيلان فى عام ١٨٩٦ طلب مقابلة أحمد عرابى وكان بينهما حديث متصل فى فندق الملكة بكاندى .

ويقول لاندرى أيضا ان أحمد عرابى كتب للمفتش العام للشرطة خطابا فى ١٨٨٧/٦/٤ يقول فيه : سيدى العزيز : أرجو أن أبلغك أننى ألقى متاعب كثيرة من البحارة الذين يأتون دائما الى بيتى وهم سكارى .

ويريدون دخوله بلا اعتبار لتقاليدنا .

لقد حطموا الأبواب وضربوا الخدم وأملى أن تولى هذا الأمر اهتمامكم » .

ولقد حقق المفتش العام دافيد هذه الشكوى فذهب الى البيت .

وبينما كان هناك اذا بثلاث عربات قادمة يهبط منها ركابها ويريدون دخول بيت عرابى .

وبذل المفتش جهدا كبيرا ليمنعهم من الدخول .

وخاصة ان عرابى كان صائما فى ذلك اليوم .

ولعرابى وزملاؤه فضل انتشار اللغة العربية فى سيلان (سرى لانكا) .

وقد بلغ ـ لا ندرى ـ انتشار اللغة العربية درجة عالية . وعلى المستوى الشعبى حتى أن عرابى وهو يغادر سيلان ودعته جموع الشعب وهم يغنون أغان ألفوها خصيصا باللغة العربية .

★★★

وقد تجمعت لدى بعض الأوراق والوثائق عن العرابيين فى المنفى وهى لا تقدر بمال !! .

من بينها وعلى سبيل المثال لا الحصر ما يلى :

●● أوراق كثيرة كتبها أحمد عرابى فى منفـــاه وبخطه عن الثـورة العرابية وملابساتها ، وظروفها وأحداثها ، والأسباب الحقيقية وراء هزيمتها مع التركيز على الخونة الذين باعوا الأسرار العسكرية ، وخاصة الخطط التى أعدت للمعركة الفاصلة (معركة التل الكبير) والأدوار التى لعبها الخديو وأنصاره وفى مقدمتهم سلطان باشا لضرب الثورة من الداخل وطعنها من الخلف .

وتخلى سلطان تركيا عن الثورة واعلانه عصيان أحمد عرابى .

●● أوراق أخرى كتبها أحمد عرابى فى منفاه أيضا وبخطه عن ايامه وزملائه فى المنفى .

وما شجر بينهم من خلاف • ودور مستر بلنت ـ الايرلندي الحر صديق عرابى والعرابيين ـ فى ازالة كل ذلك •

● وأوراق عن تكاليف رحلة مستر بلنت الى سيلان (سيرى لانكا) ـ وقدرها ٢٠٠٠ روبية ـ وقد تحملها الزعماء السبعة المنفيون هناك •

● ● بعض الرسائل المتبادلة بين أحمد عرابى وبين بعض زعماء الهند وبعض أصدقائه من المصريين مثل أحمد المنشاوى باشا ورسالة عن تقاوى شجرة المانجو التى بعث بها عرابى الى صديقه المنشاوى باشا ليزرعها فى أطيانه فى القرشية (مديرية الغربية) •

● صور بخط يد عرابى للرسائل التى بعث بها الى وكلاء الدول السياسية وخاصة رسالة له بتاريخ سبتمبر ١٩٨٢ يشرح فيها الظروف التى ألمت بالبلاد ابتداء من الفتنة التى أحدثها عثمان رفقى باشا بتكبيد (هكذا فى الأصل) البلاد أتعاب المصايب والنوازل المتوالية عليها والفتن المهددة لها بالقتل والاعدام غدرا وخديعة كفتنة يوسف باشا كمال وكيل الحضرة الخديوية •

وحادثة فرج بك السودانى •

ونازلة الـ ١٩ ضابطا الذين يدسون « الدسايس » والمفاسد « بتعريف » ابراهيم أغا توتونجى (حامل غليون الخديو) •

ونحن ـ أحمد عرابى ـ مع كل ذلك نسعى فى قطع المفاسد ونتدارك تحسين الحالة بالتدبر ، والحكمة للحصول على دوام الراحة العمومية وحقن الدماء والمحافظة على حقوق جميع تبعة البلاد المتحابة •

ولكن من وقت تشريف الخديو بمصر لغاية الآن ازدادت الفتن والدسائس الخ •• الخ •

***

● ● أوراق خاصة « بمعارضة » زعماء الثورة العرابية (أحمد عرابى وطلبة عصمت وعبد العال حلمى ، ومحمود سامى وعلى فهمى ويعقوب سامى) فى الأمر الخاص بمصادرة أملاكهم منقولة كانت أم غير منقولة وعرضها للبيع •

« وما ينتج من هذا البيع بعد التصفية يخصص لسداد التعويضات التى ستعطى لمن أصيبوا بالحوادث الثورية • » كما جاء فى الأمر الخديوى •

وكان الخديو قد وقع على هذا الأمر والى جانب توقيعه وقع كل من رئيس النظار وناظر الداخلية •

وقد جاء في أوجه هذه المعارضة : **أولا :** أن هذه الأحكام الصادرة من الخديو بموافقة مجلس نظاره بسلب ونهب أملاكنا وموجوداتنا أحكام استبدادية ظالمة جائرة لأنها صادرة من أعداء أقوياء على أخصام ضعفاء ·

ثانى أوجه هذه المعارضة :

أننا لم نوافق على سلب أموالنا وموجوداتنا ولم تؤخذ أقوالنـــا وكان سلب أملاكنا وموجوداتنا لا عن طريق محكمة قضائية بل كان سلبها بالطرق الاستبدادية الغير جائرة فى شرع العدل ·

ثالث هذه الأوجه : أن المحكمة العســـكرية لم تحكم بســـلب الأملاك والموجودات وقت حكمها بالقتل ، لعلمها أن للقضاء حق التصرف فى الدماء وليس له حق التصرف فى الأموال والأملاك وتيقنها أن أموال القتلى أو الموتى هى حق شرعى لورثتهم الشرعيين لا للحكومة : رابع هذه الأوجه : أن القاعدة التى يدور عليها مدار العمران فى العالم المتمدن هى أن التعرض للأملاك بغير حكم شرعى صحيح يعد مصادرة ·

والمصادرة لا تجوز فى المعاملات سواء كانت بين الأفراد أو بين الشعوب · واذا أهملت هذه القاعدة الأساسية المرعية ضاعت الحقوق وساد الاستبداد ·

ويؤيد هذا الأصول التى يرجع اليها فى معاملات الأفراد فهى تأخذ بأشد التحوطات لصيانة الحقوق ، فلا ترفع يد واضع اليد الا بحكم شرعى ·

خامسا : ليس للملوك المسلمين ولا لأمرائهم أن يتعدوا حدود الله التى حدها لهم ويبطلوا أحكام الله التى ائتمنوا عليها وبها سادوا وتسيدوا العلياء ·

وهذا أمر الخديو القاضى بسلب أملاكنا وموجوداتنا قد هدم أركان الدين الاسلامى من أساسه بابطال فريضة الله تعالى بحرماننا من المواريث الشرعيـــة ويعرض أركان العدالة ·

والله سبحانه وتعالى يقول : للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر » ·

***

ويطالب الزعماء السبعة من رجال القضاء الذين هم سياج العدل وحماته أن يتدبروا فى عاقبة هذا الأمر الهادم لأركان الشرع الشريف والمخالف للعدل والانصاف ولا تأخذهم فى الحق لومة لائم من ذوى الاثرة والاستبداد فان لرجال القضاء أن يقضوا بالحق وبه يعدلون ·

يردوا المظالم الى أهلها قبل أن يحيق بكثير من الناس ما حاق بنا من الظلم والعدوان » .

★★★

وفيما يلي صورة هذا الأمر الخديوى الصادر فى ١٤ ديسمبر ١٨٨٢ ــ وهو ما تظلم منه الزعماء السبعة .

وبه فى المادة الأولى : أملاك وموجودات أحمد عرابى وطلبــة عصمت وعبد العال حلمى ومحمود سامى ، وعلى فهمى ومحمود فهمى ويعقوب ســامى منقولة كانت أو غير منقولة .

وأملاكهم وموجوداتهم التى اشتروها أو وضعوا يدهم عليها ومقيــدة بأسمائهم .

وكذلك الأملاك والموجودات التى تصرفوا فيها بالهبة أو البيــع بطريقة مصطنعة صارت ملكا للحكومة ولا يجوز لهم من الآن فصاعدا أن يمتلكوا أى ملك من أى نوع كان فى الأقطار المصرية بطريق الارث أو الهبة أو البيع أو بأى طريقة كانت .

ويترتب لهم سنويا راتب نقدى بالقدر الضرورى لمعيشتهم .

★★★

● ومن أوراق العرابيين التى احتفظ بها عندى رسالة كتبت باللغــة العربية ووقعها بالانجليزية مستر برودلى أحد المحامين الذين تولوا الدفاع عن عرابى ورفاقه أمام المحكمة العسكرية العليا .

وقد جاء فى تلك الرسالة (وهى بالنص ودون تصرف) :

عزيزى على باشا فهمى .

انني اقدم هذا الآن لأودعكم وأتأمل أن المحبة التى بيننـا تدوم الى الأبد وقبل الوداع الأخير ، أريد أن أرجع نصيحتى لكم وهى أن تكون عندكم الثقة التامة فى شرف انجلترا .

وأن تقوموا بالمواعيد التى وعدتموها .

(ولعل صحتها العهود التى وعدتم بها) .

وتيقنوا أنى أكون دائما مستعدا لخدماتكم سواء أكنت هنا أو فى أى مكان آخر .

عنوانى بانكلترا كما ترونه أدناه فيمكنكم أن تكتبوا لنا بهذا العنوان الى حين رجوعى ، الى مصر .

اكتبوا دائما لى بكل حرية عن الأشياء التى تخصكم شخصيا والتى تخص فاميليتكم (أى عائلتكم) كذلك فى مدة غيابى عن مصر .

وقد وكلت صاحبى وصاحبكم الخواجا بيجى فاكتبوا له أيضا وعرفوه بكل ما يلزم .

أما العنوان فكان قصر واترلو !! رقم ١ ، لندن

● وفى خطاب بعث به على فهمى باشا بتاريخ ٥ مايو ١٩٠٣ الى :

جناب المحب المحتشم مدير التلغرافات الانجليزية بمصر

أنا على فهمى الذى كنت بجزيرة سيلانة وعندما كنا بالجهة المذكورة تحرر منا التلغرافات نمرهم بعاليه

والآن مرفوعة جملة قضايا على الست حرمنا بصدد هذه التلغرافات المذكورة .

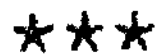
نؤمل اذا وافق جنابكم باستخراج صورة النمر الموضحة بعاليه لضرورة لزومهم .

وأقبل فايق احترامى ، على فهمى

● ومن بين أوراق العرابيين أيضا التى احتفظ بها بطاقة دعوة لتوديع أحمد عرابى باشا أقيمت فى الساعة الثامنة مساء ٣ سبتمبر ١٩٠١ فى المدرسة المحمدية للبنين ، شارع كاندى فى مدينة كاندى » .

وقد حصلت على أجندات أحمد عرابى التى كان يكتب فيها يومياته فى المنفى .

والتى تمثل لى — وربما لغيرى — ألغازا يصعب حلها ومن بين ما جاء فى تلك اليوميات تحت عنوان « ماهيات ومرتبات » .



٢٧	روبية	مرتبات أولى
٢٠	روبية	مرتبات ثانية
٤١	روبية	ماهيات منصرفة
٢٣	روبية	ثمن خبز عن شهر سبتمبر ١٨٨٤
١٩	روبية	ثمن شعير وحمص للحصان
٣	روبية	لبن حليب
١٥٠	روبية	جرى تسليمه ليد محمد بك المصرف
٧	روبية	ثمن جزم الى محمد
٥	روبية	ثمن سمك وفاكهة
١٠	روبية	أجرة البيت الباقية

الجملة ٣١٦ روبية

● ● ومن هذه اليوميات أيضا : تحت عنوان ، منصرف فى مشتروات شهر سبتمبر ١٨٨٤ .

سنت	روبية	
	٣٦	ثمن أصناف شهرية والمسلى شهرين والغاز ٣ أشهر
	٢	شاى وخضار لغاية من سبتمبر
	٣	لغاية ١٢ منه خضار وخلافه
٥٠	٢	ثمن خشب فى ١٥ منه
١٨	١٢	ثمن كيس أرز بتاريخه
	١	فى تاريخه ثمن حمام أخضر وطعام الكتاكيت
٥٠	١	فى ٢١ منه خضار وخلافه
	٢٣	ثمن الخبز
	١٦	ثمن اللحوم ... الخ ، الخ .

● ● ومن تلك اليوميات أيضا : وتحت عنوان بيان عدد الزمرد وأثمانه وأوزانه .

روبية	عدد		ط
١٥٠	٧٥	زمرد	٧
٣٠	٩	زمرد	٣ر٩
٣٠	٥٤	زمرد صغير	٣

● ● وتحت عنوان : « تابع الخواتم الفضية » .

هدية	٣٠	٥ حجر الماء	١٥ روبية
على بك	٢١	١ ياقوت ٤٥ ط	١٧ روبية
هدية	٢١	٢ حجر ستار أحمر الى الشيخ على الفيومى ١٤	روبية
لنـا	٢٧	١ ياقوت ٣ ط والقفص ذهب	١٦٨ روبية
هدية	٢٩	١ ياقوت ٢٥ ، لؤلؤ ذهب	١٢٠ روبية

● ● ويوميات أخرى تحت عنوان بيان عدد النيام وأثمانه وأوزانه :

روبية	عدد	صنف	وزن
٥٢	٦	أزرق عال	٣ر٨٠
٢٠	٢	أزرق	٨
٣٠	١	أزرق	١٠

وقد كتب فى أسفل الورقة : صار تشغيلها جميعا التوقيع : أحمد عرابى

★★★

● وكنت قد ذكرت فى احـــدى مقالاتى عن عرابى ورفاقه أنهم كانوا يقضون وقت الفراغ فى المنفى ، فى تصنيع الياقوت والزمرد .

وتلقيت يومئذ رسالة غاضبة من الدكتور عز الدين عبد القادر حفيـد أحمد عرابى يرد فيها على وعلى بعض الكتاب الذين كانوا قد كتبوا عن عرابى مالم يعجب حفيده .

وكان وقتئذ (٢١ سبتمبر ١٩٧٠) سجينا فى طنطا وقد جاء فى رسالته أن السيدة صديقة خانم زوجة عرابى قد بنت بيتا كبيرا فى وسط عزبتها هرية رزنة وآخر فى شارع خيرت بالسيدة زينب حيث توفى فيه عرابى عام ١٩١١ .

وكانت زوجته الوفية قد توفيت قبله بعام (أى ١٩١٠) .

وقد حضرت مع شقيقتى الكبرى عديلة وزوجة خالى ابراهيم أحمد عرابى وهى ابنة ابراهيم باشا فوزى محافظ القاهرة أيام الثورة العرابيـــة وسمعنا جميعا عرابى يقول مؤبنا ومودعا زوجته الوفية وهى على فراش الموت تبتسم له فى حنان وحب وايمان وتشجعه على الصبر ، على مصيبة الفراق الأخير سمعناه يقول ودموعه تجرى كالمطر : لقد شبعت فى حياتى من كل شىء ولكننى لم أشبع منك يا حبيبتى يا صديقة .

★★★

وكاذب من يزعم أن صديقة كانت حين موتها مطلقة من عرابى فلقد ماتت وهى زوجة شرعية على ذمة جدى أحمد عرابى .

وليس فى ذمته أية زوجة أخرى الا أنه كان قد تزوج فى خلال العشرين عاما التى قضاها فى سيلان ـ جزيرة سرنديب ـ فى المنفى من أربع جوارى زنجيات توفيت منهن اثنتان هناك .

وعاد معه باثنتين هما مرجانة « وفرح جل » أى وردة الفرح بالفارسية .

والأربع من جوارى السيدة صديقة خانم ـ هكذا فى الرسالة ـ زوجته وهبتهن له عندما عزم على تسليم نفسه بعد الهزيمة وقبـــل هربها واختفائها وأولادها حسب رغبة عرابى نفسه حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا » .

وكان د. عز الدين عبد القادر يرد على بعض الكتاب الذين كتبوا عن عرابى وعن حياته فى المنفى « زورا وبهتانا » .

وأبدى د. عز الدين عبد القـــادر رغبته فى أن يضع نفســـه فى خدمتى « وخدمة أى كاتب يريد أن يعرف الحقيقة عن « جدى الزعيم أحمد عرابى فى حياته الخاصة والعائلية » .

أما سيرته التاريخية فهى ملك مشاع للجميع ، لأنه رجل عام .

أما أن يكتبوا عن زوجته وأولاده ما لا يعرفون رجما بالغيب ونحن لازلنا على قيد الحياة فهذا هو الجهل المشين .

وما عليك الا أن تتكرم بزيارتى فى أى وقت فى سجنى (سجن طنطـا العمومى) فتجدنى فى خدمتك ورهن اشارتك « أما ما جاء من أن عرابى اشتغل فى صقل الأحجار الكريمة بزعم أن الوثائق التى نشرت مع المقال تؤيد ذلك فانكم تضحكوننى : من أين استقيتم هذه المعلومات المضللة ؟ ان عرابى لم يشتغل بذلك مطلقا .

وكان له مبلغ خمسون جنيها معاشا شهريا ومقداره اليوم (١٩٧٠) بقيمة العملة خمسمائة جنيه شهريا ·

وفي هذا المعاش غنى كل الغنى عن هذا الهراء ، ·

وهذه الوثائق كما تسمونها في مقالكم ما هى فى الحقيقة الا أرقام سجلها أحمد عرابي في مفكرته عن مشتريات بعض الأحجار الكريمة ·

والتى صنع له منها بعض صناع الجزيرة الهندية ــ سيلان ــ عددا من الحلى لأولاده فى سيلان وفى مصر ·

وقد كان بعضها قد أهداه الى والدتى (ابنته رقية عرابى) ·

ثم ورثته شقيقتى اقبال عبد القادر وهى تقيم (الآن) فى المنزل رقم ١٧ بشارع الحكيم بالجيزة ·

وقد باعت هذه الحلى وهذه المجوهرات فى المحنة التى قاسيناها معا حينما قمت فى نوفمبر عام ١٩٣٧ باطلاق رصاص مسدسى على النحاس باشا رئيس الحكومة احتجاجا على توقيع معاهدة « الشرف والاستقلال » المشئومة مع الانجليز ·

★★★

وهأنذا الآن مسجون مؤبدا فى سجن طنطا العمومى منذ عودتى من الخارج فى ١١ أغسطس ١٩٦٣ فى قضية رأى اذ نشرت وطبعت كتابا بعنوان : كيف تحكم مصر اليوم ؟ فى بغداد عام ١٩٥٤ ، مطالبا بالدستور والحياة الديمقراطية غير المزيفة ·

وترجم الكتاب الى الفرنسية والانجليزية ·

وطبع فى باريس ولندن وكاليفورنيا وغيرها ·

اننى أسير دائما فى كفاحى فى الطريق الذى اختاره عرابى ·

وكان عز الدين عبد القادر قد استهل رسالة بقوله : أحييك تحية الشباب تحية التفانى فى الاخلاص لمصر وشعبها ·

وأشكرك شكرا خالدا خلود الأفلاك لدفاعك المجيد عن جسدى الزعيم أحمد عرابى فى العدد الأخير من المصور الصادر فى ١٧ رجب ١٣٩٠/الموافق ١٨ سبتمبر الجارى ·

وانى لأستسمحك فى تصحيح بعض الحقائق عن عرابى ذكرت فى المقال المضيء ، خدمة للحقيقة : خدمة منى للتاريخ ·

ان من حق السيدة العظيمة زوجة عرابى التى وهبته حبها وحياتها وتحملت معه كل شيء أن تجد من يدافع عنها اليوم بعد أن أهملها جميع المؤرخين وهى التى تستحق بكفاحها ووطنيتها ووفائها لزوجها ولمصر كتابا خاصا يضاف الى سجلات الخالدين ٠

انها جدتى المرحومة السيدة صديقة خانم عيسوى ابنة الأميرالاى عيسوى بك ابراهيم من رجال الجيش المصرى من أبناء كفر الزيات تزوجها عرابى فى شبابه وهو فى الاستيداع فى أقسى حالات يأسه من الظلم الذى حاق به ٠

ولما كانت أمها من عقيلات الأسر التركية وهى حليمة خانم ٠

وكانت مختارة لعراقة مجدها العثمانى لرضاعة وتربية الأمير « الهـامى باشا » فقد تشفعت لزوج ابنتها عرابى بما لها من نفوذ عظيم فى قصر الخديو اسماعيل فأعاد عرابى الى الخدمة ولكن فى بناء الكبارى والجسور « لأنه فلاح وابن فلاح مصرى » فلما قامت الثورة الشعبية العرابية ٠

ثم انهزم عرابى بالخيانة وسلم سيفه كما هو معروف كان أول هم للأسرة المالكة البحث عن زوجة عرابى وأولاده لقتلهن (بالطريقة التركية غدرا) انتقاما من عرابى وزوجته وابنته ووصيفتهن التى أخلصت للفلاح المصرى وتنكرت للدماء التركية ولسادة القصر الأتراك ٠

والتى هربت واختفت أكثر من ستة أعوام هى وأولادها دون أن يثير عليها جواسيس الانجليز ولا عملاء القصر ٠

***

ان المصريين الذين حموا عبد الله نديم عشر سنوات ومن قبله طومان باى بعد هزيمة الغورى فى موقعة « مرج دابق » حموا صديقة زوجة عرابى وأولادها الصغار حيث سكنت باسم مستعار كل هذه السنين فى حارة النصـــارى بالقـاهرة ٠

وكانت أمى ابنتها الصغيرة فى ذلك الوقت تعرف باسم مستعار ككل أولاد عرابى وهو مريم ٠

وكان كل أهالى الحى من أقباط ومسلمين يعرفون أن أسرة عرابى بينهم ولكن لم يظهر أى خائن ، واحد يرشد الأعداء المتربصين بالفريسة ٠

حتى المواطن اليهودى الذى باعت له جدتى صديقة « خانم » مجوهراتها عرفها وأجزل لها الثمن وأبى أن يرشد عنها السلطات ٠

ولقد قام المواطن ابن هرية رزنة بشراء ٥٣ فدانا فى مسقط رأس عرابى بثمن مجوهرات جدتى المباعة ٠

قام بشرائها باسمه حتى انتهت المدة فنقلتها باسمها ٠

وكان فى وسعه أن يستولى على الأرض ويسلم زوجة عرابى وأولادها لأيدى زبانية السراى من أعداء عرابى لقتلها وقتلهم جميعا انتقاما من عرابى الذى أفلت من أيديهم فى المنفى ٠

ولكن هذا المواطن المصرى لم يفعل شيئا صونا للشرف الاسلامى والشرف المصرى وكان اسمه عطية العزونى ٠

★★★

ويقول د٠ عز الدين عبد القادر ، ان عرابى بعد أن عاد من منفاه أقام فى المنزل الذى بنته لها ولأولادها جدتى صديقة خانم فى شارع خيرت حتى ماتت فيه ومات فيه ، من بعدها بعام واحد عرابى نفسه ٠

وقد دفن عرابى فى المدفن الذى اشترته زوجته صديقة خانم فى قرافة الامام الشافعى حيث كانت أعدته لها وله ، ولذرياتهما حتى ولجواريهما وأولاده منهن مقابر ، فضلا عن مقابر الصدقة ٠

ويقول د٠ عز الدين عبد القادر انه ليس صحيحا أن أسرته أجلت اذاعة خبر موته ليقبضوا المعاش لأن أسرته لم تجد المال لنفقة جنازته ٠

ولقد كان من بين أزواج بنات عرابى الذين شيعوا جنازته والدى محمد بك توفيق عبد القادر ابن المرحوم عبد القادر باشا فهمى المهندس الذى حفر قناة السويس ٠

وكان والدى يملك ثمانين منزلا فى حلوان وشـــبرا ودرب الشمس ودمياط ٠

(ومدرسة دمياط الثانوية للبنين كانت هبة منه لوزارة المعارف من أملاكه).

وهو أول من اشترى سيارة عرفتها مصر والشرق بأسره ماركة رينـــو عرضها مسيو رينو ضمن ثلاث سيارات فى معرض باريس الدولى عام ١٩٠٠ فاشتراها أبى وأحضرها الى مصر ٠

وكان مليونيرا ٠

كما حضر الجنازة زوج ابنة عرابى الآخر الدكتور الأميرالاى حسين بك راسم من أثرياء مصر (وحارة راسم المتفرعة من شارع فؤاد بأبى العلا فى بولاق بمصر لم تزل تحمل اسمه حيث توجد هناك عمارات يملكها هناك حتى الآن ٠

والاستاذ حسن بك غازى من أعيان دياسط وكان يملك ألف فدان وغيرهم

من أسرة عرابى فكيف يقال مع وجود هذه الشخصيات الثرية حول سرير الموت وفى جنازة عرابى أن أسرته لم تجد نفقات جنازته » ٠

★★★

ويقول د٠ عز الدين عبد القادر أن حديث عرابى الذى نشر فى المقطم والذى أثار ثائرة الرأى العام ضده لا يستحق التعليق عليـــه لأنه حديث مغرض وملفق ٠

وكان عرابى قد تحدث حديثا عاديا جدا مع أخيه الفلاح الحاج صالح محمد عرابى وأولاده وأولاد أخيه الآخر محمد عرابى فى السويس ، عند عودته وهو الذى لفقه وزيفه مندوب المقطم ٠

ولم أستطع بطبيعة الحال أن أنشر رسالة د٠ عز الدين عقب وصولها الى فقد كان نشر اسمه من الأمور التى تحرمها الرقابة لأنه مسجون سياسى والاشارة الى المسجونين السياسيين ـ وقتئذ ـ من المحرمات ولن أعتذر بطبيعة الحال عن الاطالة فى الحـــديث عن عرابى وأوراق عرابى والأسرار التى وردت فى بعض الأوراق التى آلت الى بعض ورثة عرابى ٠

★★★

ولن أعتذر بطبيعة الحال أيضا ٠ عن الاطالة فى الحديث عن بعض رفاق عرابى وعن المحاولات التى بذلتها ، لاعادة رفات زعماء الثورة العرابية التى لا تزال موجودة فى سيلان (سيرى لانكا) وفى سواكن بالسودان وفى تركيا ذلك أننى أعتبر الحديث عن الثورة العرابية وزعمائها ، كالحديث عن قادة الحركة الوطنية فى مستهل القرن العشرين وفى المقدمة مصطفى كامل ومحمد فريد وبعض رفاقهما ، وتلاميذهما وأنصارهما : لقد كنت فكرت فى أن تكون مقدمة هذا الكتاب أو مدخله كتابا مستقلا بذاته ، حتى يمكن للقارىء متابعة ما ينشر فى الكتاب ذاته ولكننى فضلت فى النهاية ، أن تكون المقدمة أو كما أسميتها المدخل مطولة الى حد ما لأتيح للقارىء معرفة كثير من الظروف التى مهدت لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ باعتبار أن التاريخ سلسلة من الحلقات لا يمكن فصل احداها عن الاخريات ٠

ان الذين ولدوا فى ثورة عرابى هم الذين قادوا ثورة ١٩١٩ ٠

والذين ولدوا فى ثورة ١٩١٩ هم الذين قادوا ثورة ١٩٥٢ وفى رأيى أنه لا يمكن أن نتحدث عن ثورة ١٩٥٢ دون أن نتحدث عن ثورة ١٩١٩ ولا يمكن أن نتحدث عن ثورة ١٩١٩ دون أن نتحدث عن ثورة ١٨٨١ ٠



والحديث عن أحمد عرابى ورفاقه يجرنا بطبيعة الحال الى الحديث عن قائد عسكرى متميز ، أحرز شهرة عالمية ، وكان له دوره العسكرى كقائد كبير ، لا فى مصر وحدها وانما فى كثير من البلدان العربية .

هذا القائد الذى يعتبره الاخوة العرب رائد القواد العسكريين العرب فى هذا القرن هو عزيز على المصرى باشا .

وعزيز على المصرى هو - بلا جدال - أحد صناع ثورة ١٩٥٢ والأب الروحى للضباط الأحرار الذين فجروا تلك الثورة فى صبيحة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وهو فى نفس الوقت أحد السياسيين المعاصرين ذوى الشهرة العالمية .

وقد كنت ، فى كثير من المرات التى ألتقى بها بعزيز المصرى باشا وخاصة فى بيته بالمطرية حيث يكون الجو خاليا الا من قلائل يصطفيهم عزيز باشا ، وحيث كان الحديث فى بعض الليالى يمتد الى ما بعد منتصف الليل : كنت أجره الى الحديث عن أحمد عرابى والثورة العرابية وما استشكل على فهمه من فى بعض أمورها الغامضة ومواقعها الحربية .

وكان الرجل يتحاشى الحديث فى الثورة العرابية ، عندما يوجد فى المجلس من لا يطمئن اليه تماما ، اذ كان كل ما يخشاه عزيز باشا المصرى أن يتهم بأنه من أنصار عرابى أو أنه ممن يحبذون الطريق الذى سلكه حتى لا يلفت اليه الأنظار وحتى لا يفهم بأنه يخطط لتنفيذ ما عجز عرابى عن تنفيذه وكان عزيز المصرى شكاكا بطبيعته وكان يعتقد أن معظم ما يقوله ينقل الى السلطات مع بعض الزيادات .

ولكنه للأمانة كان ينطلق كالسهم لا يعبأ بأى شيء وخاصة عندما يستثار .

***

وأول مرة رأيت فيها عزيز على المصرى كان فى محكمة استئناف مصر بباب الخلق بالقاهرة وذلك فى أواخر فبراير عام ١٩٤٥ وأوائل مارس من نفس العام عندما كنا متهمين بالاشتراك فى مقتل أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء وقتئذ .

وكانت التهمة التى تحوم ولا توجه بصفة رسمية الى عزيز المصرى أنه كان يعرف محمود العيسوى القاتل ورغم أن محمود العيسوى ، كان يؤكد باستمرار أن الجريمة فردية وأنه لا صلة لأحد بالحادث الا أن كل ما عرف أن العيسوى اتصل به أكثر من مرة أو أنه كان يتردد عليه قبل وقوع حادث الاغتيال وأنه قد قبض عليه فى ذلك الحادث .

وكان عبد الرحمن الطوير باشا النائب العام وقتذاك يحترم عزيز المصرى باشا احتراما شديدا فلا يجلس الا اذا جلس ، ويقوم اذا قام بالرغم من ثورة عزيز المصرى باشا على النائب العام واتهامه اياه بالخضوع لسيطرة الحكومة فى اعتقال هذا العدد الوفير من الأبرياء الذين لا علاقة لهم بالحادث .

وأذكر أن الطوير باشا كان يخشى لسان عزيز المصرى ، ويتحاشى ثورته باستمرار : يومها ــ يوم اللقاء فى محكمة الاستئناف ــ لم أستطع التحدث اليه اذ كانت التعليمات صريحة بألا يتبادل المتهمون الحديث أو الاشارات ، غير أن الصورة التى انطبعت فى ذهنى عن عزيز المصرى باشا وقتئذ ، أنه بطــل دائما . حتى وهو مساق الى التحقيق ، مخفور برجال البوليس .

يومها تمنيت أن أراه بعد خروجنا من السجن .

وقد تحققت الأمنية ، عندما وضعت الحرب العالميــة الثانيــة أوزارها وأوضارها وذهبت اليه ضمن مجموعة من شباب الجامعة نسأله الرأى فيما يجب اتخاذه من خطوات عملية لتحقيق آمال الشعب فى الوحدة والاستقلال .

***

وتحدث الينا عزيز المصرى بلهجة تختلف الى حد كبير عن لهجات من التقينا بهم من الزعماء والقادة أمثال : اسماعيل صدقى باشا ، محمود فهمى النقراشى باشا ، مكرم عبيد باشا ، لطفى السيد باشا ــ د. حسين هيكل باشا ، الشيخ حسن البنا ، أحمد حسين ، وآخرون وآخرون .

لقد انتقد عزيز المصرى باشا الحكام المصريين بشدة ووصفهم بالأذناب الذين لا يفكرون الا بعقلية المحتل ويعملون لخدمته باخلاص ، وذمة ، ووصف الملك فاروق ــ وكان يوما ما رائده فى لندن عندما كان يتلقى العلم هناك قبل أن يعتلى عرش مصر واختلف مع والده الملك أحمد فؤاد حول تربيته وتعليمه ــ وصفه بالفسق والفجور والخبل والخلل العقلى .

وأثار حماستنا الى درجة كبيرة وهو يتحدث عن الاحتلال الانجليزى لمصر وردد كلمة ــ لمحاميه فى احدى القضايا : حافظ رمضان باشا ــ بأننا لن نستطيع اخراج الانجليز من أرضنا الا اذا أخرجناهم من أفكارنا ، وعقولنا » .

ولم يترك عزيز المصرى يومها حزبا من الأحزاب المصرية الا وانتقــده بشدة .

ولم يترك زعيما من زعمائنا ــ وقتذاك ــ الا حمل عليه حملة شعواء وكال له التهم .

وذهبت اليه فى اليوم التالى ، أسأله لماذا يتكلم بمثل تلك الدرجة من الصراحة والوضوح ، مع شباب يراهم لأول مرة ومن المحتمل أن يكون من بينهم

بعض أذناب البوليس السياسى : فضحك عزيز المصرى ، لما أسماه يومئـــذ بسذاجتى وقال لى لا تخف : أنا أعرف ذلك حق المعرفة ٠

اعرف أن البوليس السياسى قد اشترى بخســـة ونذالة بعض الشباب ليتجسسوا على زملائهم وعلى بعض الشخصيات ٠

أغراهم بالمال والشقق الفاخرة والعربات الفارهة ٠

ولكن عدد هؤلاء لا يذكر الى جانب الغالبية العظمى من الشباب التى لم تفسد ولا يمكن أن تفسد لأنها تمثل هذا الشعب العظيم ٠

هذه الغالبية ترى أن عليها واجبا مقـــدسا هو أن تحرر هذا البـــلد وقال لى ضمن ما قاله : أنا لا أقول هذا الكلام لمن أراهم لأول مرة من الشباب وغير الشباب وحسب وانما أقوله لكل من ألقاه من كبار الموظفين والكبراء ، لو جاز لى استخدام هذا الوصف بالنسبة لهم ، أقوله لهم لينقلوه الى سادتهم فى قصر عابدين ، وفى السفارة البريطانية بجاردن سيتى : اننا يجب أن نصرخ بأعلى أصواتنا ، يجب أن نعبر عن ارادتنا بقوة ، وعنف : لقد فسد الحكم من القمة الى القاعدة ووجب علينا أن نسعى بكل قوة ـ بما فيها قوة الســـلاح ـ لتغييره ٠

★★★

وعندما فكرنا فى أواخر عام ٤٦ ، وأوائل عام ١٩٤٧ فى حمل الســـلاح دفاعا عن مصر وفلسطين ذهبت اليه أسأله الرأى ، فيما يجب أن نفعله نحن الشباب الجامعى الذى مزقتنا الحزبية وأنهكتنا الخلافات السياسية ٠

وكان عزيز المصرى ـ كالعادة معى دائما ـ صريحا وواضحا ، قال : اذا كنتم مستعدون لحمل السلاح فأنا فى مقدمة من يعمل على تحقيق رغبتكم من الغد ، قلنا : والمدربين : قال حاجة بسيطة » ٠ قلنا : والسلاح : قال حاجة أبسط ٠ ان فى كل قرية مصرية عشرات من قطع السلاح وفى كل مدينة مئات بل ألوف من قطع السلاح يمكن شراؤها أو يمكن الحصول عليها بدون شراء اذا عرف حائزوها الغرض الجديد من استخدامها ٠

وفى اليوم التالى كنا فى دار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة نتدرب على حمل السلاح ويدربنا الصاغ محمود لبيب ـ وهو من خيرة ضباطنا ـ وقد لعب دورا هاما فى حرب طرابلس فى ليبيا ، ضد القوات الايطالية تحت قيادة عزيز المصرى وصالح حرب ٠

وكان يطل علينا من شرفة الطابق الثانى من الجمعيـــة ، عزيز المصرى وصالح حرب الى أن انتهى الدرس الأول واستقبلنا صالح حرب وعزيز المصرى

فى مكتب صالح حرب وقال لنا عزيز المصرى ، ليست العبرة بالسلاح الحديث ، وليست العبرة بكثرة التدريب ولكن العبرة بالقلب الذى يحمل السلاح . صحيح أن اليد التى تحمل السلاح ولكن العقل هو الذى يفكر وهو الذى يمتلىء وحده بالايمان .

***

وتكررت اللقاءات .

وفى كل لقاء كنا نزداد ايمانا بعظمة الرجل وشجاعته ونقاء سريرته : أذكر أنه قال لنا ذات مرة وكانت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال فى سبيل تكوينها : أمنيتى الحقيقية أن تقوم ثورة شعبية بقيادة الجيش المصرى الوطنى : لقد نذرت نفسى منذ أكثر من نصف قرن للثورة وكنت أعمل لها فى كل مكان حتى عندما انتدبت للقضاء على الثورة البلغارية كنت أخدم تلك الثورة .

ولا يزال البلغاريون يرسلون الى كل عام عن طريق سفيرهم فى القاهرة هدايا تذكارية اعترافا بدورى المتواضع فى « قمع » الثورة .

لقد كان ضباط الخلافة العثمانية يفتكون ويذبحون كل من تقع أيديهم عليهم من الثوار البلغاريين كما كانوا يهدمون كل شىء فى طريقهم .

أما أنا فقد كنت أعرف حقيقة مشاعرهم كشعب ينشد الاستقلال .

كنت أحفظ النظام فى الوقت الذى أتيح فيه للشعب البلغارى التعبير عن ارادته » .

وما أكثر ما تحدث الينا عزيز المصرى عن ذكرياته وما أكثر ـ فى نفس الوقت ـ ما تحدث عن عمله كمدير لمدرسة البوليس وكرائد لولى العهد فاروق .

وقد أفادتنى الى حد كبير ، المعلومات التى حصلت عليها من عزيز المصرى باشا وخاصة ما يتعلق منها بأسرار الحكم فى الفترة من ١٩٢٨ حتى ١٩٥٢ .

وما أكثر ما تحدث الينا عن ضيق الملك فؤاد به اذ كان يعتبر أنه ـ أى عزيز المصرى ـ من رجال الخديو عباس حلمى الثانى .

***

وكان أول من عينه فى خدمة الحكومة المصرية محمد محمود باشا عندما ولى الوزارة فى عام ١٩٢٨ اذ اختاره مديرا لمدرسة البوليس .

وعندما اختير مفتشا عاما للجيش المصرى لم يجد عملا يقوم به ، ولم ترفع

اليه ورقة فسافر الى العراق ، فى رحلة ترفيهية فلما عاد من رحلته انهالت عليه الأسئلة عن أسباب تلك الرحلة وكتبت الصحف كثيرا عنها حتى أنه أجاب فى مؤتمر صحفى على أسئلة الصحفيين بقوله : أليس عجيبا أن تهتم الصحف بنزهة أقوم بها الى العراق لا تستغرق سوى عدة أيام دون أن تهتم بالعطلة الطويلة التى منحتنى اياها الحكومتان الأخريان التى تجاوزت سنتين وأنا مفتش عام للجيش المصرى وأتقاضى مرتبا عن هذه الوظيفة « اننى دهش حقا حين تقوم قيامة الصحف من أجل غيابى ثم تغمض العين عن تلك الاجازة القهرية التى أتمتع بها بالرغم منى حتى حيل بينى وبين اختصاصات منصبى وأداء عملى » .

وقد فصل — فيما بعد — عزيز المصرى — من عمله حتى بدون اعطائه الحق فى المعاش كموظف سابق فى الحكومة المصرية .

★★★

وقد استهوتنى شخصية عزيز المصرى : السياسية والعسكرية والانسانية ، وقضيت أكثر من عام فى جمع الوثائق والمعلومات الخاصة بتلك الشخصية منذ نشأته الأولى الى اشتراكه كجندى بارز فى كثير من الحروب التى خاضتها دولة الخلافة العثمانية وانتظامه فى جمعية الاتحاد والترقى عام ١٩٠٥ وتعيينه مدرسا بكلية الأركان التركية فمفتشا بالجيش التركى بولاية سلانيك واشتراكه فى قمع الثورة الألبانية عام ١٩٠٨ واستدعاء الحكومة التركية له بعد استقالته من الجيش التركى لقمع ثورة الامام يحيى واستطاعته حقن الدماء واصابته بالكوليرا وتطوعه لقيادة الطرابلسيين والسنوسيين فى حربهم ضد الايطاليين واستدعائه الى الاستانة وتقديمه استقالته فى ٢٠ يناير ١٩١٤ واتهام الاتحاديين له بالخيانة فى ٩ فبراير ١٩١٤ . وتقديمه للمحاكمة وثورة الرأى العام العالمى من أجله .

والعفو عنه وعودته الى مصر واستقباله — فيها — استقبالا شعبيا حافلا .

★★★

وقد تجمعت لدى معلومات هامة عن دور عزيز المصرى فى الحرب الطرابلسية وعن محاكمته فى الاستانة ثم العفو عنه وعن اشتراكه فى بعض الجمعيات الفدائية التى كان غرضها قتل كل من يقاتل العرب ويقاوم مبدأ الاستقلال التام وقيام دولة عربية تعيد أمجاد العرب الغابرة .

وقد كان ولا يزال بعض الباحثين العرب يطلقون عليه « أبو الفكرة العربية » وحامل لواءها وقد سعيت الى كل من اتصل بعزيز المصرى فى حياته .

وفى مقدمة من استعنت بهم اللواء سعيد الألفى الذى رافق عزيز المصرى أكثر من ستة وثلاثين عاما ، منذ أن التقى به فى مكتبه بمدرسة البوليس ، الى أن رحل للقاء ربه .

وقد أحدث عزيز المصرى ثورة فى مدرســة البوليس وكان يدعو بعض أساتذة الجامعة وكبار السياسيين لالقاء محاضرات على طلبة مدرسة البوليس أمثال طه حسين ومصطفى عبد الرازق ومنصور فهمى وعبد الرحمن عزام ومحجوب ثابت ·

وكانت المحاضرات تلقى فى مدرج مدرســة البوليس وكان عزيز المصرى يعلق على كل محاضرة ويدعو الطلبة الى التعليق عليها ·

***

وعزيز المصرى ــ كما قال لى سعيد الالفى ــ يعد أول من ادخل المصارعة اليابانية والشيش فى كلية البوليس وقد استدعى المصــارع اليابانى المعروف ايشاجورا ولاعب الشيش الدولى فياندو للتدريس بصفة دائمة فى الكلية وهو ــ عزيز المصرى ــ أول من أدخل الكلاب البوليسية فى البوليس وأول من أدخل الموسيقى النحاسية والمزمار البلدى فى حفلات تلك المدرسة كما أنه أول من أدخل الحمام الزاجل فى مدرسة البوليس ·

ومرة ــ وكان عزيز المصرى ــ رئيسا لأركان حرب الجيش المصرى ــ وطلب القيام برحلة تفتيشية فى بعض المحافظات وعاد ليكتب تقريرا عن العــلاوات والترقيات ، ولم يضمن تقريره أية مسألة عسكرية ، فلما سأله وزير الحربيــة وقتذاك ــ حسن صبرى باشا ــ عن السبب فى اغفاله الجوانب العســكرية فى تقريره أجابه بقوله : لأنك لست بعسكرى : لقد قدمت لك الأشياء التى تجيــد فهمها أما الأشياء الأخرى فهى خاصــة بالعسكريين » · ومرة سأله أحد الوزراء عن رأيه فى حل مشكلة ما فقال له ــ وكان الوزير غير متخصص فى شئون وزارته ــ ليست العبرة بابداء الآراء وعرضــها بل العبرة بطريقة التنفيذ ، **قم من مكانك وأنا أنفذ ما أراه، أما أن أبدى لك رأيا لا تعرف كيف** تقدره فلن تكون قادرا على تنفيذه » ·

وأذكر أن اللواء سعيد الألفى قال لى ، رافقت عزيز المصرى من ١٩٢٩ الى اليوم الذى فارق فيه الحياة عام ١٩٦٥ وأشهد أنه ما من شىء تحدث عنه فى الماضى الا وتحقق فى الحاضر وليس ذلك فى الشئون الســياسية والعسكرية وحسب ، بل فى الشئون الاقتصادية والاجتماعية ·

***

على أننى لم أكتف بما تجمع لدى من معلومات ووثائق عن عزيز المصرى داخل مصر ·

وانما سعيت الى زيادة معلوماتى عن طريق كثير من الاخوة العرب الذين عرفوا عن قرب عزيز المصرى ، أو الذين كتبوا عنه دراسات مستفيضة ·

وفى مقدمة هؤلاء العراقى المغترب الاستاذ مجيد خدورى والمؤرخ العربى الكبير الاستاذ عجاج نويهض الذى أمدنى بكثير من الوثائق الهامة عن عزيز المصرى كما لفت نظرى الى فصل هام كتبه عن عزيز المصرى السير رونالد ستورس فى كتابه مشرقيات Oriention (الطبعة الأولى ١٩٣٧ والطبعة الأخيرة المنقحة ١٩٤٥) .

وقد ساعدنى أيضا فى جمع كثير من المعلومات عن عزيز المصرى باشـــا الزميل الصحفى العراقى الاستاذ صبيح الغافقى الذى كان من المهتمين بســيرة عزيز المصرى .

والأمل أن يمتد بى العمر حتى أرى كتابى عن عزيز المصرى مطبوعا لأنه يمثل مرحلة هامة من مراحل النضال المصرى والعربى بدأت مع بدايات القرن العشرين ولم تنته الا بنهاية حياة الرجل فى ١٩٦٥ .

***

ومن الشخصيات التى أثرت فى ــ منذ بداية حياتى ــ شخصية طلعت حرب ، ولقد حزنت الى أبعد درجات الحزن ، عندما أقيل من منصبه كرئيس لمجلس ادارة بنك مصر .

طلعت حرب من مواليد ٢٥ نوفمبر ١٩٦٧ بشارع قصر الشوق بسيدنا الحسين وقد نال اجازة الحقوق عام ١٨٨٩ واشتغل فور تخرجه فى قلم قضايا الدائرة السنية مترجما ثم أصبح مديرا لها وفى نفس الوقت تولى ادارة الشركة العقارية المصرية التابعة لبنك اخوان سوارس رولو . وقطاوى ونشة ، وله فضل تمصيرها .

وقد ألف طلعت حرب كتابا عن تربية المرأة والحجاب ردا على كتاب قاسم أمين « تحرير المرأة » .

وعندما أصدر قاسم أمين كتابه الثانى : « المرأة الجديدة » بادر طلعت حرب باصدار كتابه الثانى أيضا .. فصل الخطاب فى المرأة والحجاب ، وكان من رأى طلعت حرب أنه لا داعى للطفرة فيما يتعلق بالاصلاح الاجتماعى .

***

ومما أثر فى بالنسبة لأعمال طلعت حرب فى بداياته الأولى أنه عندما صفيت الدائرة السنية وكان هو المشرف على تصفيتها رأى أن يبيع معظم أراضى الدائرة الى الفلاحين التى كانوا يزرعونها وبذلك ــ وربما لأول مرة ــ حـول المزارعين الى ملاك ، وقد عمد طلعت حرب للتيسير على أولئك الفلاحين فيما يتعلق بدفع ثمن الأرض التى اشتروها فرأى أن يدفعوا الثمن على أقساط وكانت تلك الأقساط ــ وقتئذ ــ قريبة من الايجار السنوى لتلك الأراضى .

ونشاط طلعت حرب ــ وهذا ما ضاعف من علو مكانته ــ لم يشـمل مصر وحدها وانما امتد الى كثير من البلدان العربية ، فلقد أسس بنك سوريا لبنان .

★★★

وطلعت حرب أول مصلح اقتصادى عرفته مصر : لقد كان ايمانه بانشاء بنك مصر وسط ذلك الجو ، المعادى لكل ما هو مصرى ، ووسط تلك القوى الأجنبية المسيطرة على اقتصاديات البلاد .. كان هذا الايمان فى حد ذاته ، يمثل شيئا غريبا ، وقد كان البعض يراهن على فشله فيما أراده ولكنه أصر ، وأصر حتى حقق لبلده أعظم نجاح اقتصادى حققه شعب على مدى عشرين عاما .

ذهب طلعت حرب الى أحد الأمراء يطلب منه الاشتراك فى رأس مال بنك مصر فقال له الأمير : أنت رجل عاقل فكيف يمكنك أن تفكر فى انشاء مثـل هذا البنك ؟ .

وقال طلعت حرب ، لأننى مؤمن بمصريتى !!

وقال له الأمير : اذن فسوف أساهم فى بنكك عندما أراه حقيقة واقعة .

وقال طلعت حرب : عندما يصبح البنك كذلك فلن يكون فى حاجة الى سموك » .

ونجح طلعت فى أن يشيد قلعة اقتصادية وطنية اسـتطاعت بامكاناتها المحدودة ووسط جو معاد الى أبعد حدود العداء ، أن تنشىء حتى سنة ١٩٣٨ ــ فى ساحة التنمية الاقتصادية ــ ٢٣ شركة مصرية وطنية فى كثير من المجالات ، هذا فى الوقت الذى كان يشكو فيه طلعت حرب باستمرار من أن عندنا أزمة رجال : ولعل أعظم عمل قام به طلعت حرب فى حيـاته ليس انشاء بنك مصر وشركاته وحسب ، وليس ولوجه باب الصناعة الحديثة ، بأقدام ثابتة ، وحسب وانما لأنه خلق أجيالا جديدة من التجـار المصريين والاقتصـاديين المصريين ، والصناع المصريين .

فى المرات التى لقيت فيها طلعت حرب ــ من بعيد ــ كشاب مصرى عامل بالحقل العام كنت أرى ــ بحق ــ أنه من خيرة الرواد الذين مهـدوا الطريق لاستقلال مصر ، ولعلى لا أبالغ اذا ما قلت ان أثره فى بناء مصر ، كان أقوى عشرات المرات من كثير من رؤساء الأحزاب ورؤساء الوزارات فى مصر .

★★★

وفى مقدمة الأوراق التاريخية التى أفادتنى الى حـد كبير ، تلك التى أمدتنى بها السيدة الفاضلة فهيمة شاكر حرم المرحوم محمـد بدر بك من

الشخصيات الوطنية المعروفة ، وكان على صلة وثيقة بسعد زغلول وبمصطفى النحاس وكان ــ فى بعض الأوقات ــ سكرتيرا للوفد ، وسكرتيرا لهيئة المفاوضات المصرية البريطانية .

وتتميز أوراق محمد بدر بك أنها سياسية ، واقتصادية بل ان الجانب الاقتصادى منها أهم وأشمل من الجانب السياسى وربما كان مرد ذلك أن اهتمامات بدر بك كانت اقتصادية .

وكان على علاقات وثيقة بكبار الاقتصاديين فى بريطانيا .

وفى عام ١٩٢٥ كان يتولى الدفاع عن القطن المصرى وقد اتفق مع شركة مالية أمريكية كبرى لتمويل القطن المصرى هى شركة الأمريكان اكسبريس وقد كتبت تلك الشركة الى محمد بدر بك خطابا هذا نصه :

شركة الأمريكان اكسبريس

لندن فى ٢٩ ديسمبر ١٩٢٠

مكتب المدير العام المالى فى أوروبا

حضرة بدر بك المحترم

كلوب الجمعيات الملوكية سنت جيمس لندره

سيدى العزيز : الحاقا لمفاوضاتنا العديدة التى فى خلالها وضعتم أساس المشروع الخاص بانشاء نقابات زراعية لمزارعى القطن المصرى فى مصر وان هذه النقابات تضع يدها على القطن المصرى ويحق لها التصرف فيه بالبيع أتشرف أن أخبركم بكل سرور أنه اذا كان أغلب المصريين يرغبون فى انشاء هذه النقابات وأن تكون لها نقابة عامة فشركة الأمريكان اكسبريس تتعهد بأن تقدم لكم خدماتها فى تمويل المحصول ونقله ، والتأمين عليه وبيعه وذلك بالشروط التى عرضتموها علينا فى تقريركم المؤرخ ٢٦ نوفمبر ١٩٢٥ والذى تجدون صورة منه ملحقة بهذا .

المخلص

عن شركة الأمريكان اكسبريس

الامضاء ك . تنك

مساعد المدير العام المالى فى أوروبا

وقد واصل بدر بك اتصاله بأعضاء نقابة الدفاع عن القطن ، ولكن لم يكتب النجاح لهذه النقابة فلقد كانت الرأسمالية البريطانية لها بالمرصاد .

ومن الأوراق التى وجدتها فى أرشيف محمد بدر بك • مسودة رسالة كان قد كتبها تحت عنوان : « نداء لأصحاب القطن » والرسالة ذات أهمية اقتصادية بالغة •

وهى فى حد ذاتها تبرهن على أهمية القطن فى حياتنا السياسية والاقتصادية •

وقد جاء فى ذلك النداء : أحس الناس جميعا بشدة وطأة الأزمة المالية الحاضرة وهى فى الغالب أثر من آثار الاضطراب الاقتصادى الخانق بجميع بلاد العالم •

ولئن كان فى جميع البلدان الأجنبية من الأنظمة الاقتصادية كالبنوك والشركات الوطنية والنقابات الزراعية والتجارية ما هو وسيلة لتفريج هذا الضيق عن أهلها بقدر الاستطاعة فان بلادنا خالية من أنظمة أهلية من هذا القبيل ولذلك فانها مع ثروة أرضها ومهارة فلاحيها فان وقع الضيق الاقتصادى فيها أشد ازعاجا للنفوس واقلاقا لنا عن وقعه فى غيرها •

ولقد فكر الناس كثيرا فى هذا الشأن واتفقت كلمتهم على أن أهم وسيلة لهذا التعرض انما هى فى تأليف النقابات الزراعية ونظيرها من النقابات الخاصة بتصريف حاصلات الأرض على نحو يخفف من هم الزارع بقدر الاستطاعة •

ولما كان محصول القطن هو أهم ركن فى ثروة البلاد وكان الزارع يعز عليه أن يتنازل عنه بالسعر الضئيل الذى لا يكاد يفى بمصاريف الزراعة وكان يود لو وجد من يقرضه على المحصول كنقابة مناسبة تستطيع الصبر وترقب الفرص لارتفاع الأسعار فقد سعيت جهد استطاعتى حتى وصلت الى اتفاق مبدئى مع بعض أصحاب رءوس الأموال الأمريكية على أن يقدموا للمزارعين من المال ما يضمن تحقيق أمنية هؤلاء المزارعين ، على أن الشرط الوحيد لذلك هو تأليف نقابات فى كل جهة من الجهات من كبار الأعيان وخصوصا من كان فيهم أعضاء فى مجالس المديريات والبلديات وأن تؤسس كل نقابة شونة فى جهتها وكل صاحب محصول يريد أخذ قرض على محصوله ما عليه سوى ايداع هذا المحصول بالشونة واذن يعطى له جزء كبير من قيمة هذا المحصول بحسب سعره الحاضر •

الى أن يقول محمد بدر بك : وقد يكون من المهم أن يصرح أصحاب المحصول للنقابة بحلج قطنهم واستبقائه محلوجا حتى يتيسر الاسراع ببيعه بمجرد اذنهم بذلك ولا يضيع عليهم وقت تفوتهم به فرصة ارتفاع السعر •

ومن المتفق عليه أن القرض الذى يعطى لأصحاب المحصول يكون بأقل

فائدة يعطيها الماليون الآخرون أما فائدة أصحاب الأموال فتنحصر فى السمسرة العادية ليس الا » ٠

ويطلب بدر بك من المواطنين أن يسارعوا فى خدمة أنفسهم ولا يضيعوا الفرصة فلا يهملوا أمرهم ولا يظلون صاخبين على الزمان والمكان ٠٠

★★★

وقد كان الأستاذ محمد بدر بك قد اشترى امتياز جريدة المؤيد ، التى أسسها الشيخ على يوسف الذى أصبح ــ بعد سنوات من تأسيس تلك الجريدة ذائعة الانتشار ــ رئيسا لحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية وقد كان التنازل لمحمد بدر بك فى ٢٦ ابريل ١٩٢٣ مقابل ٣٠٠ جنيه مصرى ٠

وكان المتنازل أحمد بك رسلان من أعيان تلا منوفية وكان المزاد العلنى الذى بيعت فيه جريدة المؤيد فى ٢٧ نوفمبر ١٩١٥ قد رسا على أحمد بك رسلان وكان المزاد العلنى بالمحكمة المختلطة ٠

★★★

ومن بين أوراق محمد بدر بك رسالة من الاستاذ محمود أبو الفتح يقول فيها الاستاذ أبو الفتح أحد مؤسسى صحيفة المصرى : ثم مالكها الوحيد فيما بعد عزيزى بدر بك ٠

انك تعلم أو تشعر على الأقل باخلاصى لك ويدفعنى هذا الاخلاص لأن لا أعرضك للقيل والقال بمقابلتك جهارا هنا خشية أن يكون فى ذلك ما يعرقل مهمتك التى أصبحت موضع الأمل الوحيد ٠

ولكنى من جهة أخرى أرجوك أن تحضر عشاء الليلة مع القوقازيين فقد ذكرت لهم أنك ستحضر ولذا سأنتظرك بالكافيه دى لابيه الساعة ٣٠ر٦ فى الخارج لتمر على فنقوم سوية ونذهب الخ ٠٠

★★★

وكان محمود أبو الفتح قد بعث برسالة فى ١٩١٩/٦/٧ الى محمد بدر بك قال فيها :

عزيزى المفضال بدر بك ٠٠

حددنا موعد وليمة القوقازيين يوم الخميس الآتى ، وسأخبرك بالتفصيل : حضرت لأعطيك نص المواد الواردة عن مصر فى المعاهدة (وهى حرفيا) فلم أجدك وسأحاول الحضور الى مركز الوفد غدا اذا كنت بباريس لاعطائها لك » ٠

رسالة أخرى من أبو الفتح الى محمد بدر بك يعتذر فيها لعدم قيامه بسداد المبلغ الذى كان قد اقترضه منه « لأن المعاملة التى لقيتها بعد عودتى قضت على أن أترك جريدة وادى النيل ولا يزال لى طرف صاحبه « مبلغ وبمجرد حصولى عليه سأرسل لك المبلغ (عشرة جنيهات) » ٠

وقد أرسل أبو الفتح هذا الخطاب من الاسكندرية فندق وندسور وكان فندق وندسور يحرص على أن يذكر فى مطبوعاته كلها ، أنه مواجه للبحر وأنه الفندق الانجليزى الوحيد بالاسكندرية ٠

***

ومن أوراق محمد بدر بك رسائل من السير هرنسورت الى المستر هل كول يؤكد فى احداها لمحمد بدر بك ـ عن طريق هل كول أن رائد السياسة البريطانية فيما يتعلق بملك الحجاز الحق والعدل (١٨ أكتوبر ١٩٢٢) ٠

***

ورسالة أخرى الى هل كول أيضا يقترح فيها انشاء مجموعة من النواب البريطانيين لمساعدة ملك الحجاز ٠

***

وقد أرسل أبو الفتح هذا الخطاب من الاسكندرية فندق وندسور ٠

وكان الزعيم البريطانى ونستون تشرشل ، عائدا من افريقية الجنوبية وكان يعمل وقتئذ صحفيا وقد وقع فى الأسر ولما أفرج عنه كان شديد الرغبة فى الوصول الى بريطانيا لنشر ما لديه من معلومات عن حرب البوبر ومرت الباخرة التى تقله ببورسعيد واستقلها الطالب محمد بدر فى طريقه للالتحاق بجامعة ادنبره ووصلت الباخرة الى جنوا فى ساعة مبكرة من الليل وأبلغ القبطان أنه تقرر أن يكون الكشف الطبى على الركاب فى الصباح وبذل تشرشل كل جهود ممكنة ليجرى الكشف عليه بسرعة ليلحق بقطار الليل وسمح لتشرشل ومحمد بدر بمغادرة الباخرة وحدهما فاستقلا القطار وتناولا العشاء معا وناما فى عربة واحدة وبقيا متلازمين الى أن وصلا الى لندن ، وفى عام ١٩١٨ كان محمد بك سكرتير الوفد المصرى وكانت مهمة الوفد الأولى التفاوض مع بريطانيا ٠٠

***

وكانت قد ربطتنى بالاستاذ أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة ـ رغم اختلافنا فى الآراء ـ علاقة وثيقة وكنت أزوره فى البيت الأخضر ـ أو ما كانوا يسمونه بالبيت الأخضر ـ حيث مقر الحزب ٠

ومرة حضرت مندوبا عن المصور احتفالا من احتفالات الحزب . ولم يشأ المصور أن ينشر حرفا واحدا عن هذا الاحتفال فانطلق الأستاذ أحمد حسين بقلمه الثائر . مهاجما ـ وبشدة ـ المصور ومندوبه ـ بالاسم ـ ثم حدث صلح فيما بعد عن طريق الاستاذ فكرى أباظة الذى كان يكن تقديرا خاصا للأستاذ أحمد حسين وهو تقدير متبادل من طرف الأستاذ أحمد حسين ، وعندما كنت أنشر سنوات ما قبل الثورة وكان الاستاذ أحمد حسين فى المستشفى يعالج من المرض العضال الذى أقعده كان يتابع ما أنشره بدقة ، ويتولى الرد على ما يشاء هو أن يرد عليه ، ومرة نشرت صورة لعقد تأجير مكان على الشاطىء بالاسكندرية وقع عليه الأستاذ أحمد حسين لاقامة معسكر فيه لشباب مصر الفتاة فبعث الى برسالة يقول فيها ـ وهى واردة ضمن « سنوات ما قبل الثورة ـ اننى أذكر ما لا يذكره هو وانى أحتفظ بما لم يحتفظ به هو شخصيا » .

***

وقد بعث الى الاستاذ أحمد حسين بأوراق تضمنت مذكراته منذ مشروع القرش الذى دعا اليه عام ١٩٣١ وهو ـ كما يقول ـ أول اتصال سياسى عام على مستوى مصر كلها على أساس أن الدعوة الاقتصادية الاجتماعية التى نظمها مشروع القرش كانت هى السياسة القومية والوطنية فى أعلى صورها .

وقد قال أحمد حسين فى أوراقه انه يقرر أن أبهى صفحات كتابه على الاطلاق هى صفحات مشروع القرش « ففى هذا المشروع عانقت مصر كلها شيبا وشبابا ورجالا ، ونساء وأدركت كيف أن شعبنا المجيد كله يتحول الى قلب رجل احد فى بعض اللحظات ليقوم بما يشبه المعجزات .

وقد نادى أحمد حسن ـ كما قال ـ بمشروع القرش وهو طالب بالسنة الثانية بكلية الحقوق وكان عمره يقرب من العشرين ، وكانت دعوته لمشروع القرش ـ كما قال أيضا ـ تتويجا لجهود سابقة عليه .

ويتحدث ـ فى هذه الأوراق ـ أحمد حسين عن والده الذى ولد فى بلدة كفر البطيخ (محافظة دمياط) وقد افتتح والده ـ محمود أفندى حسين ـ كتابا فى كفر البطيخ كان يعلم فيه القراءة والكتابة والحساب وكانت تربط أحمد حسين بمصطفى النحاس علاقة قرابة .

***

وأول نشاط لأحمد حسين ـ كما قال ـ كان فى المدرسة الخديوية عندما اختلف هو وتلاميذ الفصل مع مدرس اللغة الانجليزية مستر جونس حضر فى اثره ناظر المدرسة محمد لبيب الكردانى بك وقد قسا الناظر على تلاميذه وعندما

قام أحمد حسين بتصحيح بعض الوقائع نهره الكردانى بك فكتب أحمد حسين استقالته من رئاسة تحرير مجلة المدرسة ومن رئاسة جمعية التمثيل بالمدرسة ·

★★★

ويذكر أحمد حسين أن بداية الانقلاب الحقيقى فى حياته كانت رحلة كشفية مع فريق التمثيل بالمدرسة الى الصعيد وهناك امتلأ قلبه اعجابا وحبا لمصر ·

والحادث الثانى الذى أثر فى حياة أحمد حسين وكان له أثر عظيم فى تكوينه واعداده للدور الذى قام به رحلته الى باريس فى صيف عام ١٩٣٠ ·

★★★

وبعد عودته من رحلته الى باريس دعا الى الاحتفال بعيد الجهاد فى ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ بصورة جديدة ·

ويتحدث أحمد حسين فى أوراقه تلك عن « صحيفة » الصرخة وقد أشرف ـ كما قال ـ على الأعداد الثلاثة الأولى منها ·

ويقول أحمد حسين ان جمال عبد الناصر ، كان من المشتركين فى مشروع القرش ·

ويروى أحمد حسين حكاية عن زميله ابراهيم شكرى الذى « هفت نفسه الى شراء حذاء من نوع جيد كان يباع فى محل روبرت هيوز بجنيه مصرى واحد ، وكيف راح والده ـ والد ابراهيم شكرى ـ يؤنبه على ذلك بعبارته التى لا يفتأ يكررها للتعبير عن سخطه : تشترى حذاء بثمن قنطار قطن » ! ·

★★★

ويشير أحمد حسين الى افتتاحية للأهرام كتبها رئيس تحريرها : داود بركات عن مشروع القرش · وكانت الافتتاحية أكبر دعاية للمشروع ، كما يذكر أنهم ـ فى لجنة مشروع القرش ـ اختاروا على باشا ابراهيم عميد كلية الطب وقتئذ ، لرئاسة لجنة المشروع وكان الشيخ أمين الخولى قد قبل عضوية اللجنة ، وكذلك الدكتور على حسن كما يذكر الأستاذ أحمد حسين تشجيع طلعت حرب للمشروع بعد أن كان فى البداية مترددا فى تشجيعه عندما قابله مرة أحمد حسين ويكتب أحمد حسين عن مقابلته لطلعت حرب فى المرة الثانية فيقول : « قال لى طلعت حرب : الآن أحسنتم التصرف وبنك مصر على استعداد أن يقدم أى تسهيلات ممكنة » وبقدر ما أحسست ـ أحمد حسين ـ بخيبة أملى

فى المقابلة الأولى فقد تلقيت هذه المرة جرعة مقوية ، فقد كان يشقينى (أحمد حسين) أن يكون الرجل العظيم طلعت حرب لا يقدر المشروع التقدير الكافى » •

ويشيد أحمد حسين بجهود دار الهلال فى تشجيع المشروع ، وكذلك بجهود فتحى رضوان ومدحت عاصم ونور الدين طراف كما يشيد بفضل الأستاذ عبد الرحمن نصر أحد كبار محررى دار الهلال الذى أقنع صاحبى الدار باصدار عدد خاص من مجلة الدنيا المصورة ـ أشهر مجلات دار الهلال وقتئذ ـ يخصص ايراده لمشروع القرش •

« على أن ما لاقاه هذا العدد من نجاح قد دفع العديد من الصحف على أن يخصص أعدادا لهذا المشروع حتى وصل الأمر بجبرائيل تقلا صاحب الأهرام أن يعرض اصدار عدد من الأهرام ، يخصص للمشروع » •

★★★

ويقول أحمد حسين أن فرحته وزملاؤه كانت لا تقدر : ماكينة الطباعة تدور والنسخ الأولى من عدد الدنيا المصورة تصل الى أيديهم ، حتى لقد عرض ـ كما قال أحمد حسين ـ الشاب المتحفظ الوقور ـ نور الدين طراف ـ أن يأخذ بعض الأعداد لتوزيعها وجبت الشوارع أوزعها ، ولكنى اكتفيت ببعض أعداد ، ولاتزال أسماء ثلاثة عالقة بذهنى ، باعتبارهم أبطال هذه الليلة ـ ليلة طبع مجلة الدنيا المصورة ـ نور الدين طراف ، الدكتور فخرى أسعد ، المهندس محمود يونس » وسوف يجد القارىء صدى أوراق أحمد حسين فى بعض صفحات هـــذا الكتاب كما سيجد أن أحمد حسين قد أثرى الدراسة بما كان يبعث به الى من تعليقات وايضاحات باعتباره واحدا من السياسيين الكبار الذين فرضوا أنفسهم بجدهم على تاريخ تلك الفترة من تاريخ مصر (يناير ١٩٣٠ ـ يوليو ١٩٥٢) •

★★★

على أنى ـ وذلك من نعم الله ـ لم أكتف بدراسة القضية المصرية والاتصال بالشخصيات المصرية المؤثرة فى المجتمع ، والاستفادة منها دائما وانما اتسعت آفاق دراستى ـ ومنذ البداية ـ فشملت العديد من الأقطار العربية والاسلامية •

وكانت الصحف المصرية ، آنذاك تولى أهمية بالغة بكل ما يتعلق بالبلاد العربية والاسلامية •

وكانت الجمعيات ـ وخاصة جمعيات الشبان المسلمين العالمية برئاسة عبد الحميد سعيد ، وصالح حرب من بعده ـ تولى اهتماما كبيرا بكل القضايا العربية والاسلامية • فلا يمضى أسبوع دون أن نقرأ عن ندوة فى هذه الجمعية أو تلك يجرى الحديث فيها عن هذه القضية العربية أو تلك •

ولا يمضى أسبوع دون أن نسمع عن وصول شخصية عربية ، أو اسلامية كبيرة يجرى الحفاوة بها ، وتقام لها فى كثير من الأحزاب ، والجمعيات بل والبيوتات حفلات الترحيب والتكريم ؛ فتلقى قصائد الشعر ؛ وكان للشعر وقتئذ دولته وصولته .

ويجرى تشنيف آذان الجمهور بكثير من الخطب الحماسية ، الثائرة .

***

وربما كان أول ما علق بذهنى ـ وأنا صغير ـ ما كنت أسمعه وما كنت أقرأه عن كفاح الشعب الفلسطينى وعن التبرعات التى تجمع لشد أزره .

بل لقد كنا بين حين وآخر ـ بعد أن كبرنا ـ نشترك فى توديع قطارات مسلحة ـ أى مملوءة بالسلاح ـ اشتراها شعب مصر من حر ماله ، فى طريقها الى القدس عبر السكة الحديد التى كانت تربطنا وقتذاك بفلسطين كما تربطنا بلبنان وسوريا وتركيا الخ .

وربما كانت أول شخصية اسلامية حديثة أوليتها اهتمامى من ناحية الدراسة ، شخصية الملك عبد العزيز آل سعود : أسرتنى تلك الشخصية الى حد كبير ورحت أنقب وأبحث فى بطون الكتب ومجلدات الصحف بحثا عن تفاصيل تاريخها ومواقفها البطولية .

وكنت قد دخلت كلية الحقوق وانتهيت من اعداد دراسة متواضعة عن الملك عبد العزيز آل سعود طبعتها فى كتاب صغير ، وأنفقت عليها من مصروفى الخاص .

وكنت قد تعرفت الى محمد على الطاهر ، صاحب جريدة الشورى ، وأخذت أتردد على مكتبه فى شارع الملكة نازلى (رمسيس الآن) وفى هذا المكتب عرفت العديد من الشخصيات العربية والاسلامية وعنها درست الكثير من قضايا الدول العربية والاسلامية .

وكانت لنا فى كلية الحقوق ، بل فى جامعة القاهرة ندوات عديدة عن تلك القضايا .

بل كانت لنا مظاهرات واضرابات كثيرة تثور عندما يلم بأى بلد عربى أو اسلامى أى حادث جلل .

ومن الشخصيات التى أسرتنى حقيقة الزعيم السورى عبد الرحمن شهبندر ، والزعيم التونسى ، عبد العزيز الثعالبى والزعيم الفلسطينى الحاج أمين الحسينى والزعيم الليبى ، بشير السعداوى وكانت لى علاقات شخصية بكل هؤلاء وبغيرهم ، وخاصة عندما بدأت أتردد على مكتب المغرب العربى بشارع

ضريح سعد ، واتصل بالشباب المغربي ــ وكان بالعشرات ــ الذي كان يتلقى العلم في مصر ، والذي قاد ــ فيما بعد ــ حركة تحرير المغرب العربي ــ وفيما بعد توثقت علاقاتي بالزعيم الحبيب بورقيبة والزعيم علال الفاسي وأحمد بن بيلا ومحمد خيضر وآية الله أحمد وصالح بن يوسف وغيرهم وغيرهم ·

***

ولعل في مقدمة ما أفتخر به ، انني كنت أول من نظم الشباب ودربه على حمل السلاح في عام ١٩٤٦ من أجل المشاركة في تحرير الأقطـــار العربية والاسلامية ، وخاصة تحرير فلسطين ، وكنت قد اعتبرت القضية الفلسطينية صنوا للقضية المصرية ولم أشر هنا الى من عرفت من الاخوة السودانيين وعلى رأسهم اسماعيل الأزهري ، والدرديري اسماعيل ذلك لأننا في الحزب الوطني ــ حزب مصطفى كامل ومحمد فريد ــ ننظر الى مصر والسودان على أنهما شعب واحد وأمة واحدة ·

واذا كان لي من أمل قبل أن أغادر هذه الدنيا فهو أن أكتب عن الشخصيات العربية والاسلامية التي عاشت في مصر ، وكافحت من أجل تحرير بلادها في مصر ، واعتمادا على شعب مصر ؛ فمثل هذه الصفحات المجهولة ينبغي أن تعرف ويزاح عنها الستار ·

خاصة وأن هوايتي لجمع الوثائق والمخطوطات والصور التاريخية ، قد امتدت من مصر ، لتشمل كل أرجاء الوطن العربي والاسلامي من الدار البيضاء حتى جاركتا ·

***

ولعل في مقدمة ما أذكره أنه في عام ١٩٤١ عندما نزلت القوات اليابانية في اندونيسيا كتبت مقالا في جريدة الأهرام عن جزيرة جاوة ، احتفت بهـــا الأهرام حفاوة بالغة وعندما زرت اندونيسيا عام ١٩٦٥ ، كان كثير من القـادة الاندونيسيين يذكرونني بذلك المقال ·

وعندما شاركت في ملتقى الفكر الاسلامي في الجزائر ، في صيف ١٩٧٣ ، واستقبلني الرئيس الجزائري هوارى بومدين على أنني مناضل جزائري قديم كان الطلب الوحيد الذي طلبه مني وهو يودعني الى السيارة التي أقلتني خارج قصر الرئاسة في مدينة الجزائر أن أهدي الجزائر متحفا يضم ما عندي من أوراق ووثائق عن حرب التحرير الجزائرية ·

وكان قد قال لي قبل أن يطلب هـــذا الطلب : لقد كنا مشغولين بالقتال وكنا ننتقل من مكان الى مكان داخل الجزائر وكذلك كان السياسيون الجزائريون الأمر الذي جعلنا لا نهتم بتسجيل حربنا التحريرية بالقلم وعدسة التصوير ·

وقد فوجيء الاخوة المراكشيون الذين تربطني بهم علاقات وثيقة وكان أقدمهم في تلك العلاقة الزعيم علال الفاسي ، وعبد المجيد بن جلون وأحمد المليح وقبلهم جميعا الأمير الخطابي انني أحتفظ ضمن وثائقي بما لا يملكون هم في المغرب .

عندي — وهذا ما أعتز به — أعداد وفيرة من بعض المجلات التي كان يصدرها الثوار العرب في مصر وفي داخل المغرب العربي — سرا — وعندي صور لأبطال التحرير في المغرب العربي بالقطع ليست عندهم ، وكذلك الحال بالنسبة لجبهة تحرير ليبيا التي كان يرأسها المجاهد الكبير بشير السعداوي .

وبين يدي الآن ، وأنا أكتب هذا المدخل نسخ من مجلة الهلال لسان واجهة الاتحاد العربي بتونس : كانت افتتاحية العدد الصادر في جماد الاولى ١٣٦٥ بعنوان : المغرب العربي يريد الانسلاخ عن فرنسا .

وكذلك أعداد من مجلة الجبل « عدد ١٧ جانفي ١٩٥٨ » تصدرت صفحته الأولى رسما لجبل مع الكلمة التالية : من جبالنا طلع صوت الأحرار : جيش التحرير الوطني الجزائري .

وضمن الذخيرة التي أملكها أو بمعنى أدق تملكها الأمة العربية ، والاسلامية عشرات من الرسائل بعث بها كثير من الاخوة العرب والمسلمين الى كثير ممن أرخت لهم : محمد فريد ، أمين الرافعي وغيرهما .

كما أنني وأنا أكتب سنوات ما قبل الثورة وأنشر بعض أجزائها ، كنت أتلقى العديد من رسائل الاخوة العرب ، يعلقون فيها على ما أكتب ، مشجعين ، أو مصححين .

***

وكان في مقدمة هؤلاء الذين كانوا يوالوني برسائل التشجيع الأديب التونسي الكبير ، الحبيب شيبوب ، وأول رسالة وصلتني منه ، عندما تحدثت في أحد فصول سنوات ما قبل الثورة عن قيام حكومة اسماعيل صدقي بفرض حالة الطواريء في مصر حتى يفسد الاحتفال الاسلامي الكبير الذي دعا اليه حمد الباسل لتأبين الزعيم الليبي الكبير عمر المختار وكان قد فهم خطأ مما قلته أن من بين الذين أبنوا عمر المختار أحمد شوقي وخليل مطران وحافظ ابراهيم فبعث الحبيب شيبوب يسألني عن قصيدة شاعر النيل حافظ ابراهيم كما بعث الى في نفس الوقت بقصيدة للشاعر مصطفى حمام ، وهو يهاجم اسماعل صدقي ولم أكن قد عثرت على هذه القصيدة في الصحف المصرية .

***

على أنني أحب أن أؤكد على حقيقة هامة هي أنني ما تحيرت في حياتي في شيء قدر حيرتي في نقطة البدء في هذا الكتاب : فكرت في أن أبدأ بنهاية ثورة ١٩١٩ على أساس ، أنه بعد أن تنتهي ثورة ما بالنجاح ، أو بالفشل يبدأ الاعداد لثورة جديدة وذلك في البلدان الخاضعة للاحتلال الأجنبي في الغالب .

ووجدت أنه لكي يمكن التواصل بالفكر وبالأحداث مع القارىء لابد من أن أتحدث عن ثورة ١٩١٩ لأمهد للحديث عما أعقبها .

ولأن ثورة ١٩١٩ — في رأيي — قد تأخرت سبع سنين اذ كان من المفروض — من وجهة نظري الخاصة النابعة عن دراسات جادة ، وعميقة — أن تكون ثورة ١٩١٩ هي — فيما يتعلق بنقطة البداية — في عام ١٩١٢ على أساس أن الظروف كانت مهيأة في هذا العام — ١٩١٢ — لقيام ثورة جديدة وكانت الصحف الأجنبية — وخاصة الفرنسي منها — تتساءل في بدايات عام ١٩١٢ : متى تقوم الثورة في مصر ؟ .

ورأيت — ذات مرة — ان نبدأ كتابي بالحركة الوطنية التي قادها مصطفى كامل في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ، ولكنني وجدت أن الضرورة تقتضي قبل الكلام على الحركة الوطنية بقيادة مصطفى كامل شرح الظروف التي أدت الى قيام تلك الحركة .

وعبثا حاولت اقناع نفسي بأن ما كتبته من دراسات عن ثورة ١٨٨١ وعن الحركة الوطنية بقيادة مصطفى كامل وعن مقدمات ومعقبات ثورة ١٩١٩ ، وهي كلها جاهزة للنشر سوف تقوم بمهام التمهيد لكتابي الخاص بسنوات ما قبل الثورة (٢٣ يوليو ١٩٥٢) غير أن نفسي لم تقتنع نفسي بذلك ، اذ لابد أن يكون التمهيد للحديث عن سنوات ما قبل الثورة داخل كتابي عن تلك السنوات، حتى تكون الصورة متكاملة ، وحتى تكون الحلقات التاريخية متصلة في سنوات ما قبل الثورة ، فعندما نتحدث عن الأحزاب المصرية — مثلا — ولتلك الأحزاب خلفيات قديمة ، لابد للقارىء — قارىء سنوات ما قبل الثورة — أن يكون على معرفة بتلك الخلفيات أيضا .

***

كما أنني — مثلا — في سنوات ما قبل الثورة تحدثت عن العلاقات المصرية البريطانية التي تحددت رسميا بمعاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ ، وكان لابد من أن أعطي للقارىء جرعة كافية عن تلك العلاقات منذ بدايتها .

وأخيرا وبعد صراع فكري ونفسي قاس وعنيف ، تصالحت مع نفسي على أن تكون بداية سنوات ما قبل الثورة عام ١٩٣٠ بمجيء اسماعيل صدقي ، وتعطيله للدستور — دستور سنة ١٩٢٣ — وفرضه على الشعب دستورا آخر

هو دستور سنة ١٩٣٠ ، على أن أبدأ بتمهيد تاريخي مسهب ومطول تكون نقطة البداية فيه ثورة ١٨٨١ على أن أسبقه بعرض سريع عن علاقتي ببعض تلك الأحداث التاريخية الهامة منذ ١٨٨١ حتى ١٩٣٠ ، والشخصيات التاريخية التي قمت بدراستها ، وتوصلت الى معلومات ووثائق عنهـا ، لم تتح لغيري أو أعتقد أنها لم تتح لغيري وكذلك عن الشخصيات التاريخية التي كان لها دورها قبل عام ١٩٣٠ أو التي كان لها دورها قبل عام ١٩٣٠ واستمرت طيلة سنوات ما قبل الثورة أو استمرت في بعض تلك السنوات تؤثر في الحيـاة السياسية المصرية وتتأثر بها ، وأعتقد أنني قد وفقت فيما عرضته فيما سبق من صفحات ، ولا يتبقى لى من ذلك المدخل التمهيدى ، الذى قد يعتقد البعض أنه طال أكثر من اللازم ، الا الى أن أشير وفى ايجاز شديد الى بعض الأحداث البارزة في تاريخنا الحديث في الفترة من ١٨٨١ ، حتى ١٩٣٠ ويحتمل أن يكون لها آثارها المباشرة أو غير المباشرة على ما حدث في الفترة من ١٩٣٠ حتى يوليو ١٩٥٢ أو يمكن أن تفيد قارىء سنوات ما قبل الثورة ان لم تكن ذات آثار بارزة في أحداث سنوات ما قبل تلك الثورة .

***

وفيما يلي بايجاز شديد بعض تلك الأحداث والصور الهامة ، أو التي رأيت ــ والعذر اذا ما كان تقديري خاطئا ــ انها هامة .

● يقول بعض علماء الاجتماع ــ والعهدة عليهم فيما يقولونه ــ ان الثورات لا تقوم عادة الا في ظل حاكم ضعيف وقد كان توفيق باشا ــ نجل اسماعيل باشا الحاكم القوى الذى تحول في النهاية الى حاكم ضعيف بعد أن تآمرت عليه الدول الأوربية ــ من أضعف الولاة الذين حكموا مصر وبالرغم من أن بدايات توفيق باشا تميزت ــ بوجود شخصية دستورية ــ هي شخصية محمد شريف باشا ــ الا أن الظروف والملابسات التي ألمت بالسياسة المصرية وخاصة الظروف والملابسات الخارجية قد جعلت أمر الاصلاح الدستورى في مصر معقدا للغاية ، ولذلك لم يكد يستقر توفيق باشا في كرسيه ، أو يتوهم أنه استقر حتى تخلص من شريف ورأس بنفسه مجلس النظار بدلا من شريف باشا ، ثم عهد الى رياض باشا ، وهو من أضعف الشخصيات السياسية المصرية ومن أكثرها خنوعا لمن يملك قرار تعيينه أو يملك سلطة ابقائه في منصبه رغم أنه حاكم ادارى ممتاز : وتوالت الأحداث المؤسفة في مصر في أيام توفيق باشا من تنازل عن أرباح مصر في قناة السويس الى ازدياد التدخل الأجنبي في شئون مصر ...

● تولى توفيق باشا مهمته كخديو في ١٧ أغسطس ١٨٧٩ وكانت خميرة الثورة على النظام القائم قد بدأت تتشكل في السنوات الأخيرة من حكم

اسماعيل باشا ، بالاضافة الى أن رياض باشا بتعنته فيما يتعلق بالشعب ، وبضعفه فيما يتعلق بالقوى الأجنبية والخديو ، قد أسرف في معاداته للمعارضة فأغلق بعض الصحف وأنذر البعض الآخر .

وكانت الصحف المعارضة ـ فيما يقول أستاذنا عبد الرحمن الرافعي ـ وما كانت تبثه في الأفكار من روح التبرم بنظام الحكم والتطلع الى الحرية والدستور وما لقيته من الاضطهاد من بين الأسباب الممهدة للثورة والمحرضة عليهــا .

★★★

● يخطيء الكثيرون عندما يتصورون أن الحزب الوطني لم ينشأ الا في عام ١٩٠٧ وعلى يد مصطفى كامل بينما الحقيقة أن الحزب الوطني قد أنشيء في ٤ نوفمبر ١٨٧٩ ، ونشر منشئوه أول بيان سياسى لهم وحاول الخديوى ـ كما يقول جون نينيه الذى عاصر الثورة ـ أن يعرف أسماء الموقعين على ذلك البيان فلم يستطع ، بينما كان شريف باشا واسماعيل راغب باشا وعمر لطفى باشا وسلطان باشا من قيادات ذلك الحزب الذين كان لهم دور في اعداد البيان ونشره وانشاء الحزب .

★★★

أما عرابى باشا فيقول عن الحزب الوطني أنه تألف من لفيف من العظماء والكبراء والنبهاء وأنه كان في البداية سريا وكان مركزه مدينة حلوان وأن الحكومة قد بدأت تتعقب هذا الحزب الذى وجد بناؤه استجابة شعبية قوية وسريعة .

★★★

● وهناك أسباب أخرى ساهمت في قيام الثورة في مقدمتها شدة وطأة الديون التى كان الخديو اسماعيل قد اقترضها وتخصيص نصف موارد الميزانية لسداد فوائد الديون وسيطرة رأس المال الأجنبى على الموارد الاقتصادية في مصر ، وكذلك انقاص عدد الجيش المصرى توفيرا للنفقات الأمر الذى أدى الى انضمام الجيش الى الشعب في تذمره من الحكومة والحكام .

★★★

● فاذا أضفنا الى تلك الأسباب ظهور شخصية أحمد عرابى كزعيم فلاح وتصرفات وزير الحربية ـ وقتذاك ـ عثمان رفقى باشا ، تلك التصرفات الحمقاء التى أدت الى تفاقم الحالة وتجمع الضباط وأبرزهم ، عرابى وعبد العال حلمى وخضر خضر وعلى فهمى الديب ومحمد عبيد وعلى يوسف وقدرة هؤلاء الضباط

ـ بعد أن أقسموا اليمين على التضامن لما فيه خير الوطن ـ على التحرك ومقابلة رئيس النظار .

وما كان من أمر محاكمة الضباط الثلاثة عرابى وعلى فهمى وعبد العال حلمى أمام مجلس عسكرى وكذلك الهجوم على قصر النيل بقيادة محمد عبيد لاطلاق سراح الضباط الثلاثة .

***

● وفى مثل هذه الحالات التى تسبق الثورات يكون التنازل عادة من الحاكم دليلا على ضعفه وهذا الضعف يؤدى الى تقوية مراكز الثائرين ، فلم يكد يصدر القرار بعزل عثمان رفقى باشا وتعيين محمود سامى البارودى مكانه ـ وهو من المتشيعين للثورة ـ حتى كادت الكراسى تهتز من تحت الخديو وناظر النظار وانطلقت الثورة بعد تلك الخطوة انطلاقا هائلا تجلى فى اجتماع عرابى ببعض قناصل الدول الأجنبية فى مصر وارساله رسـائل الى البعض الآخر ، وكان ما لقيه البارون دى رنج قنصل فرنسا العام من تعضيد لمطالب الضباط وهو الأمر الذى أدى فيما بعد الى حدوث انشقاقات خطيرة بين الحكومة والضباط وتوالى بعض الأحداث الهامة الأخرى التى مهدت لواقعة عابدين فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ حيث ذهب الجيش بقيـادة عرابى الى عابدين وتمكن ـ عرابى ـ من فرض ارادته على الخديوى فكان تأليف وزارة شريف باشا فى ١٤ سبتمبر ١٨٨١ وعودة البارودى الى وزارة الحربية والبحرية .

وكان أن وصلت الحركة العرابية الى قمة مجدها .

***

● بدأ الحزب الوطنى يباشر عمله بصفة علنية وينشر برامجه فى بعض الصحف .

وقد رأى الحزب الوطنى فى بيان أذاعه بتاريخ أول يناير ١٨٨٢ الابقاء على الروابط الحاصلة بين الحكومة المصرية والباب العالى واتخاذ هذه الروابط ركنا يستند عليه فى عمله .

وأبدى الحزب أمله فى استخلاص المالية المصرية من أيدى أرباب الديون شيئا فشيئا .

ويعرب الحزب فى بيانه عن هويته « فهو حزب سياسى لا دينى . مؤلف من رجال مختلفى العقيدة والمذهب وأغلبيته مسلمون لأن تسعة أعشار المصريين من المسلمين وجميع النصارى واليهود وكل من يحرث أرض مصر ويتكلم بلغتها منضم اليه لا ينظر الى الاختلاف فى المعتقدات ويعـلم أن الجميع اخوان وأن

حقوقهم في السياسة والضرائب متساوية وهذا مسلم به عند أخص مشايخ الأزهر . الذين يقصدون هذا الحزب ويعتقدون أن الشريعة المحمدية الحقة تنهى عن البغضاء وتعتبر الناس في المعاملة سواء ، والمصريون لا يكرهون الأوربيين المقيمين بمصر من حيث كونهم أجانب أو نصارى واذا عاشروهم على أنهم مثلهم يخضعون لقوانين البلاد ويدفعون الضرائب كانوا أحب الناس اليهم .

***

● وتم انشاء مجلس للنواب بناء على عريضة وقعها ١٦٠٠ من وجوه البلاد وأعيانها وأجريت الانتخابات وتحدد يوم ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ لافتتاح مجلس النواب .

● كانت القاعة التي اجتمع فيها المجلس بديوان وزارة الأشغال (قاعة مجلس الشورى الآن) .

وخطب في الجلسة الأولى الخديو وسلطان باشا وشريف باشا ، وتألفت بالمجلس لجنة المدن برئاسة عبد السلام المويلحي ، لجنة الشرقية برئاسة أمين الشمسي ، لجنة الغربية ويرأسها محمد المنشاوي ، ولجنة الأقاليم الوسطى التي رأسها اسماعيل سليمان ، أما لجنة قبلي فقد رأسها محمود سليمان ، كما تألفت لجنة لوضع اللائحة الجديدة أي الدستور .

***

● قامت بعض الأزمات في وجه النظام الجديد بسبب تآمر فرنسا وانجلترا على وضع الدستور المصري ، وكانت تلك الأزمة في ٧ يناير ١٨٨٢ وحاولت الدولتان بمقتضى مذكرة مشتركة قدمها سير ادوارد مالت معتمد انجلترا في مصر والمسيو سفكنكس معتمد فرنسا في مصر الى الحكومة المصرية اعطاء الدولتين حق الوصاية على ما يجري في مصر . وأدى التدخل الفرنسي والانجليزي في شئون مصر ، الى وضع العقبات أمام النظام الجديد الأمر الذي دعا شريف باشا الى الاستقالة ودفع بالخديو الى قبوله تأليف وزارة عسكرية يرأسها محمود سامي البارودي وتولية عرابي باشا وزارة الحربية ، وبدأت الثورة تنتقل بتأليف تلك الوزارة من مرحلة الى مرحلة ، وصدر دستور ١٨٨٢ وسط تحفز من فرنسا وانجلترا وبدأ مجلس النواب يناقش مشروعات لتعميم التعليم في مصر قدمه عبد السلام المويلحي نائب القاهرة وحضر بجلسة ١٢ مارس ١٨٨٢ عبد الله باشا فكري ناظر المعارف لمناقشة المشروع ! واتجه الرأي في المجلس الى أن يساعد الأهالي الحكومة في انشاء بعض المدارس .

***

● استمرت الفتن الأجنبية ، واعتمد رؤوس تلك الفتن من الأجانب على بعض المصريين أو المتمصرين فكانت مؤامرة الضباط الشراكسة وكان تأليف مجلس عسكرى لمحاكمة هؤلاء وفي مقدمة المتهمين الفريق عثمان باشا رفقى ، ويوسف نجاتى (أميرالاى) وقد امتنع الخديو عن التصديق على الحكم وبدأ الخلاف بين الخديو والوزراء يأخذ أشكالا عنيفة .

ووصل الاسطول الانجليزى والاسطول الفرنسى الى ميناء الاسكندرية وكان للدولتين ـ فرنسا وانجلترا ـ مطالبهما وفى المقدمة اقالة أو استقالة وزارة البارودى وخروج عرابى من القطر المصرى وارسال على باشا فهمى وعبد العال حلمى الى داخل البلاد . واستقالت وزارة البارودى فى ٢٦ مايو ١٨٨٢ احتجاجا على مطالب الدولتين ، وقبلت الاستقالة واشتدت الأزمة وكانت مذبحة الاسكندرية فى ١١ يونيو ١٨٨٢ التى دبرها الانجليز والفرنسيون والخديو ورجالهم وتألفت وزارة اسماعيل راغب باشا فى ٢٠ يونيو ١٨٨٢ ، وضربت الاسكندرية فى ١١ يوليو ١٨٨٢ بقنابل الاسطول البريطانى ، البوارج انفنسبل ، سلطان ، مونارك ، الكسندرا ، تمرير ، ثيلوب ، الخ ، الخ .

★★★

● شهد جون نينيه عميد الجالية السويسرية فى مصر عملية ضرب الاسكندرية ووصفها فى كتابه « عرابى باشا » وكان من بين ما قاله : ومع ذلك فما كان أبدع هذا المنظر . منظر الرماة المصريين الذين كانوا قائمين على مدافعهم وهى مكشوفة فى العراء وكأنما هم فى استعراض حربى لا يرهبون الموت الذى يكتنفهم اذ لم يكن لهم دروع واقية ولا متاريس وكان معظم الحصون بلا ساتر ومع ذلك فهؤلاء الشجعان من أبناء النيل كنا نلمحهم وسط الدخان الكثيف كأنهم أروع الأبطال الذين سقطوا فى حومة الوغى ثم بعثوا ليكافحوا العدو من جديد ويستهدفون لنيران مدافعه .

وكان الأئمة يزورون الحصون ويشجعون المقاومة وقام الجميع بواجبهم من جند ورجال ونساء صغار وكبار ولم يكن ثمة أوسمة ولا مكافآت تستحث هؤلاء الفلاحين على أداء واجبهم بل ان عاطفة الوطنية والثورة على الفظائع التى نزلت بهم كانت تثير الحماسة فى صدورهم وهم أولئك الشجعان المجهولون الذى لم يفكر أحد فى آلامهم » .

★★★

● وحرقت الاسكندرية فى ١٢ يوليو ١٨٨٢ ، وانسحب العرابيون منها واحتلتها القوات البريطانية وهاجر أهلوها ، وعاد الخديو الى سراى رأس التين فى حماية القوات البريطانية وبدأ القتال بين الانجليز والجيش المصرى فى كفر

الدوار وفى السويس : وأحجم عرابى عن سد القناة بناء على تعهد من دليسبس بحماية القناة ، وتم احتلال بورسعيد والاسماعيلية ونفيشه وكانت الهزيمة المرة المنكرة فى موقعة التل الكبير (١٣ سبتمبر ١٨٨٢ بسبب الخيانة والرشوة ، وتخلى السلطان عن عرابى وأسباب أخرى يطول شرحها وكان أن استسلم قادة الثورة العرابية للجيش الانجليزى ودخلت القوات البريطانية العاصمة المصرية فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ وتولى تسليم القلعة على بك خنفس ذلك الخائن الذى فتح الطريق للقوات البريطانية فى موقعة التل الكبير .

***

وبدأت محاكمة العرابيين أمام محكمة عسكرية برئاسة محمد رءوف باشا وقضت المحكمة فى ١٣ ديسمبر ١٨٨٢ باعدام عرابى وكان فى ٧ ديسمبر قد حوكم - أمام نفس المحكمة - كل من طلبة عصمت وعبد العال حلمى ومحمود سامى البارودى وعلى فهمى الديب فحكمت عليهم بالاعدام وتلا رئيس المحكمة أمر الخديو بتعديل الحكم الى النفى المؤبد وفى ١٠ ديسمبر حوكم محمود سامى ويعقوب سامى فحكم عليهما أيضا بالاعدام مع تعديل الحكم الى المؤبد .

وفى ١٤ ديسمبر ١٨٨٢ - كما سبق أن ذكرنا - أصدر الخديو أمرا بمصادرة أملاك الزعماء السبعة المحكوم عليهم وأموالهم .

وفى ٢١ ديسمبر ١٨٨٢ أصدر أمرا آخر بتجريدهم من جميع الرتب والألقاب وعلامات الشرف التى كانوا حائزين ومحو أسمائهم محوا مؤبدا من سجلات ضباط الجيش المصرى .

***

● وحكم على كثير من زعماء الثورة وقادتها وضباطها وجنودها وفى المقدمة على الروبى (النفى الى مصوع) حسن موسى العقاد (النفى الى مصوع) عمر بك رحمى نفى ٣ سنوات الى سواكن تحت الملاحظة الخ الخ كما حكم على بعض الأعيان أحمد أباظة (الشرقية) وأحمد محمود (البحيرة) سعداوى الجبالى (الفيوم) أمين الشمسى (الشرقية) محمد جلال (المنيا) عمر محجوب (المنيا) ونفى الزعماء السبعة - فيما بعد الحكم عليهم - الى سيلان (سيرى لانكا) ولم يعد عرابى الى مصر الا فى أكتوبر ١٩٠١ .

وبذلك صفيت - رسميا - ثورة ١٨٨٢ التى سميت فى التاريخ بالثورة العرابية وان بقيت الى الأبد فى ضمير ووجدان الشعب المصرى .

● وبعد أن مات الخديو محمد توفيق باشا الذى حكم فى ظل الاحتلال البريطانى تولى بعده - كما سبق أن ذكرنا - الخديو عباس حلمى الثانى .

وقد سبق أن أشرنا الى مذكرات عباس حلمى الثـانى الذى تولى مسند الخديوية فى ابريل ١٨٩٢ وكانت قبل توليته السـلطة أزمة سميت بأزمة الفرمان حيث أرادت تركيا ـ دولة الخلافة الاسلامية ـ أن تسـاوم على صدور الفرمان الخاص بتولية عباس حلمى الثانى خديويا لمصر فرأت أن تتنازل مصر عن العقبة لتركيا وكانت تركيا قد أعادت العقبة لمصر فى أيام اسماعيل باشا ورخصت لها بوضع حاميات فى الوجه والمويلح ، وضبا والعقبة وكانت تركيا قد استردت الوجه وضبا والمويلح ووافق الخـديو على ذلك غير أن المندوب السلطانى الذى كان يحمل الفرمان ـ وقد وصل الى القاهرة فى ٤ ابريل ١٨٩٢ ـ كان يريد أن تتنازل مصر عن شبه جزيرة سيناء كلها وتم تسوية الأزمة وتلى الفرمان فى ١٤ ابريل ١٨٩٢ فى سراى عابدين ثم قامت ازمة اقالة الخـديو لوزارة مصطفى فهمى باشا وتشكيل حسين فخرى باشا للوزارة الجديدة ، غير أن اللورد كرومر انتصر اذ أجبر الخديو على أن يشكل رياض باشا الوزارة وكان موقف الخديو الشاب ـ يومئذ ـ موقفا مشرفا فالتف الشعب حوله لأنه استعمل حقـه ، وكانت أزمة الحدود عندما أبدى الخديو بعض ملاحظـات على نظـام الجيش ، منددا بهذا النظام ـ وكان ذلك فى ١٨ يناير ١٨٩٤ الأمر الذى أغضب كتشنر وأجبر الخديو على أن يتراجع ويشكر سردار الجيش ويمتدح الضـباط الانجليز ، ثم تولى مصطفى فهمى باشا الوزارة التى بقيت فى الحكم من نوفمبر ١٨٩٥ حتى نوفمبر ١٩٠٨ وكان لسقوطها فيما بعد رنة فرح شديدة .

★★★

● وفى بداية عهد الخديو عباس حلمى حدث تمرد فى الجيش المصرى فى يناير ١٩٠٠ وسجن الضباط المتمردون وتم طرد سبعة منهم الأمر الذى أكد لانجلترا أن بذور الثورة فى الجيش المصرى ، لم تمت بهزيمة الثورة العرابية ، والضباط الذين طردوا من الجيش هم : اليوزباشى محمـود أفنـدى مختـار واليوزباشى حسن لبيب والملازمون الأول : مصطفى لطفى وصالح زكى ومحمد توفيق يوسف والملازمان (الثانيان) عبد الحميد شكرى وادريس عبد الله وقد أحيل فى تلك القضـية اليوزباشى محمود حلمى الى المعـاش ، كما أحيل الملازم ثان أحمد شاكر الى الاستيداع .

وفى عهد الخديو عباس حلمى وقعت أشأم معاهدة مصرية انجليزية تلك هى معاهدة ١٨٩٩ التى شطرت الوادى وكرست انفصال السودان عن مصر وانفصال مصر عن السودان (١٩ يناير ١٨٩٩ ووقعها كرومر ، وبطرس غالى) .

★★★

● تميزت السنوات الأولى من حكم الخديو عباس حلمى بتوطيد العلاقة بين الخديو الشاب ومصطفى كامل وقد ظلت تلك العلاقة بين مد وجزر من

١٨٩٨ حتى أكتوبر ١٩٠٤ حيث قطع مصطفى كامل علاقته بالخديو بخطاب شهير أرسله الى الخديو فى ٢٤ أكتوبر ١٩٠٤ سمى بخطاب القطيعة أكد فيه مصطفى كامل أن الحالة السياسية الحاضرة تقضى علي — مصطفى كامل — أن أكون بعيدا عن فخامتكم وأن أتحمل وحدى مسئولية الخطة التى أتبعها نحو الاحتلال والمحتلين منعا لتكدير خاطركم الشريف ودفعا لما عساه يقع من الخلاف والنزاع » : وفى اللواء ٢٧ مايو ١٩٠٧ كرر مصطفى كامل ما كتبه وأذاعه مرارا من عدم وجود علاقة بين الخديو والحركة الوطنية : قلنا — مصطفى كامل — ، أن سمو الأمير بعيد عن الحركة الوطنية وأن المجاهدين ضد الاحتلال مستقلون عن سموه كل الاستقلال فهو ان قال كلمة فى صالح الحركة الوطنية خدم نفسه وعرشه واستمال أمته اليه وأن عمل ضدها أضر بنفسه وبعرشه ونفر أمته منه ولكنه فى الحالتين لا يستطيع الاضرار بهذه النهضة لأنها نهضة المطالبين بالحياة والوجود ومثل هذه النهضة لا يضرها انسان مهما كان قويا عظيما .

وفى ٢٣ أغسطس ١٩٠٧ بعث بخطاب الى محمد فريد من نيوهوزن يطلب فيه « عدم تفخيم الخديو فى كتاباته فقد علمت عنه ما لا يسر ولابد أن تضره السياسة ذات الوجهين ضررا كبيرا وكلما كان عمل الوطنيين بعيدا عنه كان الفلاح مؤكدا » .

***

● فى عام ١٩٠٠ أصدر مصطفى كامل اللواء التى أصبحت فور صدورها لسان حال الحركة الوطنية المصرية ، وكان مصطفى كامل يسمى — كما قلنا سابقا — بمصطفى كامل اللواء ، وأسس فى نوفمبر ١٩٠٦ شركة مساهمة لاصدار جريدتين احداهما بالفرنسية « ليتندار اجيبسيان » وأخرى بالانجليزية « ذى اجيبشيان استاندرد » واختار لتحريرهما مجموعة من خيرة الكتاب الأوروبيين ، ظهرت ليتندار يوم ٢ مارس ١٩٠٧ وظهرت اجيبشيان ستاندرد صبيحة ٣ مارس ١٩٠٧ كما أصدر مجلة اللواء وكان مصطفى كامل يهتم بشباب الصحفيين وقد أوفد — فى أكتوبر ١٩٠٧ بعثة لدراسة فن الصحافة :
أرسل سيد علي ، أحد محررى اللواء الى باريس ، وانتظم على نفقة صاحب اللواء فى سلك مدرستى العلوم السياسية والصحافة بباريس لمدة ثلاث سنوات .

***

● أنشأ مصطفى كامل الحزب الوطنى فى أكتوبر ١٩٠٧ رغم كراهيته للأحزاب عندما تكون البلاد محتلة بجيش أجنبى ، وقد عبر عن هذا المعنى فى رسالة بعث بها الى مدام جولييت آدم الكاتبة الفرنسية المعروفة بصداقتها ،

وحبها لمصر وللمصريين وعندما تأكد له أن الخديو شرع فى دفع الشيخ على يوسف لتأليف حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية وعندما تأكد له ــ لمصطفى كامل ــ أن الانجليز يحرضون بعض الأعيان ممن كانوا يطلقون على أنفسهم أصحاب المصالح الحقيقية فى البلاد على انشاء حزب الأمة بدأ يعلن عن تشكيل الحزب الوطنى وقد اجتمعت أول جمعية عمومية للحزب الوطنى فى ٢٧ ديسمبر ١٩٠٧ ، وكان مما قاله مصطفى كامل : اننا اذا دعونا الناس للدخول فى هذا الحزب لا ندعوهم باسم سلطة عالية أو حاكم نافذ الكلمة بل ندعوهم باسم وطنيتهم ٠٠ باسم شرفهم ٠٠ باسم حقوق وطنهم ، باسم كرامة الانسان ، باسم ذكريات آبائهم ، باسم مصالح أبنائهم وأحفادهم » وقد انتخب الحاضرون ــ بالاجماع ــ مصطفى كامل رئيسا للحزب مدى الحياة ، ووافق الحزب على لائحة الحزب ، مادة ثم صدقوا على نصهـا النهائى وانتخب الحاضرون اللجنة الادارية ثلاثين عضوا وهم : محمد فريد بك ، أحمد فائق باشا ، حسن حارس باشا ، سيد باشا شكرى ، على باشا واصف ، عمر بك أنيس ، فؤاد بك (باشا فيما بعد) سليم الحجازى ، ويصا واصف ، د٠ حسين يسرى محمود بك ، محرم رستم ، يوسف بك ذهنى ، على فهمى كامل ، على بك حشمت ، محمود بك حسيب ، عبد الحميد بك عمار ، محمد بك حافظ رمضان (باشا) شمس الدين حمودة بك ، اسماعيل بك لبيب ، محمد بك خلوصى ، محمد بك رشوان ، عبد الرءوف بك السيوفى ، يوسف بك حافظ ، ابراهيم بك حفظى ، عبد الله طلعت بك ، على بك لهيطة ، اسماعيل بك الملوانى ، محمد بك عبد اللطيف ، محمود بك فهمى حسين ، د٠ أحمد فهمى الجهينى ، تلك أسماء أول لجنة ادارية للحزب الوطنى ٠

★★★

● وفى ١١ يونيـو ١٩٠٦ وقعت حادثة دنشـواى وكانت كتيبـة من نحو ١٥٠ جنديا انجليزيا قد خرجت من القاهرة متجهة بطريق البر الى الاسكندرية ورغب خمسة من ضباطها فى صيد الحمام فى بلدة دنشواى ــ نقطة بوليس الشهداء ، مركز شبين الكوم ــ وقد حذرهم حسن على محفوظ من صيد الحمام ، والا أحرقت النيران أجرانهم ٠

وقد أصيبت أم محمد زوجة محمد عبد النبى كما أصيب الجرن من اطلاق النار ، وحدث احتكاك بين الضباط الانجليز وبين أهالى دنشواى وقتل الكابتن بول وجرح آخرون وثارت ثائرة جيش الاحتلال ونصبت محكمة مخصوصة ، برئاسة بطرس غالى باشا وزير الحقانية وعضوية مستر هيتر ، المستـشار القضائى والمستر بوند وكيل محكمة الاستئناف الأهلية والقائمقام لادلو القائم بأعمال المحاماة والقضاء بجيش الاحتلال وأحمـد فتحى زغلول (باشـا) رئيس محكمة مصر الابتدائية ، انعقدت المحكمة فى شـبين الكوم ٢٤ يونيو

١٩٠٦ وقضت في ٢٧ يونيو باعدام حسن علي محفوظ ، يوسف سليم ، السيد عيسى سالم ، محمد درويش زهران ، شنقا ، وبالأشغال المؤبدة على محمد عبد النبي وأحمد عبد العال محفوظ الخ .

***

● نفذ حكم المحكمة في ٢٨ يونيو ١٩٠٦ بطريقة وحشية بشعة وصفها أحمد حلمي المحرر الأول للواء اذ قال : (نصبت المشنقة وآلة الجلد وتم تنفيذ الحكم بقسوة وفظاعة ونفذ حكم الاعدام في المتهم الأول على مرأى ومسمع من أهله وذويه وبين صياح النساء ونواحهن وبقي معلقا ، بينما نفذ حكم الجلد في اثنين ، ثم شنق الثاني بنفس الطريقة وتلا عملية الشنق جلد اثنين آخرين ، كاد دمي - أحمد حلمي - يجمد في عروقي بعد تلك المناظر الفظيعة فلم أستطع الوقوف بعد الذي شاهدته فقفلت راجعا وركبت عربتي وبينما كان السائق يلهب خيولها بسوطه كنت أسمع صياح ذلك الرجل الذي يلهب الجلاد جسمه بسوطه ، الخ .. جعل مصطفى كامل من مذبحة دنشواى قضية دولية أثارت الرأى العام العالمي وسافر الى بريطانيا ذاتها ليفضح الاحتلال البريطاني ، كتب المقالات النارية العديدة في كبريات صحف العالم ، محاولا زلزلة عرش كرومر الى أن نجح في اجبار الاحتلال البريطاني على الافراج عن مسجوني دنشواى يوم ٧ يناير وبينما كانت جموعهم تهرع الى دار اللواء لتشكر مصطفى كامل على جهاده من أجل الافراج عنهم كان مصطفى كامل طريح الفراش في مرضه الأخير ، حيث وافاه أجله المحتوم في يوم ١٠ فبراير ١٩٠٨ .

***

● وحتى تكون صورة الأحزاب المصرية مكتملة في أذهاننا لابد وأن نشير الى حزبي الأمة وحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية حتى لا نتهم بتحيزنا للحزب الوطني حزب الأغلبية الشعبية قبل ثورة ١٩١٩ وقبل تشكيل الوفد برئاسة سعد زغلول .

وهناك ظاهرة لابد من الاشارة اليها وهي أن الصحف المصرية الكبيرة قد تحولت الى أحزاب وبدلا من أن تكون الصحيفة هي لسان حال الحزب بعد انشائه كانت الصحيفة هي الأساس ، ومنها ينطلق الحزب : الحزب الوطني مثلا انطلق من جريدة اللواء ، وجريدة المؤيد . هي التي انطلق منها حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية . أما حزب الأمة فقد انبثق عن جريدة الجريدة وكانت حادثة طابا من الأسباب التي دعت الى اصدار الجريدة ، اذ انحاز قطاع من الرأى العام في ذلك الوقت ، الى جانب الانجليز ، وانحاز قطاع آخر من الرأى العام الى تركيا فكان لابد - كما يؤكد د. هيكل - من اصدار جريدة « الجريدة » ويرى الاستاذ أحمد زكريا الشلق أن فكرة اصدار الجريدة فكرة قديمة جالت - كما

يقول الشيخ رشيد رضا ـ فى ذهن الامام محمد عبده ، وقد صدر العدد الأول منها فى ٩ مارس ١٩٠٧ ٠

★★★

وكان الاجتماع الأول للجريدة فى منزل محمود سليمان باشا بتاريخ ٢٣ يونيو ١٩٠٦ حيث قرر المجتمعون تأسيس شركة خاصة الغرض منها انشاء مطبعة وجريدة مصرية تدافع عن مصالح البلاد وقد اختار المجتمعون من بينهم محمود سليمان باشا وحسن عبد الرازق باشا وابراهيم سعيد باشا واسماعيل أباظة باشا وباسيلى تادرس باشا وأحمد يحيى باشا وابراهيم مراد باشا وطلبة سعودى ومحمود عبد الغفار وعمر سلطان ، لوضع قانون لهذه الشركة واختصاص مجلس ادارتها وجمعيتها العمومية الخ وقد بلغ عدد أعضاء الجمعية وقت صدور الجريدة ١٠٧ أعضاء بالاضافة الى الرئيس محمود سليمان باشا ونائبه حسن عبد الرازق باشا وتم تعيين لطفى السيد مديرا لها وقد صدرت الجريدة قبل انشاء الحزب ولكن الراجح أن الحزب كان مشكلا قبل اصدار الجريدة ولكنه لم يعلن عن نفسه الا بعد صدور الجريدة ، ويؤكد هذا المعنى ابراهيم الهلباوى أحد كبار مؤسسى الحزب والجريدة وبينما كانت الجمعية العمومية لشركة الجريدة منعقدة فى صباح ٢١ سبتمبر ١٩٠٧ ـ على ما يروى الاستاذ أحمد سليمان الشلق ، افتتح حسن باشا عبد الرازق الجلسة واعتذر محمود باشا سليمان عن عدم الحضور لأسباب صحية وأعلن حسن باشا فى خطبة طويلة تسمية جمعيتهم السياسية بحزب الأمة ، واختير محمود باشا سليمان رئيسا للحزب وحسن باشا عبد الرازق وعلى شعراوى وكيلين له واختير أحمد لطفى السيد سكرتيرا عاما واتخذ الحزب القاعة الكبرى بادارة الجريدة مقرا لاجتماعاته واتخذ الحزب الجريدة لسانا له ،فدعت الناس الى الدخول فى هذا الحزب وذكرت أن باب الدخول مفتوح لكل من يلجه وأعضاءه هم غالبية رؤساء العائلات ، ويستقبلون بصدر رحب كل من ينضم الى حزبهم الرشيد ٠

★★★

ولم يشترط الحزب فيمن ينضم اليه الا أن يكون مصرى الجنسية ٠

وكان للحزب ناد يسمى نادى حزب الأمة يعقد به ما سمى بالسمر السياسى وقد احتفل فى ١٧ مايو ١٩٠٨ بافتتاح ذلك النادى وألقى أحمد لطفى السيد خطبة بعنوان : الحالة الحاضرة ٠

★★★

وكان من بين أهداف الجريدة خلق رأى عام صحيح فى مصر وذلك بأن

يضع أمام الجمهور يوما بيوم حسابا لكافة الأمور التى فى صالحه ويبحث القرارات الادارية وأعمال الحكومة بتعقل ويقدر الانتقادات والاقتراحات ويشرحها للناس ، ويقيم جهازا لنشر تقارير كاملة عن القضايا ذات الطبيعية الجذابة وهذا غير معروف فى مصر ، أما خطة الحزب — كما أسميت وقتذاك فكانت : أن نقصد بسعينا وأموالنا ونصائحنا حركة التعليم العام والمشرعات التى تساعد على تحقيق رغائبنا من التقدم والمدنية وأن نوجه همنا ونصرف قوانا للحصول على حقنا الطبيعى وهو الاشتراك مع الحكومة فى وضع القوانين والمشروعات العامة وذلك بالسعى فى توسيع اختصاصات مجالس المديريات ومجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، حتى يكون لنا رأى معدود فى القوانين التى نعامل بهـــا كقوانين المحاكم الأهلية والادارة والرى ونحوها حتى نصل بالتدريج الى المجلس النيابى الذى يوافق حالتنا السياسية • وأن نواصل السعى ولا ندع فرصـــة تفوتنا فى مساعدة نهضة التعليم حتى يصبح موافقا لرغائبنا موصلا الى مقاصدنا فيكون فى مدارس الحكومة الابتدائية مجانيا واجباريا •

★★★

● ولم تشر خطة الحزب الى العلاقة القائمة أو التى يجب أن تقوم بين مصر وبريطانيا دولة الاحتلال ، وكان الحزب يرفع — منذ البداية — شعار التدرج لأنه بذلك التدرج ، يختلف مع الحزب الوطنى الذى عرف عنه وقتذاك التطرف وقد أطلق على حزب الأمة حزب أصحاب المصالح الحقيقية ، وكان الرأى العام فى مجموعه يعارض قيام هذا الحزب وينظر اليه مجموع الشعب على أنه حزب السلطة البريطانية •

★★★

وقد ارتبط موقفه — أحمد سليمان الشلق — من السلطتين ، الشرعية والفعلية بمدى اتفاقهما واختلافهما الأمر الذى أثر بشكل مباشر فى مسلك الحزب ان لم يكن فى حجمه وتكوينه — ففى فترة بقائه عادى الخديو عباس حلمى عداءه للطبقة التركية حيث استغل الخديو فرصة وفاقه مع جورست — المعتمد البريطانى فى مصر — ليبطش بالحزب ، أما موقف الحزب من الاحتلال وممثله فقد كان موقفا معتدلا مما قد لا يتطلبه الموقف الوطنى عادة على الرغم من أن جورست لم يكن بوفاقه معتدلا تجاه الأحزاب المصرية وعلى الرغم من استنكار كتشنر واحتقاره للأحزاب المصرية عموما ، واذا كان الحزب قد اعتبر نفسه صمام أمان للحركة الوطنية وأن بوسعه باعتداله كبح جماحها ، فان ذلك لم يفـــد الحركة الوطنية بشكل عملى أو مؤثر ، كما أنه احقاقا ، للحق ، لم يدفع بالحزب الى معسكر خصوم الحركة الوطنية وان بدا أحيانا كذلك بل لقـــد قام الحزب بدوره بشكل عام فى اطار الحركة الوطنية المصرية بأموال أعيانه وبعقول مثقفيه

ولم يشب حركته السياسية الا تغليب المصالح الطبقية على المصلحة العامة وفي المجال الفكري ـ أحمد سليمان الشلق ـ استطاع كتاب الحزب عن طريق ايمانهم بأهمية الفكر الأوروبي بالنسبة لمصر أن يقدموا العديد من الترجمات لمنجزات الفكر في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية مساهمين بذلك في قضية تحديث مصر وقد تطور دورهم فيما بعد للدعوة الى تنمية الروح المصرية تأكيدا لمعنى القومية ، ولعبوا دورا غير منكور في احداث التحول نحو تبلور كامل لفكرتنا كما ربطوا بين الاقتصاد والسياسة وعرضوا لنظرية الحرية الاقتصادية أو الاقتصاد الحر ٠

★★★

● أما حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية الذى ألفه الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد وأحد أبرز رجال الخديو عباس حلمى الثانى فقد كان انشاؤه فى أبريل ١٩٠٧ وقد أعلن صاحب المؤيد عن حزبه فى جريدة المؤيد وكانت مبادئه : تأييد السلطة الخديوية فيما منحتها الفرمانات الشاهانية لاستقلال مصر الادارى ، والاعتماد على الوعود والتصريحات التى أعلنتها بريطانيا العظمى عند احتلالها القطر المصرى ومطالبتها بتحقيق تلك الوعود ٠

وكذلك المطالبة بمجلس نيابى مصرى يكون تام السلطة فيما يتعلق بالمصريين والمصالح المصرية ٠

وأن يكون التعليم الابتدائى عاما ومجانا ٠

وأن تكون اللغة العربية لغة التعليم فى المدارس المصرية ٠

وأن تعطى الوظائف فى المصالح المصرية للوطنيين بمقتضى الكفاءة والاستحقاق مع تقليل عدد الأجانب بقدر الامكان حتى يتأتى للمصريين أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم فيما بعد ٠

وأن تكون محاكمة الأجانب جنائيا أمام المحاكم المختلطة ، كما هم يتقاضون اليوم فى الحقوق المدنية والتجارية والمخالفات وذلك الى أن يتم توحيد المحاكم المصرية لجميع سكانها لأعظم مبدأ فى اقامة العدل بين سكان البلد الواحد ، وهو المساواة أمام القانون ٠

★★★

● وقد نص القانون الأساسى لحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية أنه لا يجوز له خلط الدين بالسياسة ترويجا لها ولكن له الحق فى ابداء رأيه فى « اهمال المصالح الدينية ونقدها بما يؤدى الى اصلاح ادارتها ، كعمل ضرورى للهيئة الاجتماعية » ٠

وقد اختير الشيخ ع يوسف لرئاسة الحزب وأحمد حشمت باشا وحسين رفقى باشا وكيلين للحزب ، كما اختير أحمـــد حافظ عوض ـ صاحب جريدة كوكب الشرق فيما بعد ـ مديرا للأعمال ومحمد مسعود ويوسف بك صديق أمينا للصندوق ومحمد حسن باشا ويعقوب صبرى بك ، وأحمد تيمور بك ، والسيد عبد الحميد البكرى والياس عوض والسيد أحمد على الحسينى ، والسيد أحمد رافع وخالد بك سعيد ومحمد سعيد عبد المنعم أعضاء ٠

***

● واجتمعت الجمعية العمومية للحزب فى يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٠٧ وافتتح الشيخ على اجتماع الجمعية بخطاب شامل استغرق ثلاث صـــفحات كاملة من الجريدة ٠

وقد جاء فى ذلك الخطاب : ان حزبكم هـــذا ليس كالأحزاب التى أعلن عن وجودها فى بلادكم فهو لم يظهر للوجود حتى تكون حقيقيا على طريقة الأحزاب السياسية فى البلاد التى نحذو حذوها ونحاول أن نبلغ شأوها فى المدنيـــة والارتقاء ٠

وفضلا عن هذا فان حزبكم يمتاز عن سواه بأن له أصدقاء كثيرين فى انجلترا ، يثق بهم ويثقون به : أولئك الذين يريدون أن يخدموا ٠ مجد بريطانيا العظمى باحترام كرامتها وحسن سمعتها خارج بلادها ، وهذه المزية تجعـــل علينا واجبا آخر وهو أن يكون الصدى الذى يسمع لحزبنا فى البلاد الخارجية وفى انجلترا على الخصوص قويا وسريعا حتى يخرق الأسماع الغاشية بقوة الحجة والبرهان ٠

***

بريطانيا وتصريحاتها منسوبة الى قائليها فكأن هذه الوعود شهود على الاحتلال
بريطانيا وتصريحاتها منسوبة الى قائليها فكأن هذه الوعود شهود على الاحتلال
الانجليزى وحجة عليه لا له ، وطالب بتحقيق تلك الوعود والوفاء بها ٠

وكان من الوعود التى ذكرها رئيس الحزب قول غلادستون رئيس الوزارة البريطانية فى خطبة له بمجلس العموم فى ١٤ يونيو ١٨٨٢ : ليس لبريطانيا العظمى أدنى مطمع فى مصر ، فلم تبعث اليها بالجند الا لاعادة الأمن وارجاع السلطة التى فقدها الخديو وهى عاقدة نيتها الأكيدة على أن تجعل الحكم النهائى فى المسألة المصرية للاتفاق الأوربى ٠

● وأشار ـ أيضا ـ الشيخ على يوسف زعيم حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية الى قول غلادستون فى منشور انتخـــابى له يوم ١٩٨٥/٩/١٨ ٠ « يجب على انجلترا أن تخرج من مصر عندما يقضى بذلك شرفها البريطانى » ٠

ونحن ـ غلادستون ـ لن نقبل مطلقا ما يشاع عنا من أن فى النية ضم القطر المصرى الى أملاكنا أو وضع حمايتنا عليه أو اطالة مقامنا فيه الى ما شاء الله ان السياسة الانجليزية فى مصر قائمة الآن على وهم ، فأحسن ما يجرى فى مثل هذه الحالة ، هو أن نضع حدا لتداخلنا فى هذا القطر » ، وعقب على يوسف على كل ذلك بقوله : اننـا نطالب بالجلاء ونعتمـد فى مطالبنـا بالجلاء على أسانيـد تاريخية ، وتقول صحيفة المؤيد ، ان زعيم الحزب حمل نفسه مشقة الاستيعاب التام لهذه الأسانيد حتى تكون شفيعا له أمام الجمهور فى اثار سياسة الاتفاق مع الانجليز فى حل القضية المصرية ولكى يدلهم على أن هذه السياسة زعيمة بحل هذه القضية التى لا تحتاج فى رأيه الى العنف ، كما يدعو الى ذلك حزب آخر فى البلاد هو الحزب الوطنى » ٠

***

● وقال على يوسف : يقولون لنا : من أنتم حتى تؤيدوا هذه السلطة فى البلاد ؟ (يريد سلطة الخديو) وأمام من تؤيدونها ؟ وجوابنا أننا من الأمة المصرية التى أيدت رأس العائلة الخديوية تأييدا كاملا يوم لم يكن مؤيدا له سواها : هذه الأمة التى عندما اغترت بقوتها وانحرفت عن سلطتها الشرعية بعض الانحراف أصبحت تلك السلطة الخديوية فى حاجة الى مؤيد آخر لهـا فكان الاحتلال الأجنبى الذى دخل بحجة تأييـدها ولا يزال يقـول انه باق لهـذا الغرض مع غيره من الأغراض ٠٠

***

● يقول أحمد شفيق باشا فى مذكراتى فى نصف قرن ، بعد تأليف الاحزاب الثلاثة : الحزب الوطنى ، الأمة ، الاصلاح على المبادىء الدستورية ـ اشتدت المنازعات بينها لا سيما بين الحزب الوطنى وحزب الاصـلاح وكانت جريدتا اللواء والمؤيد ميدانا لهذا النزاع الذى وصل فى كثير من الأحيان الى حد المهاترة والاتهامات الخطرة حتى لقد اتهمت المؤيد مصطفى كامل بأنه يقلد عرابى ٠

وقال مراسل التيمس البريطانية فى ٢٠ نوفمبر ١٩٠٧ : أن مصطفى كامل يطالب جلاء الانجليز عن مصر فى الحال وينتقد المحتلين ورجال الحكومة المصرية الحاضرة بلهجة عنيفة ، أما مناظره ـ الشيخ على يوسف ـ وهو أوفر منه حكمة وأكثر خوفا ونظرا فى سوء العواقب ـ فانه يرى الآن أو يتظاهر بأن مسألة الجلاء خارجة عن دائرة السياسة الممكن تنفيذها وينكر على زعيم المتطرفين وأنصـاره حدة لهجتهم » ٠



● كانت جنازة مصطفى كامل بعثا جديدا للحركة الوطنية وكان قاسم أمين خير من وصفها اذ ذاك في مذكراته :

١١ فبراير سنة ١٩٠٨ يوم الاحتفال بجنازة مصطفى كامل ، هي المرة الثانية التي رأيت فيها قلب مصر يخفق : المرة الأولى كان يوم تنفيذ حكم دنشواي أما في يوم الاحتفال بجنازة صاحب اللواء فقد ظهر ذلك الشعور ساطعا في قوة جماله وانفجر فرقعة هائلة سمع دويها في العاصمة ووصل صدى دويها جميع أنحاء البلاد .

ويمضي قاسم أمين قائلا :

هذا الاحساس الجديد : هذا المولود الحديث الذي خرج من أحشاء الأمة من دمها وأعصابها ، هو الأمل الذي يبتسم في وجوهنا البائسة هو الشعاع الذي يرسل حرارته الى قلوبنا الجامدة الباردة هو المستقبل » .

لقد اشترك في تلك الجنازة - كما قيل يومئذ - أكثر من ربع مليون مصري وهو رقم لم يسبق أن اجتمع من قبل - في مصر - في مكان واحد .

★★★

● وقد انتخب محمد فريد - في ١٤ فبراير ١٩٠٨ - رئيسا للحزب الوطني خلفا لمصطفى كامل ، وكان محمد فريد قد تصور أن خصومه قد نجحوا في احداث انشقاق في الحركة الوطنية وأنهم قد نجحوا في ايهام علي فهمي كامل شقيق مصطفى كامل أنه أحق بالرئاسة من محمد فريد وأنهم طبعوا بعض الأوراق الخاصة بتزكية علي فهمي كامل وقد عبر محمد فريد عن هذه الوساوس في مذكراته اذ قال : من يوم وفاة مصطفى كامل ابتدأ الخديو يدس دسائسه لانتخاب رئيس للحزب الوطني يكون طوع أمره ليستعمله في أموره الشخصية وليحارب به انجلترا فأرسل برجاله ، في الجنازة والمأتم ونفس الشيخ علي يوسف عدو مصطفى كامل والمنافس الوحيد له في جميع أموره ، حضر المأتم والليالي الثلاث الأول وكذا عرفي باشا من رجاله وأخذوا يرشحون من يتوسمون فيهم الطاعة من الرؤساء مثل يوسف المويلحي أو عرفي باشا وبعضهم رشح الشيخ علي يوسف نفسه .

كل هذا لم يفد ، وفي يوم انعقاد الجمعية العمومية التي كنت قد « دعوت » اليها يوم ١٤ فبراير أي بعد الوفاة بأربعة أيام ، انتخبت بالاجماع .

يوم انتخابي - محمد فريد - طلبني الخديو بالتليفون فتوجهت الى سراي عابدين بعد الظهر فقابلني على الفور وعن نتيجة المقابلة كتب محمد فريد « رأى الرجل انني لست ممن يطيعون أوامره طاعة عمياء فأخذ يدس الدسائس لاستمالتي من ناحية ويظهر لي في التودد من ناحية أخرى .

● وفور انتخاب محمد فريد واضطلاعه بأعباء الزعامة جمع اللجنة الادارية للحزب الوطنى فى ٢٤ فبراير ١٩٠٨ وكان أول قراراتها المطالبة بالغاء المحكمة المخصوصة التى ألفت لمحاكمة من يتهم من المصريين بالاعتداء على ضباط وجنود جيش الاحتلال ، وأرسل محمد فريد رسالة الى الخديو يقول فيها : نلتمس من سموكم اصدار أمركم العالى بنسخ الدكريت الصادر فى ٢٥ فبراير سنة ١٨٩٥ بتشكيل المحكمة المخصوصة التى لها فى نفوس المصريين وقع أليم خصوصا بعد حادثة دنشواى المشئومة حتى يمحى ذكرها ويزول أثرها وقد شمل عفوكم الباقين من شهدائها على قيد الحياة فليكن فى الغائها بعض السلوى والعزاء لأقارب من شنقوا بناء على حكمها فتندمل كلومهم وترتاح نفوسهم ٠

★★★

● أسند محمد فريد رئاسة تحرير اللواء الى الشيخ عبد العزيز جاويش وكان قد تعرف اليه لأول مرة فى مؤتمر المستشرقين بمدينة الجزائر عام ١٩٠٥ وفى عهد الشيخ جاويش طفر اللواء طفرة هائلة وقد بقى الشيخ يرأس تحرير صحف الحزب الوطنى حتى فبراير ١٩١٢ ٠

وقد قدم الشيخ عبد العزيز الى المحاكمة فى يوليو ـ أغسطس ١٩٠٨ فيما سمى بقضية الكاملين بتهمة اهانة وزير الحربية ونشر أخبار مثيرة للخواطر وقد ترافع عن الشيخ أحمد لطفى السيد ، واسماعيل شيمى بك وقد قضت المحكمة ببراءة الشيخ من تهمة نشر الخبر الكاذب ومعاقبته بغرامة عشرين جنيها عن تهمة اهانة وزير الحربية وفى الاستئناف (٣٠ أغسطس) قضت المحكمة ببراءة الشيخ من التهمتين معا ٠ وكانت هذه القضية ـ كما يقول أستاذنا عبد الرحمن الرافعى ـ فوزا كبيرا للحركة الوطنية وجاء الحكم فيها ضربة شديدة أصابت هيبة الوزارة » ٠

وقدم الشيخ عبد العزيز جاويش الى المحاكمة مرة ثانية لأنه نشر مقالا عن « ذكرى دنشواى » وبرأت المحكمة الشيخ ولكنها غرمته ٤٠ جنيها وفى محكمة الجنح المستأنفة وكانت برياسة بوغوص بك أغوبيان قضت بتاريخ ٢٥ أغسطس ١٩١٩ بحبس الشيخ ثلاثة أشهر ٠

★★★

● وأعلن محمد فريد أكثر من مرة عن معارضته للخديو عباس حلمى وأبدى تخوفه من تكرار زيارات السير الدون جورست المعتمد البريطانى لقصر عابدين وكتب فى اللواء أكثر من مقالة معارضا فيها لسياسة التودد للاحتلال البريطانى التى سار عليها الخديو : وفى ١١ ابريل ١٩٠٨ كتب يقول ان الحركة الوطنية شديدة وتيارها قوى ولابد من نيل الأمة الدستور سواء رضيت بطانة الأمير أم لم ترض ٠

والأمة تعتقد أن الخديو عباس حلمى الثانى كان يمنيها بالدستور لغـاية مخصوصة ولما نالها قلب بها ظهر الجن » .

وعندما قال الخديو لمسيو جان رود مكاتب جريدة الطان الفرنسـية فى ابريل عام ١٩١٠ ان رجال الحزب الوطنى قوم متسرعون جدا أخروا تقدم البلاد الطبيعى بالحافهم فى مطالب سابقة لأوانها ومصحوبة بالضوضاء » ، رد فريد على ذلك الحديث بمقالين مؤكدا أن مبادىء الحزب الوطنى لم تتغير من عام ١٩٠٧ ولازال أساسها طلب الجلاء والدستور ولن نكل عن المطالبة بهما حتى ننالهما « الجلاء والدستور » ولا يقعدنا عن السير فى طريقنا ما نراه من مظاهر الوفاق بين الانجليز والخديو ولا ينتقص من هممنا رمينا بأننا متسرعون .

● وفى نوفمبر ١٩٠٨ استقالت وزارة مصـطفى فهمى باشا وتألفت وزارة بطرس غالى باشا بعد أن قضت فى الحـكم ثلاثة عشر عاما وسـميت « بأطول الوزارات عمرا - وبدأ الحزب الوطنى بقيـادة فريد ينظم المؤتمرات الوطنيـة فى داخل البـلاد كما راح - بقيـادة فريد أيضـا - ينشىء مدارس الشـعب الليـلية وفى تلك المدارس كان الشـعب يتعـلم بالمجان القراءة والكتابة ودروس الدين وتاريخ مصر والتاريخ الاسلامى وكان الشباب يتطوع للتدريس فى تلك المدارس التى أنشئت فى أقسام الخليفـة وبولاق وشـبرا والعباسية .

واهتم الحزب الوطنى بقيادة محمد فريد بانشاء النقابات العمالية وبالحركة التعاونية .

وكانت الحكومة قد خشيت من تنامى الحركة الوطنيـة فأعادت قانون المطبوعات فى مارس ١٩٠٩ ، واحتجت اللجنة الادارية للحزب الوطـنى على ذلك وسيرت المظاهرات الشعبية ، وقد قدم بعض الشباب الى المحاكمة بسبب تظاهرهم ضد قانون المطبوعات على النحو الذى سبق أن أشرنا اليه عنـدما تحدثنا عن أحمد حلمى .

★★★

● اهتمت الحركة الوطنية بقيادة محمد فريد بالدعاية للقضـية المصرية فنظمت مؤتمرا للشباب فى جنيف (سبتمبر ١٩٠٩) واشترك فى هـذا المؤتمر محمد فهمى وعلى الشمسى ومحمد لطفى جمعة وحلمى مسلم ، وعثمان فايد وقدمت فى هذا المؤتمر أبحاث عديدة : نظام الحكم فى مصر لمحمد فريد : نهضة الشرق ومصر للاستاذ محمد لطفى جمعة ، سياسة الانجليز فى مصر للاستاذ أحمد لطفى السيد : الحركة الوطنية ومستقبلها لتيودور روذستين ، السودان المصرى لمصطفى الشوربجى وقد قرر المؤتمر الاحتجاج على الاحتلال الانجليزى

والمطالبة بالجلاء والدستور كما اشترك محمد فريد فى مؤتمر السلام باستوكهلم (أغسطس ١٩١٠) .

***

وفى سبتمبر ١٩١٠ نظم الحزب الوطنى بقيادة فريد مؤتمرا هاما وخطيرا فى بروكسل بعد أن رفضت الحكومة الفرنسية عقده فى باريس مجاملة للاحتلال البريطانى وقد اشترك فى هذا المؤتمر العديد من زعماء العالم مثل كير هاردى زعيم حزب العمال فى بريطانيا وقد قرر المؤتمر عدم شرعية الاحتلال البريطانى وضرورة الجلاء العاجل عن مصر ووجوب رد الدستور الى مصر ، وبطلان اتفاقية السودان ووجوب الغاء قانون المطبوعات وقانون الاتفاقية الجنائية وقانون النفى الادارى وقد أفردت فى كتابى عن محمد فريد وكتابى عن أمين الرافعى صفحات عديدة من كل المؤتمرات الوطنية التى نظمها الحزب الوطنى أو اشترك فيها فى أوروبا وكان من بين ما قلته فى كتابى : محمد فريد ـ ذكريات ومذكرات : دعا محمد فريد قبل أن يدخل السجن الى تأسيس جمعية السلام العام فى وادى النيل يكون لها علاقة رسمية بمكتب السلام الدائم فى برن (سويسره) وقد تم تأليف الجمعية وانتخب فريد رئيسا لها .

***

وقد بدأ فريد يهيم بمؤتمرات السلام التى عقدت ١٧ مرة قبل أن تعقد مؤتمرها عام ١٩١٠ فى استوكهلم ، وكان محمد فريد أول مصرى يشترك فى تلك المؤتمرات وقد انتخب محمد فريد وكيلا لمؤتمر السلام الذى عقد فى صيف عام ١٩١٢ وفى عام ١٩١٣ (١٥ أغسطس) سافر من جنيف الى هولندا ومعه وفد مصرى واشترك فى مؤتمر السلام الذى عقد هناك وحضر أغلب الجلسات ولم يسمح له بالكلام فى القضية المصرية لأنه سبق أن تحدث عنها فى مؤتمر ١٩١٢ .

***

وفى عام ١٩١١ حوكم محمد فريد بدعوى « تحسين كتاب وطنيتى » للشيخ على الغاياتى ، وكان محمد فريد قد كتب مقدمة لهذا الكتاب عن الشعر ودوره فى تربية الأمم وقد أنهى محمد فريد المقدمة بقوله : فعلى حضرات الشعراء أن يقلعوا عن عادة وضع قصائد المديح فى أيام معلومة ومواسم معدودة وأن يستعملوا هذه المواهب الربانية فى خدمة الأمة وتربيتها بدل أن يصرفوها فى خدمة الأغنياء وتمليق الأمراء والتقرب الى الوزراء فالحكام زائلون والأمة باقية والسلام على من سمع ووعى ووفق لخدمة بلاده وسعى فان سعيه سوف يرى ثم يجزى الجزاء الأوفى .

وكان الشيخ عبد العزيز جاويش قد قدم للديوان أيضا وقد جاء فى ذلك الديوان قصائد بلغت درجة هائلة من العنف والثورة من بينها ـ مثلا ـ قول الغاياتى يصف ولاة مصر وقتذاك :

وولاة أقسموا أن يسجدوا كلما رام العدا منهم مراما

وعن الوزارة القائمة وقتذاك قال الغاياتى :

ألا ، يا مصر ان الوزارة نقمة ولا بلغت مما تروم مراما
تحاول أن تعدو علينا باثمها ولكن ستلقى دون ذاك آثاما
وزارة خداع أقامت بيننا يد الحاكمين الآثمين فقاما

وقول الغاياتى فى الخديو عباس حلمى الثانى :

ونيأس من آمالنا فيك كلما قضيت علينا أن نكون غضابا
وأرضيت أعداء البلاد وأهلها وأصليتنا بعد (الوفاق) عذابا

وقال فى ابراهيم الوردانى قاتل بطرس غالى :

هل خال ابراهيم عند وفاته أملا من الآمال دون حياته
حتى كأن الموت من رغباته ليكون فى الأحياء بعد مماته

★★★

وكانت المحاكمة أمام محكمة جنايات مصر (٢٣ يناير ١٩١١) برياسة المستر دلبروجلى وعضوية كل من أحمد ذو الفقار بك وأمين بك على ، وجلس فى كرسى النيابة محمد توفيق نسيم بك الذى رأس الوزارة بعد ثورة ١٩١٩ وقضت المحكمة بحبس محمد فريد ستة أشهر مع النفاذ وقام محمد فريد بتنفيذ الحكم وقضى فى السجن تلك المدة (من ٢٣ يناير ١٩١١ الى ١٧ يوليو ١٩١١) وقد رفض محمد فريد الوساطة التى شرع بعض الشخصيات الكبيرة كلطفى السيد القيام بها لاخراجه من السجن ، وزاره ـ فى سجنه ـ كولس باشا مدير مصلحة السجون طالبا منه تخفيف لهجته ، لا تغيير مبادئه ، وكان محمد فريد حازما فعندما قال له كولس باشا بعد أن رفض ما عرضه عليه كولس باشا : أنت اذن تريد قضاء الستة شهور فى السجن ، قال محمد فريد : نعم وأزيد عليها يوما ان أردتم » .

★★★

● ولما لم تتغير لهجة محمد فريد بعد خروجه من السجن ، بل ضاعف من حملاته على الاحتلال البريطانى رأت الحكومة أن تعيده الى السجن فاذا ما خرج منه أعيد اليه من جديد ، وقد بدأت النيابة التحقيق معه ، فى خطبته التى ألقاها فى المؤتمر الوطنى فى ٢٢ مارس ١٩١٢ ورفعت الدعوى العمومية

عليه ونظرت فى ٣٠ ابريل ١٩١٢ أمام محكمة الجنايات ذاتها برئاسة مستر دلبروجلى وعضوية محمد توفيق رفعت ، وعلى ذو الفقار وقضت بحبسه مع الشغل غيابيا ولكنه كان قد ترك مصر سرا فى ٢٦ مارس ١٩١٢ ، وكان اسماعيل لبيب بك قد قطع لنفسه تذكرة على الوابور الروسى الملكة أولجا ، وكان قد تقرر أيضا أن يتخلف اسماعيل لبيب ويحل محله محمد فريد ، لم يخبر محمد فريد أحدا سوى زوجته وقد طلب منها ألا تخبر الأولاد ولا أحدا من العائلة وأفهمتها ـ محمد فريد ـ ضرورة سفرى وبما أن الجرائد ستأتى فى الصباح وبها تفصيلات استجوابى أمام النيابة فلتحجزها حتى لا يطلع عليها الأولاد وبما أنها امرأة عاقلة وفاهمة خطر مركزى قبلت القضاء بالرضا وشجعتنى على السفر وتحمل مشاق النفى أولى من السجن • وبعد قيام السفينة دفعت أجرة السفر ولم أعلم القومسيير باسمى وأظنه هو ومن بالوابور لم يعرفوا اسمى ولما اقتربنا من بيريه ثغر اليونان بقيت بالسفينة لحين اقلاعها ولما وصلنا أزمير نزلت الى البر وبعثت بتلغراف للشيخ جاويش أخبره بحضورنا •

★★★

● واستمر محمد فريد فى كفاحه خارج مصر : حضر أول ما حضر مؤتمر السلام فى جنيف (سبتمبر ١٩١٢) وسافر الى السويد وبلجيكا ورأت الحكومة أن تضاعف من حملاتها ضد الصحف الوطنية فعطلت اللواء تعطيلا نهائيا فلما أصدر الحزب جريدة العلم ، عطلت العلم ، فأصدر الحزب الشعب ، وهكذا كانت الحكومة تصادر الصحف الوطنية وكان الحزب يصدر صحفا أخرى بأسماء أخرى ولكن لها نفس الطابع ونفس الطريقة فى الاخراج ونفس الكتاب وكانت وزارة محمد سعيد باشا قد استقالت وتلتها وزارة حسين رشدى باشا (ابريل ١٩١٤) وتوالت الأحزاب فى مصر الى أن أعلنت الحماية الانجليزية على مصر فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ وتم خلع الخديو عباس حلمى الثانى وتولية السلطان حسين كامل فى ١٩ ديسمبر ١٩١٤ وبدأت مصر تحت الحماية البريطانية مرحلة كانت من أقسى مراحل تاريخها •

★★★

● اضطهدت الحكومة الوطنية المصريين وشتتت شمل الحزب الوطنى وطاردت رجاله كما يقول أستاذنا الرافعى وضبطت أوراقه ودفاتره وسجلاته وشتتت كل أعضائه أو الذين اشتبهت بأنهم من أنصاره واعتقلت الكثيرين منهم فى سجن الاستئناف وفى معتقلات درب الجماميز وطره والجيزة وسيدى بشر وسجن الحدرة بالاسكندرية ونفت بعضهم الى مالطه وأوروبا فمن الذين أصابهم الاعتقال ـ كما يقول عبد الرحمن الرافعى ـ مع حفظ الألقاب ـ أحمد لطفى ، وعلى فهمى كامل وعبد الله طلعت وعبد اللطيف الصوفانى (وقد وضع تحت

المراقبة فى دمنهور) وكذلك عبد المقصود متولى ، محمد زكى على ، أحمد وفيق ، أمين الرافعى ، عبد الرحمن الرافعى ، مصطفى الشوربجى ، اسماعيل حافظ ، محمد فؤاد حمدى ، ابراهيم رياض ، د. عبد الحليم متولى ، د. عبد الفتاح يوسف ، أحمد رمضان زيان ، اليوزباشى حافظ محمود قبودان ، اليوزباشى أحمد حمودة ، فؤاد عثمان ، محمد الشافعى ، مصطفى حمدى ، يعقوب صبرى ، أحمد نبيه قبودان ، د. حسن نور الدين ، اسماعيل حسين ، الشيخ ابراهيم مرونى : وممن نفوا الى أوروبا د. نصر فريد ، عبد الغفار متولى ، محمد عوض ، محمود ابراهيم الدسوقى ، محمد عوض جبريل ، حامد العلايلى ، حامد المليجى ، سلامة الخولى ، على فهمى خليل ، الأمير العطار الخ الخ .

★★★

● عندما قرر السلطان حسين كامل ـ وكان قد تلقى السلطة بأمر الانجليز ـ زيارة مدرسة الحقوق فى ١٨ فبراير ١٩١٥ ، امتنع الطلاب عن تلقى الدروس ، وكانوا قد أذاعوا ـ فى اليوم السابق ـ أن والد زميل لهم قد توفى وأن الجنازة ستشيع فى الساعة التى كانت قد حددت لزيارة السلطان للمدرسة واعتبر الانجليز والسلطان هذا التغيب مظاهرة صامتة ضد الحماية البريطانية . وتقرر فصل ٥٤ طالبا من طلبة المدرسة من بينهم أحمد مرسى وصبرى أبو علم وأمين خليفة أبوزيد ويوسف الجندى وأحمد لطفى وأحمد والى الجندى ، ومحمد فكرى أباظة و . و . كما حرمت المدرسة من الامتحان ١٨ طالبا .

★★★

● أبدى الشعب غضبه على السلطان حسين فأطلق الرصاص عليه شاب يدعى محمد خليل تاجر خردوات بالمنصورة أثناء مرور موكبه بشارع عابدين ولم يصب السلطان بأذى وانما أصيبت عربته بثقوب بسيطة ومع ذلك حوكم القاتل أمام مجلس عسكرى بريطانى وقضى عليه بالاعدام ، ونفذ الحكم شنقا فى ٢٤ ابريل ١٩١٩ .

★★★

● فى ٢٩ يناير ١٩١٦ حدثت مظاهرة هى الأولى من نوعها : كانت قوات الاحتلال تجمع الرديف من الأرياف قهرا وكانت تسىء معاملتهم فاجتمع الألوف منهم فى ثكنات عين شمس وساروا فى شكل مظاهرة الى ميدان عابدين .

وتجددت المظاهرة فى اليوم التالى وحدث اصطدام بينهم وبين البوليس وأصيب من رجال الرديف عدد كبير باصابات بالغة وعندما اقتربت الحرب العالمية الأولى من نهايتها كان محمد فريد فى أوروبا يعانى الفاقة والمرض وكان زعماء الحزب الوطنى اما فى السجون واما فى المعتقلات واما فى المنفى

فى أوروبا وكان سعد زغلول الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية قد بدأ يعمل على تأليف جماعة ــ عبد الرحمن الرافعى ـ لرفع صوت مصر والمطالبة بحقوقها وكان الأمير عمر طوسون بدوره يعمل على تكتيل القوى الشعبية لمثل هذا الغرض وقيل ان حسين رشدى باشا نفسه قد جالت بذهنه تلك الفكرة وان كان لم يصدر عنه ــ عن حسين رشدى باشا ــ ما يؤكد هذا المعنى ٠

★★★

ولكن الذى لا جدال فيه ولا شك ، ان صاحب الفكرة الأولى فى تشكيل وفد مصرى ينوب عن البلاد فى التحدث باسمها هو الأمير عمر طوسون وخاصة أن سعد زغلول نفسه قد أكد ذلك ونسب الفضـــل فى تلك الفكرة الى عمر طوسون ٠

★★★

● وفى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ قابل سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى ــ وكانوا أعضاء فى الجمعية التشريعية ــ السير ريجنالد ونجت المعتمد البريطانى فى مصر للحديث معه فى مستقبل مصر بعد الحرب ونصح ونجت الزعماء الثلاثة بألا يتعجلوا وأن يكونوا متبصرين فى سـلوكهم فان المصريين فى الحقيقة لا ينظرون للعواقب البعيدة ، واستنكر سعد صدور هذا الكلام لأنه منتخب عن قسمين من أقسام القاهرة وكان انتخابه ــ كما قال ــ بمحض ارادة الرأى العام مع معارضة الحكومة واللورد كتشنر فى انتخابه وكذلك الأمر مع على شعراوى وعبد العزيز فهمى ٠

وقال ونجت : انه قبل الحرب كثيرا ما حصل من الحركات والكتابات من محمد فريد وأمثاله من الحزب الوطنى وكان ذلك بلا تعقل ولا روية فأضرت مصر ولم تنفعها وسأل ونجت ما هى أغراض المصريين ؟ وقال على شعراوى : اننا نريد أن نكون أصدقاء للانجليز صداقة الحر للحر لا العبد للحر ، واندهش ونجت قائلا : اذن أنتم تطلبون الاستقلال ٠

وقال سعد : ونحن له أهل ، وماذا ينقصنا ليكون لنا الاستقلال كباقى الأمم المستقلة ؟ ٠

وقال ونجت : ولكن الطفل اذا أعطى من الطعام أزيد من اللازم تخم ٠

★★★

وقال عبد العزز فهمى : نحن نطلب الاستقلال التام وقد ذكرتم جنابكم ان الحزب الوطنى أتى من الحركات والكتابات بما أضر ولم يفد فأقول لجنابكم ان الحزب الوطنى كان يطلب الاستقلال وكل البلد كانت تطلب الاستقلال وغاية

الأمر أن طريقة الطلب التى سار عليها الحزب الوطنى ربما فيها ما يؤخذ علينا وذلك راجع الى طبيعة الشبان فى كل جهة فلازال الاعتراض الوارد على طريقة الحزب الوطنى فى تنفيذ مبدئه الأساسى الذى هو مبدأ كل الأمم وهو الاستقلال العام فان جماعة من الشيوخ الذين لا يظن فيهم التطرف فى الاجراءات أسسوا حزب الأمة وأنشأوا صحيفة الجريدة وكان مقصدهم الاستقلال التام وطريقتهم أخف فى الحدة من طريقة الحزب الوطنى وذلك معروف للجميع والغرض منه خدمة نفس المبدأ المشترك بطريقة تمنع الاعتراض ونحن فى طلبنا الاستقلال التام لسنا مبالغين فيه فان أمتنا أرقى من البلغار والصرب والجبل الاسود ممن نالوا الاستقلال قديما وحديثا .

★★★

وينتهى الحوار بعد أن يعرض سعد زغلول تحالفا مع بريطانيا « ونعطى ضمانة معقولة على عدم تمكين أى دولة من استقلالنا والمساس بمصلحة انجلترا فنعطيها ضمانة فى طريقها للهند وهى قناة السويس بأن تجعل لها دون غيرها حق احتلالها عند الاقتضاء بل نحالفها على غيرها ونقـدم لها عنـد الاقتضاء ما تستلزمه المحالفة من الجنود » ، ينتهى الحوار بأن يعتبر ونجت « المحادثات بينهم غير رسمية بل بصفة حبية ، فانى ـ ونجت ـ لا أعرف شيئا عن أفكار الحكومة البريطانية فى هذا الصدد » .

★★★

● ويتألف الوفد المصرى بعد تلك المقابلة برياسة سعد زغلول وعضوية على شعراوى ، عبد العزيز فهمى ، محمد محمود باشا ، أحمد لطفى السيد ، عبد اللطيف المكباتى ، محمـد على علوبة ، وكلهم كانوا أعضـاء فى الجمعية التشريعية ، عدا محمد محمود ولطفى السيد .

وكانت مهمة الوفد كما فى المادة الثانية من قانونه السعى بالطرق السلمية المشروعة حينما وجدوا للسعى سبيلا الى استقلال مصر استقلالا تاما . كان ذلك فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ثم تم اضافة مصطفى النحاس وحافظ عفيفى بناء على قرار من الوفد وليس بناء على رغبتهما باعتبارهما يمثلان الحزب الوطنى كما قرر الوفد ضم حمد الباسل ، اسماعيل صدقى ، محمود أبو النصر ، سينوت حنا ، جورج خياط ، واصف غالى ، حسين واصف ، عبد الخالق مدكور وطلب الوفد فى ٢٠ نوفمبر ١٩١٨ الترخيص له بالسفر وكان سعد باشا قد طلب الى قيادة الجيش الانجليزى جواز سفر له ، ولأعضاء الوفد للسفر الى انجلترا وردت السلطة العسكرية بأن الطلب سينظر ثم أجابت ـ بعد استعجاله الطلب ـ أنه قد عرضت صعوبات تمنع اجابة الطـلب فى الوقت الحاضر ومتى زالت تلك الصعوبات تبادر السلطة العسـكرية باعطاء سعد وصـحبه الجوازات التى

يطلبونها · وبدأ الوفد اجتماعاته . وكان أول اجتماع له فى منزل حمد الباسل باشـــا ·

واشتدت قوة الحركة الوطنية التى حركها تأليف الوفد المصرى وكانت وزارة حسين رشدى باشا قد استقالت ، ورفض السلطان فؤاد تلك الاستقالة ولكن رشدى باشا أصر على الاستقالة فى ٢٣ ديسمبر ١٩١٨ ولم تقبل الاستقالة الا فى أول مارس ١٩١٩ بعد أن اندلعت الثورة فى ٩ مارس ، ١٩١٩ اثر اعتقال سعد وصحبه !

★★★

● كانت بداية الثورة فى يوم الأحد ٩ مارس بمظاهرات سلمية قام بها الطلبة وكان طلبة مدرسة الحقوق أول من تظاهروا وأضربوا عن الدراسة وبعد الطلبة كان العمال فالموظفون فالسيدات الى أن عمت الثورة كل أنحاء البـلاد وشملت كل فئات الشعب وطبقاته ، وفشلت سياسة القمع التى لجأت اليهـــا السلطات البريطانية للقضاء على الثورة فعمدت الى محاولة احتوائها ، أفرجت عن سعد وصحبه فى ٧ ابريل ١٩١٩ ، ألف حسين رشدى باشا وزارته الرابعة، سافر الوفد المصرى الى باريس ، استمرت الثورة عاد رشدى باشا الى الاستقالة فى ٢١ ابريل ١٩١٩ ، رخص لوكلاء الوزارات سلطة الوزراء ، ألف محمد سعيد باشا وزارته فى ٢١ مايو ١٩١٩ ، تزوج السلطان فؤاد فى ٢٤ مايو ١٩١٩ من كريمة عبد الرحيم صبرى باشا ، بدأ الافراج عن بعض المعتقلين ، مات محمد فريد فى ١٥ نوفمبر ١٩١٩ ، عجزت الأحزاب بما فيها الوفد المصرى عن اعادة رفاته وكان قد دفن فى ألمانيا ، مواطن مصرى عادى هو الحاج خليل عفيفى من الزقازيق تكفل وحده بنقل رفات الزعيم العظيم وتحمل فى سبيل ذلك الكثير من العقبات ، وخاصة فى ألمانيا التى كانت تمنع نقل رفات من دفنوا بهـــا خارج ألمانيا ·

★★★

● وكما هى عادة بريطانيا عندما تريد تمييع احدى القضايا ألفت الحكومة البريطانية لجنة برئاسة اللورد الفريد ملنر لمعرفة الأسباب التى دفعت الفلاح المصرى فى الحوادث الأخيرة الى الهياج وبحث التعديلات المرغوب فيهـــا لتوسيع اختصاصات الهيئات العامة والاصلاح الادارى وبحث مسألة التعليم ، ونظام البلديات و ·· و··

استقالت وزارة سعيد باشا ، ألف يوسف وهبة وزارته فى ٢١ نوفمبر ١٩١٩ استاء الأقباط من موقف رئيس الوزراء فى الكنيسة المرقسية الكبرى وبرئاسة القمص باسيلوس وكيل البطريركية ، احتج أكثر من ألفى شخص

حضروا ذلك الاجتماع لدى يوسف وهبه لقبوله الوزارة ، أعلنوا مقاطعتهم للجنة ملنر ، وصلت اللجنة فى ٧ ديسمبر ١٩١٩ ، قاطعها الشعب كله ، ولد فاروق ابن أحمد فؤاد فى ١١ فبراير ١٩٢٠ ، استقال وهبه باشا فى ١٩ مايو ١٩٢٠ ، ألف نسيم باشا وزارته الأولى ، اعتدى عليه شاب اسمه ابراهيم حسن مسعود محكمة عسكرية بريطانية حاكمت الشاب ، فقضت عليه بالاعدام ، ونفذ فيه الحكم ، سافر الوفد برئاسة سعد زغلول الى لندن لمفاوضة بريطانيا فى ٥ يونيو ١٩٢٠ قدم لورد ملنر مشروع معاهدة ثم قدم مشروعا آخر فى ١٨ أغسطس ١٩٢٠ رأى الوفد استشارة الأمة فى مشروع ملنر ، عارض الحزب الوطنى المشروع ، قطعت المفاوضات فى ٩ نوفمبر ١٩٢٠ ، سافر الوفد الى باريس فى ١١ نوفمبر ١٩٢٠ ، واستقال لورد ملنر لأنه اختلف مع زملائه الوزراء حول مشروعه وكان وزيرا للمستعمرات وكانت الاستقالة فى يناير ١٩٢١ خلفه ونستون تشرشل وقبل أن يتسلم تشرشل عمله فى وزارة المستعمرات اعتبر - فى تصريح له - مصر جزءا من الامبراطورية البريطانية المرنة !! ، أبلغت بريطانيا مصر فى ٢٦ فبراير ١٩٢١ أنها تعتبر الحماية البريطانية علاقة غير مرضية ، دعت بريطانيا مصر الى الدخول فى مفاوضات رسمية للوصول اذا أمكن الى ابدال الحماية بعلاقة تضمن المصالح الخصوصية التى لبريطانيا فى مصر وتمكنها من تقديم الضمانات الكافية للدول الأجنبية وتطابق الأمانى المشروعة لمصر والشعب المصرى .

***

● استقالت وزارة نسيم باشا فى ١٥ مارس ١٩٢١ وجاءت وزارة عدلى بعدها بيومين ، وافق عدلى على مبدأ المفاوضات وتبادل عدلى وسعد البرقيات ، عاد سعد زغلول الى مصر فى أواخر نوفمبر ١٩٢٠ .

● كان الانقسام الداخلى الذى ألم بالبلاد فى عام ١٩٢٠ أخطر انقسام شهدته مصر في تاريخها الحديث : لم يعد بمصر كلها الا السعديين ، الممالئين لسعد والعدليين ، الممالئين لعدلى : أغلبية الشعب مع سعد زغلول ، الحكومة بكل ثقلها ، وبعض الصفوة المختارة مع عدلى يكن : سعد يرى أنه ينبغى أن يقوم بالتفاوض مع الحكومة البريطانية بصفته زعيما للشعب ورئيسا للوفد ، عدلى يكن يرى أن الحكومة البريطانية لابد وأن تتفاوض مع الحكومة المصرية . سعد زغلول يقول : رئيس الوزارة المصرية ليس الا موظفا من موظفى الحكومة الانجليزية يسقط ويرتفع باشارة من المندوب السامى البريطانى ، فى مصر وهو بهذه الصفة لا يمكن أن يكون بازاء رئيسه وزير خارجية انجلترا حرا فى الكلام لأنه يدين له بمركزه فاذا طلبنا الرئاسة فاننا نطلبها ليكون الرئيس حرا مرتكزا على قوة لا تهاب شيئا مطلقا فى المطالبة بحقوقها وهو مؤيد من الأمة وليس مرتكزا على

قوة مستمدة من الحكومة الانجليزية لأن ذلك يجعل المفاوضة بين الأصل وفرعه أى بين الحكومة الانجليزية وبين الحكومة الانجليزية أيضا .

عدلى يكن باشا : يرى العكس تماما :

كان عدلى يكن باشا يرى أن التقاليد السياسية لا تسمح بحال من الأحوال أن يدخل رئيس الحكومة فى هيئة تقوم بالتفاوض ولا يكون هو رئيسها وخاصة اذا ما كان موضوع التفاوض يعد من القضايا الوطنية الكبرى .

والجدير بالذكر أن عدلى يكن باشا كان على ثقة مطلقة — وربما لعلاقاته بكثير من أقطاب الوفد — ان الخلاف بينه وبين سعد زغلول سوف يؤدى بالقطع الى انشقاق خطير داخل الوفد وأن أغلبية الوفد ستؤيده .

★★★

● وصف فكرى أباظة هذا الانقسام فى صفوف الشعب فأجاد الوصف اذ قال تحت عنوان سعديست وعدليست « الأهرام ٢٦ نوفمبر ١٩٢١م » .

عدليست ، سعديست نقطتان حديثتان تدلان على مذهبين حديثين ثم يقول : لو وليتمونى أيها المصريون زمامكم يوما واحدا لقبضت بكل احترام على سعد وعدلى ووضعت يدى على أموال الوفد الأصلى ، والوفد الرسمى وكونت من الأمة المتناثرة الأجزاء كتلة واحدة ، أقذف بها فى وجه الانجليز مثنى وثلاث ورباع الى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا ، فاما الى الصدر واما الى القبر » .

★★★

● حتى الوفد ذاته انقسم من داخله حول موضوع التفاوض مع بريطانيا . استقال فى ١٨ ابريل ١٩٢١ من أعضاء الوفد : على شعراوى ، وكانت أغلبية أعضاء الوفد قد رأت عدم اشتراك الوفد فى المفاوضة مع عدم محاربة الوزارة فيها ، ولكن سعد زغلول لم يكترث برأى الأغلبية ورأى اعلان عدم الثقة بالوزارة اعترض بعض أعضاء الوفد على عدم انصياع سعد لرأى الأغلبية وعبروا عن معارضتهم فى بيان نشروه فى الصحف وكان هؤلاء المعترضين : محمد محمود ، حمد الباسل ، عبد اللطيف المكباتى ، أحمد لطفى السيد ، محمد على علوبة ، وكان هؤلاء قد كتبوا رسالة الى سعد يسجلون فيها اعتراضهم على موقف سعد ، ونشروها فى الصحف وجاء فيها : تقول والأسف يملأ قلوبنا انكم — يا سعد — بغير اجازة الوفد ، بل خلافا لقراراته الصريحة ، قد أعلنتم عدم الثقة بالوزارة بعد أن أجابت كل طلباتكم ما عدا شرط رئاسة الوفد — وكان سعد قد اقترح أن يتولى هو رئاسة وفد المفاوضات ولكن عدلى يكن رئيس الحكومة

قد رفض هـذا الشرط وأصر على أن يكون رئيس الحكومة هو رئيس وفد المفاوضات ـ ان شرط رئاسة الوفد ـ هكذا قال الأعضاء المعترضون ـ نراه لا يقدم أو يؤخر شيئا فى حسن سير المفاوضات • فعلتم هـذا فلمـا عرض الأمر اليوم على الوفد ولم تقركم أكثريته على هـذه الخطة الضارة صممتم عليها واستهنتم برأى الأكثرية مرة أخرى وجئتم بمثال على ذلك فى معاملتكم لأحدنا ـ عبد اللطيف بك المكباتى ـ : لقاء هذا الاستئثار بالرأى والانفراد بالعمل لا يسعنا حقا وعدلا الا أن نبرأ الى الله والى الأمة من تبعة الشقاق الذى نجم عن انتحاء هذا النحو الذى طالما سعينا فى اتقائه الى حد مجاراة بعضنا اياكم على دخول الوفد فى المفاوضات خلافا لخطته ، والآن نرى أن الواجب الوطنى يقتضى علينا أن نعلن ثقتنا بوزارة نزلت على ارادة الأمة ووافقت الوفد على كل ما اشترط من حيث مهمة المفاوضين الرسميين والأغراض التى يجب عليهم السعى لبلوغها : والخطة المثلى ـ فى رأى هؤلاء المعترضين ـ عدم دخول الوفد فى المفاوضات الرسمية اتباعا لخطة الوفد منبهين الوزارة الى أن كل اتفاق ليس شاملا للتحفظات التى أبدتها الأمة والتى تتمسك بها كل التمسك لا يقابل من الجمعية الوطنيـة الا بالرفض الصريح » •

★★★

● رأى سعد زغلول أن ينشر على الرأى العام بيانا يوضح فيه وجهة نظره نشره فى ٢٩ ابريل عدد فيه ـ فى البيان ـ الوسائل التى اتبعها فى تلافى الخلاف وحسمه ابتعادا عن الانقسام واستبقاء للوحدة وكيف أنه لم ينجح ، أكد سعد فى بيانه أن الوفد الممثل للأمة بعد انفصال المخالفين عنه مسـتمر فى العمل ، رئيسه وأعضاؤه المتفقون فى المبـدأ والغـاية وفى تبـادل الثقة والاخلاص » ، وأطلق سعد على المعترضين على رأيه ، وصف المنشقين وقد شمل ذلك الوصف كما يقول الاستاذ عبد الرحمن الرافعى كل مخالف لسـعد فى رأيه • .

وقد انضم الى هؤلاء المنشـقين من أعضـاء الوفد : عبد العزيز فهمى ، ود• حافظ عفيفى وعبد الخالق مدكور ثم استقال من الوفد ـ فى يونيو ـ جورج خياط ، ولم يبق مع سعد من أعضاء الوفد الا مصطفى النحاس ، واصف غالى ، سينوت حنا ، ويصا واصف ، على ماهر وجندت المظاهرات للهتـاف بسقوط المنشقين ووقع بعض الجرحى وخاصة فى طنطا •

★★★

● شكل عدلى يكن وفد المفاوضات برئاسته وعضـوية حسين رشدى اسماعيل صدقى ، محمد شفيق ـ من أعضاء الوزارة وأحمـد طلعت رئيس محكمة الاستئناف وقتئذ ويوسف سليمان من الوزراء السابقين وكان ذلك فى

١٩ مايو ١٩٢١ ووصل الوفد الى لندن فى ١١ يوليو ١٩٢١ وأجرى مفاوضات مع اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية الذى قدم مشروعا أسوأ من مشروع لورد ملنر ٠

فشلت المفاوضات ، عاد عدلى يكن فى ٥ ديسمبر ١٩٢١ ليقدم استقالته بعد ثلاثة أيام لأن المفاوضات لم تسفر عن تحقيق برنامج الوزارة ، لم تقبل الاستقالة عاود الاستقالة من جديد ، قبلها الملك فى ٢٤ ديسمبر ١٩٢١ . كان من المنتظر أن تلتئم الصفوف بعد فشل المفاوضـات غير أن الفرقة قد زادت والانقسام قد استشرى ٠

● وكانت سلطات الاحتلال قد حذرت سعدا من القــاء الخطب وحضور الاجتماعات العامة والكتابة فى الصحف السياسية وأمرته بمغادرة القــاهرة والاقامة فى الريف كما أصدرت أمرها لعدد من زعماء الوفد ـ فتح الله بركات عاطف بركات ، مصطفى النحاس ، صادق حنين ، مكرم عبيد ، جعفر فخرى ، سينوت حنا ، أمين عز العرب ـ بالتوجه الى بلادهم وعدم التدخل فى الشئون السياسية : قال سعد : كلمته المعروفة : ان للقوة أن تفعل بنا ما تشاء أفرادا وجماعات فاننا مستعدون للقاء ما تأتى به بجنان ثابت وضمير هادىء » ٠

وكانت اجابة كثيرين من الذين أبعدوا كاجابة سعد ٠

★★★

● وفى ٢٩ ديسمبر ١٩٢١ كان سعد فى السويس ومعه فتح الله بركات وعاطف بركات ومصطفى النحاس وسينوت حنا ومكرم عبيد وبأمر من المارشال اللنبى فى طريقهم الىعدن ثم جزائر سيشيل ـ فى المحيط الهندى على مقربة من جزيرة مدغشقر ـ وظلوا جميعا فى المنفى هناك وتم نقل سعد الى جبـل طارق ـ فى ١٨ أغسطس ١٩٢٢ ـ مراعاة لظروفه الصحية ، وعاد بعض أعضاء الوفد (المنشقين) الى الوفد مؤقتا ، وأعلن الوفد فى ٢٣ يناير ١٩٢٢ المقاومة السلبية وعدم التعاون السياسى وأعلن عن ضرورة مقاطعة التجـارة والبنوك والسفن والشركات البريطانية ٠

★★★

● فى ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ـ وكان عبد الخالق ثروت باشا قد ألف الوزارة ، بعد شهرين بقى فيها المنصب شاغرا بعد استقالة عدلى ـ أصدرت الحكومة البريطانية ما سمى بتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى أنهى الحماية البريطانية على مصر وأصبحت بذلك التصريح مصر دولة مستقلة ذات سيادة ونص التصريح على أنه الى أن يحن الحين الذى يتسنى فيه ابرام اتفاقيـــات بين جلالة الملك وبين الحكومة المصرية تحتفظ الحكومة البريطانية بصورة مطلقة بتولى هذه الأمور :

(أ) تأمين مواصلات الامبراطورية البريطانية ·
(ب) الدفاع عن مصر من كل اعتداء أو تدخل أجنبي بالذات أو بالواسطة·
(جـ) حماية المصالح الأجنبية فى مصر وحماية الأقليات ·
(د) السودان ·
وحتى تبرم هذه الاتفاقات تبقى الحالة فيما يتعلق بهذه الأمور على ما هى عليه الآن · ·

★★★

● عقب موافقة البرلمان البريطـانى على تصريح ٢٨ فبراير ٢٢ قامت الحكومة البريطانية بابلاغ الدول الأجنبية بأن انتهاء الحماية البريطانية على مصر ليس من شأنه حدوث أى تغيير فى الوضع السياسى فيما يختص بمركز الدول الأخرى فى مصر وان سـلامة مصر ورفاهيتهـا ضروريتان لأمن الامبراطورية البريطانية وسلامتها » ·

وتؤكد بريطانيا فى تبليغها هذا أنها ـ أى الحكومة البريطانية ـ ستتمسك دائما باعتبار العلاقات الخاصة بينها وبين مصر ، تلك العلاقات التى اعترفت بها الدول منذ زمن بعيد ـ مصلحة بريطانية أساسية وقد تحددت تلك الخصوصية فى التصريح الذى اعترفت فيه بريطانيا ، بأن مصر دولة مستقلة ذات سيادة ورأت بريطانيا أن أية محاولة من دولة أخرى للتدخل فى شـئون مصر سوف تعتبره عملا غير ودى وتعد كل اعتداء موجه الى الأراضى المصرية عملا يجب أن تمنعه بجميع الوسائل التى فى وسعها » ·

★★★

● وكانت وزارة ثروت باشا قد ألفت برئاسته فى أول مارس ١٩٢٢ وعضوية اسماعيل صدقى وابراهيم فتحى وجعفر ولى ومصطفى ماهر ومحمد شكرى ومصطفى فتحى وحسين واصف ، وواصف سميكة ، وقد أعلن السلطان أحمد فؤاد نفسه ملكا فى ١٥ مارس ١٩٢٢ ، وفى هذا اليوم أعلن اسـتقلال مصر ولكن فى ٢٥ ابريل ، من نفس العام ـ أى بعد ما يقرب من شهر ونصف فقط ـ انتهكت بريطانيا هذا الاستقلال فقامت السلطات البريطانية فى مصر باعتقال بعض أعضاء الوفد : حمد الباسل ، ويصا واصف ، مرقص حنا ، واصف غالى ، علوى الجزار ، جورج خياط ، مراد الشريعى وقدمتهم للمحاكمة بتهمة طبع وتوزيع منشور يحرض لكراهية واحتقار حكومة جلالة ملك مصر وذلك فى ٩ أغسطس ١٩٢٢ وبعد يومين قضـت عليهم المحكمة العسكرية البريطانية بالاعدام واستبدلت القيادة البريطانية العامة حكم الاعدام بالحبس سبع سنوات وتغريم كل منهم ٥٠٠٠ جنيه وأفرج عنهم فى ١٤ مايو ١٩٢٣ ·

والجدير بالذكر أن الزعماء السبعة المتهمين ــ وكان قد أطلق عليهم « سبعة أسود في قفص ــ قد رفضوا الاجابة على أسئلة المحقق ورفضوا أن يدفعوا التهمة وقد انسحب الدفاع وكان من بينهم المحامي الانجـليزي ماريوني الذي قال للمحكمة : أن كل طلب قدمناه رفضتموه والمتهمون لا يريدون أن يقولوا شيئا ، الا أنكم غير مختصين ، ومادمتم قررتم أنكم : مختصون فلا عمل لنا هنا » .

وكان من بين المنشورات ، منشور بعنوان : الى الأمام أيها المصريون » وقد وجد هذا المنشور عند مرقص حنا بك ــ كما قال أحد الشهود ــ ووجد عند أحد أعضاء الوفد كراسة حمراء فيها أسماء المحال التجارية الانجليزية في مصر .

وكان حمد الباسل باشا قد قال في المحكمة : باسم الوفد المصري . اننا ونحن الوكلاء عن الشعب المصري المكلفون بالمطالبة باسـتقلاله لا نسـتطيع أن نعترف بأي حال من الأحوال بقضاء محكمة أجنبية ولو أن هذه المحكمة تأخذ بتصريح حكومتها أو تعتبره تصريحا جادا وهو أن مصر دولة ذات سيادة لكان حقا عليها أن تعلن من تلقاء نفسها عدم اختصاصها بمحاكمتنا : لكم أن تحكموا علينا ولكن ليس لكم أن تحاكمونا .

***

● في ٣٠ أكتوبر ١٩٢٢ ألف بعض الأعضاء المنشقين على الوفد والمناوئين لسعد « حزب الأحرار الدستوريين » واختير عدلي يكن لرئاسـة ذلك الحزب ، وحزب الأحرار الدسـتوريين في رأي البعض امتـداد لحزب الأمة ، وفكرة الحزب قد دارت في أذهان كثير من الشخصيات السياسية ، التي لم تكن تتفق وسعد زغلول في آرائه السياسية وقد فكر في انشاء الحزب عدلي يكن باشا في عام ١٩٢١ ، ثم ترك الفكرة لتنضج تماما وقد اعترف عدلي يكن نفسه في خطابه في الاحتفال بقيام الحزب أنه وأنصاره تأخروا في القيام بهـذا الواجب الوطني ــ انشاء الحزب ــ بسبب الظروف غير المناسبة والتي لا تزال قائمة الى الآن .

وكان تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ هو الدافع الأكبر وراء تجمع الشخصيات التي أقامت حزب الأحرار .

وهناك من يقول بأن كسر حدة زعامة سعد ، والتقليل من شعبيته كان وراء انشاء ذلك الحزب وقد اتخذ الحزب جريدة السياسة لسانا له تعبر عن آرائه وتخوض معاركه ورأس تحرير تلك الجريدة د. محمد حسين هيكل وقد لعبت صحيفة السياسة أخطر الأدوار في حياتنا الصحفية والسياسية ، وكانت سببا مباشرا في قيام صحافة الرأي في مصر على أساس من الفن الصحفي الحديث ، وكان حافظ عفيفي باشا هو صاحب امتياز تلك الصحيفة ولكن د. هيكل كان

هو المسيطر على توجيه سياستها ولم يكن يسمح لممثل رأس المال بأن يتدخل في عمل الصحيفة ·

★★★

نودي بعدلي يكن رئيسا للحزب عقب فراغه من القاء خطبتـــه وتحول المجتمعون الى جمعية عمومية للحزب وانتخبوا لجنة ادارية له وكان أول مجلس ادارة للحزب من عدلي يكن رئيس الحزب ومن وكيليه مدحت يكن ومحمد محمود وكان محمد علي علوبة سكرتيرا وابراهيم دسوقي أباظة مساعدا للســـكرتير وعبد اللطيف المكباتي أمينا للصندوق ·

★★★

● وصل الخلاف في الرأى الى حد الاغتيال فبينما كان حسن عبد الرازق باشا واسماعيل زهدى بك من أعضاء مجلس ادارة حزب الأحرار خارجين من مقر الحزب الذى كان مقره جريدة السياسة في شارع المبتديان وكانا يهمان بدخول السيارة تقدم منهم أربعة مجهولون وأطلقوا عليهما الرصاص من مسدساتهم ·

وقد وصف د· أحمد زكريا الشلق عملية الاغتيال هذه بأنها كانت أسوأ رد فعل لقيام الحزب والحادث حلقة من سلسلة نشاطات قامت بها احدى خلايا العمل السرى في مصر ، والتى كانت ترتبط ببعض قيادات الوفد ·

وكانت تتجه في بداية أمرها الى اغتيال الشخصيات الرسمية الانجليزية لكنها هذه المرة اغتالت شخصيتين مصريتين وغير رسميتين وكان المقصود من عملية الاغتيال حسين رشدى وعدلي يكن وقد وصف عبد الفتاح عنايت الحادث وقال أن القتلة كانوا ابراهيم موسى ومحمود عثمان ومحمد فهمي وعبد الحميد عنايت : وان كنت أنا أشك في معظم الأسماء التى أوردها عبد الفتاح عنايت أما شفيق منصور ــ في بعض اعترافاته ــ فقد ذكر أنه اجتمع مع أحمـد ماهر ، والنقراشي قبل الحادث ببضعة أيام وأنهم اتفقوا على أن يحصل الاعتداء على عدلي ورشدى بمناسبة قيام ذلك الحزب ·

وأنا شخصيا أشك في رواية شفيق منصور لأن معظم اعترافاته ــ وخاصة في قضية السردار ــ لم تكن صحيحة ·

★★★

● في ٢٩ نوفمبر ١٩٢٢ استقالت وزارة عبد الخالق ثروت باشا بعد أن كانت قد شكلت لجنة لوضع الدســـــتور وقد ذكرت جريدة الديلي تلجراف البريطانية أن الاستقالة كانت بسبب نزاع شخصي بين الملك ورئيس وزرائه

اذ كان الملك يرى ثروت واسع الحرية أكثر من اللازم والملك فى اعتقاد رئيس الوزارة أوتقراطى « حاكم بأمره » .

★★

وخلفت وزارة توفيق نسيم وزارة ثروت ، اشترك فيها اسماعيل سرى ، أحمد ذو الفقار ، يحيى ابراهيم ، محمد توفيق رفعت ، محمود فخرى ، يوسف سليمان ، أحمد على ، محمد ابراهيم ، محمود عزمى - وهو غير الصحفى المعروف - ولم تبق وزارة توفيق نسيم فى الحكم سوى شهرين فقط اذ استقالت فى ٥ فبراير ١٩٢٣ بعد أن وافقت على حذف النصوص الخاصة بالسودان من مشروع الدستور وهى (المادة ٢٩ التى كانت تنص على أن الملك يلقب ملك مصر والسودان والمادة ١٤٥ التى تنص على أن تجرى أحكام هذا الدستور على المملكة المصرية جميعها عدا السودان فمع أنه جزء منها يقرر نظام الحكم فيه بقانون خاص) .

★★★

● وبعد شهرين من استقالة وزارة نسيم ألف يحيى ابراهيم وزارته واشترك معه فيها أحمد حشمت ، محمد محب ، أحمد زيور ، أحمد ذو الفقار ، محمد توفيق رفعت ، أحمد على ، محمود عزمى ، حسن حافظ ، فوزى جورجى المطيعى ، وقد صدر الدستور فى عهد تلك الوزارة في ١٩ ابريل ١٩٢٣ كما صدر في عهد تلك الوزارة أيضا وفي ٣٠ ابريل ١٩٢٣ - قانون الانتخاب وفي ٣ مارس ١٩٢٣ أفرج عن سعد كما أفرج عن بعض المعتقلين وكان من بينهم المصرى السعدى ، حسين القصبى ، فخرى عبد النور ، الاميرالاى محمود حلمى اسماعيل ، محمد نجيب الغرابلى ، راغب اسكندر ، عبد المقصود متولى ، صادق حنين ، عبد القادر حمزة ، أحمد وفيق ، كما أفرج عن بقية المعتقلين فى سيشل .

★★

● وكان الملك فؤاد - تحت ضغط شعبى قوى - قد وقع دستور ١٩ ابريل ١٩٢٣ وهو أول دستور متكامل ويمكن القول بأنه من أهم الدساتير التى عرفها كثير من دول العالم وقتذاك . وكان قانون الانتخاب الذى صدر فى ٣٠ أبريل ١٩٢٣ قد أعطى حق الانتخاب لكل مصرى بلغ احدى وعشرين سنة ميلادية وكان الانتخاب لمجلس النواب على درجتين بمعنى أن كل ثلاثين ناخب ينتخبون مندوبا عنهم يسمى المندوب الثلاثينى وهؤلاء « المندوبون الثلاثينيون » هم الذين ينتخبون عضو مجلس النواب وكان ثلاثة أخماس أعضاء مجلس الشيوخ يجرى انتخابهم على هذا الأساس بينما يتم تعيين خمسى أعضاء المجلس بمرسوم ملكى .

● في ٩ مايو ١٩٢٣ اجتمعت اللجنة الادارية للحزب الوطني وقررت انتخاب حافظ رمضان (باشا) رئيسا للحزب بموافقة أحمد لطفي ، عبد اللطيف الصوفاني ، د. اسماعيل صدقي ، اسماعيل لبيب ، حسن خيري ، محمد أحمد الشريف ، محمد فؤاد المنشاوي د. محمود ناشد ، عبد الرحمن الرافعي ، محمود نصير ، محمد عبد المجيد العبد ، اسماعيل حافظ ، محمد رمضان ، سعيد طليمات ، محمد زكي علي ، أحمد وجدي ، مصطفى الشوربجي ، عبد المقصود متولي ، محمد فؤاد حمدي ، أحمد وفيق ، وكانوا أعضاء في اللجنة الادارية للحزب .

وكان منصب رئيس الحزب الوطني شاغرا منذ وفاة المغفور له محمد فريد في ١٥ نوفمبر ١٩١٩ :

وكان حافظ رمضان هو الأجدر برئاسة ذلك الحزب لما يتمتع به من صفات وميزات ، لا تتوفر في كثير من القيادات الحزبية وكان في مقدمة آراء حافظ رمضان أن علتنا – بالنسبة للأحزاب – ليست في البرامج وانما هي في العقائد وأن المبدأ الذي يجب أن تتركز عليه كل جهودنا هو أن مصر والسودان كل لا يتجزأ » .

★★★

● وتوالى صدور عديد من القوانين مثل قوانين الاجتماعات ، الأحكام العرفية والتضمينات ؛ وعاد سعد الى مصر في سبتمبر ١٩٢٣ كما عاد بعض أعضاء الحزب الوطني المبعدين : علي فهمي كامل ، عبد العزيز جاويش ، د. عبد الحميد سعيد د. نصر فريد ، اسماعيل لبيب وأجريت الانتخابات في مصر ، واكتسح الوفد تلك الانتخابات وسقط رئيس الوزارة الذي أجرى الانتخابات في دائرة منيا القمح ولم ينجح من الحزب الوطني سوى عبد اللطيف الصوفاني ، عبد الرحمن الرافعي – وقد نجح بصوت واحد – وعبد العزيز الصوفاني كما لم ينجح من الأحرار الدستوريين سوى ، محمد محمود ، محمود عبد الرازق ، عبد الله أبو حسين ، عبد الجليل أبو سمره ، عبد الحميد العلايلي ، وتوفيق اسماعيل وألف سعد وزارته الشعبية الأولى ودخلها : محمد سعيد (باشا) محمد توفيق نسيم (باشا) أحمد مظلوم باشا ، حسن حسيب باشا ، محمد فتح الله بركات باشا ، مرقص حنا بك ، مصطفى النحاس بك ، واصف بطرس غالي أفندي ومحمد نجيب الغرابلي أفندي وكانا الأخيران اللذان دخلا الوزارة أول من دخلا الوزارة – في تاريخ الوزارات المصرية – من حملة لقب « أفندي » .

★★★

وكان الملك فؤاد قد اعترض على تعيين علي الشمسي بك وزيرا لأنه كان من

مؤيدى الخديو عباس حلمى كما اعترض أيضا على تعيين مرقص حنا بك وزيرا للحقانية ، وكان الملك فؤاد أيضا • قد اعترض على تعيين وزيرين قبطيين فى الوزارة وعلى تعيين نجيب أفندى الغرابلى وزيرا لضعف مكانته السياسية بالنسبة ـ كما قال ـ لضخامة المنصب الوزارى ثم تنازل الملك عن الاعتراضين الأخيرين فيما روى الدكتور يونان لبيب رزق فى كتابه : تاريخ الوزارات المصرية •

وعن رأيى الذى أبديته فى كثير من الكتب والمقالات أنه كان من الأفضل لسعد زغلول زعيم الثورة أن يبقى خارج الوزارة وأن يؤيد وزارة وفدية يرأسها وفدى كبير وليس رئيس الحزب حتى لا يضعف الحزب بتولى رئيسه الوزارة •

★★★

● حدث أول خلاف حاد بين سعد والملك حول تعيين خمسى أعضاء مجلس الشيوخ : سعد يقول انه صاحب حق الاختيار ، والملك يقول انه صاحب الحق : تمسك سعد برأيه وهو أن الملك لا يباشر سلطته الا بواسطة الوزارة وتطبيقا لنص المادة ٤٨ من الدستور وتمسك الملك برأيه •

واتفقا ـ الملك ورئيس الوزراء ـ على أن يحتكما الى فان دن بوش النائب العام لدى المحكمة المختلطة (يومذاك) وكان من علماء بلجيكا المرموقين ، وقد استمع فان دن بوش الى الملك والى سعد وكل منهما يدعم وجهة نظره بمختلف الأسانيد وأنهى سعد كلامه بقوله وهو يخاطب القاضى البلجيكى : هذا هو الموضوع ويجب أن تفصل فيه فى ظرف أربع وعشرين ساعة » ، وتعلل القاضى بضعف ذاكرته وطلب وقتا لمراجعة النصوص وقال فان دن بوش فى كتابه : عشرون عاما فى مصر : لكم أعجبت يومئذ ، بقوة الذاكرة ومتانة الحجة وبلاغة البيان التى يمتاز بها هذا الشيخ السبعينى من العمر على الرغم من آلام المرض والنفى ، بل كم دهشت لارادته التى لا تقاوم ، وتأجل الاجتماع بطلب من بوش الى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى ويقول بوش : عندما دخلت : صباح اليوم التالى الى مكتب الملك كان يداعب مسطرة صغيرة لقطع الورق وكل حركاته تدل على التأثر أما زغلول فكان جالسا أمامه متملكا حواسه يتحدث بهدوء وسكينة واستمر الحديث بحضورى فأدركت فى الحال خطورة الأمر ولمحت من خلال العبارات فى الحديث أن تنافرا يوشك أن ينقلب الى كارثة اذا لم يعالج بغير الابطاء وسمعت زغلول باشا أثناء المناقشة التى كان يتزايد نشاطها للملك عندما رفض اجابة طلبه : « اذن أستشير الشعب » •

★★★

ونظرت من الشباك الزجاجى العريض : الى الفضاء الواسع بميدان عابدين الى الرمل الأصفر تحت أشعة الشمس فرأيت الرجال ذاهبين بهدوء الى أعمالهم

والأولاد يمرحون ثم قلت فى نفسى كلمة واحدة من هذا الرجل السياسى الذى يملك مصر كلها روحا وجسدا . كلمة واحدة منه تكفى لتحويل تلك الحياة الهادئة الى منظر رهيب من مناظر غضب الشعب : وفى تلك اللحظة انتبهت الى صوت سعد زغلول وهو يقول : أتقبل يا مولاى أن يفصل جناب النـــائب العام فى الموضوع وأن يكون حكمه غير قابل للمناقشة ؟؟ .

★★★

فكر الملك هنيهة ، ثم قال فى لهجة تشف عن الاذعان : لا بأس ؛ والتمست أن يصرح لى بالاعتكاف قليلا ثم عدت أقول حيث أننى نلت اليوم الحظوة بأن أكون حكما فى هذا الموضوع بصفتى بلجيكيا ولتشابه الدســـتورين المصرى والبلجيكى هل تسمح لى جلالتكم بأن أذكر بكل احترام أن ثلاثة ملوك تولوا عرش بلجيكا فى ظل النظام الدستورى فالأول وضع أسسا متينة لاســتقلالنا فى ظروف حرجة ، والثانى صبغ حياتنا القومية بصبغة عبقرية على الرغم من القيود التى وضعت فى سبيله ، أما الثالث فجلالتكم تعلم أن النظام الدستورى لم يمنعه من أن يكون جنديا عظيما ووطنيا عظيما » ثم قلت أن تعيين أعضـــاء مجلس الشيوخ يجب أن يكون بناء على ما يعرضه مجلس الوزراء ، وفى الحال قدم لى الملك وصافحنى قائلا : « اننى موافق على رأى يبدى بهذا الشكل »

وقال زغلول باشا وأنا أيضا .

★★★

انتهت المقابلة — بوش — وعندما رافقت رئيس الوزراء فى السيارة أخذ يدى بعطف شديد ثم شكرنى قائلا : لقد أنقذت مصر من أزمة شــديدة وخطيرة

ولكن تلك الأزمة وان كانت قد انتهت فقد أعقبها أزمات أخطر ، وأعنف ، وان لم يقبل الطرفان الملك وسعد مبدأ التحكيم .

★★★

● وافتتح الملك فؤاد البرلمان فى ١٥ مارس ١٩٢٤ وأقسم الملك اليمين الدستورية وألقى سعد نيابة عن الملك خطاب العرش وبدأت صفحات جديدة من حياتنا النيابية وبدأ سعد يباشر عمله كرئيس للوزراء واعتدى على سعد فى ١٢ يوليو ١٩٢٤ وكان الجانى (عبد الخالق عبد اللطيف) يدرس الطب فى برلين ، وقد صرح بأنه اعتدى على سعد لأسباب سياسية ، وأجرى سعد مباحثات مع مستر رمزى ماكدونالد رئيس الوزارة البريطانية (سبتمبر أكتوبر ١٩٢٤) وفشلت المباحثات واستقال سعد فى ١٥ نوفمبر ١٩٢٤ لأن صحته لم تعد تحتمل أعباء منصبه ومتاعبه ولم يكن الأمر كذلك فقد كانت هناك — كما قال ســـعد

للنواب والشيوخ الذين توافدوا على بيت الأمة ـ مشاكل خارجية ، ومشـاكل داخلية وكانت هناك كما قال أيضا دسائس ·

وكان رأس الدساسين حسن نشأت باشا الذى كان وكيلا لوزارة الأوقاف ثم اختير وكيلا للديوان الملكى ورئيسا له بالانابة ·

★★★

● وقد أخطأت وزارة سعد ـ كما قلت فى كتابى عن محمد التابعى ـ عندما سيرت المظاهرات لإسكات الصحف المعارضة وفى مقدمتها جريدة الأخبار التى كان يصدرها أمين الرافعى كما أخطأت وزارة سعد عندما ضيقت الخناق على الصـحف المعارضـة وعلى الأحزاب المعارضة ، ويؤخذ ـ مثلا ـ على تلك الوزارة أنه عندما نشرت صحيفة السياسة التى كان يصدرها حزب الأحرار الدستوريين مقالا عن مكافأة النائب التى حددت بستمائة جنيه مقالا بعنـوان : « حزب الستمائة » سيرت المظاهرات المعادية لا الى جريدة السياسة وانمـا الى حزب الأحرار الدستوريين الذى كان يصدر جريدة السياسة ·

وقتل سردار الجيش المصرى والحاكم العام للسـودان فى ١٩ نوفمبر ١٩٥٤ ووجهت بريطانيا الى مصر انذارا فى ٢٢ نوفمبر ١٩٢٤ ثم وجهت انذارا آخر فى نفس اليوم وردت الحكومة على الانذارين فى اليوم التالى ورد المندوب السامى البريطانى على رد الحكومة المصرية فى نفس اليوم وردت الوزارة أيضا فى اليوم التالى واحتل الانجليز جمارك الاسكندرية وتعقدت الأمور وقدم سعد فى ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤ استقالة وزارته وقبلت فى نفس الدقيقة التى قدمت فيها ·

★★★

● فى الفصل السابع من كتابه وتحت عنوان : « ١٩٢٤ : عام زغلول : نصر ، كارثة ، أفول » ، تحدث المارشال ويفيل فى كتابه عن « اللنبى فى مصر » يصف الأيام الأخيرة لسعد زغلول فى الوزارة فقال : بلغ سعد زغلول القمـة فى قوته ، وربما كان يحلم بديكتاتورية كدكتاتورية مصطفى كمال ولكن بعد ظهر يوم ١٩ نوفمبر بقليل أطلق الرصاص على السردار سير لى ستاك ، بينما كان عائدا الى منزله فى وزارة الحربية وجرح فى مواضـع ثلاثة كما أصاب الرصاص ياوره الكابتن ب· ل· ، وسائق السيارة مارشد ، كذلك ألقيت احدى القنابل ولكن لم تنفجر وحمل السردار الى دار المعتمد ، وبينمـا كانت لادى ستاك فى حجرة الزائرين بجانب السردار وكان اللنبى ـ المعتمد البريطانى فى مصر ـ وبعض الموظفين والضيوف يتناقشون فى هذه الجريمة بالبهو اذ أعلن عن وصول سعد فما رآه اللنبى حتى أشار بشدة الى الياور الجريح والسائق وهو

يقول لسـعد : هذه فعلتك » وكاد يقوده الى السردار نفسه لولا أن أفهمه رجاله بعدم مناقشة ذلك لوجود اللادى ستاك معه ، وما كان من زغلول الا أن استدار دون أن ينطق بكلمة وأسرع بالخروج ٠

★★★

وتوفى السردار قبل منتصف ليل اليوم التالى الى أن يقول ويفيـل عن التطورات السياسية التى أعقبت الوفاة : كانت المرة الأولى التى استخدم فيها اللنبى الأساليب المسرحيـة ، سار بين حرسـه من اللانسرز وبعد أن تلقى من الفرسـان تحيتهم دخل اللـنبى رأسـا الى غرفة رئيس الـوزراء ثم قرأ عليـه نص مطالبـه وترك له ترجمتهـا بالفرنسـية ثم عاد لعربته وتلقى من الفرسان تحية أخرى : كان ضمن ما جاء فى الانذار ضرورة الاعتذار الكافى عن الجريمة والتحقيق مع مرتكبيها ودون احترام للشخصيات ومنع المظاهرات بكل شدة ، وأن تدفع الحكومة المصرية نصف مليون جنيه تعويضا ، وتسحب الضباط المصريين من السودان فى ظرف ٢٤ ساعة وكذلك الوحدات المصرية الصميمة و ٠ و ٠ وبعد أن تلقى اللنبى رد الحكومة المصرية قدم طلبـات أخرى وأمر باحتلال الجمارك المصرية بالاسكندرية ضمانا لتنفيذ شروطه الأخرى ، وهنـا ــ ويفيل ــ استقالت وزارة سعد » ٠

★★★

● ألف أحمد زيور باشا وزارته فى ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤ وقبل أن يدخلها معه : أحمد محمد خشبة ، عثمان محرم ، محمد السيد أبو على ، محمد صدقى ، يوسف أصلان قطاوى ، نخلة جورجى المطيعى ، محمد صادق يحيى ، وعين أحمد موسى فيما بعد : وسلمت وزارة زيور بكل ما أراده الانجليز واعتقلت السلطة البريطانية عبد الرحمن فهمى ومكرم عبيد (من أعضاء مجلس النواب) ومحمود فهمى النقراشى وكيل وزارة الداخلية ، وبعـدهم قبض البوليس المصرى على شفيق منصور والشيخ مصطفى القاياتى وراغب اسكندر وحسن يس ــ وكلهم كانوا يتمتعون بالحصانة البرلمانية ــ واستقال عثمان محرم وبعـده أحمد محمد خشبة وجلا الجيش المصرى عن السودان وعين اسماعيل صدقى وزيرا للداخلية فى ٩ ديسمبر ١٩٢٤ ، وتم حل مجلس النواب بعد تأجيل اجتماعاته شهرا ٠

★★★

وتشكل حزب الاتحاد (يناير ١٩٢٥) وفى مقدمته مؤسسيه اللواء موسى فؤاد باشا وخيرت راضى المحامى وعبد الحليم البيلى واختير لرئاسة الحزب يحيى ابراهيم باشا وأجرى زيور باشا انتخابات جديدة جاءت بأغلبية وفدية ساحقة وتم حل مجلس النواب فى ٢٣ مارس ١٩٢٥ ولم يزد عمره عن تسع ساعات

وبدأ التفكك يزحف الى وزارة زيور باشا فقد استقال يوسف قطاوى باشا وزير المواصلات فى مايو ١٩٢٥ لأن السراى كرهت منه مروره على سعد زغلول فى يوم عيد الفطر وتركه له بطاقة تهنئة وعندما طلب يحيى ابراهيم باشا رئيس الوزراء بالنيابة فى غياب زيور باشا من عبد العزيز فهمى باشا وزير الحقانية فصل الشيخ على عبد الرازق وكان وقتئذ قاضيا لأنه ألف كتاب « الاسلام وأصول الحكم » وهو الكتاب الذى لم ترض عنه هيئة كبار العلماء وحاكمت المؤلف وأمرت باخراجه من تلك الهيئة وأحال عبد العزيز فهمى الأمر الى لجنة أقسام القضايا فى وزارة الداخلية لتبدى رأيها ، غضبت السراى من عبد العزيز فهمى وطلب يحيى ابراهيم باشا من عبد العزيز فهمى أن يستقيل فلما رفض صدر مرسوم ملكى بتكليف على ماهر باشا وزير المعارف القيام بأعمال وزارة الحقانية الى أن يعين لها وزير بدلا من عبد العزيز فهمى باشا ومعنى ذلك أنه أقيل من منصبه الوزارى وغضب لهذه الاقالة كل من محمد على علوبة باشا وتوفيق دوس باشا وانضم اليهما اسماعيل صدقى باشا وقرر مجلس التأديب فى وزارة الحقانية فصل الاستاذ على عبد الرازق من وظيفته وعندما عاد زيور باشا من الخارج أجرى تعديلا فى وزارته ، وارتكبت وزارة زيور باشا جريمة وطنية كبرى اذ وقعت فى غيبة البرلمان مع الحكومة الايطالية اتفاقية تم بموجبها تسليمها واحة جغبوب لايطاليا ٠

***

● وكان أمين الرافعى قد حمل لواء الدعوة لانعقاد البرلمان من تلقاء نفسه لأن قرار الحل غير دستورى واستجابت الأحزاب لهذه الدعوة ، وانعقد البرلمان من تلقاء نفسه ، فى فندق الكونتننتال فى ٢١ نوفمبر ١٩٢٥ وسحب المجتمعون الثقة من الوزارة واحتجوا على تصرفات الوزارة المخالفة للدستور و ٠ و ٠ واقتربت الأحزاب من بعضها البعض وشكلت لجنة سميت بلجنة الأحزاب المؤتلفة فى يناير ١٩٢٦ من : فتح الله بركات ، على الشمسى ، علوى الجزار ، ويصا واصف (ممثلين للوفد) ومثل الأحرار الدستوريين ، محمد محمود ، محمود عبد الرازق ، حافظ عفيفى ، أحمد عبد الغفار ، ومثل الحزب الوطنى ، حافظ رمضان ، أحمد لطفى ، عبد الحميد سعيد ، محمد زكى على ، أحمد وجدى واجتمع المؤتمر الوطنى فى منزل محمد محمود بشارع الفلكى فى ١٩ فبراير ١٩٢٦ وقرر المؤتمر احتجاجه على الوزارة فيما يختص بالتصرفات التى صدرت منها مخالفة للدستور ودعوة الأمة للانتخابات واتفقت الأحزاب على الترشيحات وألف عدلى يكن باشا وزارته الثانية فى ٧ يونيو ١٩٢٦ من حزبى الوفد ، والأحرار الدستوريين واجتمع البرلمان فى ١٠ يونيو ١٩٢٦ ولم تستمر الوزارة فى الحكم طويلا اذ استقالت فى ١٩ ابريل ١٩٢٧ بعد أن وضع الوفد فى

طريقها العراقيل وألف ثروت باشا وزارة جديدة فى ٢٦ أبريل ١٩٢٧ وكانت ثانى الوزارات الائتلافية ٠

★★★

وكان سعد زغلول قد توفى فى ٢٣ أغسطس ١٩٢٧ وانتخب الوفد مصطفى النحاس خليفة له ، فى ٢٣ سبتمبر ١٩٢٧ ٠

★★★

وفى ٤ مارس ١٩٢٨ استقالت وزارة ثروت باشا ، وألفت وزارة النحاس الأولى فى ١٧ مارس ١٩٢٨ وكانت ائتلافية من الوفد والأحرار الدستوريين وكانت تضم : جعفر ولى ، واصف بطرس ، محمد نجيب الغرابلى ، على الشمسى أحمد خشبة ، محمد محمود ، محمد صفوت ، ابراهيم فهمى ، مكرم عبيد ٠

ومنذ الأيام الأولى لتلك الوزارة بدأت الخلافات ٠

● استقال محمد محمود وزير المالية فى ١٧ يونيو ١٩٢٨ ٠

وفى ١٩ يونيو استقال جعفر ولى وزير الحقانية ٠

وفى ٢١ يونيو استقال أحمد محمد خشبة وزير المعارف وفى يونيو استقال ابراهيم فهمى كريم وزير الأشغال ، وكان اسماعيل صدقى قد استأذن القصر فى السفر الى الخارج فنصح بتأجيل سفره ٠

★★★

● ظهر فجأة ما سمى بقضية الأمير سيف الدين وكان محجورا عليه وأقام دعوى برفع الحجر عنه ووكل جعفر فخرى واشترك معه فى الدفاع عن الأمير مصطفى النحاس وويصا واصف وكان الاتفاق مع الأمير ، أو مع دائرته بمعنى أدق قد تناول أتعاب المحامين ، وكان المبلغ الذى اتفق عليه ضخما ، أو هكذا قال خصوم مصطفى النحاس ، واعتبر الاتفاق مخلا بآداب المهنة وقدم الثلاثة الى مجلس تأديب المحامين وكان الواضح أن القضية برمتها كانت قضية سياسية أريد من وراء اثارتها القاء الشبهات على نزاهة مصطفى النحاس وقد ترافع مكرم عبيد عن مصطفى النحاس وويصا واصف ، وكان دفاعه فى ١٥٦ صفحة بالغا حد الروعة : قال مكرم : الاتهام قسمان : فداحة الأتعاب واستخدام النفوذ السياسى لصالحة القضية وقد خصنى من الدفاع القسم الثانى المتعلق باستقلال المراكز السياسية وهو فى الواقع بيت القصيد اذ لم نسمع منذ أنشئت المجالس التأديبية أن قضية تأديبية رفعت فى وقت من الأوقات على محام لفداحة أتعابه وذلك من اختصاص القاضى المدنى بنص القانون ولكن الاتهام هرب من القضاء المدنى الى التأديب لأن ذلك القضاء يحتاج الى متقاضين وليس فى هذه القضية

متقاضون ، بل ان صاحب القضية نفسه يصيح بأعلى صوته انه راض بتـ[illegible] الأتعاب وأنه مستعد لأن يدفع أضعافها اذا ربح قضيته وأنه لا يرضى بهـ[illegible] المبلغ البسيط بل يكافئهم أحسن مكافأة وانهم عندما قبلوا بمقدم ضئيل قد برهنوا على شفقتهم ورحمتهم وعدلهم .

★★★

● وقال مكرم عبيد أيضا . ليس للسياسة ضمير فى أى بلد من بلاد الله أما فى مصر فليس للسياسة عقل أيضا ». وينهى مكرم عبيد مرافعته الرائعة بقوله : لقد اجتمعت فى هذه القضية كل عناصر الظلام بل وعناصر الاجرام فمن سرقة الى تزوير الى شهادة الزور الى شراء الذمم الى الدس والتلفيق وكنا فى كل ذلك مجنيا علينا لا جناة : فقولوا كلمتكم حاسمة فاصلة فان شعاعا واحدا من نوركم يكفى لتبديد كثيف الظلام وكلمة واحدة من عدالتكم أنفذ الى الباطل من أحد السهام » .

وكان مجلس التأديب قد شكل برئاسة حسين درويش باشا وكيل محكمة استئناف مصر الأهلية وعضوية أصحاب العزة عبد الحكيم عسكر بك ، ومحمود سامى بك ومحمد بهى الدين بركات بك المستشارين بالمحكمة . وعبد الخالق عطية أفندى عضو نقابة المحامين وأحمد شرف الدين بك رئيس نيابة الاستئناف وفى ٧ فبراير ١٩٢٩ ــ بعد فترة طويلة من الزمن ــ قضى مجلس التأديب بأن التهم التى أسندت الى المحامين الثلاثة ، مصطفى النحاس . ويصا واصف . جعفر فخرى « خالية من كل أساس ويتعين فى هذه الحالة براءتهم منها ، فلهذه الأسباب حكم المجلس حضوريا بضم القضيتين : قضية مصطفى النحاس . وويصا واصف وقضية جعفر فخرى ، وبراءة المتهمين مما أسند اليهم فى القضيتين » ! .

★★★

والجدير بالذكر أن كل الصحف التى كانت تعارض الوفد قد خرجت فى ٢٢ يونيو ١٩٢٨ تحمل مانشتات طويلة عريضة .. فضائح برلمانية خطيرة ، رئيس الوزراء ورئيس مجلس النواب يستخدمان السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية لمصالحهما الذاتية ، تشريع خاص بأتعاب المحاماه يجب على النحاس النزيه وزميله أن يتخليا عن منصبيهما ويطلبا رفع الحصانة النيابية والتقدم للتحقيق ، واجب البرلمان المبادرة للنظر فى الأمر حرصا على سمعة البلاد ، أتعاب قضية ضعف رأس مال بنك مصر » .

★★★

هذا وقد غضبت وزارة محمد محمود ــ التى أعقبت وزارة مصطفى النحاس ــ

من الحكم الذى أصدره مجلس تأديب المحامين فأصدرت فى ١٤ فبراير ١٩٢٩ القانون رقم ١٦ لسنة ١٩٢٩ بتعديل بعض أحكام المحاماة وجعلت محاكمة المحامين من اختصاص محكمة النقض والابرام بصفته « مجلس تأديب » وبحيث لا يكون لنقابة المحامين ممثل فى مجلس التأديب وتكون الجلسات سرية ٠

***

● كانت النية متجهة الى أن يشكل اسماعيل صدقى الوزارة الجديدة ، وقد استبقى من أجل ذلك التشكيل وطلب منه عدم السفر الى الخارج ، كما كان ينوى قبلا ، وأكثر من ذلك فوتح فى أمر تشكيل الوزارة ، وبدأ فعـــلا فى الاتصال ببعض من كان يود أن يشترك معه فى وزارته الجديدة ولكن رؤى فى اللحظة الأخيرة وبوحى من السفارة البريطانية أن يعهد برئاسة الوزارة الى محمد محمود باشا وكان له العديد من المعارف والأصدقاء فى الوزارة البريطانية لأنه من خريجى اكسفورد ، وذلك كما قيل وقتذاك وقد ذكر اسماعيل صدقى فى مذكراته ، واقعة مفاتحته فى تأليف الوزارة الجديدة ، ثم العدول عنه والاتجاه الى محمد محمود : شـكل محمد محمود وزارته الأولى فى ٢٥ يونيو ١٩٢٨ وشاركه فى الوزارة : جعفر ولى باشا وأحمد خشبة ونخلة المطيعى باشا ، وعلى ماهر باشا ، وابراهيم فهمى كريم بك ، حافظ عفيفى ، أحمد لطفى السيد ، أى أنها كانت مؤلفة من حزبى الأحرار الدستوريين والاتحاد وقد بادرت الوزارة الى تأجيل اجتماع البرلمان شهرا ، ثم عمدت فى ١٩ يوليو ١٩٢٨ الى حل مجلسى النواب والشيوخ وتأجيل انعقاد المجلسين وتأجيل تعيين الأعضاء المعينين فى مجلس الشيوخ لمدة ثلاث سنوات ثم ، أوقفت الوزارة الجديدة العمل ببعض مواد الدستور ٠

***

وأعلنت عن حكم البلاد بغير دستور : عارضت جماهير الشعب هذا الانقلاب الدستورى ولكن وزارة اليد الحديدية ــ كما أسميت يومئذ ــ لم تعبأ بتلك المعارضة ومضت قدما فى تنفيذ سياستها الداخلية والخارجية ، منعت مثلا ، اجتماع البرلمان بدار مراد بك الشريعى وأغلقت أبواب البرلمان رغم احتجاج ويصا واصف رئيس مجلس النواب ، ومحمود بسيونى وكيل مجلس الشيوخ : صادرت العديد من الصحف وعطلت البعض الآخر تعطيلا نهائيا وحدثت بعض اشتباكات مع رجال البوليس فى ساحة عابدين مع فريق من النواب والشيوخ الذين حاولوا دخول القصر ، وراح محمد محمود يتفاوض مع ارثر هندرسون وزير الخارجية البريطانية : انتهت المفاوضـات الى مشروع معـاهدة ــ محمد محمود ــ هندرسون ٠

***

● قام الوفد المصرى بدور خطير بالنسبة لمشروع المعاهدة وأعلن تمسك الأمة بعرض المشروع على برلمان جديد بعد اعادة الحياة الدستورية ·

وكانت الحكومة البريطانية تؤيد وجهة النظر الوفدية لا عن اقتناع بهـا وانما رغبة منها فى التسويف وكسب الوقت ·

★★★

● قامت حكومة محمد محمود ببعض اصلاحات داخلية كبناء المستشفيات المركزية والقروية وردم البرك ونشر التعليم الأولى وبناء مســاكن للعمال فى جهات مختلفة من أرجاء البلاد ولكنها اصطدمت بالقصر وكان محمد محمود قد حجز لنفسه بعد انتهاء مفاوضاته على الباخرة الايطالية اسبيريا ، وكان الملك فؤاد الذى كان يقوم بزيارة للندن وباريس قد حجز على نفس الباخرة وسئل محمد محمود من قبل أحد الصحفيين عما اذا كان سيسافر فى صحبة الملك ؟ فكان جوابه : كلا ، بل اختار الملك الباخرة التى قررت أنا السفر عليها ليعود الى القاهرة ·

● قلت فى دراسة لى عن محمد محمود : كنت طفلا عندما كان محمد محمود رئيسا للوزارة فى المرة الأولى فلم أدر أكان يلبس قفازا حديديا ، أم حريريا ، ولم أستطع التمييز بين ديمقراطية النحاس ودكتاتورية محمد محمود ولكن وقر فى ذهنى وانطبع فى عقلى ــ بعدئذ ــ أن محمدا عطل الدستور ووأد الحريات ومن طبعى حب الدستور والايمان بالحريات ، وقيل لى ــ ولغيرى ــ ان محمدا يتيه على الناس بهيله وهيلمانه وجاهه وسلطانه ويتحاشى الاتصــال بالشعب ويتعالى على الطبقتين الثانية والثالثة بل والأولى ·

وأنا من أولئك الذين يقدسون الشعب ويكرهون من يتعالون لذلك كرهت « محمد محمود » .. وبغضته ولما توالت الأيام بأحداثها وحوادثها وسمعت من كثيرين عن دور محمد محمود فى سنة ١٩٣٥ وفى مفاوضات ١٩٣٦ خيل لى أن هذه الصورة ليست الا صورة مشوهة وأن هذه الآراء تنقصها الدقة وتبتعد عن الحقيقة ·

★★★

ورأيت ــ هكذا قلت ولما أكن قد تجاوزت العشرين من عمرى ــ الكثيرين يتصارعون على الرئاسة ويتقاتلون على الوزارة ويكادون يفقدون الكرامة الوطنية والشخصية من أجل الوصول الى الرئاسة وتذكرت يوم ذهب بعض الشــباب الى محمد محمود يتحدثون عن الجبهة الوطنية وجمع الصفوف وسأله شاب ، ومن يوقع المعاهدة ؟ قال محمد محمود : ليكن أى كائن كان ولتكن أنت أيهــا الشاب ·

● حرق محمد محمود نفسه عند القصر ، وعند الانجليز ، وعند الشعب أيضا فقدم استقالته فى ٢ أكتوبر ١٩٢٩ وعهـــد الملك الى عدلى يكن ليؤلف وزارته الثالثة فى اليوم التالى وقد شارك عدلى يكن فى وزارته تلك : أحمد مدحت يكن ، عبد الرحيم صبرى (صهر الملك فؤاد) حسين درويش ، مصطفى ماهر ، حسين واصف ، واصف سميكة ، أحمد على ، حافظ حسن ، محمد أفلاطون وهى الوزارة التى أعادت العمل بمواد الدستور التى كانت قد عطلت وقامت وزارة عدلى يكن باجراء الانتخابات (٢١ ديسمبر ١٩٢٩) وهى الانتخابات التى قاطعها حزب الأحرار الدســـتوريين وجاءت بأغلبيـة ساحقـة للوفد : استقال عدلى يكن فى ٣١ ديسمبر ١٩٢٩ لأن مهمة وزارته قد انتهت باعادة الحياة الدستورية وباتمام الانتخابات ولم يبق الا أن يجتمع البرلمان فى الميعاد الذى حدده الأمر الملكى رقم ٧٣ لسنة ١٩٢٩ ٠

***

● عهد الملك الى مصطفى النحاس يوم أول يناير ١٩٣٠ بتأليف الوزارة باعتباره زعيم الأغلبية التى أسفرت عنها الانتخابات ٠٠ ألف مصطفى النحاس الوزارة وشاركه فيها : واصف بطرس غالى ، محمد نجيب الغرابلى ، عثمان محرم ، محمد صفوت ، مكرم عبيد ، محمـــود فهمى النقراشى ، بهى الدين بركات ، محمود بسيونى وكانوا كلهم أعضاء فى البرلمان عدا بهى الدين بركات وقد كان مستشارا فى محكمة الاستئناف وعضوا فى مجلس تأديب المحامين الذى نظر قضية مصطفى النحاس وويصا واصف وجعفر فخرى ٠

وأخذت وزارة مصطفى النحاس على نفسها « مهمة العمل على تثبيت قواعد الدستور وصون نصوصه وأحكامه ، والسير بالبلاد فى طريق الاصلاح من جميع نواحيه والسعى الى تحقيق استقلال البلاد استقلالا صـــحيحا والوصول الى اتفاق شريف وطيد بين مصر وبريطانيا وتوثيق عرى المودة بيننا وبين الدول الأجنبية » ٠

***

وبدأ مصطفى النحاس ـ بناء على تفويض من مجلسى الشيوخ والنواب فى ٦ فبراير ١٩٣٠ ـ يتفاوض مع الحكومة البريطانية فى مقترحاتها للوصول الى اتفاق بين البلدين وتوثيق عرى الصـــداقة ، وكان الوفد المصرى برئاســة مصطفى النحاس ، وعضوية عثمان محرم ، واصف بطرس غالى ؛ د٠ أحمد ماهر بالاضافة الى المستشارين محمود حســـن ، الأميرالاى ابراهيم بدوان ، القائمقام حافظ صدقى ، الأميرالاى أحمـــد رفعت ٠ وكان مصطفى الصادق

سكرتيرا عاما ، أما محمد كامل سليم ، ومحمود صديق ، جورج دوماني ، أحمد راغب ، محمد صلاح الدين ، ابراهيم ممتاز ، أحمد سعد ، عبد الحميد الشريف ، محمود زكي سالم ، أمين عثمان حبشي صبحي حوا (فقد كانوا في مقدمة موظفي السكرتارية) ، وصل الوفد الى لندن في ٢٠ مارس وافتتحت المفاوضات رسميا في ٣١ منه وقطعت في ٨ مايو بسبب السودان .

وتحرك المناوئون للحياة الدستورية لاسقاط حكومة الوفد .

واستجابت السراى ، الى ذلك التآمر ان لم تكن هي بالأصل الموحية به : وأخذت تعطل أعمال الوزارة وتجمد مشروعات القوانين ، التي تتقدم بها ، كما اشتد الخلاف بين القصر ، والوزارة حول تعيينات الشيوخ بدل الذين سقطت عضويتهم بالقرعة ، وفي ١٧ يونيو ١٩٣٠ قدم النحاس استقالة وزارته نظرا « لعدم تمكننا من تنفيذ برنامجنا الذي قطعنا على أنفسنا العهد بتنفيذه » .

وعهد الملك الى اسماعيل صدقي يوم ٢٠ يونيو ١٩٣٠ بتأليف الوزارة وشارك اسماعيل صدقي في مهامه الجديدة كل من محمد توفيق رفعت ، عبد الفتاح يحيى ، حافظ حسن ، على ماهر ، توفيق دوس ، محمد حلمي عيسى ، حافظ عفيفي .

ولم يدخلها الأحرار الدستوريون ، وان دخلها الاتحاديون .

واختير حافظ عفيفي وزير الخارجية في وزارة اسماعيل صدقي وزيرا مفوضا لمصر في لندن ، وكان وضعا مقلوبا أن يقبل وزير الخارجية وظيفة وزير مفوض ، ولكن مقر العمل كان في لندن — ولندن وقتئذ ، مصدر السلطة والسطوة والقوة : حدث تغيير في بعض الحقائب الوزارية : تم تعيين ابراهيم فهمي كريم وزيرا للأشغال ، ومراد سيد أحمد باشا المستشار الملكي لقسم قضايا المواصلات وزيرا للمعارف وبدأ أخطر انقلاب في تاريخ الحياة السياسية بقيادة اسماعيل صدقي باشا عدو الدستور الأول وبدأت سنوات ما قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

الفصل الثانى
صدقى باشا يحكم بالحديد والنار

● عندما قام الملك أحمد فؤاد بتكليف اسماعيل صدقى باشا بتأليف لوزارة الجديدة ـ وكان فيما يبدو ، متأهبا ، للقيام بهذه المهمة منذ أكثر من عامين ـ كان أول ما فعله أن زار السير برسى لورين المندوب السامى البريطانى فى مصر ليتأكد من موقف بريطانيا من وزارته ٠

وقد ذكر له المندوب السامى البريطانى أنه فوجىء باختياره لرئاسة الوزارة وأنه لا اعتراض للحكومة البريطانية على تكليف الملك له بتشكيل الوزارة « ما دامت تلك رغبة الملك » وان كان سير برسى لورين ـ يعتقد أنه ـ أى اسماعيل صدقى ـ جاء فى وقت غير مناسب ٠٠

ويتجه اسماعيل صدقى أول ما يتجه الى أصدقائه ، وحلفائه الدستوريين ليشركهم معه فى وزارته ويفاتح فى ذلك صديقه محمد محمود باشا مؤكدا له أنه ما جاء الى الحكم الا ليحقق ما كان الأحرار الدستوريين ينوون القيام به لو أنهم استمروا فى الحكم : غير أن محمد محمود ـ وكان يعتقد أنه قد أصبح ضحية للسراى وللانجليز وأنه بمثابة جريح سياسى ـ ثم يجمع مجلس ادارة الحزب ليعرض عليه موضوع اشتراك الأحرار الدستوريين فى الحكم ، بل رفض من الوهلة الأولى فكرة اشتراك الأحرار الدستوريين فى الوزارة ، وهدد كل من يشترك فيها بأنه سيعتبر متخليا عن عضوية الحزب ، واستقال اسماعيل صدقى ـ وهذا مما يذكر له ـ من عضوية مجالس ادارة احدى عشرة شركة كبرى كانت عضويتها تدر عليه أضعاف أضعاف مرتبه كرئيس للوزارة ٠ وراح يؤكد ، للجماهير ، أنه رجل دستورى بطبعه ، كما راح يذكر الجماهير أيضا ، بأنه كان عضوا فى لجنة الثلاثين التى وضعت دستور سنة ١٩٢٣ وأن نزاهة أغراض وزارته وشرف مقاصدها سيخلقان بينها وبين الشعب أصدق صلات الثقة ، ومظاهر التعاون ، وأنها ـ أى الوزارة ـ تعتمد بعد تأييد صاحب الجلالة

الملك على هذه الثقة وذلك التعاون وأن خطة الوزارة « قول قليل موجز ، وعمل كثير مبارك مسدد الوسيلة محمود النتيجة » ٠

***

ولم يكد يجف مداد هذه الكلمات حتى أخذ يلوح بسلاح التهديد : « انى وزير الداخلية ، أى أنني الرئيس الأعلى للبوليس ، وأرى أن واجبى بهذه الصفة مزدوج ، فهو لا يقتصر على الشدة وحدها ، بل يتناول الوقاية أيضا ، ولقد صرحت فى البلاغ الرسمى ، الذى نشرته الصحف ان الحكومة تلقى حمل المسئولية على عاتق كل فرد أو جماعة تتخطى حدود القانون ولا تخدم أوامر الحكومة وانى محتفظ بالعمل بما جاء فى هذا الانذار كاملا ، ولا سيما فيما يتعلق بالزيارات ، التى اعتزم رئيس الوفد – اذا كان صدقا ، ما نشر فى بعض الصحف – أن يقوم بها عاجلا وفى مدن أخرى من الأقاليم ٠ ومهما يكن فى الأمر ، وأيا كانت التحريضات التى يسعون بها لاضطراب النظام ، والأمن العام ، فانى أرغب أن يقتنع كل فرد اقتناعا مطلقا بأن الحكومة ، التى أدير دفتها ستقبض على ناصية الحال ، ولن نسمح بأن تكون مصر فريسة مثيرى القلق » ٠

***

وفى ٧ يوليو ١٩٣٠ ، ولما يمض سوى أسبوع واحد حدثت مذبحة المنصورة اذ أصاب البوليس سينوت بك حنا الذى كان يرافق مصطفى النحاس فى عربته بجروح بالغة فى ذراعه وقتل أربعة من الأهلين ، وثلاثة من رجال الجيش والبوليس ، وجرح ١٤٥ شخصا ٠

وقامت مظاهرات عديدة فى بورسعيد والاسماعيلية والسويس ، وطنطا ، والاسكندرية ، والقاهرة ، احتجاجا ، على حكومة اسماعيل صدقى ، التى استخدمت أعنف الوسائل ، لمقاومة مظاهرات الشعب ٠

وتتدخل بريطانيا ، فى الأمر ٠

وتحمل الحكومة البريطانية – فى تبليغ رسمى – الحكومة المصرية والوفد المصرى معا مسئولية حماية أرواح الأجانب وممتلكاتهم فى مصر وتأمر الحكومة البريطانية بارجتين بريطانيتين ، بالتوجه الى ميناء الاسكندرية ٠

ويصرح مصطفى النحاس رئيس الوفد بأن مسئولية الأحداث الأخيرة انما تقع على الوزارة ، التى أدى مسلكها فى الأزمة الدستورية الى وقوعها ، وان موقف البلاد من هذه الحوادث هو موقف الدفاع عن دستورها ، ضد وزارة معتدية ، على سلطة الأمة » ٠

ويبعث اسماعيل صدقى ، برد الى الوزارة البريطانية يقول فيه ان التبليغ البريطانى لا يتفق ، ومقتضيات الحياد الدقيق وان التبليغ البريطانى لا يمكن أن يحمل الا على أنه تدخل بمعنى معين وفى تلك الشئون الداخلية التى لم ينكر تصريح ٢٨ فبراير نفسه حق مصر ، المطلق فى التصرف فيها وان المحافظة على أرواح الأجانب فى مصر وعلى طمأنينتهم ومصالحهم كانت منذ اللحظة الأولى فى صدر ما عنيت به وزارتى من المشاغل ، وان عبـــارة التبليغ التى تشير الى مسئولية غير الحكومة المصرية ، فان الحكومة المصرية وان كانت لا يهمها طبعا الا الحرص على المحافظة على أرواح الأجانب وأموالهم قد تحمل عبارة التبليغ على أنها غض من سلطان الحكومة وتشكيك فى انفرادها بالمسئولية وهى وحدها التى تسأل ، عن حالة البلاد ، وتخاطب فى هذا الشأن » ٠

★★★

وبدأ اسماعيل صدقى ، يضع دستورا جديدا ، بدلا من دستور سنة ١٩٢٣ وأشرك معه حزب الأحرار الدستوريين ولم يكن الخلاف الا على ثلاث نقاط ، وفوجىء اسماعيل صدقى بقرار لحزب الأحرار الدستوريين يوضح أنه « بذل كل ما استطاع من مجهودات لكيلا تمس الحكومة أسس الدستور ٠

ويعلن أن الحكومة ظلت متمسكة بما يناقض سلطة الأمة ٠

ويشل البرلمان فى تصرفاته ويجعل الحيـــاة النيابية معطـلة فى أهم خصائصها ٠

ويعلن الحزب أسفه لما تصر الحكومة على المضى فيه من اصدار دستورها الجديد ٠

وينكر الحزب عليها هذا التصرف ولا يستطيع تأييدها بحال » : وتحظى معارضة الأحرار الدستوريين لوزارة اسماعيل صدقى باهتمام كبير : فى داخل مصر وخارجها ، حتى ان صحيفة الديلى ميل البريطانية تقول فى افتتاحية لها : يلوح أن موقف الأحرار الدستوريين الجديد ، يرجع السـبب فيه الى تطور العلاقات الشخصية بين محمد محمود والعرش وبالأكثر الى دسائس دعاة الوفد الذين حملوا محمد محمود على الاعتقاد ، باحتمال عودته ، الى منصة الحكم ، كزعيم لحزب الوفد ، والأحرار الدستوريين كهيئة مؤتلفة ٠ ويصدر اسماعيل صدقى دستوره الجديد ، ويعلن الوفد المصرى عدم الاعتراف بالدستور الجديد ، ولا بقانون الانتخاب الجديد وعدم الخضوع لهما ، كما يعلن مقاطعة الانتخابات العامة بجميع عملياتها وكذلك يسارع الحزب الوطنى بالاحتجاج على تصرفات الوزارة الحاضرة فى وضع دستورها الحكومى وافتئاتها على حقوق الأمة المقدسة ،

كما يعلن أنه لن يؤيد دستورا لن يحقق سلطة الأمة فى أجلى مظاهرها ، وليس من وضع يدها » .

★★★

● ويلتقى الأحرار الدستوريين ، والوفد المصرى ، يلتقى العدوان اللدودان وقد قال كل واحد منهما فى الآخر ، الشىء الكثير ، نسى الوفد المصرى ما كاله له الأحرار الدستوريين من اتهامات خطيرة ، وكذلك نسى الأحرار الدستوريون كل ما وجهوه للوفد من اتهامات خطيرة أيضا ، كل ذلك من أجل مقاومة حكومة اسماعيل صدقى وربما لو كان كل من الحزبين قد توقع ، من قبل مثل هذا الالتقاء ، لاقتصد قادته وصحافته ، فى توجيه الاتهامات الخطيرة للحزب الآخر ، ويقول د. هيكل فى مذكراته : اتفقنا مع الوفد لمقاومة صدقى باشا ، وبطشه والتنظيم هذه المقاومة ألف الحزبان لجنة اتصال كان يمثل الوفد فيها فتح الله باشا بركات ومكرم عبيد باشا ، وكان يمثل الأحرار الدستوريين فيها محمد على علوبة باشا ، وأنا : وكانت هذه اللجنة تجتمع بمنزل فتح الله بركات باشا بالزمالك ، وأقرت هذه اللجنة فى أول اجتماع لها رأيا رآه الأحرار الدستوريون: ذلك أن دعوة الشعب للمقاومة ، والتضحية لا يمكن أن تثمر ثمرة ما ، اذا لم يتقدم الزعماء صفوف الشعب فى هـــذه المقاومة أما ان اقتصرت على عبارات تنشر فى الصحف بالغة ما بلغت قوتها ، وصدق تعبيرها عما يعانيه الشعب فى حريته ، وفى حقوق وطنه ، فلن يكون من أثر لها الا أن تثير اعجاب المثقفين ببلاغة أسلوبها وقوة عبارتها لكنها لن تحرك الشعب الى عمل ايجابى عنيف منتج » .

★★★

وكان الوفد ، والأحرار الدستوريون قد وقعوا فى ٣١ مارس ١٩٣١ ميثاقا قوميا سموه « عهد الله والوطن » وكان فى مقدمة الموقعين على ذلك الميثاق عن الوفد المصرى : مصطفى النحاس ، حمد الباسل ، سينوت حنا ، جورج خياط ، واصف غالى ، مكرم عبيد ، محمد فتح الله بركات ، محمد علوى الجزار ، مراد الشريعى ، نجيب الغرابلى ، فخرى عبد النور ، مرقص حنا ، على الشمسى ، سلامة ميخائيل ، راغب اسكندر ، حسن حسيب ، حسين هلال ، مصطفى بكير ، عطا عفيفى ، أحمد ماهر ، محمود فهمى النقراشى . وعن الأحرار الدستوريين : محمد محمود ، محمود عبد الرازق ، محمد على علوبة ، ابراهيم الهلباوى ، جعفر ولى ، أحمد محمد خشبة ، كامل جلال ، صالح الشريعى ، على عبد الرازق ، محمد كامل البندارى ، عبد الحليم العلايلى ، محمد محفوظ ، رشوان محفوظ ، سيد محمد خشبة ، عبد الجليل أبو سمرة ، غبريال سعد ، على راتب ، حامد العلايلى ، محمد سامى كمال ، ابراهيم الطاهرى ، عبد العزيز

الحسينى سعده ، توفيق اسماعيل ، عبد الله أبو حسين ، عباس أبو حسين ، أحمد مصطفى أبو رحاب ، محمد الفقى ، أحمد على علوبة ، أحمد عبد الغفار ، حفنى محمود ، اسماعيل راتب ، محمد حسين هيكل » .

★★★

وقد حرصت على نشر أسماء كل الذين وقعوا على هذا الميثاق الوطنى ، ليرى أبناء هؤلاء ، وأحفادهم بل ليرى شباب اليوم ، وشباب الغد كيف أن الكفاح الوطنى لم يكن مقصورا على فئة دون أخرى ، وعلى طبقة دون غيرها من الطبقات وانما كان ميدان الكفاح الوطنى لجميع أبناء الشعب ، كل أبناء الشعب .

ولقد اعتبر الكثيرون التوقيع على مثل هـذا الميثاق من الأعمال الوطنية الهامة لما هو معروف عن دكتاتورية اسماعيل صدقى العنيفة العتيدة التى كانت ترى حتى فى مجرد التوقيع على شكوى من تصرفات الحكومة الخاصة ـ مثلا ـ بالرى عملا عدائيا يستوجب القصاص من مرتكبه ، وحتى أنه كان يأمر البنوك العقارية ، وغيرها التى كانت تدين له بالولاء ، والطاعة ، فلا تقرض خصـومه السياسيين ، حتى يفلسوا ، ويقعوا فى ضائقة مالية تقضى عليهم ، وعلى أسرهم .

★★★

والميثاق الوطنى ـ عهد الله ، والوطن ـ الذى وقعه خصوم الأمس القريب وأصـدقاء اليوم ، من الوفديين والأحرار الدستوريين كان ينص على أن الوفد والأحرار الدستوريين يقفون متفاهمين بكل قوة واخلاص جبهة واحدة فى وجه الدستور الذى تحـاول وزارة اسماعيل صـدقى باشا بكل وسائل البطش ، والارهاب ، أن تفرضه على البلاد فرضا ، مزدرية فى ذلك كل عدل ، أو قانون ، ويكررون أنهم متفقون على مقاطعة الانتخابات التى تجرى ، فى ظل هذا الدستور مقاطعة لا رجوع فيها وأنهم يرون مقاطعتها فرضا على كل مصرى ، مخلص لبلاده ولا يرضون أن يكون لمصر نظام غير ما ارتضته بدستور سنة ١٩٢٣ وهم فى موقعهم هذا صادرون عن رأى الأمة . واثقون من تأييدها لهم . وقيامها الى جانبهم ، فى مسعاهم . ليعود النظام كاملا ، غير منقوص .

وليعود الحكم النيابى بكل تقاليده الصحيحة فتتولى الأغلبية النيابية شئون الحكم فى حدود تلك التقاليد ، النيابية حتى يتمتع المصريون جميعا على اختلاف آرائهم ، وطبقاتهم بنعمة الدستور ، وما يكفله للجميع من حرية وعدالة ومساواة وحتى يستقر بذلك نظام الحكم فى البلاد فتطمئن النفوس ، وتعود الثقة المالية وتتوافر المصلحة لجميع القاطنين مصر ، أجانب ووطنيين على السواء » .

★★★

ويقول الميثاق ـ عهد الله والوطن ـ فى نهايته : ولقد اعتزمت الهيئتان متضامنتين أن تعملا على تنفيذ هذا الميثاق الوطنى بكل ما أوتيتا من قوة ٠

ولذلك عولتا على عقد مؤتمر وطنى ، ممثل للأمة على اختلاف طبقاتها وهيئاتها لتأييد هذه السياسة القومية ٠

كما اعتزمتا الدعوة اليها بزيارة الأقاليم للمزيد من ايمان الناس بها ولن تدخر فى سبيل هذه الغاية السامية أى جهد ولن يضنا عليها بأى تضحية : ذلك عهد والوطن والله على ما نقول شهيد ٠٠ » ٠

***

ولقد انزعجت حكومة اسماعيل صدقى من عقد هذا الميثاق ، ومنعت نشره فى الصحف بل وصادرت الصحف التى تأهبت النشره ، وان كان هذا الميثاق قد طبع ووزع فى منشورات خاصة فى مختلف أرجاء البلاد ٠

ولا اعتراض لنا على الميثاق بل على العكس نحن نؤيده ، ونباركه ولكن هذا التأييد وتلك المباركة لا يمنعاننا من التساؤل : ألم تكن القضية الوطنية أحوج الى مثل هذا الميثاق ؟ ألم يكن من الانصاف الوطنى ، وضع ميثاق وطنى يلتزم به الحزبان الكبيران لمعالجة القضية المصرية وفق تصور مشترك وبأسلوب مشترك ، وبخطط مشتركة ؟ أم أن الدستور يستأهل مثل هذا الميثاق ، بينما القضية المصرية برمتها ـ والدفاع عن الدستور جزء منها ـ لا تستأهل ميثاقا وطنيا ؟! على أية حال : لقد أعلن الوفد المصرى والأحرار الدستوريون معا ، عزمهم على زيارة الأقاليم للدعوة الى مقاطعة دستور صدقى باشا ، وانتخاباته وقرروا فعلا زيارة طنطا ، وبنى سويف و ٠٠ و ٠٠

***

وأترك الدكتور محمد حسين هيكل يروى بعض ما حدث لزعماء الحزبين المتحالفين ـ الوفد المصرى ، والأحرار الدستوريين ـ أثناء زيارتهم لبعض الأقاليم المصرية حيث جرى اعتبار تلك الزيارات وقتئذ فى مقدمة أعمال المقاومة الشعبية التى استهدفت القضاء على دكتاتورية اسماعيل صدقى ٠

وحيث كان نزول الزعماء الى الشوارع ، واحتكاكهم برجال الجيش والبوليس فى طليعة ما قاموا به فى حياتهم من تضحيات وطنية :

***

يقول د٠ هيكل قررت لجنة الاتصال أن يسافر زعماء الحزبين الى طنطا بالقطار ، الذى يبرح محطة القاهرة فى الساعة السابعة والنصف من صباح يوم

من أيام شهر ابريل ١٩٣١ وقبيل الموعد ذهبنا جميعا الى محطة العاصمة فاذا أبوابها موصدة واذا البوليس يمنعنا بالقوة من دخولها .

أشار بعضهم بالعودة فليس في مقدورنا أن نقاوم القوة بالقوة ، لكن محمد باشا محمود رئيس الأحرار الدستوريين والمتحمس لفكرة تقدم الزعماء حركة المقاومة أبى الاستماع الى هذا الرأى ، وتقدم الى الباب ، ودعا من معه ، لفتحه عنوة .

واندفع من حوله من الأحرار الدستوريين ومن الوفديين فنفذوا أمره فانفتح الباب فاذا من خلفه قوة من البوليس تريد منع الداخلين ، لكن محمد محمود لم يعبأ بهذه القوة ، من البوليس ، بل اقتحمها فسقط طربوشه على الأرض فالتقطه رجل ممن معه ورده اليه .

واندفع الكل خلف الرجل ووصلنا عربات القطار المسافر الى طنطا وأخذنا أماكننا فيها وحان الموعد ، الذى يتحرك فيه القطار ، فلم يتحرك لكن حركة مناورة كانت تجرى ، ولا علم لنا بها ، فقد جرت القاطرة ، العربات المتصلة بها قبل عربتنا ثم جاءت قاطرة أخرى جرت عربتنا وحدها .

وانطلقت بنا الى طريق غير طريق طنطا ، ثم ألحقت قاطرة ثالثة العربات التى بعدنا بسائر العربات فى شبرا ، أو قليوب واتجه القطار الذى جر عربتنا الى صحراء العباسية ثم يمم ناحية الصف بمركز الجيزة فلما كنا خارج القاهرة — وكنا مع ذلك ، قريبين منها — وقف القطار لعلنا نشعر بأن عملنا غير مؤد الى نتيجة فنعود أدراجنا ، لكن محمد محمود باشا ومصطفى النحاس باشا أصرا على أن نبقى بالقطار لا نبرحه حتى نرى ماذا تستطيع الحكومة أن تصنعه .

***

وفى هذه الأثناء وفيما نحن فى القطار تجاوبت أنباء ما حدث فى أرجاء القاهرة وصارت حديث أهلها جميعا ، فجاء الينا كثيرون فى سياراتهم — سيدات ورجالا — يحملون معهم الطعام ، والماء ، ويسألوننا ان كنا نريد العودة الى القاهرة ، فى سياراتهم فلما عرفوا تصميمنا جميعا على البقاء حيث نحن لنرى ما سيصنع صدقى باشا وزملاؤه .

عادوا الى القاهرة يحملون الى أهلنا والى الناس جميعا أنباءنا ويذكرون لهم تصميمنا وعزمنا ، وبقينا نحن بالقطار حتى ولى النهار وأقبل الليل فتحرك بنا على مهل وجعل يسير حينا ويقف حينا حتى اذا كنا نحو الساعة التاسعة عاد بنا عن طريق حلوان الى محطة المعسكر بين المعادى وطره ، وهناك أمرونا بالنزول طوعا ، أو كرها ، .

***

وعن يوم بنى سويف قال د. هيكل فى مذكراته السياسية : بعد أسبوعين من يوم طنطا ركبنا القطار المسافر الى الوجه القبلى .. ورأينا جمعا كبيرا من الناس ، على مقربة من محطة الجيزة رغم احتياطات الحكومة ، لمنع كل تجمع و .. و .. حتى بلغنا بنى سويف . ونزلنا محطتها وأردنا الخروج الى المدينة معتزمين المقاومة ان احتاج الأمر ، الى مقاومة . لكننا ألفينا المحطة تحيط بها القوات من كل جانب ولم تكن القوات هذه المرة من البوليس بل كانت قوات من الجيش المحارب كاملة العدة ، وتقدم قائد هذه القوات الى محمد محمود باشا ومصطفى النحاس باشا ، يرجوهما ألا يبرح أحد منا المحطة فالأوامر لديه صريحة فى مقاومتنا بالقوة ، ولو أدى الأمر الى اطلاق الرصاص وقتل من يقتل ، وعلمنا فى نفس الوقت ان المدينة هائجة مائجة ولكنها لا تستطيع ازاء هذه القوة المسلحة أن تصنع شيئا فبقينا بالمحطة طول النهار فلما جاء الليل أقبل قطار خاص ، وصدرت الينا الأوامر بالدخول اليه أو نحمل الى داخله بالقوة حملا .

واصطفت قوة من الجند على الرصيف وجعلت تدفعنا الى ناحية القطار فلما رأينا أن لا سبيل لغير العودة عدنا بعد أن ترك سفرنا هذا من الأثر فى النفوس ما قصدنا اليه .. » .

***

وعن الزيارة الثانية لبنى سويف قال د. هيكل ، ان زعماء الحزبين المتحالفين رأوا زيارة بنى سويف بالسيارات لا بالقطار ، وفى غفلة من الحكومة ، حتى لا تتخذ عدتها لمواجهتهم ، وألا يزيد عدد الذاهبين من القاهرة الى بنى سويف على ثمانية يكون النحاس باشا ، ومحمد باشا محمود من بينهم .

وقد وصل الثمانية الى بنى سويف قرابة الغروب وذهبوا الى دار رئيس لجنة الوفد المركزية .

وبدأت المظاهرات واتصل المدير بصدقى باشا ، الذى أمره بتشتيت المظاهرات وان احتاج الأمر الى اطلاق الرصاص .

وينقلب المكان الذى يوجد به الزعماء الى حصن تحاصره قوات الحكومة المسلحة من كل جانب بينما طلقات الرصاص تدوى فى أذان الزعماء ، واستمر ذلك زمنا طويلا ، اهتزت فيه المدينة وباتت على أبواب الثورة ، ولم يغب عن بال صدقى باشا ، أن الأمر اذا استمر حتى الصباح فلن يأمن أن تنقلب بنى سويف أتونا من النار ، وبركة من الدماء ، واتصلت بالقاهرة أنباء ما هو حادث ببنى سويف فأخذ الناس ، من كل ناد ، يتناقلون ما يبلغونه ويضخمونه، وبقيت القاهرة الى ساعة من الليل ، يقظى والناس فيها يتساءلون : ما عسى يحدث بعد ؟ ويعود الزعماء ، من بنى سويف الى القاهرة مخفورين ليصلوا بعد

منتصف الليل ، حيث تذهب بهم قوات البوليس الى محكمة الاستئناف للتحقيق معهم ، وبعد أن حققت معهم النيابة ، أخلت سبيلهم ! » .

***

ولكن كيف كانت الصحف المصرية تنظر الى تلك الأحداث ؟

عدت الى صحيفة الأهرام فوجدتها فى عددها الصادر فى ٤ أبريل ١٩٣١ وتحت عنوان الموقف السياسى تقول : أما المعارضون فهمهم كما أعلنوا منذ الساعة الأولى ، ليس تجريح سياسة الحكومة وخطتها فى ادارة الشئون الداخلية فقط بل ان همهم يكاد يكون محصورا فى هدم الدستور الجديد واعادة الدستور القديم ، الملغى ، وللوصول الى هذا الغرض يدعون الأمة الى مقاطعة الانتخابات حتى يسقط هذا الدستور من تلقاء نفسه فهم اذن لا ينازلون الوزارة وحزبيها فى ميدان الانتخابات ، ولكنهم ينازلونها فى ميدان آخر : ميدان تعطيل الدستور الذى تنفذه الحكومة ونصيب لنـدن من ذلك ، فى نظر الأحرار الدستوريين والوفديين أن تتعاون على تعطيل الدستور القائم واحياء الدستور القديم مراعاة لهم ، لأنهم الغالبية ولاعتبارهم وقوفها ــ أى لندن ــ على الحياد مساعدة للحكومة ، وتأييدا لها » .

وتقول الأهرام : ان مصلحة البلد أن تقف المشادة عند حد ابداء الآراء ، دون تجاوز الى الشدة ، والى الاضطراب والى الحجر ، على الحرية ، وما شابه ذلك فان نتيجته سواء أكان ذلك فى نظر الشعب أو فى نظر الأجنبى أو فى حكم المصلحة العامة ذاتها ؛ الضرر المحقق ، الذى يصـعب بعد وقوعه اصلاحه أو الاستعاضة عنه » .

***

وحول ميثاق الأحرار الدستوريين والوفديين كتب الأستاذ أحمد وفيق فى صدر صحيفة الأهرام « ١٧ أبريل ١٩٣١ » وتحت عنوان « نظرات فى الموقف السياسى ، مواثيق وميثاق » كتب يقول : حتى ٣٠ مارس ١٩٣١ أى حتى ذلك اليـوم ، الذى أذيع فيه ذلك الاتفـاق الذى سموه ميثاقا بين الوفد والأحرار الدستوريين ، كنت أحس ويحس أصدقائى بأن تحمسى للرأى القائل بالاضراب عن الانتخابات قد أخذ منى مأخذا عزيزا كاد يؤدى الى قطع صلتى بكثير من أعز اخوانى ، أما سبب ذلك الحماس فالأمل فى أن يرسخ فى صدور الوفديين الاعتقاد بأن التفاهم مع الانجليز قبل تحقيق الاستقلال التام هو أس شقاء مصر ، وقد يكون هذا الأمل بناء على ما أنزله الانجليز من ضروب الهم ، والغم بالوفد ، التى يقبلها عن طيب خاطر فى دفعه هذه الخصومة التى بدأت ساعة أن قال زعيم الوفد أنه اذا كان قد فقد المعاهدة ، فقد كسب صداقة الأمة الانجليزية .

وردد وزير خارجية انجلترا ما يشبه هذا القول فى دلالته على عاطفة الحب ، المتبادلة بينه وبين خصومه الأشراف المعقولين » ثم يعدد الأستاذ أحمد وفيق ــ وهو من خيرة الكتاب الوطنيين الذين لم ينالوا بعد حقهم من التكريم والتمجيد ، وتخليد الذكرى ــ المواثيق الوطنية التى عقدت بين الأحزاب المصرية كالوفد ، والحزب الوطنى ، وغيرهما ، والتى لم يكتب لها النجاح والتوفيق الى أن يقول : هذه بعض السوابق التى كانت تلوح فى أول عهدها وعليها مسحة قومية ثم لا تلبث أن تكون كشرارة ينفرج عنها ليل ، لتدفن فى غور ليل آخر » .

***

وقد كانت مقالة الأستاذ أحمد وفيق عن عدم جدوى تلك المواثيق التى تعقدها الأحزاب المصرية وكأنها نبوءة لما سيحدث بالنسبة للميثاق الوفدى الدستورى : عهد الله والوطن ، الذى لم يستمر طويلا ، اذ فشل تماما فى نوفمبر ١٩٣٣ بسبب ذلك الخلاف الخطير ، الذى نشب بين الحزبين المتحالفين حول فكرة الوزارة القومية ، التى عارضها الوفديون وأيدها الأحرار الدستوريون ، على أية حال لقد نجح الائتلاف الوفدى الدستورى فى زعزعة نظام حكم اسماعيل صدقى وحظى الحزبان المتآلفان بتقدير الشعب والتفافه حولهما وخاصة بعد ذلك المؤتمر الوطنى الذى حدد لانعقاده يوم الجمعة ٨ مايو ١٩٣١ وقررت الحكومة الصدقية منعه فاتفق زعماء الحزبين على وضع قراراته التى جاء فيها : تمسك الشعب بدستور سنة ١٩٢٣ واعتبار النظام المقرر به النظام الوحيد الذى ترضاه الأمة لحكمها ، وكذلك مقاطعة الانتخابات التى تجريها وزارة اسماعيل صدقى فى ظل النظام الجديد ، واعتبارها لا تمثل ارادة الأمة ولذلك ــ وهذا هو المهم ــ فكل معاهدة أو اتفاق يعقد مع حكومته ويستند الى هذا البرلمان لا تتقيد الأمة بنصه أو بتنفيذه ، وكذلك الاحتجاج على ما قامت وتقوم به وزارة صدقى باشا من مصادرة حرية الرأى ، بتعطيل الصحف ومراقبتها اداريا والعبث بحرية القول والاجتماع والانتقال من مكان الى آخر مما أدى الى سفك الدماء واثارة الخواطر وتسخير الموظفين لأعمال غير متصلة بشئون وظائفهم أو واجباتهم الى غير ذلك من الأعمال الخانقة لحرية الفرد ، والمجموع ، مما كان له أسوأ الأثر فى حياة البلاد من جميع نواحيها اقتصادية كانت أو سياسية أو اجتماعية » .

***

وكان من بين الذين وقعوا على تلك القرارات ، مصطفى النحاس ومحمد محمود ، وعدلى يكن ، وأحمد زيور ، ومحمد مصطفى المراغى ، وويصا واصف ، ومرقص حنا ، وواصف غالى ، وعلى الشمسى ، وأحمد خشبة ، ومكرم

عبيد ، ومحمود فهمى النقراشى ، محمد بهى الدين بركات ، وعبد العزيز عزت بالاضافة الى بقية أعضاء الوفد المصرى ، وأعضاء مجلس ادارة حزب الأحرار الدستوريين ، ومن كبار الضباط المتقاعدين : اللواء على فهمى ، اللواء محمد فاضل ، اللواء على شوقى ، اللواء على صدقى ، اللواء عبد الحميد راغب ، وكان من بين الأمراء ، والنبلاء الذين وقعوا على تلك القرارات : عمر طوسون ، ومحمد على ، وعمرو ابراهيم ، وسعيد داود ، ومحمد على حليم ، وابراهيم حليم .

***

وقد أجرى اسماعيل صدقى انتخاباته التى قاطعها الشعب مقاطعة تامة اشبهت كما يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى فى روعتها ، واتساع مداها مقاطعة الأمة للجنة ملنر سنة ١٩١٩ بل ان تضحيات البلاد من القتلى ، والجرحى ، فى هذه الانتخابات كانت أعظم وأكبر من تضحياتها فى مقاطعة لجنة ملنر ، وقد عمدت الحكومة الى تزوير عملية الانتخابات فأوعزت الى لجان الانتخابات أن تزور محاضرها ، بحيث تثبت فيها حضور الناخبين كذبا وزورا ، وبذلك تمت هذه المهزلة ، بل هذه المأساة الانتخابية وكانت سابقة خطيرة اتبعتها الادارة فى العمليات الانتخابية ، كلما أرادت الحكومة اصطناع برلمان صورى »

***

وقد قامت مظاهرات عديدة في القاهرة والاسكندرية . بل وفي بعض القرى استهدفت تعطيل عملية الانتخاب كما أضرب عمال عنابر بولاق ، والورش الأميرية ، عن الاشتراك فيها وتظاهروا احتجاجا عليها فقابلت الحكومة مظاهراتهم بمنتهى القسوة ، والعنف وسلطت عليهم قوات البوليس والجيش وأطلق الجند الرصاص على العمال فقتل منهم كثيرون : فى القاهرة — مثلا — كان عدد القتلى فى الأيام الثلاثة الأولى للانتخاب — كما قدرت الحكومة ذاتها — ثلاثة عشر قتيلا ، وعدد الجرحى ١١١ جريحا : فى ميت غمر قتل ستة من الأهالى وجرح ٢٣ ، فى مركز المنصورة قتل عشرة من الأهالى وجرح كثيرون ، وقدر عدد القتلى فى كل أنحاء البلاد — تقريبا — بمائة قتيل وبلغ عدد الجرحى — على أقل تقدير — ١٧٥ جريحا .

***

واجتمع البرلمان فى ٢٠ يونيو ، ١٩٣١ وكان عدد النواب الذين نجحوا من حزب الشعب الذى ألفه اسماعيل صدقى قد بلغ ٨٣ نائبا ، ونواب حزب الاتحاد شريك حزب الشعب ٤٠ نائبا ، كما نجح ١٧ نائبا من المستقلين ، و٨ من الحزب الوطنى ، وقد كان اشتراك الحزب الوطنى فى هذه الانتخابات — بعد أن وقف موقف العداء الصريح ، الواضح لدستور ١٩٣٠ — سقطة لا يمكن أن يغفرها التاريخ لأعضاء اللجنة الادارية للحزب الوطنى ، أو لبعض أعضاء اللجنة

الادارية ، الذين وافقوا على الاشتراك فى تلك الانتخابات. والقد حدث خلاف خطير فى داخل اللجنة الادارية للحزب الوطنى بين مؤيد للدخول فى هذه الانتخابات وبين معارض لدخولها وكانت وجهة نظر المؤيدين لدخول الانتخابات ان الوفد طالما حارب الحزب الوطنى فى الانتخابات حتى لقد بذل جهودا شاقة ومضنية فى انتخابات ١٩٢٤ و ١٩٢٥ و ١٩٢٦ لاسقاط أقطاب الحزب فى دوائرهم ، التى كانت تعتبر معقلا للوطنيين ، سقط عبد اللطيف المكباتى فى انتخابات ١٩٢٤ ، وعبد اللطيف الصوفانى فى انتخابات ١٩٢٥ ، وأحمد لطفى ، وعبد الرحمن الرافعى ، فى ١٩٢٦ .

وقد توفى كل من الثلاثة الاول ، فى أعقاب الانتخابات التى سقطوا فيها مما حدا بالأستاذ عبد الرحمن الرافعى ، أن يطلق عليهم شهداء الانتخابات . وكانت وجهة نظر المعارضين لدخول الانتخابات أن الشعب كله يقاطع هذه الانتخابات وان الحزب الوطنى ينبغى عليه الاشتراك فى مقاطعتها ، وانقسمت اللجنة الادارية الى أغلبية وأقلية ، فكانت الأقلية كما يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى — وكنت منها — الى جانب المقاطعة ولكن الأغلبية قررت عدم المقاطعة : وكان يجدر بالحزب الوطنى الذى رفع فى أواخر سنة ١٩٢٥ راية الثورة على قانون الانتخاب الباطل ، الذى أصدرته وزارة زيور باشا ودعا الى العمل به أن يقف هذا الموقف من دستور صدقى وقانون انتخابه .

***

وكان خليقا به أن يشترك فى معركة الدستور ١٩٣٠ وكان حامل لوائها ، وبذلك يكون منسجما مع ماضيه فى النضال عن سلطان الأمة ولكنه لم يفعل » .

***

وقد دفع الحزب الوطنى ثمن اشتراكه فى برلمان صدقى وكان الثمن غاليا جدا .

وقد عين اسماعيل صدقى الكثير من الشخصيات فى مجلس الشيوخ كان من بينهم على ماهر ، ويحيى ابراهيم ، وعبد الفتاح يحيى ، والشيخ الأحمدى الظواهرى شيخ الجامع الأزهر ، والأنبا يوانس بطريرك الأقباط الأرثوذكس والحاخام ناحوم أفندى حاخام اليهود الأكبر ، وأحمد عبود ، ومحمد طلعت حرب ، وفارس نمر !

وكانت أكبر جريمة وطنية ارتكبها برلمان صدقى هى موافقته على التنازل لايطاليا عن واحة جغبوب بمقتضى الاتفاقية التى وقعها زيور باشا فى ٦ ديسمبر ١٩٢٥ والتى امتنع البرلمان طيلة سنوات ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ ، ١٩٣٠ عن ابرامها وسوف نكتب عن هذه الاتفاقية وبتوسع فى مناسبة أخرى

وحتى تكون الصورة ــ من الناحية التاريخية مكتملة ــ نعود الى المذكرات السياسية للدكتور محمد حسين هيكل فنشير الى بعض ما ذكره الدكتور هيكل عن أيام وزارة اسماعيل صدقى وعن تنكرها للشعب ، وعن تزويرها للانتخابات: يقول هيكل : تحت يدى وأنا أكتب هذه السطور صورة خطية من عريضة قصد أن يوقعها رجال القانون عثرت عليها وأنا أفتش فى أوراقى الخاصة ولست أذكر الآن أوقعت هذه العريضة ورفعت الى مقام جلالة الملك أو أنها لم توقع ولم ترفع على أن ما فيها يرسم صورة صادقة للاجراءات التى اتخذها صدقى باشا فى ذلك الحين : وهآنذا أنقل هنا بعض ما فيها : ان وزارة حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا قد جرت فى حكمها البلاد على طريقة يعافها القانون ، وتأباها مبادئه ، وأصوله الأولية فهى لم يكفها أن ألغت دستور مصر وأن وضعت من تلقاء نفسها نظاما يسلب الأمة سيادتها ويجعل السلطة التنفيذية فى الواقع مصدر السلطات ، بل تجاوزت بعد ذلك فى الواقع ، كل قانون معروف فى تصرفاتها لتفرض هذا النظام الذى استصدرته بوسائل عرفية مستهترة بكل ما كفلت القوانين للأفراد والجماعات من حقوق وواجبات عطلت حرية القول وحرية الرأى ، وحرية الصحافة وحرية الاجتماع ، وحرية التنقل فى بلاد الدولة وأكرهت الموظفين على أن يكونوا أدوات هـذا التعطيل وهـذا الازدراء ، المهين للقانون وغامرت بالروح المعنوية للبوليس ، وللجيش بأن سخرتها لأغراضها العرفية والمحاربة النظام والقانون ، ثم انها تدفع رجال الادارة جميعا ، كى يقوموا أثناء الحركة الانتخابية التى تحاول اكراه الناس على الاشتراك فيها بكل ما يحقق أغراضها وما يخالف القانون فى سبيل غاياتها ، بل بارتكاب الجرائم ، فى سبيل هذه الغايات » .

★★★

وعن الانتخابات قال د. هيكل : اقترب يوم الانتخاب ونحن على ثقة من أن الأمة ستقاطعه وعلى ثقة كذلك من أن صدقى باشا ، سيعمل كل ما فى وسعه ليخلق صورة انتخابية توهم من يريد أن يقنع نفسه بأن تلك انتخابات وبأن الأمة رضيت بالنظام الجديد ، فلما تنفس صبح يوم الانتخاب اذا بالعاصمة كأنها على بركان ، أو كأنها ميدان قتال فقوات البوليس والجيش منتشرة فى كل مكان والمظاهرات كذلك منتشرة فى كل مكان وحبل الأمن مضطرب أيما اضطراب والعنف بالغ غاية الشـدة من الجانبين فالمتظاهرون حطموا مركبـات الترام وحاصروا الدوائر الانتخابية والبوليس يبذل غاية جهده ليحمل الناس اليها بقوة بأسه ، وفى حمايته ، ووقعت فى الأقاليم حوادث دامية ذهبت فيها أرواح بريئة وأريقت على الأرض دماء زكية لم يكن لاراقتها مسوغ . وانتشر مراسلو الصحف المصرية والأجنبية هنا ، وهناك ينقلون الى قرائهم صورة لما كان يجرى فى ميادين المعركة العنيفة التى قامت بين الحكومة والأمة فلما انتهى اليوم ، أذاع صدقى

باشا ، فى الصحف تصريحا بأن الانتخابات جرت على خير وجه . وفى جو من الهدوء والسكينة وأن الأمة اشتركت فيها أكثر مما اشتركت فى انتخاب سبق ٠

★★★

ويقول د٠ هيكل : لقد لجأ اسماعيل صدقى فى الفترة . التى انقضت بين صدور دستوره وانتخاب برلمانه الى اجراءات شاذة بلغت من العنف أن خلفت فى النفوس حفائظ ، لا سبيل معها الى صلح ، بل لا سبيل معها الى هدنة . لهذا ظلت الخصومة بينه وبين سائر الأحزاب ، ونستطيع أن نقول بينه وبين سواد الأمة : بالغة غاية الشدة : ولم يدر بخاطره بطبيعة الحال أن يتخلى عن الحكم لعل فى تخليه عنه ما يهدىء بعض الشىء من هذه الحفائظ تمهيدا لخلق جو أكثر صلاحية للتفاهم ، ولم يدر كذلك بخاطر أية سلطة أن توحى اليه بالتنحى عن الحكم مخافة أن يقال ، انه صنع ما صنع وبذل من الجهد ما بذل ثم كان جزاؤه هذا الاقصاء عن الحكم ، لهذا بقى فيما كان فيه يلجأ الى البطش والى تجاوز القانون ويلجأ تنكيلا بخصومه الى ألوان من الكيد لا يرضى هو عنها لولا هذه الخصومة الهوجاء ، التى اندفع اليها ثم حملته الظروف بعد هذا الاندفاع الى اعتبار موقفه موقف حياة أو موت لا يعبأ صاحبه باعتبار من الاعتبارات ولا يتحرج عن شىء يكفل له الظفر بخصومه ، وان خالف ما يفرضه القانون أو ما يرضاه مألوف الخلق بين الناس ٠

★★★

ويروى الدكتور هيكل نموذجا لما كان يلجأ اليه البوليس السياسى من مكائد للشرفاء فيقول : ان محكمة جنايات مصر كانت تنظر قضية الخطابات المزورة ٠ وكانت طائفة من رجال البوليس لهم يد فى تزييف ما هو منسوب الى المتهمين ٠ وكان محمود بك غالب المستشار رئيس الدائرة ، التى تنظر هذه القضايا ، وكان من عادة محمود بك ، أن يمضى سهرته كل ليلة بقهوة الأنجلو بجوار البنك الأهلى ، وبينما هو جالس ذات مساء اذ قيل له ان سيدة تريد أن تقابله وأن تتحدث اليه ، وكان معه صديقه خليل بك غزالات وهو الذى قص القصة ولما كان خليل بك رجل قضاء ، ويعرف أمثال هذه الألاعيب ويعرف دقة مركز صديقه محمود بك ، فى هذا الوقت الذى تنظر فيه قضية الخطابات المزورة ، منعه من الخروج ، وخرج هو فاذا سيدتان مشهورتان بالخلاعة ومن ورائهما رجل من رجال البوليس السياسى السرى فأدرك خليل بك لساعته أنها مكيدة يراد تدبيرها ، لمحمود بك غالب ، للتشهير به فنهر السيدتين ورجل البوليس وطردهما وأخبر محمود بك ثم أخبرنا بالأمر ٠

★★★

ربما قيل ان البوليس السياسى هو الذى دبر هذا الكيد ، انتقاما من

غالب بك ولو ان هذا كان صحيحا ـ وقد يكون صحيحا ـ لكان الرد عليه أن البوليس السياسى لا يجرؤ على مثل هذا الوضع بمستشار بمحكمة الاستئناف أثناء نظره قضية من القضايا التى تهم الحكومة اذا كان يعلم أن الحكومة تغضب لكرامة المستشار وتعاقب من يحاول العبث بهذه الكرامة .. وكان اسماعيل صدقى قد بالغ فى اضطهاد حرية الصحافة على نحو لم يحدث حتى عندما كان الاحتلال البريطانى فى عنفوان سطوته ، وجبروته ، وكان سلاح المصادرة من الأسلحة التى كان يستخدمها دائما ، فلما فشل هذا السلاح لجأ الى سلاح تعطيل اصدار الصحف بل الغائها تماما كما سيتضح فى الفصل التالى .

الفصل الثالث

صدقى يعلن الحرب على الصحافة وعلى الشعب

● سئل ابراهام لنكولن ـ الزعيم الأمريكى العظيم ـ هل أنت دكتاتور أم محرر ؟ فقال : هذا يتوقف على نظرتك • وحكى ابراهام لنكولن أسطورة راع للأغنام ، حال بين الذئب وبين افتراس الماشية ، فهذا الراعى ـ كما قال لنكولن ـ بالنسبة للماشية محرر ، وبالنسبة للذئب دكتاتور •

وهناك فى التاريخ القديم ، وفى التاريخ الحديث ـ « دكتاتوريون » كثيرون كانوا فى نفس الوقت محررين : دكتاتوريون بالنسبة لمغتصبى حقوق بلادهم وشعوبهم ، ومحررون بالنسبة لبلادهم ولشعوبهم • وفى التاريخ الحديث والقديم أيضا كان هناك دكتاتوريون أبدا ، دكتاتوريون بالنسبة لشعوبهم وبلادهم : لا يطيقون أبدا أن ترتفع كلمة الشعب ، أو أن تعلو كلمة الحق أو أن يكون هناك رأى آخر ، يختلف فى قليل أو كثير عن آرائهم • انهم يعتقدون دائما ان الشعوب هى مجموعات من الغوغاء ، بحاجة الى وصاية دائمة ، وبحاجة الى أن يتولى غيرهم ـ حتى ولو كان هذا الغير فردا واحدا ـ أمورهم دون أن يكون لهم أى حق فى مناقشة أولياء أمورهم ، وهم يعتقدون أيضا ان الله حباهم ، بمميزات ، وميزات وخصائص لا تتوافر فى غيرهم ، وهم لذلك يجب أن يكونوا فى مستوى عال عن الجماهير لا يجوز عليهم الخطأ ولا يجوز لغيرهم أن يحاسبهم لانهم ـ وهم الصفوة المختارة ـ فوق النقد وفوق الحساب : وقد كان اسماعيل صدقى باشا واحدا من هؤلاء « الدكتاتوريين » الذين يستأسدون على شعوبهم ، ولكنهم ازاء مانح السلطة أو مانعها أقزام صغار ، ليس من حقهم أن يناقشوا أبدا سادتهم وأولياء أمورهم الذين تلقوا منهم السلطة • وقد كان اسماعيل صدقى باشا ـ بحق ـ كفاءة اقتصادية جبارة ، وكان فى نفس الوقت صاحب عقلية سياسية متميزة ولكنه ـ والعباقرة دائما يخطئون ـ لم يعرف كيف يستغل عبقريته السياسية والاقتصادية كما يجب وان كان حتى آخر أيامه ، يعتقد انه استغل

تلك العقلية السياسية كما يجب بل وأكثر مما يجب . وكان اسماعيل صدقي بحكم تكوينه العقلي ، والفكري والتنظيمي ضد الوفد المصري ، كحزب سياسي وكان يرى أن الوفد يستخدم أسلوبا ديماجوجيا قد يفيد الحزب ، ولكنه لا يفيد الشعب . وان الوفد . عندما يكون في الحكم ، لا يحترم أبدا رأى الأقلية ، أو على الأقل رأى خصومه السياسيين ، وأنه يحاربهم بكل الأسلحة : يصادر آراءهم . يسير المظاهرات العنيفة الجارفة لضربهم ، وايذائهم وتدمير بيوتهم ومكاتبهم ، وعظام رءوسهم اذا أمكن ! ولا يتيح أبدا لواحد منهم أن يبدى رأيا يخالف ما يراه الوفد ، لا في الصحافة ولا في اجتماع عام ، أو خاص ، وانه عندما يحكم ، يريد الحكومة كلها وفدية ، لحما ، ودما ، لا يهتم أبدا بأية كفايات سياسية أخرى – حتى ولو كانت قد بلغت مبلغ العبقرية – ما دامت لا تنتمى الى حزبه ، وفي الوقت نفسه يرفع كثيرين جدا من غير ذوى الكفايات الى كثير من المناصب وهو يعلم حق العلم ، انهم سوف يكونون فاشلين في عملهم . لانعدام مؤهلاتهم . العلمية والعملية .

***

ولكنه لم يكن أبدا ليهتم بذلك كله مادام المؤهل الأول ، والأكبر موجودا لديهم ، وهو انتماؤهم الى الوفد . وكان اسماعيل صدقي باشا يأخذ على الوفد أيضا انه يلجأ الى العنف أحيانا فيما يتعلق بالانجليز وبالسراى وان الصالح العام – من وجهة نظره – لا يستوجب العنف وانما يستوجب اللين ، ولما كان هو – اسماعيل صدقي باشا – يعتقد في نفسه انه بطل اللين بالنسبة للانجليز وللسراى فقد كان يرى انه قادر على أن يستخلص من الانجليز ومن السراى كل ما يمكن استخلاصه ، وكان اسماعيل صدقي باشا يرى في نفسه أيضا انه الوحيد القادر على كشف الوفد المصري والحيلولة بين الجماهير وبين الوفد بما يقدمه للجماهير من خدمات في مجالات الاصلاح الداخلي : مجالات التعليم ، والصحة ، والزراعة ، والصناعة و .. و .. وكان اسماعيل صدقي باشا يسيء دائما الظن بالشعب فكان يطلق عليه دائما « شعب كل وزارة » وكان يبني وجهة نظره هذه – اساءة الظن بالشعب – على توجه جماهير غفيرة بصفة تكاد تكون أوتوماتيكية الى كل وزير جديد ، لتهنئته ، واستجلاب رضاه ووضع خدماتهم تحت تصرفه ناسيا ، أو متناسيا ان تلك الجماهير التي تعودت أن تصفق دائما – وبحماس شديد – لكل قادم جديد ، ليست أبدا هي الشعب وانما هي فئة قليلة من الناس احترفت هذا اللون من العمل ، وبرعت فيه وتفوقت على غيرها بما كانت تستخدمه من أساليب رخيصة يرفضها الكثيرون .

***

وكم كانت المفاجأة عنيفة وقاسية بالنسبة لاسماعيل صدقي باشا منذ اليوم الذى ولى فيه الوزارة انه لا يستطيع مثلا أن يجتذب الجماهير بقرار وزارى

يصدر كما أنه ليس من السهل أبدا على من فى يده السلطة أن يتنازل عنها ٠ ان الانجليز ـ مثلا ـ الذين احتلوا مصر ، بعد حرب عنيفة استخدموا فيها جيوشهم وأساطيلهم ، وبعد القضاء ، على مقاومة شعبية قوية استنفدت الكثير من جهودهم وامكاناتهم ، والانجليز ، الذين نعموا سنوات ، وسنوات باحتلال كل ما فى مصر ، وكل من فى مصر ، وباستغلال كل قطرة ماء أو كل شبر من أرضها لصالحهم ، لا يمكن أبدا أن يتنازلوا عن سلطاتهم فى مصر ، لان اسماعيل صدقى باشا يستخدم أسلوبا لينا فى مناقشاته معهم ، أو فى التعامل معهم ، بصفة عامة ، وكذلك السراى : ان السراى ليست مجرد ملك يحكم ، ويريد ان يستغل كل سلطاته لصالحه الشخصى وحسب ، ولكنها أيضا مجموعات أفراد كثيرين يعملون بها ولهم مصالحهم ، الشخصية أيضا ولهم صداقاتهم الشخصية كذلك ، ولهم طموحاتهم الشخصية ٠٠ ثم ان السراى ، والملك وحاشيته ، لم يحصلوا على تلك السلطة بسهولة ، وانما حصلوا عليها بعد مؤامرات ومناورات وتكتيكات استمرت ثمانى سنوات ، حتى مجىء اسماعيل صدقى الى الحكم وهى بملكها وبحاشيته ، لا يمكن أبدا أن تتنازل ـ لمجرد استخدام الأسلوب اللين فى معاملتها ـ عن سلطاتها لأى كائن من كان ، انها كالانجليز تماما لا هم لها ، بالنسبة لأى قادم جديد الا أن تستغله لصالحها وتجعل منه مصدر قوة جديد لها يضاف الى مصادر قوتها ٠ ثم ان الجماهير ـ وخاصة جماهير شعب مصر ـ عنيفة جدا الى أبعد درجات العنف ، انهـا تبدو فى البداية صبورة ، ومسالمة بل ـ وفى بعض الأحيان ـ تبدو مستكينة للغاية ولكنها سرعان ما تثور ، وتكون ثورتها عنيفة لا تترك أمامها ، أى شىء ضدها دون أن تقضى عليه ، ولا تترك أمامها أى شخص حاول ، أو يحاول المساس بها ، أو بمصالحها دون أن تنال منه ٠

★★★

ومنذ اليوم الأول لمجىء صدقى باشا الى الحكم شعرت الجماهير بعداء شخصى تجاهه ، لأنهـا تعرف مسـبقا رأيه فيهـا وخططه لسـحقها ، ولو أنـه جاء لها بالمن والسلوى ـ كما يقولون ـ لعارضته بل لحاربته ، الى أبعد الحدود ٠

وقد كانت مقـاومة الشعب ـ حتى بدون تنظيم من قيـادات الأحـزاب المعارضـة ـ لاسماعيل صـدقى ودكتاتوريته ، مقـاومة عنيفـة ، نعتبرها ـ بلا جدال ـ من أنصع صفحات التاريخ المصرى ومن أكثرها مجدا وخلودا ، وقد سئلت أكثر من مـرة لمـاذا تولى اهتمامك البالغ بمقاومة الشعب لاسماعيل صـدقى ، وكنت أقول لمن يسألنى : لأسباب كثيرة : أهتم بتلك الفترة من تاريخنا ، أولا ، لانها فى الغالب ، ظلت مجهولة أو شبه مجهولة فى أدبنـا وتاريخنا ، ولو لم يكتب عنها صديقنا الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى ، قصته الرائعة (الأرض) ، لما عرفنا عنها شيئا ، ثم ان الكتابات القليلة ، التى تناولت تلك الحقبة من تاريخنا كانت فى الغالب ، اما موجزة للغاية لا تفى بالغرض

واما مغرضة أو مغرقة فى الغرض ، تسىء أكثر مما تفيد • وثانيا : ان الشعب المصرى عندما كان يقاوم دكتاتورية اسماعيل صدقى ، كان صائبا للغاية فى مقاومته ، كان أصيلا الى أبعد حدود الأصالة ، كان دائما وأبدا فى القمة الثورية التى جعلت كل عمل ولو كان بسيطا ، أقدم عليه اسماعيل صدقى ، عملا ضخما ، يقتضى مقاومته وبشـدة • وثالثا : فان جماهير الشعب كلهـا قد اشتركت فى حركة المقاومة هـذه اشتراكا عمليا بحيث اننا نقول ــ وبدون تحفظ ــ انها حركة جماهيرية واسعة تلقائية ومنظمة فى وقت واحد ، بلغت فيها الشجاعة الوطنية قمتها ، وبلغت فيها التضحية الوطنية ما بعد القمة لو جاز استخدام هذا التعبير • ان العمدة ــ مثلا ــ الذى ولد وتربى وعاش فى بيت العمـودية ، آلت اليه العمـودية ، أبا عن جـد ، عـرف لذة السلطة جرب ، كيف يستطيع أن يقتص من خصمه هذا أو ذاك • يبعث ببعض أفراد هذا الخصم الى الجهادية أو الى حراسة النيل أيام الفيضان بدون أى قيد على تصرفه •

***

هذا العمدة الذى جرب وجود غرفة «السلاحليك» ــ أىغرفة أسلحة الخفراء ــ فى بيته وعرف أية لذة فى أن يكون فى بيته غرفة بها عشر أو عشرون بندقية • يحملها عشرة أو عشرون خفيرا وتكون هـذه البنادق وأصحابها تحت تصرفه الشخصى ، عندما يجد هذا العمدة ان صالح وطنه يدعوه الى الاستقالة فيستقيل. فتفرض عليه غرامة كبيرة لانه استقال ، كتهديد له ليعدل عن الاستقالة فاذا به يصر عليها ويدفع الغرامة ، وعندما لا يجد لديه قيمة الغرامة يستدين أو يبيع بعض أرضه ــ أغلى شىء عنـده ــ وبعد أن يدفع الغرامة ، يحـكم عليه بالسجن ، فيستقبل السجن راضيا مغتبطا سعيدا ، لأنه أدى واجبـه : انه لا ينتظر ــ مثلا ــ أن يعين وزيرا فى الوزارة القادمة ، و لاينتظر ــ مثلا ــ أن ينتخب عضـوا فى مجلس النـواب أو الشـيوخ فى الدورة القادمة ولا ينتظر ــ مثلا ــ أن يعين ابنه أو أحد أقاربه وكيلا للنائب العام : انه يقدم على تلك التضحية وكأنما يقدم على زفافه من فتاة يحبها ، بينما هو يعلم حق العلم ، انه لو اختار الطريق الآخر لبقى فى منصبه بجاهه وهيلمانه ، ولعين أبنـاؤه وأقاربه فى وظائف هامة ، ولأقـرضته البنـوك ما يريد من أمـوال دون فوائد و •• و •• ولكنه يفضل ما فيه صالح الوطن ولا يكون هذا العمدة ، هو وحده فى نقطة البوليس التى تضم مجموعة من القرى ، ولا فى مركز البوليس الذى يضم مجموعة من نقط البوليس ، وانما يكون كل عمدة فى مصر هو هذا العمدة ، وهكذا كان الشعب جميعه يضحى وبكل مايملك : يضحى ، وهو يخسر كل ما يملك ، يضحى بالحاضر ، والمستقبل وهـو لا يعرف متى تنتهى تلك التضحيات بل هو يضحى ولا ينتظر أبدا جزاء ولا شكورا لا اليوم ولا الغد ،

وعندما يضع كل مواطن مصلحة بلده فوق كل مصلحة . وعندما يتقدم كل مواطن للتضحية بكل ما يملك ، بالمال ، بالولد ، بالوظيفة . بأثاث البيت . عندما يتعرض كل مواطن للسجن والاعتقال ، والنفى والتشريد بل وللموت ، فى سبيل مصلحة بلده فيتقبل كل تضحية راضيا ، مغتبطا ، أعتقد ان ذلك ، هو أقصى ما يمكن أن يصل اليه شعب من الشعوب فى التضحية والفداء . ولذلك فاننا نرى ان التركيز على تلك الفترة من تاريخنا التى ارتفع فيها مستوى التضحية ، الى أعلى مستوى ، وعندما نشيد بتلك التضحيات الهائلة ، التى قدمها شعبنا ـ كل شعبنا ـ نكون قد أدينا ، لشبابنا على الأقل ، صورة رائعة من صور الماضى تدفعه الى أن يضع دائما وأبدا مصالح بلده ـ المصالح الحقيقية لبلده ـ فوق كل اعتبار شخصى ..

***

وبعد ذلك الاستطراد ، الذى كان لابد منه ، وللرد على بعض تساؤلات الجماهير ، نعود ، الى ما سبق أن أشرنا اليه من استخدام ، اسماعيل صدقى باشا كل الأسلحة لمحاربة الصحافة ولجوئه فى البداية ـ الى سلاح الايقاف ـ فلما فشل هذا السلاح لجأ الى سلاح التعطيل : عطل ـ مثلا ـ جريدة كوكب الشرق وجريدة البلاغ وجريدة اليوم تعطيلا نهائيا بقرار من مجلس الوزراء ، مع تخويله سلطة تعطيل أية صحيفة أخرى تتستر باسمها الصحف المذكورة ذلك ان الصحيفة التى كانت تعطل أو تصادر ، تصدر فى اليوم التالى ، ولكن باسم صحيفة جديدة ، مسموح بصدورها ، على أن يتولى تحرير الصحيفة نفس محررى الصحيفة المصادرة ، أى ان التغيير كان يتم فقط فى الاسم ، دون أية مادة تحريرية أخرى بل دون أى تغيير فى شكل الجريدة المصادرة ، وعطل اسماعيل صدقى صحف السياسة والمؤيد الجديد وصدى الشرق والأحرار الدستوريين وغيرها ، وغيرها

***

وأصدر من القوانين والقرارات ما جعل الصحافة تعيش ـ اذا كانت تعيش فعلا ـ فى محنة دائما . ومن بين القوانين والقرارات ، التى أصدرها ـ مثلا ـ قانون يضيف أحكاما جديدة ، الى قانون العقوبات بشأن الجرائم ، التى تقع بواسطة الصحافة كما استحدثت بعض القوانين الجديدة التى أصدرها اسماعيل صدقى، جرائم جديدة لم تكن واردة فى قانون العقوبات فيعاقب ـ مثلا ـ كل من ينشر اذاعات ـ هكذا فى الأصل ـ بشأن تحقيق جنائى ، قائم ومن ينشر أمورا من شأنها التأثير فى القضاة الذين يناط بهم الفصل فى دعوى مطروحة أمام أية جهة من جهات القضاء فى البلاد أو فى رجال القضاء ، أو النيابة . وكان غرض الحكومة من اصدار مثل هذه القوانين والاجراءات معاقبة الصحف التى كانت تعطف على المتهمين أو المقبوض عليهم فى التحقيقات السياسية ، وكانت بعض القوانين التى أصدرها اسماعيل صدقى قد ضاعفت من العقوبات الخاصة ، بجرائم النشر

فجعلت العقوبة . المقررة — مثلا — فى المادة ١٥١ من قانون العقوبات تصل الى السجن خمس سنوات مع غرامة تصل الى خمسمائة جنيه — وخمسمائة جنيه يومئذ كانت تشكل ثروة كبيرة · وذلك على تهمة التحريض على قلب نظام الحكم القائم بل على كراهيته ، أو الازدراء به ، وكان الغرض أيضا من تشديد العقوبة ، على جريمة كراهية نظام الحكم ، أو الازدراء به حماية الانقلاب الصدقى، والحيلولة بين الناس وبين اظهار كراهيتهم له ولكن متى كانت الكراهية تمنع بقانون ؟ ان أى قانون يستطيع أن يمنع التظاهر ، أو التخريب أو حتى جرائم النشر ، ولكن أى قانون مهما كانت العقوبة الواردة فيه : يستطيع أن يقضى على الكراهية : وقد اشترط قانون المطبوعات الجديد الصادر فى ١٨ يونيو ١٩٣١ شروطا عديدة قاسية من بينها ألا يكون المحررون المسئولون أو رؤساء التحرير قد حكم عليهم فى جريمتين من جرائم النشر وألا يكونوا أعضاء فى البرلمان ، كما اشترط قانون المطبوعات أن يكون لكل جريدة تصدر ثلاث مرات أو أكثر فى الأسبوع مطبعتها الخاصة بها · وغير ذلك ، من القوانين التى لم تعرفها مصر فى عنفوان الاحتلال البريطانى :

★★★

وكنموذج لما آل اليه حال البلاد من ناحية الصحافة نذكر أنه عندما عطل اسماعيل صدقى باشا جرائد الأحرار الدستوريين فكر بعض كتابه فى وضع كتاب عن « الانقلاب الدستورى » الذى قام به اسماعيل صدقى على أن تصدر كلمة السياسة عنوان الكتاب وذلك اشارة الى جريدة السياسة اليومية ، ومجلة السياسة الأسبوعية التى عطلهما اسماعيل صدقى · وخلال شهر واحد انتهى د· هيكل ، وابراهيم عبد القادر المازنى ، ومحمد عبد الله عنان من تأليف وطبع واعداد كتاب السياسة المصرية والانقلاب الدستورى ، وبينما الكتاب على أهبة التوزيع ، قام البوليس بمصادرة عشرة آلاف نسخة كان قد تم طبعها وتغليفها بالرغم من ان القانون لا يسمح أبدا بمصادرة من هذا النوع ، وأترك د· محمد حسين هيكل يروى ماذا تم بعد المصادرة كما يروى الجو العام الذى كان يعيش فيه الصحفيون المعارضون لحكم اسماعيل صدقى · يقول د· هيكل : « جعلت أتردد على النائب العام ، بعد أن قدمت له شكواى ، مما حدث وسألته أن يحقق هذه الشكوى وأن يحقق فى الكتاب ان كان فيه ما يعاقب القانون ، عليه فاذا بالنائب العام لا يحقق ، واذا هو يعدنى كلما قابلته بأنه سيقرأ الكتاب ليرى ما اذا كان فيه ما يخالف القانون ولم يصدر أمره بالافراج عن الكتاب الا بعد أن انقضى أكثر من شهر على مصادرته ، وبعد أن خيل الى الحكومة ان هذا الزمن، لا يجعل فيه من الأثر فى الرأى العام ، ما كان مقدرا له لو أنه أذيع فى الناس غداة الفراغ من طبعه ·· » ·

★★★

واقرأ الكتاب الذى أزعج اسماعيل صدقى باشا فترة من الزمن فأجد فيه حقيقة ما يستوجب انزعاج رئيس الوزارة ٠ ان الكتاب - مثلا - يتحدث عن موقف الانجليز من مصر ، وعن الانجليز والدستور ، والانجليز والمعاهد ، ومساعى الوزارة الصدقية فى انجلترا ، كما يتحدث عن : الدستور وقانون الانتخاب ومتى عرض على الحكومة البريطانية تعديلهما ، والحزب الجديد ، ومتى تألف ولحساب من قامت الوزارة الصدقية وتصدت لمهمتها ٠

وفى الكتاب فصل رائع عن المسألة الدستورية والحريات العامة : نتائج اعتماد الوزارة ، على غير الأمة ٠ وفصل آخر عن أساليب الحكم المتبعة : التجسس السياسى : الكيد لخصوم الوزارة ، العمد ؟ واستقالاتهم ، ومحاكمتهم : ضريبة الخفراء ، عقوبة القضاء ، واحالة القضاء الى المعاش ، وحديث طويل « عن الانقلاب الدستورى وأثره فى الموقف الحاضر وانكار الأمة للدستور الجديد ، والمساومة فى باريس ولندن على أراض مصرية ، و ٠٠ و ٠٠ ثم عن اعتراف اسماعيل صدقى باشا ، بفشل تجربته ، وكذلك « والصراحة هى وسيلة حل المسائل المعلقة بين مصر وانجلترا » ٠

★★★

ومن بين فقرات الكتاب ٠٠ فى سبيل نشر الارهاب وسعت الوزارة نطاق التجسس الى مدى لعله لم يعرف فى مصر ، أيام الحرب والأحكام العرفية البريطانية ولم تقتصر الوزارة بهذا التجسس على المصلحة العامة ، كبث العيون على المجرمين أو تتبع الجناة ، الذين يفرون من وجه القانون بل كان أول قصدها منه أن تقف على الذين يناصرون خصومها دونها للكيد لهم ، وانتهز أنصارها الفرصة ليلفقوا التهم على خصومهم حرصا من هؤلاء الأنصار على ما يبتغون من الوزارة من منافع لم يناصروها الا لنيلها ٠٠ » ٠

★★★

ومن فقرات الكتاب أيضا : لجأ اسماعيل صدقى باشا - لتجميع الأنصار لحزبه - الى طرق شاذة كالطرق التى الجأ اليها فى محاربة خصومه ٠ فالعمد والمشايخ يجب أن يمضوا ورقة بانهم أعضاء فى الحزب وأن يدفعوا اشتراكه واشتراك جريدته؛ وأعوان الحزب، ومن يجدون الانتماء اليه محققا لمصالحهم، يجب أن يحرروا كشوفا بالأشخاص الذين يخضعون للرغبة أو للرهبة وأن يرفعوا هذه الكشوف الى رجال الادارة لاستحضار الأشخاص الواردة أسماؤهم بها ، ورجل الادارة النشيط الذى يستحق الرضا ، ومن ثم الترقية فى المرتب والدرجة هو الذى يستطيع أن يحشد للحزب الجديد أكبر عدد ممكن » ، وعن مسائل الانتقام من خصوم الوزارة الحزبيين ، تحدث الكتاب عن احدى هذه الوسائل وهى البيع الادارى للمواشى والحاصلات الزراعية وقد حدث أن بيع ما لدى أحد هؤلاء

الخصوم بتسعين جنيها . وهذه الأشياء هى ـ نقلا عن المحضر الرسمى : ستة ثيران من أحسن الثيران ، جمل واحد ، جاموستان مخصصتان لحلب اللبن ، جوادان للركوب ، حمارة وبنتها ، ثمانية حمير ، خمسة نوارج لدرس القمح ، داكار للركوب : والتعليق على ذلك : جميع هذه الأشياء بيعت بتسعين جنيها وهى ثمن ثورين فقط ، فهل بعد ذلك ، يقال ان الوزارة ليست متسببة فى خراب البلاد ، اللهم ارحمنا من هذه الحالة انك غفور رحيم .. ! » .

***

وكان صدقى باشا ، قد حاول أن يضم الدكتور حسين هيكل الى حزب الشعب ، فبعث اليه برسالة مع صهره عبد الرحمن باشا رضا يقول فيها انه مستعد لاجابة كل مطلب اذا ترك الأحرار الدستوريين وانضم الى حزب صدقى باشا وكان مما قاله عبد الرحمن باشا رضا للدكتور هيكل : ان الأحرار الدستوريين لا يقدرون لك موقفك معهم ، بدليل انهم لا يؤدون لك حقك عليهم ، وأنت الذى تدير سياسة جريدتهم ، وكان ما قاله هيكل لصهره هذا شىء آخر ولعل لهم عذرا أعرفه وعلى أى حال فلن أرضى لنفسى موقفا لا يتفق مع موجب الكرامة والرجولة ، وكان الموقف المالى لحزب الأحرار الدستوريين سيئا للغاية بدليل انهم لا يعطون مرتبات كافية لمن يعملون فى جريدتهم ، وقد ظن صدقى باشا ان تلك الأزمة المالية ، التى كانت وقتئذ بالغة الشدة ، يمكن أن تحول الدكتور هيكل من صفوف حزب الأحرار الدستوريين الى صفوف حزب الشعب فلما رفض هيكل عرض صدقى أخبر بعض أصدقاء د. هيكل انهم سمعوا ، ان البوليس يدبر أن يضبط عربته يوما بعد أن يدس بها المحرمات : ويقول هيكل انه قد عجب لهذا النوع الغريب من الحرب « وان لم أتأثر به الا أن أكون قد ازددت عنفا فى مقاومة نظام ينزل الى هذا الدرك فى الخصومة السياسية » .

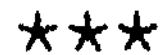
***

وعن الروح الوطنية العالية التى كانت تسود الصحفيين والعاملين فى الصحف الذين كانوا يخوضون أعنف معاركهم يقول د. هيكل ، وأنا أفضل الاستشهاد باعتباره كاتبا وباعتباره شاهد عيان فى نفس الوقت : « حرص صدقى باشا ، على اقصائى من رئاسة تحرير السياسة فأصدر قانونا للمطبوعات يحرم من رياسة التحرير من صدر ضده حكما بالادانة ، ولما كان قد صدر ضدى حكمان على مقالين نشرتهما السياسة أحد الحكمين بغرامة خمسة جنيهات ، والآخر بغرامة عشرة جنيهات فقد أصبحت محروما من رياسة تحرير السياسة وسرعان ما حل محلى فى هذه الرياسة زميلى الأستاذ عبد القادر المازنى من غير أن يقتضى عن هذه المسئولية أية زيادة فى مرتبه ووضع اسم الأستاذ المازنى ، على السياسة رئيسا لتحريرها ووضع اسمى أنا مديرا لسياستها ولم تكن هذه

الروح القوية وقفا على زملائى ، فى التحرير ، بل امتدت الى جميع العاملين فى الجريدة من أولهم الى آخرهم ، من رئيس التحرير الى العامل فى ورشة الصف ولما رأى صدقى باشا أن القانون الذى أصدره لم يحرمنى حق التحرير وحق ظهور اسمى ، على الجريدة مديرا لسياستها حاول أن يجد الوسيلة لالصاق تهمة بى ، فكنا بين حين وآخر نرى رجل النيابة مقبلا علينا صدر المساء ، يحقق معنا ويفتش المطبعة ، يريد أن يعثر على شىء ، كتبته أنا يكون مادة لاتهام أيا كان نوعه ، وتناقل المحررون والعمال ان صدقى باشا حريص على أن يصل الى ورقة مكتوبة بخطى يجعلها أساس اتهامى والقبض على و ٠٠ و ٠٠ وكذلك ، كانت الحرب بيننا وبين الحكومة عوانا ، وكنت موقنا بأننى منتصر آخر الأمر لا محالة لاننى أدافع عن حق ولان الناس جميعا مقتنعون اقتناعى وان أقعدهم الخوف عن مظاهرتى وكانت الحكومة تعمد الى محاربة السياسة فى انتشارها عن طريق التضييق على باعتها ، حينا واغراء متعهدها بالمال حينا آخر وكذلك كنا كلما ازدادت الحكومة شدة وضغطا ازددنا ايمانا برسالتنا فاحتملنا فى سبيلها ما لا يحتمله الانسان عادة فى المألوف من الحياة » ٠

***

وقد بلغت الخصومة باسماعيل صدقى درجة عنيفة جعلته يرفع دعوى ضد محمد محمود لانه قال لمجموعة من طلبة الجامعة ان صدقى باشا ووزارته تمشى فى حكمها ، على كومة من القاذورات ٠ ورغم ان السياسة نشرت الكلمة مخففة الا ان اسماعيل صدقى أصر على رفع الدعوى ، وعندما دعى محمد محمود من قبل النيابة للتحقيق معه ، رفض الحضور أمامها فما كان من النيابة الا أن رفعت الدعوى ، على محمد محمود ومحمد حسين هيكل أمام محكمة الجنايات بتهمة السب والقذف وادعى اسماعيل صدقى مدنيا طالبا تعويضا قدره عشرون ألفا من الجنيهات ونظرت الدعوى أمام دائرة الجنايات التى كان يرأسها محمد بك نور فرأى ان القضية لا يجوز نظرها أدبيا فالمدعى ، والمدعى عليه سياسيان بارزان أحدهما رئيس وزارة والآخر رئيس وزارة سابق وقد طلبت المحكمة الى المحامين عن الخصمين ، اسماعيل صدقى ، ومحمد محمود أن يوفقوا بين الخصمين صلحا ، وبذلك تأجلت القضية الى أجل غير مسمى تحدده المحكمة فيما بعد ٠



وقد قلت فى بحث خاص نشرته قبل أن ينشر هيكل مذكراته السياسة :

« فى أوائل حكم صدقى باشا نشرت السياسة اليومية خطبتين لمحمد محمود اعتبرهما صدقى باشا طعنا فيه فأوفد أحد أصدقائهما المشتركين الى محمد محمود طالبا منه أن يعلن أن الخطبتين نشرتا قبل اطلاعه عليهما ولكن محمد محمود ، أبى ، وفى اليوم التالى أبلغ صدقى باشا النيابة واستدعى محمد محمود

الى سراى النيابة محوطا بزعماء الوفد وزعماء حزبه ، واستمر سؤاله ساعة وربعا ، ولقد احتفظ باجابته عن الأسئلة ، وقد طالب صدقى باشا ، بعشرين ألف جنيــه كتعويض وفى ١٢ مايو ١٩٣٢ انتهى التحقيق فى القضــية وفى ١٤ أكتوبر أعلن محمد محمود بقرار الاتهام وأحيل الى النيابة وقد رفض فى ٩ أكتوبر التوجه الى النيابة للتحقيق معه فى صدد خطاب ألقاه ببنى مزار . وفى أوائل سنة ١٩٣٢ أحيل الى محكمة الجنايات وكان صدقى باشا مريضا فقال محمد محمود وهو يطلب التأجيل : ان التهمة الموجهة الى تقتضى أن أمس شخص خصمى وخصمى مريض لا يملك الدفاع عن نفسه فأجلوا القضية أو فاحكموا على بغير دفاع » أما تلك العبارات التى حوكم من أجلها محمد محمود فهى : لو كان عند رئيس الحكومة ذرة واحدة من الحياء بل لو كان عنده ما يسمح له بالخجل لتوارى من أمام الناس واعتزل الحكومة ، اننا مصممون فوق ذلك على أن نصون كرامة مصر وشرفها القومى ، من أن يدنس بمثل هذه الأحكام التى صدرت فى حق رئيس الحكومة وحزبه : انه بعمله هذا قد اشترى الحكم بثمن بخس دراهم معدودة : نعم قد صممنا على أن ننقذ مصر من هذه العصابة التى تحكم البلاد بقوة الحديد والنار : ليس بيننا اليوم حكومة وانما بيننا عصابة مجرمة قد حكمت محكمة الجنايات على بعض أفرادها ، وبقى البعض الآخر ، لم تحكم عليه ولكن للأمة ، وللأمة وحدها أن تصدر حكمها النهائى على أولئك الذين أفلتوا من يد القضاء .. »

***

وصف الأستاذ عبد الرحمن الرافعى حكومة اسماعيل صدقى بقوله : جعلت الوزارة بنك التسليف الزراعى أداة لمساعدة أنصارها واستغلت الأزمة المالية ، لتميزهم فى التسويات والسلف العقارية والضغط على خصومها السياسيين ومحاربتهم بسلاح المطالبات المالية لكى تضطرهم تحت تأثير الخوف من الفقر والفضيحة الى الخضوع لسياستها والانفصال عن المعارضة وهذا لا ريب افساد للأخلاق والضمائر ايما افساد .

***

وتعقبت الحــكومة خصومها الســياسيين فى أرزاقهم وموارد معاشهم ، فعطلتها بمختلف الوسائل غير المشروعة لكى تضطرهم الى الذل والاســتكانة والانضمام الى صفها ولم تتورع فى هذا الصدد عن اقفال المحالج والمصــانع ، لأسباب ملفقة ، للتنكيل بأصحابها وجعلهم عبرة لغيرهم ، وقد استسلم بعض الأعيان لهذا السلاح وصمد له آخرون فبرهنوا على صلابة العقيدة ، ومتانة فى الأخلاق مما يحتــاج اليه المجتمع فى بلادنا وطغت ســلطة الادارة على السلطة القضائية وبلغت استهانة الموظفين الاداريين بالسلطة القضائية ان كان وكيل

نيابة المنيا يحقق فى مساء ٢٧ مايو ١٩٣١ فى شكوى قدمها بعض الأهالى ضد رجال الادارة فمنعه مأمور ضبط المديرية من الاستمرار فى التحقيق وحال بينه وبين الأشخاص المطلوب استجوابهم وكان لهذا التدخل ضجة كبيرة . ووقفت الحكومة سعيدة مغتبطة بازاء هذا الافتئات الصارخ على السلطة القضائية وتحولت الحكومة الى أداة انتقام من خصوم الوزارة ووقر فى ذهن الحكام الاداريين ان هذه مهمتهم الأساسية وان هذه الوسيلة المقوتة هى السبيل الى ترقيتهم وتقليدهم المناصب الممتازة كما استقر فى أذهانهم أن الانتخابات ليست الا مهزلة أو مأساة قوامها الحيلولة بين الناخبين وحريتهم فى الاختيار واكراههم بمختلف وسائل التهديد أو التزييف على انتخاب من تريده الحكومة واختصت الوزارة أنصارها ، والمنفذين لسياستها الارهابية بالمزايا والترقيات الاستثنائية وزادت على ذلك منح بعضهم صفقات من أملاك الحكومة مقابل ما سمى استبدالا لجزء من معاشهم خولفت فيها اللوائح ، والقوانين وضحت فيها بمصالح الدولة والاهلين لحساب هؤلاء الموظفين ، وكانت هذه الصفقات بمثابة رشوة لهم مع بقائهم فى وظائفهم ·

★★★

وعن ما سمى بحادث البدارى قال الأستاذ الرافعى : قتل مأمور مركز البدارى فى مارس ١٩٣٢ لأسباب لا صلة لها بالسياسة وثبت ان سبب القتل ارتكابه حوادث تعذيب مع بعض الأفراد ، مما دعا ، اثنين منهم الى قتله انتقاما منه وقد ، حوكما ، أمام محكمة جنايات أسيوط فقضت على أولهما ، بالاعدام ، وعلى الثانى بالأشغال الشاقة المؤبدة فرفعا طعنا فى هذا الحكم أمام محكمة النقض والابرام برئاسة عبد العزيز فهمى باشا فأثبتت المحكمة فى حكمها أن رجال البوليس ، أتوا من المنكرات ما وصفتها المحكمة بأنها اجرام فى اجرام ، وان من وقائعها ما هو هتك عرض يعاقب عليها القانون بالأشغال الشاقة وأنها من أشد المخازى اثارة للنفس » ورأت محكمة النقض ان ما جعلته محكمة الجنايات موجبا لاستخدام الشدة ، كان يجب أن يكون من مقتضيات الرأفة ·

★★★

وكان حكم محكمة النقض والابرام من أخطر الأحكام التى صدرت فى تاريخنا القضائى ·

والقضية من بدايتها حتى نهايتها تحتاج الى مزيد من التفصيل كما سيتضح فى الفصل التالى ·

الفصل الرابع

البدارى أفظع حادث تعذيب شهدته مصر فى الثلاثينيات

● فى حياة كل شعب من شعوب العالم ، بعض أحداث تأخذ أحجاما ، أكبر من أحجامها الطبيعية وتنال من اهتمام الناس ، أكثر مما تناله مثيلاتها ، والسبب أنها وقعت فى زمن معين وأنها أتيحت لها ظروف خاصة ، جعلتها تتميز على ما عداها من أحداث ، وتحقق من النتائج الهامة ، والخطيرة ، أضعاف أضعاف ما كان يمكن لها أن تحققه لو انها وقعت فى غير هذا الزمن ولم تتح لها تلك الظروف الخاصة ، من تلك الأحداث ــ مثلا ــ حادث البدارى الذى وقع فى عهد اسماعيل صدقى باشا ، وكان يمكن أن يطويه النسيان كما طوى غيره ، بل وأهم منه ، لو لم ، يقع ذالك الحادث ، فى وقت كان الرأى العام المصرى فيه مهيئا للاشتعال لأى سبب من الأسباب ، وتصدر محكمة النقض والابرام ــ أعلى سلطة قضائية فى مصر ــ حكما هاما وخطيرا ، يتعلق بذلك الحادث : تثــور مصر كلها ، لدى صدور ذلك الحكم ، تقوم ولا تقعد ، حتى البرلمان الذى شكلت أغلبيته حكومة اسماعيل صدقى ، أو شكلته بمعنى أدق حكومة اسماعيل صدقى يغضب ويثور ، ويقدم بعض أعضائه ، أكثر من استجواب ، وتحرج الحكومة .... واذا بأحد أقطاب النظام ــ على ماهر ــ وكان وزيرا للحقانية لا يملك بعد أن أصدرت محكمة النقض والابرام ، حكمها الخطير ، والرهيب ، لا يملك الا أن يتقدم ببضعة مطالب لمعالجة الآثار السيئة للحادث فلما رفضتها الحكومة أو رفضت بعضها استقال ، واستقال معه بعض زملائه الأمر الذى دفع رئيس الحكومة اسماعيل صدقى ، الى أن يرفع استقالة الحكومة كلها ، ويعيد تأليفها من جديد ، ولكن ما هو حادث البدارى ، هذا الذى أثار الرأى العام المصرى كل هذه الثورة العاتية : رجعت الى الصحف ، والمجلات ، قرأت المئات من صفحات محاضر التحقيق ومرافعات ، الدفاع ، والنيابة وحكم محكمة النقض والابرام ، بل استعنت ببعض ممن شــهدوا جوانب من تلك المأســاة المحزنة ، وخرجت ــ من ذلك كله ــ بهذه السطور .

على بعد أربعين كيلو مترا تقريبا ، من مدينة أسيوط ، تقع قرية البدارى ، وهى قرية كبيرة ذات وضع خاص : يتقاسم ، السلطة والنفوذ فيها عمدتان ، على خلاف ما يجرى فى كثير من قرى مصر ، كل عمدة ، يحاول أن يقضى على نفوذ الآخر ، ويتغلب عليه لينفرد ، هو بالسلطة • والى جانب أسرتى ، العمدتين ، توجد أسرة كبيرة ، لا تقل فى النفوذ ، والعصبية ، وكثرة الرجال عن أسرتى العمدتين ، على رأس هذه الأسرة شيخ وقور جاوز المائة من عمره له حفيد فى الثالثة والعشرين من عمره ، درس عامين فى مدرسة الفنون والصنائع ، بالقاهرة كان فيها مثلا للاستقامة والنشاط وعندما لاحت له فرصة العمل فى وظيفة معينة ، فى بلدته ، تقدم اليها ، وفاز بها لأنه يفضل الاقامة فى بلدته ، وبين ذويه • واتخذ أحمد ـ وهذا هو اسمه ـ بعد عودته الى قريته من صديقه حسن أبو عاشور صديقا حميما وكانا لا يفترقان الا فى ساعات النوم •• وقد كانت تلك الصداقة ـ التى هى مضرب الأمثال فى القرية ـ سببا فى أنهما أصبحا شريكين فى جريمة مقتل مأمور البدارى ، يوسف الشافعى ، ويوسف الشافعى هذا ، كان ابنا مدللا لأحد عمد الدقهلية ، ولان أمه فرنسية فقد كانوا يطلقون عليه جوزيف ، ولكن أبناء الريف حرفوا الاسم ، من جوزيف الى يوسف ، وعندما أصبح يوسف هذا مأمورا للبدارى بدأت الأحداث الخطيرة تتلاحق •

★★★

وأنقل بعض ما نشره المصور عن حادث البدارى ، وقد ذهب أحمد مندوبيه الى هناك ورأى بعينيه ، وسمع بأذنيه كل شىء : العمودية ، عمدتان لا عمدة : ولا نحاول هنا أن نتعرض لنكبات العمودية ومآسيها فى الريف • فويلاتها معروفة ولكن ما بالك بعمدتين يتنازعان النفوذ والسطوة فى بلدة واحدة • عمدتان مختلفان فى كل شىء تقريبا ويجتمعان على شىء واحد : يجب ألا تقوم لأسرة حسين عبد الحق الكبيرة العدد ، الكثيرة الرجال قائمة ، لانها تهدد مركز أحد العمدتين وتشرئب بعنقها الى « العمودية » : واتفق العمدتان ، فى أمر ثان : التقرب من الحكومة ، والحكومة فى المركز ، سعادة المأمور ، وهبط أحمد جعيدى ـ الذى ينتمى الى أسرة عبد الحق ـ بلدته البدارى فرأى ـ وهو الفتى المتعلم ـ ان أهله يسامون ألوانا من الارهاق ، لا سند لها ولا مبرر وأنهم يلقون من بعض الجهات عنتا وشدة فوقف فى وجه الارهاب ، والعنت ، يبين أن لا سبب لهما ولا مبرر ، ويقول : ان لأهله ، أن يرفضوا الذل وأن يجأروا بالشكوى كحق كل مواطن يتمتع بحقوق الحرية فى هذا الوطن ، وهنا بدأ النضال : فتى يرتفع بأسرته ، عن قبول الضيم ، وجهة ترى ان هذا الفتى يريد تفتيح الآذان ، والعيون الى ما هو حق ، وما هو باطل والى ما يجب ألا يكون ، وامتدت الأصبع الخفية الى أحمد جعيدى تتناوله بالاتهام فى احدى الجرائم وتقول أنه قتل رجلا ، وان ثياب الرجل مدفونة وهى ملطخة بالدماء ، على مقربة من

بيت جعيدى وتعثر الشرطة على الملابس الملطخة بالدماء ، ويقودون أحمد الى التحقيق والسجن ثم يعود القتيل المزعوم ، حيا يسعى على قدميه ، بعد أن أضحى أحمد جعيدى فى عداد المشبوهين .

★★★

وتهمة ثانية واتهام ثالث واذا بالفتى الموظف قد غدا مشبوها ومراقبا ، ومعدودا من الخطرين على الأمن العام ، ولكن جعيدى لم يسكت على ذلك فبادر برفع شكايته ، ومظلمته الى وزارة الداخلية والى مديرية أسيوط يشكو العمدة الشيخ همام والمأمور يوسف أفندى الشافعى ويحتج على عدهما اياه مشبوها واتخاذهما ضده قرارات المراقبين الخطرين على الأمن العام من دون أن يقترف أية هفوة ، وجاء دور الصديق حسن عاشور ، صديق جعيدى الحميم فلقى ما لقيه الفتى من انذارات ومراقبة وشبهة وارهاق ، وشكا الشابان فأحيلت الشكاوى الى المديرية ومن ذا الذى يجرؤ فى الريف على شكوى سعادة المأمور . بل ينسب اليه كذا ، وكيت من صنوف المخالفات ، والخروج بالقسوة الغظيعة عن حدود القانون ، واستمر النضال وحمى وطيسه ، يودع جعيدى وعاشور السجن لتهمة ما ، فلا يكادان يخرجان حتى يقدما الشكاوى ضد العمدة ، والمأمور ، وتحال الشكاوى على العمدة والمأمور لاجراء اللازم ، فيعود الشابان الى السجن . ويجرى اللازم ، وتقدم جعيدى ، وصديقه يفصلان بعض هذا الى مراجع الشكاوى فأحيلت الشكاوى كالعادة ، الى المأمور والعمدة فكان امتهان الرجولة فى جسد هذين المنكودين وكان تنكيل وحشى وصفته محكمة النقض بأنه اجرام فظيع ، ويخرج الشابان من السجن يمزقهما الألم . وتخزيهما الفضيحة ، ألم يقولا تحت لهب السياط ومرارة التنكيل « أنا مره » ألم تمتهن رجولتهما ، ويعبث بجسديهما ؟ ألم يساما خسفا فيه اذلال الروح والجسد ، والانسانية ؟ وماذا بقى لهما بعد : الشكاوى ، تحول الى المشكو منه لاجراء اللازم ، وما أفظع ذلك اللازم وأقساه : وخرجا من ذلك الجحيم . بعد أن خلع عنهما المأمور ، ثوب الرجولة المهلهل وبعد أن التحفا فى ساحة المركز ، بعار ما بعده عار ، وعادا الى داريهما ، وهما تكاد تموت منهما الروح ، وينعدم الاحساس ، بل كان ـ على حد قول محكمة النقض ـ يتخوفان من تكرار ارتكاب أمثال تلك « المنكرات » فى حقهما .

★★★

ذهب يوسف أفندى الشافعى مأمور مركز البدارى فى مساء يوم ١٩ مارس الماضى ، الى زيارة صديقه فهيم أفندى ناصف مهندس الرى ، وخرج الرجلان معا ، وسارا يتجاذبان أطراف الحديث الى أن بلغا دار المدرسة الابتدائية بالبدارى ، فما كادا يقتربان من بابها حتى سمعا دوى اطلاق الرصاص ، وسقط المأمور جثة هامدة بلا حراك وحقت اللعنة على البدارى ، لم تمض ساعات على

نقل جثة المأمور القتيل حتى نادى مناد فى البلدة بالويل والثبور : اكتسح رجال الهجانة الشوارع والطرقات يزيحون من يعترض سبيلهم ، بضربات السياط ، وحاصر حكمدار بوليس أسيوط البلدة بجنوده ثم كان الهجوم ، وأسرعت قوة من الهجانة الى دار جعيدى فأمسكوا به وشدوا وثاقه الى الخيل . وساقوه الى المركز ، تحت وابل لا ينقطع من وقع السياط وحمل صديقه عاشور من فراشه حملا وحاصرت قوة أخرى دار العمدة محمد بك وسيق بدوره الى التحقيق : كانت القرائن ضعيفة والأدلة واهية فكيف السبيل الى الادانة ٠ يقول وكيل شيخ الخفر سابقا : كان جل المطلوب أن يعترف الشابان بالقتل ، وطولبا بالاعتراف ، فأقسما بأن لا يد لهما فى قتل المأمور وعادت المآسى السالفة تمثل بالشابين فى المركز دون أن يعترفا بانهما القاتلان ٠٠ وصدر الأمر الى الهجانة فاذا بهم يحيطون ببيت آل جعيدى ويأمرونهم بالنزول الى المركز ، فنزل الجد المحطم ، والأب ، والأبناء ، والأعمام وصموا بالسير ، ولكن الهجانة تساءلوا عن بقية آل البيت فاجيبوا بأنه لم يبق الا النساء ، وأنزلت النساء بدورهن وساقهن الهجانة مع الرجال ، الى دار المركز ، فكانت الاهانة البالغة التى لا يرى الصعيدى أبلغ منها ، حريمه يسقن علنا فى الأسواق ، وكانت قوة أخرى من الهجانة تمثل نفس الدور لدى باب بيت عاشور ، ويقول حسين جعيدى ، والدمع يترقرق فى عينيه : أمسك بى أحد الجنود وانهال ضربا بالسوط ، فما استطعت الا أن ألف ذراعى حول رأسى ، أحمى عينى من السياط ، وأسلم أمرى الى الله ، وكان جنود الهجانة يتناوبون ضربنا والسؤال الذى لا يزال يتردد على مسامعنا : الاعتراف .

★★★

ولبثنا على هذه الحالة الرهيبة أياما ولما لم يقع الاعتراف المنشود ، استعرض الحكمدار المحبوسين وأخرج من بينهم أحمد ، وعاشور وأعاد عليهما السؤال فى الجريمة فانكراها ، ورفضا الاعتراف قائلين أنهما لم يرتكبا جرما ، وكانت اشارة انقض الجنود على اثرها على أم أحمد وأم عاشور ، وخلعوا ملابسهما ، حتى أصبحتا عاريتين وأخذ الجنود يطلون وجهى المرأتين بمادة بيضاء ، ونادى مناد بأن جميع نسوة الأسرتين سوف يسقن عاريات فى الأسواق ، ملطخات الوجوه مربوطات فى الحبال ، وصحت من أعماق قلبى ٠٠ وأى عار لئن كان ولدى قاتلا فاعدموه بجرمه ، ما ذنب النساء » ولكن الجنود واصلوا خلع الثياب عن النساء ، وهجمت على ولدى وأمسكت بعنقه أطلب اليه أن يعترف فورا سترا لهذه الفضيحة التى لا تمحوها السنون ٠ وصاح أحمد اذ رأى أمه عارية أمام الرجال وصاح حسونة عندما رأى أمه واخواته عاريات أمام الرجال : صاحا معا يقولان : نعترف ، دعوا النساء ، وافعلوا بنا ما تشاءون ٠٠ وقضى الأمر ، واعترف الشابان وخرجا من دار المركز كالموتى فى صمت وسكون ولقد بلغ من فرط الذهول الذى استولى على أم أحمد جعيدى وشدة ما قاست فى المركز ، أنها نسيت ابنتها الصغيرة فى السجن ، ولم تتذكرها الا بعد ثلاثة أيام ٠

وتقدم الشهود يدلون بأقوالهم . وتم التحقيق وقدمت القضية الى محكمة جنايات أسيوط ، وهنا بدأت ظاهرة محيرة عجيبة حقا ، ذلك أن بعض الشهود وقفوا أمام محكمة الجنايات ينكرون شهادتهم ، التى أدلوا بها فى التحقيقات ويقولون انهم أجبروا على الشهادة بالباطل ، واعتبرت المحكمة هؤلاء الشهود ، شهود زور وقضت على كل منهم بالحبس سنة ، كما قضت على شيخ الخفراء ، والخفراء بالحبس سنتين .

***

ويهون اسماعيل صدقى باشا ، وبعض أنصاره من شأن حادث البدارى ، بل ويبدون استغرابهم ودهشتهم لثورة الرأى العام المصرى عندما أصدرت محكمة النقض والابرام حكمها الصارم فى هذه القضية الذى تساءلت فيه : كيف تركت العدالة من أقدموا فى جراة على تعذيب الناس ، واجبارهم أمام الوسائل الارهابية القاسية على أن يقدموا على ارتكاب جريمة قتل ؟ » وكان وجهة نظر بعض أنصار اسماعيل صدقى ان حادث التعذيب الذى وقع فى البدارى ، لا يمكن أبدا أن يأخذ أكبر من حجمه ولا يمكن أبدا أن يكون أداة للنيل من الوزراة الحاكمة لأنها ليست أبدا مسئولة عنه : ان المسئولية قد تقع على مأمور البدارى ، أو على حكمدار أسيوط ، أو حتى على مدير مديرية أسيوط ، ولكن لا يمكن للوزارة ككل أن تكون مسئولة عنه ، خاصة وانها لم تعرف به كما قال بعض المسئولين فيها ، الا عندما أصدرت محـــكمة النقض والابرام حكمها العنيف والرهيب ، وعندما تقدم ورثة مأمور البدارى ــ القتيل ــ يطلبون منهـا تقرير معاش لهم .

***

ويقول بعض هؤلاء الأنصار أيضا عن حادثة البدارى ، انها ليست الا واحدة من حوادث « التعذيب الادارى » التى يلجأ اليها رجال الادارة فى كل عصر ، وزمان ، لتدعيم الأمن واستتباب النظام ، وحفظ هيبة الحكومة من عبث العابثين ومروق الخارجين على سلطان القانون وطاعته ممن يعيثون فى الأرض فسادا ، ويفرضون على الآمنين وخاصة فى الريف سلطانا جائرا ، وسياجا من الوهم والارهاب » حادثة البدارى ليست الا حادثة من الحوادث التى اعتاد الريف أن يراها ويسمع بها ، كانت حادثة ومرت فلم يسمع بها أو يتأثر لها غير نفر محدود فى تلك القرية الجبلية البعيدة التابعة لمركز أسيوط : انها حادثة شهدها مسرح حوادث القرية البعيدة ثم بدأ النسيان ينشر عليها ظلاله ، ويدخل على قلوب فرائسها ، وضحاياها ــ أحياءهم ومن لقى الموت أو ذاق هول السجن أو كان يستعد لتنفيذ حكم الاعدام ــ احساس الرضا بما كان والتسليم بما حدث ولكن شاءت الظروف أن يقفز اسم البدارى ، الى مكان الصدارة وأن يكون

حادث التعذيب فيها مثارا لهجوم عنيف على اسماعيل صدقى ، ووزارته ، هجوم أثارته المعارضة دون روية أو دراسة لأنها قصدت من ورائه أحراج مركز الوزارة ووضعها فى مكان مزعزع ، يعرضها الى اللوم ، والتأنيب : لقد مرت الحادثة فى أدوارها التقليدية ثم .. قدم المتهمان بقتل مأمور مركز البدارى نقضا فى حكم دائرة الجنايات مدعما بمبررات النقض القانونية وصـدر حكم محكمة النقض فكأن مطرقة هوت على رأس الادارة ووصفت أساليبها بالوحشية »

★★★

ويقول بعض هؤلاء الأنصار أيضا ـ أنصار اسماعيل صدقى ـ ان الحادث لا يمكن أن يخرج عن دائرة موظف عمومى أراد بوسائله الادارية أن يوطد الأمن فى بلدة هو المسئول الأول والأخير عن أمنها ، وهدوئها وسلامة أهليها وضمان أرواحهم ، وأموالهم ذلك هو منطق التعذيب والمعذبين بكسر الباء ، وتلك هى الطريقة التى يلجأ اليها عادة الدكتاتوريون لاخفاء أخطائهم وخطاياهم ، وقد يكون من الممكن أن يقبل هذا المنطق ـ منطق التعذيب والمعذبين ـ لو أن حادث التعذيب كان واحدا ، لم يتكرر ، أما عندما يكون ذلك الحادث ليس الا نموذجا لأحداث كثيرة وقعت ، وأما أن يكون ذلك الحـادث مجرد عنوان على عشرات بل مئات من الأحداث المتشابهة ، وأما أن يكون العهد كله عهد تعذيب فان أحدا لا يمكن أبدا أن يقبل ذلك المنطق ، أو يتأهب حتى لسماع مبرراته .. لقد كان عهد اسماعيل صدقى وبدون أية مبالغة من جانبنا عهد تعذيب وارهاب لا مثيل لهما فى تاريخ مصر ، حتى فى أيام عنفوان الاحتلال البريطانى . أن حادثة كحادثة دنشواى ـ مثلا ـ نجحنا فى أن نجعل الرأى العام العالمى كله ـ بما فيه الرأى العام البريطانى ـ يثور من أجلها ، ثورة عنيفة عارمة ، لم يقع فيها من الجرائم اللاانسانية كما وقع ـ مثلا ـ فى حادث البدارى قد يقبل « البعض » من الاحتلال البريطانى ـ مثلا ـ فى سبيل الانتقام لجنديين من جنود قواته المسلحة يستخدم الكرباج لضرب بعض المتهمين فى قرية دنشواى ، بل قد يقبل هذا « البعض » من هذا الاحتلال ـ مثلا ـ أن يعلق على المشانق ، وبطريقـة اجرامية بعض المتهمين فى حادث دنشواى ، أى قد يوجد من يقبل هذا أو ذاك أو هما معا .

★★★

ولكننى لا أعتقد ان هنا أو هنـاك من يقبل فى سبيل الانتقـام لمقتل مأمور البدارى أن تمتهن رجولة أبنـاء قرية بأسرها ، أو أن تسـاق النسـاء عرايا ملطخات وجوههن فى شوارع القرية اجبارا لبعض المتهمين على الاعتراف! ان أحدا لا يمكن أبدا أن يتقبل مثل تلك المأساة الرهيبة خاصـة اذا كانت الأدوات التى تقوم بتعذيب الرجال ، والنسـاء أيادى مصرية !! وان يكون

المجرمون والضحايا مصريين فتلك هي مأساة المآسي ، التي لا يمكن أبدا لأحد أن يغفرها حتى ولو بعد مئات السنين !!

لقد كان واجبا على اسماعيل صدقي رئيس الوزارة المصرية عندما علم بأن موظفين عنده قاموا بمثل عمليات التعذيب الرهيبة تلك أن يحاكمهم - وبسرعة - على ما اقترفوه من جرائم لا انسانية أو يستقيل ، ويختفي من الحياة السياسية تماما : أما أن يبقى في منصبه الوزاري يدافع عن هؤلاء المجرمين ويتلمس كل الوسائل للابقاء عليهم في مناصبهم بعد كل ما اقترفوه فذلك ما لا يمكن أبدا أن نغفره أو يغفره التاريخ لاسماعيل صدقي ! •

★★★

ولقد كان واجبا ، أيضا على اسماعيل صدقي ، رئيس الوزارة المصرية ، عندما أصدرت محكمة النقض والابرام ، هذا الحكم الرهيب ضد رجال الادارة الذين يعملون تحت امرته أن يستقيل وبسرعة أثر صدور ذلك الحكم • وقد قيل نقلا عن سعد زغلول انه قال تعليقا على حكم أصدره القضاء ضد احدى الوزارات : لو أن القضاء لطمني هذه اللطمة لخررت مغشيا على ولفارقت منصبي » ولكن الذى حدث ان اسماعيل صدقي لم يفارق منصبه ولم يحاول حتى أن يعتذر عما بدر من رجاله . بل راح ينتقم من كل من كان له رأى مخالف في حادث البدارى ••

★★★

عندما عرض اسماعيل صدقي دوسيه قضية البدارى ، على « على ماهر » ، باعتباره وزيرا للحقانية ليقوم من جانبه بفحصه ، ودراسته والادلاء برأيه فيه انزعج على ماهر مما آلت اليه أمور الادارة في مصر وعلى ماهر كان رجل قضاء ، وكان واحدا من أعضاء لجنة الدستور ، وقد يكون للرجل - منذ بداية عمله السياسي - تطلعاته السياسية وقد يكون واحدا من أبرز الوزراء الذين كان يعتمد عليهم اسماعيل صدقي في نظامه ، غير أن على ماهر ، رجل القضاء ، وأستاذ القانون ، وأحد أعضاء لجنة الدستور قد تغلب على «على ماهر» ، السياسي الركن الركين لاسماعيل صدقي ، صاحب التطلعات السياسية الذى يجب عليه أن يخطو كل خطوة بحساب : وجد على ماهر الفرصة سانحة لكي يخرج من المركب الغارقة بشرف : وكان بعض النواب قد تقدموا باستجواب عن حادث البدارى ، وكان الرأى العام كله ، يغلي في انتظار ما تقوله الحكومة - لو كان لديها ما تقوله عن هذا الحادث الفظيع - أعد على ماهر بيانه الذى سوف يلقيه في مجلس النواب : لم يشأ أن يدافع عن رجال الادارة الذين أجرموا في حق شعبهم •• بل لم يشأ أن يعتذر عن الجريمة بحجة تجاوز بعض رجال الادارة سلطاتهم ، وانما وجه اللوم الى رجال الادارة لأنهم اقترفوا ما اقترفوه ••

طالب بالغاء القانون الخاص بحماية الموظفين .. طالب بانشاء محكمة لاعادة النظر في القضايا التى تفصل فيها محاكم الجنايات على ذلك الوضع الذى حدث فى قضية البـــدارى .. كما طالب فى نفس الوقت بتنقيح قانون المشبوهين ، وينشـــب الخــلاف بين رئيس الوزارة ووزير حقانيته ويعرض الخلاف على مجلس الوزراء ، وينقسم المجلس الى أغلبية وأقلية . أغلبية تؤيد ـ بالطبع ـ رئيس الوزراء ، اسماعيل صدقى ، وأقلية ـ بالطبع ـ تؤيد وزير الحقانية على ماهر ، ولكن على ماهر يتشبث برأيه ويصر على أن يلقى بيانه كاملا فى مجلس النواب ويهدد على ماهر بالاستقالة من منصبه الوزارى ويهدد عبد العزيز فهمى ، رئيس محكمة النقض والابرام باستقالته أيضا اذا ما استقال وزير الحقانية ولكن اسماعيل صدقى ذا الناب الأزرق ـ لا يريد لعلى ماهر ، أن يخرج بطلا من تلك الأزمة فيحاور ويداور ، ويلجأ ـ كعادته ـ الى التدبير . لاقناع على ماهر ، بالعدول عن موقفه المتطرف ، ويصر على ماهر على أن يلقى بيانه كاملا ، وعلى المطالب التى يراها الحد الأدنى للخروج من تلك القضـــية المؤلمة !! وينشط الوسطاء ، بين رئيس الوزراء ووزير الحقـــانية لاثناء وزير الحقانية عن بعض مطالبه ، فيرفض وزير الحقانية ويرفض رئيس الوزراء .

***

ويحدد مجلس النواب جلسة لنظر الاستجواب وتمتلىء الشرفات بالزائرين والزائرات ورجال الصحافة لسماع بيان وزير الحقانية الذى لم يكن أحد ـ بعد ـ قد عرف ما فيه الا أعضاء مجلس الوزراء ويجىء على ماهر وبيده مظروف كبير فيه الرد وينتظر المجلس صعود على ماهر ، ليلقى بيانه ويلتقى اسماعيل صدقى وعلى ماهر فى خلوة خاصة ، وينسحب بعد هذا اللقاء على ماهر ، وتنعقد الجلسة دون أن يحضرها وزير الحقانية وتطلب الحكومة تأجيل الاستجواب وتحديد جلسة جديدة لمناقشته بحضور وزير الحقانية الغائب.. ويعود الوسطاء للقيام بدورهم فى تنقية الجو بين رئيس الوزراء ، ووزير الحقانية ، ويقال ، ان الوسطاء قد نجحوا فى أداء مهمتهم ، وتحدد جلسة جديدة لمجلس النواب ، ومرة أخرى تمتلىء الشرفات بالزائرات والزائرين ، ورجال الصحافة ، ويتأهب الجميع لسماع ذلك البيان الذى طال انتظاره من على ماهر ، وزير الحقانية ، ولكن وزير الحقانية لا يحضر ويقوم وزير المعارف حلمى عيسى باشا ، بمحاولة القاء البيان نيابة عنه ، وتحدث ضجة هائلة وأصوات صخب لم تحدث من قبل فى تلك القاعة العتيدة . قاعة مجلس النواب ولا يستطيع وزير المعارف أن يلقى البيان ، ويصعد اسماعيل صدقى الى المنصة ، لينقذ الموقف ويتكلم اسماعيل صدقى عن الدستور ، والمسئولية الوزارية ، وحق وزير فى أن ينيب عنه وزيرا آخر فى القاء بيانه ، وعن شرعية القاء حلمى عيسى لبيان وزير الحقانية الذى هو بيان الحكومة .. و .. وتهدأ الضجة وتنتهى أصوات الصخب ، ويلقى حلمى عيسى بيانا بدافع

فيه عن المأمور القتيل ، وتعود الضجة ، ويعود الصخب ، ويخرج الجميع حتى من كانوا من أنصار الحكومة يضربون كفا بكف !

***

لقد وقفت الوزارة من مجلس نوابها موقفا مزريا للغاية : انها تحتقر الرأى العام المصرى ، وتزدريه . . ان أحدا لايستطيع الدفاع عن وزارة تدافع عن رجال النيابة وعن رجال البوليس . وقد جاء حكم محكمة النقض والابرام ، مدينا لهم . بمثل تلك الصورة الفاضحة : لقد وقف وزير مسئول أمام مجلس نواب مسئول يعلن بأعلى صوته ان رجال النيابة لم يغفلوا أية شكوى قدمت اليهم من أبناء البدارى بينما الثابت أن عشرات بل ومئات من الشكاوى قدمت ! وقف ذلك الوزير المسئول يقول انه لم تثبت مسئولية أحد من رجال البوليس ، سوى الكونستابل أحمد خالد الهجرسى ، الذى تقررت محاكمته ، هذا فى الوقت الذى تعرف فيه مصر كلها أن رجال البوليس – فى أسيوط – لم يتخلوا عن واجبهم القانونى وحسب وانما تخلوا عن واجبهم الانسانى أيضـا . ألم يمتهنوا كرامة الرجال علنا ، وعلى رءوس الاشهاد ؟ ألم يخلعوا عن النساء كل ملابسهن ، ويسوقونهن عرايا ، ملطخات الوجوه فى شوارع البدارى ؟ على أية حال : لقد سقطت شعبيا وزارة اسماعيل صدقى فى ذلك اليوم وأن تأخر تنفيذ السقوط شهورا قليلة ! لم يهدأ الرأى العام لأن الملك أحمد فؤاد خفف العقوبة على المتهم الأول من الاعدام ، الى الأشغال الشاقة المؤبدة ، وخفف العقوبة على المتهم الثانى من الأشغال المؤبدة الى السجن ١٥ سنة ، لأن الرأى العام كان يريد تخفيف العقوبة على الشعب باقالة وزارة اسماعيل صـدقى . ولكن متى كانت وزارات الأقليات تقال ؟ ويأبى على ماهر أن يستسلم ، حتى بعد القاء البيان من قبل حلمى عيسى باشا وزير التقاليد كما كانوا يطلقون عليه لقد أصدر قرارا باحالة بعض رجال الادارة والبوليس الى المحاكم ، دون أن يستشير رئيس الوزراء ، وعند هذا الحد ، لم يحتمل اسماعيل صدقى الموقف ، ذهب الى السراى ليؤكد أن تعاونه مع على ماهر ، قد أصبح مستحيلا ويعطيه الملك فؤاد « كارت بلانش » : قدم استقالة حكومتك ، وألفها كما تريد ، وأدخل فيها من تريده ، وأبعد عنها من لا تريده » وبينما الوزراء فى مكاتبهم يباشرون مسئولياتهم اذا باسماعيل صدقى يرفع استقالة حكومته الى الملك ، ويبلغ الوزراء بأن الوزارة قد استقالت بينما هم فى مكاتبهم يقومون كالمعتاد بأعمالهم : حتى لقد كان وزير الخارجية عبد الفتاح يحيى على موعد مع سفير ايطاليا فى مصر وقد أبلغ بنبأ استقالة الوزارة ، والسفير الايطالى عنده فى مكتبه حتى ليقول عبد الفتاح يحيى متهكما : استقبلته كوزير للخارجية ، وودعته كوزير سابق للخارجية !

***

ويخيل الينا أن على ماهر لم يكن يعتقد ابدا ان اسماعيل صدقى سوف يكسب اللعبة بمثل تلك السهولة : كان يريد أن يستقيل هو لا أن تستقيل الوزارة وتؤلف بدونه . أن هناك فارقا بين أن يستقيل الوزير استقالة مسببة ، وبين أن تستقيل الوزارة ، وتؤلف بدونه ، انه فى الحالة الأولى يكون بطلا ، وفى الحالة الثانية يكون وزيرا مطرودا ، ولذلك فان الذين شاهدوا على ماهر عند خروجه من مكتبه فى وزارة الحقانية بعد أن أبلغ باستقالة وزارة اسماعيل صدقى ، وتكليفه باعادة تشكيلها من جديد قالوا - كما قالت الصحف الصادرة فى اليوم التالى - ان وجهه كان مصفرا ، كالأموات ، وانه كان ممتقعا الى حد كبير ، وانه رفض التحدث الى الصحفيين الذين التفوا حوله ، ولم يقل سوى أن الوزارة قد استقالت وأنه لم يعد وزيرا ، ولله الحمد » .

★★★

ويقول المصور تعليقا على موقف على ماهر : اختلفت الآراء فى الموقف الذى وقفه معالى على ماهر باشا ولا نغالى اذا قلنا ان بعضهم قد حار فيه : ترى هل أقدم معاليه على ما أقدم وهو يقدر ماهية مجازفته وعواقبها ؟ أترى هل نسى معاليه علاقته بحزب الاتحاد ؟ أم أن هناك فكرة خطة تدور فى رأس معاليه ، أم أن هناك مشروعا مستورا يسعى معاليه لتحقيقه ؟ ويقول بعض العارفين أن على ماهر خطا هذه الخطوة تمهيدا لتأليف وزارة قومية وسواء صح هذا القول ، وتحقق أو لم يتحقق فقد لوحظ أن جماعة حمد الباسل - التى كانت قد انشقت على الوفد - تعطف على مسلك معاليه ، وان حمد باشا وصحبه يثنون على عمله ، وقد أفسحت له جريدة البلاغ أعمدتها ونشرت له بياناته برمتها ، ولقى على ماهر باشا مثل هذا الموقف من جريدة السياسة لسان حال الأحرار الدستوريين .

★★★

أما عن موقف عبد الفتاح يحيى ، الذى آزر على ماهر ومنذ البداية فى موقفه من صدقى باشا فقد قيل عنه : كان عبد الفتاح يحيى باشا قد انضم الى رأى على ماهر ، فى بادىء الأمر ، بل آزره بعد نشوب الخلاف بين وزير الحقانية ورئيس الوزراء وبعد معرفة رأى السلطات العليا فى الخلاف : أى أن عبد الفتاح يحيى باشا شاطر على ماهر باشا رأيه وهو يعلم أن الدائرة ستدور على على ماهر وانه اذا وقعت أزمة وزارية فالانتصار سيكون لصدقى باشا ومعنى هذا أن عبد الفتاح يحيى وقف فى صف على ماهر باشا ، وهو يعرف أن وقوفه سيؤدى الى خروجه من الوزارة معه ، ولكن لماذا الاطالة فى الحديث عن حادث البدارى وقضية البدارى ؟ سؤال نترك الاجابة عليه للفصل التالى ..

الفصل الخامس

معقبات حادث البدارى .. استقالة وزارة اسماعيل صدقى

● هل أسرفت فى الكتابة عن عهد اسماعيل صدقى باشا ، بصفة عامة وقضية البدارى بصفة خاصة ؟ سؤال طرحته على نفسى أكثر من مرة ولم أعرف الاجابة الصحيحة عن هذا السؤال ، الا عندما أسعدنى لفيف من الاخوة الأعزاء بمكالماتهم التليفونية وبرقياتهم ورسائلهم التى أجمعوا فيها ـ وشكرا لهم ـ على ضرورة المزيد من الكتابة عن تلك الفترة الهامة من تاريخ كفاحنا الوطنى ، التى يرى فيها الشيوخ أمجادهم التاريخية ويرى فيها الشباب صورا مشرقة لماضى آبائهم وأجدادهم ، كما يطالبوننى فى نفس الوقت بالمزيد من الكتابة عن حادث « البدارى » الذى يعتبر من أخطر أحداثنا السياسية أهمية واثارة .

***

والذى أستطيع أن أقوله ـ للحقيقة وللتاريخ ـ اننى لم أجد فترة من فترات كفاحنا الوطنى المشرق ، أغفلت الكتابة عنها ـ كما يجب ـ كما حدث بالنسبة للفترة التى حاول فيها اسماعيل صدقى ـ بالحديد ، والنار ـ ان يذل شعب مصر ، ولم أجد حادثا تاريخيا هاما ، لم ينل كل مايستحقه بل بعض ما يستحقه رغم أهميته البالغة بالنسبة لانهاء دكتاتورية اسماعيل صدقى مثل حادث البدارى : والواقع ، أن اسماعيل صدقى قد خيل اليه أنه بعد ان ضمن « حياد » بريطانيا العظمى « ورغبتها فى عدم التدخل فى الشئون المصرية الداخلية » وبعد أن ضمن التأييد ، الكامل المطلق من قبل السراى لكل ما يتخذه من « قوانين » ، وقرارات واجراءات خاصة وعامة ، وبعد أن استخدم أحدث أساليب الضغط والارهاب والاذلال ، وبعد أن ملأ السجون والمعتقلات ، بمعارضيه ، ومخالفيه فى الرأى ، وبعد ان ضرب عرض الحائط بكل ما تعارف عليه الناس من قيم ، ومثل وقواعد « دستورية » و « شرعية » و « انسانية »

و٠و٠ وبعد أن وضع الشعب كله في سجن هائل رهيب خيل اليه أنه سيبقى في الحكم ، وسيبقى له الحكم مادام هو على قيد الحياة ، فاذ بحادث البدارى الذى وقع مثله فى كثير من قرى مصر ومدنها يرده الى صوابه ويخرجه من دنيا أحلامه الحلوة ، اللذيذة التى ظل ينعم بها أكثر من عامين : ان حادث البدارى فى رأيى ــ بعد ان استقرأت كل حوادث تلك الفترة الرهيبة ، وأحداثها ــ لم يكن أبدا مجرد حادث تعذيب عادى يمكن أن تتوقف آثاره عند مسئولية رجال الادارة ، الذين قاموا به ، لم يكن أبدا مجرد سقطة سياسية وقعت فيها دكتاتورية عنيفة ، كدكتاتورية اسماعيل صدقى ، وما أكثر ما وقعت فيه من سقطات ،

★★★

ولكنه كان ــ بحق ــ نقطة تحول خطيرة بالنسبة لعهد اسماعيل صدقى ككل :

كان حادث البدارى المسمار الأخير ، الذى استطاع أن ينفذ بعنف وقوة فى نعش دكتاتورية اسماعيل صدقى ، ولقد تساءل الكثيرون من المعاصرين كيف يمكن لمثل تلك الدكتاتورية الرهيبة ، المعتمدة على الانجليز ، والسراى ، والجيش ، والبوليس ، ورجال الادارة والموظفين والتى تستخدم بابرع الطرق والأساليب سيف المعز ، وذهبه : كيف يمكن لمثل تلك الدكتاتورية التى أخافت الملك فؤاد نفسه والتى جعلته يفكر أكثر من مرة فى وقف اسماعيل صدقى عند حده حتى لايكون خطرا عليه ، كيف يمكن لمثل تلك الدكتاتورية ان تتهدم ، بسبب ذلك الحادث العادى ؟! والواقع أن كل المستبدين والدكتاتوريين من الحكام ، يستمرون فى « صعود » ، دائم ، يحققون كل يوم « الانتصارات » تلو الانتصارات ينالون ــ وبدون أى جهد ــ المكاسب ، وراء المكاسب واذا بحادث عادى بسيط يقع نتيجة خطأ فى الحسابات يكون هو السبب الرئيسى فى تحويل الانتصارات الى هزائم، وفى قلب المكاسب ، الى خسائر وفى تغيير عجلة المسيرة من التقدم ــ وبسرعة ــ الى الامام ، الى التراجع ــ وبقوة ــ الى الخلف ، وبعد ذلك الحادث ، العادى البسيط ــ الذى أصبح نقطة تحول ــ لايمكن أبدا لأى حاكم مستبد أو لأى حكم دكتاتورى قوى ، ان ينتصر أو يكسب ، أو يعود الى التقدم ، الى الامام من جديد ٠

★★★

وللحقيقة والتاريخ ، نقول ــ دون أية مبالغة من جانبنا ــ ان الذى أعطى لحادث البدارى ــ رغم أنه حادث عادى بالنسبة لما حدث فى أيام اسماعيل صدقى ــ كل تلك الأهمية والخطورة ، أو جزءا كبيرا من الأهمية والخطورة هو حكم محكمة النقض والابرام ، برئاسة عبد العزيز فهمى باشا رجل القضاء ، العادل ،النزيه ثم موقف على ماهر ، باشا ، وزير الحقانية اثر صدور ذلك الحكم وما أعقب ذلك الموقف من تطورات ٠

وهناك من يقول ، انه كان من الممكن ، ان يمر حـــكم محكمة النقض ، والابرام ، كما مر غيره من أحكام ، دون أن يكون له كل هذا الدوى العنيف لو لم يتخير علي ماهر باشـــا ، الوقت المناسب ، لكى يضرب ضربته القاتلة ، لنظام اسماعيل صدقى ٠

وعلى ماهر كاســماعيل صــدقى من الســياسيين ، الذين يطلق عليهم ذوو الأنياب الزرق : كلاهما لا يؤمن بالشعب كمصدر للسلطة : كلاهما ، يجيد التآمر ، والتكتيك سرا ، لا جهرا ٠٠ كلاهما ، أيضا يجيــد اللعب ، على كل الأحبال والقدرة على الظهور بأكثر من وجه والتحدث ، بأكثر من لسان ، ولكنهما يختلفان الى حد كبير فى القدرة على اختيار الوقت المناسب ، لأية لعبة من اللعب السياسية بالرغم من « كفاءة » اسماعيل صــــدقى المالية ، والادارية ورغـم « عبقريته » كرجل « دولة » ورجل « سلطة » الا أنه لا يعرف كما يعرف على ماهر كيف يضرب خصمه فى « الموضع » المناسب ، وفى الوقت المناسب : على ماهر ، يخطط لسنوات ، وسنوات ، يتراجع ، ويتراجع ، ويتراجع ، ليقفز من جديد قفزة كبيرة وخطيرة : على ماهر ، لايهمه أن تتحقق أحلامه فى وقت معين بل يهمه أكثر ، أن تتحقق تلك الأحلام ولو بعد أعوام ، وأعوام ، انه يصل فى النهاية ـ وقد يمضى الوقت طويلا أكثر من اللازم ودون أن ينال منه الضجر أو القلق ـ الى تحقيق كل ما يريده ، بل أكثر مما يريده اما اسماعيل صدقى باشا فهو ينتظر دائما الى ان تجيئه الفرصة المناسبة فيستغلها ، أو لايستغلها ، المهم انه ينتظر دون أن يبذل أى جهد لكى تجيئه تلك الفرصة ، بعكس على ماهر ، تماما الذى يخطط ويرتب ، ويمهد لتجىء تلك الفرصة مهما دفع من أثمان ، ومهما خسر ، فى الطريق من قوى ، وصداقات : لقد كان على ماهر ، يعرف جيدا ، انه بعد ان رفض المصالحة مع اسماعيل صدقى ، بأمر من الملك فؤاد ، وبعد أن أصر على الاستقالة ، سوف تقفل أبواب السراى أمامه شهورا بل وسنوات ٠٠

★★★

كان يعرف ـ كما وقع فعلا ـ انه سيكون موضع غضب الملك فؤاد ، وسوف يلتمس مقابلته ـ كما حدث فعلا أيضا ـ مرة ومرة ، دون أن يستجاب الى طلبه ، ولكنه كان على ثقة تامة من أن فرصته ستجىء ، ســـوف يعود أحمد فؤاد الى مصالحته وسوف يعتمد عليه فى كثير من المناصب الهامة ، وعندئذ لن يطلب منه أن يكون وزيرا بل يطلب منه أن يكون رئيسا للديوان الملكى ، ثم رئيسا للوزراء ، فى أخطر مرحلة من مراحل التاريخ الوطنى ! هذا فى الوقت الذى لم يقدر فيه اسماعيل صدقى على مواجهة مؤامرات خصومه فى السراى ، فاضطر الى الاستقالة من رئاسة الوزارة ، وفى الوقت الذى لم ينجح فيه اسماعيل صدقى حتى فى احتفاظه برئاسة حزب الشعب ، الحزب الذى خلقه اسماعيل صدقى

من العدم ، والذى بذل كل طاقاته الادارية ، وامكاناته وامكانات الدولة لكى يقف على قدميه ٠٠ لقد كان فى الامكان ، كما سبق ، ان ذكرنا ان يمر حكم محكمة النقض فى قضية البدارى ، كما مر غيره من الأحكام ، التى سبقت الحكم ، فى قضية البدارى ، ولقد كان فى الامكان أيضا ٠ أن تمر « أزمة » وزير الحقانية كما مرت أزمات خلقها كثير من الوزراء الذين سبقوا وزير الحقانية ٠

***

كان من الممكن أن يحدث كل ذلك لو لم يكن وزير الحقانية المستقيل ، هو على ماهر بالذات :ان على ماهر كان الساعد اليمنى ، لاسماعيل صدقى ، فى وزارته ، وكان يمثل القوة الضاربة فى حزب الاتحاد ٠ الحزب ، الذى كان هو وحزب الشعب ، يمثلان العكازين ، الرئيسيين ، اللذين يعتمد عليهما نظام حكم اسماعيل صدقى ، فاذا بأزمة على ماهر ، تكون ضربة قاضية للوزارة الصدقية ، بل للنظام كله ؟ ولقد كان من بين الأسباب التى جعلت أزمة على ماهر ، تحـدث دويها الهائل ، انه نجح فى استقطاب عبد الفتاح يحيى باشا الى جانبه ووقوفه ضد اسماعيل صدقى بالرغم من أن اسماعيل صدقى ، هو رئيس حزب الشعب ، وعبد الفتاح يحيى هو نائب رئيس حزب الشعب ! ولقد كانت استقالة عبد الفتاح يحيى ، الى جانب الأزمة التى خلقها على ماهر ، من العوامل التى عجلت بنهاية حكم اسماعيل صدقى ، وكانت استقالة عبد الفتاح يحيى بالذات ، تضامنا مع على ماهر ــ وكانا يختلفان دائما فى مجلس الوزراء ، ويقوم صراع عنيف حاد بينهما ، لعل الهدف منه من يكون منهما وريثا لاسماعيل صـــدقى ــ كانت استقالة عبد الفتاح يحيى بحق ، استقالة هامة وقد وصفها « المصور » وقتئذ بأنها مشرفة ، وبأنها يجب أن تكون موضع اعجاب ، وافتخار كل مصرى مهما يكن رأيه فى ماضيه السياسى ، فقد ضحى عبد الفتاح يحيى باشا ، بمنصب وزير فى سبيل فكرة ، اعتقد أنها حق فوجب على مواطنيه ــ من باب الحق ــ أن يحيوا هذه التضحية الكبيرة التى أداها معاليه ، للحق » ومما يذكر انه عندما انصرف عبد الفتاح يحيى من مكتبه فى وزارة الخارجيـة بعد ان أبلغ باستقالة الوزارة ، كان منشرح الصدر ــ بعكس على ماهر ، الذى كان مكتئبـا للغاية ــ وعندما قال له أحد الصحفيين عندما عرفوا خبر استقالة الوزارة : ان المرء لايعرف ماذا يقول للوزير ، المستقيل ؟ قال له عبد الفتاح يحيى : يقول له ، الحمد لله على السلامة وأنا من جهتى ، كنت عاوز أستقيل امبارح قبل النهاردة ، وأضاف قائلا هى دى عيشة » وقد قال عبد الفتاح يحيى باشا للصحفيين : ان اسماعيل صـدقى باشـا لم يفاتحنى فى دخـول الوزارة الجديدة ، لأنه يعرف رأيى ، ولو خاطبنى فى هذا الموضوع لرفضت حتما » ٠

***

وقد ذكر اسماعيل صدقي في كتاب استقالة وزارته الذى رفعه الى الملك فؤاد : ان الوئام وحسن التفاهم اللذين كانا رائدى الوزارة فى القيام بأعباء الحكم فضلا عن كونهما من أهم عوامل نجاحها فيه قد أصابهما فى الآونة الأخيرة شيء من الوهن ، الأمر الذى يترتب عليه استعصاء قيامي بالواجب ، الوطنى ، الذى تفضلتم جلالتكم باسناده الى » .

★★★

وقد أضيف الى وزارة اسماعيل صدقي الجديدة ، التى خلفت الوزارة المستقيلة ، محمد شفيق : وأحمد على ومحمد مصطفى وقد قيل عن العناصر الجديدة انها أكثر خضوعا لرئيس الوزارة وانها أكثر اتصالا بالقصر ، كما انها بدون ماض سياسى يذكر .. » .

وعبد العزيز فهمى باشا رئيس محكمة النقض والابرام الذى آثار بحكمه العنيف فى قضية البدارى ، كل تلك الضجة المدوية هو أحد كبار رجالات السياسة المصرية : وأحد أبطال يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ، عندما ذهب وزميلاه . سعد زغلول باشا . وعلى شعراوى باشا الى السير ونجت المعتمد البريطانى فى مصر ، طالبين الاستقلال فى وقت كانت فيه كلمة الاستقلال غير واردة على الاطلاق فى قاموس السياسة البريطانية .. اختير عبد العزيز فهمى ليكون ثالث الزعماء الثلاثة بوصفه نقيبا للمحامين ، وأحد زعماء الجمعية التشريعية التى كانت تقوم مقام البرلمان قبل الحرب العالمية الأولى .. عبد العزيز فهمى من كفر المصيلحة « منوفية » حفظ القرآن الكريم فى قريته ، ثم أرسله والده الى طنطا لتجويد القرآن فى المعهد الأحمدى ، ثم الى الأزهر ، ثم انتقل الى المدارس : الجمالية الابتدائية بالقاهرة ، طنطا الابتدائية ، طنطا الثانوية ، الخديوية ، ثم مدرسة الحقوق ، وقبل أن يتخرج من مدرسة الحقوق أعلنت الحكومة عن وظيفتى مترجم احداهما بنظارة الحقانية والأخرى بنظارة الأشغال ، بمرتب شهرى ١٢ جنيها فى الوقت الذى كان فيه خريجو الحقوق ، لا يتقاضى الواحد منهم فى الشهر أكثر من خمسة جنيهات ..

★★★

عزم عبد العزيز فهمى على التقدم الى تلك المسابقة وعارضه على باشا مبارك ناظر المعارف وعضو لجنة الامتحان فى تلك المسابقة وحاول اسقاطه حتى يحرمه من الوظيفة ليتفرغ لدراسته ، غير أن على باشا مبارك ، لم يستطع اذ كانت اجابات عبد العزيز فهمى فى الشفهى حيث يمكن للممتحن ان « يعصر » من يتقدم للامتحان ، كانت اجاباته سليمة ، ونجح فى امتحان المسابقة وعين فى وظيفة مترجم وواصل دراسته حتى نال الليسانس فى صيف ١٨٩٠ ولم يكن قد أكمل

بعد عامه العشرين ٠٠ ولم يكن عبد العزيز فهمي بسبب صـــدقه وأمانتــه في وظيفته مستريحا ، فقد كان رؤساؤه من المديرين يحاولون دائما الانتقام منه ، ونقله الى الوظائف المتعبة . ومرة أمره مدير الدقهلية بأن يشترك في الاشراف على « خفر البحر » الذين كانوا يحرسون النيل أيام الفيضـــان ، وقرب بلدة قولونجيل بالمنصـــورة أقام عبد العزيز فهمي في خص من البوص ، على جسر النيل وأرسل له والده بغلة يركبها في المرور على الدرك المخصص له ٠٠ وبلغ به الضـــيق درجة جعلته يقايض بوظيفة ـ وظيفة معاون ادارة ـ بوظيفـــة كاتب جلسة ٠٠ قبل عبد العزيز فهمي ان ينتقل ـ بالمقايضة ـ من معاون ادارة في الدقهلية ، الى كاتب بمحكمة طنطا الجزئية فرارا من الظلم الذى كان يحيق به الضيق درجة جعلته يقايض بوظيفته ـ وظيفـة معـاون ادارة ـ بوظيفة الأوقاف وكان وقتئذ ابراهيم الهلباوى باك ثم كفر بالوظيفة فطلقهـا ليصبح محاميا ثم اشتغل بالسياسة فأصبح في أسرة تحرير صحيفة الجريدة ثم عضوا في الجمعية التشريعية ٠ وعندما كان محاميا في احدى القضايا ، وكان السلطان حسين كامل يرى رأيا آخر في المتهم الذى يدافع عنه عبد العزيز فهمي ٠ وفي لقاء مع السلطان حسين كامل فهم منه عبد العزيز فهمي انه متضايق للحـكم ، الذى صدر في تلك القضية فلم يسترح لكلام السلطان فقال له غاضبا : لقد أتعبتني يامولاى ، فانا الذى أعرف حقيقة هذه القضية دونك ، ومرة أنكر عليه السلطان قبوله الدفاع عن أحـد المتهمين فذهب الى رئيس محكمـة الاستئناف يحيى ابراهيم باشا ليحتج على كلام السلطان ، وليستقيل من عضوية المجلس الحسبى العالى ،الذى كان رئيسه هو يحيى ابراهيم باشـا ، ويستدعى رئيس الوزراء حسين رشدى باشا ، عبد العزيز فهمي ، ويراجعه في استقالته فيصر عليها الا أن يعتذر السلطان وتنشر الصحف بيانا رسميا من الحكومة يفيد هذا الاعتذار ٠ وعندما ظهر لعبد العزيز فهمي أن المتهم الذى يدافع عنه هو جورج فلبيدس ـ والذى أنكر عليه السلطان دفاعه عنه ـ أنه كذب على محاميه لم تطاوعه نفسه في الاستمرار في الدفاع عنه فاعتذر وتولى القضـــية غيره من المحامين ٠

***

ويصبح بعد ثورة سنة ١٩١٩ أحد أقطاب الثورة ، وأبرز أعضاء الوفد ثم يستقيل من الوفد بعد الانقسام الذى حدث بين عدلى يكن وسعد زغلول ليأخذ جانب عدلى ، ثم يصبح رئيسا لحزب الأحرار الدستوريين ويدخل الوزارة ليستقيل اثر أزمة الشيخ على عبد الرازق ، وكتابه « الاسلام وأصول الحكم » ، ويرفض عضوية مجلس الشيوخ لأنها جاءت من قبل السراى ، حتى عندما أكد له رئيس الحكومة أن اقتراح تعيينه قد جاء من الحكومة أصر أيضا على الرفض ٠

***

وفي صيف ١٩٢٨ يعرض عليه محمد محمود باشـــا الوزارة من جـديد فيرفض رفضا باتا قائلا لمن تحدثا اليه في هذا الأمر ـ أحمد خشبة باشا ولطفي السيد باشا ـ : ان مركز قاض من الدرجة الثانية أكرم عندي من مركز وزير ٠ ثم عرض عليه منصب رئيس محكمة استئناف فقبله شـــاكرا وبقي في تلك الوظيفة من منتصف أكتوبر ١٩٢٨ حتى فبراير ١٩٣٠ ليستقيل منها ، ويعلل أسباب استقالته بقوله : حدث أن تولت وزارة مصطفى النحاس باشا بعد استقالة وزارتي محمد محمود باشا ، وعدلي يكن باشا وذات صباح قرأت في الصحف سؤالا من أحد أعضاء مجلس النواب الوفديين وهو الأستاذ زهير صبري حاصله أنه يسأل وزير الحقانية وكان محمد نجيب الغرابلي باشـــا عن مرتب رئيس محكمة الاستئناف ولماذا يكون كمرتب وزير ٠٠ وماكدت أقرأ هذا السؤال حتى حررت استقالتي من هذا المنصب ولم أذهب الى مكتبي بوزارة الحقانية بل ذهبت الى سراي عابدين رأسا وطلبت الاذن بمقابلة الملك فؤاد فتفضل وأذن بمقابلتي فقلت له : يامولاي ، ان كرامة القضاء يجب أن تصان من أن يعبث بها عابث ، ومادام أحد النواب قد سمح لنفسه أن يقدم هذا السؤال فاني لا أستطيع أن أبقى في منصبي » ، وقدمت لجلالته استقالتي فأمهلني وطلب أن أنتظر أسـبوعا حتى لاتتعطل الأعمال ، وبعد يومين من هذه المقابلة تقابلت مع نجيب الغرابلي باشا وزير الحقانية فقال لي : انك تخطيتني بتقديم الاستقالة الى جلالة الملك ٠٠ فما كان جوابي الا أن حررت له فورا نص الاستقالة ، وتركتها له وانصرفت حدث بعد ذلك ، أن رشحت الوزارة عدة أسماء لتولي هذا المنصب فلم يوافق الملك فؤاد ، وبعد نحو أربعة أشهر استدعيت للعودة الى رياسة الاستئناف ٠ وفي وزارة اسماعيل صدقي باشا سنة ١٩٣٠ ـ وكان علي ماهر باشـــا وزيرا للحقانية ـ انشئت محكمة النقض والابرام فأسندت الى رياستها ، ومكثت بها الى أن اختتمت حياتي القضائية رئيسا لتلك المحكمة !

***

ويقول د ٠ محمد حسين هيكل عن الحكم الذي أصدرته محكمة النقض والابرام في حادث البداري : استمر اسماعيل صدقي باشـــا في حملة العنف التي سوغها لنفسه أثناء الانتخابات وأن يتسامح مع موظفي الادارة في معاملتهم الناس بالبطش غاية البطش ، بطش تخطى العنف الى التعذيب في أقبح صـــور التعذيب ٠ ولقد كشف القضاء عن ذلك في قضية قدمت له وأصدر فيها شيخ القضاة يومئذ ، عبد العزيز فهمي باشا حكما قدم له بحيثيات وصمت العهد كله أقبح وصمة ، فقد بلغ من تعذيب رجال الادارة للناس في مديرية أسيوط أنهم كانوا يدخلون العصى في أدبارهم ويعـــاملون الرجال معـــاملة النســـاء ، وقد بلغ من بشاعة التصوير في هذا الحكم ومن شدتنا في التعليق عليه شدة لم يكن أحد ليستطيع محاسبتنا عليها لأنها تستند الى وقائع أثبتها القضاء ،

أن استقال علي ماهر باشا وزير الحقانية فى وزارة صدقى باشا فكانت استقالته بسبب هذا الحكم اعترافا صريحا بأن العهد كله يقوم على مثل هذا الأساس الذى صوره ٠ وماكان أحد ليستطيع أن ينسب صدور هذا الحكم الى نزعة سياسية قائمة بنفس عبد العزيز باشا ، تعارض اتجاه الحكومة فقد أبدى عبد العزيز باشا منذ استصدر صدقى باشا دستوره حرصا على احترام النظام فى حدود هذا الدستور ، حتى كان ينتقل على رأس محكمة الجنايات التى تنظر القضايا المرفوعة ضد العابثين بالنظام معارضة لهذا الدستور ٠٠ رجل ذلك شأنه وله من ماضيه السياسى ، ومن نزاهته المطلقة ما لعبد العزيز باشا ، لم يكن حكمه فى قضية التعذيب لترقى اليه أية مظنة ولهذا دمغ هذا الحكم العهد كله حتى اضطر وزير الحقانية الى الاستقالة بسببه » ٠

ان الحديث عن حادث البدارى ، يمكن أن يطول ، ويطول ، حتى ليستطيع المرء ، وبسهولة ، أن يكتب عنه كتابا مستقلا بذاته فالحادث ، كما سبق أن قلنا ، كان نقطة تحول ، ذات أهمية بالغة فى تاريخنا فى سنوات ما قبل الثورة ٠ ولقد سعدت سعادة بالغة عندما أبلغنى الزميل مصطفى نفادى ـ من أسرة دار الهلال ، ومن البدارى ـ أن بطلى حادث البدارى يعيشان فى البدارى فى أتم صحة وانهما سعيدان الى أبعد حدود السعادة ـ لأننى أثرت قضيتهما بعد ٤٥ سنة كاد فيها الحادث وبطلاه يطويهما النسيان ٠

***

وأجدنى شغوفا ، الى أبعد الحدود الى سماع القصة الحقيقة لحادث البدارى من بطل ذلك الحادث ٠٠ انها المرة الأولى التى يتكلم فيها بعد أن قضى العقوبة التى قضى عليه بها كاملة غير منقوصة انه يتحدث هذه المرة ، للتاريخ لا لشيء آخر ، ان أحمد جعيدى ، المتهم الأول مازال يسكن المنزل الذى كان يسكنه منذ أكثر من نصف قرن : منزل مبنى بالأسمنت ، والطوب الأحمر ٠٠ انه لم يعد وحيدا كما كان منذ ٤٥ سنة ، لقد تزوج فى عام ١٩٥٣ ، بعد أن خرج من السجن وأصبح له اليوم ٦ أولاد ، ثلاثة ذكور وثلاث اناث ، خمسة منهم يتعلمون فى المدارس ، أكبرهم حصل على دبلوم الزراعة ٠٠ أحمد جعيدى (٦٨ سنة) يبدو وكأنه فى شرخ الشباب ٠ انه يلعب أكثر من رياضة ، يمارس ركوب الخيل والسباحة ، له صداقات عديدة بأبناء بلده وبرجال البوليس العاملين فى مركز البدارى الذى شهد ومنذ فترة طويلة أبشع ألوان التعذيب ٠٠ سألناه : ما الذى أثر فيك يا عم أحمد ،وجعلك تقف من السلطة الظالمة هذا الموقف العنيد العنيف ؟ فقال : كان جدى يتحدث معنا باستمرار ، عن قسوة سلطة الاحتلال البريطانى ، وعن الحرب العالمية الأولى وعن السلطة البريطانية ، وكيف كانت تخطف المواطنين

لتبعث بهم الى ميدان القتال حيث يلقون نهايتهم هناك ، كما كان يروى الكثير عن كفاح الآباء والأجداد للقضاء على ذلك الاحتلال · كان يروى لنـــا الكثير من ذكرياته عن ثورة ١٩١٩ ، وعن كفاح الشعب المصرى للقضاء على الانجليز وأذناب الانجليز » وعن مدرسته التى تعلم فيها الصنايع ، والوطنية · يقول : ان أستاذه فى مدرسة الصنايع الأستاذ أحمد سرى ، كان يحكى للتلاميذ الكثير عن صور النضال الوطنى ·· كان يبث فيهم الحماس ليكونوا مواطنين صالحين قادرين على حمل الأمانة الوطنية ·· كان يدربهم على اســتعمال السلاح فى كثير من الأوقات ، وكان هو ـ أحمد سرى ـ قد اعتقل عدة مرات فى بعض القضايا السياسية ولكنه لم يتوقف أبدا عن مواصلة الكفاح الوطنى ، داخل المدرسة وخارجها بل كان يقوم بتحفيظ تلاميذه بعض قصائده وأزجاله :

والله ما أحلى القيد فى رجلى وما أحلى الشدائد
أنام على البرش ، لا أبغى الحرير ولا الوسائد

***

تلك هى بعض الظروف التى جعلت من أحمد جعيدى شابا ثائرا يبذل كل ما يمكن بذله لمقاومة العنف والطغيان ·

وعن مأمور مركز البدارى يقول أحمد جعيدى : كان انســـانا غريبا ، متجردا من كل رحمة بل من كل عاطفة ·· كان أشــبه بقراقوش لايطيق ان يرى انسانا سعيدا ، كان اذا رأى ـ مثلا ـ رجـــلا يرتدى ملابس أنيقة أمر عساكره باحضاره الى المركز ، ليمزقوا أمام عينه تلك الملابس ، كان يتلذذ من رؤية الناس ، وهم يتعذبون بأيدى رجاله ، وكأن له مهمة خاصة هى أن يتشفى وينتقم من كل الناس · كانت كلمته نافذة فى مديرية أسيوط كلها لا يهتم بأى قانون ولا بأى عرف ، بل كان يتباهى بأنه يتحدى سلطة النيـابة ·· استدعى جدى وهو شيخ وقور ذات مرة الى المركز ليزاول فيه هوايته الغريبة ، هواية اذلال الناس · أمر رجاله بأن يذيقوا هذا الشيخ المسن ، كل أنـواع العذاب حتى كاد يموت من بشاعة التعذيب وشناعته ·· وفى حالات كثيرة كان بعض من يقوم بتعذيبهم يموتون ، فيلقى بجثثهم بعيدا عن القرية حيث يذهب أهاليهم لحمل تلك الجثث ودفنها ، كان يقف فى الطرق العامة أمام العربات التى تسافر من البدارى حاملة المواطنين ، الذين يريدون السفر خارج البلدة لقضاء حوائجهم فيأمر بعودة تلك العربات حتى لا يجدوا ما يقتاتون به ! وفى السجن كان يقوم هو ورجاله بالكثير من الأفعال الفاضحة التى تهدر انسانية المسجونين وآدميتهم وبعد تلك « الأفعال الفاضحة » كان يأمرهم بالاستحمام ببول الخيول وكان يمنع عنهم الطعام والشراب وكان يأمر كل واحد منهم بأن يصيح بأعلى صوته : « أنا مرة » !! · وكنا ستة وثلاثين شابا ، وضمهم مأمور

البدارى فى السجن جعلهم « مشبوهين » ، لايغادرون السجن الا ليدخلوا اليه من جديد ٠٠ كان من بينهم صديقى حسونة وكان هؤلاء هم الذين وجدوا أنه لا سبيل لانقاذ أبناء البدارى الا بالتخلص من هذا المأمور وأقسمنا جميعا على المصحف ٠٠ ولكننى رأيت أن أقوم أنا وحسونة وحدنا بالمهمة ليكون لنا شرف غســـل العـــار بالتخلص من المأمور المستبد ٠٠ وأعددنا بندقيتين ، واحدة خرطوش ، حتى لاتخطىء الهدف ، والأخـــرى « ارمنتوه » ٠٠ حملت الأولى وحمل حسونة الثانية ورحنا نراقبه كل يوم حتى عرفنا كل شىء عن عاداته ٠٠ كان يزاول هوايته فى المشى ساعة الغروب هو ومهندس الرى ، وكان لايصطحب معه حرسا كثيرا امعانا فى التحدى ، والغرور ٠٠ وذات مساء ، أدينا مهمتنا

***

٠٠ أطلقت رصاصة الى قلبه ، وأنا أقول له : خدها ياظالم ٠٠ وأصيب هو ، والمهندس صديقه ، وذهبنا اليه لنتأكد من موته ، أشفقنا على المهندس فتركناه حيا لأنه لم يكن له ذنب ٠٠ واتجه كل منا الى بيته ٠٠ اغتسلنا ، جلس كل منا يتنــاول عشــاءه فى هدوء فقد انزاح الكابوس ، وزال رمز الطغيان ، تنفس الجميع الصعداء ٠٠ هبت علينا لأول مرة نســمات الحرية ٠٠ وانتشر الخبر بسرعة البرق : المأمور مات ، المأمور قتل ٠٠ وانطلقت الحــكومة كالاســـد الهائج ، الذى لايجد من يفترسه ، قبضت على كل أعيان البلد وشبابها ، وكان أولهم ال ٣٦ شـــابا « اياهم » الذين أطلق عليهم وصف « المشبوهين » وبدا التحقيق فى أول الأمر متسما بروح العدالة ، الى أن وصـــل حكمدار المديرية وكبار رجال وزارة الداخلية وكانت أوامر صريحة وصارمة باستخدام أبشع ، واشنع وسائل التعذيب » ٠

وقبل أن تكمل حديث جعيدى بطل البدارى لابد من كلمة نقدم بها بقية الحــديث ٠٠







ثورة ۱۹۱۹! ، بل أن الرجل لم يخرج من السجن « بربع المدة » كما يخرج عادة كل المسجونين العاديين ، خرج أســــعد بعد ربع قرن ليجد الدنيــا تغيرت ، وتبدلت : الثورة التى شارك فيها اجهضت ، الحركة الوطنية التى بذل شبابه من أجل تقويتها ، ضعفت وتقوقعت وخلفت ــ وبكل أسف ــ معاهدة ١٩٣٦ لا أكثر ولا أقل ، ولم يجد أسعد من رفاق دربه ، من يذكره ، الا أحد المطحونين من أمثاله فى القاهرة الذى سعى الى تعيين أســـــعد ليكون خفيرا لكوبرى « المعاهدة » فى ديروط ، وكان لقائى بذلك الرجل العظيم ، الذى يعمل خفيرا ــ بثلاثة جنيهات ــ لا أكثر ولا أقل لقاء ممتعا رائعا ، لا أزال أذكره حتى اليوم وكل يوم ، لا أزال أذكر حلاوته ، لقد قابلت كثيرين من زعماء العالم : خروشوف وهوشى منه ، وشوان لاى ، وسوكارنو وغيرهم ، وغيرهم وأجريت معهم أحاديث كان لها وقتها دويها فى العالم كله ، ولكن حديثى مع هذا الرجل كان له طعم خاص ومذاق خاص • وهل هناك أجمــل وأروع من أن تقابل رجــلا قضى كل شبابه فى السجن من أجل فكرة وطنية معينة ضحى فى سبيلها بالمال ، والأهل ، والولد ، والشباب ، وكل مافى الحياة ، ثم لم يطلب شيئا ، الا أن يمكن من خدمة بلده ويضحى بما بقى فى عمره من أيام ؟ هل هناك أجمل وأروع من أن تجد رجلا قضى ربع قرن من حيـــاته يتجرع كأس الذل والمرارة . وقســوة الحياة والظروف والناس ، ثم تسأله ، هل أنت نادم على ما فعلت ؟ فيقول لك : على العكس • أنا سعيد بما فعلت ، ولو عادت بى الحياة مرة أخرى من جديد لما فعلت غير ما فعلت ؟ •

***

ونماذج كثيرة ، كثيرة هى فى حد ذاتها ، دليل قاطع على ما يتمتع به شعبنا الكبير من أصالة وطنية لانظير لها ، ليس مهما ان يكون هؤلاء قد اختاروا طريق العمل الصائب ، أو تجنبوا طريق العمل الصائب ، ولكن الاهم والمهم ، انهم عندما أقدموا على ما أقدموا عليه كانوا فى قمة الايمان والاخــلاص ، للفكرة التى يعتنقونها سواء أصابوا الهدف ، أو أخطأوه ، المهم انهم قدموا أرواحهم وشبابهم من أجل تحقيق هدف كبير سام ، لا من أجل أن ينـــالوا لأنفســـهم شيئا ما ، أيا كان هذا الشيء ، من هذا المنطلق الوطنى لفهم العمل الوطنى :

***

كنت سعيدا الى أبعد درجات السعادة وأنا أسمع أن بطلى حادث البدارى ، أحمد جعيدى وحسن أبو عاشور « حسونة » لا يزالان على قيد الحيــاة •• وحادث البدارى • ــ كما سبق أن ذكرت ــ كان المســمار الأخير فى نعش دكتاتورية اسماعيل صدقى • وقد كنت من أســعد النـــاس ، وأنا أنشر ــ فى الفصـــل السابق ــ فقرات من اعترافات أحمد جعيدى ، ذكر فيها ــ وبصراحة مطلقة ــ

الاسباب التى دعته وزميله حسونه وبعض شباب البدارى الى البحث عن طريقه للتخلص من مأمور مركز البدارى ، الذى كان يسومهم وكل أبناء البدارى سوء العذاب وكيف أن جعيدى وحسونة « كمنا » فى مكان ما حيث تعود المأمور أن يتجول ، بلا حراسة ، امعانا فى التحدى وأطلقا عليه الرصاص حتى أردياه قتيلا وبعد أن تأكدا من موته عاد كل منهما الى منزله سعيدا ، هانئا بعد ان تمكن من غسل العار عن أهله وذويه ، وكيف أن التحقيق سار فى البداية متسما بروح العدالة الى أن وصل حكمدار المديرية وكبار رجال وزارة الداخلية فاذا بالأوامر تصدر صريحة وواضحة بضرورة استخدام أبشع وأشنع وسائل التعذيب ، ويمضى العم جعيدى فى اعترافاته ، وكأنما يقرأ من كتاب مفتوح أمامه « أباح حكمدار المديرية ، الأعراض . كل الأعراض ، أجبر النســاء على السير عاريات كما ولدتهن أمهاتهن بعد أن لطخوا وجوههن ، باللون الأبيض : لم يوجه الى الاتهام ، بل لم يوجه الى أحد : كانت التهمة شائعة لا أحد يعرف من يكون القاتل . وان كان الجميع يعرفون ، لماذا قتــل القتيل ، وفجــأة استدعى رجال البوليس زميلى حسونة طالبين منه الاشتراك معهم فى البحث عن الجناة ، وبعد فترة اســتدعيت للتحقيق ووجهوا الى تهمة القتل العمد مع سبق الاصرار . واستغربت ، كيف يمكن أن يوجهوا الى مثل هذا الاتهام ..

***

ان أحدا فى البدارى لم يكن يتوقع أبدا ، أن أكون أنا القاتل حتى ولو وجدت بعض الشكوك عند البعض ، فان هذا البعض لايمكن أن يتهم أحدا من أبنــاء البدارى بجريمة القتل ، فجريمة القتل لم يكن باعثها شخصيا ، وانما كان باعثها انقاذ أهل البدارى من التعذيب والارهاب ولا يمكن لأحد أبدا أن يشهد ضد قاتل ، انقذ بلده من التعذيب ، والارهاب : وعرفت فيما بعد ان أحد أعيــان البدارى هو الذى أبلغ السلطات متهما اياى بالقتل ، وكانت عملية التبليغ هذه من أشق العمليات ، التى أدخلت الاسى والحزن الى نفوس أبناء البدارى جميعا ! لقد كنا نعتقد اننا قمنا بواجبنا لانقاذ أهل البدارى من طغيان المأمور

***

ولم يكن يدور بخلد واحد منا ، أن واحدا ، من أهل البدارى ، يمكن أن يخون مصالح بلده ، فيرتكب تلك الجريمة ، التى هى بلا جدال ـ وعند كل أبناء البدارى ـ من أفظع الجرائم ، بل هى أفظع من جرائم القتل ذاتهــا ! وبدا التحقيق معى ، بــل بدأت عمليــة التعذيب التى لا مثيل لها فى شناعتهــا ، وفظاعتها ، اننى وحتى هذه اللحظة ورغم مرور خمسة وأربعين عاما على الحادث لا أزال أذكــر كل مالقيته ، كل ماحـــدث لى ، وكأنمــا الجــلاد الم يبتعد عنى من يومها الى الآن ساعة من الزمان .. ان آثار التعذيب ، الرهيب ، لا تزال





واحدة كدت أقع في الجريمة بعد أن خرجت من السجن مباشرة حاول أحد ضباط المركز ، أن يهينني فما كان مني الا أن أقفلت عليه باب غرفته وضربته علقة أنا وضابط البوليس ، ويبدى العم جعيدى سعادته المطلقة بسيادة القانون ٠

***

ويأبى جعيدى الا أن يدلل على متانة العلاقات التى تربط بين الشعب وبين بوليس الشعب : يذهب الى قسم البوليس ، ليقابل كل من فيه ، ان الجميع يحبونه ، ويحترمونه ، وفي مكتب نائب المأمور الرائد هشام الكيلاني ــ حيث كان المأمور غائبا ــ يجلس عم جعيدى ليتحدث بحماس الشباب عن مشاكل البدارى ، كواحد من أبنائها ، انه هو ، هو بايمانه ووطنيته لم يتغير منذ خمسة وأربعين عاما ، وأن كانت مصر ، قد تغيرت كثيرا ، وكثيرا جدا ٠٠ ألم تكن البدارى في الماضى منذ ٤٥ سنة متخلفة الى أبعد حدود التخلف ٠ ألم يكن التعليم مقصورا ، على مجموعة قليلة جدا من أبنـاء البيوت الكبيرة ، ألم تكن البدارى بلا مرافق ولا خدمات صحية ٠ ولا ٠٠ ولا ٠ فاذا بها اليوم ــ وبعد ثورة ٢٣ يوليو المجيدة الخالدة ــ تتغير في كل شيء : نسبة التعليم ترتفع ، تخرج كثيرون ، كثيرون من أبناء البدارى : من الأطبـاء ، والمهندسين والمحامين ، و ٠٠ و ٠٠ كل التخصصات : ان في البدارى اليوم ــ ككل مكان في مصر ــ ، سباقا على التعليم ، ومن أجل التفوق في التعليم : ان العلاج الطبى قد تقدم ، المبانى الحديثة والمنشآت الجديدة ، قد كثرت بشكل ملحوظ : الانتاج الزراعى قد زاد ، وخاصة الموالح ، ارتفع المستوى الاجتماعى ، كما ارتفع المستوى الاقتصادى ٠ اختفت الصراعات العائلية ، والقبلية ، زادت نسبة تعليم الفتاة بل توجد في البدارى مدارس اعدادية وثانوية للبنات بل وتعليم مشترك يجمع بين البنين والبنات ، وهكذا تتقدم الحياة : ان الحياة لايمكن أبدا أن تعود الى الوراء ، لأن العـودة الى الوراء سمة من سمات التخلف ٠ وشعبنا لم يكن يوما ما من الشعوب المتخلفة ٠

***

انه صانع أقدم مدنية في التاريخ ! ويتطلع عم جعيدى ، الى كل ما حوله من تغيرات ، وتحولات ، ويحمد الله لأنه ــ أولا ــ أدى واجبه تجاه شعبه ويكفيه فخرا ، انه كان واحدا من الأسباب التى أدت الى زوال دكتـاتورية اسـماعيل صدقى ، ويحمد الله ــ ثانيا ــ لأنه رأى ثمرة تلك الجهود ، التى بذلها ورفاقه وأقرانه والتى بذلها الذين سبقوه ، والذين تبعوه ، في ميدان العمل الوطنى ، ثم يحمد الله ثالثا ، ورابعا والى ما شاء الله لأن مصر دائما ، بخير ، وما من انسان أراد لها السوء الا وأنقذها الله منه ، وبسرعة » ونعود من الحـديث مع عم جعيدى الى الحديث عن الصحافة واسماعيل صدقى ٠

***

كانت قبضة اسماعيل صدقى قبضة قوية متينـة . كان كل من يراها ويحسها ، يعتقد أنها باقيـة ما بقى اسماعيل صـدقى على قيد الحيـاة ولكن الشعوب الكبيرة ، الأصيلة الواعية ، الناضجة ، تصـبر على الضيم ، تنـام بعين ، وتبقى عينهـا الأخرى مفتـوحة ! انها سرعان ما تثأر لنفسها ، ولكرامتها ، وسرعان ما تقضى على كل يد أثيمة امتدت اليها وحاولت النيـل من حريتها ومن كرامتها : واذا كان اسماعيل صدقى ، منذ أن ولى رئاسة الوزارة لأول مرة منذ ١٩ يونيو ١٩٣٠ قد عادى الشعب ، الى أبعد حـدود المعاداة . فلقد كان منذ ذلك التاريخ فى حرب مستمرة مع صحافة الشعب لأنه كأى حاكم مستبد ذكى يرى أن الصحافة هى ألد أعداء الدكتاتورية والاستبداد بالرأى .

***

وقديما نقل على لسان السلطان محمد رشاد ، سلطان تركيا أنه قال لمراسل الديلى كرونيكل البريطانية : أن الرجل حامل السيف قادر ولكن الرجل حامل القلم أقدر ، كما نقل عن السلطان عبد الحميد ـ أعنف السلاطين العثمانيين قوله بعد خلعه : لو عدت من جـديد الى يلدزر ـ مقر الحـكم العثمانى ـ لوضعت كل محررى الصحف فى أتون كبريت : ولذلك عمـد اسماعيل صدقى منذ أن تربع على كرسى رئاسة الوزارة على ملاحقة الصحف المعارضة له : بادر بسن القوانين ، واللوائح التى تعطلها عن أداء واجبها القومى ، لجأ الى سلاح التعطيل متوهما انه باستخدام ذلك السلاح ، يتقى « شر » الصحف .. كما لجأ الى سلاح اغلاق الصحف واحدة بعد الأخرى على النحو الذى سبقت الاشارة اليه كما فعل مع كوكب الشرق والبلاغ واليوم والسياسة ، والمؤيد ، والمؤيد الجديد ، وصدى الشرق ، والأحرار الدستوريين ثم عاد مرة أخرى الى وضع شروط مجحفة لمن يصلح أن يكون رئيسا للتحرير ، كما وضـع عقوبات صارمة لحماية نظامه من كل نقد ، ولكن هل يمكن لمثل تلك الأساليب الظالمة ، المجحفة ، ولمثل تلك القوانين العنيفة الصارمة أن تجبر الصحفيين الذين يؤمنون بأن الصحافة رسالة على السير فى ركاب نظام استبدادى كنظام اسماعيل صدقى ، أو على الأقل ، السكوت عن أخطائه وجرائمه ؟! لقد تصور اسماعيل صدقى أن بامكانه أن يخضع الصحافة لسلطانه وان يقيدها بالسلاسل ، والأغلال ، ولكن الحقيقة كانت خلاف ما تصوره اسماعيل صدقى ، اذ لا يمكن لصحافة حرة أن تخضع لسلطان أى دكتاتور ولا يمكن لصحفيين أحرارا أن يقبلوا أن تقيد أقلامهم بالسلاسل ، والأغلال حتى والو ألقى بهم فى السجون ، والمعتقلات !

***





من شرفها ، ولقد زادتها ، المبادىء التى قررتها بعض الأحكام الابسمات خاصة ، على ما اعتقد استرسالا فى غيها واستهتارا بما تقضى به مهمتها ، وتجاوزا لكل حد فى تعبيراتها ، فأصبح الأمر فوضى حتى لقد ظن ان الشذوذ هو القاعدة ، وانه يصح ، للكاتب ، أن ينال من شرف الناس من سمعتهم تحت ستار أنه نقد مباح » .

وقضية د. حسن هيكل تذكرنا بما يمكن أن نسميه لأول مرة . « بأدب القضاء ، أو القضاء الأدبى :

الفصل السابع

صحافة الشعب تسقط دكتاتورية اسماعيل صدقي باشا

في سنوات ما قبل الثورة ـ ما قرب منها ، وما بعد ـ وجد وبكثرة ما يمكن أن يطلق عليه تجاوزا ، أدب القضاء أو القضاء الأدبي ، ذلك لأن كثيرين من أقطاب النيابة كانوا يحرصون وبخاصة في القضايا السياسية الكبرى على أن تكون مقدمات مرافعاتهم وكذلك نهاياتها قطعا من الأدب الرفيع ، وكذلك كان المحامون الكبار يحرصون على أن يكون دفاعهم عن المتهمين الموكلين عنهم مليئا بالكلمات المأثورة التي تبقى أو يمكن أن تبقى خالدة مع الزمن لا تبلى جدتها ، كما يقولون ، وكذلك كان أيضا بعض القضاة يحرصون على أن يضمنوا أحكامهم عبارات فيها من الأدب الرفيع ، أكثر مما فيها من استشهاد بمواد القوانين وقد أجهدت نفسي في البحث عن علة هذه الظاهرة الفريدة في نوعها ، فلم أعثر على ما يمكن أن اعتبره سببا رئيسيا لوجود تلك الظاهرة ، وان كنت قد غلبت الرأي القائل بأن من أسباب وجود هذه الظاهرة ، ان كثيرين من رجال القضاء والمحاماة كسعد زغلول ، وابراهيم الهلباوي ، وغيرهما وغيرهما ، كانوا من رجال الأزهر ، الشريف !

وقد كنا ونحن في بداية عهدنا بالشباب نحفظ بعض العبارات الأدبية ، التي وجدت في بعض المرافعات ومن بينها ـ بل وفي مقدمتها ـ عبارات جاءت على لسان أستاذنا الكبير ـ فخر المحاماة ـ أحمد لطفي وهو يترافع عن ابراهيم ناصف الورداني وكذلك عبارات أخرى جاءت ـ في تلك القضية أيضا ـ على لسان عبقري المحاماة ابراهيم الهلباوي ولم يكن يستهوينا في هذه العبارات الا عاطفتها الوطنية القوية الجياشة ، بصرف النظر عن ظروف القضية وملابساتها : من بين العبارات التي حفظناها لأحمد لطفي قوله وهو يخاطب ابراهيم الورداني في ابريل ١٩١٠ :





أن الوطنية الصحيحة لا تحل فى قلب ملأته مبادىء تستحل اغتيال النفس ·

فماذا تكون حال أمة اذا كانت حياة أولى الأمر فيها رهينة حكم متهوس يبيت ليله فيضطرب نومه ، وتكثر هواجسه فيصبح صباحه ، ويحمل سلاحه ، يغشاهم في دار أعمالهم فيسقيهم كأس المنون : ان جناية الوردانى لأشد ضررا ألف مرة من جناية كل مجرم قاتل أو سارق ، أو قاطع طريق ، فان هؤلاء جناياتهم فردية وجناية الوردانى على أمته ووطنه ، وهؤلاء يمكن الاحتراس منهم ، وتوقى اضرارهم ، كان فى وسعه ، أن يحارب خصمه بغير ذلك السلاح ، القاتل ، فان كان على حق ، خرج من هذا النضال بطلا شريفا سائرا به وبنفسه الى خدمة الوطن ، لا أن يلقى اليه تلك الرصاصات ليذهب به الى عدم يسير اليه اليوم قاتلا أثيما : بئست المبادىء مبادؤه · ولعنة الله عليها باسم الانسانية التى انتهكت حرمتها ، والحرية ، التى خرق سياجها والوطن الذى جنى عليه ·

★★★

ويقول أيضا عبد الخالق ثروت ، النائب العام فى قضية مؤامرة شبرا التى أتهم فيها امام وأكد ، ومحمود طاهر العربى ومحمد عبد السلام : « أغسطس ١٩١٢ : كانت هناك فئة من الأغرار ، المفتونين طاشت أحلامهم ، وعميت بصائرهم ، وقلوبهم ، وخبثت نفوسهم فلم يروا من النور الا ظلاما ، ومن اليسر الا عسرا ، ومن الخير الا شرا ومن النظام ، الا ظلما ، ومن وجوب المحافظة على القانون الا استعبادا ورقا ·· فئة عطلت عن التربية الصحيحة وتسممت عقولهم بشر المبادىء فلم يروا للبلاد ــ وهى فى طمأنينتها ، سائرة فى طريق سعادتها ــ خيرا من أراقة الدماء فيها أنهارا والايذاء بنفوس عالية ، غالية تدأب أبدا لخير أمتهم ، البريئة مما كانوا يفعلون ·

لم يروا خيرا من قتل كبراء البلاد ، المخلصين لها خيانة وجبنا ، واغتيال الأرواح الطاهرة المطمئنة خلسة وخسة ، هؤلاء ، هم المتهمون الماثلون أمامكم اليوم ليلقوا جزاء شرورهم وسوء ما كانوا يدبرون ، وان فى تاريخهم لعبرة ! ·

★★★

وينهى عبد الخالق ثروت باشا مرافعته قائلا : اننا أمام تيار جارف ان لم نقف فى سبيله نزل بعقول سفهاء شبابنا الى منزلق فيه بلاء البلاد ·· لقد بدأ هؤلاء الشبان يفكرن فى استباحة القتل ، واراقة الدماء تخلصا مما صوره حمقهم من الشقاء ، قبل أن يفكروا فى الخلاص من جهالتهم ، التى هم فيها يعمهون · ان هذه الأفكار الطائشة الخطرة كالسلاح فى يد المجنون الهائج ان لم يعجل بنزعه منه قوة واقتدارا كانت العاقبة وبالا » · ويخاطب عبد الخالق ثروت باشا المستشارين بقوله : امحوا هذه الأفكار الخطرة ، وانزعوا هذا السلاح

القاتل ، انزعوه من أيدى هؤلاء المفتونين قبل أن يصيب البلاد بشره المستطير ، انزعوه بحكم ترضاه الحكمة وأصالة الرأى ٠٠ انكم بذلك لا تسفكون الرحمة والعدل ، بل تزيدونها جمالا ورواء أليس من الحكمة والعدل أن تبعثوا ، الطمأنينة فى القلوب الواجفة ؟ ٠٠ أو ليس من الرحمة ان ترحموا صغارا كالغصون الرطبة أوشكت أن تلتوى على الشر تقليدا أعمى ، للمتهمين وأمثالهم ؟ » وعن القانون القائم وقتئذ يقول عبد الخالق ثروت مخاطبا القضاة : هو سلاحنا الوحيد قد وضعناه فى أيديكم نسألكم أن تصرعوا به هذا الشر الذى بدت نواجذه ، وكشر عن أنيابه ٠٠ أصرعوه بأشد ما فى القانون الذى بيدكم ٠٠ ليس فى ذلك من قسوة ، ولا تحيف ، فما أشد ما نحن فيه من الظروف » ٠

★★★

وفى قضية مقتل السيرلى ستاك سردار الجيش المصرى ، والحاكم العام للسودان دافع وهيب دوس عن شفيق منصور قائلا وهو يخاطب المستشارين : تذكروا أن لهم عائلات يلبسها حكمكم السواد ، وأميات وأخوات تخفق قلوبهن حنوا وعطفا ، وتجزع نفوسهن هلعا واشفاقا ، وان عليكم دينا لا تملكون سداده اذا حم القضاء ، خاطروا بأنفسهم وتعرضوا للموت قتلا ، أو حكما فى سبيل مصر بحسب معتقدهم ، والأعمال بالنيات وهذا دين يشغل ذمة كل مصرى ٠٠ عليكم فيه بنصيبكم ، فلعلكم موفونه فى حكمكم باقالتهم من عثرتهم وأنكم باذن الله لفاعلون » ٠

★★★

ولقد سبق أن أشرنا الى فقرات من مرافعة عبد اللطيف محمود ، رئيس النيابة فى القضية ، التى رفعت على الدكتور محمد حسين هيكل لأنه نشر مقالا فى جريدة السياسة تحت عنوان : نفقات حفلات الطرب ، ألم يكن الفقراء أولى بها ؟ » وننشر اليوم بعض فقرات أخرى من تلك المرافعة البليغة يقول فيها رئيس النيابة :

ولئن كان من أهم نزول الصحافة عن مستواها الذى يجب ان تكون فيه دخول هذه العناصر التى لا تقدر الأدب قدره أو تعرف للصحافة حقيقة مهمتها فلطالما ، عللنا النفس بأمل أن يقوم المثقفون من رجالها بتقويم اعوجاجها واصلاح ما فسد من شأنها والنهوض بها من كبوتها ، ولكنهم لم يكونوا عند حسن الظن بهم ، اذ سرت اليهم عدوى الأولين فاذاهم والأولون سواء : قضية اليوم تتعلق بكاتب معروف له من تربيته ، وثقافته ، ما يمنعه من استباحة قلمه ٠ يرسله من غير حق ، فى مواقف ، ما كان أغناه عنها ، ويشرعه ، ظلما فى صدور أشخاص لا ذنب لهم ، الا انهم يقومون ، بواجبهم ، ذلك الكاتب هو الدكتور هيكل بك

الصحفى القانونى ، والأديب » .. ويختم الأستاذ عبد اللطيف محمود مرافعته بقوله : يا حضرات المستشارين اذا ما خلوتم لتقولوا كلمتكم فأشيروا الى ان حرية الصحافة أو بعبارة أخرى حرية النقد ، ليست هى حرية أخذ الناس فى شرفهم ، وفى كرامتهم بل يجب ، أن تكون فى حدود القانون مشبعة بروح العدالة ، لا لغرض الامتهان ، ان جرائم الصحافة أثرها بالغ ، وغورها بعيد . أثرها ليس مقصورا ، على المتهم ومن جنى عليه وانما يتعدى الى الكثيرين : ولن يستوى فى نظركم من يعرف القانون بتفصيله ومن له من علمه ، وتربيته ما يرشده الى حقائق الأشياء : لن يستوى هذا مع من هو جاهل بها فاذا ما أخذتم الصحفى على قدر علمه ، وضوح غرضه فانكم تقومون بالاصلاح الذى نرتجيه ، فلا يولد ، بعد ذلك ضحايا ولا يوجد متهمون : ان المطمئنين من الناس ، والقائمين بينهم يفزعون الى عدلكم وهم يرجون بعدها أن تأخذ الصحافة مكانها الصحيح مكان المهذب والمرشد الأمين ، عف اللسان ، لا سلاحا ، للتشهير والاعنات : عندئذ تكون الصحافة فى مصر للخير ، وللخير وحده .. » .

★★★

وكانت النيابة العامة قد اتهمت د. محمد حسين هيكل بأنه فى يومى ١٩ ، ٢١ ديسمبر ١٩٣٠ ، بمدينة القاهرة وبلاد القطر المصرى ، بصفته المدير المسئول لجريدة السياسة اليومية ورئيس تحريرها ، اهان هيئة نظامية هى مجلس وزراء الدولة المصرية بأن نشر فى الجريدة المذكورة فى العدد رقم ٢٥٣٦ مقالا تحت عنوان « نفقات حفلات الطرب ألم يكن الفقراء أولى بها ؟ » نسب فيها الى بعض الوزراء أنهم سلكوا سلوكا معيبا فى غير حدود الاحتشام وصدر منهم من المساخر ، ما لا يليق بأشخاصهم ومناصبهم ، كما نشر فى العدد ٢٥٣٨ تحت عنوان : حفلات الابتهاج بالأزمة ، رسما وعبارة يمثلان الهيئة المذكورة بحالة منافية للآداب » ، وقد قضى حضوريا فى الدعوى ، وبتاريخ ٢٧ مارس ١٩٣١ بمعاقبة المتهم بغرامة قدرها عشرة جنيهات مصرية وبالزامه بأن ينشر الحكم فى جريدتين بمصاريف من طرفه ، بعد ان أثبت حكم المحكمة انه قد تبين وبلا مجال للشك أن أغراض الكاتب من المقال والعبـــارات الجارحة الواردة لم تكن الدفاع عن أموال الخزينة بل النكاية بالوزراء والتشهير بهم واظهارهم فى أعين الأمة بمظهر المستهتر بالأزمة التى تعانيها وبمال الدولة وأن قصد الكاتب من كل ذلك واضح ظاهر » وقد طعن د. هيكل فى الحكم الصادر ضده أمام محكمة النقض وقدم الدفاع الكثير من الأدلة التى تنفى التهمة عنه . وكان من بين ما قدمه الدفاع عنه ان صحف الحكومة تطعن يوميا فى حزب الأحرار الدستوريين وأشخاص رجاله وأعراضهم مما لا يسيغه الأدب ومع ذلك فلم يكن محل مؤاخذة جنائية وانه لا وجه للتشبيه بين ما نشرته جريدة السياسة ورفعت عنه الدعوى العمومية وبين ما تنشره جرائد الوزارة فرفع الدعوى على رئيس تحرير السياسة

فى هذه الظروف والحكم عليه من أجل المقال الذى كان موضوع المحاكمة انما هو خطأ لا يقره القـــانون وفيـه معنى توزيع العدالة بين الصحف والبيئات السياسية بمقاييس مختلفة وهذا يخالف المبدأ الذى قررته محكمة النقض والابرام وبنت عليه » وقد ردت محكمة النقض على ذلك فى حكمها الصادر فى ٤ يناير ١٩٣٢ انه مع التسليم بأن للطاعن فى الحكم ـ د. هيكل ـ أن يشتد فى نقد أعمال خصومه ويقسو عليهم ما شاء الا ان ذلك كله يجب ألا يتعدى حد النقد المباح فاذا خرج بذلك الى حد الطعن والتشهير والتجريح فقد حقت عليه كلمة القانون ولا يبرر عمله أن يكون خصومه قد سبقوه فى صحفهم الى استباحة حرمات القانون فى هذا الباب ويكفى ان الحكم المطعون فيه قد راعى هـذه الظروف عند تقدير العقوبة وهذا أقصى ما يستطيع القاضى عمله وترى محكمة النقض ان أقل ما توصف به تلك المطاعن الواردة فى المقال والرسم انها « سب » وأن السب فى هذه الصورة لا يتعلق بالوظيفة أو الدفاع عن مصلحة عامة وأن قلم كاتب المقال لم يعف عن تناول الوزراء فى شخصياتهم ورميهم بأمور ، لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالمصلحة العامة التى يزعم الدفاع عنها ومن حيث انه لما تقدم يتعين رفض الطعن » .

***

وكان الأستاذ توفيق دياب صاحب جريدة الجهاد ، لسان الوفد ، يحمل كل يوم حملات قوية وعنيفة على دكتاتورية اسماعيل صدقى وكانت الجماهير تتخطف الجهاد ، وفى ٢٦ ابريل ١٩٣٢ ، كتب توفيق دياب يقول : نعم أوشكت الصاعقة التى يسمونها جبل الأولياء ، أن تنقض على رأس مصر ، والمصريين وسيرجع الفضل الخالد فى هذه النكبة الخالدة ، الى صدقى باشا فى البداية والى برلمانه فى الختام ، وفى يوم ٢٧ ابريل ١٩٣٢ ـ أى فى اليوم التالى مباشرة ـ كتب أيضا يقول . اذن ماذا يدفع هذه الضمائر الى المغامرة بحياة الأمة .. أهو ان يشتروا بهذا الثمن المروع ، بقاء وزرائهم فى الحكم ، وبقاء أنفسهم فى جلاله ، شهورا أو أعواما أو دهورا .. انها لصفقة ليس يقدم عليها أى مصرى وفيه ذرة من الرحمة بنفسه وعشيرته ووطنه أو ذرة من تقدير الأشياء باقدارها : ولو كان كل يوم يقضونه فى الحكم ، ألف عام من أيام النعيم فى جنات الخلود : أيتها الوزارة وأيها الوزاريون ، أيتها اللجنة الصادرة : وأيها البرلمان المغامر ، المسألة جد ، وهى من الجد فوق ما تتصورون وليست حياة مصر ، أو موتها ملكا لكم ولا لعشرين برلمانا صدقيا ولمائة صدقى وابراهيم فهمى ، بل ليست ملكا لمصطفى النحاس ولم تك ملكا لسعد ، وانتم تعلمون من هما فى قلوب الملايين : ليست مصر ملكا للمصرى ولا لمئات المصريين من الزعماء المجاهدين فضلا عن حضراتكم أيها السادة المغامرون بحياة الوطن ، فأى ضمير يطاوعكم على أن تكلوا عنق مصر الى السيف الانجليزى اعتمادا على مجرد حسن الظن بحضارة

الانجليز ‥ أى عقل يهديكم الى التردى بمصر فى هذه الهاوية وهى منها بمأمن وعنها فى غنى : انها لخيانة مروعة ستبقى على الدهور بقاء ذلك السيف معلقا على رأس مصر والمصريين فهل عولتم على اقرار هذه الجناية التى لم يسبق أن اسودت بمثلها صفحات التاريخ » وقامت قيامة وزارة اسماعيل صدقى .

★★★

ووقف توفيق دياب أمام محكمة الجنايات بتهمة اهانة مجلس النواب واللجنة البرلمانية المؤلفة لفحص مشروع سد جبل الأولياء اذ نسب اليهما المغامرة بحياة مصر و ‥ و ‥ ولكن محكمة الجنايات برئاسة الأستاذ يس أحمد ، أصدرت حكمها بالبراءة باعتبار ان المقالين لا يحتويان الا على تحذير لمجلس النواب » ورفعت النيابة طعنا فى الحكم ، أمام محكمة النقض والابرام ‥ ووقف توفيق دياب مرة أخرى أمام عبد العزيز فهمى باشا رئيس النقض والابرام ، وقال ممثل النيابة ان الأستاذ توفيق دياب وصف أعضاء البرلمان بأنهم قوم لا ضمير لهم ، وأنهم فى سبيل بقاء الوزارة القائمة فى الحكم يضحون بمصلحة وطنهم وتراث أجدادهم لكى يعيشوا فى ظل تلك الوزارة ، وقال رئيس نيابة الاستئناف ـ محمد جلال ـ ان اسناد هذه المثالب لأعضاء هيئة نظامية وتجريدهم من الاخلاص لوطنهم ارضاء لشهواتهم الحزبية لا شك يحط من كرامتهم فى أعين الناس ويجرح شرفهم ويؤذى نفوسهم : وطالب رئيس النيابة بالعقوبة الرادعة للكاتب ، وأمثاله ممن لا يزدجرون خصوصا انه مثل أمام محكمة النقض منذ شهر بتهمة مماثلة فقدرت المحكمة مركزه الاجتماعى ولكنه لم يرتدع وبذلك أصبح « عائدا » ، وترافع مكرم عبيد عن توفيق دياب وشهدت قاعة المحكمة مساجلات بين رئيس المحكمة وبين مكرم عبيد ، وبعد ان انتهى مكرم عبيد من دفاعه وقف توفيق دياب وطلب ان يتكلم فسمحت له المحكمة فقال : أيا كان الحكم فانى أعتقد انكم خلفاء الله فى أرضه » وقال رئيس المحكمة استغفر الله ، وهذا كثير علينا « هم جابونا وحطونا هنا وخلاص » وضحك كل الحاضرين وعاد توفيق دياب ليقول : انى أتقبل كل حكم بكل ما أستطيع من غبطة وارتياح ولكن أريد أن أقول انى ما كتبت حرفا واحدا قصدت به الاهانة ‥
وأعلن الرئيس ان الحكم بعد المداولة ‥

★★★

وكان توفيق دياب قد خرج من قاعة الجلسة بعد أن أعلن رئيس المحكمة ، ان الحكم بعد المداولة ، الى منزل مكرم عبيد ، وبرفقته لتناول طعام الغداء ، وبينما كان توفيق دياب ، ومكرم عبيد يتناولان الطعام ، دق جرس التليفون وكان المتحدث مصطفى النحاس الذى كان يبكى وهو يقول ، ان الحكم صدر بالادانة ‥ ولم يضعف توفيق دياب ، بل تماسك معلنا استعداده لتنفيذ

الحكم بنفس راضية . وبعد أن تناول الغداء ، انطلق الى دار الجهاد حيث كانت الجماهير قد سبقته الى هناك لاعلان وقوفها الى جانبه ، واستنكارها للحكم العنيف الصارم ، ويقضى توفيق دياب ساعات عديدة مع زملائه الصحفيين . ويستقبل العديد من الساسة الذين هرعوا الى دار الجهاد لرؤية صاحبه قبل أن يذهب الى السجن وكان من بينهم مصطفى النحاس وأحمد ماهر ، ومحمود النقراشى . وفى الساعة التاسعة والنصف يصل الى مبنى دار الجهاد جندى من جنود البوليس يحمل من النيابة أمر القبض على توفيق دياب ، ويستأذن توفيق من الجندى بضع دقائق يكتب فيها كلمة وداع لقرائه ثم يتجه مع الجندى الى قسم السيدة زينب حيث يبيت ليلته هناك ، ليتوجه مع حراسة مشددة فى صبيحة اليوم التالى الى سجن قرة ميدان لتنفيذ العقوبة الصادرة ضده وهى الحبس ثلاثة أشهر ، ولما كان الأستاذ توفيق دياب محكوما عليه من قبل بالحبس ستة أشهر كانت مع وقف التنفيذ مراعاة لمركزه الاجتماعى فقد حلت العقوبة المؤجلة وكان عليه أن يقضى فى السجن تسعة أشهر . وفيما يلى الكلمة التى كتبها الأستاذ توفيق دياب والتى نشرت فى الجهاد بينما كان فى طريقه الى السجن : كنت أود أن أقرىء مواطنى السلام ، وأن أودعهم بكلمات طيبات ، قبل أن تبدأ ساعة فراقى اياهم تسعة أشهر ولكن توارد الزعماء والزملاء ووفود الأصدقاء الى دار الجريدة ، منذ أن علموا بالحكم الذى أصدرته محكمة النقض والابرام ، وانشغالى باستضافتهم وشكرهم على هذا الصنيع الجميل ، لم يمكننى من أن أكتب تلك الكلمات : تحية لمواطنى وبلادى ، وابتهالا الى الله أن يجىء تحررى من قيود السجن بعد تحرر الأمة الكريمة مما تعانيه من ضروب البلاء » .

★★★

وفى السجن عومل توفيق دياب أقسى معاملة رغم انه كان يشكو من الروماتيزم . نام توفيق دياب على برش فوق الأسفلت . ارتدى ثياب المسجونين العاديين . وقامت ثورة الصحفيين جميعا رغم الخلافات والاختلافات التى كانت قائمة بينهم ، كتبوا العديد من المقالات التى تطالب بمساواة توفيق دياب بالأشرار الأجانب الذين ينامون فى سجن الأجانب على أسرة ويسمح لهم بما يشاءون من الطعام والشراب . وكانت اجتماعات عديدة للصحفيين ، كل الصحفيين تنادى بتحسين معاملة توفيق دياب . وكان من أهم تلك الاجتماعات ، اجتماع دعا اليه الأستاذ داود بركات رئيس تحرير الأهرام فى دار الأهرام حضره عدد كبير من الصحفيين من بينهم د. محمد حسين هيكل ، عبد القادر حمزة ، محمود أبو الفتح ، عبد القادر المازنى، أحمد وفيق، السيدة روز اليوسف ورأس الاجتماع د. هيكل ، الذى رأى اشراك الهيئات الصحفية فى العالم كله فى الموضوع ، وأن يبلغها أن صحفيا مصريا حكم عليه بالحبس مع الشغل ثلاثة

أشهر ، وهو يعامل حسب لائحة السجون المصرية معاملة المجرم العادى ، وان الصحافة المصرية طلبت تعديل هذه اللائحة لتتمشى مع روح العصر ، والتشريع المصرى الحديث ، وقال د. هيكل « ولما كانت نقابة الصحافة المصرية متضامنة مع النقابات الصحفية العالمية فهى تطلب التضامن معها ، وتأييدها فى طلب معاملة المحكوم عليهم فى جرائم النشر معاملة السياسيين فى جميع البلاد التى لها نفوذ فيها ، وقد وافق المجتمعون على هذا الاقتراح بالاجماع ، و .. و ..

★★★

وكتب أستاذنا الكبير : فكرى أباظة بأسلوبه الساخر - فى المصور . تحت عنوان : الرقيب الرقيب : صديقنا العزيز وزميلنا الفاضل توفيق دياب فى السجن ونحن فى الخارج نبدى العواطف ، ونكتب ونخطب ونتداول . ونقترح ، ونقابل وزير الداخلية ، ورئيس مجلس النواب ورئيس مجلس الشيوخ ليخففوا عنه اجراءات التنفيذ .. هل يملك هؤلاء أو أعظم من هؤلاء ذلك ؟ لا أظن نظام السجون نظام عسكرى فصاحبة الجلالة الصحافة سترتد مدحورة والأسف ملء الفؤاد ، وليس لى أمل فى مجلس النواب ولا مجلس الشيوخ ، وقد بانت لبتها عندما طرح اقتراح النائب المحترم الدكتور صالح ولا أريد أن أحتد أو أشتد تعليقا على موقف حضرات النواب المحترمين الا اذا شئت أن يكون مصيرى الى ورشة الترزية أسوة بزميلى خفف الله عنه رغم أنف السجون .

ما جرى على الأستاذ توفيق دياب قد يجرى على غيره » .

ويطالب أستاذنا اما بالغاء القانون ، أو فرض الرقابة ليرتاح القانون ، وترتاح الحكومة ، وترتاح المحاكم ، وترتاح أيضا مصلحة السجون .

وأخيرا سمح للاستاذ توفيق دياب أن ينام على سرير ، وان تضاء له حجرته فى السجن .

★★★

ويبقى بعد ذلك أن نشير الى موقف لا يمكن لنا أن نتجاهله ، ذلك الموقف المتعنت الذى وقفته صحيفة الشعب ، لسان حال حزب الشعب . الذى يرأسه اسماعيل صدقى . لقد خرجت على اجماع الصحفيين وراحت تتندر على الزملاء الصحفيين الذين قضوا حينا من الدهر يفخرون بالتضحية ويدعون اليها ، ويغرون بها ويحرضون عليها ، ويطلبون الى الأمة أن تضرب أكبر الأمثال فى الاستهانة بالروح ، والمال فما بالهم اليوم وقد أصابتهم صدمة هى أهون الصدمات فزعين جزعين يبكون تارة ويصرخون تارة أخرى ، وآونة

يذهبون مستغيثين مسترحمين ، وأكثر من هذا لقد أبى محمد علام باشا بصفته صاحب جريدة الشعب أن ينشر فى الشعب وفى المقطم بيانا ينفى فيه حضوره اجتماع الصحفيين وانه لم ينب عنه أحدا ، وان الصحفيين لو كانوا يقدرون واجب مهمتهم ، لما احتاجوا الى تعديل التشريع · وكان الصحفيون قد حاولوا الظهور أمام الرأى كوحدة فى كل ما يتعلق بأمورهم المهنية وقد اختاروا علام باشا ليكون عضوا من أعضاء اللجنة التى أوكل اليها مقابلة بعض المسئولين ، ولذلك اعتبر الصحفيون بيان علام باشا فى الشعب والمقطم بأنــه براء من الاجتماع ، ومن الانتداب ، وانه خارج على اجماع الصحفيين ، موقف مؤسف لا بد من تسجيله ·

ولم يكن اضطهاد صدقى باشا للجهاد وصاحبه وحدهما ، وانما كان اضطهادا لكل الصحف التى تعارضه ·

★★★

وفى أيام اسماعيل صدقى باشا حدث حادث تعــذيب آخر ــ وما أكثر حوادث ، التعذيب التى وقعت فى عهد اسماعيل صدقى ــ وسمى حادث التعذيب هذا بحادث الحصاينة وهى قرية من قرى مركز السنبلاوين ــ دقهلية ــ كــان التعذيب فى هذه المرة ، فى وجه بحرى وليس فى الصعيد ــ وكان السبب الرئيسى فى وقوع هذا الحادث أن رجال البوليس ، والادارة ، بعد أن اطمأنوا ، الى غبطة صدقى باشا ، بما يقومون به من تعذيب ، وحمايته الدائمة لهم ، بل ودفاعه الحار عنهم رغم بطشهم وعدوانهم واستهانتهم بكــل القوانين : بعد ان اطمأن رجال البوليس والادارة ، الى ذلك كله اطلقوا لانفسهم العنان فى كل حملات البطش والعسف والارهاب أو ليسوا مؤيدين من السراى ، والوزارة ؟ الم يكلف الملك فؤاد اسماعيل صــدقى بتأليف وزارة جــديدة لاخراج على ماهر ، وزير الحقانية ، الذى حمل على رجال البوليس والادارة ورغب فى اعادتهم الى جادة الصواب ؟ لقد اعتبر رجال البوليس والادارة ان اخراج على ماهر ومن وقف ، الى جانبه فى حادث البدارى ، كعبد الفتاح يحيى ، من الوزارة نصرا لهم ولذلك عادوا ــ كما يقول الاستاذ عبد الرحمن الرافعى ــ الى خطتهم مطمئنين الى أن الوزارة تحميهم وتسندهم وان السراى ساكتة على هذا النوع من الطغيان ولا تعترض على هذا البغى ، والعدوان · ولقد وقع حادث الحصاينة فى ١١ فبراير ١٩٣٣ وخلاصته ان الادارة عطلت وابورا الطحن الغلال ، ومضرب الأرز الذى يملكه الشيخ طلبه صقر من أعيان هذه الجهة ، وقام لذلك نزاع بينه وبين الادارة رفع أمره الى القضاء اذ اقيمت عليه دعوى مخالفة امام محكمة السنبلاوين فجاءت فى هذا اليوم قوة من البوليس والادارة للتفتيش على الوابور فاعترضها نفر من قبل صاحب الوابور مطالبين ببقاء الحالة على ما هى عليه حتى يفصل القضاء

فى دعوى المخالفة فحدث تصادم بين الفريقين أمر فيه مأمور المركز باطلاق النار على الأهلين فقتل منهم ثلاثة أحدهم شقيق الشيخ طلبه صقر وفتاة ، وقتل باشجاويش المركز وواحد من الجنود ، وجرح كثير من الاهلين واستولى الذعر على السكان ، ولم يقف عسف الادارة عند هذا الحد ، بل أرسلت تجريدة من أربعمائة جندى لحصار البلد وقبضت على كثير من أهلها وظلوا فى السجن الى أن أفرجت عنهم النيابة : أما قضية المخالفة التى نسبتها الادارة الى الشيخ طلبه صقر فقد حكم فيها ببراءته ، وأثبتت المحكمة فى حكمها ان الادارة تجاوزت سلطتها بالأمر ، الذى أصدرته بالغاء رخصة الماكينة واقفال الوابور ، وان هذا الأمر الادارى باطل .

***

وتقول الأستاذة فاطمة اليوسف فى ذكرياتها :

« يتلخص حادث الحصاينة فى أن رجال الادارة فى ذلك الوقت ذهبوا الى قرية الحصاينة مركز السنبلاوين وعطلوا وابور طحن الغلال ومضرب الأرز المملوكين للشيخ طلبه صقر الذى كان من الوفديين المعروفين ورفع الشيخ دعوى أمام المحكمة ضد الحكومة فأرسلت الادارة بوليسها لكى يمحو معالم ، ما أفسده فى الوابور قبل ان تثبت المحكمة حالته ، وتصدى الشيخ صقر ، وانصاره للبوليس فأطلق البوليس النار وسقط ثلاثة من القتلى ، وكثيرون من الجرحى وحوصرت القرية ، أياما طويلة والقى أهليا فى السجون وترتب ، على هذا الحادث أزمة فى وزارة العدل اذ قامت النيابة بتحقيق الموضوع ، وكتب النائب العام مصطفى محمد — تقريرا يطلب فيه الافراج عن الأهالى ورفع الدعوى على مأمور المركز بتهمة التزوير ، فى أوراق رسمية ، وكتب التابعى فى روز اليوسف تعليقا ساخرا على هذا الحادث قال فيه : ان وزير الحقانية — أحمد باشا على — قرأ تقرير ، النائب العام ثم هز رأسه وقال : نفرج عن الأهالى معلهش ؛ اما ان نحاكم المأمور بتهمة التزوير فلا » ، وهز الوزير رأسه هزة اهتز معها قانون العقوبات ، وأسبل القانون رمشه ، وصرف النظر عن الموضوع » ، وأرسلت النيابة تحقق معى — الكلام للاستاذة فاطمة اليوسف — بوصفى رئيسة التحرير المسئولة .

***

ولكن المقال ، كان يحمل توقيع التابعى ، فقدم الى المحاكمة أيضا ، وكان ممثل النيابة فى القضية الاستاذ محمود منصور وكان من المعجبين بالمجلة فاستهل مرافعته ثائرا ، وردد المدح والثناء عليها مشيدا بأسلوب التابعى ثم انثنى مهاجما فى عنف شديد ، منددا بطريقة النقد الجارح التى تسلكها المجلة ، أما رئيس المحكمة — المرحوم محمد نور — فقد كان « بلديات » التابعى من المنصورة ولكنه

كان رجلا محافظا ، لا يحب أسلوب التابعى ويعتبره خارجا عن الحدود الواجبة لذلك فقد كان همه أن يحصر التهمة فى التابعى وكان يوجه الى الأسئلة المتتالية بقصد اخراجى من المسئولية ولكننى تمسكت بموقفى . فصدر الحكم ، على التابعى بالحبس أربعة أشهر ، وعلى بغرامة خمسين جنيها ولم يصدر الحكم فى نفس الجلسة . وحين صدر كان الاستاذ التابعى فى الاسكندرية ، فعاد ليسلم نفسه : والتابعى ـ الكلام أيضا للأستاذة فاطمة اليوسف ـ رجل مرفه المزاج له أسلوبه الذى لا يتخلى عنه فى الطعام والشراب ، والراحة فليس غريبا ان يزعجه السجن ويضايقه ضيقا شديدا . وكنا نشعر بضيقه الشديد وراء ، القضبان من الرسائل والطلبات التى كان يبعث بها كل يوم ، كانت له فى كل يوم طلبات ، حتى عينت موظفا خاصا لكى يحمل الى خطاباته ، ويعود اليه بما يطلب ومازلت أذكر أنه كان يطلب ـ يوميا تقريبا ـ كميات جديدة من الحلاوة الطحينية . وفى احدى المرات أرسل يطلب كافيار ، وفعلا ذهبت الى محلات لاباس ولم أفكر فى أن اشترى له كافيار سائب بل اشتريت له علبة كافيار فاخرة ، أرسلتها اليه وفى اليوم التالى جاءنى منه خطاب يتميز غيظا يقول ان « علبة الكافيار » محكمة الاغلاق وان السجن ليس فندقا فيه شوكة وسكين ليفتح العلبة وقد روى لى بعد خروجه ، كيف اضطر للاعتصام بدورة المياه يوما وكسر علبة الكافيار ، ليستطيع أن يأكلها .. » .

وفى الفصل التالى تفاصيل أخرى عن حياة الصحفيين داخل السجون .. وعن المقالات التى دفعت بهم الى تلك السجون ..

الفصــــل الثــامن

هذه المقالات دفعت بكتابها إلى السجون

لاعطاء صورة واضحة لما آلت اليه الصحافة فى عهد اسماعيل صدقى باشا ولاعطاء صورة واضحة أخرى لما لحق بكثير من الصحفيين فى عهد اسماعيل صدقى باشا نشير ـ فى البداية ـ الى ما نشره المصور فى العدد الصادر فى ٣ يونيو ١٩٣٣ حيث ورد ما يلى : تجتاز الصحافة فى هذه الأيام محنة شديدة لم تعرفها من قبل .. وكانت القضية التى نظرت فيها المحاكم : قضية مجلة روز اليوسف الغراء . وهى الخاصة باتهام كل من السيدة روز اليوسف صاحبة المجلة والاستاذ محمد التابعى محررها بالقذف فى حق وزير الحقانية والنائب العام ومأمور السنبلاوين فحكمت محكمة الجنايات يوم الأحــد الماضى بتغريم السيدة روز اليوسف ٥٠ جنيها ، وحبس الاستاذ التابعى ٤ أشــهر حبسا بسيطا وسيقضى الزميل التابعى مدة سجنه فى قرة ميدان .

وتضيف المجلــة ان الاستاذ محمد صــلاح الدين كان محامى السيدة روزاليوسف والاستاذ التابعى .

★★★

كما نشير فى البداية أيضا الى ما نشر فى العدد التالى من المصور الصادر فى ٩ يونيو ١٩٣٣ حيث كتب أستاذنا فكرى أباظة مقــالا تحت عنــوان : ماذا نكتب ؟ : عبر فيــه بصــدق عن محنة الصــحافة فقــال : بكل جوارحى ومن أعماق نفسى أشاطر الصــحافة المنكوبة اليوم آلامها وأوجاعها لا من ناحيــة الزمالة فقــط ولا من ناحية الانسانية فقط ، وانما من ناحيــة الأنانية الذاتية فقد يحل بكل من يحمل القلم فى هذا العصر الحديدى ؛ ما حل بأولئك الزملاء والرفقاء .. يمضى الآن الأستاذ توفيق دياب والأستاذ التابعى والأستاذ حسين شفيق المصرى ، وغيرهم ، وغيرهم أجازاتهم الصيفية لا فى ربوع لبنان ولا فى ربوع شمال ايطاليا وسويسرا وانما فى ربوع « قرهميدان » وغير « قرهميدان » من السجون الجميلة الزاهرة الباهرة ، ذات النسيم العليل والخضرة

السـاحرة ، والفاكهة والظل ، والماء الجارى فياله من حظ سعيد : فى حيـاتى الصحفية لم يعتد قلمى أن يتعثر أو يتردد أو يتراجع ، كانت الفكرة تستوى وتتضح فى ذهنى فيجرى القلم جرى القطار السريع ، على القرطاس ، ولا أذكر مرة اننى احتجت للمسودات أو لتمزيق الأوراق أما اليوم وقد جئت أكتب هذه الكلمة الأسبوعية فقد شعرت بأن قلمى قد جبن وتضعضع وتردد وأخذ يخط ليشطب ويثبت ليمحو ، ويبيت ليعدل وليس فى ذلك غرابة وان قلمى لمصيب فهو مسئول عدلا ، وانصافا عن سلامة حامله ، عن سلامة بدنه وسلامة صحته ، وسلامة مستقبله ، وسلامة مزاجه فى هذه الأيام العصيبة وفى هذا العصر الغريب الأطوار • ويقول فكرى أباظة « الكاتب منا الآن كاتب مزور زائف يكبح جماح قلمه خوفا ورعبا فلا تبدو فكرته للقراء على حقيقتها لأنها تقدم اليهم وقد سرت فيها عوامل الجبن والحذر والحرص واللف والدوران والفرار من خيال العقاب وشبح السجن وهذا هو الموقف الحالى على حقيقته وهو موقف من شأنه أن يقضى على فن الصحافة وأن يهبط بها الى الحضيض ، اللهم حوالينا ، ولا علينا يا رب ، « اللهم لا نسألك رد القضاء ،ولكن نسألك اللطف فيه » •

***

وفى نفس العدد من المصور موضوع بعنوان : فى سجن « قره ميدان » حديث مع الأستاذ محمد التابعى وقد جاء فى الموضوع ما يلى : قرع باب السجن فى الساعة العاشرة والربع، من صباح يوم الاثنين الأسبق اليوزباشى محمد أفندى يوسف الضابط بالمكتب السياسى بمحافظة القاهرة ، وفى رفقته الاستاذ التابعى وكان المنظر طريفا فكلاهما « يعزم » على صاحبه أن يسبقه بالدخول الى أن دخل الأستاذ التابعى أولا وفى أثره الضابط ، ورأى السجانون والمساجين لأول مرة منذ سنوات سجينا يرتدى بدلة زيتية اللون مفصلة على أحدث طراز وقد وضعت فى عروتها « فلة » جميلة وتدلى من جيبها منديل حرير ، من النوع الرشيق ، وقد وضع السجين الجديد ، نظارة قاتمة على عينيه ليتقى أشعة الشمس : وكان يحمل فى يديه كتابين من تأليف أميل أودفيج ، وكتاب الضاحك الباكى مهدى اليه من مؤلفه الأستاذ فكرى أباظة » • ويقول كاتب الموضوع : رحت فى يوم الأربعاء أبحث فى أنحاء سجن مصر ، عن سجين الوجاهة فقيل لى انه فى دور رقم ٦ ، بالغرفة ٦٤ عنبر ٩ وفى الحق ، لم أفهم كيف اهتدى اليه بهذه الرموز التى اختلطت على •

وطفقت أطوف هنا ، وهناك الى أن عثرت على ضالتى واذا بى أراه جالسا على كرسى لدى باب غرفة مفتوحة وكان يرتدى بيجامة حريرية أنيقة من فوقها روب دى شامبر وجيه وقد وضع على كتفه فوطة يمسح بها عرقه من حين الى حين وسجن قرة ميدان فى الصيف قطعة من السعير قلت : ولم لم تنزل الى حوش السجن لتقضى فترة نزهتك ؟ قال : وما الفائدة من النزول وهو مقفر لقد

جعلوا نصف الساعة المخصص لنزهتى ، فى غير مواعيد سائر النزلاء حتى لا أرى أحدا ، ولعلهم أرادوا أن يحولوا دون لقائى بالاستاذ توفيق دياب قلت : ألم تره ؟ رأيته أول يوم من بعيد ، وقد تبادلنا التحية بالاشارة وحملنى الفضول على التطلع الى داخل الغرفة ثم استأذنته فى الدخول فاذن ورأيت حجرة مقبضة ، ليس فيها سوى البرش ، والمرتبة والبطاطين ، وفى ركن منها جردل وكوز ، قلت : لعلك مبسوط ؟ وأشار الى الجردل والكوز باسما وقال : وأى انبساط ؟

★★★

● أهذا كل أثاث الحجرة ؟

●● أجل بل انه يزيد على استحقاقى بهذه « المرتبة » المؤلمة ٠

● لقد سمعنا أنك منحت سريرا ، وطعاما فكيف وجدت طعامك بعد السجن ؟ ٠

●● الطعام !! اننى لم آكل شيئا منذ وطئت قدماى أرض السجن بل لم أتناول جرعة ماء واحدة ٠

● ولماذا ؟ ٠

●● أما الطعام فانهم لم يصرحوا لى باحضاره من بيتى كما اعتقدت ، انه من حقى ، وهم يحضرون لى لبنا وشوربة من المستشفى ولكننى لا أحس برغبة فيهما ، وأما الماء فقد عافته نفسى رغم ظمئى وقد لبثت الى الآن أكثر من أربعين ساعة دون أن أشرب جرعة واحدة من الماء ، انظر ٠٠ ونظرت فاذا به يشير الى الكوز ورأيت الكوز هو قاتم بغيض يعكس على الماء لونا يحمل على الغثيان ٠

● قلت : معذور ؟

●● أريت كيف يعامل الصحفى ؟ ٠

● هذا رهيب !

●● ولكنه هين فى سبيل العقيدة والمبدأ ٠

● وكيف تقضى الوقت ؟

●● فى المطالعة نهارا والسهر ليلا ٠

● وأين تسهر ؟ ٠

●● فى هذه الغرفة التى لا يدخلها سوى نور الشمس ، فأنا مجبر على محاولة النوم منذ الغروب ولذا أقضى الليل ، ساهرا ، فلم يكن من عادتى النوم عند الغروب ٠

وفى الختام يقوم كاتب الموضوع :

وخرجت أنعى الصحافة التى يقولون انها صاحبة الجـــلالة وهى لم تلم

شعبها للآن وتجعل من تضامن رعاياها قوة تكفل لمثل هذا الصحفي الذي تقول النيابة العمومية انه مبتكر وانه مبدع في فنه ، معاملة ترفعه عما يعامل به المجرم العادي ، من قاتل وقاطع طريق فلا يبقى ظمآن أربعين ساعة وتعاف نفسه ، رغم الظمأ ، أن ينشد الري من ذلك الكوز الحقير » !

★★★

وفي الحقيقة ، لم يكن توفيق دياب ، ومحمد التابعي ، وحسين شفيق المصري وغيرهم ، من زملائهم الكتاب والصحفيين الذين دفعوا ضريبة الكفاح الوطني ، هم المسجونون بأيدي رجال اسماعيل صدقي ، ونظامه ، وانما كانوا هم سجاني ذلك النظام : كان نظام اسماعيل صدقي ، أضعف منهم مئات المرات ، وكانوا هم أقوى منه بكثير .. فما الذي كان يملكه نظام اسماعيل صدقي ، وما الذي كانوا يملكونه هم : كان نظام اسماعيل صدقي يملك السيطرة على بضع مئات من رجال البوليس والادارة ، لا ينفذون أوامره الا مرغمين خشية الفصل أو التشريد وكان أولئك الكتاب ، والصحفيين يملكون السيطرة على الشارع السياسي ، اليقظ الواعي ، المتفتح المستعد دائما ، للانقضاض على خصوم الحرية ، وأعدائها .. كان الشعب كله مع تلك الفئة المختارة من الكتاب والصحفيين الذين أثروا ، الوقوف ، الى جانب الشعب في محنته القاسية الرهيبة : الشعب كله معهم بجميع رجاله ونسائه ، وأطفاله ، بجميع فئاته ، وهيئاته ، وطبقاته وأحزابه ، وبالطبع فيما عدا قلة ضئيلة من المنتفعين بحزبي الشعب والاتحاد : لم يكن الشعب يقف الى جانب هؤلاء وحسب وانما كان يرى رأيهم ، ويعرف جيدا ، انهم طلائعه ، الواعية الثائرة ، وانهم ما دخلوا السجون وما تحملوا العنت والارهاب ، الا دفاعا عن حريته ! عندما كان الصحفي الوطني يحاكم كان الشعب يقف خارج المحكمة ، ينتظر من يحاكم ، يصفق ، ويهتف له من الأعمـــاق ، ويستمر ، الهتاف والتصفيق له الى أن يدخل السجن ، كان شارع محمد علي ، على طوله ، يمتلئ كل يوم بجماهير الشعب التي تنتظر هذا السجين أو ذاك لتعلن وقوفها الى جانبه ولتعلن تحديها للسلطة ، التي اعتقلته ، وسجنته وعندما كان يحكم عليه كانت الاجتماعات السياسية في كل شارع ، وفي كل حي ، في كل مدينة ، وفي كل قرية تؤيد ، السجين ، وتشد أزره وتشيد بجهاده ، حتى وهو في سجن قرة ميدان كانت جماهير الشعب ، التي لا تعرف هذا الصحفي الا من قلمه تتوافد ، أمام ذلك السجن لمجرد ابداء مشاعرها تجاه ذلك الصحفي السجين !

★★★

لم يكن الصحفيون وقتئذ مجرد موظفين بل كانوا في مقدمة قادة الرأي العام ، يضحون بكل شيء في سبيل آرائهم : لا يأبهون بالسجون ، والمعتقلات ، أو بالفصل والتشريد ، لانهم أصحاب مبادىء : وكانت الحكومة بكل امكاناتهـا

المادية والأدبية عاجزة عن السيطرة على أى قلم من تلك الاقــلام الشريفة ، النظيفة : كانت الحكومة تبذل كل ما تملك من وسائل الاغراء لشراء قلم ما فاذا ما عجزت ــ وغالبا ما كانت تعجز ــ كانت تلجأ الى أساليب التهديد والوعيد فتصادر الصحيفة التى يعمل بها بعد أن تكون معدة للتوزيع ، تعطل الصحيفة لأيام ، وبعد ذلك بشهور ، ثم تعطلها نهائيا ، وأخيرا تلجأ الى سلاح الاعتقال والسجن ٠

وللحقيقة ، وللتاريخ أيضا نقول ان الصحافة وقتئذ ــ وخاصة صحافــة الأحزاب الشعبية لا الأحزاب الحكومية ــ كانت تعتمد على ذاتها : على التوزيع والاعلانات ، والدعم الذى كانت تتلقاه من الأحزاب التى تعبر عن آرائها لم يكن دعما ماديا ، بل كان ــ فى الغالب أيضا ــ وعيا شعبيا يتمثل فى اقبال جماهير الحزب ، على قراءة الصحيفة ؛ التى تنطق باسمه وبفضل هذا الدعم الشعبى ، القوى ، المتزايد كانت الصحف تقوى ، وتصبح قادرة على مواجهة الحكومات ، الطاغية الباغية كحكومة اسماعيل صدقى ٠

★★★

وعندما كان الصحفى المحكوم عليه يخرج من السجن بعد المدة ، التى حكم عليه بها ، كان خروجه من السجن بمثابة مظاهرة سياسية : وكانت السرادقات تقام ، فى أكثر من مكان للترحيب ، به وكانت التلغرافات من كل أنحاء البلاد ٠ ترسل اليه ، مهنئة مباركة وفى بعض الأحيان كانت بعض الصحف تفرد العديد من صفحاتها لنشر برقيات التأييد ، والتهنئة : وكان الصحفى يخرج من سجنه أقوى بكثير مما كان قبل أن يدخله : ان السجن لم يضعف معنوياته ، وانما كان سببا فى تقويتها ، التعذيب فى السجن ، لم يجعله يتراجع ، عن مبادئه ، وانما يجعله أشد ما يكون تمسكا بها ، وهكذا كانت حكومة اسماعيل صدقى ، تضعف كلما سجنت صحفيا ، وكانت حركة المقاومة الشعبية تزداد قوة وعنفا ، عندما تصادر الحكومة صحيفة معارضة !! خرج التابعى ــ مثلا ــ من سجنه ليستقبله أستاذنا الكبير فكرى أباظة بمقال له فى روزاليوسف يحمل العنوان التالى : من السجن الصغير الى السجن الكبير يقول فيـــه : لقد خرج التابعى من السجن الصغير الى السجن الكبير : ليست حرية الأكل ، والشرب والنوم ، هى كل شىء ٠ هناك حرية الفكر ، وحرية الرأى ، وحريــة الضمير ، واين هى فى الســجن الكبير ؟ يدك سجينة ، رأسك سجين، عينك سجينة ، لسانك سجين : الصحافة سجن ، الخطابة سجن ، الاجتماع سجن ، الرأى الحر سجن : أرأيت يا سيدى الحر الطليق ، اليوم انك مغالط ؛ وان الذين يهنئونك مغالطــون وان الذين أفرجوا عنك مغالطون : انما الأحرار حقا هم أولئك الذين يرتكبون الجرائم فى الصميم ، وفى وضح النهار وفى كهرباء الليل ، ولكن تحميهم الرتب والالقاب والمناصب ، والدهر ، الغادر فلا يجرؤ ، باغ ، أو شاهد ، أو مستبد ، أن يقول

لهم ثلث الثلاثة كام فى وسط هذا الغمام ، والقتام ٠٠ انما الأحرار حقا هم أولئك الذين لا تفكر رءوسهم الا فى خيرهم ، والذين لا تهتز ضمائرهم الا لأشخاصهم ، والذين لا يكتبون الا للمادة ، ولا يخطبون الا للمادة ، ولا يتحمسون الا للمادة : هؤلاء ، لا يعرفهم السجن الصغير ، ولا السجن الكبير ، فهم أحرار ما داموا بغير قلوب ، وهم أحرار ما داموا لا يعيشون الا للجيوب : خبرنى : أصحيح انهم لا يعيشون الا للجيوب : خبرنى : أصحيح أنهم لم يقتلوا فكرك فى السجن ؟ أصحيح ، انهم لم يسكتوا قلبك فى السجن ؟ أصحيح ، انهم لم يقصفوا قلمك فى السجن ؟ لئن صح هذا فماذا فعلوا ؟ حرموك من الفراخ ، والحمام : والفراش الوثير والماء المثلج ومن القطار ، الطيار ، ومن استانلى وسان ستفانو ، ومن حمرة الخدود وسواد العيون ، ودقة الخصر ، ولكن ها قد عدت اليها جميعا ولم تترك لهم قلبك ولا رأيك ولا قلمك ، ولا قراءك : أنت الرابح : فهنيئا لك برأس مالك الجديد » ٠

★★★

ومن بين المجلات التى شاركت فى الحملة ، على نظام اسماعيل صدقى ، مجلة كان اسمها النجوم وكانت قاسية ، الى أبعد حدود القسوة على اسماعيل صدقى وحكومته ، فى العدد الصادر بتاريخ ٦ سبتمبر ١٩٣٠ ٠

أ ــ نشرت المجلة على الغلاف الأول لها صورة رمزية تمثل صورة دولة صدقى باشا رئيس الوزراء ، وأصحاب المعالى وزراء الحقانية والزراعة والحربية بملابس الحمام يطاون على بحر فيه نسوة يسبحن وكتبت تحت هذه الصورة العبارة التالية :

فى سان ستيفانو : أبو داود : اتفضلم نستحمه كلنا شلة يا دولة الباشا دى وردة ودى فلة قوم حط ايدك على اللى يعجبك فينا ٠

دولته : يابو داود « يا جدع » بدى ! لكن خايف أنزل ولا أطلعشى تانى وانته مش شايف البحر هايج ، وبكره الموج حيرمينا ٠

ب ــ صورة رمزية بالصحيفة الخامسة ــ وأنا أنقل هنا من حكم محكمة النقض والابرام ــ تمثل حمارا بوجه انسان بسيما صدقى باشا يحتضن فتاة وكتب تحتها زجل منه :

يا جحش أم السباع ، من يبقى لك حمار ٠٠
طالع تبرطع ، وسايب سليمان سمسار
يا جحش روح اتلهى يكفى البلد تنهيق
لا العض ينفع ، ولا رقصك ولا التشليق

ج ــ صورة رمزية بالصحيفة نمرة ٧ تمثل صاحب الدولة صدقى باشا

ساقطا من فوق جواد يركبه ، وكتب فوقهـــا « ولا كل من ركب الحصـــان خيال » .

د ـ مقال بالصحيفة الثالثة عنوانه : «حول رد صدقى على أمير الشعراء» ، جاء فيه ، « تذكر ـ يا صدقى ـ أيام ابتلينا بك وزيرا ، فكنت على الانتخاب شرا مستطيرا ، وعلى وطنك نارا وسعيرا ، تذكر اقالاتك ، تذكر يوم طردت من السراى فى الزمن الخالى : يا أشباه الوزراء . ولا وزراء : صدقنى اننى أشفق عليك بل وارثى لحالك بالرغم مما اضمره لك من كراهية ، وبغض : اننى كلما دنت ساعة سقوطك ، ورأيت الأمة راشتك بسهامها ورأيت ابهة الحكم ، وعظمة السلطان تتوارى ، رويدا رويدا اشفقت عليك ، يا صدقى لا لأنك لا تستحق ذرة من العطف ، اذن فلتهبط الى هوتك ، غير مأسوف عليك ، وانتظر يوم الحساب فانه يوم عسير .

★★★

وكذلك ، طبع ونشر بالعدد الصادر فى ٢٤ أغسطس ١٩٣٠ صورة رمزية لرفعت باشا تحتها زجل جاء فيه :

لـيلة ما نمت فى أتومبيـلك وسـواقك
ســابك تبيت « مجرج » قول لى ايه سابك
سـكران مطين وريحة الخمر فى أشـنابك
والصبح رحت الديوان يا مغرم اش نابك
خـــلى العبـــارة ، بقى ياناس مغطيـــة

وقد اتهمت النيابة صاحب النجوم أولا : بانه أهان صاحب الدولة صدقى باشا وحضرات أصحاب المعالى وزراء ، الحربية والحقانية والزراعة بسبب تأدية أعمالهم الادارية فى شئون الحكم بطبعه ونشره بالعدد الرابع من مجلة النجوم المشتملة على تلك الصور والمقالات المتضمنة لاهانتهم بسبب تأديتهم وظائفهـم وثانيا بانه سب وقذف رفعت باشا بما طبعه ونشره بعدد ٢٤ أغسطس سنة ١٩٣٠ من تلك الصور الرمزية وجمل الزجل السابقة الذكر فحكمت محكمـة جنايات مصر ، بتاريخ ٢٧ أكتوبر ١٩٣٠ فى التهمة الأولى ، بالبراءة من تهمة الاهانة آخذة فى ذلك بأن الصور الرمزية لا تمس أعمال الموظفين من ناحية ادارتهم لشـــئون مناصبهم ، ثانيا : باعتبار ما وقع من المتهم فيما كتبه تحت الصورتين المنشورتين سبا علنيا ، عاقبت عليه المتهم بغرامة قدرها عشرة جنيهات وحكمت فى التهمة الثانية بغرامة عشرة جنيهات على اعتبار ان ما وقع من المتهم كان سبا فقط ، وقد طعنت النيابة فى حكم محكمة الجنايات وقد قبلت محكمة النقض والابرام ، الطعن فى هذا الحكم واعتبرت ان التهمة الأولى : اهانة موظف بسبب أعمال تتعلق بوظيفته وان التهمة الثانية تهمة سب ، وقذف معا ، وليست تهمة سب فقط .

ومن تلك الصحف ، أيضا ، التي قست في الهجوم ، على دكتاتورية اسماعيل صدقي جريدة «الصريح» ، وقد كتبت في ٢ مارس ١٩٣٣ ــ وكان ماكتبته موضع محاكمة أمام محكمة الجنايات ــ تقول : تحت عنوان : واجب الأمة : استقالت وزارة صدقي باشا ، أو لم تستقل : ان الأمة تتملكها رغبــات تجيش بنفوس أبنائها أن تستقيل وزارة صدقي باشا أن ينتهي هذا الجو المظلم الحالك ، وتسود الطمأنينة وتستقر ، النفوس ، والواقع ، انه ليس أحب الى هذه الأمة ، من أن تسقط هذه الوزارة والا ترى وجهها الى الابد ، ولا وجه أي وزارة أخرى تشبهها في الحجر على الحريات وايذاء أغلبية الشعب بشتى ضروب القهر والاعنات ،

★★★

وتنشر نفس الصحيفة في ٩ مارس ١٩٣٣ صورة دولة اسماعيل صدقي باشا ، رئيس الوزراء جالسا على مقعد ويتولى المندوب السامي ، ادارة آلة للنفخ تتصل برجل صدقي باشا ، وأمامها أثقال حديدية كتب على الأول منها : الدفع بالذهب ، وعلى الثاني شركات انجليزية وعلى الثالث المصالح الأجنبية وعلى الرابع خــزان نسانا ، وعلى الخامس جبل الأولياء وتحت الصورة عنوان أحلام وآمال ، والعبارة التالية « انفخ وشد حيلك قوي برده ببركة أنفاسك الطاهرة ارفع دول واجعص من دول ، بس اياك مكدونالد ميفرحشي فينا العدا » .

★★★

وفي العدد الصادر في ٢٣ مارس ١٩٣٣ ، تنشر نفس الصحيفة تحت عنوان: سياسة الاشاعات: هل استفادت مصر من دراستها وقد جاء في الموضوع: شهدت مصر من وراء هذه الوزارة فوق ما شهدت من صنوف الكيد والعدوان والقهر والطغيان وسائل غريبة ، في الدعاية لبقائها في الحكم بواسطة صحفها وبواسطة صحف أخرى تحمل أسماء مصرية .. ؟ وترى محكمة النقض والابرام ، أن نقد الآراء السياسية مهما حصل التسامح فيه لا يبرر السب بأقذع الألفاظ وأفحش المثالب ، ومن حيث ان المتهم الأول يدفع بحسن نيته فيما كتب وفيما صور وهو ــ كما تقول محكمة النقض والابرام ــ قول هراء ، لان القصد الجنائي في جرائم السب والاهانة يعتبر متوافرا متى كانت ألفاظ السب ، وعبــارات الاهانة متضمنة لتعبير معين أو خادشة للناموس أو الاعتبار ولا شك أن الصور ، وعبارات السب والاهانة ، التي وجهها المتهم ، الى المجني عليهم والتي تقدم بيانها مقذعة بذاتها خادشة للشرف والكرامة .

★★★

ولقد كانت وزارة اسماعيل صدقي لاتكتفي بتقديم ، الصحفيين الى محكمة الجنايات بسبب ما ينشرونه ضدها من مقالات ورســوم كاريكاتيريــة ، وغير كاريكاتيرية وانما كانت تعامل أيضا كتاب المنشورات ، وموزعيها ، كما تعامل

الصحفيين في جرائم النشر . باعتبار ان المنشورات التي تطبع وتوزع ، ضمن جرائم النشر : وقد حدث أن اعتقلت الوزارة حسن حسن النحاس لأنه في يوم ٢٠ فبراير ١٩٣١ وفي قسم الدرب الأحمر ، وزع منشورا عليه توقيعه ، وقد اعترف بأنه ، كاتبه ، وقد جاء في هذا المنشور : الى أهالي الدرب الأحمر : اسألوا الله الرحمة مما أنتم فيه من ظلم ، وفقر ، ومعسرة ، وأدعوه مخلصين أن يرفع عنكم أثقال عهد بان غدره ، واستفاضت منه الشكوى ، فان لم تدرككم رحمة الله فشر محيط ، وهلاك مبين : الوزارة الحاضرة ، قتلت الحريات واستباحت الحرمات ، بعد أن وأدت الدستور واستحدثت دستورا جديدا ، تأبى كرامة الناس طاعته واحترامه ثم أشكلت عليها المسائل ، وأحاطت بها النكبات فاتخذت لها من سقط القوم حزبا مريضا بعد أن يئست من تأييد الأمة وعطفها . والوزارة تريد الآن ان تجرى الانتخابات ، وان تخلق نوابا هم أولئك ، الانصار المرضى ، ولست أدري بلوى أمعن في حرب الأمة ، وأدخل في ضرها من هذه الانتخابات التي ان نجحت تذهب بآمالكم وحرياتكم جميعا . هل تريدون أن يطول عهد هذا الحكم ، ويمتد بكم ظلمه ، وطغيانه وهل ترضى كرامتكم أن يكون موضع الرأى منكم أولئك المرضى من أنصار الحكومة والمحسوبين ، على حزبها أن أردتم أن يباع جهادكم رخيصا فادخلوا الانتخابات وان أردتم الكرامة والعزة ، ان أردتم العدل ، والنظام ، والحرية ، ان أردتم زوال هذه الوزارة ، وما تقترف .. ان أردتم خير الأمة ونصرها فقاطعوا الانتخابات في جميع أدوارها ، ولا تعبأوا ، بنتائجها ، وحينئذ يدول حكم هذه الوزارة ويذهب سلطانها ، وتشرق على البلاد أنوار دستور الأمة وتعلو كلمتها » .

وآخر كلمة في المنشور اقرأ هذا واعطه لغيرك يقرؤه .

***

وقد أحيل كاتب المنشور ، وموزعه ، الى محكمة الجنايات فقضت ببراءة المتهم ورفعت النيابة نقضا في الحكم الى محكمة النقض والابرام التي رأت أن العبارات الواردة في منشور المتهم ، هي عبارات في غاية الاقذاع وقد جاءت بأسلوب عام ، لاتبرز فيه واقعة معينة بالذات يمكن القول ، بان المتهم كان ينتقدها ، وان قيام هذا الدستور « دستور ١٩٣٠ » بالفعل ، ووجوب طاعته واحترامه ، وعقاب من يحاول تجريضا على كراهيته كل ذلك يجعل الهيئة التي استصدرته بمنجى من كل تعريض بكرامتها ويجعل من يهيئها لهذا السبب مستحقا للعقاب والا اضطربت الأعمال العامة ، واختل النظام ، ولا محل للقول بسلامة النية أو بسوئها مادام الموضوع طعنا وتجريحا ؛ فيما يعصم فيه القانون المجنى عليه من كل طعن وتجريح .

وبمناسبة الحديث عن أحكام محكمة النقض والابرام نذكر هنا أن

المحكمة ، عندما قضت بمعاقبة الأستاذ توفيق دياب في جريمة نشر المقالين الخاصين بمشروع جبل الأولياء ، واهانة صدقى باشا واللجنة البرلمانية الخاصة بمشروع جبل الأولياء ، الم تر ما ارتأته محكمة الجنايات التى برأته مما نسب اليه من أن العرف جرى على المساجلة بالعبارات الحماسية ، والأساليب التجميلية؛ وألفاظ التهويل والمبالغة والتحذير ، والترهيب لمجرد التأثير على النفس وحملها على التصديق فى الشئون التى ليس من المستطاع حمل المناظر ، على تصديقهــا بالطرق البرهانية الهادئة كالحال فى مسألة جبل الأولياء ، هذا الرأى — رأى محكمة الجنايات — لا تجيزه محكمة النقض والابرام ، بل انها تصرح بأن فيه خطرا على كرامة الناس ، وطمأنينتهم وتشجيعا للبذاءة ودنس الشتائم ، والحقيقة ليست بين التهويل ، والتشهير والمبالغة والترهيب بل هى نبت البحث الهادىء والقول الكريم واذا كان لحسن النية مظهر ناطق فانه الأدب فى المناظرة ، والصدق فى المساجلة ؟؟

***

ولكن ماذا كانت تحوى مقالة : « نفقات حفلات الطرب ، الم يكن الفقراء أولى بها ؟ » ٠٠ التى شغلت محكمة الجنايات ، ومحكمة النقض والابرام بعدها وقتا طويلا ، وكان الحكم فيها تغريم د٠ محمد حسين هيكل عشرة جنيهات ، وكانت الغرامة من بين الأسباب التى حالت بين د٠ هيكل ، وبين رئاسة تحرير السياسة : تلك الرئاسة التى كانت مسندة اليه منذ صدور العدد الأول ٠

المقالة — من ناحية المساحة — لا تتعدى ، عمودا وربع العمود ، من الجريدة، والعنوان لم يزد — فى المساحة أيضا — على عمودين ، ولكن المقالة جمعت من النقد العنيف القاتل لنظام اسماعيل صدقى ما لم تجمعه مقالة أخرى سابقة من مقالات السياسة : بداية المقالة أشارة الى أسف الأمة لان الادارة ومن ورائهــا الوزارة قد رأت أن الاحتفال بمناسبة كريمة يتمثل فى اقامة حفلات ســـاهرة تحييها مغنية أو مغن ، يجتمع المدعوون حولها أو حوله ، ويصغون الى صوتها ، أو صوته ، ويطربون لحظة ، وكان الله يحب المحسنين ٠

***

ويتساءل كاتب المقال : « هل ينفق المال فى حفلات طرب وغناء أم ينفق على الفقراء نقدا ، أو طعاما ، يسدون به خلتهم ، أو يملأون به معداتهم ؟

ويجيب كاتب المقال، على هذا التساؤل بقوله : ان اختصاص الفقراء بهذا المال الذى سخت به أيدى القادرين كان أفضل ، ولكن رجال الادارة أظهروا أنهم لا يحسنون تقدير المواقف ، وأثبتوا أن مستوى تفكيرهم بعيد كل البعد ، عن أن يتصل فى أية ناحية بحالة الأمة ومقتضيات ما هى فيه من الظروف العصيبة

فان من قلة الذوق أن يجتمع من لا حاجة بهم الى طعام ، أو شراب من وزراء ، أو رجال ادارة ووجهاء في حفلة يأكلون فيها ويشربون ويطربون بالسماع ٠٠ على حين يكاد سواد الشعب تلتصق بطونه بالتراب من شدة الفاقة ، وثقل وطأة الأزمة ، وفدح المصاب بها ، ولو أن فقراء هذه البلاد كان العطف بهم والحدب عليهم هو مظهر الاعراب عما تنطوى عليه النفوس من الولاء لكان هذا أوفق من كل الوجوه واليق وأولى في هذه الازمة الطاحنة ، ولما خسر الوزراء أو رجال الادارة الذين حضروا حفلة الطرب ، شيئا ما لأنهم ليست بهم حاجة الى شيء » ٠

★★★

ويقول كاتب المقال : « ويقابل سوء التحرى للمناسبات والتوخى لمقتضياتها من هذه الناحية سوء تصرف من ناحية الوزارة فقد أسرفت في انفاق المال لمناسبة افتتاح قناطر نجع حمادى أسرافا دهش له الناس في هذه الأيام وحملت خزانة الدولة مبالغ جسيمة في الوقت الذى تقول فيه ان الحاجة ماسة جدا الى اقتصاد الملاليم ، والى تعطيل المشروعات ووقف الأعمال الجارية المضمونة الفائدة » ٠

ويقول كاتب المقال في نهاية مقاله ـ ولعله هو الذى أثار ثائرة صدقى باشا ووزرائه ـ وشر من ذلك ما أتصل بنا عما صدر من بعض الوزراء في الأقصر من المساخر ، التى لا تليق بأشخاصهم ومناصبهم ٠ ولا ننكر آن لهم أن يرسلوا أنفسهم على سجيتها ولكننا ننكر أن يكون ذلك منهم في غير حدود الاحتشام » ٠ الى أن يقول كاتب المقال : « وقد يكون افتتاح القناطر من دواعى السرور العام ، أملا فيما تؤدى اليه من الخير الشامل ولكنه ما يجب أن يلاحظ أن السرور بافتتاح القناطر ، لا ينفى أن الأمة تكاد تكون في مأتم من الضنك ، فهلا يشعر الوزراء أن عليهم على الأقل أن يحترموا الروح الذى خلفته الازمة ، روح الكآبة الفاشية والسهوم الشامل ، والانقباض السائد ؟ ألا يرون أن الواجب الانسانى يفرض عليهم أن يتحاشوا جرح هذا الشعور والاساءة اليه بعدم الاكتراث له ، وتجاهله أم لابد أن يثبتوا أنهم في كل شيء في واد والأمة كلها في واد » ٠

★★★

والجدير بالذكر ، انه الى جانب هذا المقال ، خبر من مراسل السياسة في الاسكندرية يقول ان محكمة جنايات الاسكندرية قضت بتغريم ابراهيم خميس أبو شومية من أهالى دمنهور خمسمائة قرش لانه وزع منشورات مطبوعة ، في قهوة عمومية ، حوت عبارات مهينة للوزارة الحاضرة ٠ وانه قد عرضت على غرفة المشورة بمحكمة اسكندرية قضية اتهام صالح محمد صالح الجزار بانه في ١٣ نوفمبر الماضى عاب علنا في حق الذات الملكية وقد كان

« حضرة قاضى الاحالة » • قرر احالة القضية على المحكمة الجزئية فطعنت النيابة فى هذا القرار طالبة احالة القضية على محكمة الجنايات • وقد استجابت غرفة المشورة الى ما طالبت به النيابة وقرر قاضى الاحالة ، احالة المتهم الى محكمة الجنايات •

***

وتحت هذين الخبرين مطالبة أهل العسيرات باقالة وزارة اسماعيل صدقى ورد دستور الأمة اليها ، واعادة الحرية والحياة النيابية الى البلاد ، وكان من بين الموقعين على هذه المطالب ــ كما تقول السياسة ــ خليل أبو رحـــاب ، سعد الدين أبو رحاب ، عبد الله فواز ، وكل أسرتى ، أبو رحاب ، وفواز ••

وعلى أية حال فقد كانت الصحافة المصرية فى مقدمة المعاول التى هدمت نظام اسماعيل صدقى باشا ••



البـاب الثـانى



الفصل الأول

نظام اسماعيل صدقى ينهار من الداخل

● فى مقدمة القضايا السياسية الهامة والخطيرة التى ساهمت فى انهيار دكتاتورية اسماعيل صدقى باشا ، قضية الخطابات المزورة ، أو ما سمى بقضية المفاجآت . والقضية فى بدايتها ـ تتلخص فى أن النيابة العامة اتهمت الأستاذ عزيز ميرهم المحامى ، والأستاذ توفيق دياب رئيس تحرير « الضياء » : الأول لأنه حصل على خطابات تتضمن أمورا شائنة لو صحت لكانت فضيحة كبرى لحزب الشعب وحكومته والثانى قام بنشر تلك الخطابات فى الصحيفة التى يرأس تحريرها ، وجسم الجريمة فى هذه القضية ـ كما يقول اخواننا رجال القانون ـ عبارة عن خطابين موجهين الى رئيس حزب الشعب ، وتقرير آخر مرفوع الى مدير لجان الحزب . وفى التقرير اشارة الى رصد مبلغ ألفى جنيه لمساعدة المرشحين المرغوب نجاحهم فى الانتخابات من الاحزاب الموالية للحكومة وتوزيع المبلغ بواسطة مفتش الداخلية المختص بعملية الانتخاب حيث قام بمهمته خير قيام » .

وفى التقرير أيضا اشارة الى مأمور قسم شبرا الذى كان نشطا فى عمله ، مؤديا واجبه للحزب بكل ولاء واخلاص ، واشارة الى مأمور الأزبكية الذى أخلص فى النهاية بعد أن رفع ضده تقارير تثبت نزعته الوفدية ، وبعد أن ظهرت نية فصله من الخدمة ، وفى التقرير أيضا اشارة الى أن متبولى أفندى صفا الذى تسلم مبلغ ٧٠٠ جنيه لتنظيم حفلات الدعاية للمرشحين وبكل أسف ـ هكذا فى التقرير ـ ثبت لنا أنه لم يراع الأمانة فضلا عن أن المرشحين شكوا الينا ـ الى محمد علام باشا مدير ادارة حزب الشعب ـ استغلاله للحركة باستلام مبالغ منهم لصرفها فى أساليب ابتدعها ، للدعاية ، ولم ينفذ منها شيئا » وقد نفى عزيز ميرهم سرقة الأوراق من حزب الشعب وتزويرها ـ كما اتهمته النيابة ـ وقال ان بعض الأشخاص التابعين لحزب الشعب هم الذين عرضوا عليه احضار هذه الأوراق ، ووجهت الى توفيق دياب تهمة القذف فى حق رئيس الوزراء ، ورئيس الحزب

وعلام باشا فنفى التهمة معتبرا نشر ما حصل عليه من أوراق ليس سبا ، او قذفا • وعندما بدأت المحكمة فى سماع شهود الاثبات قرر علام باشا ان الاختام المطبوعة على الأوراق لم تكن هى الخاصة بحزب الشعب • وفى المحكمة استطاع مكرم عبيد ، باشا ان يوقع أحد شهود الاثبات واسمه زكى خطاب ، وأثبت خبراء الخطوط محمد على سعودى ، وعلى نجيب ، وعبد الرازق عوض ان زكى خطاب هو الذى زور التقرير ، المنسوب صدوره الى علام باشا وان ناشد مسيحة هو شريكه فى تزوير ، الخطابين وختمى حزب الشعب و •• و •• ورفعت المحكمة الدعوى على الشاهدين زكى خطاب ، وناشد مسيحة ، وأمرت بالقبض عليهما

★★★

وتوالت المفاجآت حيث قبض على طالب اسمه محمد أحمد خطاب اشترك أيضا فى عملية التزوير ، وهو ابن عم على زكى خطاب ، وطلب المتهم ناشد مسيحة رد رئيس محكمة الجنايات محمود غالب ، لان رئيس المحكمة لا يستطيع الحكم فى القضية بغير ميل ، ويرد رئيس المحكمة على طلب رده بقوله : لم يذكر المتهم سببا واحدا ، يحملنى على اضطهاده ومحاباة عزيز ميرهم ، وتوفيق دياب ويسمح له أو لغيره أن يقول انى لا يمكننى الحكم فى القضية بغير ميل فانى لا أعرفه ، ولا أعرفهما قبل هذه القضية ، ولم اتصل يوما ما بالوفد ولا بغيره من الأحزاب السياسية لان طبيعتى لا تسمح بذلك ، ولو كنت من الجبناء ، ضعاف النفوس أو من ذوى المطامع ، والشهوات لكان حزب الشعب الذى يرأسه دولة رئيس الحكومة ، أولى بالمحاباة من الوفد ، الذى لا يستطيع نفعا ولا ضرا وقد خدمت القضاء ، حوالى ثمان وعشرين سنة ولم يجرؤ أحد ؛ حتى ممن حكمت عليهم أن يتهمنى بالتحيز والانحراف عن الحق والعدل ، فاذا جاء اليوم ناشد مسيحة هذا يتهمنى بالميل ، بعد أن أتهمته بالسرقة والتزوير ، فلا يقابل مثله من مثلى الا بالتسامح ، والصفح الكريم •

وعن المناقشة ، التى جرت فى المحكمة قال محمود غالب : كل غرضى من المناقشة هو أن أتبين الحق من الباطل وأقتنع بالحق قبل الحكم به وهذا أجدر بالقاضى من حبس ما قد يجول بخاطره الى أن يبنى حكمه مع أنه قد تبين خطأه اذا ما أبداه ، ومكن الخصوم من مناقشته : انى لم أقصد من المناقشات سوى الوصول . الى الحق ، على انى لو كنت متشبثا برأى معين كما يقول ناشد لما أتعبت نفسى ، وغيرى بهذه المناقشات ولكن أيسر لى أن أظل ساكنا حتى تتم المرافعة فأدلى بهذا الرأى عند المداولة ، وأفاجىء الخصوم بما أحكم به ••

وتحكم محكمة استئناف مصر برفض طلب الرد •

ويبدأ ناشد فى اعترافاته ، ويقول الأستاذ محمود منصور رئيس النيابة وهو يقدم القضية : ان المتصلين بالأحزاب السياسية قلبوا النضال السياسى

الذي يجب أن يكون خالصا لله وللوطن الى عراك فيه هدم للأخلاق والفضيلة ولم يتورعوا عن أن يضربوا أسوأ الأمثلة في الكذب والاختلاق فكانت أسلحتهم السرقة والتزوير، والقذف بدلا من الدليل يقرع الدليل، والحجة تصدع الحجة: ان على رأس المتهمين ـ هذا ما قالته النيابة ـ شخصا مثقفا هو عزيز أفندي ميرهم درس القانون وكان في يوم من الأيام عضوا في مجلس الشيوخ الذي يشرع القوانين ويسنها ومع ذلك فلم يتورع عن أن يحرض على السرقة سرقة أوراق يعلم انها ليست ملكا للسارقين ولكنها ملك لخصوم ولا يتورع عن أن يرشى ليتم له الوصول الى هذه الأوراق ، وهذه الرشوة ثابتة ! وينهي ممثل النيابة مرافعته بقوله :

***

ان القضية هي قضية أخلاق بل استغفر الله ، هي قضية سوء أخلاق ، من أشخاص نزلوا الى تلويث أيديهم بأخس الجرائم وأدناها وكنا نتصور أن يظهر من هذه القضية أن الأخلاق لم تتلوث الا بين فئة من عامة الناس ولكن ظهر انها تلوثت بين فئة ما كنا نود ، أن تسود بينها ، ونرجو أن تلقوا بحكمكم درسا في كيف يجب أن يكون النضال بين الاحزاب وانه يجب أن يكون بوسائل « شريفة »

***

ومن بين ما قاله مكرم عبيد في مرافعته : ان هذه القضية ليست قضية العدالة والقانون وحسب بل هي أيضا قضية المنطق والبداهة : ان النيابة قلبت الأوضاع فاخذت البريء ، بجريرة المذنب ، وتركت المجرمين ، يضحكون منها في أكمامهم، ولانها ـ وتلك هي الطامة الكبرى ـ قد استندت الى شهادة أولئك المجرمين لتأييد الجريمة ، على غيرهم من الابرياء الشرفاء . النيابة قد ظلمت نفسها أكثر مما ظلمتنا ، لقد ظلمتنا لأن دعواها ضدنا غير عادلة وظلمت نفسها لأن دعواها غير معقولة . ويقول مكرم : القضية الحالية هي أشد القضايا السياسية خطورة لان السياسة لعبت فيها دورا من أقذر ما لعبته في مصر ، وبعبارة أخرى ، فان الأقوياء قد سلطوا السياسة التي لا ضمير لها ، على هذه الأمة النبيلة التي اشرابت الى الحياة بدافع من شعورها ، فلما لم يجدوا سبيلا الى نظمها ، وخرياتها ، عمدوا الى أخلاقها يحاولون تحطيمها لكي تضيع الأمة ، بضياع أخلاقها وتموت نهضة المصريين ، بموت نفوسهم : لتكن السياسة حربا ، أو فلتكن لهوا ، ولعبا . ولكن اذا بلغ الأمر بالسياسة أن تتخذ من التزوير وفساد الأخلاق ، سبيلة للانتقام ، من خصومها ثم تلبس مسوح التقوى لتلصق بالابرياء جرائمها فقد آن لكم يا حضرات القضاة وأنتم صفوة أبناء مصر ، أن تنقذوا مصر من وهدة تردت فيها ، وان تعلنوا الناس جميعا ان النفس البشرية حرم مقدس يحرم على السياسة القذرة أن تطأه بنعالها وان العدالة البشرية ، التي رأينا منها مثلا رائعا في عدلكم تأبى أن تفلت السياسة المجرمة من وزر

أعمالها » !! وينهى مكرم عبيد مرافعته ـ فى أكثر من مائة صفحة من القطع الكبير ـ بقوله : ان القضية ليست جناية على عزيز وحده ، ولا على المتهمين وحدهم ، ولا على البلد وحدها ، ولا على السياسة وحدها ، وانما هى واقعة فوق هذا كله ، على أخلاق هذا الجيل وأنهم بعد أن حاربوا وحدتنا حزبيا وحاربوا نهضتنا سياسيا يحاولون محاربة الأمة فى نفوسها ، وفى ضمائرها ولم يبق لنا سوى النفوس والضمائر قوام ولم يبق للبلد رأس مال ، غير هذا حرام ان تحارب أمة ناهضة ناشئة بارتكاب أدنا صنوف الدنايا ، وان يفسدوا القلوب ليشبعوا البطون ، وان يقتلوا المشاعر والأفكار ، ليحيوا الشهوات والأجسام : لقد نكبت مصر فى حريتها وفى كرامتها ، وفى نظمها ولكنهم يحاولون الآن أن ينكبوا مصر فى وجدانها فتباع الذمم ، والكرامة فى سوق الارزاق بثمن بخس دراهم معدودات وتنزل القلوب الى مستوى البطون فيأكل الناس ، ويشربون وينامون ولا يشعرون

★★★

وتصدر محكمة جنايات مصر فى ٥ يناير سنة ١٩٣٢ برئاسة محمود غالب بك وعضوية أحمد لطيف بك ، ومصطفى حنفى بك حكما ببراءة عزيز ميرهم ، وتوفيق دياب مما نسب اليهما ومعاقبة ناشد مسيحة وزكى خطاب ـ شاهدى الاثبات ـ بالحبس مع الشغل ثلاث سنوات ومحمد أحمد خطاب بالحبس مع الشغل مدة سنتين .

★★★

وقد كانت قضية الخطابات المزورة ، أو قضية المفاجآت بمعنى أدق ، بكل ما جرى فيها من أحداث وتطورات ، وبالمرافعات ، القوية ، البليغة التى استمرت أسابيع عديدة ثم بالأحكام التى انتهت اليها ، من العوامل الهامة والبارزة التى كشفت نظام اسماعيل صدقى وما به من ظلم ، وعنت وفساد .

ومن بين القضايا ، التى كان لها ، أيضا أثرها فى زعزعة دكتاتورية اسماعيل صدقى قضية القنابل التى اتهم فيها كثيرون من بينهم ابراهيم عبده الفلاح ، وأحمد عزب ، وعبده عبد الرسول ، وشوقى سليمان ، وصادق حسن ، ومحمد على بدر ، وصبحى شنودة ، وحامد نصر ، وكان د. نجيب اسكندر المتهم السابع عشر ، فى تلك القضية وكان كثيرون من أقطاب المحاماة ، قد أخذوا على عاتقهم مهمة الدفاع عن المتهمين ، على رأسهم ، محمد نجيب الغرابلى ومكرم عبيد ومحمود سليمان غنام ، وزهير صبرى ، وكان فى مقدمة شهود الاثبات سليم زكى ، وأحمد طلعت ، وأحمد حمدى ومحمد توفيق رفعت باشا ومحمد علام باشا ، وهانم حسن ، وحميده على بدر ، وبنواجا كرينى ، وانطون كاكورانس و .. و ..

ومن أبرز أحداث تلك القضية تنحى الاستاذ محمود غالب بك رئيس محكمة الجنايات عن نظر تلك القضية ، وكان لتنحى محمود غالب بك ضجة كبيرة وخطيرة ظلت الصحف تكتب عنها فى صفحاتها الأولى ، أياما ، وأياما ،

***

وكان الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب قد نقل من منصبه الى وزارة المعارف وأحدث النقل ضجة كبرى فى الجامعة ، فاذا بحادث تنحى محمود غالب يكاد — كما قالت المصور وقتئذ — ينسى الناس حادث ، عميد كلية الآداب ، وما جره فى ذيوله من نتائج « ولا غرو فان حادث تنحى محمود غالب بك هو أول حادث من نوعه : وحسب هذا الحادث ، الأول ، أن يكون قد حدث فى مثل هذه القضية الخطيرة لكى يتضاعف ، اهتمام الناس به وخصوصا بعد الاشاعات التى راجت قبل الشروع فى نظر القضية بمدة قصيرة من أن الغرض من تأليف دائرة جديدة فى محكمة الجنايات هو الرغبة فى نقل قضية القنابل من دائرة محمود بك غالب الى دائرة أخرى ، ويقول المصور أيضا : « ومع أن محمود غالب بك أمسك عن اعلان الأسباب ، التى حملته على سلوك المسلك الذى سلكه فقد تضاربت الروايات فى الباعث له ، على ذلك » ومحمود غالب بك مشهور بين زملائه ، بنزاهته ، وصدقه ، وغضبه للحق وعدله ومن بواعث الاغتباط أن نسمع عنه مثل هذا الاطراء من خصومه فان فى ذلك ، أكبر تشريف لهيئة القضاء عندنا » .

***

وقد كانت جلسة التنحى من أخطر الجلسات فى تاريخ المحاكم ، المصرية ففى يوم ٢٣ مارس ١٩٣٢ كان الازدحام على أشده فى قاعة المحكمة ولكن هيئة المحكمة ، لم تتجه الى المنصة كما تعودت ان تفعل فى صبيحة كل يوم ، وطال النقاش حول تأخير فتح الجلسة واختلفت الأقوال وتشعبت وتعددت الروايات واختلفت وراجت الاشاعات فى جو الجلسة وفى الأجواء الأخرى ، خارج ، وداخل المحكمة وبخاصة عندما استدعى حضرة صاحب العزة غالب بك عند الساعة العاشرة لمقابلة سعادة رئيس محكمة الاستئناف وبعد أن مكث معه حوالى ٢٥ دقيقة نزل الى غرفة المداولة .

***

واجتمع بزميليه ومعه حضرة صاحب العزة ، السيد عبد الهادى الجندى المستشار ، و .. و .. ونزل الجميع الى غرفة المداولة ، وخرجت هيئة المحكمة وعقدت الجلسة فى الساعة الواحدة وعشر دقائق وعلى أثر افتتاح الجلسة التفت حضرة الرئيس الى عبد الرحمن أفندى سلامة سكرتير الجلسة وقال : اثبت ما يأتى « لقد اجتمع لدى من الأسباب ما يحملنى على التنحى عن نظر هذه القضية وأرى أن من الحكمة أن أمسك عن ذكر الأسباب ويكفى أن أشير انى لم أخضع

فى تصرفى هذا الا اسلطان ضميرى ، وأبدى أسفى . لما يترتب على هذا التصرف من تأخير النظر فى القضية حتى يعين من يخلفنى » وبناء عليه قررت المحكمة ايقاف النظر فى القضية حتى يعين من يخلف رئيس المحكمة ثم رفع الرئيس الجلسة على الفور ، والحاضرون مأخوذون بأثر ذلك الحادث ، الخطير .

★★★

ولما لم يتمكن حضرات المحامين من ابداء شعورهم نحو تنحى حضرة رئيس الدائرة فى الجلسة قصدوا على الفور الى غرفة المداولة يتقدمهم صاحب السعادة محمد نجيب الغرابلى باشا وصافحوا حضرة غالب بك وزميليه وقال سعادة النقيب : « الغرابلى » بمناسبة تنحى حضرة رئيس محكمة الجنايات عن نظر هذه القضية : رأينا من واجبنا نحن المحامين أن نبدى له شديد أسفنا لوقوع هذا الحادث وشكرنا لما أبداه أثناء نظر هذه القضية من رحابة الصدر والحرص على أن تسير العدالة فى مجراها الطبيعى ، مع الاعراب عما تركه هذا الحادث فى نفوسنا من شعور الحزن ، العميق لتخلى ركن من أركان العدالة ، عن نظر القضية ولا يسعنا الا الاعراب ، عن أجلالنا ، واحترامنا ، للرئيس الذى ملأ قلوبنا اطمئنانا ، على سير العدالة وان ثقتنا فى قضائنا المصرى تجعلنا نشعر بهذا الاطمئنان دائما ان شاء الله » وقال الأستاذ مكرم عبيد يكفى محمود بك غالب فخرا ، وشرفا ، ان الأمة المصرية بأجمعها وليس المحامين فقط يقدرون كفايته ونزاهته ويعتقدون انه من أشرف وأكرم القضاة ، الذين رأتهم مصر ، وقال الأستاذ ابراهيم الهلباوى بك : ان المحاماة تأسف لعدم اعطائها الفرصة لتسجيل ألمها من هذه الفاجعة التى أدمت القلوب » ورد محمود غالب بقوله : أنا شاكر فضلكم وآسف لوقوع هذا الحادث وأعتقد أن حسن ظنكم جعلكم تبالغون ، فى التقدير واننى آسف جدا لما جشمتكم أياه من المصاعب أثناء نظر القضية وأعتقد أن كل زملائى يقومون بما كنت أقوم به ولا فارق بين أحد منهم وبينى ، وكلكم تطمئنون اليهم .

★★★

وقال الهلباوى مرة أخرى : أنا عجوز المحاماة ، وردا على قولكم أقول ان المحاماة تشاركك فى الثقة بجميع القضاة ولكن تدخل جهات أخرى من وراء ستار ، هو الذى يجعل جو الطمأنينة لرجال العدالة مشوبا بشىء من الريب وليس ذلك سبب حزننا فقط ، بل انفطار قلوبنا . ولما خرج محمود غالب ليستقل سيارته قوبل من جميع الحاضرين ، بالتصفيق والهتاف بحياة العدل ، وحياة المستشار غالب بك . ويدعى مجلس نقابة المحامين الى الانعقاد وكذلك تدعى الجمعية العمومية للمستشارين أيضا للانعقاد . ويتم اختيار محمد بك نور ليرأس المحكمة مع زميليه محمد نجيب سالم ، وابراهيم ثروت بك ومن

الأحداث التى وقعت فى تلك القضية أيضا انسحاب المحـــامين ، من القيـــام بواجبهم ، فى الدفاع عن المتهمين فقد حدث ، ان طلب الاستاذ مكرم عبيد ، ان يتم مرافعته ولكن المحكمة رفضت طلبه فاصر عليه وحدثت مشادة واعتبر مكرم عبيد ما جاء على لسان رئيس المحكمة ماسا بمهنة المحاماة ، فتداول مع زملائه وقرروا الانسحاب من الجلسة ، ولم ينسحب نجيب الغرابلى باشا وبعض زملائه الذين رأوا أن ما قالته المحكمة ليس ماسا ، بكرامة المحامين وأصدرت المحكمة حكمها على كل محام من المحامين المنسحبين بغرامة قدرها ٥٠ جنيها وكان الذين انسحبوا مع مكرم عبيد ، هم الأساتذة زهير صبرى ، محمد يوسف ــ محمود سليمان غنام ــ أحمد أغا ، رافع محمد ، وطالت جلسات المحاكمة ، التى كانت الصحف تنشر ــ وبتوسع ــ كل يوم كل ما يدور فيها ولم يصدر الحكم الا فى سبتمبر ١٩٣٢ وكانت البراءة من نصيب د· نجيب اسكندر وبعض المتهمين الآخرين مثل صادق حسن وشعبان أحمد شعبان وشوقى سليمان الخ ·

● تعقيب مستشار سابق ●

السبب الحقيقى فى تنحى محمود غالب عن نظر قضية القنابل

أتلقى كل يوم رسائل عديدة تعقب على ما جاء بسنوات ما قبل الثورة من أحداث كبيرة ويتفضل بزيارتى كثيرون ممن شاركوا فى تلك الأحداث موضحين بعض الأمور أو متحدثين عن بعض الاسرار التى ظلت خافية طوال تلك المــدة الطويلة ومن بين من تفضل بزيارتى الأســـتاذ على عرفة رئيس سابق لمحكمة الاستئناف ، وقد سلمنى ــ أطال الله حياته ــ هـــذا التعقيب : الذى ننشره شاكرين :

ذكرتم ان قضية الخطابات المزورة ساهمت فى انهيار عهد صدقى كما نوهتم بقول مكرم أنها كانت جناية على أخلاق هذا الجيل ثم ما حدث بعد ذلك من تنحى محمود غالب رئيس محكمة الجنايات عن قضية القنابل · حركت هذه القضايا فى خاطرى بعض الذكريات ·

أما عن قضية القنابل فقد استند غالب فى تنحيه الى أسباب قال أنه من الحكمة أن يمسك عن ذكرها ، أما الآن وقد أصبحت هذه القضايا فى ذمة التاريخ فليس ما يمنع من كشف النقاب عن أسباب التنحى ·

★★★

دعى ذات ليلة أيام الجلسات الى منزل أحد عضوى الدائرة وهناك فوجىء بهيئة المحكمة كاملة ورئيس محكمة الاستئناف منضما الى الاجتماع والجميع

مجمعون على ضرورة استبعاد ما أدلى به متهم أمام المحكمة من أنه رأى فيما يرى النائم رؤيا عن الملك . فرفض محمود غالب استبعاد ما سبق له انباته حتى اذا كان من رأى الملك أن فيه ما يمسه • وحول ذلك دار الجدل فأبدى استعداده للرد على النيابة ان هى طلبت ذلك الاستبعاد فى الجلسة •

تمسك كل طرف بوجهة نظره فلم يجد بدا من التنحى عن القضية • وبعد الجلسة توجه الى على ماهر وزير العدل وأبلغه انه سوف يذيع أسباب تنحيه اذا لم تستبدل الهيئة بأكملها بما فيها ممثل النيابة فأجيب الى طلبه •

حكمت الدائرة الجديدة بالادانة وكانت نيته قبل التنحى أن يعيد تحقيق القضية فى الجلسة ويمحص اعترافات قيل بانها شابتها شــوائب • فارقته ملابسات القضية طوال الليل • ونقول فى غير تعرض لسلامة الحكم انه ظل بها مشغول الخاطر • أربع سنوات حتى تولى وزارة العدل فكانت باكورة أعماله ان استصدر قانونا بالعفو عن الجرائم السياسية فبادر المحكوم عليهم من السجن الى وزارة العدل يهتفون للعدالة » •

★★★

أما عن قضية الخطابات المزورة وما اقترنت به من مفاجآت فقد توقف السير فيها حتى رفض طلب الرد المقدم ضده ثم استمرت الاجراءات الى أن انتهت بقلب أوضاع القضية فأصبح الشهود محكوما عليهم والمتهمون شهودا •

وليست أهمية القضية مقصورة على الناحية السياسية باعتبار ان حزب الحكومة هو الذى لفقها أو الحكومة نفسها ولكن لها من الجانب الآخر أهميتهـا القضائية فربما لأول مرة فى تاريخ القضاء المصرى تنفرد محكمة الجنايات دون النيابة صاحبة الدعوى العمومية بتحريك الدعوى فى الجلسة ، وان كان تحريك محكمة الجنايات للدعوى جائزا فى القانون •

هذه التصرفات توضح الى أى مدى يمارس القاضى مهمته الشاقة فى نطاق القانون ومن خلال يقظة الضمير والصلابة فى الحق •

يسوقنا الحديث الى أن بعض الصحف نشرت فى الخمسينات ان فى السفارة البريطانية ملفات سرية للزعماء والوزراء • وفى ملف محمود غالب ما يفيد أن محكمة النقض ألغت الحكم الصادر فى قضية الخطابات المزورة ونددت به •

هذا غير صحيح لأن الطعون وان لم تكن قد قدمت من النيابة وحدها وانما قدمها أيضا المحكوم عليهم والمدعون بالحق المدنى فقد رفضتها محكمة النقض فى الجملة وكان يرأسها عبد العزيز فهمى وكلنا يعرف من هو عبد العزيز فهمى •

والذى يؤخذ من حكمها أنها لم تعترض على تجاوز العرف القضائى فى سبيل تحرى الحقيقة وصالح العدالة ٠

***

هذا القاضى محمود غالب قيل بعد خروجــه من الوزارة انه عرض عليه منصب قضائى كبير فاعتذر عن قبوله لأن القاضى اذا اشتغل بالسياسة لم يعد يصلح للقضاء ، ولكن ربما يعجب القارىء اذا علم ان هذا المعتذر نفسه ظل يمارس عمله فى الوزارة فى وقت لاحق ورائده الضمير القضائى ، من ذلك ان مكتبه كان يتلقى القضايا المحكوم فيها بالاعدام فتبين فى قضية منها ان المجنى عليه وان جاء فى نتيجة التقرير الطبى انه يجوز أن تكون الوفاة نتيجة أصابته بعيار نارى الا أن فى صلب التقرير ما يفيد انه كان به مرض آخر ظهر أثناء علاجه ٠ ولفظ « يجوز » تعبير تقليدى فى معظم التقارير الطبية ومع ذلك نوقش الطبيب الشرعى شفهيا فى مكتب الوزير فادخل الشك فى سبب الوفاة فأصبح القدر المتيقن فى الجناية وهو الشروع فى القتل لا يبرر الاعدام فما هو الحل بعد أن استنفدت الاجراءات حتى أمام محكمة النقض ؟! استصدر الوزير أمرا ملكيا بالعفو الجزئى ونجا الجانى من الاعدام بالاشغال الشاقة ٠٠ وتم تحقيق ادارى فيما نسب الى المهندس عبد العزيز أحمد كانت ومذكرة وزير الأشغال تطلب احالته الى المعاش ٠ وقبل انعقاد مجلس الوزراء تبين انه كان يسأل فيطلب قبل الاجابة الاطلاع على بيانات فى الأوراق فلا يلتفت الى طلبه اعترض وزير العدل فى مجلس الوزراء على الطلب وتمسك بأن يتاح لهذا المهندس الكبير ولو فى محكمة ادارية حق الدفاع فأحيل الى المحكمة التأديبية العليا برئاســة الوزير نفسه فتوافرت الضمانات ولم يكتف المجلس بالبراءة وانما اقترن الحكم بالثناء على عمله ٠

لعل فى هذه الأمثلة عن تصرفات هذا القاضى سواء منها ما كان فى القضاء أو ما كان فى الوزارة ما يرسم صورة صحيحة لضمير هذا القاضى ومدى حرصه على رسالة العدالة ٠ ولكن من أسف اعتبر فى عهد السلبيات انه من الوزراء الذين أفسدوا الحكم قبل الثورة ٠ ثار الرجل لكرامته وكان مريضا ٠ ومع ذلك تحدى بأن يذكروا قرارا وزاريا صدر منه أو قرارا لمجلس الوزراء شارك فيه يؤيد هذه الفرية ٠ ولكن كان من الطبيعى الا تنشر الصحف هذا الدفاع ٠

مستشار سابق
على عرفه

قضية الاعتداء على اسماعيل صدقى :

ومن بين القضايا التى كان لها دويها أثناء حكم اسماعيل صدقى قضية محمد على الفلال الذى اتهم بمحاولة الاعتداء على اسماعيل صدقى باشا وقد كان النائب العام هو الذى تولى توجيه الاتهام ، الى الفلال وكان من بين ما قاله محمد لبيب عطية بك : حملت أمانة الدعوى العامة وهى دعوى خطيرة تنوء بها الجبال الرواسى ولكن خطرها تحوطه روعة ويحفه جلال يتأسى به من يعرف الواجب ويصبو الى حسن القيام به ، بالامس كنت جالسا بينكم أشاطركم ما تعانــون من مشقة فى استظهار الحقيقة واستخلاص غوامضها وكنت التمس معكم عون بارىء الكائنات الذى يعلم السر واخفى ، واستلهمه كما تستلهمون صواب الرأى ، وطمأنينة اليقين فلا عجب ، وهذه حالى ، وتلك دخيلة نفسى ان شعرت اليوم فى موقفى أمامكم ، بعبء مضاعف الأثقال ، عبء الأمين على دعوى الهيئة الاجتماعية ذات الخطر العظيم ، وعبء الزميل ، الذى عليه لزملائه وقد لابس ما يعانون واجب الجهد لهم ، حتى يطمئنوا الى ما به يقضون : ناداني هذا الواجب من أول لحظة توليت فيها تحقيق تلك القضية فلبيت نداءه وسرت فى سبيلى على نحو أرجو أن يكون رائدى فيه لم يغب وبغيتى منه لم تفت والرضا عنه ، لن يضن به : جعلت رائدى أن يكون تحقيق النيابة التى حلت عملا ، فى نظامنا القضائى محل قاضى التحقيق محوطا ، بكل ما يلبسه ثوب تحقيق ذلك القاضى ، ويكسبه مميزاته ، ويزينه بضماناته ففسحت للمتهم كل ما وسعنى الفسح له ،

★★★

وسارعت الى اجابته فى كل ما طلب وارحت هواجسه مما خشى وأوصلت رجاءه بعنوانه فى الكبيرة والصغيرة ، وهيأت له فى أولى خطوات التحقيق الاستنجاد بمن يدافع عنه فأبلغت رسالته لنقابة المحامين لتنتدب له من يستودعه سره ، ويرعى مصلحته » ، وينهى النائب العام محمد لبيب عطية بك مرافعته بقوله وهو يخاطب القضاة : ارسموا لانفسكم بواسع خبرتكم ، ونافذ بصيرتكم ، حــال البلاد ، وقد أصبح كل عظيم فيها هدفا لنار أى شقى تربعت فى نفسه الشريرة هذه الأفكار الخطرة ، تلك حال أستعيذ بالله منها : هى مضيعة للطمأنينة ومقتلة للنبوغ ، ومفسدة لنفس العاملين بل هى حفرة يتردى فيها اخلاص المخلصين ونشاط المجددين وايمان الصالحين ، أنتم قضاة الحق ، ولكنكم أيضا مربــو الخلق، وكلمة العدل ، التى بها تنطقون يتجاوب صداها في نفوس ناشئة، ونفوس ثائرة ، ونفوس فزعة حائرة فاجعلوا حكمكم رسالة عدل وبلاغ : عبرة وبشرى سلام ، واذا جنحتم الى الرحمة فاشملوا بها النشء وقد أوشك أن يلتوى ، والبلاد وقد دب فيها ذلك الداء الوخيم : أنتم أطباء النفس كما أنتم قضاة العدل والطبيب البصير لا يتردد ، ولا ينى عن الرحمة ، وازنوا بين روعة الرحمة وقد

حلت بالبلاد والنشء وبين ضآلتها ان هى حلت بهذا المجرم العتيد ، ثم اقضوا قضاءكم والله معكم ، انه نعم الهادى ، ونعم النصير » وكان من بين ما قاله الاستاذ بسطا شكرى محامى المتهم : لقد عثر النائب العام فى مفكرة المتهم يوم ١٦ مايو ١٩٣٣ وهو يوم الحادث ، على وردة حمراء ذابلة كان المتهم يستنشق عبيرها ، ويسمع لقولها صبح هذا اليوم وفى الوردة الحمراء ، كما يقول هوجو شاعر الفرنسيس معنى الحب ، والحياة فهو فى هذا اليوم تشع من وردته حب الحياة ، وحياة الحب فان ذهب ليقابل رئيس الوزراء ووردة الحياة فى جيبه فهو انما ذهب ليطلب الحياة ، ليطلب الخلاص ، لا ليزهق روحا ، أو يفعل شرا كأنى بالمتهم يرغب أن يقول ما قالت مدام لافارج لرئيس جمهورية فرنسا تطلب منه انصافا : مولاى لقد يئست اثنى عشر عاما من عدالة البشر ، ولكنى اليوم ، وقلب فرنسا يخفق من قلبك التمس اليك يا مولاى قليلا من الشمس لحياتى ، ورعاية سامية لمحنتى » ٠

ويحكم القضاء ، على محمد على الفلال الشهير بسلطان بالأشغال الشاقة لمدة خمسة عشر عاما ، ويطعن المتهم فى الحكم ، ولكن محكمة النقض والابرام برئاسة مصطفى محمد بك وعضوية زكى برزى بك ومحمد محمد حسين بك ، وأحمد أمين بك ، وعبد الفتاح السيد بك تؤيد حكم محكمة الجنايات ٠

***

وكان للدكتور طه حسين أكثر من قضية مع وزارة اسماعيل صدقى وكان طه حسين وقتئذ عميدا لكلية الآداب وقد بدأت الأزمة بصورة لحفلة شاى أقامها طلبة وطالبات كلية الآداب بمناسبة نجاحهم فى مشروع القرش ، هذه الصورة التى التقى فيها الطلبة والطالبات بمعيدهم د٠ طه حسين كانت سببا فى تقديم أحد أعضاء مجلس النواب استجوابا الى وزير المعارف حيث جلس فى الصورة الطلبة بجوار الطالبات وقد قيل انه فى أعقاب زيارة الملك فؤاد للجامعة المصرية أشيع ، ان الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب سينقل من منصبه كعميد ، مع بقائه أستاذ في كلية الآداب وفى صباح ٣ مارس ١٩٣٢ دعى أحمد لطفى السيد بك مدير الجامعة الى مقابلة وزير المعارف ، الذى أبلغه انه أصدر قرارا بوصفه وزيرا للمعارف بنقل د٠ طه حسين الى وزارة المعارف كبيرا لمفتشى اللغة العربية ٠ وعارض لطفى السيد فى ذلك وطلب اعادة النظر فى الموضوع ثم اذا به يفاجأ بعد الظهر بصحف المساء وهي تنشر خبر النقل وكان مدير الجامعة على موعد مع الدكتور طه فأبلغه قرار النقل ، وما جاء فى الصحف المذكورة بصدده ٠ وثار طلبة كلية الأداب وتوجهوا الى بناء كليتهم القديم ، بجوار ادارة الجامعة بالجيزة وأعلنوا احتجاجهم على انتزاع الدكتور طه من الجامعة وابلغوا احتجاجهم الى مدير الجامعة الذى نصحهم بالتزام الهدوء ، واعدا اياهم ببذل قصارى جهده

لحل الأشكال بما يصون كرامة الجامعة ، واتصل لطفى السيد بالمسئولين مؤكدا استنكاره للطريقة التى جرت عليها الوزارة فى نقل د. طه حسين واعتبرها ماسة بكرامته ، وكرامة الجامعة كلها وطلب اعادة العميد ، المنقول الى كليته فى خلال ٤٨ ساعة وطلب أحمد لطفى السيد من ولاة الأمور أن يعتبروه فى حكم المستقيل من منصبه : الى أن ينوى الأشكال بما يصون كرامته وكرامة الجامعة .

***

فان لم يسو على هذا المنوال استقال من منصبه نهائيا ورغب اليه ولاة الأمور فى القريب ريثما ينجلى الموقف فأمسك عن اعلان استقالته ولـكنه انقطع عن عن الذهاب الى مكتبه وظن بعضهم يومئذ أن مدير الجامعة تساهل فى حقوقه ، وفى الدفاع عن كرامة الجامعة فبدأوا يتعدون عليه باللوم ، فتحمـل لومهم صابرا ، املا ان يوفق الى حل الأشكال حلا مرضيا فاقترح لتقريب شقة الخلاف أن يعود د. طه حسين الى كلية الآداب استاذا فلم يقبل اقتراحه وعندئذ صمم حضرته على الاستقالة فأرسلها الى وزير المعارف مكتوبة ولـكى يضع المسئولين أمام الأمر الواقع ، أرسل صورة منها الى بعض الصحف فنشرت فيها — كما يقول المصور — بعد تسليمها للوزير بساعات فأثارت استقالته ثائرة طلبة سائر كليات الجامعة و .. و .. وقد تضاربت الآراء — كما قال المصور — فى تعليل البواعث ، التى بعثت على معاملة الدكتور طه حسين المعاملة الشاذة التى عومل بها ونشرت بعض الصحف اليومية طائفة من الأسباب استقتها من مصادر رسمية وقالت انها الباعث على نقله الى وزارة المعارف فرد عليها حضرته ، وفندهـا سببا .. سببا ثم طلب التحقيق معه فيها وقيل ان لنقل د. طه حسين أسبابا أخرى ، لم تعلنها الحكومة ولكنها الباعث الحقيقى على هذا النقل ومن هـذه الأسباب معارضته فى منح الدكتوراة الفخرية لبعض الأشخاص الذين منحوا اياها ، ومطالبته بمنحها لأشخاص أخرى وقيل أيضا للهتاف الذى هتفه الطلبة لدولة عدلى يكن باشا ، يوم زيارة جلالة الملك للجامعة علاقة بقرار النقل وان كانت الحكومة تنفى كل ما يقال من هذا القبيل » .

***

والجدير بالذكر ، ان مجلس كلية الآداب كان قد اجتمع فى ٨ مارس وأعرب عن أسفه لنقل الدكتور طه حسين ودهشته من أن هذا النقل ، لم يصل الى علمه ، الا عن طريق الصحافة وان مجلس اتحاد الجامعة ؛ قد اجتمع أيضا وأعرب عن أسفه لنقل الدكتور طه ؛ وان طلبة الجامعة قد عقدوا مؤتمرا ، لهم فى كلية العلوم فى يوم ١١ مارس اتخذوا فيه قرارات أهمها ، تهنئة الاستاذ أحمد لطفى السيد بموقفه ، لاستقالته من منصبه ، والجدير بالذكر انه فى يوم ١٣ مارس قبلت استقالة لطفى السيد ، أى بعد يومين ، من تقديمها وان حوادث قد وقعت

منها الصدام بين الطلبة ورجال البوليس ، وسرعان ماتحولت قضية د. طه حسين، من قضية جامعية . الى قضية شعبية ، ساهمت فى كشف دكتاتورية اسماعيل صدقى وتعريتها أمام الرأى العام المصرى ومما نذكره ان صحيفة الجهاد ، نشرت فى صفحتها الأولى فى ٥ مارس ١٩٣٢ حديثا لوزير المعارف السابق د. بهى الدين بركات عن نقل عميد كلية الآداب ، اعتبر فيه تصرف وزارة المعارف عملا استبداديا أملته الاهواء : كان مما قاله د. بهى الدين بركات : لقد دهشت أشد الدهش ، عندما أطلعت فى بعض جرائد أمس ، على خبر نقل الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب الى وظيفة لا تزال مشغولة الى اليوم . فاننا نعلم جميعا ان الدكتور طه حسين انتخب عميدا ، لكلية الآداب فى عهد الوزارة الحاضرة ، وهى التى أقرت تعيينه فى هذا المنصب بعد أن شغل منصب أستاذ بالجامعة مدة من الزمان . فنقله اليوم على هذه الصورة الشاذة من مركزه العلمى الى وظيفة بوزارة المعارف عمل استبدادى أملته الشهوات السياسية ومن الغريب ، ألا يكون لوزارة اسماعيل صدقى باشا ، أى نظام فى وزارة المعارف فهى أبدا مضطربة فى سياستها تنقض اليوم ما أبرمته بالأمس ، تبعا لاهواء الوزير ، الذى تقوده المقادير اليها ولعل وزارة المعارف أهون عليه من أن تكون لها سياسة ثابتة مادام يرتبط بها مستقبل الناشئة وهم عدة الأمة لمستقبلها » وكان مما قاله د. بهى الدين بركات فى حديثه ردا على ما ذكرته جريدة الأهرام نقلا على لسان مصدر مسئول من أن عميد كلية الآداب قد نقل لانه أبدى رأيا يخالف رأى المتصرفين فى الوزارة.

***

لعمرى ما الحكمة فى وجود مجلس ادارة لمعهد التربية وانتخاب عميد احدى كليات الجامعة للجلوس فيه اذا لم يكن لهذا العميد حرية رأيه وهل يراد بتلك المجالس أن تكون أداة لمجرد تنفيذ رغبة وزارة المعارف وسبيلا لتبرير سياستها ، والا طالبت تلك المجالس بالحل وغيرت أعضاءها وهل يلام عضو فى مجلس ادارة الجامعة اذا هو اقترح شيئا فيما يتعلق بخريجى معهد التربية مع أن جميع طلابه قد أتموا دراستهم فى كلية الآداب ومستقبل هذا المعهد مرتبط بمستقبل فريق من طلاب الجامعة ويسأل ، د. بهى الدين بركات عما اذا كان فى هذا الحادث ما يتفق والنظام الجامعى ، فيقول : تقضى الأنظمة الجامعية فى البـــلاد الأوروبية بأن يتمتع أساتذتها بنصيب وافر من الحرية ، حتى يكون لهم من الاطمئنان فى عملهم ، ما يجعلهم يتفرغون للبحث العلمى وكذلك تقضى الانظمة فى كثير من البلاد بجعل الأساتذة غير قابلين للعزل ولا للنقل . حفظا لحريتهم وضمانـــا لمصلحة العلم ، وحرية البحث العلمى ، وكذلك أمكن أن تكون تلك الجامعات موضع فخر المدنية الغربية ، ولكن من سخرية القدر القاسية ، ان يأتى وزير المعارف غداة اليوم الذى كان يلقى فيه خطابه بين يدى جلالة الملك مفاخرا بما وصلت اليه الجامعة من الرقى ، مما جعله يطمع فى مجـاراة علماء الجامعات

الأخرى وينهى بهى الدين بركات حديثه بقوله : ان من المحزن ، ان تمتد يد البطش ، وروح العسف الى جميع أنظمتنا فكأنما الوزارة آلت على نفسها ألا تبقى نسيما من الحرية في البلاد وان تخنق كل مظاهرها ٠

***

وتنشر الجهاد أيضا على صفحتهـــا الأولى ثلاثة أحاديث لوزيرى المعارف الأسبقين ، على الشمسى باشا ، وبهى الدين بركات باشا ، ولمدير الجامعة لطفى السيد ، كما تنشر أيضا ــ فى ١٨ مارس ١٩٣٢ ــ وعلى صفحتها الأولى ــ حديثا خطيرا مستــفيضا للدكتور ، طه حسين تعليــقا على تصريحات وزير المعارف فى البرلمان الصدقى وكان من بين ما قاله الأستاذ أحمد لطفى السيد ــ فى الجهاد ــ : مدير الجامعة ، ومجلس الجامعة بنص القانون مستقلان تحت سلطة وزير المعارف والوزير يملك حق النقل بمقتضى القانون ولقد تعبت من أن أبين فى أحاديثى للصحف أن المسألة ليست مسألة قانون وحق ، ولكنها تقاليد هدى اليها روح النزوع الى الاستقلال من جانب الجامعة وروح التســامح ، والتشجيع من جانب الوزراء السابقين الى أن يصدر القانون الذى يعطى الأساتذة حق انهم غير قابلين للنقل ، ولا للعزل أو على الأقل لا ينقلون الا بموافقة مجلس الجامعة فالعمل فى هذه الخصوصية قد سبق القانون وخير القوانين ما ورد على عهود تتتابع وتجربة ممحصة وينهى لطفى السيد حديثه بقوله : ان نقل د٠ طه حسين ليس مجاوزا للتقاليد وحسب ولكنه مخالف للالتزام الذى التزم به وزير المعارف السابق المرحوم زكى أبو السعود باشا ويلزم من يخلفه بالضرورة أن كفاءة الدكتور طه حسين فوق البحث والسؤال ونزاهته فوق كل شك ولكن يظهر ان حلمى عيسى باشا ــ وزير المعارف ــ قد هيأ للصحافة ولنا فرصة الكلام فلتكن رحمة الله على الجامعة المصرية ؟!

***

ولعل من المفيد ان ننقل هنا جزءا من حوار أجراه مندوب جريدة الجهاد ، مع د٠ طه حسين ، بمناسبة ما دار فى مجلس نواب اسماعيل صــدقى حول موضوع د٠ طه حسين ، والبيان المطول الذى ألقاه فى المجلس حول هذا الموضوع وزير المعارف : يقول د٠ طه حسين عن رأيه فى بيان الوزير :

كنت أحب لوزير المعارف ان يسمو بنفسه الى المنزلة الخلقية التى تليق بمن كان قاضيا ، ومن يشغل منصب الوزارة فلا يتهم الناس بغير تحقيق ، لا سيما وقد طلبت اليه والى رئيس الوزراء اجراء التحقيق ، وظللت انتظر هذا التحقيق الى الآن فلم يحدث الوزير شيئا ولم يسأل عن شىء ، مع أن قواعد اللياقة الأولية كانت تقتضى أن يسألنى على أقل تقدير قبل أن يتحدث فى مجلس

النواب فهذه الخطة تدل دلالة واضحة على أن وزير المعارف تعمد أن يضيف الى خطئه الأول بنقلى فى غير حدود القانون والتقاليد خطأ آخر بالاعتداء على كرامة أستاذ أقل ما يوصف به انه أرفع من أن تصيبه غمزات الوزير ولمزاته . لست أخفى عليك أنى تلقيت تصريحات الوزير بقهقهة عالية ، فان الذى يقرأ هذا الكلام يدهش اذا علم أن هذا الوزير نفسه قد أرسل الى الوسطاء يوم الخميس الماضى يسترضينى ويعرض على أمورا خطيرة رفضتها كلها . ليعلم حلمى باشا أن أساتذة الجامعة أكرم على أنفسهم من أن يشتريهم وزير وان كان هذا الوزير حلمى عيسى باشا .

***

ويسأل مندوب الجهاد : وماذا عرض وسطاء الوزير عليكم ؟

تريد أن تعرف ماذا عرض على وسطاء الوزير يوم الخميس الماضى ، ويوم الجمعة ثلاث مرات ، ليس لدى الآن ما يمنعنى من التصريح بهذا ، فهم طلبوا الى أن أرضى بما كان وأظهر الرضى لتهدئة الأحوال على أن يضع الوزير تحت تصرفى ما أشاء من المناصب الحالية فى وزارة المعارف مؤقتا ، حتى تتهيأ الفرصة لأعود الى الجامعة ، والوزير يعد بالا يكلفنى عملا ما يفهم منه انى نقلت حقا الى وزارة المعارف ، وبأن يعطينى ما أشاء من الاجازات ، وبألا تمس كلية الآداب بأذى لا طلابها ولا أساتذتها وبأن تصدر لائحة الجامعة فورا ، وبأن يقف الوزير فى مجلس النواب أمام المستجوبين موقفا يدافع فيه أحسن الدفاع عن كرامتى العلمية والدينية ، ثم يعرض على الوزير مكافأة العميد التى خسرتها بهذا النقل . ثم بأن يطبع لى الوزير على حساب الدولة ما أريد طبعه من كتبى ـ وأخيرا بألا يعين الوزير عميدا فى كلية الآداب حتى أعود اليها .

***

وسط الوزير لدى اثنين بهذه الوعود وكلاهما محترم عظيم القيمة والخطر ، فأما أولهما فكلمنى فى ديوان من دواوين الحكومة بمحضر اثنين من كبار الموظفين فى الدولة ، وأما الثانى فزارنى فى بيتى فى منتصف الساعة الرابعة يوم الخميس . ولقد رفضت وساطة الرجلين وقلت لهما : ان كان الوزير صادقا فيما يقول من انه مقتنع الآن بأن ما بلغه عنى كان وشاية فلست أطلب منه الا معاقبة الواشى لا بالفصل ولا بمجلس التاديب بل بابعاده عن وزارة المعارف ليخلص العلم من شره .. ! وأنا ان فعل الوزير هذا راض بما وصلت اليه لا أريد فوقه شيئا .

قال الوسيط الأول : لا سبيل الى هذا .

قلت اذن لا سبيل الى مواصلة الحديث . ثم أعاد الوسيط الأول الكرة يوم الجمعة بالتليفون فلما يئس قال : اذن فأمرى وأمرك وأمر حلمى الى الله ، قلت : ان أمرنا جميعا الى الله دائما ، وانقطع الحديث .

فانت ترى أن الأسئلة والاجوبة انما هي نتيجة لهذا الانذار وعقوبة لانى لم أقبل ما عرضه الوزير الذى يغار على كرامة الجامعة وعلى أموال الدولة هذه الغيرة التى كادت تحرق البرلمان أمس ! ..

***

أما ما قاله الوزير فينقسم الى ثلاثة أقسام :

احدها يتعلق بتمثيلى لمصر فى المؤتمرات وكنت أحب أن يرتفع السائل والمسئول عن هذه الصغائر ، فقد مثلت مصر فى المؤتمرات كما يمثلها العشرات من المصريين فى العشرات من المؤتمرات وكان هذا التمثيل نظاميا لا غبار عليه لانى لم أكن أسافر وحدى ولكن الحكومات المختلفة علمت أنها اذا انتدبتنى لأمثلها فى مؤتمر فهى تنتدب معى بالطبع من يرافقنى فى هذا التمثيل ، وقررت وزارة صاحب الدولة صدقى باشا أن هذا الأمر يجب أن يقرر كمبدأ تجرى عليه الجامعة دون استئذان للمالية ، وبالطبع ليس حلمى باشا ولا سائله هما اللذان يستطيعان أن يحكما على عملى فى المؤتمرات ، وانما الذين يستطيعون ذلك هم العلماء الذين تحدثت اليهم وألقيت أمامهم محاضراتى .

وليس يسوؤنى أن يغضب حلمى باشـــا اذا رضى « ليتمان ، ونالينو ، ونيكلسون ، وبرجشتر سبار » وغيرهم

وليس يغيظنى أن أكون جاهلا فى رأى حلمى باشا اذا كنت عالما فى رأى هؤلاء الناس .

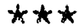
**

القسم الثانى : مسأله المكافأة التى كانت تمنح للسكرتير ليعيننى على ترجمة ما تترجمه الجامعة من أبحاث أساتذتها ، ويضـحكنى أن يحصى وزير المعارف الصحف التى ترجمت والأموال التى انفقت ، ولكن هناك شيئا أراه أحسن من هذا وهو ان يجمع وزير المعارف أعوانه وأصحابه والذين يطمئن الى علمهم العالى وتفوقهم النادر ويكلفهم ترجمة ما أترجم ومراجعة ما أراجع ، يومئذ يعلم حلمى باشا أنى لم أسرف فى أموال الدولة انما أتطوع لها بالعمل ولا آخذ الا أجر من يكتب ويقرأ .

وأنا أترجم الآن للجامعة كتابا هو (تاريخ أثينا فى عصر أغسطس) وأنا

انتظر حلمى باشا ووزارته سنة كاملة فان ترجما هذا الكتاب الى العربية ترجمة صحيحة مستقيمة فأنا رهين له وللدولة برد ما أخذت ٠

أما القسم الثالث : فكلام كثير فى حق الوزير وصحة تصرفاته لا يعنينى منه شيء الآن ، فقد يكون هناك من هو أقدر من حلمى باشا ومنى على الفصل فيه ، وانما أقف عند الأسباب التى اكتشفها حلمى باشا أخيرا لنقلى من كلية الآداب ، فلحلمى باشا فى أسباب نقلى مذهبان احدهما ما كان يتحدث به الى مدير الجامعة وأوعزت به وزارته الى « الأهرام » وقد أنبأته وأنبأت رئيس الوزراء بانه كذب كله ٠ والظاهر أنه اقتنع بأنه كذب كما صرح لى وسيطه الذى أشرت اليه آنفا ٠٠ أما المذهب الثانى فبديع ــ بديع لا أفهم كيف خفى على حلمى باشا الى الآن ، فهو يرى انى كنت أقبل فى كلية الآداب طلابا لا تعترف الحكومة بشهاداتهم واكتفى بامتحانهم فى اللغة العربية ، واذا كان هذا يكفى لنقل العمداء عند حلمى باشا فيجب أن ينقل على باشا ابراهيم وكامل بك مرسى والدكتور بنجهام فكلهم يعمل هذا كما أعمله ٠ ذلك أن لوائح الجامعة التى أقرها مجلس الجامعة ووزير المعارف وصدر ببعضها مرسوم ملكى تبيح للكليات الأربع أن تقبل الطلاب الذين يحملون الشهادات الأجنبية كالبكالوريا الفرنسية والانجليزية والايطالية ولو تعلموا فى مصر بشرط أن يؤدوا امتحانا فى اللغة العربية ٠



تعليق على نقل د٠ طه حسين :

وحول نقل الدكتور طه حسين من عمادة كلية الآداب الى وظيفة كبير مفتشى اللغة العربية بوزارة المعارف تسلمت من الاستاذ حافظ محمود الرسالة التالية :

أخى صبرى أبو المجد

تحية لمسلسلتك بعنوان ما قبل الثورة وتحيتى أساسا تنصب على جانب التاريخ الصحفى لما توثقه فى هذا الجانب من الوقائع التى دعمها القضاء المصرى العظيم ٠٠ ولقد وقفت عند تفاصيل قضية اخراج الدكتور طه حسين من عمادة كلية الآداب فى سنة ١٩٣٢ وكان واضحا من هذه التفاصيل ان وراء هذا الموقف أسبابا لم يتناولها الذين خاضوا يومئذ فى الحديث عن هذه الأسباب ، وهى الأسباب التى حان الوقت لاعلانها :

كان أستاذنا المرحوم طه حسين قد دعى فى العشرينات ليتولى رياسة تحرير جريدة « الاتحاد » وهى جريدة الحزب الذى كان القصر الملكى وراء تشكيله : حزب الاتحاد الذى أطلق عليه سعد زغلول » حزب الشيطان » وتحت ظروف ما ، تولى طه حسين هذه الوظيفة ، لكنه ما كاد يقطع فى هذا العمل أياما حتى أحس بأنه قد وضع فى موضع الانسان الذى يبيع ضميره فاستقال ونظم حملة فى الصحف الوفدية على سياسة هذا الحزب وأصبحت الخصومة بينه وبين القصر الذى كان يساند هذا الحزب خصومة علنية فلما ذهب الملك فؤاد فى بداية مارس سنة ١٩٣٢ ليفتتح المبنى الجديد للجامعة ــ وكان ذلك بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على أنشاء الجامعة انشاء شعبيا ــ ولما وجد الملك فؤاد بين أساتذة الجامعة الذين وقفوا فى استقباله الاستاذ الدكتور طه حسين تعمد الا يصافحه كما صافح الآخرين ، ثم التفت الى وزير المعارف حلمى عيسى باشا وقال بصوت خفيض : » هو ٠٠٠٠ ده لسه هنا ٠٠ « وكانت هذه العبارة كافية لانتحال أسباب اخراج طه حسين من الجامعة فى نفس الوقت » ٠

حافظ محمود

★★★

ويجدر بنا أن نشير ــ والحديث عن الدكتور طه حسين ــ الى أن وزارة اسماعيل صدقى قد أخطأت خطأ فاحشا ، عندما اختارت طه حسين ، ليكون فى مقدمة ضحاياها ذلك أن طه حسين لم يكن أبدا بالخصم الذى يسهل محاربته ، فهو محارب ، صعب المراس ، قوى الشكيمة لا يقبل أبدا أن يلقى سلاحه حتى ولو بقى فى الميدان يحارب وحده ولذلك فلم يكد ينقل من كلية الآداب ، وتثار « مسألته » فى مجلس النواب حتى نراه يعلن الحرب على وزارة اسماعيل صدقى مستخدما كل ما يملك من أسلحة فى كل الميادين ، وكان فى مقدمة الميادين التى اختارها د٠ طه حسين ، الى جانب ميادين الكتابة والخطابة وأثارة الجماهير ، ميدان القضاء : لقد رفع دعوى ضد الحكومة المصرية ممثلة فى اسماعيل صدقى باشا ومحمد حلمى عيسى باشا ، وفيما يلى ــ المتاريخ ــ صحيفة « افتتاح الدعوى » :

★★★

فى يوم

بناء على طلب حضرة الدكتور طه حسين المقيم بمصر الجديدة ومحله المختار مكتب حضرة صاحب السعادة محمد على علوبة باشا المحامى بشارع المغربى رقم ١٤ ٠

أنا .. محضر محكمة (..) الأهلية قد انتقلت فى تاريخه أعلاه الى حيث يقيم كل من :

أولا : حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا بصفته رئيسا لمجلس الوزراء ونائبا عن الحكومة المصرية بسراى مجلس الوزراء .

ثانيا : حضرة صاحب المعالى محمد حلمى عيسى باشا بصفته وزيرا لوزارة المعارف العمومية بسراى الوزارة بشارع الطرقة الغربى مخاطبا مع « ... » وأعلنتهما بالآتى :

عينت الجامعة المصرية حضرة الطالب أستاذا بها للتاريخ القديم فى أكتوبر سنة ١٩١٩ .

وفى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٢٣ تم التعاقد بين الحكومة والجامعة على ان تلحق هذه بوزارة المعارف العمومية وحرص الفريقان على وضع شرطين فى العقد أولهما : ان تكون الجامعة المصرية معهدا عاما محتفظة بشخصيتها المعنوية وتدير شئونها بنفسها بكيفية مستقلة تحت اشراف وزارة المعارف العمومية كما هى الحال فى الجامعات الأوربية ، وثانيهما ان تحترم تعهدات الجامعة نحو أساتذتها وموظفيها الحاليين . أما فيما يتعلق بالدكتور طه حسين فقد رئى نظرا لحالته الشخصية أن يبقى أستاذا بكلية الآداب .

وكان المتعاقد عن الحكومة معالى المرحوم أحمد زكى أبو السعود باشا بصفته وزيرا للمعارف العمومية . وعن الجامعة المصرية دولة المرحوم حسين رشدى باشا عن مجلس ادارة الجامعة وكان من أعضائه وقتئذ دولة اسماعيل صدقى باشا رئيس الحكومة الحاضرة ومعالى محمد حلمى عيسى باشا وزير المعارف الآن .

بقى الطالب بعد ذلك استاذا فى الجامعة الى أن صدر مرسوم فى مارس ١٩٢٥ باعتبار الجامعة القديمة نواة لكلية الآداب فعين أستاذا بهذه الكلية فى ديسمبر سنة ١٩٢٥ اعتبارا من يولية من السنة نفسها .

ثم انتخب وكيلا للعميد فى أكتوبر سنة ١٩٢٩ وجدد انتخابه وكيلا فى السنة التالية . ثم فاز يوم انتخاب العميد على منافسه زميله الأستاذ ستزلنج فعينه الوزير عميدا فى ١٦ نوفمبر سنة ١٩٣٠ — ومركزه هذا دائم له مادام فى الكلية وفقا للقانون رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٧ .

لكن أمرا لم يكن فى حسبان الطالب قد حدث . ذلك أن أستاذا محاميا طلب اليه فى التليفون يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٩٣٠ ان يلقاه فاتفقا على تأجيل ذلك الى اليوم التالى وهو اليوم الذى صدر فيه أمر تعيين الطالب عميدا .

***

ولما حضر المحامى أخبر بانه موفد من قبل سعادة توفيق دوس باشا ليعرض

على الاستاذ الطالب أن يستقيل من الجامعة وأن يرأس تحرير جريدة الشعب فاعتذر الأستاذ عن لقاء الباشا وانكر ان يعرض عليه مثل هذا الأمر فى اليوم الذى يعين فيه عميدا للكلية ٠ ورفض ان يعمل فى جريدة الشعب لأسباب منها انه انصرف عن السياسة الى الدرس ـ لكن حضرة المحامى أخـذ يلح ويرغب ثم تركه وهو ينصح للاستاذ العميد بألا يستشير فى هذا الأمر مدير الجامعة ٠

★★★

وفى صباح الاثنين ١٧ نوفمبر سنة ١٩٣٠ ذهب الاستاذ يشكر وزيـر المعارف على تعيينه عميدا ٠ فما كاد يهنئه حتى أنبأه بأن رئيس الوزراء كلفه ان يطلب اليه الاستقالة ليرأس تحرير جريدة الشعب وانه يترك الى العميد نفسه تقدير المرتب وتقرير الضمانات ـ وقد أطال الوزير فى الاقناع بقبول العرض ـ لكن حضرة الطالب اعتذر بالمعاذير التى قدمها لحضرة المحامى فقبل الوزير عذره ووعده أن ينبىء دولة الرئيس بذلك وطلب اليه الا يقطع فى الأمر قبل أن يستشير رجلين كبيرين معروفين ٠

خرج الاستاذ الطالب من عند الوزير وزار احد الكبيرين فاذا هو مكلف أيضا ان يقنعه بهذه المسألة ثم اتفقا على أن المسألة مسألة ضمير ـ وزار الثانى فلم يكد هذا يسمع بالأمر حتى غضب وثار وتحدث الى الأول بالتليفون ملحا عليه فى أن يصرف عن الجامعة هذه الكارثة ٠

وبعد ذلك بزمن أعاد حضرة المحامى الكرة وانبأ الاستاذ الطالب فى التليفون بأن جريدة الشعب ستصدر بعد غد وان رئيس الوزراء يطلب اليه أن يكتب افتتاحية العدد الأول فاعتذر الأستاذ قائلا ما ملخصه :

★★★

« ان كتابتى فى جريدة الشعب تضرنا جميعا ولا تنفع أحدا ٠ فليس من مصلحة الحكومة أن يعرف الناس ان الموظفين يكتبون فى صحفها ولا ينبغى لعميد كلية من الكليات أن يسخر نفسه للكتابة فى صحف الحكومة فيتعرض لازدراء الزملاء والطلاب جميعا » فقطع الحديث ثم عاد بعد دقائق يخبره بأن دولة الرئيس يلح ويريد أن تكتب هذه المقالة بغير أمضاء فكان الجواب اليه ان يبلغ الرئيس ان ذلك شىء لا سبيل اليه مع الأسف الشديد ـ وأحس بعد ذلك من دولته فتورا لم يتعوده من قبل ٠

★★★

عاد الاستاذ العميد من أوربا آخر صيف السنة الماضية ٠ ولم يكد يتصل بوزير المعارف الجديد معالى حلمى عيسى باشا حتى أحس ان هناك أسبابا تجعل العمل معه شاقا لكنه احتمل وأخلص النصـح الى أن كان يوم ٩ يناير سنة

١٩٣٢ دعاه الوزير فذهب اليه مستصحبا أحد مدرسى الكلية وأبدى معاليه رغبته فى منح طائفة من ألقاب الشرف لجماعة من المصريين النابهين بمناسبة الزيارة الملكية للجامعة ، منهم دولة يحيى ابراهيم باشا وصاحب المعالى توفيق رفعت باشا وعلى ماهر باشا : فلاحظ الاستاذ العميد أن أولهم رئيس مجلس الشيوخ وثانيهم رئيس مجلس النواب والثالث وزير • وكلهم من حزب سياسى معين واثنان منهم عضوان فى مجلس الجامعة • وتلك أسباب تمنع منحهم ألقاب الشرف من الجامعة كما لا يرضى للجامعة ان تمنح ألقابها بأمر الوزير ، ورجاه أن يعدل عن رأيه ولا يورط الجامعة فى السياسة فهى ناشئة ومن حقها أن تكون لمصر كلها وللعلم وحده • فغضب الوزير وأسرف فى الغضب • وصمم على أنه سيعلن اقتراحه على الجامعة ليرى الذين يسيئون التفكير والذين يحسنونه ، ثم افترق الاثنان متغاضبين •

***

وفى الغد لقى الاستاذ كبير فى الجامعة بفندق سميراميس بمناسبة احتفال رئيس الوزراء بأعضاء مؤتمر الصحافة اللاتينية ودار بينهما كلام دل على علم هذا الكبير بغضب الوزير ، وانه سمعه يشكو من الاستاذ الطالب لسعادة زكى الابراشى باشا ، ثم جاء الكبير فى اليوم الثانى وطلب الى الاستاذ بحضرة مدير الجامعة أن يقبل رأيا جديدا للوزير والدولة صدقى باشا وهو حذف اسم يحيى ابراهيم باشا من القائمة • وألح فى قبول هذا الحل منعا لاحراج الوزير — لكن العميد صمم على أن الجامعة هى الجهة الوحيدة التى كان يجب الاتفاق معها على ما يريده الوزير •

***

وفى اليوم الثالث أخبر الاستاذ مدير الجامعة حضرة الطالب بحصول اتفاق بينه وبين الوزير هو أن يضاف الى القائمة اسم دولة عدلى يكن باشا وسعادة على الشمسى باشا ، وبينما هما يتناقشان اذا الوزير يتكلم الى حضرة مدير الجامعة فى التليفون فيخبره بأن رئيس الوزراء لا يقبل ترشيح أحد من المعارضين فالتزم كل فريق موقفه •

بعد ذلك بيوم أو يومين دعا حضرة مدير الجامعة اليه حضرات عمداء الكليات وأخبرهم بأن وكيل المعارف زاره وأبلغه أن الوزير يقترح بعد أن اتفق مع القصر على أن تمنح ألقاب الشرف لجماعة من العلماء فى أوربا وان الأمر ينبغى أن يقسم بين الأجانب على طريقة رسمها • فكان من الأستاذ الطالب ان أجاب بانه ما كان ينبغى للوزير مرة أخرى أن يتفق مع غير الجامعة • وان التقاليد تقضى بألا تمنح هذه الألقاب للأجانب دون أن يستشاروا ودون أن يحضروا بأنفسهم ليتلقوا درجاتهم ، وتم الاتفاق على أن يذهب اثنان لاقناع الوزير بهذا الرأى ،

فذهبا وعادا ينبئان بأن الوزير مصمم ، وان سعادة الابراشى باشا حضر المناقشة بالمصادفة وأيد رأى الوزير ٠

وانتهى الأمر بأن رفضت كلية العلوم اقتراح الوزير ٠ أما كلية الآداب فردت الاقتراح الى مدير الجامعة ، وطلبت أن تؤلف لجنة من الكليات الأربع تدرس الموضوع وتضع له القواعد والأصول ٠ وذهب عميدها الطالب الى معالى الوزير وأبلغه قرار الكلية ٠

وأما كليتا الطب والحقوق فانهما قبلتا ما أراده الوزير ٠ وجاءت الالقاب الممنوحة منهما أمام مجلس الجامعة فرفضها ممثلو كلية الآداب وامتنــع عن التصويت ممثلو كلية العلوم ووافق عليها ممثلو الطب والحقوق والحكومة وبذلك انتهت مأساة ألقاب الشرف ٠

***

كانت نتيجة هذه المواقف ، التى سيثبتها الطالب أمام القضاء ، والتى كانت تمليها عليه أبسط الواجبات نحو تقاليد الجامعات واستقلالها وحياتها أن غضب رئيس الوزارة ووزير المعارف فلم يحترما تعاقد الجامعة القديمة مع الحكومة ، ولم يرعيا واجب استقلال الجامعة ، وقاما من فورهما ينتقمان من هذا العميد فيحرمانه من مركزه ويخرجانه من الكلية ويضعانــه بمحض القــوة والسلطان مفتشا فى الوزارة ــ وهو لا يدرى ماذا يعمل فى هذا التفتيش مع حالته الشخصية ٠ والوزير ورئيسه يعلمان انهما كانا من بين الذين قد احتاطوا فى عقد تحويل الجامعة ، بوضع نص خاص بالطالب يقضى بأن يبقى أستاذا بكلية الآداب نظرا لحالته الشخصية ٠ وما كان هذا النص منهما الا حيطة من يوم يخشى فيه ان يحيق بالطالب ظلم أو يمسه أذى من طغيان ٠

ولم يرد الوزيران ان يتمهلا فى الأمر ويصبرا الى آخر السنة الدراسية فعمدا الى سحبه من بيئته العلمية فى منتصف السنة الدراسية ، غير حافلين بما قد يصيب الطلبة من سوء هذا التدبير ٠

***

وما كفاهما ان ينتقما على هذه الصورة الصامتة ، فبسط وزير المعارف فى مجلس النواب جوابا عما يسمونه سؤالا شفى به غلته والطالب لم يكن قد تكلم ، وما كان يريد أن يتكلم ٠ وطعن الطالب بما شاء فى كفايته ٠ وفى ذمته ، وفى كل ناحية من نواحى كرامته ، وهو يعلم أن الطالب بفرض صحة نقله الى الوزارة كان موظفا وكان له ما يجب نحو الموظفين من الرعاية ، وكان على الوزير أن يحميه من كل اعتداء باعتباره عضوا من أعضاء وزارته لا أن يعتدى هو عليه علانية فى مجلس نواب بما لا يتفق وواجب المجاملة بين القائمين بعمل مشترك ٠

ثم رفض مجلس الشيوخ قبول سؤال وضعه أحد حضرات أعضائه لمعرفة الحقيقة • وقامت فى مجلس النواب حملة أخرى كلها مطاعن ومثالب لا يعرف الطالب من أين أتت وقابلها وزير المعارف ورئيسه بشيء غير قليل من الرضا والارتياح ، وهما يعلمان على الأقل أسباب هذه الحركة وأن وقائعها مختلقة ، وأنها فوق ذلك ترجع الى عهد بعيد صار الطالب بعده وكيلا للكلية ثم أعيد انتخابه وكيلا للمرة الثانية ، ثم انتخب بعد ذلك عميدا للكلية بالفعل فى ١٦ نوفمبر سنة ١٩٣٠ •

***

ومن حيث ان المدعى عليهما للأسباب المتقدمة وغيرها قد سارعا الى الانتقام فنقلا الطالب وسط السنة الدراسة وأهاناه ثم فصله مجلس الوزراء بقرار فى ٣٠ مارس سنة ١٩٣٢ دون نظر الى التقاليد الجامعية ودون احترام للعقد المبرم بين الجامعة والحكومة فى شأن الطالب وبلا موجب شرعى لهذا الاعتداء الشنيع على مقام المعلم والمربى فى أرقى معهد مصرى •

ومن حيث أن الوقائع التى بسطها الطالب فى هذه العريضة وغيرها مما سيشرحه أمام القضاء ويثبته بكافة أوجه الاثبات تدل دلالة قاطعة على ارادة التشفى بكيفية لم تعهد من قبل •

ومن حيث أن الحكومة قد حرمت الطالب من مركزه ومستقبله وهو فى مقتبل العمر ، وأذته فى شرفه وسمعته انتقاما منه على ما أبدى من اباء يليق بمركز العلم والمعلمين ، وعلى ما قام به من واجب نحو استقلال الجامعة وكرامتها •

ومن حيث أن التعدى بهذه الصفة واساءة استعمال السلطة ، كل ذلك يوجب مسئولية الحكومة والزامها بتعويض لا يقل عن خمسة وعشرين ألف جنيه •

***

بناء عليه ••

وعلى ما سيدلى به الطالب أمام القضاء ••

الطالب يكلف حضرتى المعلن اليهما بصفتيهما المذكورتين بالحضور أمام حضرة قاضى التحضير بمحكمة مصر الابتدائية الأهلية بسرايها الكائن مركزها بميدان باب الخلق بمصر بالجلسة المدنية والتجارية التى ستنعقد فى يوم الثلاثاء الموافق سبعة عشر مايو سنة ١٩٣٢ الساعة ٨ أفرنكى صباحا وبعد التحضير تحال الى جلسة المرافعة لسماعهما الحكم بالزامهما بأن يدفعا للطالب

بطريق التضامن مبلغ خمسة وعشرين ألف جنيه مصرى والمصاريف ومقابل الأتعاب بحكم مشمول بالنفاذ المعجل بدون كفالة — مع حفظ باقى الحقوق الأخرى من أى نوع كانت ٠

وفى صحيفة افتتاح الدعوة — كما كانوا يسمونها وقتئذ — الأسباب التى دعت الى نقل الدكتور طه حسين من الجامعة ، وهى الأسباب التى تصلح أن تكون تحت نظر القضاء . أما الأسباب الأخرى وواحد منها ذلك الذى أشار اليه أستاذنا حافظ محمود ، فلم يكن يجوز أبدا أن تتضمنه صحيفة الدعوى ، وعلى أية حال فان الجامعة المصرية ، لم تهدأ ، منذ أن أبعد عنها الدكتور طه حسين . وقد ظلت عودة الدكتور طه حسين مطلبا فى مقدمة مطالب الجامعة أساتذة وطلابا الى أن أعيد د٠ طه حسين ، الى الجامعة بعد أن تغيرت الظروف ، وزالت دكتاتورية اسماعيل صدقى ، وخليفته عبد الفتاح يحيى باشا وبالمناسبة فان طه حسين ، عمل بعد خروجه من الجامعة رئيسا لتحرير السياسة ، بصفة غير رسمية وفى أثناء غياب د٠ محمد حسين هيكل فلما رغب مصطفى النحاس ومكرم عبيد فى أن يرأس د٠ طه حسين احدى صحف الوفد بمرتب مغر للغاية — ١٠٠ جنيه مصرى — لم يقبل حتى يستأذن الأحرار الدستوريين ، الذين كانوا يصدرون « السياسة » وبعد أن استأذنهم رأس تحرير « الوادى » و « كوكب الشرق » . الى أن أعيد الى الجامعة فى عام ١٩٣٤ ٠

واذا كان اسماعيل صدقى قد بلغ « الذروة » فى محاربة الصحافة وفى محاربة الأحزاب وفى محاربة القوى الوطنية كلها فقد بلغ الذروة — وربما لأول مرة فى التاريخ المصرى — فى محاربة المرأة المصرية على النحو الذى يتضح فى الفصل التالى ؟ ٠

الفصل الثانى

صدقى باشا أول حاكم يرتكب جريمة اعتقال المرأة فى مصر ويأمر باعلان حالة الطوارىء ليمنع تأبين عمر المختار !!

وكما سبق أن ذكرنا فان دكتاتورية اسماعيل صدقى لم تكن لتكتفى بمحاربة الصحافة والجامعة ، والأزهر ، والأحزاب ، والهيئات بل الأفراد ، الذين لا يرون رأيها ، والذين لا يقولون لها باستمرار : آمين ، آمين · وانما كانت تبتكر بعض صنوف من الحرب ، لبعض فئات الشعب ، لم تكن فى يوم من الأيام تخضع للحروب الحزبية ·

لقد شنت ـ مثلا ـ دكتاتورية اسماعيل صدقى ، حربا من نوع خاص ، ضد المرأة المصرية ، ومن الصور ، التاريخية الجديرة بالذكر ، ان دكتاتورية اسماعيل صدقى لجأت الى اعتقال ، عدد من السيدات المصريات ، وهو اجراء لم تلجأ اليه من قبل أية سلطة مصرية بل ولا بريطانية · لقد حدث أن تظاهر عدد من سيدات مصر ، وهتفن ضد وزارة اسماعيل صدقى ، أثناء وجودهن فى مكتب الأستاذ أحمد محمد أغا المحامى ، وذلك فى يوم اجراء الانتخابات وقدمتهن نيابة الوايلى الى المحاكمة أمام جلسة مستعجلة عقدت مساء اليوم نفسه بمحكمة جنح الوايلى حيث حكمت المحكمة بتغريم كل واحدة منهن خمسة جنيهات عن تهمة التظاهر ، وبراءتهن من تهمة الهتاف ضد الوزارة فاستأنفن الحكم وفى يوم ٥ مارس ١٩٣٢ نظرت القضية أمام محكمة الجنح السابقة التى عقدت برئاسة الأستاذ حسين فخرى القاضى وعضوية الأستاذين محمد كامل عونى ، ومحمد مختار عبد الله ، وجلس فى كرسى النيابة الأستاذ حسن الجداوى وكيل النيابة بنيابة مصر ، وحضرت المتهمات ·· التالية أسماؤهن : حرم ابراهيم بك نور الدين ، حرم حسين نبيه بك ، فاطمة أحمد كمال بك ، دولت الزينى ، نعمت عباس ، زينب عباس ، حسنة شعبان القبانى ، جليلة البحراوى ، زينب لبيب ، شريفة عيسوى ، رهينة نيازى ، نعيمة عوض سليمان ، عزيزة سامى ، ليزا ميخائيل مقار ، جميلة رشوان ، عريفة محمود طلعت ، ولم تحضر الآنسة

ليزا مقار والسيدة جميلة الجمال لمرضهما . وقد حضر للدفاع عن جميع المتهمات الحاضرات ، والغائبتين أيضا الأستاذ مكرم عبيد وقد ترافع وكيل النيابة قائلا :

★★★

ان النيابة يؤلمها ، ويعز عليها ، ان تقدمت الى المحكمة الجزئية تطلب العقوبة ، وأن تتقدم الآن ، بطلب تشديدها ، وردنا على ذلك ان ليس الذنب ذنب النيابة وانما هو ذنب حضرات السيدات اللاتى زججن بأنفسهن أو زج بهن فى الطرقات يتظاهرن كأبسط غلمان الشوارع ، وتحريضهن على المظاهرات والقانون لا يفرق بين الجميع ، ويطلب ممثل النيابة تعديل التهمة وتطبيق القانون ، باعتبار أن السيدات أقمن اجتماعا عاما من غير اخطار كان يمكن أن يدخله ، ودخله بالفعل أشخاص ليست بأيديهم تذاكر دعوة ويرى الأستاذ مكرم عبيد ، ان النيابة ليس من حقها ، طلب تعديل التهمة أمام المحكمة الاستئنافية وتحرم الدفاع من الدرجة الابتدائية ولذلك نعتبر ان هذا التعديل باطل وفوق ذلك فاننا لم نعلن من قبل ، وهذا على فرض جواز تعديل التهمة ونقول ان ذلك لا يصح مطلقا ، ويقول رئيس المحكمة : ليس هذا تعديلا وانما هى تهمة جديدة · ويرى مكرم عبيد ، انه باطل مهما كان الأمر ، ويعود ممثل النيابة قائلا : لم تعدل النيابة التهمة بل هى متمسكة بقرار الاتهام السابق ، بأن ما وقع من السيدات يعتبر اجتماعا عاما ، وتطلب النيابة من المحكمة أن يكون الحكم رادعا ، ولأن الغرامة عقوبة قد تحملها غير المتهمات ، فهى لذلك لا تكون زاجرة ، وتطلب الحكم مع ايقاف التنفيذ ويترافع مكرم عبيد قائلا :

★★★

لقد عاهدت نفسى احتراما للقضاء المقدس واحتراما لهؤلاء السيدات الطاهرات ، أن أكون هادئا فى هذه المرافعة · ولكن النيابة شاءت غير هذا · شاءت أن تستغل مركز الاتهام فتصب جام الغضب على سيدات من أشرف العائلات وأطهر البيوتات · فوصفتهن بأنهن كاذبات ومتطفلات ، وان عملهن مخل بالكرامة ·

★★★

يا للهول ! ان هذا شىء جديد فى قاموس الأدب وعرف اللياقة · أى اخلال بالكرامة فى ابداء عاطفة شريفة لا تتحرك الا فى نفوس الشريفات والأشراف · اسمحوا لى حضراتكم أن أقول اننى غير مستطيع الرد على هذا لأننا لم أجعل قاموس لغتى وأدبى شاملا لألفاظ السباب ·

يا حضرات القضاة :

القضية المعروضة على حضراتكم هى أيضا قضية سياسية .. أو هى حلقة من سلسلة غير منقطعة من هذه القضايا التى رزئت بها البلاد ـ والمحاكم ـ فى السنين الأخيرة ، ولقد كانت السياسة تلعب فى كل قضية دورا نحسبه غريبا فى نوعه . فلا يلبث الغريب حتى يتضاءل أمام ما هو أغرب فى القضية التى تليها !! وبذلك أصبحت القضايا السياسية فى بلادنا وكأنها مسرح عام تمثل عليه السياسة أفانينها وألاعيبها . فتحرك الرجال وأشباه الرجال كما تحرك الدمى والصور ، وتبرز للناس أبكى المهازل وان أمامنا فى هذه القضية فقد نزلت السياسة فى خصومتها الى حد محزن ومخجل معا ، فهى خصومة مزرية ليس فقط بمصريتنا نحن المصريين ، أو بوطنيتنا نحن الوطنيين ، أو بحريتنا نحن الأحرار ، أو بكرامتنا نحن الكرام ، بل برجولتنا نحن الرجال !

أنظروا الى الواقعة كيف وقعت ، والى الخصومة كيف نشبت ! عشرون سيدة من أشرف وأكرم السيدات والأوانس المصريات ، اللواتى تفتخر بمثلهن مصر والبلاد الشرقية جمعاء ، اجتمعن فى يوم الانتخاب بمكتب الأستاذ أحمد أغا المحامى ، القريب الى لجنة الانتخاب فى قسم الوايلى ، لمشاهدة ما بلغهن من اجراءات الحكومة فى الانتخابات ، فلما رأين بأعينهن كيف كان الناخبون وغير الناخبين ينتزعون من الشوارع والبيوت ويساقون فى اللوريات المسلحة رغم أنوفهم ليمثلوا مهزلة الانتخاب أو حرية الاختيار كما أرادت الوزارة أن تفهمها ، أخذتهن نشــوة الحق وصــيحته فهتفن بحياة دستــور الأمة الحق وبســقوط الانتخابات الزائفة الباطلة .

الرئيس : هل تسلم السيدات بالهتاف الذى حصل بفرض وقوعه من بعضهن ؟

الأستاذ مكرم : اننى باسم هؤلاء السيدات أقول ان الخصومة السياسية التى بيننا وبين صدقى باشا لا تزال قائمة وان ما هتفن به بالأمس مستعدون للهتاف به اليوم وفى كل وقت.

★★★

ثم استطرد الأستاذ مكرم مرافعته قائلا :

رأت السيدات عمال الوزارة متلبسين بالجريمة ضد القــانون والدستور والوطن ، وأدركن ان الانتخابات تزيف لتزييف ارادة الأمة فتسلم مصر بعــد العراق غنيمة باردة للغاصب بيد نفر من أبناء البلاد ، رأين كل ذلك فصاحت مصر المعذبة بألسنتهن صارخة ، مستغيثة ، هاتفة ، غاضبة ! .. فماذا كان من رجال البوليس وحفظة الأمن العام فى البلاد ! ماذا كان من أولئك الرجال الأشداء، كان منهم أن فزعوا الى معقل الأعــداء الحصين بصــدور النساء ..

واقتحموه والعصى الغليظة والدروع الحديدية بأيديهم ، والخوذات الفولاذية على رءوسهم والمسدسات فى جيوبهم والهلع فى قلوبهم ..

ولم يكتف أولئك الكماة بمحاصرة السيدات كأنهن أسيرات ، أو بالقبض عليهن كأنهن مجرمات ، بل امتدت ألسنتهم اليهن بالسب ، وأيديهم عليهن بالضرب ، وكن كلهن من فضليات الامهات والعقائل والكريمات ، فهذه زوجة وتلك بنت لمستشار أو لواء فى الجيش ، أو شيخ ، أو نائب محترم ، أو موظف كبير ، أو طبيب أو معلم أو محام أو ثرى وجيه فى قومه ، بل كان لهن جميعا شرف الانوثة وضعفها ... وأى رجل يحترم رجولته يرضى النفسه أن يعتدى على تلك الانوثة القوية بضعفها ، المصونة بحشمتها ولطفها !

تلك هى الخصومة التى نعنيها والتى تاباها شهامة الرجال وكرامة النساء ... خصومة وحشية لا فكرية انحدرت اليها السياسة فى آخر المطاف ، هى خصومة النمر للحمل ، فما بالك اذا كان ذاك مسلحا وهذا أعزل !

***

تلك هى الخصومة التى نعترض عليها ، أما الخصومة السياسية الفكرية فالسيدات خير أهل لها وهن يرحبن بها ويتمسكن بها ، لأنها خصومة الحق والشرف ، لا خصومة العنف والاعتداء ..

واليكم يا حضرات القضاة أقوال السيدات أنفسهن عن أعمال القسوة الوحشية التى ارتكبها رجال البوليس ارضاء للسياسة ، وطوعا لاحكامها ، اسمعوا يا حضرات القضاء كيف اعتدى البوليس على سيداتنا الشريفات ، فسبهن وامتهنهن بافحش القول وضربهن ومزق جلبابهن ، وفى آخر الأمر قادتهن النيابة الى هنا متهمات معتديات ! ...

***

ماذا تقول السيدة دولت الزينى :

السيدة دولت الزينى « كريمة المرحوم السيد الزينى » قالت :

« فى حالة وجودنا بالمكتب الذى كنا به وهو مكتب الأستاذ أحمد أغا كسر الباب علينا المعاون وجملة عساكر ودخلوا وأمرونا بالقوة بشدة : انزلوا على القسم فأجبنا ما الداعى وأى جريمة ارتكبناها ونحن لم نعمل شيئا الا هتافنا بحياة الدستور الذى يهمنا جميعا فقال : اقبض عليهم يا عسكرى بالقوة فتقدمت الى المعاون وتفاهمت معه وسألته : هل معه أمر من النيابة بهذا القبض فقال أنا أمرت وملزم بتنفيذ الأمر الصادر من رئيسى وبعد ذلك

جاء مندوب من القسم ومعه أمر من النيابة فعند اطلاعنا عليه وافقنا على النزول بطريقة سلمية وعند خروجنا من الباب الخاص بالمكتب جاء حضرة المأمور ومعه عساكر أخرى فوجدنى أنا فى المقدمة فقال « انت هنا بتعملى ايه » فأنا قلت يا بيه أنا نازلة القسم فقال لى « امشى بلاش مسخرة تعــال يا عسكرى جر البنت دى » وهو يقول ذلك قبض على بيديه الاثنين وصدمنى فى الباب وقطع ملابسى فخجلت انى انزل وملابسى مقطعة فرجوته أن يسمح لى أن آتى بشىء من الملابس فلم يمكننى أن أقنعه وصمم على ان أخرج كما أنا وفعــلا رضخت للقوة ، ثم رفعت المانتو واورت لنا تمزقا طويلا يبلغ ٢٥ سنتيمترا تقريبــا وظاهر منه كتفها وجزء من ساعدها » .

***

وقالت السيدة وجيدة ثابت :

« وقبل ما نيجى هنا حضر المــــأمور وشد السيدات وقطع الكم بتاعى ثم أورت لنا كم يدها اليمنى ولاحظنا أن طرف الكم كان مخيطا بخيط أسود بأن كان طرفه مثنيا بهذا الخيط وقد أزيل الانثناء بمسافة ١٥ سنتيمترا تقريبا ثم ان المأمور جذبنى بالقوة ومزق المانتوه وقد «أورت» فتقا من الجهة اليمنى من الخلف يبلغ طوله ٧ سنتى تقريبا وأهان السيدات بشتائم فظيعة » .

وقالت الآنسة فاطمة على بك سالم :

البوليس فتح الباب بالقوة وتعدى على السيدات .. والعساكر دخلوا هجوم على السيدات ومعهم اثنين ضباط وبقوا يزقوا فيهم بأيديهم وسمعت واحد من الضباط يقول أنا عندى أمر من رئيس النيابة بأنى أنزلهم واللى ما ينزلش أنزله بالقوة ، فأنا وبعض السيدات قلنا له اوع تقدم على أى واحدة منا ونزلنا وتبعنا للقسم » .

قالت السيدة حرم الأستاذ محمد أمين لطفى :

« هجم البوليس والضباط اللى وياهم واستعملوا القوة بأى شكل وكانوا يزقون الستات بالقوة وكنا نلاحظ عليهم ونقول مايصحش تمدوا ايديكم على الستات » .

وقالت السيدة حرم حسن بك نبيه المصرى :

« أردنا النزول واذا بالمأمور يتهجم علينا بشكل فظيع ويهيننا ويجرنا الى الخارج حتى مزق بعض ملابس السيدات » .

وقالت السيدة حرم على باشا فهمى :

« البوليس هجم على المحل وكسر الأبواب وجه المأمور وجرنا بالقوة » .

وقالت السيدة حرم السيد محمد اسماعيل حب الرمان :

« وأخذنا البوليس بكل رزالة واهانة ووقاحة حتى انهم مزقوا هدوم احدى السيدات » .

★★★

ويستطرد الأستاذ مكرم فى مرافعته قائلا :

تلك بعض أقوال هؤلاء السيدات فى وصف فظائع أولئك الرجال ... والحق انى كنت أقرأ هذا الوصف المروع والخجل يأخذ منى كل مأخذ لأنى كرجل لم أجد من بين هؤلاء الرجال رجلا واحدا تجرى فى عروقه نخوة الرجال ، فيذب عن شرف ربات الحجال ، ولأنى كمصرى رأيت الحظ الأغبر قد شاء لمصر أن تقوم فيها وزارة لا تجد سبيلا الى الكرامة الا بانتهاك كرامة النساء ! ..

ولكن اذا لم يكن للرجولة فى بعض الرجال نخوة ، فهل لنا نسأل النيابة اذا كان للقانون فى بلادنا سطوة ، وللحق عزة ! .. واذا كان فلماذا لم ترفع الدعوى على هؤلاء المعتدين من رجال البوليس ، وما هو عذرها فى أنها لم تشرع ولو مجـرد الشروع فى تحقيق اعتدائهم ، وقد رأت آثاره بادية فى الثياب الممزقة ، والكرامة المنتهكة ! .. وهل النداء بسقوط الانتخابات الزائفة ــ وهى زائفة ملفقة ــ لا يوازيه فى نظر النيابة ضرب السيدات وتمزيق أثوابهن وخدش ناموسهن ، وقد رأت النيابة ذلك رأى العين وأثبتته فى محضرها ؟! ..

واذا لم تحقق النيابة هـذا الاعتداء كجريمة متصلة بالتهمة الموجهة الى السيدات أفما كان عليها أن تحققه على الأقل باعتباره دفاعا قدمته السيدات لدفع التهمة عنهن ؟

★★★

نريد أن نفهم كيف سمحت النيابة لنفسها ألا تحقق هذه الجريمة او تتعقبها فى الوقت الذى سعت فيه الجريمة اليها ، وتوافرت الأدلة بين يديها ؟ كيف لم تسأل النيابة ــ ولو للسؤال ــ أحدا من رجال البوليس الذين عينتهم السيدات بوظائفهم سـواء فى ذلك المأمور والضباط والعساكر ؟ وأى قيمـة لتحقيق أبتر كهذا التحقيق ؟

نريد أن نفهم ، يا حضرات القضاة ، بأى قانون تحاجنا النيابة والقانون الذى به تحاكمنا ، هو الذى منه تحرمنا ؟ وأى عدالة هذه التى تغمض عينيها عند الحاجة ، وتفتحها ولا حاجة .

وسترون فيما بعد أن النقص فى التحقيق لم يكن مقصورا على ما تقدم . بل تعداه الى صميم التهمة نفسها ، فالسيدات متهمات بأنهن نادين بسقوط

الانتخابات الزائفة ، وقد رددن على هذه التهمة بقولهن أنهن رأين بأعينهن الناس يساقون للانتخابات فى لوريات مسلحة وهم يحتجون ويعترضون وما من سميع. ولكن النيابة لم تحقق هذه الواقعة ولم تحاول تحقيقها ، بل اكتفت باتهام السيدات ، وهم بيت القصيد ·

***

وأخيرا رأت من الكياسة وحسن الذوق أن تصدر الأوامر « بترحيل » السيدات الى سجن الأجانب ، ولم تجد فى قاموس اللغة عبارة تؤدى المعنى المقصود من النقل الى عبارة « الترحيل » الشائنة فأثبتت في أول محضرها ما يلى :

« بناء على ما تبلغ لنا تليفونيا من رياسة نيابة مصر نرجو ترحيل جميع السيدات الموجودات بالقسم الآن لسجن الأجانب » ·

ثم أسهب الأستاذ مكرم فى الكلام على التطبيق القانونى مفندا جميع التهم وختم مرافعته طالبا البراءة وأن يبرهن حضرات القضاة لمصر وأن يقيموا الدليل على أن العدالة حق لا امتياز فيها وان القصاص فى مصر عقوبة لا انتقام ·

وختم حضرة الأستاذ دفاعه المجيد بطلب البراءة للسيدات المتهمات واحتياطيا أن تأذن المحكمة للدفاع باثبات تزوير الانتخابات حتى تظهر صحة الوقائع التى استثارت هتافهن ·

وأجمل ما فى هذه المحاكمة ، ان الجماهير الغفيرة ، التى امتلأت بها دار المحكمة ، والجماهير الغفيرة ، التى احتشدت خارجها كانت لا تكف عن الهتافات العدائية ضد اسماعيل صدقى ، ونظامه كما لا تكف عن الهتاف بحياة الدستور، والحرية ·

وقد خرجت السيدات المتهمات من مبنى المحكمة ، قاصدات الى بيت الأمة فاذا الشوارع والطرقات مليئة بالجماهير ، التى تهتف بحياة المتهمات ، وكانت السيارات ، التى تحمل هؤلاء المتهمات — كما قالت الصحف وقتئذ — تشق طريقها بصعوبة بالغة ·

ونزل الجيش الى الشوارع ليمنع حفل تأبين لعمر المختار

على أنه اذا كان عجيبا ، وغريبا ، ان نظاما ، مخيفا ورهيبا كنظام اسماعيل صدقى باشا يضيق للغاية باحتشاد سبع عشرة سيدة وآنسة فى مكتب أحد المحامين ، فيجند جنوده ، للقبض عليهن بصورة مهينة ويقدمن الى المحاكمة . بتهمة الهتاف ضده فقد كان من الأعجب ، والأغرب ان ذلك النظام ، الذى يعتمد على دكتاتورية لا مثيل لها فى التاريخ المصرى يعلن حالة الطوارىء فى العاصمة

ويأمر بانزال قوات الجيش اليها ، لا للدفاع ضد جيش أجنبى غاز هاجمها ، خلسة ، ولا للقضاء على ثورة دامية كانت تهدد النظام ، وانما لمنع الاحتفال بتأبين شخصية عربية اسلامة مرموقة أجمع العالم كله من مشرقه الى مغربه على احترامها ، وتقدير كفاحها ، وبطولتها : فى ١٢ نوفمبر ١٩٣١ وجه حمد الباسل باشا الدعوة ، الى الاحتفال بتأبين البطل الشهيد عمر المختار ، وكان أحمد شوقى - وخليل مطران قد أعد كل منهما رائعة من روائعه التلقى فى تلك المناسبة ، كان مما قاله أحمد شوقى :

ركزوا رفاتك فى الرمال لواء
يستنهض الوادى صباح مساء
يا ويحهم نصبوا منارا من دم
توحى ، الى جيل الغد البغضاء

ثم يقول :

خيرت فاخترت المبيت على الطوى
لم تبن جاها ، أو تلم ثراء
ان البطولة أن تموت من الظمأ
ليس البطولة أن تعب الماء
افريقيا مهد الأسود ، ولحدها ،
ضجت عليك أراجلا ونساء
والمسلمون ، على اختلاف ديارهم
لا يملكون من المصاب عزاء
والجاهلية من وراء قبورهم ،
يبكون زيد الخيل ، والفلحاء

***

والفلحاء هنا من ألقاب عنترة العبسى ، البطل العربى المعروف الى أن يقول شوقى :

فى ذمة الله الكريم ، وحفظه
جسد ببرقة وسد الصحراء
لم تبق منه رحى الوقائع أعظما
تبلى ، ولم تبق الرماح دماء

كرفات نسر أو بقية ضيغم
باتا وراء الساقيات هباء

وينهي أحمد شوقي رائعته بقوله :

يا أيها الشعب القريب أسامع
فأصوغ في عمر الشهيد رثاء
أم ألجمت فاك الخطوب وحرمت
أذنيك حين تخاطب الاصغاء
ذهب الزعيم وأنت باق خالد
فانقد رجالك واختر الزعماء

***

أما خليل مطران فيقول :

ما السجن ؟ حين يزاد الخسف عن وطن
بعاره باء في الأوطان موصوما
يغني عن الشمس في أعماق ظلمته
برق من الأمل المرموق ان شيما
عدن على طيبها لو شيب كوثرها
بظل باغ لعاد الورد مسموما
ما الموت ؟ ان تك منجاة البلاد به
من غاصب وانتصاف الشعب مهضوما
هذا هو العيش والقسط العظيم به
من خالد ، الفخر ، فوق العمر تقويما
ان الفداء لأغلى ما حمدت له
أخرى وان كان في أولاه مذموما

***

الى أن يقول خليل مطران مخاطبا قيادات مصر :

يا سادة اطلعت مصر بهم شهبا
والليل خيم بالأحداث تخييما
فما ونوا للحمى عن واجب وبنوا

للمجد فيه طرفا كان مهدوما
أعزة ، ان بدا ، من فضلهم أثر
فكم لهم من جميل ظل مكتوما ،
وللفدى ، كالندى حال منزهة
فى حكمها ينفس المجهول معلوما ،
شاركتم الجار فى خطب ألم به ،
وما ادخرتم لشيخ العرب تكريما
كذا تكافىء مصر العاملين بما
يعدو الأمانى تمجيدا وتعظيما
أكرم بها ، وهى تحنى الرأس هاتفة
تحية أيها القتلى وتسليما

***

وأبادر فأقول ، اننى استهدفت من نقل ما جاء فى قصيدتى شوقى وخليل مطران فى تأبين عمر المختار ، التركيز على معنى هام وخطير ، ذلك هو مشاركة الشعر فى كل عمل وطنى بناء وقيام الشعراء ، الوطنيين بدورهم فى مجالات الكفاح الوطنى ومن أجل ذلك ، كان للشعر وقتئذ ، دولة وصولة وكانت قصائد الشعراء الكبار تنشر فى الصفحات الأولى ، من صحف ذلك العهد ، وكان الشعب يحفظ كل تلك القصائد الوطنية ، وكأنها أحب أغانيه اليه .. وأعود الى ذلك اليوم التاريخى ، الذى أعلنت فيه حكومة اسماعيل صدقى حالة الطوارىء ، لتحول بين الشعب وبين الاحتفال بتأبين عمر المختار ، وأنقل للقراء بعض ما جاء فى جريدة البلاغ « العدد الصادر فى ١٣ نوفمبر ١٩٣١ » كصورة لاهتزاز الحكم الظالم أمام الشعب الواعى بحقوقه ، الحريص على حريته وكرامته :

***

جاء فى الجهاد تحت عنوان : كيف صودرت حفلة تأبين البطل الشهيد عمر المختار : أصدرت الوزارة أمرها بمنع الاحتفال بتأبين الشهيد عمر المختار فأوفدت حكمدارية بوليس العاصمة ، ألف جندى من رجال البوليس وبلوك الخفر ، وأحاطت تلك القوات بدار سعادة حمد الباسل ، وسدت المنافذ المؤدية اليها وامتدت رباطات الجنود ، وعلى الخطوط الحديدية المتسدة على المحطات ، ومنعت الوصول الى الدار التى كان مزمعا ، اقامة الاحتفال بها : وقد وصل حضرة صاحب السعادة فتح الله بركات باشا الى مكان الاحتفال فمنعه الرباط المضروب هناك وحال بين سيارة سعادته ، وبين الوصول ، ووضع رجال

البوليس أسلاكا شائكة لمنع مرور السيارات كما وضعوا سيارات كبيرة لتعترض الطرقات ومنع جميع المدعوين ، من الوصول الى الدار ، وعاد جميع المدعوين أدراجهم من حيث جاءوا ، فكانت فضيحة ، وكانت مأساة ٠

***

وقد وقف ثلاثة جنود ، يسألون الضابط المكلف بالمنع عن سببه ، ويقولون أنهم أجانب فقال لهم : « ونحن نمنع من أجل الأجانب نمنع من أجل ايطاليا » وقد قال ذلك على مسمع من شهود معروفين ٠

***

وتقول الجهاد : أعد سعادة حمد الباسل باشا سرادقا داخل منزله ٠ فى سراى القبة ليكون محل الاجتماع لسماع القرآن الكريم وذكر مناقب المجاهد العظيم عمر المختار وبينما هو جالس فى منزله عصر يوم الأربعاء اذا برسول يحمل اليه خطابا من محافظ القاهرة يتضمن منع الاحتفال لانه سياسى ، ويحمل الباشا مسئولية المخالفة وبعد ورود الخطاب بمدة حضر مأمور قسم مصر الجديدة على رأس قوة من الجند وترك القوة خارج المنزل ودخل معه ضابط بوليس وأبلغ الباشا ، أنه يحمل أمرا بهدم السرادق بالقوة فأمر سعادة حمد باشا ، بغلق أبواب المنزل واتصل برئيس نيابة مصر ، وطلب منه الحضور لضبط واقعة تهجم على منزل ليس فيه أحد ، وقال له ان القوة ستكسر الأبواب وتنتهك حرمة البيت بدون مبرر فلم يحظ منه بطائل ، وأخيرا قال الباشا ، للمأمور : دونك الأبواب فكسرها وافعل ما تشاء ، وأنا محتفظ بكل حقوقى ، ويقول حمد الباسل لحكمدار البوليس اسمع ما أقوله لك : ان هذا الاجتماع ليس سياسيا مطلقا ، وهو أبعد ما يكون عن السياسة المصرية بل هو اجتماع لذكرى رجل يمت الى بقرابة ، ومن العار ، أن يحتفل بذكراه السوريون ، والفلسطينيون ولا يحتفل به أقاربه وأكثر الناس به ارتباطا » فقال سعادة الحكمدار سأعمل جهدى وأتصل بك غدا ٠٠ فمضى الباشا ، فى طريقه من اعداد لوازم الاجتماع وتجهيز الطعام ، للفقراء والمساكين ٠

***

وفى ظهر يوم الخميس حضر وكيل الحكمدار ومعه مأمور قسم مصر الجديدة ، وأخبر الباشا بان الحكمدار لم يستطع رفع أمر المنع وغاية ما أمكنه أنه لا يتعرض لما فى داخل البيت مطلقا وانما سيحول بين الناس ، وبين الوصول الى المنزل فقال الباشا : أنا سائر فى طريقى وللقوة ، أن تفعل ما تشاء ٠ ولم تمض الساعة الثالثة بعد الظهر ، حتى كانت الساحة ما بين محطة سراى القبة ، وكوبرى الزيتون غاصة بالجنود مشاة وركبانا مسلحين

بالعصى الغليظة والخوذات الحديدية وطوقوا البيت بعدة مناطق من الجنــود ووضعوا فى جميع النوافذ الأسلاك الشائكة حتى أمسى جميع سكان ذلك الحى فى حصار شديد ، ومظهر مرعب يخيل للناظر اليه أنه في ميدان من ميادين الحرب العظمى ومن الحوادث المدهشة المؤلمة ، ان التضييق لم يقتصر على صاحب الاحتفال وضيوفه فحسب بل تعداهم الى الفقراء ، والمساكين ، وذلك انه كان محددا لهم وقت الغروب لتناول الطعام صدقة على روح الفقيد فلما جاء الموعد ،

***

وأقبل الفقراء من كل فج فوجدوا الطريق مسدودا فى وجوههم ، وعبثا حاولوا ، الاقناع « بأننا فى حاجة الى ما نقيم به أصلابنا » فلم ينالوا بدل الاكرام الا اهانة وبدل الطعام الا ضربا ولكزا ، كل هذا والباشا ومن معه محاصرون فى المنزل لا علم لهم بما يجرى حولهم وما كان يظن ان القسوة والاستهتار بالقوانين ودوس الحريات يصل بالحكومة الى حد الحيلولة بين الجائع ، وطعامه والمسكين وما يسد رمقه ولما علم الباشا بأن الفقراء أهينوا وطردوا وتفرقوا من حيث أتوا ، غضب جدا وأمر بحمل ما كان معدا للفقراء الى قسم البوليس وتسليمه للحكومة ليكون ذلك شاهد عدل ، على تصرفات ما كان يتصورها أحد فى عصر من العصور ،

***

وفى منتصف الساعة السادسة دعا سعادة الباشا قواد الجنود وقال لهم : « الساعة الآن السادسة والنصف وقد مضى نصف ساعة ، على الموعد ، الذى كنا حددناه لحفلة الأربعين . وقد حالت هذه الجيوش الجرارة ، التى طوقت المنزل والطرقات عامة وجميع المنافذ وتلك السيارات والقوات العسكرية .. الشائكة هنا وهناك ، كأننا فى ميــدان حرب ، لا حفلة أربعين ، حالت هــذه القوات دون دخول أحد ، الى بيتى الخاص ، حتى أقاربى وأفراد أسرتى ، كان فى وسعى ، أن أتركم حيث أنتم الساعات الطويلة على هذه الحالة ، الى الصباح ولكنكم مصريون قبل كل شيء . وأعتقد أن واجبى الوطنى يقضى على أن أصرفكم بعد أن سجلت الوزارة بعملتها هذه ما سجلت وأن أخرج من بيتى وأنا ومن معى ، وأن يهدم السرادق الفراشون فى الحال ، حتى تنصرفوا الى واجب أسمى وهو أمس الواجبات برجال الأمن ولا ريب أن البلد وما فيه من حوادث أهم بكثير من اضاعة أوقاتكم حتى تستخدمكم الوزارة فيه . وفى غير منفعة وأعتقد أن عسكريا واحدا أو عسكريين ، كان فيهما الكفاية اذا ما أرادت الوزارة التحقق ، من أن الحفلة التى حاربتها كانت حفلة بعيدة كل البعد عن السياسة المصرية التى تتفنن فى منعهــا بطرقها ، وأساليبها » وهنــا شــكره رئيس القوات الانجليزى . وقال أنه سيتصل برئيسه لابلاغه هذه العبارات قائلا .. أنه يؤدى وعساكره التعليمات الصادرة اليه من الوزارة .. فقال الباشا مخاطبا

القوات : ألا يوجد لصوص يسرقون أو قتلة يقتلون ؟ ألا يوجد حوادث ضد الأمن هي أعم جدا مما تقضون فيه أوقاتكم عبثا ؟ انى سأنصرف من بيتى ومن بيتى الخاص .. سأنصرف فورا ، ومعى أفـراد أسرتى حتى لا أشـترك مع المتسببين فى اضاعة أوقاتكم سدى ، وفى تسخيركم لغير ما استخدمتم له ...

***

هذا وقد نشر عبد الرحمن عزام ، مقالا فى نفس العدد ، الذى نقلنا عنه وصف مصادرة حفلة تأبين البطل الشهيد عمر المختار تحت عنوان : « صدقى باشا يواصل مجاملته للطليان بالاساءة ، الى المسلمين والعرب » وقد جاء فى مقال الأستاذ عبد الرحمن عزام يرحمه الله ما يلى : أن منع حفلة التأبين اليوم ، بالقوة ، هو عمل انفردت مصر المستقلة به فقد أبن المسلمون الشهيد عمر المختار فى بلاد تعد لتكون وطنا قوميا لليهود تحت الانتداب الانجليزى وفى أخرى تحت الرعاية الفرنسية أما فى مصر التى تعد التكون وطنا قوميا لأهلها العرب وفى ظل راية ، يشرف عليها هلال وكواكب وعلى رأس حكومته اسماعيل صدقى باشا الذى ليس يهوديا ، ولا نصرانيا ولكن مسلما يحرم تأبين عمر المختار حينما يريد القيام به خاصة أهل مصر ، من المسلمين والعرب » أفهمت اذن أن الاستقلال والهوان صارا مترادفين » .

***

وينهى عبد الرحمن عزام مقاله بالاشارة الى تاريخ عمر المختار ، الشيخ الذى جاوز الثمانين ولم يستسلم لحكم الطليان منذ أن غزوا بلاده فى ١٩١١ ، ولم يرع الايطاليون لاسلامه ولا لعروبته حرمة : ولا لجوارنا قيمة ، وأقول جوارنا لا بصفتنا أمة عربية مسلمة فقط بل لان فى مصر ، مليونا من العرب المغاربة الذين يمتون الى قبائل برقة ، وطرابلس بأنسابهم » ثم يقول اذا كان الطليان لا يرون لهذه العلائق حرمة فهل رئيس الوزارة حين هم بما هم لم يدر بخاطره ان هذا المليون من العرب يجب أن تكون له حرمته فى نظر أى رئيس وزارة مصرية حتى ولو جرد من الدين ، والقومية ، والعاطفة ، أظن لو آذنى استرسلت لانتهيت الى شىء آخر محقق وهو أن صدقى باشا قد نسى أيضـا صفته التى يستمد منها عذره فان أى حاكم لأى قوم لا يستطيع لمجرد الهوى والمجاملة أن ينساهم ولو كانوا على ما يرتضى من ذلة وهوان .

***

لقد انطوى عمر المختار شهيدا بطلا فقيرا معدما وخلفه ذرية ضعاف ، ولكنه خالد ، خالد فى قومه ، وفى العرب أينما كانوا وسننطوى جميعا وتبقى

أعمالنا نتقدم بها الى الله والى التاريخ فهل ترضى مصر أن يكون كتاب رئيس وزرائها الذى يتقدم به للحساب مجاملات عن اليمين والشمال ولمن ؟ للأقوياء والمتجبرين ، اللهم انا لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه » .

وأبادر فأقول أيضا اننى استهدفت من الاسهاب فى الحديث عن منع الاحتفال بذكرى الاربعين ، لوفاة الشهيد البطل ، العظيم ، عمر المختار ، عدة معان ، عامة وخطيرة ، هذه هى بعضها على سبيل المثال لا الحصر :

***

● لقد أردت ــ مثلا ــ التأكيد ــ ولو أن الأمر ، ليس أبدا بحاجة الى أى تأكيد ــ على ما بين البلدين الشقيقين ليبيا ، ومصر ، من علاقات نضالية قوية ، متينة ، راسخة، لا يزيدها مرور الأيام ، وتوالى الصعوبات وكثرة المعوقات ، الا قوة على قوتها . ومتانة فوق متانتها ورسوخا الى جانب رسوخها : ان العلاقات النضالية التى تربط بين مصر ، وليبيا ــ وهى كما يقول التاريخ الذى لا يكذب أبدا ــ علاقات أزلية لم ينجح ولن ينجح أبدا لا فى الحاضر ولا فى المستقبل ، اى حاكم يستبد هنا أو هناك أن يعوق نموها أو ينال منها أو على الأقل يضعف من قوتها بل ان التاريخ ــ التاريخ الذى لا يكذب أبدا ــ يقول ، انه ما من مرة ، تعرضت فيها تلك العلاقات للضغط ، والارهاب وما من مرة أراد الأعداء والخصوم ، اضعاف تلك العلاقات أو النيل منها الا وكانت النتيجة عكسية تماما ، تقوى العلاقات ، بدل أن تضعف . تزدهر بدل أن تذبل ..

***

● أردت مثلا ــ التأكيد ــ ولو أن الأمر ، ليس أيضا ، بحاجة الى أى تأكيد ــ على ان التيار ، القومى ، العربى هو أصيل فى مصر ، قوى فى مصر ، نابع من مشاعر ، الجماهير ومن رغبتها القوية فى تحقيق القومية العربية مهما حاول الخصوم والأعداء ، النيل منه أو القضاء عليه : هذا التيار القومى العربى، القوى الأصيل ، القديم ، هو الذى قاد ، مصر ، ويقودها دائما ، الى أن تحمل لواء الدفاع عن العروبة ، وأن تتحمل القسط الأكبر والأوفر من التضحيات فى كل المعارك التى تخوضها الأمة العربية .

***

● أردت ــ مثلا ــ التأكيد ، ولو ان الأمر ، أيضا ، ليس بحاجة الى تأكيد ــ أى تأكيد ــ على أن الارهاب ، لا يدوم ، ولا يكتب له البقاء مهما بذل قادته من جهد ومهما استخدم رجاله من أسلحة ، كما أن كل القوى ، التى تنكل دائما بالشعوب وان حققت فى البداية بعض الانتصارات لابد وأن تدوسها الشعوب ــ فى النهاية بالأقدام .

● ولقد أردت أيضا التأكيد ـ ولو أن الأمر ، للمرة الأخيرة ليس بحاجة أبدا الى تأكيد ـ على أن تاريخنا الوطني ملىء بالشخصيات التاريخية الفذة التى تتحمل الضغط والارهاب دون أن تلين لها قناة ودون أن تستطيع القوة الغاشمة مهما بذلت من جهـود ومهما ارتكبت من جرائم أن تجعـل تلك الشخصيات التاريخية تحنى هاماتها : عبد الرحمن عزام ، ذلك الذى شارك فى حمل لواء القومية العربية فى مصر ، فى أواخر العشرينات واجه اسماعيل صدقى الطاغية الجبار ، بكل قوة ، وقال فيه كل ما يمكن أن يقال فى دكتاتور عنيف عنيـد ، يعادى الشعب الى أبعد حدود المعاداة ، حمد الباسل ، الشيخ الوقور الذى لم يخش السجن أو الاعتقال وآثر أن يهدم بيته على من فيه على أن يتنازل عن رأى ارتآه ، أحمد شوقى ، خليل مطران ، كل هؤلاء ، كانوا يعرفون جيـدا ، علاقة اسماعيل صدقى الوطيدة ، بالاستعماريين الايطاليين ، الذين حكموا ليبيا بالحديد والنار ولكن عبقريتهم الفذة أبت ألا أن تؤبن عمر المختـار ، العدو اللدود للاستعمار الايطالى كأجمل ، وأروع ما يكون التأبين .

● وأخيرا ، وليس آخرا أردت من الاسهاب فى الحديث عن موضوع منع تأبين الشهيد العظيم عمر المختار ، طيب الله ثراه ، الدخول فى الحديث عن أكبر جريمة ارتكبها اسماعيل صدقى باشا فى حياته : لقد ارتكب اسماعيل صدقى ، الكثير من الجرائم : وأد الحياة النيابية السليمة ، فرض ـ بالحديد والنار ، على الشعب ـ دستورا جديدا يجعل السلطة كل السلطة للسراى ، والحكومة خادمة السراى، واستخدم البوليس والجيش أشنع استخدام فنكل بالأبرياء من المواطنين: ملأ السجون والمعتقلات بخصومه السياسيين . وبالجملة ، كان عهده كما قالت محكمة النقض والابرام ، برئاسة عبد العزيز فهمى باشا اجراما فى اجرام ، ولكن تبقى جريمة تسليم واحة جغبوب المصرية الى ايطاليا « أشنع » و « أفظع » جرائم دولة اسماعيل صدقى باشا !! وهل هناك أشنع وأفظع من تسليم قطعة غالية من الأرض الغالية الى دولة أجنبية .

الفصل الثالث
تسليم واحة جغبوب

الجريمة الكبرى التى ارتكبها اسماعيل صدقى والتى لا يمكن أبدا أن يغفرها له التاريخ كانت تسليمه واحة جغبوب ، تلك القطعة العزيزة الغالية من أرض مصر ، الى الايطاليين الذين يستعمرون ليبيا ولقد وقعت اتفاقية تسليم واحة جغبوب فى ٦ ديسمبر ١٩٢٥ : وقعتها وزارة زيور باشا ، وزارة انقاذ ما يمكن انقاذه كما سماها زيور باشا نفسه ، أو وزارة اغراق ما يمكن اغراقه ·
كما يقول التاريخ : وقعت تلك الاتفاقية فى غيبة البرلمان فى ٦ ديسمبر ١٩٢٥ ورفضت كل المجالس ، النيابية التصديق على تلك الاتفاقية الى أن جاء برلمان اسماعيل صدقى ، فصدق عليها فى يونيو ١٩٣٢ ··
كل ذلك على النحو التالى :

***

سبق أن أشرت الى أكبر خطيئة ارتكبها اسماعيل صدقى باشا ونظامه بالتصديق على اتفاقية تسليم واحة جغبوب ، وذلك فى يونية ١٩٣٢ واتفاقية تسليم واحة جغبوب وقعتها وزارة زيور باشا فى ٦ ديسمبر ١٩٢٥ ، وقصة التنازع عن واحة جغبوب تصلح فى حد ذاتها أن تكون موضوع دراسة مستقلة لأنها فعلا قصة مثيرة باعتبارها نموذجا لاستهتار الحكام ، بشعوبهم ، ولمغالاة هؤلاء الحكام فى استرضاء سادتهم من المستعمرين ، واحة جغبوب ، أرض مصرية بحتة تعتبر واحدة من مجموعة واحات سيوة على مسيرة ٢١٣ كيلو مترا من جنوب غربى السلوم ، ١٢٠ كيلو مترا شمال غربى سيوة وقد كانت ايطاليا تستعمر برقة ، وطرابلس ، بينما بريطانيا تستعمر مصر ، وكانت ايطاليا على علاقة طيبة ببريطانيا ، وكانت بريطانيا تريد أن تجامل ايطاليا ، على حساب مصر ، فاذا بها توحى للحكام المصريين بأن يتنازلوا عن تلك الواحة ذات الأهمية الاستراتيجية لايطاليا ، ولكن الحكام المصريين ، الذين حكموا مصر بعد نهاية الحرب العالمية الأولى قد رفضوا جميعا التنازل عن تلك الواحة ، رغم الحاح

الفصل الثالث

تسليم واحة جغبوب

الجريمة الكبرى التى ارتكبها اسماعيل صدقى والتى لا يمكن أبدا أن يغفرها له التاريخ كانت تسليمه واحة جغبوب ، تلك القطعة العزيزة الغالية من أرض مصر ، الى الايطاليين الذين يستعمرون ليبيا ولقد وقعت اتفاقية تسليم واحة جغبوب فى ٦ ديسمبر ١٩٢٥ : وقعتها وزارة زيور باشا ، وزارة انقاذ ما يمكن انقاذه كما سماها زيور باشا نفسه ، أو وزارة اغراق ما يمكن اغراقه ·
كما يقول التاريخ : وقعت تلك الاتفاقية فى غيبة البرلمان فى ٦ ديسمبر ١٩٢٥ ورفضت كل المجالس ، النيابيه التصديق على تلك الاتفاقية الى أن جاء برلمان اسماعيل صدقى ، فصدق عليها فى يونيو ١٩٣٢ ··
كل ذلك على النحو التالى :

***

سبق أن أشرت الى أكبر خطيئة ارتكبها اسماعيل صدقى باشا ونظامه بالتصديق على اتفاقية تسليم واحة جغبوب ، وذلك فى يونية ١٩٣٢ واتفاقية تسليم واحة جغبوب وقعتها وزارة زيور باشا فى ٦ ديسمبر ١٩٢٥ ، وقصة التنازع عن واحة جغبوب تصلح فى حد ذاتها أن تكون موضوع دراسة مستقلة لأنها فعلا قصة مثيرة باعتبارها نموذجا لاستهتار الحكام ، بشعوبهم ، ولمغالاة هؤلاء الحكام فى استرضاء سادتهم من المستعمرين ، واحة جغبوب ، أرض مصرية بحتة تعتبر واحدة من مجموعة واحات سيوة على مسيرة ٢١٣ كيلو مترا من جنوب غربى السلوم ، ١٢٠ كيلو مترا شمال غربى سيوة وقد كانت ايطاليا تستعمر برقة ، وطرابلس ، بينما بريطانيا تستعمر مصر ، وكانت ايطاليا على علاقة طيبة ببريطانيا ، وكانت بريطانيا تريد أن تجامل ايطاليا ، على حساب مصر ، فاذا بهـا توحى للحكام المصريين بأن يتنازلوا عن تلك الواحـة ذات الأهميـة الاستراتيجية لايطاليا ، ولكن الحكام المصريين ، الذين حكموا مصر بعد نهاية الحرب العالمية الأولى قد رفضوا جميعا التنازل عن تلك الواحة ، رغم الحاح

بهؤلاء الوزراء واستهانتهم بالأمة وحقوقها أن يقدموا على ارتكاب جريمة تجزئة ملك الدولة بالتخلي عن جغبوب والدستور الذي يتبجحون بأنهم يعملون بأحكامه ينص صراحة على أن ملك الدولة لا يجزأ ولا ينزل عن شيء منه » .

***

والجدير بالذكر أن مفاوضات تسليم واحة جغبوب ، كانت تتم في سرية تامة وكانت الصحف الوطنية تنادي باستمرار بالكشف عما يجري في تلك المفاوضات . ومن بين ما كتبه الأستاذ أمين الرافعي حول هذا الموضوع مقال بعنوان حول مشكلة جغبوب بتاريخ ١٧ مايو ١٩٢٥ أشار فيه الى ما تكتبه الصحف البريطانية عن واحة جغبوب ومن بينها ما كتبته صحيفة الديلي تلجراف التي قالت ان ايطاليا أرسلت الى الحكومة المصرية مذكرة جديدة تلح فيها بلطف « ألا تتأخر المسألة الخاصة بجغبوب ، أكثر مما تأخرت » ، كما أشار الأستاذ أمين الرافعي الى ما جاء على لسان مراسل جريدة المقطم في لندن من أن بعض الوزراء المصريين يظهرون روح الاعتدال في مسألة جغبوب بينما لا يزال الوزراء الآخرون وفي جملتهم بعض كبار أصحاب النفوذ السياسي الذين هم خارج الوزارة يظهرون العناد ويقيمون العقبات .

***

وكانت المقطم قد سبق لها أن نشرت قبل نشر ذلك الذي جاء على لسان مندوبها في لندن أن آراء حضرات الوزراء ، غير متفقة حتى الآن في مسألة الواحة المذكورة . وان هناك فريقا منهم يرى رأى اللجنة تماما ويتمسك باحتفاظ مصر بواحة جغبوب ، ومعنى هذا أن الفريق الآخر لا يرى هذا الرأي ولا يتمسك باحتفاظ مصر بواحة جغبوب » ويقول الأستاذ أمين الرافعي : ان جغبوب أرض مصرية وقد أجمعت اللجنة الحربية التي أوفدتها الوزارة لوضع تقريرها عن المسألة على أن هذه الواحة ضرورية لمصر ضرورة قصوى لأنها خير نقطة دفاعية من الوجه العسكرية للمملكة المصرية على حدودنا الغربية ، ويكتب أمين الرافعي مقالا آخر — في جريدتي اللواء والأخبار وكانتا قد امتزجتا معا — في ٣٠ — ٥ — ٢٥ تحت عنوان « غموض موقف الوزارة في مشكلة جغبوب » قال فيه لا تزال سياسة الوزارة غامضة فيما يتعلق بمشكلة جغبوب وقد بدأ هذا الغموض منذ أذاعت الصحف أن هناك خلافا بين الوزراء ، في صدد هذه المشكلة ففريق يتمسك بواحة جغبوب وفاقا لرأى اللجنة العسكرية التي انتدبت للقيام بهذه المهمة ، وفريق لا يرى هذا الرأي : طلبنا وطلب غيرنا تكذيب هذه الاشاعة اذا كانت غير صحيحة فلم تحاول الحكومة أن تقول كلمة في هذا الموضوع فجاء سكوتها مريبا لأنه لا معنى للسكوت في مثل هذه المواقف ذات الشأن على أن

هذا السكوت قد أعقبه نشر نبأ اذا صح ، كان في غاية الخطورة فقد نشرت جريدة ديلي ميل مقالا ، لمكاتبها السياسي عن المفاوضات بين مصر ، وايطاليا بشأن مسألة جغبوب قال فيه ما يلي : علمت أن حكومة القاهرة أعربت الآن عن رغبتها مبدئيا في الاعتراف بحق ايطاليا في واحة جغبوب ولكنها لا تزال تأبى البحث فليست مستعدة لقبول أساس آخر للمفاوضة غير هذا الاتفاق ، لأنه الوحيد الذي له قيمة قانونية نظرا لموافقة بريطانيا عليه » : هذا ما نشرته جريدة الديلي تلجراف وقد قابلته الوزارة المصرية بالصمت ، وهو صمت مريب حقا يحمل على الظن بأن الرواية صحيحة وهنا الطامة الكبرى لأن معنى صحة الرواية ان العنصر الذي كان يقول بعدم التمسك بجغبوب قد تغلب على العنصر الآخر فأصبحت الوزارة كلها تدين برأي الاعتراف بحق ايطاليا في جغبوب ولا ندري كيف تعترف الوزارة بمثل هذا الحق المزعوم ، في حين أن ايطاليا لا تملكه فان جغبوب مصرية بحتة والدليل على مصريتها مستفاد من نفس اعتراف الحكومة الايطالية فاعتراف الوزارة المصرية المبدئي بحق ايطاليا على جغبوب يعد خطأ سياسيا شنيعا كنا نظن أن الوزارة لا تقع فيه ولا سيما وهي تعلم أنها لا تستند في عملها الى أية هيئة برلمانية فليس لها أن تعترف بحقوق للأجنبي وليس لها أن تتنازل عن أي شبر من الأراضي المصرية .

أما ما تقوله الديلي تلجراف من أن الحكومة المصرية غير راضية عن العوض الذي تأخذه في مقابل جغبوب فهذا أمر لا يقدم ولا يؤخر ما دامت قد قبلت التنازل عن الأراضي المصرية أضف الى ذلك أنه ما دامت الوزارة قد قبلت العمل بسياسة التساهل فان هذا من شأنه أن يغري الحكومة الايطالية بالتشدد ، هذه الحكومة تطمع في أن تتساهل الحكومة المصرية الى آخر حد اذ المعروف أن من يفتح باب التساهل ، والمساومة في حقوق البلاد لا يعرف كيف يقف عند حد خاص . وبالجملة فان رواية الديلي تلجراف عن تساهل الوزارة المصرية اذا صحت كان من شأنها أن تزعج الأمة المصرية وتقلق بالها ، على أراضيها وسلامة حدودها فان هذه الأمة تعلم علم اليقين أن هناك لجنة عسكرية قررت أن واحة جغبوب ضرورية لأمن الحدود فكيف تقدم الوزارة على التخلي عن هذه الواحة مع وجود هذا القرار الأخير : الأمة لها الحق في أن تعرف موقف الوزارة في هذه المسألة الخطيرة فعلى الوزارة أن تتكلم ..

ولم تتكلم الوزارة لأنها كانت تعمل في السر على فصل واحة جغبوب عن مصر الى أن حققت لايطاليا ما أرادته في ٦ ديسمبر ١٩٢٥ والغريب بل المريب ، أن اسماعيل صدقي يدافع عن سياسته في هذا التسليم ويعيب على الأحزاب المصرية أنها صورت الاتفاق بصورة سوداء كعادتها ولسنا ندري كيف كان يمكن للأحزاب المصرية أن تسكت على تسليم قطعة عزيزة غالية من أرض مصر » .

وحول موضوع واحة جغبوب يقول د. محمد حسين هيكل فى مذكراته : ان الناس لمشغولون بالحزب الجديد « حزب الاتحاد » وبالتحقيق فى مقتل السردار اذ جد فى الأفق السياسى ، ما استرعى الانتباه ، ذلك أن ايطاليا فكرت فى ضم واحة جغبوب اليها : وجغبوب بلد صغير واقع على حدود مصر الغربية بينها وبين برقة وجغبوب مقر السادة السنوسية المعترف لهم بالرياسة الدينية فى هذا الركن من العالم ، وكان تفكير ايطاليا فى ضم جغبوب مستندا الى اتفاق تم بينها وبين انجلترا أثناء الحرب ، حين أرادت انجلترا اخراجها من حيادها ، وخروجها على مخالفتها مع ألمانيا ، وانضمامها الى الحلفاء (انجلترا وفرنسا) وكان هذا الاتفاق مشهورا باسم اللذين وقعاه ، لورد ملنر وزير المستعمرات البريطانية والسنيور شالوبا ، وكان طبيعيا أن تحترم انجلترا توقيعها على الاتفاق المذكور ، وأن تطلب الى الحكومة المصرية احترامه وكان قيام وزارة زيور باشا مما شجع ايطاليا على المطالبة بتنفيذه وشجع انجلترا على الضغط على الحكومة المصرية لتحترم تعهدا عقد حين كانت الحماية البريطانية مفروضة على مصر وكانت انجلترا لذلك تتحدث فى الشئون الخارجية باسم مصر

وقد لقى هذا الطلب الايطالى تبرما من جانب الشعب المصرى لكن ذلك لم يمنع من تأليف لجنة برياسة اسماعيل صدقى تولت المفاوضة مع السلطات الايطالية ، وقد كان هذا الاتفاق من أسباب عدم الرضى عن تصرفات وزارة زيور وأذاعت أن الايطاليين قدموا الأسانيد الوثيقة على أن جغبوب تقع فى برقة لا فى مصر ، لكنهم أرادوا مع ذلك أن يقنعوا الشعب المصرى بأنهم لم يذهبوا ليوقعوا اتفاقا مفروضا بل تفاوضوا وحصلوا على بدل عن جغبوب . وقد كان هذا الاتفاق من أسباب عدم الرضى عن تصرفات وزارة زيور باشا لما كان ينطوى عليه من تنازل عن جزء من أرض مصر فقد وجب عرضه على البرلمان لاقراره وتم العرض بعد أكثر من سنة من هذا التاريخ على ان البرلمان لم ينظر الاتفاق الى اليوم الذى أكتب فيه هذه المذكرات ، أى الى ما بعد أربع وعشرين سنة ، من عقده وتوقيعه .

وفى هذه النقطة يختلف د. هيكل مع الأستاذ عبد الرحمن الرافعى : د. هيكل يقول انه حتى عام ١٩٥٠ ، لم يصدق البرلمان على اتفاقية جغبوب بينما الأستاذ الرافعى يقول أن برلمان صدقى ، قد صدق على هذه الاتفاقية فى يونيو ١٩٣٢ ، وسواء صدق برلمان صدقى ، على الاتفاقية ، أم لم يصدق فانها بلا جدال أو شك ، اتفاقية باطلة بطلانا مطلقا ، لأن أى برلمان لا يمتلك — حتى ولو كان برلمانا شرعيا — وبرلمان اسماعيل صدقى هو بلا جدال أو شك برلمان غير شرعى — التنازل عن شبر واحد من الأرض !

وللعلم فان لنا فى هذه السلسلة دراسة متكاملة عن واحد جغبوب المصرية دائما .

الفصل الرابع

بالكلمة والنكتة والشعر والزجل حارب شعب مصر دكتاتورية اسماعيل صدقى

وبعد الحديث عن جريمة تسليم واحة جغبوب ننتقل الى صورة من صور محاربة الشعب لنظام اسماعيل صدقى بكل صور المحاربة ، ومن بين الأسلحة القوية التى نجحت فى هدم نظام اسماعيل صدقى ، الكلمة ، النكتة ، الشعر ، الزجل ، وقد سبق أن أشرنا الى دور الكلمة فى محاربة دكتاتورية اسماعيل صدقى ودور اسماعيل صدقى فى محاربة الكلمة الوطنية الشريفة كما سبق أن أشرنا ــ ولو بايجاز شديد ــ الى دور الشعر ، حيث كان الشعراء ، الوطنيون يقومون بدورهم الوطنى الخطير فى مقاومة ديكتاتوريته كان الشعب ــ فى نفس الوقت يعتز بدور الشعر ، والشعراء ، فيحفظ القصائد الوطنية باعتبارها ثروة وطنية قومية وفى هذه الحلقة نشير الى دور الزجل وقد اخترنا نماذج للأزجال الوطنية التى كان لها دورها الهام والخطير فى زعزعة النظام الصدقى بعض الأزجال ، التى تخصصت فى نشرها مجلة روز اليوسف ، وكانت غالبيتها، ان لم تكن كلها للدكتور سعيد عبده ، وان كان لا يوقع عادة تلك الأزجال . من بين تلك الأزجال زجل بعنوان أخبار معاهدتنا ·

يقول صدقى باشا

آدى المريض شوف لى مغصه ايه واسهاله
واكشف على بطنه يا دكتور وقيسها له
كانت مصارينه خفت ايه نكسها له
طمنى وحياة عينيك الا أنا خايف
خيبة أملنا يكون واحد فقسها له

ويقول الطبيب :

كلتش سمك في العشا . امبارح يكون فايت
أو دستيتين جنبرى من الجنبرى البايت
طلع لسانك كده ، واسكت بلاش عايط
مايكونش دا برد من طل الصباح لفعلك
على كوبرى بنها الجديد وانت عليه فايت

***

ويقول ابراهيم باشا فهمى « المريض »
أحلف ماكلت السمك شهرين ولا دقته
ولا الهوى طالنى عالكوبرى ولا طلته
دا المغص ده بس من يوم التلات شفته
يا دوب قريت فى الصحف أخبار معاهدتنا
ولقيت طحالى انفلت منى وما لحقته

***

خطاب من صـــدقي باشا الى سير برسى لورين المندوب السامى البريطانى »

حضرة جنـــاب المحترم ســـير برسى   اللى ســـندنى ٣ ســـنين عالكرسى
بعـــد التحيـــة والســـلام الطيب   والبوسه رطل عليك لوخدك ترسى
طال البعاد والبعـــد أثر فيـــه   والبر فى غياب حضرتك ضاق بيه
من يوم جنابك ما ســـافرت للندن   تمضى الورق فى المـــحكمة الشرعية
ماله فضيلة جون سيمون القـــاضى   متقصدك فى التركة دى ومش راضى
يعطيك نصيبك واللى نابك منها   وتعود ونســـــتأنف هوانا المـــاضى
دا الحق زى الشمس جنبـــك باين   والتركة لك ما بين بيـــوت وجناين
وان كان لازم لك كام شاهد أنا واحد   وأبو زر عنده سبل الجمل يا زباين
اخلص بقى وامضى الورق وتعـــالى   وامسك بمعرفتـــك زمام الحـــالة
لا البخت مال الحزب من أوجاعه   أصبح لازم له ممرضـــــة ونقالة
وتعـــالى الا تفـــلت أعصـــــالى   امضى الورق واشـــفق بأه على حالى
ياكودى من دنيا يا رســـــــالى   يا ضلى يوم الشمس ما تحمى لى

محبكم صدقى

***

ومن هذه الأزجال أيضا زجل بعنوان : « تركت الآل علشانك » وتحت العنوان الكلمة التالية : أشيع فى الأسبوع الماضى نبأ عزم « سير جون سيمون »

وزير خارجية انجلترا على الاستقالة ، جاء فى الزجل على لسان صدقى باشا :

استنى لما أقول لك كلمة فى ودانك
استنى حالى عدم من كتر هجرانك
استنى مغرم بطول العمر ما خانك
استنى ياللى الدلال ولاك على قلبى
استنى ياللى تركت الال على شانك

ويرد سير جون سيمون :

يا باشا اتعب بقى م الجرى واعتقنى
وان كان بناتنا جواز أبريك وطلقنى
دنا – يا سايم – جربى منك رح يطقنى
مفاوضة بون – لسه عايز أيه منيش فاهم
ماقدرش أدحك جميع الناس على دقنى
بقول لك اتعب بأه واشفق على حالك
وبلاش تحنجيل دفال الله ولا فالك
واحد ، تلاتة ، أربعة عشرة اتناشر : بالك
ان قلت عشرين ولسه برده ماوقعتش
أنا حاستقيل م الوزارة دى وسيبهالك

★★★

ومن هذه الأزجال أيضا زجل بعنوان على الأرغول : صدقى باشا يستيقظ

الأوله آه
والتانية آه
والتالتة آه
الأولة موجة حب فى الحلم شالتنى

★★★

والتانية ايه من ايادى العز رفعتنى

★★★

والتالتة ريح من رياح الأرض هزتنى

★★★

والأولة موجة حب فى الحلم شالتنى
ثلاث سنوات وقالت هيص

★★★

والثانية ايد من ايادى العز رفعتنى
ثلاث درجات ، على بلاليص

★★★

والثالثة ريح من رياح الأرض هزتنى
ثلاث هزات ، نزلت فطيس

★★★

الأولة « برسى » دلعنى وهنانى وراح ولا جاش ،

★★★

والثانية « لبراشي » هشكنى ومنانى : آه التناش

★★★

والثالثة ، جانى غراب البين وصحانى : وياريته انحاش

★★★

الأولة آه حبالى كلها دابت
والثانية راسى من حمل الهموم شابت
والثالثة آه نجمتى السحاب غابت

★★★

ومن الأزجال أيضا زجل تحت عنوان : « اجتماع مؤثر » اجتمع حزبا الشعب والاتحاد على أثر نقل المندوب السامى ، من مصر ، لتبادل العزاء

الدنيـــا القـــلابة — الفـــانية الكـــدابة
يقطعهـــا بوشـــين — من بعـد ابتسامتهـــا
انقلبـت ســــحنتها — فى طـــرف دقيقتـــين
والهيئـــة الشــــعبية — وأمتهـــا الاتحـــادية
اجتمعـــوا الاتنـــين — مقلولـــين الراحـــة
فى ميتـــم ومنـــاحه — عا السير برسي لـورين
شيء يصـــعب على الكـــافر — لمـا الخفـة يســـافر

ولا بوس ولا توديع — ويفوت كده عشاقه
وقلوبهم لفراقه — تتمزع تمزيع ،
والدمع يبللهم — ويغرق مناديلهم
وتفيض به البلاليع ، — ويروح عز امبارح ،
زى الحلم السارح — فى لحظة ويضيع
واحد من خطباهم : — قال كلمة وواساهم
فيها بصبر أيوب — وقعد يشرح ساعة
فى التسليم والطاعة — للقضا والمكتوب
والسامعين : دايسخسخ — واللى جنبه مرخرخ
والسامر مقلوب — والحكما ملمومة
والاسعاف ملخومة — فى حبايب المندوب
والآخر يواسيهم — خدوا بخاطر بعضيهم
فى اليوم المكروه — وقروا الفاتحة جميعا
عالى جى سريعا — يمشى بمبدأ أخوه
ويحسن ويتعطف : — ويرق ، ويتلطف
مالا العقل يتوه — يا الهى تصبرهم
عالنار وتدبرهم — فى الغلب اللى شافوه

وننقل فقرات من الأزجال الوطنية التى كانت مجلة روزاليوسف قد تخصصت فى نشرها بدون توقيعات من أصحابها وان كان الغالب انها كلها أو معظمها للدكتور سعيد عبده الذى كان عمله الحكومى يمنعه من الاشتغال بالسياسة ومن الاتصال بالصحف وخاصة الصحف المعارضة .

فى العدد رقم ٢٥٤ من الزميلة روزاليوسف ورد الزجل التالى فى صورة حوار بين صدقى باشا وعلى ماهر باشا ، والمصرى أفندى .

★★★

يقول صدقى باشا :

حكم البدارى قلق نومى وهيجنى
للمسئولية العظيمة ليه بتحوجنى
بقى تزرعوا الشوك بأعمالكم وأنا أجنى
لازم ندقق ، ونعمل شغل رجالة
دى قنبلة فى البلد صوتها بيزعجنى

★★★

ويقول علي ماهر باشا :

رجالك اللي تعبنا من مظالمهم
أسأل رجال الادارة عن جرائمهم
مأمور وضابط وأمباشي انت فاهمهم
شغلو القضا والنيابة وعذبوا في الناس
وانت اللي مسئول وطول عمرك تسالمهم

ويرد المصري أفندي بقوله :

خليه يحاسبك وحاسبه واحنا نتفرج
وخش له في الضيق ياعم واتدرج
توبه البوليس في التهم عالقد ومسرج
خلي الضمير يتشفى ويحاسب أصحابه
ويسأل اللي على بيت سعدنا حرج

★★★

وحول ترقيع وزارة اسماعيل صدقي واخراج علي ماهر ومن والاه من الوزارة ، على النحو الذي أوضحناه من قبل ، وادخال وزراء جدد جاء في زجل يحمل العنوان التالي « مهما ترقع » على لسان صدقي باشا :

طول حكمنا والادارة زي ماهية
قايمة بتنفيذ أوامرنا الادارية
والحالة ماشية تمام ، والجرة مخفية
فضحتنا يا للا فارقنا وشوف غيرنا
بلا بداري ، بلا بيانات وزارية

★★★

ويرد علي ماهر :

احنا سبقنا وفتنا الكرسي عقبالك
سقطنا قبلك وبكره السقطة جايالك
راح الكابوس بس امته راح يروق بالك
رقع وزارتك وهات ، واملا كراسيها
مهما ترقع محال الحكم يبقى لك
وداع ياكرسي ادحنا بخطرنا فتناك
راحة ضميرنا تساوي ألف كرسي معاك
وياللي بتقول مافيش أزمة وهيا وراك
الأزمة لابساك ، يا باشا وانت لابسها

أكلة وشاربة وماشية كل يوم وياك

★★★

وحول تمنيات ليلة القدر يقول وزراء اسماعيل صدقي .

يا ليلة القدر يا أحسن ليالينا
نطلب من الله نبقى فى كراسينا
وبرضه تيجى السنة الجاية ونفرح بك
فى الحتة دى زى ما تروحى تلاقينا
خلى الوزارة يارب ومصر تهواها
حنن علينا القلوب اللى جرحناها
وأوصل حبال المعارضة بعد تقطيعها
احسن تروح المعاهدة واحنا وياها

★★★

ويرد جون بول :

انا اللى تظهر لى ليلة القدر بوجودكم
واخد اللقمة بعد اللقمة من ايدكم
بعد البدارى وبعد كده « تسانا »
ليه الدعا بس : ليلة القدر ما تفيدكم

وحول حادث ، الحصاينة الذى سبق أن أشرنا اليه ومصرع بعض المواطنين بأيدى رجال البوليس يقول وزير الداخلية بالنيابة مخاطبا مدير الدقهلية التى تقع بلدة الحصاينة فى زمامها :

★★★

مالك مخضب ايديك مالك محنيهم
يا هلترى بشرى والا حبر دافيهم
دا دم انت جريح الحق وداويهم
من اللى سماء الحكومة فيك ومين وياه
خلينى أطعم ديدان الأرض دى بيهم

★★★

ويقول مدير الدقهلية :

دا دم ناس ، اعتدوا ع الحكم ونظامه

عصوا ، أمانى المدير فيهم وأحلامه
اياك بقى ترضوا عنى زى مارضيتم
عند البدارى . ومدير أسيوط وأقلامه

***

وعندما أقام وزير الخارجية وليمة « لفخامة » المندوب السامى البريطانى سيربرسى لورين » بمناسبة سفره الى انجلترا جاء على لسان الوزير :

غلبنى فيك الهوى ياما الهوى قاسى
موش قادرأشرح سرورى لك وايناسى
يا ضلى يوم ما تحمى الشمس فوق راسى
جعلت ليل الغلابة بقدومك أبيض
البى ما تشوف وحش طول ما انت موش ناسى
لا زمشى حاجة تكون يمكن ، لها كاتم
قول لى عليها ونا فى خنصرك خاتم
وأمر البى كما لبى زمان حاتم
بس أوعى تغفل جنابك يوم عن الدفة
الا فى بحر الحياد الموج بيتلاطم

***

وعندما ذهب اسماعيل صدقى ، للعلاج فى الخارج وناب عنه محمد شفيق باشا يقف شفيق باشا - فى الزجل طبعا - أمام دار المندوب السامى البريطانى يقول :

***

يا هوه أنا ف عرضكم واحد يطمننى
أنا من الخوف فى راسى برج طار منى
سير برسى سافر وسابنى ما سأل عنى
والباشا ، لبراشى حاجبه يغيب ويلعب لى
كأنه جزار لأمر الدبح مستنى
حتى ابراهيم فهمى يسأل عن مصارينه
لعن لى خاش العباد والمغص وسنينه
يانايبة الشوم ، وحطت ع اللى كارهينه
قال أيه بقى له ثلاث أيام ماينامشى
والعجل لما يقع تكتر سكاكينه

ما تردوا ، ما تقولوا خلونى أهياكم
جاش م الحبايب خبر ع الصب ترياءكم
ماتنشفوش ريقى داهية تنشف أرياقكم
ماكنا أصحاب زمان مين دا اللى نساكم
ورد المحبين واساكم ونياكم !

★★★

ويخاطب علام باشا الوزير الأول اسماعيل صدقى بعد أن اختاره صدقى باشا لوزارة الزراعة ، يقول :

فضلت يا باشا بالآمال تمنينى
وتمدلى الحبل استقرب تعدينى
حتى انطفا شمعنا جاى تهادينى
قال بالزراعة : زراعة أيه دنا عينى
على بال ماشفتك يانور اتمققت عينى

★★★

وعندما استقبل « مجلس نواب صدقى باشا » صدقى باشا نفسه بتحية طلع القمر جاءت دولة الزجل تترجم هذه التحية على لسان توفيق رفعت باشا :

★★★

طول ماانت بدر فى جنح الدجى غايب
العين بتبكى وقلب المجلسين دايب
والجسم مصلوب ومن تحت الركب سايب
دارى العيون ياقمر ، لا اللحظ يجرحنا
ما تبقى من الصبوة « شيخ » منا ولا « نايب »
لولا قانون السلاح فينا وتهديده
الى يشيل السلاح أو يمسكه بايده
ولولا الصعب يابن الناس تجديده
كان كل نايب مسك لك ياقمر مطوه
ولما هليت قطع ساعة رآك ايده

★★★

ويرد صدقى باشا بقوله :
أنا كنت ديك النهار « هتلر » مدابحكم

أصبحت فيكم قمر باللحظ يجرحكم
كفاية القلب بأه ياناس وعاودوني
وبلؤلؤ ، الفم وبورد الخدود بحكم
وبلاش فضايح ياهوه الله لايفضحكم

***

وهكذا تستمر دولة الزجل في مهاجمة دكتاتورية اسماعيل صدقي دون أن ترحم الرجل أو ترحم نظامه : حتى عندما أوشكت نهاية النظام على الاقتراب لم تتخل دولة الزجل ، عن مهاجمته : يعود صدقي باشا من الخارج ومعه علام باشا في باخرة واحدة وقد اقتربت نهاية النظام دون أن يدري صاحبه يقول صدقي باشا مخاطبا علام باشا :

حوش الدموع عن عنيك لا الدمع دبلهم
وارخي جفونك كمان سنتي وسبلهم
واضحك ورن الشفف حبه وبلهم
كأن فم الحبيب توك مقبلهم
قربنا نرسي خلاص يا باشا والأحسن
نطمن الحزب ، والعزال نخبلهم

***

ويقول علام باشا :
اضحك على الخيبة ولا اضحك على المحنة
ولا على البومة ، اللي عششت ريحنا
بعد الزمن ما صالحنا واتعدل ريحنا
سيبني أعدد وأفضفض من تباريحنا
ما اعرفش اضحك وسن الرمح جارحنا

***

ويقول اسماعيل صدقي :
اخيه عليك في سياستك دي وتدبيرك
الحزم تضحك ، ولو أكل الزمن خيرك
وتنضرب تعمل ان الضرب في غيرك
ويبقى الخزوق طول كده وتنشد مزاميرك
ويقول : « من القوة أخذ الدم موصوف لي »
او تطرش الدم من طيقان مناخيرك

ويجرى - في الزجل - حوار ممتع بين إسماعيل صدقي باشا وعدوه اللدود ، الابراشي باشا كما يجرى بين الذئب والحمل يقول صدقي باشا :

عطشان يا باشا وطالعه م العطش عيني
والعرقسوس دا شفا اسمع وداويني
واكسب ثوابي وهات السطل واسقيني
أنا ذنبي أيه لما تسقى الناس وتحرمني
وانا اللى فضالة خمير السطل ترويني

★★★

ويقول الأبراشي باشا :
ذنبك وقوفك على نبعى وتعكيره
واخوك كمان كان شتمني مرة في التيرو
وحك لي بصباعه فوق عضمة مناخيرو
ماتقولش لأ ، دى حاجات مكتوبة في أوراق
اشرب من البحر روح ما ينفعك غيره !

★★★

ويرد صدقي باشا قائلا :
آمنت بالله خلاص الجدى طاب لحمه
والجزارين بصبصواله واستوى شحمه
وانحط له الذئب في باب المندرة يزاحمه
يا رحمة الله ، بحق السيدة زينب
خلى الكانون ناره هادية وقلل فحمه

★★★

وقبل أن تنتهى دكتاتورية اسماعيل صدقي بساعات وبينما البحث جار عمن يخلف « الميت » قبل أن يعلن نبأ الوفاة رسميا ويجيء كبار القوم على ماهر باشا ،حمد الباسل باشا وغيرهما ، وغيرهما ليكونوا تحت الطلب في الساعة المناسبة ، ساعة تشكيل الوزارة الجديدة ، يخاطب بعض هؤلاء العائدين الأبراشي باشا ، الذى كان يحرك من قبل السراى كل الخيوط بأصابعه قائلين :

عملنا أيه فيك مقابل عملتك فينا
لما من الفرش في باريس تصحينا
وتبيت المنة ياولده ، على ادينا
وتبيع لنا وقة الآمال بتعريفة

وليجى نلقى مناحة مطرح الزينة
الله يسامحك يا كاهن يا مجرحنا ،
يا مشمت الجار فى خيبتنا وجار جارنا

★★★

ويقول الأبراشى باشا مشيرا الى رسم ، لصدقى باشا وهو جالس على كرسى الوزارة مترنحا :

بلاش بكا يا جدع واسكت بلا نيله
عايزين تهدوا بناية العمر فى ليلة
خلوه ياخد لو كمان فى الكرسى تعسيله
لا الشيلة كانت عليه - حارسه النبى - ثقيلة
كل الحكاية يومين . والجمر يتوهوج
يرمى اللى لازق فى قعر الدست بالتيلة !

★★★

ويعود الأمل الى صدقى باشا من جديد فى صورة حكاية القط . والفيران . يقول اسماعيل صدقى بعد أن خيل اليه أن الأزمة قد انتهت :

زفوا البشاير للنادى يا أولادى
أهى جت سليمة المرادى من غير مصاريف
والنصر جانا بتقيله وباكليله !
والسبع جبناه من ديله ، يالطيف يالطيف
حاكم رئيسكم واد راسى ، كده وسياسى
والمكر فيه بند أساسى من صنف نضيف
كانوا الفيران فى دولتهم وف صولتهم
القط عكر ميتهم الله يجازيه
اتلم مجلس وزراهم على كبراهم
وسنكروا الجحر وراهم الا يخطيه ،
ووقف خطيبهم ع المنبر ، الله ، آكبر
كأنه جوز خالة عنتر ، ابن الايه
ونادى فى صوت حيانى ، يا اخوانى
عندى اقتراح ماأوش تانى عملى ووجيه
القط توضع فى رقبته جنب صنمته
جرس اذا خطى عتبته اسم الله عليه
نسمع رنين صوته نهرب قول نتكهرب

ونبط للجحر الاقرب نتحصن فيه
هتفوا الجميع للفكرة دي وقالم آدى
مافيش صحيح فى الحتا دى الا انته يابيه
ماتيجوا نحتال حيلتهم ، على قطتهم
ونجرى تشخيص روايتهم فى « الباشا » اياه
نحط فى رقبته جلاجل ، شبه مناحل ،
ونخلى حسبة كام راجل يستنوا وراه
يبقى ان مشى ولا اتكلم ، ولا سلم
على حد فى ركن السلم نعرف نواياه

★★★

ويقول شفيق باشا :
الفكرة دى مش بطالة ، يا رجالة
فيها ضمانة للحالة ودوام الجاه
بس الجلاجل دول عيبهم ، فى تركيبهم ،
من فيكو اللى يركبهم ونازوح وياه !

★★★

وفى العدد ، الذى تعلن فيه روزاليوسف خروج التابعى من سجنه بعد أن قضى أربعة أشهر فى سبيل الصحافة والمبدأ ، تكون آخر الأزجال الموجهة الى صدقى باشا بصفته رئيسا للوزارة فى صورة حوار بينه وبين عدوه اللدود الأبراشى باشا يقول الأبراشى باشا مخاطبا صدقى باشا الذى ارتدى ملابس طباخ :

ريحة شياط يا أخى من الحلل فايحة
الصلصة جت وحشة ولا السمنة جت سايحة
ولا خالفت القانون يا أسطة واللايحة
فين اليمين يا أخى اللى انت أقسمته
لا الطبخة تطلع عظيمة من ايدك نايحة

★★★

ويقول صدقى :
انت اللى عندك طراوة وحياة « الشاذلى »
دى طبخة يا باشا لا تقولى لى ، ولا تعيدلى
طبخه على شانها حق الشمع يتآدلى

على بال ما غير هدومى الوسخة وحياتك
أغرف ودوق الكباب و « الطورلى » واشهدلى

★★★

وتنتهى دكتاتورية اسماعيل صدقى أما بالاستقالة كما يقول اسماعيل صدقى باشا ، وأما بالاقالة كما يقول غيره ويكون عبد الفتاح يحيى باشا بالخارج ، وتتألف الوزارة فى غيابه ويختار هو لرئاستها ، دون ان يكون له الحق حتى فى اختيار وزرائه ، على النحو الذى جاء فى أول زجل وجه الى عبد الفتاح يحيى باشا كرئيس للوزراء يقول عبد الفتاح يحيى باشا مخاطبا « مؤلف الوزارات » ومحرك خيوطها من وراء ستار زكى الأبراشى باشا : الصورة التى مع الزجل ، الأبراشى بائع بطيخ ، وعبد الفتاح يحيى يشترى البطيخ :

الشمعة ما تتعرفشى الا من ضوئها
اكسر لنا وحدة م البطيخ كده ندوقها
يأخذ على نور ، ياسيبها والثمن فوقها
اما تبيع لى ، على العميانى بطيخك
دى تبقى نيلة على الفاكهة وعلى سوقها ؟

★★★

ويقول زكى الابراشى باشا وهو يمسك واحدة من البطيخات العشر ، التى وضعها على عربته بعدد وزراء وزارة عبد الفتاح يحيى باشا :

آدى العشر بطيخات اللى انت طالبهم
ياتاخدهم العشرة بالجملة على عيبهم
ياتسيبهم العشرة غيرك يستمخ بهم
مكسر مافيش « وزيور باشا » مستعجل
بلاش لكاعة ، حتاخد ولا حتسيبهم

ولا يجد عبد الفتاح يحيى باشا الا الاستسلام فيقول :

أمرى الى الله ما دام الصنف كفراوى
مش بالكتير الخمسة منهم يطلعوا مأوى
معلهش عدانهم فى الأكل سنطاوى
البيعة عال والثمن موش بطال
تأوى البضاعة يا راجل فى السبت تاوى

ونكتفى بهذه الأمثلة لننتقل الى الحديث عن سقوط دولة اسماعيل صدقى باشا ..

الفصل الخامس

وسقطت دولة اسماعيل صدقي باشا

وتقفز الى الأذهان بعض الأسئلة ، التى تتعلق بهذا النظام ، ومكانته بين الأنظمة الدكتاتورية الأخرى ، التى سبقته ، وعاصرته ، وأعقبته كما تتعلق بحياة هذا النظام نفســـه : هل طالت ، أكثر مما يجب بفعل عوامل صــناعية هامة وخطيرة ؟ أم انها انتهت وكان يجب لها ألا تنتهى فى زهــرة الشباب ؟ والذى نستطيع أن نقوله ــ اجمالا ، لا تفصيلا ــ ان دكتاتورية اسماعيل صدقى هى دكتاتورية من نوع خاص ، تختلف فى كثير من الأمور عن دكتاتورية هتلر ، أو موســوليني أو غيرهما من الدكتاتوريين الأقوياء الأشــداء : انها دكتاتورية غير مســتقلة ، دكتاتورية تســتمد قوتها من قــوى أخرى ، ظاهرة أو خفية انها دكتاتورية ذات وجهين : هى قوية عنيفة رهيبة فى مواجهة الشعب ، وهى ضعيفة هزيلة بل مغرقة فى الضعف وفى الهزال فى مواجهة السراى ، ودار المندوب السامى ، ان اسماعيل صدقى ، فيما يتعلق بالشعب ، رجل فظ ، غليظ القلب : يعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، يقفل هذه الصحيفة أو تلك

***

ويرسل هذا الكاتب أو ذاك الى أعماق السجون : يفصل المئات من العمد ، ومشايخ البلاد والموظفين رغــم أنف الدستور الذى صــنعه ورغــم أنف كل اللوائح ، والقوانين : انه يستخدم الجيش والبوليس للقضاء على آية مظاهرة ضده ولا يهمه سقوط المئات من رجال الجيش أو البوليس أو الجمهور ، ولكن صدقى باشا هذا الحاكم القوى الرهيب العنيد ، ضعيف الى أبعد الحدود ، مع رجال السراى ، أن الابراشى باشــا رجــل السراى ، يستطيع أن يحيل ليل اسماعيل صدقى الى نهار ، كما يستطيع ان يحيل نهاره الى ليل ، انه ــ أى الأبراشى ــ قادر على ان يضع العراقيل ، كل العراقيل أمام حكومة اسماعيل

صدقى ، فلا تكاد تتحرك يمنة أو يسرة . ولا تكاد تنتقل خطوة ما لا الى الأمام ولا الى الخلف .

***

وصدقى باشا هـذا الحاكم ، القوى الرهيب العنيد ، يكاد يفيض رقة وعذوبة تجاه دار المندوب السامى البريطانى : انه ينتظر الايام والأسابيع فى انتظار موعد ، مع السير برسى ، لورين ، المندوب السامى البريطانى فى مصر ، وعندما يتحقق الحلم ويأذن المندوب السامى باللقـاء ، يحرص صـدقى باشا ووزراؤه ، على ألا تفوتهم حركة أو سكنة من حـركات المنـدوب السامى ، ان ابتسامته ، تعنى الرضا التام على الوزارة ، وان تكشيرته ، تعنى ان الوزارة مقدمة على أزمة عنيفة لا أحد غير السير برسى لورين يعرف ماذا ستكون نهايتها .

ورغم ان دكتاتورية اسماعيل صدقى باشا كانت قاسية وكانت رهيبة الا انها — وتلك شهادة التاريخ — كانت تسير والى حد ما وفق قواعد ، واضحة جليه وكانت تقف — حقيقة — عند حدود معينة لا تتخطاها : كان اسـماعيل صدقى — وتلك شهادة له — يحترم القضاء فاذا ما أصدر القضاء أمرا بالافراج عن متهم ما لم يبادر — كما يفعل غيره ، من الدكتـاتوريين — الى اعادته الى السجن ، أو اعتقاله ، واذا ما أصدر القضاء مثلا حكمه ضد مصادرة صحيفة معينة أو كتاب معين ، قام ، هو بمصادرته ، نفذ حكم القضاء فور صدوره :

***

ان اسماعيل صدقى لم يفرض دكتاتورية كاملة على كل شىء ، وعلى كل شخص فى مصر . انه لم يصدر مثلا — قرارات بتعطيل كل الصحف التى كانت تهاجمه بقسوة عنيفة بصفة دائمة : انه لم يقبض على كل الذين هاجموه وأسرفوا فى مهاجمته بلا اذن من النيابة أو بلا أمر من القضاء ، ولكن العديد من رجال الادارة والبوليس ، برضاه أو سكوت منه قاموا بارتكاب الكثير من الجرائم ، التى يندى لها الجبين ولكن كم جريمة ارتكبت فى عهد اسماعيل صدقى وكم ضحية سقطت خلال فترة حكم اسماعيل صدقى ؟ اننا لو أحصينا كل ما وقع فى أيام اسماعيل صدقى باشا من جرائم ولو قيمنا كل جريمة على حدة ولو عددنا الضحايا ، التى سقطت طوال عهد اسماعيل صدقى ، لوجدنا أنها أقل بكثير من تلك التى سقطت فى فترات وصف الحكم فيها بأنه ديمقراطى !

***

وفيما عدا حادث « البدارى » وحادث الحصابنة لا نذكر حوادث امتهنت فيها الانسانية كما حدث فى مصر ، فى كثير من العهود ، التى وصفت بالعهود البرلمانية ، الشعبية .

★★★

ولكن لماذا حصلت دكتاتورية اسماعيل صدقى ، على تلك الشهرة المدوية ولماذا اعتبرت ، كرمز ، للدكتاتورية الطاغية الباغية فى تاريخنا الحديث ؟

إذا جاز لمثلى ان يحاول الرد ، على هذا السؤال فانني أقول : لأن الشعب كان فى أيام اسماعيل صدقى ، واعيا ، الى أبعد حدود الوعى ، وكان يقظا الى أبعد حدود اليقظة ، ولأنه ومنذ الأيام الأولى لدكتاتورية اسماعيل صدقى لم يستسلم أبدا ، بل أعلن مقاومته العنيفة لكل اجراء استبدادى اتخذه اسماعيل صدقى ، ثم ان زعماء تلك الفترة ـ وتلك حقيقة تاريخية ـ يجب أن نفخر بها جميعا ـ كانوا رجالا حقا : لم يكن النضال بالنسبة لهم نضال كلمات وشعارات ولم يكن الكفاح بالنسبة لهم كفاح « سرايات » وصالونات وإنما كان نضالا وكفاحا ، حقيقيين نابعين من أصالة شعبنا ، ومن اصراره على تحقيق أهدافه ومطالبه ، كان بعض هؤلاء الزعماء يقضون الليالى على أرصفة محطات السكك الحديدية وفى أعماق ، أعماق الصحراء ، بعيدا عن العمران لأنهم يريدون أن يضربوا المثل للقواعد التى تثق فيهم وتأتمر بأمرهم ، وكان بعض هؤلاء الزعماء لا يخشى المجابهة مع قوات الجيش أو البوليس ، أو قوى الاستعمار الأجنبى وانما كانوا يعرضون أنفسهم وهم وسط جماهيرهم للخطر ، بل للموت ذاته .

★★★

فاذا أضفنا الى ذلك كله ان عهد اسماعيل صدقى قد واجه البلاد ، ونيران ثورة ١٩١٩ لم تكن قد خمدت بعد ، كما ان الايمان بالحياة الديمقراطية السليمة كان وقتئذ فى أوج مجده وقوته كما ان الفساد السياسى ، لم يكن قد استشرى تماما فى القواعد ، والقيادات السياسية ، كما أن اسماعيل صدقى باشا نفسه لم يكن قد تمرس تماما على الأساليب الدكتاتورية كما انه أيضا لم يكن مطلق اليد فى اتخاذ كل ما يراه من اجراءات وقرارات : لقد كانت السراى تؤيده الى حد كبير ، وكانت تريد منه ان ينتقم من الشعب الى حد كبير أيضا ولكنها فى نفس الوقت كانت تخشى من قوته ، اذا ازدادت على ما يجب وكانت تخشى ارتماءه فى أحضان دار المندوب السامى البريطانى فيصبح من الصعب عليها اقالته كما ان دار المندوب السامى بدورها لم تكن مخلصة له دائما ، كان سير برسى لورين يحميه ويثق فى قدراته المالية والادارية ولكنه كان فى نفس الوقت لا يريد ان يربط نفسه وبلده بهذا الدكتاتور الصغير الذى لا يطيقه شعبه والذى

لم يتوقف عن مهاجمته يوما واحدا ، خاصة وان نذر الحرب كانت قد بدأت
تظهر فى الأفق ، وكانت بريطانيا العظمى تريد أن تضمن ولاء مصر فى اية
حرب قادمة وكان هذا الضمان — فى رأى بريطانيا العظمى — لا يتم الا بأن يوقع
زعماء الشعب المصرى كلهم ، أو جلهم على معاهدة صداقة وتحالف معها .

***

لقد جاء اسماعيل صدقى الى الحكم فى ٢٠ يونيو ١٩٣٠ وغادره طائعا ،
أو كارها فى ٢١ سبتمبر ١٩٣٣ وهى فترة طويلة جدا اذا قيست بالفترات
التى قضاها فى الحكم من سبقه من رؤساء الوزارات ، وهى فترة قصيرة جدا
اذا قيست بالفترات التى اعتاد ان يبقى فيها فى الحكم الدكتاتوريون الكبار او
الصغار ، وقد بدأ صدقى باشا حكمه قويا عنيدا متغطرسا واثقا من بقائه فى
الحكم عشر سنوات على الأقل وقد واجه أول ما واجه البرلمان ممثلا فى مجلسيه
بالقوة ، والعنف فطلب — مثلا — من ويصا واصف رئيس مجلس النواب أن
يعطيه عهدا ، بالا يتكلم عضو من أعضاء المجلس بعد تلاوة مرسوم تأجيل انعقاد
البرلمان وطلب منه كتابة ان يجيبه الرد كتابة قبل الساعة الواحدة بعد ظهر
اليوم نفسه فلما رفض ويصا واصف — وما كان له الا ان يرفض — أغلق
البرلمان وحاصره بالقوات المسلحة ولكن أعضاء البرلمان — وكانوا رجالا — أبوا
ان يستسلموا لاسماعيل صدقى فأمر رئيس مجلس النواب رجال المطافى بأن
يحطموا بالبلط السلاسل التى قفلت بها الأبواب الخارجية ، لمجلسى البرلمان

***

ودخل النواب والشيوخ الى قاعتهم بعد ان خلدوا فى تاريخ الكفاح البرلمانى ،
يوما عرفه تاريخنا المعاصر بيوم تحطيم السلاسل ، ولم يتراجع القادة والزعماء ،
والشيوخ والنواب عن مقاومة اسماعيل صدقى فى الوقت الذى لم يتراجع فيه
أيضا اسماعيل صدقى عن ضرب الحركة الوطنية ضربات قوية عنيفة بل مخيفة !
الغى دستور سنة ١٩٢٣ واستبدل به آخر من صنعه ، الغى قانون الانتخاب
المباشر وجعل الانتخاب من درجتين أنشأ حزبا لا يعتمد الا على المستوزرين ،
خاض به الانتخابات — التى قاطعها الشعب كله — ليكسب له الأغلبية المطلقة
بكل ما عرفه التاريخ — حتى ذلك التاريخ — من وسائل ، التزوير والتزييف !
ومضى اسماعيل صدقى ما بقى من عام ١٩٣٠ والنصف الأول من عام ١٩٣٢
يفرض حكمه على الشعب بالحديد ، والنار ، معتمدا ، كل الاعتماد ، على السراى
وعلى دار المندوب السامى ، البريطانى ، حيث وجدت كل منهما فى اسماعيل
صدقى باشا ضالتها المنشودة ، التى تحقق لها أهدافها فى سهولة ، ويسر .

وبالرغم من أن المفاوضات المصرية البريطانية كانت دائما ، الصخرة التى تتحطم عليها الوزارات المصرية الا أن صدقى باشا كان حريصا كل الحرص على أن تبدأ تلك المفاوضات مع بريطانيا لأنه يثق أولا فى بريطانيا ، وفى سيربرسى لورين بالذات ، ولأنه يريد ثانيا أن يكسب بعض التأييد الشعبى فى مصر اذا ما اعترفت به بريطانيا مفاوضا ويجرى اسماعيل صدقى فى جنيف محادثات ــ لا مفاوضات ــ مع جون سيمون وزير خارجية بريطانيا • تبدأ المباحثات فى مأدبة عشاء يقيمها صدقى باشا للسيرجون سيمون فى ٢١ سبتمبر يحضرها حافظ عفيفى باشا وزير مصر المفوض فى لندن ، والمستر ايدن الوكيل البرلمانى لوزارة الخارجية البريطانية • ويشير جون سيمون ــ فى مأدبة العشاء ــ الى صفات صدقى باشا كرجل ادارى ، أمكنه اعادة النظام فى بلده كما يقول مخاطبا اسماعيل صدقى : ان بريطانيا يسرها ان ترى امضاءكم ممهورة على اتفاقية لأننا نعرف الآن الشخص الذى نتعامل معه وأن قيمة الاتفاقية ــ كما سبق أن ذكرتم ــ تقدر بقيمة من يقوم ، بتنفيذها ! ويلتقى فى اليوم الثانى (٢٢ سبتمبر) صدقى باشا مرة ثانية بالسير جون سيمون فى حفلة شاى أقامتها عقيلته و •• و •• ولا يدور فيها أى حديث سياسى على الاطلاق •

ويبدأ نجم اسماعيل صدقى ــ من ذلك التاريخ ــ فى الأفول •

★★★

ولكن كيف ولماذا ؟

أكبر أخطاء اسماعيل صدقى باشا ، أنه وهو الرجل الاقتصادى ، الالمعى ، العالمى ، الماهر ، الماكر ، عاش فترة من الزمن ، فى أضغاث أحلام : لقد حلم ــ مثلا ــ أنه يستطيع أن يحكم مصر الى الأبد ، فما دامت السراى راضية عنه ، وما دامت دار المندوب السامى البريطانى فى مصر لا تطيق رؤية أحد سواه فى كرسى الوزارة ، فما الذى يهمه بعد ذلك أو قبل ذلك ؟ الشعب مثلا ؟ ان الشعب لا يهمه فالشعب فى رأيه ، هو شعب كل وزارة تجىء الى الحكم •• يصفقون دائما ، للرئيس الجديد ، لا يهمهم من يكون ذلك القادم الجديد هل هو رجل ديمقراطى مؤمن بالشعب أم هو رجل دكتاتور يحتقر الشعب ويزدريه ، وانطلاقا من هذا المعتقد الخاطىء راح صدقى يضــــع لنفسه كرئيس للوزارة خطة دقيقة محكمة ، ينفذها طوال الفترة ، التى حددها لنفسه أو حددوها له وهى البقاء فى رئاسة الوزارة عشر سنوات على الأقل • ومنذ اليوم الأول لمجيئه الى ديوان رئاسة الوزارة • وهو يحتقر الشعب ويزدريه ، أن واحدا من الأربعة عشر مليونا ، الذين كان يتكون منهم شعب مصر ، لم يكن يهمه فى قليل أو

كثير . ان الذى يهمه بالدرجة الأولى دار المندوب السامى البريطانى ممثلة فى سيربرسى لورين . والسراى الملكية ، ممثلة فى زكى الأبراشى باشا وما دام هو موضع عطف ورضاء هذين الشخصين فان كل شىء على ما يرام رغم غضب الشعب المصرى ، ورغم ثورته عليه ! لقد وجد اسماعيل صدقى باشا نفسه فجأة من بين زعماء مصر ، رئيسا للوزارة فى فترة من أخطر فترات التاريخ المصرى : انه وحده الذى اختير لقيادة السفينة ، لا حزب يساندة ، ويعضده ، ولا برلمان يقف الى جانبه يستمد منه العون . انه وحده كل شىء : لقد كان بالأمس لا شىء فأصبح اليوم وبلا دستور ، أو انتخابات ، أو برلمان كل شىء .

***

ورأى اسماعيل صدقى باشا أنه وقد كان لا شىء فى مصر ، وقد أصبح كل شىء ، بدون أى شىء ، لماذا لا يجرب هو نفسه شخصيا أن يكون قادرا على أن يقول للشىء كن فيكون . انهم يريدون حياة ديمقراطية تعتمد على الدستور وعلى الأحزاب . فلماذا لا يقوم هو بتفصيل دستور معين يختار هو نفسه له مواده ، ليحقق تماما . وبالقدر الذى يريده ــ كل أهدافه ، وآماله ــ ولماذا لا ينشىء هو حزبا خاصا به ، تماما كما ينشىء عزبة فى سمنود ، أو زفتى أو ميت غمر ، يختار هو بنفسه اسم الحزب ويختار هو نفسه كل أعضاء الحزب من خاصة خاصته ، من أصدقائه ومعارفه ، ومحاسيبه الذين يعتمدون عليه والذى يعتمد هو عليهم فى نفس الوقت بحيث يكون الحزب خاتما ، ينقله من هذه الأصبع الى تلك الأصبع دون جهد ما ، وما دام قد أنشأ الحزب فلينشىء للحزب صحيفة وما دامت الحكومة معه ، فان الصحيفة ستكون غنية بالاعلانات والاشتراكات : ان كل من يرشح نفسه ــ مثلا ــ لمنصب العمدية ، يجب أن يقرأ صحيفة الشعب لصاحبها اسماعيل صدقى ، ويجب أن يقدمها لمعارفه وأصدقائه ومحاسيبه ، وجيرانه ، ولو كانوا أميين ، والا فكيف يمكن أن تتوافر فيه شروط العمدية ، اذا لم يكن من أعضاء حزب الشعب الذى يرأسه اسماعيل صدقى ، واذا لم يكن من قراء صحيفة حزب الشعب لصاحبها اسماعيل صدقى !!



وقد استفاد اسماعيل صدقى وهو ينشىء حزب الشعب ، وجريدة الشعب من تجربة سابقة ، نجحت على المستوى الحكومى ، الى أبعد حدود النجاح ونعنى بها تجربة حزب الاتحاد وصحيفة حزب الاتحاد وعن حزب الاتحاد يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى : فى غمرة من الحوادث ، والأحداث ، وفى الوقت الذى كانت تستهدف فيه البلاد لعاصفة من أقسى عواصف البغى ، والعدوان ، فوجئت الأمة فى يناير ١٩٢٥ بظهور حزب جديد يسمى حزب الاتحاد ، وهذا الحزب هو وليد ارادة السراى . جمعته من بعض المنفصلين عن الوفد ، وكان

لحسن نشأت باشا وكيل الديوان الملكي ورئيسه بالنيابة ، انقسط الاكبر في تأسيسه ، وتوجيهه الى الخطط التي ترسمها السراى ، وأساس الفكرة التي أوحت بتأليف هذا الحزب . هي أن الشعب يجب أن يديره الحاكم ، كما يشاء ويهوى ، وأن تكون السراى هي مرجع الحكم وهي مصدره ، أما الشعب فلا يصح ان تترك له ارادة في الحكم ، أو توجيه بل يجب أن يحكم بواسطة حكومة . تفرض عليه فرضا ، دون أن يكون له رأى في قيام الوزارات أو سقوطها وبعبارة أخرى لا محل لما يسمونه الدستور واذا كان لا بد من نظام دستورى فليكن نظاما صوريا ، أو كان لا بد من أحزاب فليكن أهمها ، وسيدها الحزب الذى تنشئه السراى ، أو يخضع لارادتها وتحركه كيف تشاء ، وهذا الضرب من الحكم هو من أنواع الحكم المطلق ، وأساسه اهدار حقوق الشعب والرجوع به الى نطاق الذل والعبودية وهو نظام يمتنع معه كل تقدم سياسى ، أو أخلاقى فى البلاد من أجل ذلك كان تأسيس حزب الاتحاد خليقا بأن يقابل بالسخط والاستنكار ، وقد كان حقا اختيار اسم حزب الاتحاد لهذا الحزب مدعاة للعجب . اذ كيف يكون تأليف حزب يزيد فى هوة الانقسام ، حزبا للاتحاد لا شك أن هذا الاسم ، هو من أسماء الاضداد ، كما جاءت تسمية حزب آخر ألفه اسماعيل صدقى باشا سنة ١٩٣٠ وسماه حزب الشعب من أسماء الاضداد أيضا ، ومن مهازل القدر ، أن حزبى الاتحاد والشعب قد اندمجا فيما بعد وتسميا باسم حزب الاتحاد الشعبى وهذا أيضا هو بلا مراء من أسماء الأضداد . فلا هو حزب للاتحاد ولا هو حزب للشعب ، ولا هو حزب للاتحاد الشعبى ! . »

★★★

وعن حزب الشعب نفسه قال عبد الرحمن الرافعى ، قال صدقى فى كتابه الى الملك حين تأليف وزارته انها لا تنتسب فى مجموعها ، وأفرادها الى هيئة أو هيئات سياسية ، ولم يكن هذا القول الا خداعا وتغريرا ، وكان غرضه أن ينسحب وينسحب زملاؤه من الأحزاب ، التى كانوا ينتمون اليها ليؤلف منهم عصبة تسندها قوة الحكومة ، لأن غرضه هو الحكم ، يصل اليه بقوة الحكومة وأنف الشعب راغم ، فلما اطمأن الى بقائه فى الحكم ، رأى أن يؤلف حزبا جديدا يرتكن عليه فى الحياة الصورية ، السياسية ، التى أنشأها ، ففعل ما فعل حسن نشأت باشا حين ألف حزب الاتحاد سنة ١٩٢٥ والتاريخ يعيد نفسه ، وقد نفذ عزمه ، فأسس حزبا سماه حزب الشعب ، واتخذ له دارا فخمة بشارع قصر العينى ، واجتمعت الجمعية التأسيسية لهذا الحزب يوم ١٧ نوفمبر ١٩٣٠ وأعلنت تأسيسه ، وكانت هذه الجمعية مؤلفة ممن جمعهم صدقى باشا لتأييد وزارته نذكر منهم أحمد طلعت باشا ، توفيق دوس باشا ، محمد مصطفى باشا ، صالح حقى باشا ، محمد علام باشا ، عيسوى زايد باشا ، صالح لملوم باشا

قلینی فهمی باشا ، عبد المجید فرید باشا ، أحمد جاد الرب باشا ، محمد مقبل باشا ، محمود بك الطوير ، على باشا فهمی ، الیاس بك عوض ، راغب عطية بك ، الدكتور عبد العزيز نظمی بك ، السباعی المصری بك ، حافظ عابدين

★★★

وتولى اسماعيل صدقى رئاسة هذا الحزب ، وأصدر جريدة يومية سماها الشعب ، وأخذت الآراء تروج لهذا الحزب وتدعو الناس بمختلف وسائل التهديد والاغراء ، والتوريط الى الدخول فى زمرته مثلما فعلت مع حزب الاتحاد من قبل ، ويقول اسماعيل صدقى فى مذكراته عن حزبه : أنا من الذين لا يميلون الى الحزبية ، ولا يحبون التقيد بالأحزاب ، ولذلك لم أنضم طول حياتى السياسية قبل سنة ١٩٣٠ الى حزب ولم أؤلف حزبا ، وقد تألف حزب الأحرار الدستوريين برئاسة عدلى يكن باشا ، واشترك فيه زميلى ثروت باشا . وكلاهما كان صديقا حميما لى ، ومع ذلك لم أنضم اليهما ، ولم أشترك يوما فى عضوية هذا الحزب . ولكن بعد تأليفى الوزارة ، ووضع دستور ١٩٣٠ واعلان الانتخابات لقيام برلمان جديد فى ظل هذا الدستور ، رأيت أنه لابد للوزارة من استنادها الى غالبية برلمانية ، وقد كنت أؤمل أن يؤيدنى حزب الاتحاد ، نظرا لصداقتى لأعضائه الذين شعروا بأنى سلكت الطريق القويم ، ومما يؤسف له ، ان المشاكل الشخصية لعبت فى ذلك دورها المقوت ولم يعمل حساب لما قلته باخلاص عندما توليت الحكم « وهو انى عابر سبيل » ومن العجيب أن الباقين من الأحرار الدستوريين ائتلفوا مع الوفد وكانوا قد عانوا منه ما عانوه بحجة أننى اعتديت على دستور سنة ١٩٢٣ وفاتهم انهم هم الذين أجلوا الحياة النيابية وأوقفوا الدستور ثلاث سنوات قابلة للتجديد وحكموا البلاد أربعة عشر شهرا حكما وصفوه هم بأنه حكم دكتاتورى . لذلك رأيت فى تلك الظروف أن أؤلف حزب الشعب ورئى فى أول الأمر أن يسمى حزب الاصلاح ، وقد انضم اليه عدد من أعضاء حزب الأحرار الدستوريين ، وحزب الاتحاد والمستقلين ، وقد تحددت مبادىء حزب الشعب على النحو التالى :

★★★

● استقلال مصر استقلالا تاما ، والمحافظة على سيادة مصر على السودان وحقوقها كاملة فيه !!

● الاتفاق مع الدولة البريطانية على المسائل المعلقة بينها وبين الدولة المصرية ، والعمل على تنفيذ هذا الاتفاق بما يضمن استمرار حسن التفاهم بين الدولتين .

- الغاء الامتياز .
- دخول مصر جمعية الأمم .
- تأييد النظام الدستوري والمحافظة على سلطة الأمة وحقوق العرش .
- ضمان استقلال القضاء .
- اصلاح الشئون الداخلية .

وقد خرج الحزب الى حيز الوجود في ٨ ديسمبر ١٩٣٠ ، واجتمعت جمعيته العامة ، وانتخبت اسماعيل صدقي رئيسا له ، وعبد الفتاح يحيى وتوفيق دوس وعيسوي زايد وكلاء ، ومحمد علام مديرا للادارة ، وأحمد رشدي سكرتيرا ، وعبد المجيد نافع ، مساعدا للسكرتير !

وأعلن اسماعيل صدقي لمراسل الديلي تلجراف أنه دستوري وأنه لا ينوي الحكم بالطرق الأوتقراطية « بل أحكم بوساطة البرلمان ، وقد ادعى خصومي السياسيون ان الأمة معهم ، فأنا أدخل في مضمار الانتخابات التي ستثبت قيمة دعواهم ، وقد قرروا مقاطعتها ، ولكن طرق الارهاب لا يمكن السماح بها ، وسيرى العالم بالتأكيد ان الجماهير المصرية التي ستشترك في الانتخابات بنفس النسبة التي اشتركت بها في الانتخابات السابقة على أقل تقدير . وانني بعد أن أفتتح البرلمان فاني أؤمل ، أن تتكون الحكومة من المفاوضة لعقد معاهدة مع بريطـــانيا !

وتوجهت الجماهير المصرية الى الانتخابات ، ولكن على الورق فقط وفاز حزب الشـــعب بالأغلبية الساحقـة الماحقـة ، في الانتخابات بفضــــل أول وأضخم وأهم تزوير انتخابي في حياتنا النيابية على الاطلاق . وظل برلمان صدقي باشا قائما بعمله خير قيام يؤيد اسماعيل صدقي ، الى أبعد حدود التأييد ، يصفق له دائما وأبدا في « الفاضي والمليان » كما يقولون ، الى أن نقل برسي لورين المندوب السامي البريطاني في مصر في أغسطس ١٩٣٣ ليشغل وظيفة سفير لبريطانيا في أنقره ، لأنه أسرف ــ كما قيل ــ في تأييد سياسة البطش التي سارت عليها وزارة اسماعيل صدقي باشا ، وعينت بريطانيا بدلا منه السير مايلز لامبسون وكان من قبل وزيرها المفوض في الصين ، وكان قد نجح في عقد معاهدة بين الصين وانجلترا أنهت الخلاف الذي كان قائما بين انجلترا والصين . وقد جيء بمايلز لامبسون على أمل أن يعقد بدوره معاهدة بين مصر وبريطـــانيا .

***

وكان تغيير سير برسي لورين ونقله من مصر مغضـــوبا عليه الى أنقره يؤكد بأن وزارة اسماعيل صدقي باشا ، قد أصبحت على كف عفريت . وجاء

التغيير الوزارى . قبلت استقالة اسماعيل صدقى باشا فى ٢١ سبتمبر ١٩٣٣ أى بعد شهر ونصف الشهر من نقل السير برسى لورين ، وجىء بعبد الفتاح يحيى باشا . ويقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى عن ذهاب اسماعيل صدقى ، ومجىء عبد الفتاح يحيى • مع أن وزارة صدقى كانت بغيضة الى الشعب ، فان الكثيرين لم يكونوا يتوقعون استقالتها ، بل كانت مفاجأة ، حتى أن زملاءه فى الوزارة لم يعلموا بها الا بعد تقديم كتاب الاستقالة وقد بناها على أن صحته لم تعد تحتمل أعباء منصبه والواقع أن صحته كانت تحتمل بقاءه فى الحكم •

★★★

ولكن السبب الحقيقى ، الذى دعاه الى الاستقالة هو أن السراى قد انتهت من استخدامه فى اذلال الشعب ووضع نظام الحكم القائم على أساس انتهاك حقوقه والزراية بارادته . فانتهت مهمة صدقى باشا . فى نظرها ، وأرادت أن تستبدل به سواه لأن الحكم المطلق لا يطيق البقاء على رئيس وزارة طويلا ، يمكث فى منصبه بل ان من مظاهر هذا الحكم الرغبة فى كثرة التبديل ، والتغيير واذ رأى صدقى باشا ، أن الرغبة السامية قد انحسرت عنه لم ير بدأ من اعتزال منصبه ، مكرها أخاك لا بطل ، وليس صحيحا أن الاعتبارات الصحية هى التى دعته الى الاستقالة فانه فى الوقت الذى زعم فيه ذلك بدأ منه أن يبغى السيطرة على الوزارة التى تخلفه موهما نفسه أنه مازال بعد استقالته رئيس حزب الأغلبية فى البرلمان ، ولقد أشار الى هذا الاعتبار فى كتاب استقالته الذى قدمه الى الملك فأعرب عن أمنيته فى أن يضم جهوده الى جهود العاملين ، على تأييد هـذا النظام أخص منهم حزب الغالبية البرلمانية الذى أتشرف برئاسته » • فهذا الكلام معناه ان صحته تحتمل أعباء النضال البرلمانى الذى أخذ يمنى نفسه به باعتباره رئيسا لحزب الغالبية البرلمانية • وقد كرر هذا المعنى فى اجتماع عقده لهذا الحزب بعد استقالته مباشرة ، وطلب فيه أن تواجه الوزارة الجديدة البرلمان ،

★★★

وفى هذا معنى التحدى لها ، ويدل قطعا على أنه استقال من الوزارة لاعتلال صحته ، بل مرغما حانقا ، ولهذا توعد الوزارة بالحرب والنضال ، وفاته ان الحزب الذى ظن أنه عدته ، فى النضال انما اصطنعه وهو فى الحكم ، وهو حزب جمع أشياعه فى ظل الحكم ، وانضموا اليه لأنه يتولى الحكم ، فهو حزب يتبع الحكم ، أينما سار ، وبعبارة أخرى ، هو حزب الحكومة أيا كانت هـذه الحكومة ولذلك كان من تهكم الأقدار أن الحزب هو أول من تنكر لصـدقى باشا وخذله بعد أن أقصى عن الحكم وهكذا تتكشف الحقائق التى يقوم عليها الحكم المطلق ، فالأحزاب التى يصطنعها هذا الحكم ، أو يصطفيها أن هى الا أحزاب صورية لا ارادة ولا أهداف لها الا أن تسير فى ركاب الحاكم وحسب •

ويقول الأستاذ الدكتور يونان لبيب رزق ، يصف في كتابه « تاريخ الوزارات المصرية » الأيام الأخيرة لوزارة اسماعيل صدقي : سافر صدقي باشا للعلاج ، وخلال غيابه حدثت أشياء وأشياء كانت كلها تؤدي الى نهاية عهده في الوزارة ، ثم الى نهاية عهد دستور ١٩٣٠ الذي وضعه : أول هذه الأشياء استفحال نفوذ القصر ، خلال غياب صدقي في الخارج ، يقول صدقي باشا في مذكراته انه أثناء غيابه برز رجل القصر زكي الابراشي باشا ، الذي أخذ يبث نفوذه ويتدخل في شئون الحكم ، ولما عدت من أوروبا وجدت الحال لا يطاق » ، وفي نفس الفترة وفي أغسطس عام ١٩٣٣ على وجه التحديد قررت الحكومة البريطانية نقل السير برسي لورين ، مندوبها السامي في القاهرة وتعيين السير مايلز لامبسون محله ، واتخذ هذا النقل كدليل على قرب تغيير السياسة الانجليزية في مصر كما حدث مع تغيير لويد ، من قبل ، مما دعا صدقي باشا الى أن يصرح ، وهو في باريس بأنه يود أن يتابع المندوب السامي الجديد في مصر ، سياسة الحياد ، كالسير برسي لورين فلا يتدخل في السياسة المصرية لأن هذه الخطة وحدها أوجدت في مصر كثيرا من السكينة والطمأنينة .. ونتيجة لكل ذلك فان صدقي باشا قد قرر وهو في الخارج أن يقدم استقالته حالما يعود الى مصر ، وهو ما عبر عنه لبعض المصادر البريطانية مبديا امتعاضه الشديد من اتساع نطاق تدخل القصر في شئون الحكم .

★★★

ويقول د. يونان لبيب رزق : وفعلا تقدم الرجل ــ اسماعيل صدقي ــ بهذه الاستقالة في أعقاب عودته الى البلاد في أوائل سبتمبر الا أن الملك استمهله لبعض الوقت، ثم لم يلبث بعد نحو أسبوعين ــ وفي ٢١ سبتمبر ــ أن قبل استقالة وزارة صدقي الثانية نتيجة لاختلاف بسيط حول تعيين حسن صبري باشا ، فبينما كان صدقي يرغب في تعيينه وزيرا للمواصلات أو أي وزارة أخرى ، أصر الملك على أن يعين وزيرا للمالية ولم يرضخ صدقي لاصرار القصر ، فقدم استقالته وذهب لتشكيل ثالث وزارات عهد دستور ١٩٣٠ . ويقول د. لبيب رزق : يعجب المعاصرون من الطريقة التي نحي بها صدقي من رياسة الوزارة ، ويرون ، أن أقل ما توصف به هذه الطريقة هو الجحود لرجل سخر كل مواهبه ، وكل مجهوده وكل ذكائه ونشاطه للغرض الذي ألقي عليه ولكن لا تلبث الوثائق البريطانية أن تكشف لنا عن وجهة نظر الملك ففي لقاء بين الملك فؤاد وبين السير برسي لورين في ٤ نوفمبر ١٩٣٣ بعد عودة الأخير من بلاده التي كان فيها أثناء التغيير الوزاري : في هذا اللقاء يسوق الملك سببا معقولا من وجهة نظره على الأقل لما قام به من التخلص من حكومة صدقي : يقول الملك أن مركز صدقي كان قد زاد تأثيره في البلاد الى الحد الذي أصبح يخشى معه أن يتحول الى

دكتاتور وانه أى الملك لم يكن يوافق على تركيز السلطة فى أيدى شخص بعينه على النحو الذى تركزت به فى أيدى صدقى ، أما صدقى نفسه فانه قد شعر أن افتعال القصر للأزمة التى أودت بوزارته على هذا النحو ، انما هو الثمن الذى كان عليه أن يدفعه نتيجة لسياسته هو شخصيا بتقوية السلطات الملكية على النحو الذى قويت به بمقتضى دستور ١٩٣٠ وهو ما صرح به بدوره للمندوب السامى البريطانى حين شكا من زيادة تدخل القصر فى تفاصيل الادارة وفى مختلف التعيينات فى مناصب الدولة واختفاء الرقابة الدستورية الفعالة على أعمال الملك ، وكان صدقى محقا فى هذه الشكوى ، لأنه بعد التخلص منه تكونت فعلا وزارة قصر تماما سواء من حيث التشكيل ، أو من حيث السياسة وقد كلف رئيسها بتشكيلها وهو خارج مصر ، وكما سجل المراقبون فى تلك المرحلة عرف الناس أسماء الوزراء ، قبل أن يحضر عبد الفتاح باشا ، فلما حضر وقع مراسيم التأليف وكانت وزارة عبد الفتاح يحيى باشا على النحو التالى • عبد الفتاح يحيى للرئاسة والخارجية • أحمد على للحقانية ، محمد نجيب الغرابلى — أحد المنشقين على الوفد — للأوقاف — محمد حلمى عيسى للمعارف • ابراهيم فهمى كريم للمواصلات ، محمود فهمى القيسى للداخلية ، على المنزلاوى للزراعة ، صليب سامى للحربية والبحرية ، عبد العظيم راشد للأشغال • حسن صبرى — وكان السبب فى آخر أزمة وزارية مرت بها وزارة اسماعيل صدقى — للمالية نفس الوزارة التى كان القصر يريدها له فى وزارة اسماعيل صدقى • وقد كان كل وزراء عبد الفتاح يحيى هم أعضاء فى وزارة اسماعيل صدقى فيما عدا الغرابلى ، وعبد العظيم راشد وحسن صبرى : وعبد العظيم راشد ، رجل الملك تماما وكذلك حسن صبرى الذى جاء تعيينه فى الوزارة الجديدة وفى نفس الوزارة التى رفضها صدقى تأكيدا على أن رغبة الملك هى العليا ، وهى التى تنفذ فى النهاية •

★★★

ويقول د• يونان لبيب رزق عن وزارة عبد الفتاح يحيى أنها وزارة ملكية شغل رئيسها فى بداية عهده بقضيتين أولاهما : تقليم أظافر سلفه صدقى باشا فبعد ابعاده عن رئاسة الوزارة كانت الرغبة قوية فى ابعاده عن رياسة حزبها أى حزب الشعب ، وقد نجح فى ذلك ، أو كما عبر أحد كتاب صحيفة الحزب وقتذاك بقوله : « شهد اسماعيل صدقى بعينه المولود الذى صنعه يعقه ويخرج عن طاعته بل ويبتعد عنه الى درجة أن يعاديه ، أما صدقى باشا فلم يكن له الا أن يقول أمام هذا سوى أنه طلق الحزب على حد تعبيره •

القضية الثانية التى شغل بها عبد الفتاح يحيى باشا نفسه هى السعى الى التقرب للأحزاب المعارضة ان لم يكن بهدف تعويدها على الوضع القائم فعلى الأقل بهدف الايقاع بينها الا أن هـذه المحاولة ـ كما يقول د. محمد حسين هيكل ـ لم تبلغ أهدافها ذلك أن تلك الأحزاب قد ظلت على معارضتها وعلى كشف مساوىء الوزارة وكان أهم ما كشف عنه فى هذا الصدد ، المقاولات التى دخلها المالى الكبير أحمد عبود فى هذا العهد ، وما ثبت من أن بعض الوزراء ، كان ضالعا معه فيها ، والتى وصل بها الأمر الى عرضها على ساحة القضاء فيما عرف بقضية نزاهة الحكم والتى أساءت كثيرا الى صورة الوزارة .

والجدير بالذكر أن « المصور » ، كتب فى ذلك الوقت كلمة عن عبود باشا . أو الرجل اللغز قال فيها : أهم ظاهرة فى عبود باشا الرجل اللغز مقدرته على بلوغ الغرض الذى ينشده وتحقيق الأمنية التى تجيش فى صدره ، أما كيف يبلغ غرضه وأما كيف يحقق أمانيه فهذا مانجهله ومايجهله الناس : قبل انعقاد مؤتمر السكة الحديد الدولى فى القاهرة قيل أن العلاقات توترت بين دولة صدقى باشا وعبود باشا فماذا حدث : حدث انه قبل انعقاد المؤتمر بيومين صدر أمر ملكى يضم عبود باشا الى لجنة تنظيم المؤتمر فواحد من أمرين : أما ان هذا القرار تقرر بموافقة رئيس الحكومة وفى هذه الحالة تكون علاقته بعبود باشا قد عادت الى سابق عهدها من الصفاء أو أن القرار تقرر بالرغم من ارادة رئيس الحكومة وفى هذه الحالة يكون عبود باشا قد أتى بمعجزة جديدة وتقول المصور : نسمع أن عبود باشا مقرب الى دار المندوب السامى فاذا التقيت به فى دار المندوب السامى ، أبصرت جميع الأبواب تفتح أمامه واذا راجعت أسماء الذين يتعشى معهم كل أسبوع وجدت بينهم أكابر الانجليز الرسميين وغير الرسميين واذا أرسل عبود باشا رسالة الى جريدة التيمس فانها تنشر فى أحسن مكان فى حين أن عشرات من رسائل الآخرين ترمى فى سـلة المهملات .. » ويفهم من وراء السطور التى جاءت « بالمصور » ان العلاقات ساءت بين عبود باشا واسماعيل صدقى ، فى الأيام الأخيرة لوزارة اسماعيل صدقى وبذلك أضيف سبب وجيه آخر الى الأسباب التى دعت للاستغناء عن خدمات دولة صدقى باشا .

★★★

ولا بد من أن تشير الى مقال كتبه الأستاذ محمد التابعى عقب خروجه من السجن فى مجلة روزاليوسف تحت عنوان استقالة أم اقالة : صدقى باشا يعرف منذ عام انه غير مرغوب فيه ويقول الأستاذ التابعى أنه كان على اسماعيل صدقى الا يتمسك بأهداب السلطة وكان يجب عليه أيضا الا يرفع أنفه فى وجوه الذين اقاموه ، وأوقفوه على قدميه وسندوه أثناء حكمه الطويل ، ويقول التابعى نقلا على لسان اسماعيل صدقى لأحد أصدقائه ـ أصدقاء اسماعيل صدقى بالطبع : ان

صدقي قد شرب المر خلال الثلاثة الأشهر الأخيرة من حكمه وأنه قد « تمرمط » أكثر من اللازم ويشير الأستاذ التابعي الى ما سبق أن نشرته روز اليوسف في ٩ يناير ١٩٣٣ ــ أي قبل الاستقالة أو الاقالة بحوالي تسعة أشهر ــ الابراشي باشا ضد صدقي باشا : ان فريق عبد الفتاح يحيي باشا ساهر متيقظ يترقب الفرصة لاخراج صدقي باشا والخلاص منه وتولية عبد الفتاح يحيي باشا رئاسة الوزارة من غير احداث أي انقلاب برلماني ، كما يشير التابعي الى سفر صدقي باشا الى أوروبا وكيف حاولت الصحف البريطانية أن تفهمه بالأبيض والأسود حقيقة موقعه ، فنصحت له بالاستقالة وان صحته بالدنيا ، وأنه لن تكون معه أية مفاوضات ٠

***

ثم يقول التابعي بالحرف الواحد :

وانكشف أمر صدقي باشا ، رأى خصومه المقنعين في مصر انه لم يعد هناك ما يخشونه من جانب الانجليز ومن ثم راحوا أولا يشعرونه بذوق أنه لم يعد مرغوبا فيه ولقد نشرنا في العدد الماضي كيف أن مجلس الوزراء رفض أولا أن يوافق على طلب صدقي باشا الخاص بسفر عبد الوهاب باشا الى أمريكا ، ونزيد اليوم على ما تقدم أن هناك مسائل عديدة كان يبعث بها صدقي باشا من أوروبا طالبا من مجلس الوزراء الموافقة عليها ومنها حكاية خاصة بعبد الحميد بدوي باشا ومهمته الخاصة بسندات الدين ولكن مجلس الوزراء كان يرفضها ، وأخيرا تضايق ــ كما يقول التابعي ــ صدقي باشا فأرسل من أوروبا الى زملائه يقول ما معناه : هل أنتم متفقون معي في السياسة أم لا ، لانكم ان كنتم غير متفقين معي فأني أستقيل ، ولكن دولته لم يتلق ردا على خطابه المذكور : هذه هي ــ باختصار ــ الظروف التي أحاطت باستقالة أو اقالة صاحب العشر سنوات ورب الكفاءات ولعله اليوم في منفاه المختار قد أدرك ان الله حق ، وانه قد خسر الاثنين عنب اليمن وبلح الشام ، وانه لعجيب حقا ان يتحدث صدقي باشا ، ليقول انه استقال مختارا مراعاة لصحته هذا بعد أن تحدث دولته منذ شهر واحد الى مراسل الأهرام في باريس فقال ان صحته حسنة ، وانه قادر على العمل وبعد ان جمع أطباءه منذ أسبوعين فدقوا له على صدره ، ونقروا له على بطنه ثم أعلنوا أن الباشا بخير والحمد لله وانه قادر على العمل ، وتحمل أعباء المنصب الجليل : تناقض وتخبط ، وحيرة يائسة ما كان أغنى الباشا عنها جميعها ، لو أنه ترك أنفه الوسيم . يؤدي وظيفته ورضي أن يهبط سعر العشر سنوات ، كما هبط سعر كل شيء في عهده السعيد ، لقد سقطت وزارة اسماعيل صدقي فهل سقط صدقي باشا شخصيا بسقوط وزارته أم أن هناك محاولات سوف تبذل ، لانجاحه من جديد في الدور الثاني ؟

البـاب الثـالث



الفصل الأول

عبد الفتاح يحيى الساعد الأيمن لصدقي باشا ينقلب عليه ويرثه في الحزب وفي الوزارة

● كان اسماعيل صدقى « باشا » ديكتاتورا من نوع خاص ، وكذلك كان رئيس حزب من نوع خاص أيضا ! أنشأ اسماعيل صدقى « باشا » حزبه ـ حزب الشعب ـ وبذل جهودا شاقة ومضنية فى عملية الانشاء هذه ، كما بذل جهودا شاقة ، ومضنية من أجل جذب الكثيرين الى عضوية الحزب ، كما بذل جهودا شـاقة ومضنيــة من أجل نجاح أكبر عـدد من أعضاء الحزب فى أول انتخابات مزورة ١٠٠٪ فى تاريخنا البرلمانى ٠٠ وبذل أيضا جهودا شـاقة ومضنية من أجل الابقاء على هؤلاء ، الأعضاء أو على غالبيتهم فى حظيرة الحزب٠٠ وحزب اسماعيل صـدقى باشـا « حزب الشعب » ظاهرة فريدة ، فى تاريخ الأحزاب المصرية بل فى تاريخ الأحزاب فى العالم ، وهذه الظاهرة ، ينبغى أن تدرس ، وبعمق حتى يمكن الاستفـادة من تلك الدراسـة فى كل الأزمنـة والعصور ، والبلدان ! كان أعضاء حزب الشعب ـ كل أعضاء حزب الشعب وبلا استثناء ـ مدينين بوجودهم السياسى ، والاجتماعى ، بل والاقتصـادى لصدقى باشا شخصيا : كان يمنحهم من الامتيازات ما لا يحصل عليه غيرهم فى أى حزب من الأحزاب وفى أى عهد من العهود ، الحكومة ، كل الحكومة فى خدمتهم المدارس والجامعة ، مفتوحة لابنائهم بلا قيد ولا شرط ، بل ان المصارف، وبنك التسليف و ٠ و ٠٠ فى خدمتهم : والخدمة ، هنا ، تحمل أكثر من وجه، « الخدمة » بالنسبة لأعضاء الحزب لها وجه ، « والخدمة » بالنسبة لخصوم الحزب، لها وجه آخر : كل خدمـة تختلف عن غيرها فى الوسائل ، والأهداف ٠ أن يقوم ـ مثلا ـ بنك التسليف الزراعى بأقراض أعضـاء الحـزب بأية مبـالغ يطلبونها ، وبدون أية اشتراطات يجب عليهم تحقيقها بل وبدون ، أية ضمانات على الاطلاق تلك خدمة ، وامتناع البنك عن أقراض خصوم أعضاء الحزب مهما قدموا من ضمانات ومهما توافرت فيهم الشروط المطلوبة هذا بالاضافة الى أن

الحكومة كانت تعطى ـ وبسهولة ـ أية تصاريح ، يطلبها أعضاء الحزب خاصة، بالمبانى ، أو المحال ، الخاصة ، أو العامة ، أو المعامل أو المصانع تلك أذن خدمة، ومنع خصوم الحزب من الحصول ، على تلك « التصاريح » مهما توافرت لديهم الاشتراطات المطلوبة خدمة من نوع خـاص : أن تفتح أبواب الوزارات ـ كل الوزارات ـ أمام أعضاء الحزب الكبار ، والصغار ، المهمين وغير المهمين ، ليتحول الموظفون جميعا الى خدم خصوصيين لأعضاء الحزب تلك اذن خدمة ، وقفل أبواب الوزارات كل الوزارات أمام خصوم الحزب ـ أي خصوم ، حتى ولو على المستوى الشخصى ، العادى ، وعدم تحقيق أى مطلب عادل خدمة ، ولكن من نوع خاص ! أيضـــا .

★★★

لقد نجح اسماعيل صدقى باشا ، فى أن يجعل ـ وفى أشهر قلائل ـ من الحزب ، دولة فوق ، الدولة ! نجح اسماعيل صدقى باشا ـ وبسرعة مذهلة ـ فى أن يجعل من أعضـــاء حزبه مواطنين « درجـة أولى » وأن يجعل غيرهم من المواطنين ، مواطنين درجة عاشرة ! واذا كان اسماعيل صدقى باشا قد فشل فى الغاء الامتيازات الأجنبية فى مصر ، فقـد نجح ـ وبلا حدود ـ فى فرض امتيازات مصرية ، أكثر وأكبر وأهم من تلك الامتيازات المصرية المقررة بمراسيم من اسماعيل صدقى لأعضاء حزب الشعب أضعـاف أضعـاف ما كان مقررا للأجانب بمقتضى ، الفرمانات واللوائح السلطانية ، والغريب ، أن كل تلك المنح والفوائد والامتيازات التى أقرها اسماعيل صدقى باشا لأعضاء حزب الشعب لم تكن مغرية دائما ، بل كانت فى كثير من الأحيان ، متعبة ، ومؤذية فى نفس الوقت : كان الشعب كل الشعب ينظر الى أعضاء حزب الشعب ، كل أعضـاء حزب الشعب ، نظرات مليئة بالاحتقار ، والازدراء ، والغضب ، والاشمئزاز، وكان الشعب يعبر حقيقة عن احتقاره وازدرائه وغضبه واشمئزازه من أعضاء حزب الشعب ومن تصرفاتهم ، بكل الصور ، ولعلنا لا نتهم بالمبالغة اذا ما قلنا أن هؤلاء الأعضاء التابعين لحزب الشعب رغم ما كانوا يتمتعون به من سلطات وامتيازات ، ورغم كل ما كان لديهم من ثروات ، وامكانات ، كانوا يعيشون فى بحر من الكراهية لا مثيل له من قبل وقد تعرض كثير من المسئولين فى حزب الشعب لكثير من محاولات الاغتيال والكثير من صور الايذاء ، الأمر الذى دفع بالكثيرين من المسئولين فى حزب الشعب الى الخروج من حظيرة الحزب رغم ان هذا الخروج كان يكلفهم الكثير من التضحيات ، كما كان يحول بينهم وبين الحصول على كثير من الامتيازات .

★★★

ولعل من الظواهر ، التى انفرد بها حزب الشعب الصدقى ـ وهى ظاهرة تستحق الدراسة ، الجادة المتأنية ـ ان الولاء ، فى هذا الحزب لم يكن أبدا

لرئيس الحزب ، ولا للحزب ذاته ، ولا للأهداف التى من أجلها أنشىء هذا الحزب ولا نقول ، المبادىء ، فمثل تلك الأحزاب التى تعتمد على السلطة لا مبادىء لها ، على الاطلاق ، الولاء ، فى هذا الحزب الصدقى ، لم يكن الا للسلطة القوية ، القادرة على اختيار ، الوزراء ورؤساء المصالح والنواب ! وربما كان ذلك فى مقدمة الأسباب التى أعاقت صدقى باشا ، عن مباشرة مهامه فى السيطرة على الحزب سيطرة كاملة ، أو شبه كاملة ، ولعلى ، رغم كثرة ما قرأت عن الأحزاب ، السياسية ، فى مصر ، وفى كثير من أرجاء العالم ــ لم أجد حزبا وقف من رئيسه، الذى أخرجه ــ أى الحزب ــ من العدم ، ووقفه ، على قدميه كما وقف حزب الشعب الصدقى من مؤسسه ، اسماعيل صدقى ·· عندما أخرج صدقى باشا من الوزارة تنكر له الحزب بصورة تبعث ، على الأسى ، والحزن ، وقد كان من المفروض ، أن يستقيل اسماعيل صدقى باشا ، من رئاسة الحزب ، بعد أن استقال أو أقيل من رئاسة الوزارة ولكنه ظن أنه يستطيع أن يفعل شيئا ، ما ، كرئيس للحزب ، بعد أن خرج من الوزارة غير أنه لم يفعل شيئا على الاطلاق ،

***

المهم ، الا أنه عرض نفسه للسخرية ، والمهانة كان اسماعيل صدقى ، بعد مجىء ، عبد الفتاح يحيى باشا الى كرسى رئاسة الوزارة هو زعيم حزب الأغلبية، أغلبية ، البرلمان الصدقى ، وقد تصور اسماعيل صدقى باشا ، أنه كرئيس لحزب الأغلبية ، الذى يسند الحكومة التى هى حكومته يمكن أن يكون له نفوذ ما ، على تلك الحكومة فاذا بالآية ، تنعكس تماما ، رئيس حزب الأغلبية يصبح بلا فاعلية لأن الأغلبية لم تقف الى جانبه دائما ، وقفت ــ وبلا حياء ــ الى جانب رئيس الوزارة الجديد :

وصف الأستاذ عبد الرحمن الرافعى موقف « حزب الشعب الصدقى » من رئيسه ، ومؤسسه ، اسماعيل صدقى بقوله : تألفت وزارة عبد الفتاح يحيى باشا على أساس نظام صدقى باشا ، أى على «أساس دستوره» وفى ذلك يقول يحيى باشا فى كتابه الى الملك : ولقد كان لى شرف الاشتراك فى وضع أسس النظام الحاضر ، والسهر ، على تنفيذه ، حتى استقر نهائيا ! وقام شيوخ الأمة ونوابها بالمهمة الموكولة اليهم خير قيام ، فبذلوا مع الحكومة مجهودا عظيما سياسيا ، وماليا ، واقتصاديا ، لتسير وزارتى بالبلاد فى ظل « جلالتكم » فى الطريق نفسه مسترشدة بحكمة « جلالتكم » السابقة : كانت هذه الوزارة خاضعة فى تشكيلها ، وسياستها وتصرفاتها ، لارادة السراى ويلاحظ ان فيها وزيرين من حزب الشعب وهما ابراهيم فهمى كريم باشا وعلى المنزلاوى بك ·

***

ولم يكن صدقى باشا مقرا تمثل حزبه فى الوزارة بهذه القلة : لم يكن راضيا فى الجملة عن تخطيه ، وعدم استشارته فى تأليفها بصفته رئيس حزب الغالبية البرلمانية ونقم من الوزيرين الشعبيين دخولهما الوزارة دون موافقة حزبهما ، فأعلن أنه يعتبرهما متخليين عن عضويتهما فى الحزب فلم يكترثا لهذا القرار ،

***

وكان يحيى باشا ، مستقيلا من وكالة حزب الشعب من يناير ١٩٣٣ ، اثر خروجه من وزارة صدقى باشا ، فعاد وتمسك بها بعد تأليف الوزارة ليتخذ لنفسه صفة تمثيلية ، واضطر صدقى باشا أن ينحنى كعادته أمام القوة ، ويخضع للحكومة القائمة فجمع مجلس ادارة حزبه يوم ٢ أكتوبر ١٩٣٣ وقرر تأييد وزارة يحيى باشا ، والترحيب ، بعودته الى حظيرة الحزب وسحب قرار اعتبار الوزيرين الشعبيين متخليين عن عضويتهما فيه ، وهكذا شهدت البلاد مهزلة جديدة من الحياة السياسية ، الملفقة ، البعيدة عن الاستقامة والكرامة وازداد صدقى باشا ضعفا أمام الوزارة وأمعنت هى فى الزراية به ورأى أعضاء حزبه ينفضون من حوله ، ويستبدلون ، به سيدا ، جديدا ، فاضطر فى أوائل نوفمبر أن يستقيل من رئاسة حزب الشعب ، وكانت هذه الاستقالة معقولة ، لأن هذا الحزب لم ينشأ الا ليستند الى الوزارة ، فلما أقصى عن رئاسة الوزارة انضم أعضاء ، حزبه الى رئيس الوزارة الجديد فكان حتما مقضيا أن يتنحى عن رئاسة الحزب ، الذى أنشأه ، وهكذا انفصل عن الحزب ، كمـا انفصـل عنه ناديه وانفصلت عنه جريدته ، لمجرد اقصائه من رئاسة الوزارة ، ثم ما البث صدقى باشا ، أن عاد الى تولى رئاسة الحزب ، بعد استقالة وزارة يحيى باشا : وأذكر ، أن عبد الفتاح يحيى باشا رئيس الوزارة الجديد ووكيل حزب الشعب سابقا ولاحقا : ارتكب بعض الأخطاء تجاه رئيسه فى الوزارة وفى الحزب ، وتجاه ، بعض زملائه فى الحزب أيضا وقد عبر صدقى باشا ، عن غضبه الشديد ، من رئيس الوزارة الجديد ، كما يبدو واضحا من الرسالة التالية ، التى أرسلها اسماعيل صدقى باشا رئيس حزب الشعب الى عبد الفتاح يحيى باشا رئيس الوزارة ووكيل حزب الشعب :

حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء ..

منذ الأمس ، تواترت لدى الأنبـاء بأن حملة شديدة توجه من حضرات المديرين من موظفين آخرين ، كبارا ، وصغارا على حضرات النواب الشعبيين وسدى هذه الحملة ولحمتها التهديد تارة والترغيب تارة ، وغايتها أن تصيب هدفين معا : الأول دفع حضرات النواب ، الى حضور حفلة شاى ستقام فى الغد ، بدار أحد أعيان الأقاليم ، والثانى ترغيبهم عن قبول دعوة الغداء ، التى دعوتهم اليها بمنزلى فى « الغريب » والأمر ، بالغ الخطورة لان التدخل بين النائب

وحزبه بمثل الأساليب التى اتصل بنا خبر الكثير منها ليس الا افتئاتا صارخا على التقاليد الدستورية وعلى الحرية المكفولة بالدستور » .

***

وعندما أشيع — وقد يكون صدقى باشا هو مصدر تلك الشائعة — أن دولة صدقى باشا سوف يرشح نفسه رئيسا لمجلس النواب فى الدورة الجديدة ثارت ثائرة الوزارة وغضب الحزب غضبة مضرية ضد رئيسه السابق ، وراح خصوم صدقى باشا يبذلون قصارى جهدهم لاحداث انشقاق فى صفوف حزب الشعب يحول دون نجاح اسماعيل صدقى فى رئاسة مجلس الشعب وأحس صدقى بما يدبر ضده فى الخفاء ، والعلن فأصدر بيانا — مفاجئا — جاءفيه :

***

يعلم اخوانى أعضاء حزب الشعب انى لم أرشح نفسى لرياسة مجلس النواب وانما تمسك بها رهط كبير منهم بحسبانها حقا طبيعيا من حقوق حزب الشعب ، ودلالة على ثقتهم بى خصوصا فى السنوات الثلاث الماضية كانوا ينزلون ، عنها بناء ، على طلبى وبالنظر الى ما هناك من تضامن بين حزبى الشعب والاتحاد وبما ان الأمر ، قد وصل الى تصرفات لبعض الموظفين من شأنها أن تلحق ضررا بوحدة الحزب ، وأن تؤثر فى المظهر النيابى فى حين أن مسألة الرياسة هى مسألة ثانوية من حيث قيام ، النائب بواجبه النيابى ، ومن حيث عدم تأثيرها فى مقام النواب لذلك ، جئت بهذه الكلمة راجيا من حضرات نواب حزب الشعب ألا يتمسكوا بترشيحى لرئاسة مجلس النواب » : وقال المعارضون لاسماعيل صدقى باشا ان بيانه الخاص بتنحيته عن الترشيح لرياسة مجلس النواب مناورة مكشوفة لاسكات الفريق ، المعارض ، فى حزب الشعب :

***

وضاعفت الحكومة التى كانت تعتمد على دستور اسماعيل صدقى باشا وعلى نظامه ضاعفت من حملاتها ضد اسماعيل صدقى باشا ، نفسه وضد النواب الذين ظلوا ، الى جانبه ، ورأى ، اسماعيل صدقى ، أن يستقيل من عضوية مجلس النواب وأن يستقيل أيضا من رئاسة حزب الشعب : فى ٧ ديسمبر ١٩٣٣ : أرسل اسماعيل صدقى ، نائب فرسيس الى رئيس مجلس النواب راجيا التكرم ، بعرض استقالته من عضوية المجلس ، على هيئة المجلس الموقر ، وبعد ذلك أرسل الى نائب رئيس حزب الشعب ، رسالة يقول فيها : أتشرف بأن أبدى لدولتكم انى قدمت استقالتى من عضوية مجلس النواب وبما ان رياسة حزب الشعب تقتضى وثيق الاتصال بالحياة البرلمانية لذلك ، أرجو من دولتكم أن تتكرموا بعرض استقالتى من رئاسة الحزب على مجلس الادارة » والملاحظ

أن صدقى باشا طلب عرض استقالته على مجلس النواب وعرض استقالته من الحزب ، على مجلس ادارة الحزب ، وهو مطلب ذكى ، اذ من الممكن أن يرفض مجلس النواب الاستقالة من مجلس النواب وكذلك من الممكن أن يرفض مجلس ادارة الحزب الاستقالة من الحزب وقد كان صدقى باشا ــ لو لم يكن يريد أشياء أخرى غير الاستقالة ــ أى يستقيل من المجلس النيابى دون أن يطلب عرض الاستقالة على المجلس ولو أنها كانت ستعرض حتما ، وأن يستقيل من الحزب دون أن يطلب بنفسه عرض الاستقالة على مجلس ادارة الحزب ــ وهذا حقه ولكن ما أراده صدقى باشا ، من احداث ضجة حول الاستقالتين ، لم يتحقق، خاصة وان مجلس ادارة حزب الشعب اجتمع وبسرعة وقرر بالاجماع ــ وهذا شيء نادر فى تاريخ اجتماعات الحزب ــ قبول استقالة منشىء الحزب ، وراعيه ، وحاميه اسماعيل صدقى مع توجيه خطاب شكر ، الى دولته وكان الاقتراح ، بتوجيه خطاب شكر الى اسماعيل صدقى باشا قد قدم ، من قبل ، صديقه اللدود ، عبد الفتاح يحيى باشا ، نائب رئيس الحزب بل ان الموافقة على الاقتراح جاءت بعد تهديد من عبد الفتاح يحيى باشا ، بالويل والثبور ، وعظائم الأمور اذا لم تتم الموافقة ، على ارسال خطاب الشكر ، وتكون الموافقة بالاجماع .

★★★

وأحس ، اسماعيل صدقى باشا ان ما أراده من استقالته لم يتحقق تماما فبادر الى سحب استقالته من مجلس النواب ، والم يكن أمر ، الاستقالة قد عرض بعد ، على المجلس ، وفيما يلى خطاب استقالة اسماعيل صدقى باشا نائب فرسيس والرئيس السابق ، للوزارة ، والرئيس السابق أيضا لحزب الشعب ومنشىء البرلمان الصدقى ، والنظام الصدقى ، فيما يلى نص خطابه الى رئيس مجلس النواب :

★★★

حضرة صاحب المعالى رئيس مجلس النواب ..

سبق ، أن بعثت لمعاليكم بخطاب طلبت فيه عرض استقالتى من عضوية مجلس النواب ، على هيئة ، هذا المجلس الموقر ، وقد اطلعت اليوم بجرائد الصباح على تصريحات منسوبة لحضرة صاحب الدولة رئيس الحكومة وحضرة صاحب المعالى وزير المعارف ، قيل انها ألقيت على مسامع حضرات النواب الشعبيين ــ والاتحاديين وفيها النذير ، بحل مجلس النواب ، اذا لم تتجه أصواتهم ، لناحية معينة عند عرض استقالتى فى هذا المساء ، وقد كانت هذه التصريحات محلا لدهشة منى حتى انى ترقبت صدور جرائد المساء ، لعلى أقرأ بها ما يعتبر أن ما نسب الى الوزيرين مخالف ، للواقع وقد صدرت هذه الجرائد فاذا هى مع الأسف الشديد تؤيد أنباء ، التصريحات المذكورة بصورة لا تحتمل

شكا ، ولا ابهاما : ازاء ما تقدم ولعلمي ، ان حل مجلس النواب هو اجراء خطير، لا تلجأ اليه الحكومات الا حين يتعذر التفاهم بين الهيئتين التشريعية والتنفيذية، في اتجاهات الحكم الرئيسية وليس قبول ، أو رفض استقالة نائب من هذه الشئون في كثير أو قليل ولحرصي من جانب آخر ، على استقرار الحياة النيابية التي عملت لها منذ الساعة الأولى بجهد واخلاص طالما شهد بهما النواب المحترمون وقد يبدو لي مما أعرفه من شعور حضراتهم نحوى أن عرض استقالتى ربما أثار بين النواب ، والحكومة خلافات قد تؤدي لما تنبو عنه الحكومة ويخالف مقتضيات المصلحة العامة الذلك رأيت أن أسحب استقالتى من عضوية المجلس حتى لا أعطى فرصـــة للنيل من النظام الحاضر في شأن هو خاص بي ولا علاقة له بتوجيه السياسة ، العامة للبلاد ، وتفضـلوا ٠٠ اسماعيل صدقى : نائب فرسيس ١٨/١٢/١٩٣٣ ويتصل دولة عبد الفتاح يحيى باشا بالصحف ويوزع عليها البيان ، التالي :

★★★

ان نتيجة الانتخابات لمكتب مجلس النواب التى جرت بالأمس ، للرد ، على مزاعم دولة ، صدقى باشا لا تدع مجالا للشك ، في ان دولته قد فشل في مناورته السابقة فقد كان يتوهم أنه يستطيع أن يحمل غالبية أعضاء مجلس النواب ، على التمسك بعضويته حتى يتسنى له أن يقول بعد ذلك ، كما هى عادته انه نزولا على ارادتهم لا يسعه الا سحب استقالته ، فلما أيقن أن حضرات أعضاء المجلس لن يجاروه في مناورته لم ير بدا ، من أن يسحب استقالته بيده مستترا وراء أسباب يدعيها ، ومما يدعو الى الأسف أن دولة صدقى باشا يظهر نفســه في المناسبات التى يخلقها بمظهر الحامي للحيـــاة النيابية ؟ القوام على كرامة النــواب ، وفاته أن حرص النــواب على كرامتهم وادراكهم لواجبـــاتهم النيابية هو الذى جعلهم يجتنبون المضى مع دولة اسماعيل صدقى باشــا في مناوراته ، الملتوية ، وبذلك برهنوا للملأ على انهم فوق ، مظان دوالة صدقى باشا وأوهامه » ٠

★★★

وأوضح رئيس الوزراء بأنه حادث النواب الشعبيين الذين اجتمعوا في داره بصفتهم هذه راجيا الا يفضى موضوع استقالة صدقى باشا عند عرضه على مجلس النواب الى تكرار ما حدث في الحزب عنـد عرض استقالته من رياسته لأنه ليس من شأن تكرار المناورات سوى تزعزع الحياة النيابية طالبا اليهم أن يبذلوا جهودهم ، ليحولوا دون وقوع تلك المناورات » ٠

★★★

ويقدم الأستـاذ حافظ رمضـان رئيس الحزب الوطنى ، ونواب الحزب استجوابا الى رئيس الوزراء والى وزير المعارف ، والى وزير الداخلية حول ما

جاء فى خطاب اسماعيل صدقى ، الى رئيس مجلس النواب من وقائع منسوبة الى رئيس الوزراء واعتبار أن ما صدر من التصريحات المنسوبة لرئيس الحكومة ووزيرين من أعضاء وزارته يعتبر من أخطر مايصدر من حكومة لنواب وتتعارض مع أبسط المبادىء الدستورية التى تكفل للنواب كرامتهم وحريتهم فى ابداء الرأى كما تعتبر تلك التصريحات اعتداء صارخا على الدستور » ويطلب حافظ رمضان وزملاؤه من المجلس مناقشة هذه التصريحات ، حتى يتخذ المجلس — بعد المناقشة — ما يراه حافظا لكرامته ضامنا لحريته وحاميا لدستوره ٠

***

ولكن ماذا عن العلاقات بين صدقى باشا ، وعبد الفتاح يحيى باشا ؟

● أرجو الا أتهم بالمبالغة اذا ما قلت أن المعركة بين اسماعيل صدقى باشا باعتباره رئيسا سابقا للوزارة وباعتباره رئيسا « حاليا » لحزب الشعب، وبين عبد الفتاح يحيى باشا ، باعتباره رئيسا « حاليا » للوزارة ونائبا حاليا أيضا لرئيس حزب الشعب ، الذى هو اسماعيل صدقى باشا ، هذه المعركة كانت بحق من « أفكه » وألطف المعارك ، السياسية ، الحزبية التى عرفها تاريخنا السياسى ، والحزبى ، كان اسماعيل صدقى باشا رئيسا للوزراء ورئيسا لحزب الشعب ، وكان عبد الفتاح يحيى باشا وزيرا للخارجية فى وزارة صدقى باشا، ونائبا فى نفس الوقت لرئيس حزب الشعب وفى أعقاب نشر فضائح الوزارة والادارة فى حادث البدارى استقال — أو بمعنى أدق أقيل — وزير الخارجية بينما كان يستقبل وزير ايطاليا المفوض فى مصر ، حتى لقد روى عن عبد الفتاح يحيى باشا انه قال استقبلت وزير ايطاليا المفوض كوزير للخارجية ، وودعته كوزير سابق للخارجية ، وكانت استقالة — أو اقالة — عبد الفتاح يحيى باشا من وزارة الخارجية بمثابة اعلان الحرب بين رئيس الوزارة ووزير خارجيته سابقا،وبين رئيس حزب الشعب وبين نائبه فى رئاسة حزب الشعب٠

***

ومنذ اليوم الذى أعاد فيه اسماعيل صدقى باشا تشكيل وزارته الجديدة ، بدون على ماهر باشا ، وزير الحقانية ومن والاه فى موقفه من حادث البدارى كعبد الفتاح يحيى باشا ، وعبد الفتاح يحيى باشا يكيد لاسماعيل صدقى بغية اخراجه من رئاسة الوزارة ، كما أخرجه هو من وزارة الخارجية : استقال أولا ، من منصب نائب رئيس حزب الشعب حتى لا يتحمل نصيبه من الأوزار التى يرتكبها كل يوم حزب الشعب وحتى يكون له مطاق الحرية فى الدس لاسماعيل صدقى باشا ، واظهاره بمظهر السياسى الفاشل المعادى للشعب ، وللسراى ، وللانجليز معا !! ولم يشأ اسماعيل صدقى باشا ، أن يقبل استقالة نائبه فى حزب الشعب ، حتى لا يقطع أمام الرأى العام شعرة معاوية ، التى تربطه

بعبد الفتاح يحيى باشا ، وحتى تجعل عبد الفتاح يحيى باشا مقتصدا الى حد ما فى عداوته لاسماعيل صدقى باشا ، وراح عبد الفتاح يحيى باشا يؤكد للمسئولين فى السراى بأنه رجلهم الأول بل الأوحد ، وان اسماعيل صدقى باشا لم يكن يقدم على افتراسه ، الا بعد أن تأكد من ميوله ـ ميول عبد الفتاح يحيى باشا ـ الى هؤلاء المسئولين فى السراى ، وعلى رأسهم زكى الابراشى باشا ٠

***

وانتهز عبد الفتاح يحيى باشا فرصة فشل صدقى باشا فى التفاوض ـ مجرد التفاوض ـ مع الانجليز ، وفرصة نقل سير برسى لورين المندوب السامى البريطانى فى مصر ، مغضوبا عليه ، من القاهرة الى أنقرة كما انتهز فرصة غضب السراى على اسماعيل صدقى وغضب الانجليز على اسماعيل صدقى أيضا ـ ولأسباب مختلفة ـ فقفز القفزة الكبرى ، الى كرسى رئاسة الوزارة مؤيدا من السراى ومن دار المندوب السامى البريطانى فى مصر ، ولم يجـد عبد الفتاح يحيى باشا غريما ، أو خصما يجب القضاء عليه والانتقام منه الا دولة اسماعيل صدقى باشا : وبالرغم من أن اسماعيل صدقى باشا كان رئيس الحزب الذى يملك الأغلبية فى البرلمان الذى يسند ، أو المفروض فيه أن يسند الوزارة القائمة وبالرغم من أن الواجب الأول لرئيس الوزراء الجديد ، العمل على استرضاء ذلك الحزب ورئيسه الا أن عبد الفتاح يحيى باشا بادر ـ ومن أول لحظة تم فيها اعلان تشكيل الوزارة الجديدة ـ باعلان الحرب العنيفة الضارية ، على رئيس الوزارة السابق ، وعلى رئيس الحزب الذى تعتمد عليه الوزارة ، والنظام القائم وقتئذ ٠ وعندما بادر اسماعيل صدقى باشا بصفته رئيسـا لحزب الشعب بتجميد عضوية اثنين من كبار رجالات حزبه لانهما قبلا الاشتراك فى وزارة عبد الفتـاح يحيى باشـا بدون اذن مسبق من الحزب تذكر عبد الفتـاح يحيى باشا ، أنه لا يزال ـ على الورق ـ نائبا لرئيس حـزب الشعب لان استقالته لم تقبل بعـد ، وبدأ عبد الفتاح يحيى باشا يباشر نشاطه ودسائسه ضد رئيس الحزب الذى هو ـ أى عبد الفتاح يحيى باشا ـ رسميا بمثابة نائب له وضد الحزب الذى هو رسـميا أيضا ، السند البرلمانى الأكبر بل الأوحد لوزارته وتدور بين اسماعيل صدقى باشا ، وبين عبد الفتاح يحيى باشا ، معركة بل معارك من « أفكه » وألطف المعارك الحزبية على الاطلاق ٠ انها معارك تصلح بحق أن تكون موضوعا لكوميديا سياسية رائعـة ، ولقـد حاولنا أن نشـير ـ اجمالا ـ الى بعض فصول تلك المسرحية ، التى جعلت اسماعيل صدقى باشا يكاد بحق يفقد عقله ، وتوازنه معا ، بالرغم من أنه من أذكى السياسيين المصريين على الاطلاق ، وبالرغم من أنه أمكر ، وأقدر العاملين بالحقل السياسى وقتئذ ولعلها المرة الأولى التى يقف فيها أعضاء حزب سياسى ما وبتحد سافر بل وقح ضد رئيس الحزب ومنشئه من العدم ٠

ولعلها المرة الأولى في تاريخ الأحزاب السياسية المصرية وربما غير المصرية التي يهاجم فيها وبدرجة بالغة من الفظاظة والغلظة أعضاء حزب ما ، رئيس ذلك الحزب حتى وهو لا يزال بعد في مقعد رئاسة ذلك الحزب : ولعلها أيضا — وللمرة الأخيرة في تاريخ الأحزاب السياسية بل وفي تاريخ السياسة المصرية أن يصل العقوق ، ونكران الجميل والتنكر لسياسي ما من قبل الذين صنعهم بيديه ، جعل منهم وهم لا شيء على الاطلاق وزراء ، ونوابا وسياسيين مرموقين ، وغير مرموقين كما كان عقوق أعضاء حزب الشعب ، لاسماعيل صدقي رئيس حزب الشعب وكما كان نكران هؤلاء الأعضاء وتنكرهم لرئيسهم ، ولصانعهم اسماعيل صدقي باشا .. ولعل صدقي باشا — وهو السياسي العتيق — لم يشعر يوما ما بالأسى والأسف بل والحزن كما شعر يوم انفضاض نواب حزب الشعب من حوله ، وجحودهم لكل ما قام به من أجلهم وفي مقدمة ما قام به تزويره انتخابات برلمانية برمتها من أجل انجاحهم : ولعل صدقي باشا — وهو الذي ولى الوزارة ، أكثر من مرة . الم يشعر يوما بالأسى ، والأسف ، بل والحزن كما شعر ، يوم استقالته ، أو اقالته من الوزارة ، عندما رأى أن كل من في مصر فرح باستقالته ، أو اقالته .

★★★

وان كل من في مصر مستبشر خيرا بمن جاء بعده كائنا ، من كان ذلك ، الذي جاء بعده : وكان صدقي باشا يعتقد مخلصا أنه أدى واجبه كأروع ما يكون الأداء تجاه حزبه ، حزب الشعب بل تجاه الشعب ذاته : وان كنت لا أدري ، أي شعب كان يعني اسماعيل صدقي ، عندما راح يعدد في مذكراته بعض مآثره على الشعب : يقول اسماعيل صدقي في مذكراته : لا أراني مسرفا اذا قلت ان فريق الاوتقراطية كان قد جرب عدة مرات في الحكم ، فأبدى فيها عجزا ، وأوشك أن يلحق في كل مرة بالبلاد وسمعتها ، ضررا بليغا ، ذلك انه لم يسلك في الحكم السبيل المستقيم فقد شغل باستدامة أسباب النفوذ،والسلطان لنفسه ، وبتوفير وجوه المنافع لأنصاره والثار من خصومه ، عما يقتضيه الحكم، من توفر على النظر في حاجات البلاد وضروب الاصلاح ، وتضحيته في سبيل اسعاد البلاد ورقيها ..

ولا شك في أن داء البلاد الوبيل كان في ذلك الحين طغيان فئة اتخذت من الدعاية التي تنشرها بين الناخبين والنواب جميعا سببا محدودا للحكم والتحكم فان هي أقصيت عن الحكم حاولت استثارة عطف الجماهير بدعوى اضطهادها لدفاعها تارة عن استقلال البلاد ثم عن الدستور تارة أخرى ، فهي في سبيل مصلحتها الخاصة كانت تصرف البلاد عن سبل الخير وتشغلها عن حل مشاكلها واصلاح شئونها ، الذلك رأيت أن مصلحة البلاد الكبرى تفرض

على القائمين على أقدارها أن ينسوا الماضي بما له ، وما عليه ، وأن يصدر دستور جديد تستفتح به صفحة جديدة في تاريخها الحديث ، واذا كانت الضرورات ألجأتني الى انتهاج هذه السبل فالتاريخ العام للحياة النيابية حافل بمثل هذه الظاهرة ، ظاهرة ابدال دستور بدستور .

كان رئيس الديوان الملكي في ذلك الحين المرحوم محمد توفيق نسيم باشا ، فلما رفعت الى جلالة الملك فؤاد مشروع الدستور الجديد وضع نسيم باشا مذكرة ضمنها عدة ملاحظات على بعض مواده وعارض في اصدارها على الصورة التي اقترحتها . ولكن الملك فؤاد لم يوافقه على هذه الملاحظات ، وكان يميل الى استقرار الحكم وقد عز عليه أن يرى بلاده واقفة حيث هي يضيع العجز مصالحها وتقطع الحزبية الجانحة أوصالها ويهمل العمل فيها للاصلاح ولا تجد من يتولى شئونها بعزم ، وحزم ، ونزاهة ، للسير بها الى الامام في حين نرى الأمم الأخرى ــ حتى الأمم التي هي أقل شأنا من مصر ــ تتسابق في معالجة مشاكلها وتجد في السير للرقي والمجد ،ولذلك ارتاح جلالته لهذا الدستور ، وشجعني عليه فمضيت فيه واستطعت في خلال الفترة التي حكمت فيها بعد صدور الدستور الجديد أن أقوم بأعمال هامة في الاصلاح العام ، ما زالت آثارها باقية حتى الآن ــ سواء في نواحي الاصلاح الزراعي ، كمشروعات الصرف والري،وتعلية خزان أسوان أو في الاصلاح العمراني كاقامة الجسور ، وتجميل المدن ، وانشاء طريق الكورنيش بالاسكندرية أو في الاصلاح الاقتصادي كمعالجة الأزمة الاقتصادية ، والعمل لتخفيض وطأتها في مصر ، بعدة تدابير لا تزال باقية أثارها ولا يخفى أن الأزمة التي كانت قائمة لم تكن مصرية فحسب بل كانت أزمة عالمية لم يشهد العالم مثلها ، فعملت على الأخذ بيد السكان فقراء وموسرين ممن كان أثر هذه الأزمة واقعا عليهم أكثر من غيرهم . وهم المزارعون فعملت على ابعاد أيدي المرابين عنهم فأقرضتهم وجعلتهم يتخطون الأزمة بسلام ، وهنا يصح أن أذكر بنك التسليف الزراعي الذي أنشأته ، وكان رحمة بالفلاح المصري ونقمة على المرابين وأكثرهم من الأجانب وقد دام أثره الطيب الصالح حتى وقتنا الحاضر » .

★★★

وعن حزب الشعب يقول صدقي باشا في مذكراته : أنا من الذين لا يميلون الى الحزبية ولا يحبون التقيد بالأحزاب ، ولذلك لم أنضم طوال حياتي السياسية قبل سنة ١٩٣٠ الى حزب،ولم اؤلف حزبا وقد تألف حزب الأحرار الدستوريين برئاسة عدلي يكن باشا ، واشترك فيه زميلي ثروت باشا ، وكلاهما كان صديقا حميما لي ، ومع ذلك لم أنضم اليهما ، ولم أشترك يوما ما في عضوية هذا الحزب ولكن بعد تأليفي للوزارة ووضع دستور ١٩٣٠ ، واعلان الانتخابات

لقيام برلمان جديد فى ظل هذا الدستور رأيت أنه لابد للوزارة من استنادها الى أغلبية برلمانية وقد كنت أؤمل أن يؤيدنى حزب الأحرار الدستوريين كما أيدنى حزب الاتحاد نظرا لصداقتى لأعضائه الذين شعروا بأنى سلكت الطريق القويم ، ومما يؤسف له أن المسائل الشخصية لعبت فى ذلك دورها الممقوت، ولم يعمل حساب لما قلته باخلاص عندما توليت الحكم وهو « أنى عابر سبيل » .

★★★

ومن العجيب أن الباقين من الأحرار الدستوريين ائتلفوا مع الوفد وكانوا قد عانوا منه ما عانوه بحجة اننى اعتديت على دستور ١٩٢٣ وفاتهم أنهم هم الذين أجلوا الحياة النيابية وأوقفوا الدستور ثلاث سنوات قابلة للتجديد وحكموا البلاد أربعة عشر شهرا حكما وصفوه هم بأنه حكم ديكتاتورى ، لذلك رأيت فى تلك الظروف أن أؤلف حزب الشعب ورئى فى أول الأمر ، أن يسمى حزب الاصلاح وقد انضم اليه عدد من أعضاء حزب الأحرار الدستوريين وحزب الاتحاد والمستقلين وقد ظفر هذا الحزب بالأغلبية فى الانتخابات وبقى مؤيدا لى طول بقائى فى الحكم على انه عندما استقلت من الوزارة وعهد بها الى دولة عبد الفتاح يحيى باشا تخليت عن رياسته ثم استقلت من عضويته ورأيت أن أعود الى طريقى فى البعد عن الحزبية والأحزاب .

ومن بين ما يعتقد اسماعيل صدقى باشا ، أن مما أداه للشعب من خدمات أنه نجح فى تنازل الخديو عباس حلمى عن العرش ولم يكن الخديو ، قد أعلن تنازله عن حقه فى العرش ولم يعترف بالنظام الملكى القائم فى مصر ، حتى ٦ مايو ١٩٣١ . وقد كانت مشكلة عدم تنازل الخديو عباس حلمى عن حقه فى العرش فى مقدمة المسائل التى تشغل بال اسماعيل صدقى ، عندما تولى الحكم فى سنة ١٩٣٠ كما يقول فى مذكراته وقد فاتح صدقى باشا الملك فؤاد ، فى سعيه الحل تلك المشكلة وقد ابتهج لسعيه هذا الملك فؤاد ، وقال له « سر على بركة الله » .. وتتعدد المقابلات بين اسماعيل باشا ، وبين مندوب الخديو عباس حلمى باشا ، الذى كان قد جاء لزيارة مصر فى يناير ١٩٣١ موفدا من قبل الخديو لمقابلة اسماعيل صدقى .. ولم يكن أحد يعلم بأنباء ذلك السعى الا الملك فؤاد ، واسماعيل صدقى ، ومندوب الخديو ، بل ان مجلس الوزراء لم يكن يعلم شيئا عن أمر هذا المسعى ! الى أن نجح مسعى اسماعيل صدقى وجاءت وثيقة التنازل عن العرش ، موقعة من الخديو السابق عباس حلمى الثانى الذى أقر للملك فؤاد بن اسماعيل ، بأنه ملك مصر الشرعى والذى أعلن تنازله عن كل دعوى على عرش مصر ، وتنازله أيضا عن كل مطالبه ناشئة عن كونه كان خديويا لمصر أيا كان وجهها سواء عن الماضى أم عن الحاضر ، وعندما رفع اسماعيل صدقى الى الملك فؤاد وثيقة التنازل بعد عودة مندوبى الحكومة المصرية

بها من جنيف ـ أمين أنيس باشا ، المستشار الملكي ، الأستاذ بتسى بك المحامى، يوسف جلاد بك رئيس الادارة الافرنجية بسراى عابدين ، وكان عبد الحميد بدوى ، هو الذى صاغ وثيقة التنازل تلك ، يقول اسماعيل باشا : « انه عندما رفع وثيقة التنازل الى الملك فؤاد مع خطاب شخصى من الخديو الى جلالته سر بهذه النتيجة وأراد ـ كما يقول صدقى باشا فى مذكراته ـ أن يعرب عن تقديره لشخصى الضعيف بالانعام على المرحومة السيدة حرمى باالوشاح الأكبر ، من نيشان الكمان ولما ذهبت لرفع آيات الشكر ، لهذا الانعام السامى وعلم بوجودها فى الحرملك ، انتقل رحمه الله اليها ، وقال لها : ان زوجك قد حاز كل أوسمة الدولة وقد فكرت أن أقدم لك وسام الكمال اليكون المكافأة التى أستطيع أن أقدمها اليه فى شخصك ٠

***

ويعود صدقى باشا ، فى صفحات أخرى من مذكراته ، ليكتب عن حزب الشعب والحزبية ، تحت عنوان : طلقت الحزبية : لم أكن أريد أن أؤلف حزبا ، أو أصبح رئيسا لحزب يوما من الأيام ، لانى لا أميل الى الحزبية وليس من طبيعتى التشيع الشخص من الأشخاص ، ولو كان شخصى،أو بفكرة من الأفكار، الا اذا كنت مؤمنا بها ، ايمانا مطلقا ، عن كل غرض ، أو قيد من القيود ٠ ولكن ظروف الحكم والحياة الدستورية اضطرتنى الى تأليف حزب الشعب لأستنند الى تأييده بعد ما تخلى عنى جانب ذو شأن من حزب الأحرار ، وأنضم الى الوفد لمعارضتى ومحاربة دستور ١٩٣٠ حتى اذا تركت الحكم ، وسايرت التيار الحزبى بعض الوقت لمست أن لا فائدة من اتصالى بحزب معين ، واستقلت استقالة مسببة بينت فيها أن الحزبية فى مصر ، ليست من النوع الذى يتحقق منه للبلاد نفع ، لأنها عندنا ذات صفة شخصية ، أى أنها تتصل بالأشخاص لا بالمبادىء، وذلك شأنها فى البلاد التى لم تنضج فيها الحياة النيابية ، ولم تستقر فيهما مبادىء الحكم الديمقراطى حيث يجتمع الناس حول أشخاص لا حول مبادىء ٠

***

وقد كانت هذه هى حال بلاد اليونان فى زمن مضى بل لقد وصلت هذه البلاد فى ذلك الاتجاه ، الى أن كانت تسمى الأحزاب بأسماء رؤساتها والواقع اننا فى مصر ، لا نختلف عن ذلك فى شىء فالأحزاب عندنا أفراد جمعتهم وحدة حال ، أو صداقة ، أو ذكريات مشتركة أو أقسام من أحزاب انفصلت عن حزبها الأول لاختلاف فى وجهات النظر فكونوا من الأحزاب ، أحزابا ، ولست أدرى لهذا كله من فائدة ، غير تلك التى تهيىء للمتحزبين أسباب الحكم ، وأنت اذا استعرضت جميع الأحزاب المصرية واستطلعت اتجاهاتها العامة لم تفز بأى فارق بينها ، واذا كان لى أن أبذل نصحا فهو أن تعمل الأحزاب ، على وضع

برامجها . وأن تعرض هذه البرامج علي البلاد لتتكون حول الأحزاب جمهرة مريديها العاملين على نصرتها ، وهناك من شئون الحكم مسائل كثيرة لابد أن يفهم الحكام اتجاه البلاد نحوها . فاننا فى مصر لم تتكون لنا حتى الآن فكرة عامة تتعلق بكنه ما نريده من الاستقلال : هل هو استقلال مجرد ، عن الاتصال بالغير : أى ضيق فى مراميه ، أم استقلال مبنى على التعاون مع باقى الدول ولم نكون رأيا فى سياستنا الخارجية بعدما انقسم العالم الى كتلتين شرقية وغربية، ولم نحدد موقفنا من كل منهما ، أو نقرر أى الكتلتين هى الأصلح للانضمام اليها لصيانة استقلالنا ، وتحقيق أهدافنا ، لم نفعل ذلك ، بل لم نكون خطة صالحة فى القضايا الاجتماعية وهى ذات خطر كبير فى الوقت الحاضر ، ولا فى القضايا المالية والاقتصادية وسياسة التعليم ، تلك القضايا التى هى مثار الأبحاث الدقيقة فى البلاد الأخرى وانما الذى نراه من حكامنا هو الارتجال كلما عرض لهم شىء من هذه المسائل ، وأملى كله فى الهيئة البرلمانية أن يكون لها من المران ومن الشعور بالواجب ما يدفعها الى نهج جديد تسير فيه على غرار البلاد الأخرى ، التى ترى نتائج بحوثها ومساعيها الطيبة نحو رقى البلاد واسعاد الشعب .

★★★

وعن الصحافة يقول اسماعيل صدقى : ان الصحافة قوة تستطيع أن تبنى وتستطيع أن تهدم ، واستطاعتها فى الهدم ، أشد منها فى البناء ، خصوصا فى بلد لم تنضج بعد النضج الكافى ولم يتعود التفكير الذاتى ، ولو أنه كان الى جوارى صحافة مؤيدة قوية لما استطاع خصومى أن ينجحوا فى محاربة دستور سنة ١٩٣٠ ذلك الدستور الذى بينت كيف وضع بعناية وروية ودقة ، والذى كان من أرقى دساتير العالم ، وأقلها عيوبا بالنسبة لدستور سنة ١٩٢٣ بل انه كان خاليا من تلك العيوب التى عانتها البلاد فى الماضى وتعانيها الآن ولكن خصومى استطاعوا أن يحاربونى بأقوى سلاح وهو الصحافة وقد كانت لهم صحافة ذات دعايات حزبية تنشرها فى البلاد ، وكانت حرة من كل قيد ، فأمكنها أن تشوه أغراض هذا الدستور الجديد ومبادئه الحقة ووجدت من قرائها من يصدق هذه الدعايات ، أو من يجاريها تحت أهواء السياسة وأقدار الظروف .

★★★

وعلى الرغم من هذا يمضى اسماعيل صدقى باشا فى مذكراته قائلا : رغم هذه الحرب الشعواء التى كانت تشنها الصحافة ويشنها خصومى فانى لم أعبأ بذلك أثناء توليتى الحكم لانها كانت حربا حزبية أو قل انها شخصية لا تهدف الى المصلحة العامة بل تهدف الى مصلحة شخص ، أو مصلحة حزب ولو انها كانت

لوجه الوطن ولمصلحة البلاد العليا ، بعيدة عن الشهوة لما أخذت هذه الصفة التى كانت تتسم بها طول مدة وجودى فى الحكم ، على اننى مكثت ثلاث سنوات أعمل لخدمة بلادى ومليكى ولنظام الحكم الجديد وكنت رئيسا للوزارة ووزيرا المالية، ووزيرا للداخلية . وقد حملت أعباء السياسة والادارة وشغلت نفسى ليلا ونهارا غير مدخر وسعا فى القيام بواجباتى ، وغير مشفق على صحتى ، حتى مرضت واعتكفت فى مينا هاوس ، وهنا برز المرحوم زكى الابراشى باشا وأخذ يبث نفوذه ويتدخل فى شئون الحكم ، والسياسة ، وسافرت الى أوربا للاستشفاء فزاد نفوذ الابراشى باشا ، واتسع نطـاقه ولما عدت من أوربا وجدت الحالة لا تطاق . فاعتزمت الاستقالة ولكنى لما قابلت الملك فؤاد اذ ذاك ، رأيت من عطفه ورعايته ما جعلنى أعدل عن الاستقالة ، على أنه لم تمض الا فترة قصيرة ، حتى كانت أزمة تعيين حسين صبرى باشا وزيرا فى وزارتى . فقد رئى أن يعين وزيرا للمالية ورأيت أن يعين فى وزارة المواصلات ، أو فى وزارة أخرى على أن يعين حافظ عفيفى باشا وزيرا للمالية ، فلم يصادف ذلك قبولا فرأيت أن أتخلى عن الحكم فى ٤ يناير سنة ١٩٣٣ بعد أن أديت واجبى لوطنى بالطريقة وبالسياسة التى كنت أراهما خيرا للبلاد » .

***

وأقف طويلا عند الكلمة التى وردت فى مذكرات اسماعيل صدقى باشا ، عن الصحافة وكونها كانت أقوى سلاح حورب به ، والحقيقة ان صحافة المعارضة لم تزدهر فى فترة من فترات التاريخ المصرى قدر ازدهارها فى السنوات الثلاث التى حكم فيها اسماعيل صدقى باشا من سنة ١٩٣٠ حتى سنة ١٩٣٣ ، وربما كان السبب فى ذلك ان رؤساء التحرير وكتابها لم يكونوا صحفيين محترفين . وانما كانوا قادة سياسيين قبل أن يكونوا صحفيين : لقد قاد صحافة المعارضة لاسماعيل صدقى لفيف من خيرة الكتاب والسياسيين أمثال محمد التابعى ، محمد توفيق دياب ، فاطمة اليوسف ، عباس محمود العقاد ، د. محمد حسين هيكل ، حفنى محمود ، أحمد ماهر ، طه حسين ، وغيرهم ، وغيرهم . قدموا جميعا للمحاكمة مرات ومرات . دخل بعضهم السجون مرات ، ومرات . لم يضعفوا ، ولم يلينوا ، فى أى وقت من الأوقات ، كانوا جميعا وبلا استثناء جنودا مضحين بكل ما يملكون فى سبيل العقيدة ، والمبدأ ، والرأى السياسى . ولعلى لا أتهم بالمبالغة اذا ما قلت أن العصر الذهبى لصحافة الرأى ، كان هو العصر الذى حوربت فيه تلك الصحافة بأقوى الأسلحة ، وكان هذا العصر ، الذى سمت فيه تلك الصحافة الى أرفع درجات التضحية والفداء ..

ولأن الفلك ــ كما يقال دوار ــ بفتح الدال وتشديد الواو المفتوحة ــ فان الكأس الذى شرب منه اسماعيل صدقى شربه ــ كله فيما بعـد خليفته ، عبد الفتاح يحيى باشا كما يتضح فى الفصل التالى .

الفصل الثانى

الوفد يتصل بالانجليز والسراى

لاستبدال عبد الفتاح يحيى بتوفيق نسيم !!

● تعتبر وزارة عبد الفتاح يحيى باشا (٢٧ سبتمبر ١٩٣٣ ــ ١٤ نوفمبر ١٩٣٤ امتدادا طبيعيا لوزارة اسماعيل صدقى باشا ولكن بدون اسماعيل صدقى باشا نفسه .

الدستور الذى « ابتكره » اسماعيل صدقى باشا ، والذى استمدت منه وزارة اسماعيل صدقى باشا ، الوحى والقوة والسند القانونى ، هو نفسه الدستور الذى استمدت منه وزارة عبد الفتاح يحيى باشا ، الوحى والقوة والسند القانونى ..

البرلمان الذى تمخض عن ولادة ذلك الدستور والذى كان نتاج أول انتخابات مصرية مزورة ١٠٠٪ والذى كان يقف الى جانب اسماعيل صدقى باشا ووزارته يمدهما بالعون « والتأييد الدستورى والبرلمانى » هو هو البرلمان الذى كان قد وقف الى جانب عبد الفتاح يحيى باشا ووزارته ، يمدهما بالعون والتأييد والسند الدستورى والبرلمانى ..

والشخصيات السياسية والاقتصادية والاقطاعيون وكبار أصحاب رءوس الأموال والعمد والأعيان وغيرهم وغيرهم ، الذين كان لهم ، فضل مؤازرة اسماعيل صدقى باشا ووزارته ، هم هم ، الذين لهم فضل مؤازرة عبد الفتاح يحيى باشا ووزارته ..

***

والعمود الفقرى الذى كان يحرك اسماعيل صدقى باشا ووزارته ونظام الحكم فى عهده ونعنى به « الموازنة والمواءمة والملاءمة » بين اتجاهات دار المندوب السامى البريطانى وسراى عابدين والعمل على تحقيق كل ما يطلبانه من الوزارة

بشرط عدم اغضاب أى من السراى أو دار المندوب السامى البريطانى فى مصر .
هذا العمود الفقرى لذلك النظام هو نفسه العمود الفقرى لعبد الفتاح يحيى باشا ووزارته ونظام حكمه ..

***

وليس معنى ذلك أبدا أنه لم تكن ثمة خلافات أو اختلافات بين اسماعيل صدقى باشا وعبد الفتاح يحيى باشا ووزارتيهما وأسلوبيهما فى الحكم و..و.. فالواقع أنه كانت هناك عدة خلافات أو اختلافات عديدة بين الرجلين فى شخصيتهما وفى أسلوبيهما فى الحكم ، بل وفى أهداف كل من الوزارتين « الصدقية » و « الفتاحية » ــ اذا جازت التسمية ! : اسماعيل صدقى باشا ــ كما هو معروف ــ كان جريئا على الشعب ــ حادا فى معاملته للجماهير وللأحزاب السياسية ولكل القوى السياسية والاقتصادية بل والاجتماعية فى البلد . كان اسماعيل صدقى ــ فيما يبدو لى ــ قد أسقط تماما الشعب من حسابه ولم يضع أمامه الا أن يرضى السراى ودار المندوب السامى ، ويحقق بعض أمور سياسية واقتصادية رأى انها فى مصلحة الشعب من وجهة نظره : كان فى مقدمة أهداف اسماعيل صدقى باشا ونظامه السياسى اضعاف أحزاب المعارضة وفى مقدمتها الوفد المصرى ، لأنه كان يرى حقيقة أن الوفد المصرى هو العقبة الوحيدة الكبيرة فى طريق الاصلاح والديمقراطية من وجهة نظره ، ولأن اسماعيل صدقى باشا كان قويا وعنيفا ومتجبرا ، فان نظام حكمه وخاصة فيما تبقى من عام ١٩٣٠ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٢ ظل متماسكا الى حد كبير بلا أمراض ، وبلا مظاهر ضعف واضحة جلية ..

***

وكان عبد الفتاح يحيى باشا بعكس اسماعيل صدقى باشا : عبد الفتاح يحيى حقيقة لم يكن رجلا جريئا على الشعب ، لم يكن قد تولى الحكم وفى ذهنه مخطط سياسى يستهدف اضعاف القوى السياسية والاجتماعية المعارضة لنظام الحكم : عبد الفتاح يحيى كان قد بقى لديه أمل ولو صغير فى الشعب : كان عبد الفتاح يحيى باشا ــ بعكس اسماعيل صدقى باشا ــ يخشى غضبة الشعب ولذلك فهو لم يحاول منذ اليوم الأول لتوليه الوزارة أن يحارب الشعب فى معارك سافرة كما هو الحال بالنسبة لاسماعيل صدقى باشا .. ولقد كان فى مقدمة أهداف عبد الفتاح يحيى باشا ، وقد رأى فى صدقى باشا المثل والعبرة ورأس الذنب الطائر ان أى نظام معاد للشعب وأهدافه لا يمكن أن يكتب له الاستمرار والاستقرار مهما كانت القوة التى تسانده ، كان فى مقدمة أهداف عبد الفتاح يحيى باشا استرضاء الأحزاب السياسية المصرية والعمل على كسبها لتكون عونا له فى المعركة التى أعلنها ضد اسماعيل صدقى باشا ، أو على الأقل

لتمسكت عنه وعن وزارته ، ولم تكن الظروف حقيقة مواتية لعبد الفتاح يحيى باشا ووزارته فان النظام غير الديمقراطي الذى كان قويا وعنيفا وعنيدا فى أيام اسماعيل صدقى باشا ، أيامه الأولى . هذا النظام قد ابتدأ يضعف « ويمرض » ويتآكل من الداخـل فى أيام عبد الفتـاح يحيى باشا . ذلك ان كل النظـم الدكتاتورية تكون فى أيامها الأولى قوية عنيفة سليمة متينة ، فاذا ما وجهت اليها ضربة قوية انهارت بسرعة ولا يمكن أبدا مهما بذلت تلك النظم من جهود أن تعود الى سابق « قوتها » وسلامتها ومتانتها ..

★★★

ولقد كان فى مقدمة الأسباب التى أدت الى سرعة انهيار وزارة عبد الفتاح يحيى التى لم تستمر فى الحكم الا ثلاثة عشر شهرا ونصف الشهر ، ان المرض قد أخذ يشـتد على الملك فؤاد وقد أدى اشـتداد المرض على الملك ، وللملك صلاحيات كبيرة فى ظل دستور صدقى باشا ، ان عناصر غير مسئولة ـ كما هى العادة ـ انتهزت فرصة عدم قيام الملك بأداء مهامه فظهرت على السطح وتدخلت فى كل كبيرة وصغيرة من أمور وزارة عبد الفتاح يحيى باشا ..

ويقول فى تلك النقطة د. يونان لبيب رزق فى كتابه « تاريخ الوزارات المصرية » : انتهزت عناصر غير مسئولة فى القصر ، فرصة مرض الملك فاتخذت لنفسها صلاحيات لا يخولها اياها وضعها الوظيفى مما دفع المستر بيترسون نائب المندوب السامى البريطانى فى القاهرة الى التدخل ليقدم طلبين محددين ، أولهما شغل منصب رئيس الديوان الملكى الذى كان شاغرا وقتذاك وحتى يتمكن البريطانيون من التعامل مع شخصيات مسئولة فى القصر على حد تعبيرهم . ثانيهما : اقالة وزيرين ممن عرفا بتبعيتهما الشديدة للقصر ، وبأنهما أدواته فى الوزارة ، ولا شك أن دوافع عديدة كانت وراء الجانب البريطانى فى تخليه عن سياسة الحيـاد التى التزم بهـا على امتداد سنوات عهد دستور ١٩٣٠ منها ما اتصل بضعف وزارة عبد الفتاح يحيى ومنها ذلك التدخل السافر من جانب القصر للسيطرة على الوزارة . ثم ما يترتب على ذلك ، وهو ما أقلق الانجليز فعلا من احتمال عودة الاضطرابات الشعبية وقد عبر عن ذلك أحد المسئولين البريطانيين فى القاهرة بقوله « من السهل دائما تغيير سياسة القصر فى أربع وعشرين ساعة لكن الاحتفاظ بحق الهدوء والسكينة لا يدرك دائما بمثل هذه السهولة ، وكان واضحا آنذاك ان جو الهدوء والسكينة هذا ، على وشك التداعى نتيجة لعودة النشاط الوفدى فى مقاومة عهد دستور ١٩٣٠ فى صيف ١٩٣٤ ، فقد قام النحـاس فى أغسطس بجـولة فى كل من بور سعيد والاسماعيلية والزقازيق وتذكر التقارير البريطانية أنه قد ترتب عليها اضطرابات خطيرة . رد رئيس الوزراء ، على المطلب البريطانى بأن سأل المستر بيترسون تأجيل بحث المسائل التى تضمنتة متعللا فى ذلك بمرض الملك وبعدم ملاءمة الوقت لبحثها ،

وفي هذا الوقت تصور القصر بدوره أنه يستطيع أن يمارس نوعا من الضغط على الانجليز ، شبيها بذلك الذى يمارسه الوفد • ذلك أن الوزيرين اللذين طلب الجانب البريطانى ابعادهما تقدما باستقالتيهما الا أن رئيس الوزراء أبى قبول هاتين الاستقالتين وطلب منهما البقاء فى الوزارة ثم اتبع ذلك أن أخذ القصر وحزب الشعب فى تنفيذ خطته باثارة الجو ضد المطلب البريطانى باعتباره تدخلا فى شئون مصر الداخلية مما يتعارض مع استقلالها ، ومع ما جاء فى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، الا أن محاولة الاثارة هذه لم تنجح لأكثر من سبب :

★★★

١ ـ ان الوفد وهو الحزب القادر على تحريك المشاعر القومية رفض أى اسهام فيها ذلك أن تفاهما مسبقا كان قد تم بين الانجليز والحزب الكبير • وفى لقاء بين مكرم عبيد والسكرتير الشرقى لدار المندوب السامى اقترح الأول ـ مكرم عبيد ـ فرض حكومة برئاسة توفيق نسيم على الملك ، وبعد ذلك بأسبوع وفى لقـاء بين النحاس والمستر بيترسون أكد زعيم الوفد أن حزبه لن يعترض على تدخل بريطانى لتشكيل حكومة برئاسة توفيق نسيم • وقد سمت صحيفة البلاغ الوفدية ما تدعيه حكومة عبد الفتاح يحيى باشا بأنه تهديد مزعوم من جانب الحكومة البريطانية لاستقلال مصر « البلاغ ١٩٣٤/١٠/٢٤ » •

★★★

٢ ـ ان صحيفة التايمز البريطانية ذات العلاقات الوثيقة بوزارة الخارجية لوحت للملك فؤاد مهددة بأنه يجب أن يتخلى عن سلطة الاوتقراطية وقد فهمت دوائر عابدين ما جاء فى مقال الصحيفة الانجليزية ووصل الأمر الى حد أن تواترت الاشاعات عن تبليغ بريطانى فى الطريق « البلاغ ١٩٣٤/١٠/٢٧ » دعا كل هذا القصر الى التراجع وتمت أولى الخطوات فى هذا الطريق عندما صدر الأمر الكريم بتعيين أحمد زيور رئيسا للديوان الملكى فى ٢٧ أكتوبر ١٩٢٤ ، وكان هذا التعيين بما عرف عن علاقات زيور الودية بدار المندوب السامى ما خفف من حدة الأزمة بعض الشيء وكما وصف مراسل الديلى هيرالد فى القاهرة بأنه انثناء عن موقف الصلابة وعدم التسليم الذى كانت تتخذه الحكومة والقصر « البلاغ ١٩٣٥/١٠/٢٩ » الا أن هذه الخطوة التى تصورها القصر ، وتصورتها الوزارة كافية لانهاء الأزمة لم تنظر اليها دار المندوب السامى نفس النظرة فقد ظل الجانب البريطانى مصمما على السير فى طريقه الى النهاية ومصرا على تنفيذ مطلبه الثانى بابعاد من طلب ابعاده من الوزارة ، يدفعه الى ذلك اليقين بأن الرأى العام المصرى لا يساند الوزارة والقصر ، وعلى حد تعبير مراسل التايمز فى القاهرة أنه لم يحدث قط من قبل فى تاريخ العلاقات المصرية ، البريطانية أن أتيحت فرصة كهذه للحكومة البريطانية لعمل شيء يطابق أتم المطابقة احساس

المصريين ويضع العلاقات بين الأمتين على قاعدة تبعث على الرضى ، كما يدفعه في نفس الوقت الشعور بأن استمرار التدخل في المسألة أقل خطرا على السياسة البريطانية من الاستمرار في حيادها الذى احتفظت به خلال الحقبة السابقة . يضاف الى ذلك المخاوف التى انتابت دار المندوب السامى البريطانى فى القاهرة من احتمالات وفاة قريبة للملك فؤاد ، الذى كانت صحته فى تدهور مستمر آنذاك مما رأت معه أن عليها أن تواجه الموقف قبل تلك الوفاة لا بعدها وتمت بالفعل الاستجابة للمطلب الثانى بأن وضع الوزيران المطلوب ابعادهما استقالتيهما أمام الملك وتصور القصر انه قد نجح بهذا فى تجاوز الأزمة ، ففى لقاء بين زيور والمستر بيترسون فى ٣ نوفمبر تساءل الأول عما اذا كان ما تم بالاستجابة للمطالب البريطانية قد أدى الى حل الأزمة ولدهشته كانت الاجابة بالسلب فلم يعد يرضى البريطانيين أقل من استقالة وزارة عبد الفتاح يحيى باشا وتشكيل وزارة برئاسة توفيق نسيم وهو ما أفضى به المستر بيترسون صراحة فى هذا اللقاء . من جانب آخر فان عبد الفتاح يحيى رفض أن يطلع القائم بأعمال المندوب السامى على أسماء المرشحين لمجلس الوصاية على العرش وأخذت دار المندوب السامى تتلمس المآخذ على الوزارة وتتهمها بأنها شجعت على استعمال اللغة العربية فى المحاكم المختلطة ، وأنها قررت حق القضاة المصريين فى رئاسة بعض الدوائر فى تلك المحاكم وانها رفضت تعيين موظف بريطانى كبير فى وزارة المعارف العمومية وأنها حلت قومسيون بلدية الاسكندرية وأغلب أعضائه من الأجانب ، ولم يكن هناك مناص على ضوء كل تلك الظروف من تقديم الوزارة لاستقالتها فى ٦ نوفمبر بعد أن أشارت فى خطاب الاستقالة الى تدخل الانجليز بقولها : « انه فى الشهر الأخير والمصريون جميعا يضرعون الى الله أن يتم لجلالتكم أسباب الصحة أبلغت رغبات للحكومة البريطانية لا يسعنى قبولها دون التفريط فى حقوق البلاد » ، وقبل تلك الاستقالة فى ١٤ نوفمبر ١٩٣٤ .

★★★

ويقول د. محمد حسين هيكل فى مذكراته : ان وزارة عبد الفتاح يحيى باشا ألفت لجنة للتحقيق فى مسألة كورنيش الاسكندرية وهو الكورنيش الذى يرجع فضل انشائه الى اسماعيل صدقى باشا ، هذا « الكورنيش » البديع على شاطىء البحر الأبيض المتوسط من قصر رأس التين الى قصر المنتزه ، وقد أشار جلالة الملك فؤاد على صدقى باشا بأن يقيم هذا الكورنيش فوضعت رسومه وطرحت عمليته فى المناقصة ورست على المقاول داتشمارو وطلب اليه أن يتمه فى عامين اثنين وجرى العمل فى الكورنيش ليل نهار ، وتم فى موعده لكن الأقاويل تناثرت هنا وهناك بأن صدقى باشا وغير صدقى باشا من الموظفين المتصلين بهذا العمل

قد أفادوا لأنفسهم بسببه ، وأن مخالفات جسيمة لما يقضى به القانون المالى وغير القانون المالى قد ارتكبت أثناء القيام به وأيسر ذلك أن المقاول أقام فيما رددته هذه الاشاعات قصورا وأصلح مساكن فى مقابل ضئيل يكاد يكون غير معقول أو غير معقول بالفعل » .

***

تولت اللجنة التحقيق وبدأ الناس يتناقلون من أنبائه أمورا تأباها النزاهة كل الاباء ، أكان ما تناقله الناس بعد ذلك صحيحا ؟ أم كانت اللجنة متأثرة فى تحقيقها بالجو السياسى الذى قضى بتخلى صدقى باشا عن ولاية الحكم ؟ . لقد مال الجمهور أول الأمر لتصديق كل ما كان يسمعه وما كانت الصحف تنقل الكثير من أنبائه فلو أن شيئا منه لم يكن صحيحا فما بال صدقى باشا قد أعفى من منصبه . وقد كان البرلمان القائم بمجلسيه من صنع يديه .. لكن البرلمان كان فى عطلة حينذاك وهل ترى لو أن هذا البرلمان لم يكن فى عطلة ، أكان ذلك يغير من مجرى الحوادث شيئا ؟ فقد حل مجلس النواب خلال السنوات الثمان التى انقضت من يوم بدأت الحياة الدستورية أربع مرات . عطل أثناءها خمس سنوات وفى هذه السنوات الثمان لم تطرح من جانب النواب مسألة الثقة بالوزارة قط مع أن ثمانى وزارات استقالت أو أقيلت فى السنوات الخمس التى خلت قبل ولاية صدقى باشا . لم يفكر الجمهور فى مسألة الكورنيش بل مال أول الأمر الى تصديق كل ما كان يسمعه ، ثم هدأت الحدة حين طال بلجنة التحقيق المطال ، وحين أيقن الناس أن الأمر أدنى الى أن يكون حرب أعصاب لن تترتب عليه نتائج حاسمة . الا أن تتناول بعض الموظفين بالاحالة الى المعاش ! » ثم يقول د. هيكل وهو يصور أبدع تصوير مجلس نواب صدقى وعبد الفتاح يحيى : كانت أغلبية مجلس النواب الساحقة من حزب الشعب .

***

وكان صدقى باشا رئيسا لهذا الحزب فلما استقال صدقى باشا اذا بأعضاء حزب الشعب جميعا ينفضون من حول منشئه واذا صدقى باشا يجد نفسه وحيدا لا يؤيده أحد ولا يجد من يعتمد عليه الا نفسه ، بل لقد اختار الحزب عبد الفتاح يحيى باشا لرئاسته وان شئت فقل ان عبد الفتاح يحيى باشا اختير لرئاسة الحزب كما اختير لرئاسة الوزارة فهرع اليه الأعضاء الذين تولتهم الحيرة يوم استقالة صدقى باشا ، وجعلوا يتساءلون الى أين يولون وجوههم ولم يكن عبد الفتاح يحيى باشا ليخدع نفسه بشىء من هذا ، فقد ذكر غير مرة بعد سنين من هذه الحوادث ان جماعة من أعضاء الحزب ذهبوا اليه يتحدثون فى أمر من الأمور على نحو لم يعجبه فصاح بهم كى يدعوه وشأنه فهو يعلم كيف انضموا الى الحزب وكيف ناصروه فى انتخاب الرياسة ، ولم يجد

هؤلاء الاعضاء ما يجادلون به الرجل . ولم يفكر أحد منهم فى ترك الحزب مخافة ما قد يترتب على ذلك فى جاهه ومصالحه .. ويقول د. هيكل ان عبد الفتاح يحيى فكر أن يجعل صلته بالأحزاب المعارضة صلة مودة وتفاهم ، وكان جليا ان الذين رسموا هذه السياسة اعتقدوا أن المعارضة وهنت قوتها بعد أن نفذ دستور صدقى باشا . وانعقد برلمانه دورتين كاملتين وان من المستطاع خلق جو من التفاهم ينتهى الى التسليم بالأمر الواقع من قيام هذا الدستور أو ينتهى على الأقل الى خلق جو من الشقاق بين الهيئات المعارضة بهذا النظام . ويكفل بذلك بقاء الدستور كما صدر رغم ما كان من عنف المعارضة التى قامت ضده أول صدوره .

★★★

وعن خلاف عبد الفتاح يحيى باشا مع المندوب السامى البريطانى يقول د. هيكل : خلق عبد الفتاح باشا بينه وبين المندوب السامى البريطانى مشكلة « بروتوكول » أول ما عاد سير برسى لورين من انجلترا بعد انتهاء اجازته فأى الرجلين يبدأ الآخر بالزيارة ! أهو رئيس الوزارة المصرية الجديدة ؟ أم هو المندوب السامى ؟ ولا أظن عبد الفتاح باشا خلقها لغاية سياسية أو أراد بها أن يظهر للرأى العام على أن بينه وبين الانجليز من الخلاف ما يدفع هذا الرأى العام للاعجاب به ومناصرته فعبد الفتاح يحيى باشا رجل صريح طيب القلب ، قلما يعرف المناورة السياسية ، وهو الى جانب ذلك رجل حساس فى كل ما يتعلق بالكرامة الشخصية حساسية تزيد على المألوف عند غيره من السياسيين، كما أنه أكرمهم على نفسه وعلى الناس ، وقد أراد قوم أن يخلقوا من هذا الخلاف موضع عطف على الرجل ، لكن الجو العام لم يساعد على خلق هذا العطف لاقتناع الجمهور برضا الانجليز عن السياسة القائمة يومئذ فى مصر ، وبأن هذا الخلاف أيا كان مرده لا علاقة له بمصلحة الدولة ولا بمطالب مصر ، لهذا تناول كثيرون ما حدث بالتندر ولم يتغير اتجاه الرأى العام نحو الوزارة فى كثير أو قليل .

★★★

وعن المحاولات التى بذلها عبد الفتاح يحيى باشا لارضاء الأحزاب المعارضة، وفى مقدمتها حزب الأحرار الدستوريين يذكر د. هيكل ، ان عبد الفتاح يحيى باشا اختار موظفا جعل يتردد علينا وينقل الينا أحاديث عبد الفتاح باشا ، وتقديره لنا . وحفظه مودتنا وينقل الينا فى نفس الوقت من أنباء الوزارة ما نستفيد منه صحفيا .. » ويذكر د. هيكل ان حزب الأحرار الدستوريين ، لم يغير اتجاهه فى معارضته لوزارة عبد الفتاح باشا لكن رسول عبد الفتاح باشا الينا لم ييأس من مواصلة حديثه معنا ولعله كانت له فائدة من اطالة هذه المحادثات على أنه بينما كان يوما عند الباب الداخلى للحزب والسياسة يتحدث

معى اذ أقبــل محمد محمود باشــا فلما رآه قال له فى صراحة : هل يظن عبد الفتاح يحيى باشا انه يكسبنا ؟ بلغه عن لسانى انه يطلب المحال ، واننا لن نغير خطتنا أو نعدل عن سياستنا » ٠ كانت هذه الكلمة فصل الخطاب عند هذا الوسيط وان تردد بعدها علينا ثم باعد بين زياراته ثم انقطع فلم نعد نراه ٠٠ ويقول د٠ هيكل انه كان قد قام بحملة فى السياسة بالغة غاية العنف ضد التبشير والمبشرين ، وكان محمد باشا محمود قد آثر أن يتنحى الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى عن رئاسة تحرير السياسة وأن تسند الى حفنى بك محمود شقيق محمد باشا ، وكانت النيــابة قد بدأت تحقق معى فى هــذه الحملة .. لم أجد فى التحقيق ما يمنعنى من أن أتابع حملتى الصحفية العنيفة على هذه الحملة التبشيرية الأليمة وأن ألقى على ادارة الأمن العام الأوربى فى وزارة الداخلية المصرية تبعتها ، واستمر الحال شهورا دعيت أثناءها الى النيابة غير مرة ، فلما استقالت وزارة صدقى باشا ، وخلفتها وزارة عبد الفتاح يحيى انتهت الحملة التبشيرية ورأت النيابة أنها فرغت من التحقيق فجعلت تراجعه زمنا الى أن انقطع كل رجاء فى التفاهم بين الأحرار الدستوريين والوزارة ٠ وبعد زمن غير قليل من انقطاع هذا الرجاء رفعت النيابة الدعوى علينا ، حفنى بك محمود وأنا أمام محكمة الجنايات بتهمة أننا نحرض أهل الأرياف المختلفة بعضهم ضد بعض وتأجلت القضية غير مرة قبل أن تنظر ويحكم فيها ٠٠

***

ويقول د٠ هيكل : ان الانجليز شعروا بأن عليهم مسئولية موقف التأييد لوزارة ليست نزاهتها فى الحكم فوق مستوى الشبهات ، أو هكذا قالوا على لسان صحفهم ، على الاقل ، ولعلهم شعروا كذلك بأن الأحوال الدولية فى أوربا تتطور تطورا تقتضيهم كسب مودة الشعب المصرى ولا سبيل الى كسب هذه المودة ونظام الحكم الذى حاربه هذا الشعب قائم ، والبرلمان الذى انعقد تنفيذا لهذا النظام قائم كذلك ، لابد اذن من أن يظهروا على مسرح السياسة المصرية فى مظهر الغاضب لنزاهة الحكم ، وأن يجعلوا ظهورهم هذا محسوسا ، عند الشعب وأن ينهى تدخلهم هــذه المعركة التى ظلت قائمة بين دستورين أربع سنوات حسوما ، وليس حتما أن تنتهى المعركة الى انتصار حاسم لأحد الدستورين بل حسب التدخل البريطانى ، أن ينحى الدستوران معا من الميدان ، ثم لينظر الفريقان المتخاصمان من المصريين ما تتمخض عنه الأيام وليرقب الانجليز تطور الحوادث ليرتبوا عليها من النتائج ما يتفق وسياستهم الدولية فى أحوال العالم الدقيقة يومئذ ، ويقول د٠ هيكل فى مكان آخر من مذكراته ، بعدما تحدث عن ظهور هتلر وموسولينى وتلبد الأجواء الدولية وضرورة استعداد بريطانيا لأية حرب محتملة ، يقول د٠ هيكل ، ومصر تتوسط العالم وقناة السويس تربط الامبراطورية فلابد من كسب صــداقة الشعب المصرى مع الاحتياط كى

لا يكون ثمن هذه الصداقة باهظا ، ومع التمهيد لتغيير السياسة التى أدت الى ضياع هذه الصـداقة .. وهذا التمهيد يسـير ، وطريقه التقليدى نقل ممثل انجلترا فى مصر . واحلال غيره محله وتلك سياسة قديمة عبر عنها عمر بن الخطاب فى الصدر الأول للاسلام بقوله : « هان أمر أصلح به قوما ان أبدلهم أميرا مكان أمير » وقد ترجمت السياسة البريطانية هذه العبارة فى علاقاتها مع مصر ، بما يشابهها فيهان عليها لتصلح ما فسد من سياستها فى مصر أن تبدل فى مصر ، ممثلا مكان ممثل ، وكما فعلت حين أحلت سير برسى لورين محل لورد لويد

★★★

نقلت سير برسى لورين وعينت مكانه سير مايلز لامبسون مندوبا ساميا لها فى مصر . لكن سير مايلز لم يكن ليحضر فيتولى منصبه على ضفاف النيل قبل نهاية تلك السنة ، سنة ١٩٣٤ ، ولما كانت الحكومة البريطانية تستعجل التعديل فقد ندبت مدير القسم المصرى بوزارة الخارجية البريطانية مستر بيترسون ليتولى بحث الموقف والاشارة بالتعديل الواجب على أساس هذا البحث ، ولما كان الوقت لا يزال ضيقا اذ كنا فى النصف الأخير من شهر سبتمبر فلم يكن بدار المندوب السامى من الموظفين ذوى المكانة غير مستر جرافنى سميث مساعد السكرتير الشرقى بالدار فى ذلك الحين ولقد دأب مستر جرافنى على أن يستطلع رأى معارفه وأصدقائه من المصريين ليقف على اتجاه الرأى العام فى البلاد قدر المستطاع . وكنت أعرف مستر جرافنى سميث معرفة جيدة وان لم أكن من أصدقائه وقد أراد زعماء الحزب عنـدنا أن يقفوا على اتجـاهات الانجليز فى سياستهم الجديدة ورغبوا الى فى الاتصال بالرجل على أعرف منه ما سيحدث

★★★

وقابلته غير مرة ، وكنت أكثر الأحيان أجد بعض أصدقائى أو معارفى خارجين من عنده ساعة قدومى أو ذاهبين لمقابلته ساعة خروجى . وانى لأذكر كلمة له ذات مغزى فقد أشرت مرة فى حديثى الى أن سياسة القصر فى ذلك الوقت تحمل معظم التبعية ما وصلت اليه علاقات مصر وانجلترا وان من الخير عدم الامعان فى تأييد هذه السياسة وكان جواب جرافنى : من السهل دائما تغيير سياسة القصر فى أربع وعشرين ساعة لكن الاحتفاظ بجو الهدوء والسكينة فى البلاد لا يدرك دائما بمثل هذه السهولة وجو السكينة هو الذى يعنينا اليوم وأعتقد ان ما وصمم سياسة الوزارة من حيث النزاهة يجب أن يقدم فى التفكير على كل اعتبار سواه وكان جل أصدقائنا يريدون أن يقفوا على اتجاه المندوب السامى بالنيابة فيمن يؤلف الوزارة الجديدة ، ولعل هذه كانت المسألة الجوهرية فى نظرهم وقد شاع فى بعض الأوساط ان على باشا ماهر ، سيعهد اليه بتأليفها فلم ينل ذلك ارتياح كثير من الساسة لما كان معروفا من اتصال على باشا الوثيق

بالقصر ويظهر ان اختيار من يتولى تنفيذ السياسة الجديدة قد استغرق زمنا غير قصير ، ثم ان الأمر استقر أخيرا عند اختيار توفيق نسيم باشا الذى كان رئيسا للديوان الملكى غير مرة ، وصدر الأمر الملكى اليه بتأليف الوزارة فألفها فى ١٥ نوفمبر ١٩٣٤ ·

ويلاحظ ــ د· هيكل ــ ان وزارة عبد الفتاح يحيى باشا كانت على علم بأن البحث يجرى فى دار المندوب السامى لتغييرها وأنها كانت واثقة من أن هذه التغيرات لا محالة عما قريب ، مع ذلك ، لم تفكر فى تقديم استقالتها وفى التخلى عن مناصب الحكم الى أن تألفت الوزارة الجديدة وقد يبدو هذا غريبا لا يفسره الا أمل الوزارة فى أن تخفق المساعى فتظل فى الحكم وليس من شك فى أن الأكرم لأية وزارة فى مثل هذا الموقف أن تستقيل فاذا رفضت استقالتها كان بقاؤها فى الحكم بعد ذلك أهون الكراهتها ، لكن هذا التقليد الذى يدعو كل وزارة الى البقاء فى الحكم حتى اللحظة الأخيرة قد لوحظ فى كثير من الوزارات المصرية قبل نفاذ الدستور ، ثم لوحظ بعد قليل من نفاذه ، واذا دل عى شىء فعلى أن الوزراء يرون أنفسهم موظفين لا يتركون مناصبهم الى أن يفصلوا أو يحالوا الى المعاش : كانت الوزارات بين أن تقال ، وأن تستقيل مخافة أن تقال وهى لم تكن تستقيل خوف الاقالة الا فى اللحظة الأخيرة !

***

وعن وزارة عبد الفتاح يحيى يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى : ان هذه الوزارة أصدرت مرسوما بوجوب حلف الوزراء يمين الولاء والاخلاص للملك والوطن قبل أن يتولوا أعمالهم ولم تكن هذه اليمين مما يوجبه الدستور ولا كان الوزراء يقسمونها من قبل وانما نص الدستور فقط على اليمين التى يقسمها أعضاء البرلمان ثم يقول : أدرك الانجليز مبلغ ضعف الوزارة وانفصالها عن الشعب وخذلان الشعب اياها ومبلغ تداعى النظام الذى ابتدعه صدقى باشا فأخذوا يستهينون بها وبكرامتها وزاد استعلاؤهم على البلاد فى عهدها ، وتعددت مظاهر هذا الاستعلاء ففى آكتوبر ١٩٣٤ زار المستر موريس بيترسون المندوب السامى البريطانى بالنيابة مبنى البوليس والمطافى بالقاهرة وأخذ يستعرض قوات بلوك الخفر محوطا بمظاهر التفخيم والتكريم ، فكانت هذه الزيارة لطمة شديدة للوزارة · ولم يقف التدخل البريطانى عند هذا الحد ، بل تفاقم واستفحل ،

***

وبلغ الذروة بمفاتحة المستر بيترسون يحيى باشا فى شأن مرض الملك وتلميحه الى أن هذا المرض يستدعى تعيين قائمقام له يتولى سلطته أثناء مرضه وزاد فى هذا التدخل فطلب الاطلاع على وثيقة الوصاية على العرش وأسماء الأوصياء فى حالة وفاة الملك وتدخل الانجليز أيضا فى المناصب الكبرى بالسراى ولمحوا الى

وجوب تعيين رئيس للديوان الملكى وكان هذا المركز شاغرا منذ استقال منه محمد توفيق نسيم باشـا فى أغسطس ١٩٣١ فى عهد وزارة صـدقى باشـا

★★★

فاستجابت السراى الى طلبهم وعين أحمد زيور باشا رئيسا للديوان فى أواخر أكتوبر ١٩٣٤ ، كما اعترضوا على بقاء السنيور فيروتشى الايطالى كبير مهندسى القصور الملكية فى منصبه ونسبوا اليه انه يعمل لحساب دولته ، واعترضوا عامة على النفوذ الايطالى فى القصر واذ هان شأن الوزارة الى هذا الحد ، وهان كذلك شأن الملك لم ير عبد الفتاح باشا بدا من تقديم استقالته وكان الملك راغبا فى هذه الاستقالة لانه شعر بالمرارة منذ توالى الاعتداء على كرامته ورأى أن يسلك سبيلا جديدا فى الحكم ، بأن يتقرب الى الشعب بعد أن غاضبه طوال السنين السابقة ..

★★★

عن وزارة عبد الفتاح يحيى باشا يقول الأستاذ محمد زكى عبد القادر فى كتابه محنة الدستور : كان تعيين عبد الفتاح يحيى رئيسا للوزارة شبيها بتعيين زيور باشا رئيسا للوزارة فى عام ١٩٢٤ ايذانا بأن الحكم أصبح خالصا للسراى وأنه الخطأ آخر شبيه بخطأ اسماعيل صدقى ومحمد محمود هذا الخطأ الذى ارتكبه عبد الفتاح يحيى بقبوله منصب رياسة الوزارة وهو عارف ألا أنصار له فى الشعب ، وهو عارف أكثر من ذلك ان الحزب الذى اعتمد عليه اسماعيل صدقى لم يغن عنه فتيلا ، ولم يحمـه من بطش السراى وهو مع ذلك حزب لا وجـود له الا فى أروقة مجلس النواب بالقـاهرة : ومما يزيد فى خطـأ عبد الفتاح يحيى أنه رأى من قبله مصارع أحمد زيور ومحمد محمود واسماعيل صدقى ، ورأى كيف عومل كل منهم وكيف نزع من كرسيه لا لشىء الا لانه لم يسر فى شوط الخضوع الى النهاية أو لانه أصبح ثقيل الظل ، عند بعض الموظفين فى السراى .

★★★

ويقول الأستاذ محمد زكى عبد القادر أيضا : ان تدخل الانجليز فى أيام عبد الفتـاح يحيى كان عنيفا فى هـذه المرة : لم يكن بالرأفة التى اعتادوها ولا بالأسلوب المغطى الذى ألفوه . بل كان فى شىء من الخشونة والصرامة ، وعن مستر بيترسون الانجليزى قال : تعمد بيترسون احراج السراى على صورة غير مألوفة فتقدم اليها بطلبات عديدة تتعلق بصحة الملك وتعيين قائمقام يتولى سلطته فى أثناء مرضه وحملوا فى صحافتهم حملة شديدة على السراى وعلى الملك وأشاروا الى ثروته ، وتقدموا الى السراى بطلبات تتعلق بتربية الأمير فاروق

وأشاروا بارساله الى انجلترا . فأرسله الملك مكرها وبدا ان الأمور تسير فى اتجاه لا يرضى السراى ولا يتفق مع سياستها وانحنت السراى للعاصفة كعادتها. وكان هناك عرض مستكن وراء تصرفات السياسة البريطانية يتصل بقلق الأفق الدولى وكيف ان بريطانيا رأت أن تقر الأمور فى مصر على أساس شعبى ومن هنا كان انصرافها الظاهرى عن السراى واتجاهها الى الوفد والكتلة الشعبية ٠

وبالرغم من تغير السياسة البريطانية بزاوية ١٨٠ درجة وبالرغم من أفول نجم السراى الى حد ما ٠٠ وبالرغم من ان تغييرا جذريا قد طرأ على سياسة السراى وسياسة دار المندوب السامى البريطانى أدى الى تطورات حاسمة ٠ الا أننا لن نتحدث عن تلك التطورات قبل أن نقول كلمة أخيرة فى اسماعيل صدقى باشا وعبد الفتاح يحيى باشا ونظامهما المعادى للشعب والذى نخره « سوس » الفساد من الداخل كما سنرى !!

الفصل الثالث

اسماعيل صدقي وعبد الفتاح يحيى في قفص الاتهام

● كانت وزارة عبد الفتاح يحيى باشا « ٢٧ سبتمبر ١٩٣٣ - ١٤ نوفمبر ١٩٣٤ » أشبه ما تكون بالمريض الذى انتابته العلل والأمراض : وقد ظل يقاوم ، ويقاوم ، الى أن قضى ولما يتجاوز بعد من العمر أربعة عشر شهرا : كانت وزارة عبد الفتاح يحيى باشا قد ورثت عن وزارة اسماعيل صدقى باشا كل ما منيت به تلك الوزارة من علل ، وأمراض ومشاكل وصعوبات داخلية ، وخارجية ثم أضيفت اليها - فيما بعد - مشكلة اسماعيل صدقى باشا نفسه الذى ظهر انه من أعدى أعداء عبد الفتاح يحيى باشا ووزارته ·

وقد « برزت » فى عهد وزارة عبدالفتاح يحيى باشا قضايا صحفية هامة كانت - بلا جدال - من أهم القضايا الصحفية والسياسية فى تاريخنا الحديث وكانت الأحكام الصادرة فى تلك القضايا - بحق - مفخرة من مفاخر تاريخنا الصحفى والوطنى ، بل مفخرة لتاريخ الحرية والأحرار فى العالم كله ·

***

وفى مقدمة تلك القضايا قضيتا نزاهة الحكم اللتان شغلتا الرأى العام المصرى ، بل والرأى العام العربى أكثر من عامين وكان المتهم فى هاتين القضيتين حفنى محمود بك - شقيق محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين وأحد رؤساء الوزارات السابقين - بصفته رئيسا لتحرير جريدة « السياسة » لسان حال حزب الاحرار الدستوريين بعد ان حيل بين د· محمد حسين هيكل فى أن يتولى رئاسة التحرير لاتهامه فى بعض القضايا الصحفية والحكم عليه فى احداها : كانت قضيتا نزاهة الحكم أخطر قضيتين سياسيتين عرفتهما مصر حتى تاريخ الحكم فى هاتين القضيتين - ٢١ مايو ١٩٣٥ - كانتا أخطر من

قضية مقتل السيرلى ستاك سردار الجيش المصرى والحاكم العـــام للسودان ، وقضية الخطابات المزورة وقضية القنابل والقضايا الصحفية العديدة التى قدمت لمحكمة الجنايات خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة : كانتا ــ بلا جدال أو نزاع ــ أبرز ما شهدت مصر فى عهدها الأخير من هذه القضايا جميعا ، ويرجع ذلك ــ كما قالت صحيفة السياسة ــ من غير شك الى عوامل عدة أهمها ما يأتى :

★★★

● شخصية المتهم واتصاله الوثيق بحزب سياسى محترم له رأيه ولـه خطره ٠

● شخصية من تناولتهم هذه القضية ــ أو بعبارة أخرى من تناولهم قلم رئيس تحرير السياسة وقد رأينا بينهم رئيس وزارة هو عبد الفتاح يحيى باشا ووزراء ثلاثة هم أصحاب السعادة : ابراهيم فهمى كريم باشا وعلى المنزلاوى بك : وعبد العظيم راشد باشا ومقاولا كبيرا هو سعادة أحمد عبود باشا ٠

● شخصية الشهود الذين سمعت أقوالهم فى القضية ومن بينهم رئيسا وزارة سابقان هما صاحبا الدولة محمد محمود باشا واسماعيل صدقى باشـا ووزراء سابقون حاليون من بينهم حضرات أصحاب السعادة محمد شفيق باشا على ماهر باشا : وعبد المجيد عمر باشا وحسن صبرى (بك) وغيرهم من ذوى الشخصيات سواء من سمع منهم فى تحقيق النيابة أو أمام محكمة الجنايات ٠

★★★

● تشعب الوقائع موضوع المحاكمة

★★★

● **الأدوار التى مرت بها القضية والتى يمكن تلخيصها فيما يلى :** اجراءات النيابة الشاذة فى التحقيق ورفضها ضم الملفات ، التى طلب الأستاذ حفنى بك ضمها وسماع الشهود ، الذين طلب سماعهم ٠٠ اسراعها فى التحقيق بطريقة لم يسبق لها مثيل حتى فى أيام العيد ، وهى عطلة رسمية كان يجب أن تحترم خصوصا وان التحقيق كان مؤجلا الى ما بعد العيد : سرعة عرض القضيتين على محكمة الجنايات واصرار النيابة على الاسراع ، فى نظرهما ، ومعارضتها فى أى تأجيل : معارضة النيابة الشديدة امام المحكمة فى ضم الملفات أو سماع الشهود ، عرض القضيتين أولا ، على دائرة صاحب العزة نجيب بك سالم وتأجيلهما بعد ذلك ونظرهما امام دائرة حضرة صاحب العزة مصطفى بك حفنى : تنحى دائرة نجيب بك سالم عن نظرهما ، واحالتهما الى دائرة صاحب العزة ، عبد الوهاب بك فهمى : رفض المحكمة فى بادىء الأمر سماع بعض الشهود ، وانسحاب المحامين ،

عن الأستاذ حفنى بك من الجلسة ، ورد أحد أعضاء الهيئة ٠٠ تنحى المستشار طاهر محمد بك وندب نجيب مرقص بك بدلا منه : الدور الجديد الذى دخلته القضيتان عند نظرهما ، أمام الدائرة الجديدة وما كان من تعديل قانون العقوبات فيما يختص بجرائم النشر : قرار الهيئة الجديدة بسماع الشهود وضم الملفات والفضائح والمخازى التى كشفت عنها شهادة الشهود والملفات التى ضمت : كل هذه العوامل كانت من غير شك أكبر باعث على اهتمام الرأى العام بهاتين القضيتين واقباله على تتبع ما يدور بشأنهما خصوصا وان الوقائع التى كانت موضوع المحاكمة كانت وقائع تمس نزاهة الحكم . الذى كان قائما فى العهد الغابر البغيض ٠

أما المقالات التى كانت موضوع المحاكمة فهى كثيرة نشرتها جريدة « السياسة » فى أوقات مختلفة خلال وزارة عبد الفتاح يحيى باشا من بينها :

القضية الأولى :

١ ـ على بك المنزلاوى وهل دفع الضرائب العقارية المستحقة عليه من ثلاث سنوات « السياسة ١٢ نوفمبر ١٩٣٣ » ٠

٢ ـ « معادلة ومتوالية » : صدقى باشا ـ دنتمارو ـ ابراهيم فهمى ـ كريم باشا ـ أحمد عبود باشا « السياسة أول مارس ١٩٣٤ » ٠

٣ ـ المقاول عبود باشا وجريدة السياسة « السياسة ٥ مارس ١٩٣٤ » ٠

٤ ـ نزاهة الحكم : مخالفات خطيرة لشروط ثورنيكروفت فما قول وزارة الأشغال « السياسة ٦ مارس ١٩٣٤ » ٠

٥ ـ وماذا بعد السكوت عن العطاءات التى تمت بلا مناقصة وما سألنا عنه من أمور يندى لها جبين النزاهة خجلا « السياسة ٧ مارس ١٩٣٤ » ٠

٦ ـ سكوت طويل وايل الظالمين أطول « السياسة ٨ مارس ١٩٣٤ » ٠

٧ ـ حول المعادلة : خطاب صدقى باشا الى عبد الفتاح يحيى باشا عن علاقة ابراهيم فهمى كريم باشا بأحمد عبود باشا « السياسة ٨ مارس ١٩٣٤ » ٠

٨ ـ نزاهة الحكم ١ ـ عطاءات بلا مناقصة قيمتها ٢٥٠ ألف جنيه ٠
٢ ـ مخالفات خطيرة لشروط ثورنيكروفت فما قول وزارة الأشغال « السياسة ١٤ مارس ١٩٣٤ » ٠

٩ ـ معادلة ، ومتوالية ما هو موقف عبد الفتاح يحيى باشا بعد أن عرف عن كريم باشا تفاصيل جديدة يقتضيها حديث دولة عبد الفتاح باشا « السياسة ١٧ مارس ١٩٣٤ » ٠

١٠ ــ معادلة السياسة : عبود ــ كريم ــ صدقى ــ دانتمارو « السياسة ١٣ مارس ١٩٣٤ » ٠

١١ ــ معادلة السياسة : ضرورة تأليف لجنة تحقيق مستقلة لتحقيق الوقائع التى وردت بها مخالفة لنزاهة الحكم « السياسة ١٤ مارس ١٩٣٤ » ٠

١٢ ــ نزاهة الحكم ، والمقاولون المؤبدون ، اعتراف الحكومة وعجزها عن الدفاع عن تصرفها « ١٤ مارس ١٩٣٤ » ٠

١٣ ــ بين السياسة والوسيط عبود باشا : من هاجم فعليه أن يدافع « ١٦ مارس ١٩٣٤ » ٠

***

١٤ ــ أعمال بغير مناقصة لشركتى عبود « وسيمونز » عبود : مغالطات وزارة الأشغال فى اجابتها « ١٦ مارس ١٩٣٤ » ٠

وعشرون مقالة أخرى نشرت بالسياسة فى الفترة من ١٧ مارس ١٩٣٤ الى ٩ ابريل ١٩٣٤ » من بين عناوينها ، من هم أولئك الأصدقاء ٠ هل يستطيع ابراهيم فهمى كريم باشا ، أن يقول من هم ؟ تحقيق الفضائح التى كتبنا عنها يجب أن تقوم به وزارة غير الوزارة الحاضرة ٠٠ وزير الزراعة يشترى منتجات وزارته فيحرم جمهور المزارعين منهـا ــ تطهير الادارة الحكومية لا يكتفى فيه بتصرفات فردية بل يجب أن يتناول أدوات الحكم من أساسها : أدوات كهربائية بعشرة آلاف جنيه ــ تعلية خزان أسوان الأخيرة كيف فازت بها شركة توبهام جونس ــ عبود ٠ معلومات جديدة طريفة لم يسبق نشرها : استقالة الوزارة أمر تحتمه الذمة ويحتمه الضمير : الترعة الفؤادية وموقف وزارة الأشغال منها : هل صحيح : زلزال عبود ؟ وآخر تلك المقالات حكاية الكراكات وتطهير مجرى النيل وكيف وردت الحكومة ٧٥ ألفا من الجنيهات لعبود باشا ٠

***

القضية الثانية : تتعلق تلك القضية بنشر عشر مقالات هى : نزاهة الحكم حرم يحميه الشعب ٠ الوزارات الضعيفة شر بلية على البلاد « السياسة ١١ فبراير ١٩٣٥ » ــ عبادة المادة وكيف تجنى على نزاهة الحكم «السياسة ٨ فبراير ١٩٣٤» ــ عدم النزاهة فى الحكم يجب أن يعالج علاجا حاسما قاسيا « السياسة ٩ فبراير ١٩٣٤ » ٠ نزاهة الحكم والعطاءات التى تمت بلا مناقصة ، العهد الحاضر وكيف جنى على نفسه بنفسه ، هل صحيح : أرض بناء فى المعادى يشتريها وزير وأهله وترتفع أثمانها بعد ذلك ؟ وهذه المقالات نشرت فى السياسة أيضا فى الفترة من ١٦ مارس ، ١٩٣٤ الى ١٨ أكتوبر ١٩٣٤ وكانت آخر تلك المقالات بعنـوان : النزاهة السياسية وضريبة الخفر الفاحشة « بأبى جرج » ٠

وكانت النيابة قد بدأت التحقيق فى القضية الأولى بتاريخ ١٢ فبراير ١٩٣٤ بناء على كتاب من النائب العام رقم ٥٨٠ ــ ٦٢ ــ ١ وقد ظلت النيابة تستجوب حفنى محمود بك من ١٢ فبراير ١٩٣٤ حتى ٦ مارس ١٩٣٤ وسألت خـلال التحقيق عبد الفتاح يحيى باشا ، عبد العظيم راشد باشا ، ابراهيم فهمى كريم باشا ، حسن صبرى بك ، محمود حسن بك ، حسين سرى بك ، الاستاذ أحمد عبد الحليم العسكرى المحرر بجريدة الأهرام ــ الاستاذ عبد الوارث كبير سكرتير تحرير السياسة ــ عبد الرازق عبد القادر مدير مكتب وزير الأشغال وسيد أفندى عبد الله المقاول ٠

وبدأت النيابة التحقيق فى القضية الثانية بتاريخ ٢١ مارس ١٩٣٤ بناء على طلب ابراهيم فهمى باشا شفويا من النائب العام ، لتحقيق ما جاء بالسياسة وبتاريخ ٢٤ مارس ١٩٣٤ تقدم على المنزلاوى بك بطلب التحقيق أيضا ، وكذلك أحمد عبود باشا ، واستمرت النيابة تستجوب حفنى محمود بك حتى أواخر مايو ١٩٣٤ وسمعت خلال التحقيق أقوال ابراهيم فهمى كريم باشا وعلى المنزلاوى بك وأحمد عبود باشا ومحمود شاكر بك مدير السكة الحديد والدكتور محمد حسين هيكل مدير السياسة وفى أثناء التحقيق ــ أمام النيابة ــ طلب حفنى محمود أثناء استجوابه سؤال شقيقه محمد محمـــود وسؤال اسماعيل صدقى ومحمود عبد الرازق ، وعلى ماهر ، وحافظ عفيفى وبهى الدين بركات ومحمود فهمى ، وأحمد راغب وغيرهم ، وغيرهم ، كما طلب ضم الملفات الخاصـة بالعطاءات والمقاولات التى تناولتها « السياسة » والملفات والأوراق الخاصـة بالضرائب المتأخرة على على المنزلاوى و ٠٠ و ٠٠ ولكن النيابة رفضت استدعاء أحد من الشهود أو ضم أى ملف من الملفات التى طلبها المتهم : وقد اعتذر حفنى محمود عن الحضور الى النيابة للتحقيق معه فى يوم ٢٧ مارس سنة ١٩٣٤ ٠ ولكن النائب العام أصر على أن يتم التحقيق مع حفنى محمود فى ثانى أيام العيد

★★★

٠٠ وعن واقعة الاصرار على أحضار الاستاذ حفنى محمود بك كتبت السياسة تقول : طلب الاستاذ حفنى بك للحضور الى النيابة للتحقيق معه خلافا لما كان مقررا من قبل فاتصل برئيس النيابة وعرفه أن اليوم يوم عطلة وراحة ، وان من الصعب عليه أن يذهب فيه للنيابة خصوصا وان حضرات المحـــامين الذين يحضرون معه لا يستطيعون الحضور فى ذلك اليوم ، وأغلبهم متغيب عن القاهرة وذهب بعد ذلك الى حيث قابل رئيس النيابة الذى اتصل فيما يظهر بالنائب العام ، وبعد حديث طويل عرفه رئيس النيابة أن النـــائب العـــام مصر على استجوابه واذا رفض الاجابة فانه ــ أى النائب العام ــ مستعد لاتخاذ جميع الاجراءات ضده فأجاب بأنه متهيىء لكل ما يتخذه من الاجراءات ثم تأجل التحقيق

لليوم التالى وفيه صدرت السياسة وهى تسائل النائب العام ، عن سر هذه العجلة وذلك الشذوذ ، فلما ذهب حفنى بك الى النيابة فى الموعد المضروب وجد النائب العام فى مكتب رئيس النيابة وحين سأله عن سر هذه المفاجأة أخرج من جيبه ورقة أراد أن يسجلها فى المحضر ، فأعياه البحث عن كاتب لأن جميع الموظفين كانوا فى أجازة العيد ؛ وأخيرا جىء بكاتب أملاه النائب العمومى ؛ البيان التالى الذى سمته السياسة « حزم البدار » : ذكر حفنى محمود بك فى محضر الأمس شيئا عن دهشته ومفاجأته بالتحقيق وطلبت جريدة السياسة فى عددها الصادر اليوم ، ان تطالع الناس بتفسير يستريحون به الى حكمة السير فى التحقيق أثناء عطلة العيد ، بعد أن كان محددا له موعد يقع بعد تلك العطلة ونحن لا نقر بواجب المطالعة ، التى تبغيها جريدة السياسة ولكننا ايثارا لطمأنينة من أدهشتهم متابعة التحقيق بغير هوادة نضع أمام أعينهم حقيقة يجب ألا تغيب وهى أن خبر وقت التحقيق وموعده يرجع لتقديرنا الى ما يحيط به من الظروف ، فاذا ما تبين أن من السداد المبادرة الى كشف الوقائع المتعلقة به ، وهل الأمور تسكن الى قرار أصبح لزاما التوصل الى ذلك ، بكل سبيل ابتغاء المصلحة العامة بل ومصلحة ذوى الشأن وليس من شك فى أن التحقيق القائم الآن يطلب ظروف حزم البدار

★★★

.. وسوف نعود ، الى موضوع « حزم البدار » فيما بعد فقد كتبت السياسة عن هذا الموضوع مقالة بتاريخ ٢٩ يونيو ١٩٣٤ تعتبر من أجمل وأروع المقالات السياسية وقد تولى النائب العام ــ بعد موضوع ــ حزم البدار ــ التحقيق مع حفنى محمود مباشرة بنفسه وقد رفض كل الطلبات التى تقدم بها المتهم ــ حفنى محمود ــ خاصة باستدعاء الشهود ومواجهتهم وفى بعض الأحيان كان النائب العام ينتهز فرصة انشغال حفنى محمود فى قضية أخرى ــ قضية التبشير ــ ليسأل الشاكين والشهود فى غيبة المتهم .

★★★

ومن طرائف التحقيق فى قضيتى «نزاهة الحكم» ــ وما أكثر ما كان بها من طرائف ــ ان التحقيق تأجل فى مساء أول ابريل ١٩٣٤ الى صباح اليوم التالى لسماع أقوال ابراهيم فهمى كريم باشا ، وزير المواصلات ، ونشرت جريدة السياسة خبر استدعاء الوزير لسماع أقواله ، ولكن الوزير لم يذهب الى مكتب النائب العام كما هو مقرر ولما سأل المتهم حفنى محمود بك عن سبب تخلف وزير المواصلات عن الحضور الى التحقيق لسماع أقواله قال له النائب العام ان معالى الوزير عندما قرأ خبر استدعائه للتحقيق فى السياسة رفض الحضور لأن نشر الخبر يعتبر تجريحا للوزير ولا يليق به ان يحضر بعد تجريحه : وانتهى

الأمر بأن انتقل النائب العام الى مكتب الوزير لسماع أقواله فى غياب المتهم حفنى محمود .

★★★

ومن الطرائف أيضا : ان جريدة الديلى هيرالد الانجليزية نشرت خبرا عن التحقيق فى هذه القضية وقد سئل الاستاذ حفنى محمود عن الخبر كما لو انه هو كاتبه !

انتهى التحقيق فى القضيتين واحيلت القضيتان الى محكمة الجنايات وتحدد لنظرهما جلسة ٣ يونيو ١٩٣٤ ، وطلب المحـامون عن حفنى محمود التأجيل للاستعداد والاطلاع على الملفات ولأن بعض الشهود متغيبون عن القاهرة ولكن النائب العام ذهب بنفسه الى محكمة الجنايات وترافع بشدة ضد طلب التأجيل ، بالرغم من أن العرف جرى فى مثل هذه القضايا الهامة أن يجاب المحامون الى طلب التأجيل ، وخاصة اذا ما كان أول طلب للتأجيل ! وكان من بين ما قاله النائب العام وهو يبررمعارضته لطلب التأجيل : حققت القضية بأسرع وقت لأتبين الحق منها لا لأقدمها الى القضاء فاذا رأيتها صالحة لأن يقول فيها القضاء كلمته قدمتها واذا رأيتها غير صالحة حفظتها ، فلم يكن الاسراع فى التحقيق الا لاظهر الحقيقة سواء كانت فى طرف المتهم أو فى طرف الحكومة لأن الأمر كان خطيرا جدا . حكومة بأسرها متهمة بانها غير نزيهة لا يليق أن تستمر هـذه التهمة معلقة على رأسها وهى تدير شئون البلاد ، ولذلك عنيت بانجاز التحقيق صباحا ، ومساء ، وأثبت ذلك فى صدر الخبر الذى حرر عقب ما نشرته السياسة متعجبة ومتسائلة عن السر فىالمباغتة وقد قلنا ان القضية خطيرة وتتناول أقدار رجال الحكومة ، وحتى يطمئن الرأى العام : اما فيما يتعلق بالأوراق التى طلبها حضرة الاستاذ توفيق بك خليل فهى خمس أوراق تتعلق بالقضية رقم ١٥٤٢ عابدين وعجبت أن يتقدم بهذا الطلب الآن مع أن القضية كانت مؤجلة من الجلسة الماضية وكان يستطيع أن يتقدم بهذا الطلب وقتها وقد قدمه فى يوم ٣٠ مايو سنة ١٩٣٤ وطلب ضم هذه الملفات الخمسة وستة ملفات أخرى خاصة بالقضية الثانية : فيما يتعلق بالقضية الأولى ما كان له الحق فى أن يطلب هذه الأوراق واقرر بذمة القاضى ان هذه الأوراق لا تفيد شيئا » وحول سماع الشهود يقول النائب العام : لو اننى أحسست أن الحق ينجلى أو ينجلى بعضه بسماع هؤلاء الشهود لكان الأمر هينا ، ولكنى وجدت ان شهاداتهم لا ارتباط لها بالموضوع ، ولا معنى لسؤالهم فى نظرى ورأى المحكمة اسمى فأترك لها الأمر فى التقديـر ولكنى أقرر ان جميع هؤلاء الشهود لا أرى أن أقوالهم تفيد العدالة : هم يريدون أن يأتوا برئيس الحكومة أمام المحكمة ليشهد على وقائع فصـلها أمام النائب العام ، فكأنهم يريدون أن يقولوا ، ان النائب العمومى قد قصر وكنت أحب ألا يمر بخاطرى هذا المعنى و .. و .. » .

وتأجلت القضية لأول يوم فى دور يوليو عام ١٩٣٤ واستعد المحامون ، ولكن النيابة العامة رفضت اعــلان الشهود وفوتت على المتهم – بلا مبرر من القانون – فرصة اعلان شهوده ، والغريب ان القضية أجلت بدون طلب فى هذه المرة من المحامين ولكن لان الاستاذ محمود منصور رئيس نيابة مصر المكلف يومئذ بالمرافعة فى هذه القضية يريد أن يقوم بأجازته ! .. ونامت القضية شهورا وشهورا لأن رئيس الحكومة عبد الفتاح يحيى باشا كان يريد أن يتفاهم مــع حزب الأحرار الدستوريين .. والمتهم فى هذه القضية احد اقطابه وشقيق رئيسه ! .. وتدخلت عوامل أخرى خارجية فى موضوع القضية فقد كان فى مقدمة المطالب البريطانية التى تقدم بها مستر بيترسون المندوب السامى البريطانى بالنيابة ، استقالة كل من ابراهيم فهمى كريم باشا وعلى المنزلاوى بك الوزيرين اللذين تناولت مقالات السياسة نزاهتهما ! واللذين قالت التيمس البريطانية عنهما ان نزاهتهما كوزيرين ليست فوق كل شبهة وهما متصلان بالابراشى باشا بأوثق عرا الصداقة واذا برئيس الحكومة يجتمع ذات يوم بالنائب العام ، واذا بالنائب العام يفتى بأن اقصاء هذين الوزيرين غير متيسر لاتصالهما اتصالا مباشرا بقضية نزاهة الحكم : « لأن خروجهما من الوزارة قبل نظر القضية قد يؤثر فى مجراها » وبعد هذه الفتوى من النائب العمومى ، فوجىء الناس بتحديد يوم ١٥ نوفمبر ١٩٣٤ لنظر قضيتى نزاهة الحكم على وجه السرعة والاستعجال .

***

ودفعت تصرفات النيابة العامة وتصريحات النائب العام بشأن القضــية وتوجهها وجهة معينة بالاستاذ نجيب بك سالم رئيس الدائرة التى تنظر القضية الى التنحى عن نظرها فأحيلت القضية الى دائرة عبد الوهاب بك فهمى وطاهر محمد بك وفؤاد أنور بك .

***

ويطلب الدفاع سماع شهود آخرين غير الذين قررت هيئة المحكمة سماع أقوالهم وترفض المحكمة الطلب وينسحب المحامون عن حفنى محمود .

وقد طلب رد محمد بك طاهر ، عن نظر القضية ورفض طلب الرد ولكنه تنحى من تلقاء نفسه عن الاشتراك فى القضية وانتــدب الأستاذ نجيب بك ؟ فرفض بدلا منه وقد سمعت المحكمة شهادة محمد محمود ، واسماعيل صدقى ، وعلى ماهر ، حافظ عفيفى ، محمد شفيق ، ومحمود فهمى ، وحسين سرى ، رضا عقــدة وأحمـــد عبــد الحليم العســكرى كمــا سمعت أقوال على المنــزلاوى وعبد الفتاح يحيى وابراهيم فهمى كريم وكشفت شهادات الشهود عن كثير من المخازى كما كشفت الدوسيهات والملفات عن فضائح لايستطيع القلم وصفهــا وكان للأستاذ عبد الرحمن البيلى – كما قالت السياسة – أكبر الفضل فى كشف

خباياها فكان يقضى الأيام والليـالى وهو غارق بين أكداسها باحثا منقبا بهمة لا تعرف الكلل ، حتى استطاع أن يخرج منها من المخازن ما رأى الناس ، وشهد الرأى العام ٠٠ وقد أبلى بلاء حسنا فى الدفاع عن حفنى محمود محامون بارزون فى مقدمتهم ابراهيم الهلباوى شيخ المحامين ، سلامة ميخائيل ، محمد كامل البندارى ، محمد توفيق خليل ، سابا جبشى : هؤلاء الذين تتبعوا القضية منذ بداية تحقيقها ، وانكبوا على دراستها ، وتقليب أوراقها ، وملفاتها شـهورا استنفدت منهم جهودا جبارة لا يستطيع الانسان الا أن يحنى هامته أمامه : انهم ـ أى هؤلاء المحامين الكبار ـ لم يكونوا يدافعون عن حفنى محمود وحسب ، وانما كانوا يهاجمون نظام حكم بأكمله ، كانوا يهاجمون نظام اسماعيل صدقى ووزارة عبد الفتاح يحيى ٠ كانوا يهاجمون دستور سنة ١٩٣٠ وكل ما بنى على أساس دستور سنة ١٩٣٠ وبرلمان سنة ١٩٣٠ وكانوا يريدون ـ بأى ثمن ـ اسقاط هذا النظام على رءوس أصحابه ، والمنتفعين به ، ومن الناحية الأخرى لم يكن المحامون الذين تولوا المرافعة عن عبود باشا ، وابراهيم فهمى كريم ، وعلى المنزلاوى ، يريدون أن يزجوا ، بحفنى محمود الى أعماق السجن وحسب وانما كانوا يدافعون عن نظام اسماعيل ووزارة عبد الفتاح يحيى كما كانوا يهاجمون حزب الأحرار الدستوريين ، خصمهم الأوحد فى هذه القضية !

★★★

وكما ابلى فى الدفاع محامون بارزون ، ابلى فى الهجوم أيضـا محامون بارزون على رأسهم وفى مقدمتهم : مرقس فهمى عن أحمد عبود ، أحمد رشدى عن ابراهيم فهمى كريم : وهيب دوس عن على المنزلاوى : وكان ابراهيم فهمى كريم قد ادعى مدنيا ـ فى قضيتى نزاهة الحكم ـ بقرش واحد بصفة مؤقتة ، وكان على المنزلاوى قد ادعى مدنيا بخمسة آلاف جنيه ، أما أحمد عبود ـ وهو رأسمالى كبير ـ فقد ادعى مدنيا بعشرة آلاف جنيه وكانت التهمة الموجهة الى حفنى محمود انه اهان وسب هيئة نظامية وهى مجلس الوزراء الحالى ، بأن نسب اليه كذبا وبسوء نية وابتغاء التشهير انه يتستر على تصرفات مخالفـة للقانون وقعت من بعض الموظفين وانه يحارب من يسعى فى كشف هذه التصرفات وانه فيما يأمر بتأليفه من لجان لتحقيق بعض المسائل لا يقصد اظهار الحقيقـة وانما يبغى اشباع غايات شخصية وسياسية وان عهده سيىء ، غاية السوء ٠ والحريات فيه مقيدة تأباها أبسط مبادىء العدل والقانون ، وان المتهم حفنى محمود بك نقد علنا أعمال الوزارة وتجاوز فى ذلك حد النقد المباح باستعمال عبارات مؤذية وبذيئة ، كوصفه أياها بأنها لا تقدر كرامة الحكم ولا مصلحـة مصر ، وأنه نعت الوزارة بالقذارة ، والاحتقار وانه قذف موظفا عموميا ، هـو عبد العظيم راشد باشا وزير الأشغال ، بسبب أداء وظيفته بأن أسند اليه كذبا

وبسوء نية وابتغاء التشهير أمورا لو صحت لأوجبت احتقاره ، عند أهل وطنه ، ونفس التهمة وجهت الى حفنى محمود بك تهمة القذف فى حق على المنزلاوى بك وابراهيم فهمى كريم باشا وزير المواصلات حاليا ، والأشغال سابقا ، وكذلك اتهم حفنى محمود بأنه قذف وسب أحمد عبود باشا ، وأهان مجلس الوزراء ٠٠ فرمى الوزارة بالضعف وقلة الحزم ، والمحاباة وعدم النزاهة ٠

★★★

● فى قضيتى نزاهة الحكم ، تبارى النائب العام ورجاله ونوابه مع المحامين عن المتهم ، والمحامون من المطالبين بالحق المدنى فى اظهار عبقرياتهم ، وكفاياتهم القانونية والأدبية ، وذلك لأن الرأى العام كان يتتبع بشغف كل ما يقال فى جلسات المحاكمة ، لا عن طريق الاذاعة والتليفزيون اذ لم تكن الاذاعة قد أصبحت يومئذ شعبية ، كما ان التليفزيون لم يكن قد وجد بعد ، وانما عن طريق الصحافة ، التى كانت تفرد يوميا الصفحات الكثيرة لنشر كل ما يدور فى جلسات المحاكمة ، وكان أى محام فى هذه القضية أو النائب العام ، أو أى أحد من رجاله ، يحرص على ان يترافع ـ على الأقل ـ ثلاثة أيام ، أو أربعة أو حتى خمسة ، فى الصباح وفى المساء ولساعات عديدة فى كل فترة من فترتى الصباح والمساء ، كما كان يحرص على أن تكون مرافعته قطعة أدبية قانونية تصلح ان تدرس فى كليات الحقوق فى أى جامعة من الجامعات وكان على رأس المحامين الذين جذبوا انتباه الجمهور بمرافعاته ومناقشاته مع هيئة المحكمة ، أو مع ممثلى النيابة ، أو مع الشهود الذين كسبوا احترام الجميع ، احتراما ما بعده من احترام ابراهيم الهلباوى وابراهيم الهلباوى (٣٠ ابريل ١٨٥٨ ـ ٢٠ ديسمبر ١٩٤٠ ظاهرة سياسية وقانونية يكاد ينفرد بها تاريخنا السياسى ، والقانونى : انه احد تلاميذ الامام جمال الدين الأفغانى ، واحد قادة الصف الأول من أولئك الذين لعبوا أخطر الأدوار فى النصف الأخير من القرن ، التاسع عشر ، والنصف الأول من القرن العشرين أمثال سعد زغلول وقاسم أمين ، ومحمد عبده وغيرهم ، وغيرهم الهلباوى شيخ المحامين ـ بلا جدال ـ وأول نقبائهم وأبرز بناة نهضة مصر فى مصر منذ أن كانت المحاماة ، مهنة غير معترف بها ، وكان من يمتهن المحاماة لا لا تقبل شهادته فى المحاكم !

★★★

قضيتا نزاهة الحكم كانتا عنوانين بارزين على خلود القضاء الواقف والقضاء الجالس فى مصر ٠٠ كما نرى فيما يلى :

الفصل الرابع

قضاة مصر ومحاموها مفخرتان لمصر

وتاريخ المحاماة فى مصر بل فى العالم كله ، لم يعرف محاميا ارتفع بالمحاماة ، ورفعته المحاماة الى القمة كما كان الأمر ، بالنسبة لابراهيم الهلباوى ، كما أن تاريخ المحاماة ، فى مصر ، بل فى العالم كله ، لم يعرف محاميا تحمل كل ألوان الظلم والاضطهاد وقسوة الحياة بسبب امتهانه للمحاماة كابراهيم الهلباوى : لقد تراءى ذات يوم لابراهيم الهلباوى ، ان واجبه كمحام ان يقبل مهمة المدعى العمومى فى قضية دنشواى (١٣ يونيو ١٩٠٦) : لم يتردد فى معاداة الرأى العام ، الذى كان يتعاطف مع المتهمين فى تلك القضية : لم يخش معاداة الجماهير له ، وسخطها عليه واحتقارها اياه ، حتى ليطلق عليه الشعب جلاد دنشواى وفى ذلك الوقت يقول شاعر النيل ، وهو يخاطب الهلباوى :

انت جلادنا فلا تنس انا   قد لبسنا على يديك الحداد

ولم يكن الرجل ليستطيع بعد موقفه من قضية دنشواى أن يشهد أى احتفال عام أو حتى محاضرة عامة ذلك ان شباب مصر وقتئذ ، كان يتتبعه فى كل مكان يذهب اليه ويطلق وراءه « الحمام » اشارة الى حادث دنشواى حيث كان الحمام احد الأسباب التى أدت الى وقوع ذلك الحادث لأن بعض رجال الجيش البريطانى كانوا قد ذهبوا الى دنشواى لصيد الحمام : يحارب الرجل محاربة عنيفة حتى ليكاد يغلق مكتبه بعد ثلاث سنوات قضاها فى أعقاب الحادث ٠ يتحرج ، أصحاب القضايا من الذهاب اليه رغم معرفتهم الأكيدة بقدرته الفائقة كمحام ٠٠ يعرض عليه البعض منصب مستشار فى محكمة الاستئناف ويوشك أن يقبل المنصب بعد أن اشتدت الحرب الشعبية ضده ولكن امرأة ريفية كفيفة البصر ـ كما يقول مؤرخ الهلباوى الأستاذ عبد الحليم الجندى ـ ردته عن التفكير فى العمل بالقضاء وترك ، المحاماة قالت له ، وقد ذهبت للقائه لقد

سمعت فى فناء المحكمة انك سوف تلى القضاء فى محكمة الاستئناف ولكنى أقول لك انه يوجد فى مصر الآن أربعون مستشارا ، سوف تصبح اذا ما قبلت التعيين واحدا منهم أما فى ميدان المحاماة فلا يوجد الا محام واحد هو ابراهيم الهلباوى ٠

★★★

ويقتنع المحامى الكبير بمنطق الريفية الكفيفة البصر ويستمر فى المحاماة ولا تمضى سوى فترة قليلة ، زادت على السنوات الثلاث قليلا الا ويصبح الهلباوى ــ من جديد ــ محامى القضايا الوطنية الكبرى : يترافع فى قضية بطرس غالى باشا : ويكون أبرز المحامين ، عن المتهم ابراهيم ناصف الوردانى ، وكان الرأى العام كله مع الوردانى وعندما يتحول الهلباوى الى الجانب السياسى فى القضية يجعل رئيس المحكمة الجلسة سرية ، وتكون الكلمات التى أنهى بها الهلباوى مرافعته مخاطبا المتهم من أجمل الكلمات،وأكثرها روعة حتى ليحفظها كثيرون أثناء الشعب ويرددونها فى كثير من المحافل ، ثم يترافع فى قضية مقتل السيرلى ستاك سردار الجيش المصرى والحاكم ، العام للسودان ــ وهى قضية كان الرأى العام كله ، الى جانب المتهمين ــ كما يترافع فى كل القضايا الوطنية حتى تلك التى كان المتهمون فيها من أحزاب‌سياسية ،يختلف واياها بل ويحاربها حزبيا ــ وتنزل بالمحامى العظيم فيما بين ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ أزمة اقتصادية عنيفة يستدين بسببها مئات الألوف من الجنيهات ولا يصبح ــ كما يقول الاستاذ الجندى ــ لابراهيم الهلباوى من بضعة آلاف الأفدنة ، التى كان يمتلكها فدان واحد ، ولا من سراياه فى جاردن سيتى حجر واحد ٠٠ لقد رسا مزاد هذه الآلاف على الدائنين ورسا مزاد السراى على الخاصة الملكية ٠ أراد سعد زغلول ــ وهو خصمه السياسى ــ قبل رسو مزاد السراى أن يحفظ للأسد ، عرين الأسد ، بشراء الدار له فأوفد اليه فتح الله باشا بركات يرجوه أن يقبل تدخله فى المزاد فشكر لسعد ، ولفتح الله بركات وأصر على الا يفعلا فلم يفعلا ! ويقف فخر المحاماة ذات مرة أمام المحكمة مترافعا عن نفسه فى قضية تخص بيته ، الذى يراد نزع ملكيته منه فيقول، والدموع تملأ مآقى هيئة المحكمة : يقول ابراهيم الهلباوى الذى طالما صال وجال فى ساحات المحاكم : انه جاء الى المحكمة لانه يعرف انه اذا انهزم فى كل مكان فقد تعود النصر فى المحكمة ، وانه اذا لم يبق له دار فانه باق فى دار العدالة التى ساهم فيها أكثر مما ساهم أى انسان : لا يلتمس ان يسكن ولا يلتمس أن يرحم ولكنه يطلب العدل من دار العدل ٠٠ » ٠

★★★

وفى قضيتى نزاهة الحكم ، يطلب الاستاذ حفنى محمود ــ المتهم رد رئيس المحكمة ، ويغضب رئيس المحكمة من طلب الرد ويعتبر هــذا الطلب ماسا بكرامته ٠ وينتهز محامو خصومه الفرصة ، فيتهمون حفنى محمود بأنه وقــد كان متهما بالقذف فى حق بعض الوزراء ، والكبراء ، فقد أصبح اليوم ــ وبعد

طلب رد رئيس المحكمة ـ متهما بالقذف فى حق القضـاة ٠٠ ويقـول ابراهيم الهلباوى وهو يرد على طلب الرد فيرتفع بالمتهم الذى طلب رد رئيس المحكمة ؛ ويرتفع برئيس المحكمة ، الى أعلى عليين يقول الهلباوى متحدثا عن المتهم حفنى محمود : فلما عرضت للمتهم الشبهة فى قاضيه لم ينخلع فؤاده فرقا بل أقدم على أن يطلب الحقيقة عارية والعدالة مجردة ، ليطمئن قلبه وقديما وفى سبيل الاطمئنان قال موسى « رب أرنى أنظر اليك ، قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل ، فان استقر مكانه فسوف ترانى ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ، وخر موسى صعقا ، فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين» فالاطمئنان الذى نشده موسى ، وظفر به هو الاطمئنان الذى نشده حفنى وظفر به والذى حصل من حفنى حصل من انسان اسمى منه ألف مرة وبالنسبة لمن هو اسمى من سعادة المستشار ، لا مرة ولا مليون مرة ولكن بمقدار الفرق بين الانسان وخالق الانسان ٠٠

★★★

وفى العدد الصادر بتاريخ ١٨ ابريل ١٩٣٥ تنشر « السياسة » على كل صفحتها الأولى ، وكل صفحتها الثانية ، وكل صفحتها السادسة الجزء الأول من مرافعة الأستاذ ابراهيم الهلباوى فى قضية نزاهته وتقدم لتلك المرافعـة بالكلمة التالية :

بدأ أمس أستاذنا الكبير هلباوى مرافعته بعد أن طال انتظار الجمهور لها لأن الناس بعد أن سمعوا درر البلاغة التى ألقاها حضرات المترافعين عن حفنى بك وجريدة « السياسة » فانتظمت عقدا فريدا صاروا يتطلعون الى جوهـرة نادرة تكون بواسطة هذا العقد ، وقد ظفروا أمس بهذه اللؤلؤة الثمينة فى مرافعة شيخ المحامين التى يتوج بها مرافعة ابنائه ، وتلاميذه نوابغ المحامين وافذاذهم : بكرت أمس الى المحكمة فدلفت الى قاعة الجلسة وفى ظنى انه لم يسبقنى اليها أحد ولشد ما كانت دهشتى حين شاهدت حضرة صاحب المعالى ولى جعفر باشا وقد تصدر مقعد المحامين يطالع صحيفة الصباح ، وتلفت فاذا سيدات من كرائم، العقيلات وآنسات من الأسر الطيبة قد شفع لهن جنسهن اللطيف فى الدخـول قبل موعد فتح الباب العمومى وحين بلغت الساعة التاسعة فتحت أبواب القاعة فاذا سيل من الناس يندفع اندفاع الماء طال انحباسه ، وكأنهم جميعا اتقياء ، يسارعون الى العبادة وغزاة يشبون الى الربح ، والغلبة وما هى الا دقائق خمس حتى ملئت القاعة ، ولم يبق فيها موضع وانفق رجال البوليس ، مجهودا كبيرا لكى يذودوا الطامعين عن مجالس المحامين الا من ارتدى شارتهم ٠

★★★

جلت ببصرى فى الحضور فاذا فيهم كثيرون من رجال الصف الأول فى الحياة السياسية ومن العلماء النابهين ومن الشـباب المثقف ثم غلقت الأبواب

فاذا من خلفها يربو على من أمامها ٠٠ وفى منتصف الساعة العاشرة دخلت هيئة المحكمة ووقف شيخ المحامين يزين مفرقه جلال المشيب وارتفعت قامته المديدة فكأنما ضربت للحق ، والعدل قبة هو عمادها فسكتت الأصوات وارهفت الآذان ، حتى لا تفوتها منه لحظة وبدأ هو يتكلم ، بصوت خافت ولم يزل يرتفع شيئا ، فشيئا حتى يجلجل صوته ويسمو بمعانيه فتسمو معه الأرواح ، حتى تحلق فى عالم روحانى ثم يهبط بها تدريجيا ليرفه عن النفوس بملحة أو طرفة وهكذا انقضت أربع ساعات بين التحويم ، والتحليق ما شعر السامعون بسأم ولا أدركهم ملال ٠٠٠ قال صاحبى لقد كنت وجلا وقلت مم ؟ قال خفت أن تنتهى المرافعة ولما ترتو نفسى فكأنى ظامىء ظفر بكوبة ماء مثلج كلما نهل منها نهلة خشى أن تفرغ ٠ قبل أن ينقع غلته » ٠

★★★

وتمضى السياسة فى تلخيص مرافعة الهلباوى ولكنها بعد أن تمضى فى التلخيص فيما يقرب من عمود من أعمدة الصحف اليومية تستدرك قائلة ولقد يضيق بنا المقام ، اذا نحن حاولنا تلخيص هذه القطعة الخالدة من الأدب القانونى فان الخير للقارىء فى أن يتلوها كلها حتى لا تفوته من بلاغتها أو سموها شىء لا يغنى عنه التلخيص ٠ يبدأ شيخ المحاماة مرافعته بأن يتوجه بالشكر الى زملائه من المحامين الذين سبقوه لأنهم أراحوه من كثير ولم يتركوا له الا القليل ، ويوضح انه اختار أن يكون آخر من يتكلم عن « السياسة » ، لانه راعى صحته فبدء العراك يحتاج الى قوة ، ويقول ان وجبه أمام زملائه ، بالأخص حضرة النائب المترافع ان يلتزم جانب التواضع والاختصار فى الرد على ما أصبنا به من حملات النيابة والمدعين بالحق المدنى ، وهذا التأدب مع ذلك ـ كما يقول الهلباوى ، يقضى بأن أبدأ كلمتى بالشكوى من النيابة لانها تصرفت معنا تصرفا يكاد يكون شاذا وشكوانا اليكم انها اتهمتنا بسبع تهم فى قضيتين ليه ؟ عملنا أيه ؟ قذفنا وسببنا هيئة الوزارة ، قذفنا وسببنا الوزير الفلانى وهكذا خمسة هنا واثنين هناك : هل هذا تشريع جديد يطبق فى قضية حفنى محمود ، وجريدة « السياسة » ؟ ٠ الى أن يقول ابراهيم الهلباوى : ماذا كان موقفنا من الحكومة ؟ اتهمناها ونتهمها لغاية اليوم ، ان حكمها كان غير نزيه فقد وجد من تصرفاتها ما يدعو الى الريبة فى انها تعمل للمصلحة العامة وانها تفضل المصلحة الخاصة على المصلحة العامة هذه هى التهمة : سب ٠ قذف ٠ سمه ما تشاء وانا مستمر على هذه العقيدة الى اليوم ٠

(ابتدأت المعركة من أكتوبر سنة ١٩٣٠ خمس سنوات ونحن نحارب الحكومة ، نقول انها : خربت البلد ولم تراع المصلحة العامة ، أفسدت الأخلاق فكل ما جاء بعد ذلك صورة من هذه الصور ودليل من أدلتها ويقول : ان النيابة تريد التشهير بنا ونحن انما قصدنا الطعن على نزاهة الحكم ، وهذه الوقائع كلها

أدلة على صحة التهم التى وجهناها الى الحكومة فاذا كان فى أى واقعة عشرة أدلة وتبين ان بعضها صحيح ، وبعضها غير صحيح ، فلا يكون ذلك واقعة غير ثابتة وانما دليل من الأدلة ويقول ان التجربة فاسدة بالنسبة للجرائم الاعتيادية وبالنسبة لجرائم القول ، ولا يمكن للقاضى ان يذهب فى تقدير هذه القضيـة حسبما ذهبت النيابة لأن التهمة واحدة ، أغرب من هذا أنها شطرت الفعل الواحد الى تهمتين : تهمة قذف وتهمة سب : احنا عايزين معمل كيمياء يفصل دى من دى .. هو فى الدنيا تهم قذف مش سب : السب ابن القذف ، وتضج القاعـة بالضحك ولكن الهلباوى يستمر فى كلامه قائلا فيكون تقسيم التهمة الى قسمين سب وقذف من أعمال العبث التى لجأت اليها النيابة : ثم ان النيابة أخفت عن المحكمة أشياء وقدمتنا لكم عن مقالات معينة : هى النيابة عايزة ترحمنا ؟ أبدا احنا عايزين نعترف بكل شىء : احنا اتهمنا الحكومة بأنها غير نزيهة : اشـمعنا النيابة ماتقدمناش الا من نوفمبر سنة ١٩٣٣ كل الاعداد ، التى صـدرت من السياسة قذف وطعن فى الحكومة السابقة فلماذا لم تقـدمونا من أجـل هذا كله : وأقـول بان هـذا العهـد تغـير رجـاله : كان له رئيس حتى ينـاير ١٩٣٣ وجـاء بعـده رئيس آخـر : سامحتنا من أجـل العهـد اللى فات والاسـتاذ وهيب دوس بيقـول دول نـاس شـتامين ما فيش الا مـادة ش. ت. م. ويقول الاستاذ وهيب دوس : ما أنت بتقول انكم بقالكم أربع سنين ويقول الاستاذ الهلباوى : احنا قلنا اننا شتامين يا وهيب سامحتنا النيابة عن عهد اسماعيل صدقى ولم يصعب عليها الا عهد عبد الفتاح : ليه مطاعننا مرتبطة كلها ببعض . الوزارة دى مشبوكة بدى ، فكل ما جاء فى جريدتنا متعلق بعضه ببعض فاختيار الوقائع واقتطاعها ليس من حق النيابة بل من حق المتهم الحاضر أن يقول ان النيابة أخفت عنكم أشياء من مصلحتى أنا :

شوية برسيم أخذها المنزلاوى .. عشرة خمستاشر نحلة خدها المنزلاوى . هاتوه حفنى محمود .

عبد الفتاح يحيى اشترى أطيان أبو حمص ده سب وقذف امال ، الدواهى المتلتلة دى سبتوها ليه ؟

★★★

قبل ان يتولى عبد الفتاح باشا يحيى الوزارة قلنا ان هذا الرجل الشريف الذى تربى فى بحبوحة النعمة جرفه العهد البائد : تعرفوا ليه : عملوا شركة ملاحة أعطتها الحكومة اعانة لنقل الركاب تعرفوا هذه مخالفة حتى لدستوركم لأن الوزير ، لا يجوز له الاشتغال فى الأعمال .

وعندما يعترض وكيل النيابة طريق الاستاذ الهلباوى قائلا :

دا غير القضية المطروحة أمامكم ؟

الهلباوى : أنا لا آخذ اذن منك أنا أترافع على كيفى ٠٠ لا ، لا ٠٠

رئيس المحكمة : تناولها التحقيق

الهلباوى : « ان شا الله ما تناولها : القانون اللى كان بيقول الدليل يقدم فى خمسة أيام راح فى جهنم ٠

الرئيس : هو يقول ان المسألة غير داخلة فى التهمة ٠

الهلباوى : أنا أدخلها « ضحك »أمال احنا بقى لنا أربعة شهور بنعمل ايه ؟

الرئيس : طيب اذا كنت تسمح : بالاختصار ٠٠٠ بلاش أسامى ٠

هلباوى بك : طيب بلاش أسامى هم شتمونا بالاسامى ما خللناش !

***

وعن واقعة التحقيق مع المتهم حفنى محمود فى يوم العيد يقول الهلباوى : فى أيام العيد تقفل دواوين ، الحكومة ومصالحها لأن للموظف حق التمتع براحته وزيارة موتاه ، والأنس بأهله والمحكمة تقفل والبنوك تقفل والنيابة تقفل الا للحوادث الطارئة ، لعلاجها ، وكنا فى ٢٦ مارس ، وحوادثنا تبدأ من نوفمبر ، فكنتم فين ولما قلنا ليه قالوا المحقق له الحق : صحيح حضرة الرئيس له أن يخرج واحدا من الجلسة لكن هل يقبل ان يأتى لواحد قاعد فى غاية الأدب ويقول : طلعوا هذا بره ، المدافع تضرب فى كل ناحية ايذانا بالعيد : يوم مبارك ، ليس يوم سؤال ، وجواب : فاذا شكونا من هذا والدموع تذرف من عيوننا أفلا توافقوننا على أنه اسراف فى التصرف : المحكوم عليهم بالأعدام ، لا ينفذ عليهم الأعدام فى أيام العيد ، واذا نفذ فى هذه الأيام المباركة اعتبر جريمة ٠٠ المجرم ، له الحق فى التمتع بهذه الطمأنينة وهو قاتل ، وحفنى محمود لا يتمتع بها ، واذا وقع هذا من أمين الدعوى العمومية المثل الأعلى لموظفيه ، ومرؤسيه أفلا يجوز لنا أن نشكو ٠٠ بل لنا الحق ان نبكى ماذا كان يجرى ، لو أن التحقيق تأجل لبعد العيد هل السماء ، كانت ستنطبق على الأرض أبدا ولكن الاضطراب الذى فى نفوسهم هو الذى فعل هذا : هذه خدمة للجبروت والطغيان للتحقيق فى المعنى القديم الذى نعتقد أنه انقضى عهده : أؤكد لكم أن هذا العمل لم يشرف النيابة مطلقا لأن حفنى من أكبر العائلات وشقيق رئيس حكومة سابق ، ورئيس حزب «متأسف جدا أن يذاع هذا عن النائب العمومى ، وهو رجل فى أعلى كرسى فى القضاء ومن الشبيبة التىمازلنا نفخر بحصافتها ونبلها وأننشر هذه الشكوى فى الصحف : «ويقول الهلباوى : أن قضية دريفوس قعدت ١٧ يوما بينما قعدت القضية دى قعدت شهور طويلة ومين عارف اذا كنا حانخلص الشهر ده والا حنقعد لاكتوبر الجاى : قلنا أن هذا لم نكن نرجو أن يحصل من النيابة كل هذا أمنية صغيرة ، أن فخر القضاء المصرى هو طريق ترقبه ومحافظته على المساواة : كنت أتمنى ان عبد الفتاح باشا وابراهيم فهمى وعلى المنزلاوى وعبد العظيم باشا

لسه فى الحكم كنت أتمنى فى أن يتم شرف القضاء بأن يحكم فى هذه القضية وهم فى مناصبهم : آه لو تم ذلك لكان من أجمل المعانى والآثار ، كان دليلا على أن القضاء أنصف أحد الرعايا على هؤلاء الحكام العظام ٠٠» ٠

★★★

وفى نهاية الجلسة الأولى وقبل الاستراحة يقول :

لو كنا عايزين ، الحكم ، كنا خدناه من زمان واذا كنا عايزين الحكم فانما لنرد على الأمة أموالها ، وكرامتها ، اذا رغبنا فى الحكم انما نتقدم اليه كما يتقدم عسكرى طولمبات الحريقة اذا رأى الناس ، جرى وترك عقله ليخلص أهل البيت من هذه الكارثة ٠

هذه هى عقيدتنا وهذا الذى من سبيله تجرعنا ما تجسرعنا والحديث يقول : « النار حفت بالشهوات والجنة حفت بالمكاره ٠٠ » ٠

وبعد الاستراحة استأنف الهلباوى المرافعة بقوله : الدليل ، اما أن يقبله القاضى واما ألا يقبله : والقاذف اذا استطاع أن يثبت انه كان منتقدا ، فلا عقاب عليه ، ويظهر أن حضرة النائب من رأيه أن القاذف لا ترفع مسئوليته الا اذا ثبت قذفه ثبوتا تاما ، والا لا يقبل منه : هذا رأى النائب والمدعين بالحق المدنى ولكنه رأى تمجه البداهة والمصلحة العامة ، والفائدة من الصحافة ، وحفنى قدم أدلته ، قولوا لنا فيم تشتغلون من فبريرا الماضى : نحن نشتغل الآن لاثبات هذه الأدلة : صحيحة أم لا : ان الصحفى اذا وصله خبر ، جاب له محكمة وبوليس علشان يحققه ، هذا تعطيل للصحافة : يكفى القاضى لحماية الصحفى ، أن يثبت أنه عندما نشر كان يعتقد بصحة ما نشر : هذا هو كل ما يطلب من الصحفى ٠٠ ومركز الصحفى كمركز الطبيب الذى يقتل مريضا أثناء عملية جراحية يكفى أن يثبت للقاضى انه كان حسن النية ، أما اذا ثبت انه كان مخطئا ، متعمدا فهنا تختلف النتيجة فمركزى وأنا فى مهمة عامة فى حكم التقديس ، اذا جاءنى خبر ، ورأيته محتمل التصديق واعتقدته فلا عقاب على نشره ٠٠

★★★

ويخصص ابراهيم الهلباوى جزءا كبيرا من مرافعته ليزيح الستار عن كثير من أسرار تاريخ حزب الأمة وتاريخ حزب الأحرار الدستوريين الذى هو امتداد ، لحزب الأمة ومن بين ما ذكره : ان صحيفة « الجريدة » التى كان يصدرها حزب الأمة قد أوشكت على الافلاس وان محمود سليمان باشا ، وعلى شعراوى باشا قد دفعا ستة آلاف جنيه ، وان الآلاف الأربعة الأخرى قد أصبح دفعها واجبا على عدد من المحامين الشبان الذين ينتمون الى الحرب وان الهلباوى وعد هو وزملاؤه بدفع ذلك المبلغ حتى ولو نبيع « حلق النسوان » كما يروى الهلباوى

فى مرافعتـــه بعض أسرار ثورة ١٩١٩ ومواقف عبـد العزيز فهمى ، وعلى شــعراوى ، ومحمــود سليمان ومحمـد محمود ، ويقــول من هو أول من كان على رأس أول شرارة اندلعت لتحرير الأمة ؟ ويرد قائلا حزب الشتامين ، حزب الوقحاء ، حزب الأراذل برضه حزب الأمة ، اجتمعوا وأول نداء أصدروه كان بالاعتراض على نظام الحماية رفع راية سعد زغلول وعبد العزيز فهمى ، وعلى شعراوى ، ويعتبر ما قاله الهلباوى بحق ـ فى مرافعته ـ عن تاريخ الأحزاب المصرية قبل وأثناء ، وفى أعقاب ثورة ١٩١٩ من الاسرار التاريخية التى لم يكن كثيرون يعرفونها من قبل ، وتنتهى مرافعة اليوم ، الأول ، ولا يكون الهلباوى قد أنهى حديثه عن الأحزاب المصرية ، كلها ، وعن حزب الأحرار الدستوريين بصفة خاصة وينتقل الاستاذ الهلباوى للافصاح عن دسيسة رخيصة قام بهـا خصوم المتهم فى المحكمة وهى الايقاع بين المحامين الذين تولوا الدفاع عن حفنى محمود ، من خصومه السياسيين • ويقول الهلباوى : هذه السعاية كان يجب أن يترفع عنها كل دساس مهما انحطت أخلاقه ثم يقول : انتم جايين أمام القاضى وجايبين اللى كنتم بتطعنوا فيه امبارح علشان نساعدكم ، هذا دس كنت أرجو أن تترفع عنه ، المحاماة ، هؤلاء الزملاء ، الذين تفضلوا بالدفاع معنا من خصومنا قد جرحتهم المحاكمة ، خد بالك يا سلامة بك : خد بالك يا سابا بك ، خد بالك يا عبد الرحمن بك دول خصومك فلا تدافع عنهم : هل هذا كلام يقال •• ومع ذلك يقولون انهم شرفاء •• ولو لم تكن لكم جريمة الا هـذه لكفى ، لعن الله الفتنة ومن أيقظ الفتنة •

★★★

هذه الدسيسة والحمد لله لم تجد عند نفوس اخواننا كما كان الخصوم يتوهمون ، بل بالعكس ، كسبنا هؤلاء الزملاء وأصبحوا لنا أصدقاء ، فأنا أقدم حبة شكر لهؤلاء الذين أثاروا هذه الفتنة « ضحك » : نحن فى عهد فتنة زى الجماعة اللى مركب بتغرق هذا يتعلق فى ده ، وده فى قرعة ده وهكذا « ضحك » ولكنهم أساتذة بارعون فى هذا الفن ، أتمنى أن هذا التفوق لا يصاب به أحد من أبناء مصر : أرادوا أن يوقعوا بيننا وبين الوفد فقالوا ياما شتمتم الوفد ، ليه كده ، عشان جرائد الوفد ، لا تكتب عنا شيئا •• يذكرونهم بالماضى ويحيون فى قلوبهم الحقد ، والضغينة زى الضرائر ، لما الواحدة تقول لجوزها خد بالك من بنت • • • • كانت بتقول عليك كيت وكيت « ضحك » قالوا انهم يعتقدون فى الوفد عقيدة تجعلهم لو جاءوا الى المحكمة لخلعوا رداء المحاماة ونزلوا لمحاربته • هكذا قال الاستاذ وهيب دوس وهو أخف زملائنا محامى المدعين ، وقد ذكرتنى هذه العبارة بأبى دلامة الشاعر الظريف ، فقد كان يوما فى حرب والقائد الذى كان فى حاشية أبى دلامة ، قال أنا مش عايز حد يهرب : كل واحد يطلع الحرب حتى أبو دلامة ولما جاء دوره انتظر خصمه ان يشهر عليه سيفه ، لم يفعل بل أشار اليه أن يتقدم وقال له : أنا ذنبي أيه : عليك بالحكام ، فقال نأكل عيش

وملح وأكلوا ، ولما عاد سأله قومه ماذا فعلت قال هزمت خصمى قالوا : كيف ؟ قال أهو كل مايبجى يطلعونى له وأنا كمان أتطوع للوفد اذا جاء للحكم ، وخرج وهيب بك يحاربه فلن أخرج اله «ضحك» ..

***

وكان وهيب بك دوس قد قال ضمن مرافعته : يكفى دليلا على أن السياسة لم تترك أحدا لم تسبه ، ان نراجع مجموعاتها منذ صدرت لنجدها تقول فى معرض كلامها عن الاستاذين سلامة ميخائيل ، وتوفيق خليل المحاميين المترافعين عن حفنى محمود : ان الوفد وشيوخه ورجاله جانحات أرسلها الله على المصريين كما أرسل الجراد والقمل ..

وقد رد الاستاذ سلامة ميخائيل : ان حفنى محمود لم يطلب منى أن أترافع عنه بل أنا الذى عرضت عليه ان اشترك مع زملائى المحامين فى الدفاع عنه وأما عن المطاعن التى وجهتها السياسة ضدى فقد رفعت بشأنها دعوى جنحة مباشرة على جريدة « السياسة » ولكن بعد أن سرت فى القضية ردحا من الوقت اقتنعت بأن مثل هذه المطاعن هى فى الواقع من مستلزمات النضال السياسى ، والكفاح الحزبى لا فى بلدنا فقط بل فى جميع البلاد ، التى تتمتع بالحريات الدستورية .. ولذلك تنازلت عن القضية .

ويقول الاستاذ الهلباوى : قالوا أيضا اننا طعنا على القضاء ، هذه دسيسة كبيرة ، خاب سعيهم مع سلامة والوفد فأرادوا ان يوقعوا بيننا وبين المحكمة : أرأيتم هذه الدسيسة السافلة ؟ الدنيئة .

قالوا : انتم رددتم ، القاضى وأؤكد لكم اننا أول من أسف لتخلى حضرة طاهر بك محمد هذا القاضى النزيه ، كل ما فى الأمر ، اننا تصورنا فى قرار المحكمة الخاص بالشهود ابداء لرأيها فلجأنا الى هذا الحق المخول لنا ونحن مكرهون ، وليس حفنى أول من فعل ذلك وانتم تعلمون كيف أن فرعون لما أراد أن يحارب موسى أهلك الله فرعون وأصحابه : كانت هذه أولى بأن تكون أكبر معجزة ولكن موسى قال لربه : انصرنى انصرنى بأخى ليساعدنى ، ويشد أزرى . قال ربى أن ميزان العدل ليس ظاهرا فى الدنيا ، « فلما جاء موسى لميقاتنا ، وكلمه ربه ، قال رب أرنى انظر اليك . قال لن ترانى ، ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ، وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين» .

***

سيدنا موسى كان نبيا ، ورأى المعجزة ، فى برزخ السويس وأقل ما يمكن أن تدل عليه هو وجود الخالق العادل ، فلما جاء الى مدين وقع كما وقع حفني

محمود هذا الذى وقع من حفنى وقع من أعظم منه وقع من سيدنا موسى فلما وقع موسى قال تبت وحفنى محمود قال : تبت ٠

★★★

ويخاطب الهلباوى القضاة قائلا :

لا حفنى أحسن من سيدنا موسى ، ولا انتم اكبر من رب موسى : أنا لا اريد ان ابين أن حفنى لم يشـــك مطلقا فى عدل القاضى ، وانما كانت الظروف السيئة التى دفعته الى هذا ٠

★★★

ويقول ابراهيم الهلباوى ــ وأنا لا اريد من الاطالة فى النقـــل من مرافعة ابراهيم الهلباوى الا كشف الستار عن كثير من اسرار سنوات ما قبل الثورة ــ يقول انهم لم يكتفوا بأن يوقعوا فى نفس القاضى هذه الأسباب بل تصـــدوا الى مقام العرش :

قالوا : دول ناس لا يعرفوا الأدب ٠

ويقول الهلباوى ضاحكا : هات لى أبو معشر بتاع مرقس : وتضج القاعة بالضحك ، ويقول رئيس الجلسة : ما هو عندنا !

ويقول الهلباوى ، قال محمد باشا محمود فى عريضته الى جلالة الملك : « ارفع الى مقام جلالتكم السامى اسمى عبارات اجلالى واخلاصى ، قالوا : ازاى ما تقولش فى الآخر : خادم جلالتكم المطيع : محمد محمود لم يقل ارفع لجلالتكم بل قال أرفع لمقام جلالتكم ، شوفوا التقديس ؟ ! لم يجرؤ على ذات جلالة الملك بل أشار الى مقامه الرفيع : لم يقل أقدم ، بل قال أرفع : أنا فى الأرض وانتم فى السماء ! هل توجد عبارات أكبر أدبا ، وتهذيبا من هذه العبارات :

★★★

والانجليز أكثر من يحافظون على التقاليد فكانوا يجيئون الى منصة القضاء ، وهم يرتدون الطرطور ، وفروة الأسد أو النمر ٠٠ ليوجدوا فى نفوس المتقاضين الرهبة اللازمة ، ثم عادوا فلبسوا لباس المصارعين فكل هذه الألفاظ لا تقدم ولا تؤخر وقد نسى الاستاذ أيضا : ان الحرب العالمية هذبت هذه التقاليد فبعد ان كان الناس يذهبون ، الى الحفلات « بالاسموكنج » والردنجوت ، أصبحوا لا يتقيدون بهذه التقاليد وبكره يلبسوا « بشت » الفلاحين ٠

★★★

كان ملك الانجليز ــ هكذا يقول الهلباوى ــ راكبا فجاء احد الفلاحين ووضع رجله على الرفرف وهز يد الملك قال له « هاو آريو » ٠ ولم يغضب ملك الانجليز ،

بل سره أن تكون فى رعيته هذه الروح السامية : لم يكفكم ان توقعـــوا بين القضاء وبيننا فجئتم توقعون بيننا وبين جلالة الملك فى مذكرتـــكم المطوعة وسأريكم أنكم الذين وقعتم فى هذه الجريمة • ويقول رئيس الجلسة : مفيش لزوم ، ويقول الاستاذ محمد كامل البندارى : لو كنت فى مكان النيابة لكنت أشرت بمصادرة هذه المذكرة ، ازاى النيابة تركت هذه المذكرة توزع : ويقول الرئيس : هو لم يترافع بها • ويقول الهلباوى يقول زملائى عن العهد الماضى انه العهد البائس ، ويقول البندارى : البائد ويقول الهلباوى البائد أو البائس كله زى بعضه : قلت فى التحقيق مع الوزير انه لم يحدث فى سراى النيابةولكن فى سراى وزارة الأشغال وأقول هنا انه فى سنة ١٩١٦ رئى ان يعقد المجـلس الحسبى برئاسة وزير الحقـانية فقال المستر بريد « يحيى باشـا ابراهيم على رأسنا وعيوننا وانما يجب ، ان يأتى ، الوزير ، الى هنا ، ويجلس معنا » صدقى باشا يقول اننا تغيرنا عليه لاننا كنا نؤيده وانقلبنا نحاربه ، وأقول ان صدقى حضر مشروع الدستور فى وزارته وكنا قد أخذنا كلمة منه بأن الدستور لايعدل وجاءنا عبد الحميد بدوى رسولا يأخذ رأينا ومعه صورة المشروع وتفاوض مع محمود باشا عبد الرازق وهيكل بك وحافظ باشا عفيفى ، انتهت بأن الحزب لم يوافق على هذا المشروع : ليه ولاننا لم نكسب شيئا من حركتنا منذ سنة ١٩٢٠ الا الدستور ، ومعنى الدستور اننا أصبحنا أمة رشيدة مسئولة ، عن حكم نفسها بنفسها ، ونحن معتبرون بين الأمم « النصف حرة » ونحن أشد الأمم احتياجا الى تقديم البرهان على اننا بلغنا سن الرشد وليس أقوى من أن يكون لنا دستور يعطى الأمة حريتها فهدم الدستور ، أكبر كارثة أصابت مصر ، لانها حالت بينها وبين ان تقدم للأمم الأخرى برهان كفاءتها •

ويقول الهلباوى ان دستور اسماعيل صدقى ، قصقص حقوق الشعب بل اغتصب حقوق الشعب ، وان الدستور حق لا منحة •

***

ثم يقول : سواء كان الدستور منحة ، أو حقا ، لا يجوز لك أن تسلبنى حقا من هذه الحقوق ، التى رتبها الدستور لى والا كنت مجرما أثيما : ثرنا عـلى الدستور الجديد ولم نعترف به وكان هناك مسـألة يمكن أن نصطلح بهـا مع الوزارة ، والواقع انى محرج جدا ، لأن جـلالكم ومقامكم يمنعنى من الكلام ، ياحضرات المستشارين نحن اتفقنا معهم على تعديل قانون الانتخاب وكنا نرى ان جمهور الأغلبية لا يزال أميا ولذلك فكرنا فى جعل الانتخاب من درجتين وأول شرط من شروط المعاهدة التى جاء فيها محمد محمود انها لا تسرى الا اذا أقرها البرلمان ، ومعنى هذا انه لم يتكلم مع الانجليز فى شىء من قانون الانتخاب فاذا كنتم تريدون عمل هذا الاصلاح فلماذا يتناول اصلاحكم البيت كله فتهدمونه هدما مطلقا ، وتقولون انه تطور ! ثم هذا التطور ، هل يكون برضاء الأمة أم

تكرهونها عليه ، قالوا بكره تشوفوا : قلنا طيب : كان الانتخاب القديم الذى حضرناه ان كل دائرة يرشح فيها أكثر من واحد ، اما أن رشح فيها واحد فلا يكون انتخاب بل سموه بالنحوى التزكية واللى يعملوا قانون الانتخاب الجديد ناس أذكياء عارفين ان الوفد ٨٠٪ واحنا نصف فى المائة (ضحك) ٠

★★★

ويقول الهلباوى ، أنا عارف ما هم بيقولوا كده ، وما دام الوفد والاحرار مضربين يبقى فاضل الحزبين الشقيقين (الشعب والاتحاد) : وعليه يا حضرات المستشارين وصاروا يجيبوا الناخبين بالقوة ٠

ويشرح الهلباوى بعض الأساليب ، التى استخدمها اسماعيل صدقى فى الانتخابات وكيف أصبحت الانتخابات تجرى فى ثلاثة أيام بالرغم من انه انقص عدد الدوائر من ٢٣٠ الى ١٥٠ وما فيش معارض ولا منافس لحزب الشعب ، وحزب الاتحاد ، كل ده علشان يوزعوا قواتهم وآلاياتهم واللى يقول «بم» يدوله على دماغه ! لانهم يريدون أن يحكموا بالحديد والنار ٠

وبعد الاستراحة يعود الهلباوى ليرد على ما قاله ، المدعون ، بالحق المدنى من اننا تعلمنا السب والقذف وان د٠ طه حسين ود٠ هيكل هما اللذان زرعا فى الشباب بذور هذا القذف ٠

ويدافع الهلباوى عن مدرسة الجريدة : لطفى السيد وتلاميذه هيكل وطه وتوفيق دياب وعبد القادر حمزة وعبد العزيز البشرى وعلى عبد الرازق ، ومحمود عزمى : كل كتاب مصر تتلمذوا على الجريدة وعما قريب يكون للسياسة معهد لأن أعظم كتاب الشرق تخرجوا منها ٠

★★★

ويقول الهلباوى هذه كلمة أوجهها تحية لهؤلاء الأفاضل حتى لا يظنوا ان الأمة غمطت حقهم : طه كان حانقا جدا قال لى حتى وهيب الذى اذا كان فى لغته ما يفخر به فهو مدين به الى مجالسنا ، وهيب الذى كان من أكبر انصارنا : قلت له : لاتغضب فنحن فى محنة ٠ قالوا : أنتم أفسدتم أخلاق الموظفين لانكم استعنتم بهم على نشر فضائح رؤسائهم وان هذه جاسوسية ٠٠ لا ، هذه ليست جاسوسية وانما هى جاسوسية مقدسة : هى أول من أسس الأخلاق الفاضلة ٠ وعنوان حضارة الأمم دى ، الصحافة ، وأساس رقى الصحافة القيام ، على المصالح العامة ٠ وهذا يقتضى ان يكونوا أول المصادر ، لما يجرى فى البلد فاذا لم يتصلوا ، بهذا أو ذاك ما استطاعوا ، أن يفعلوا ٠٠ ان التنقيب فى أعمال الموظف وكشف عوراته من أقدس الواجبات ٠



وليس الموظف معصوما من الخطأ ، الحكومة عندها أكبر جيش من الجواسيس ولكن اسمهم مفتشون أو ليست أعمال هؤلاء المفتشين ، جاسوسية واجبة لخدمة المصلحة العامة : الجنرال كلايتون الذى كان اخيرا من أكبر وزراء انجلترا كان رئيس قلم المخابرات · الحكومة عندها آلاف من الجنيهات اسمها المصاريف السرية ، وعندنا أكثر من نصف الجيش بوليس ملكى فى ديوان المحافظة الكائن بجوارنا الآن ·

***

ويقول الهلباوى : اذا لم تعتمد « السياسة » على ماتستقيه من الأخبار فلا تستطيع أن تعمل شيئا وجرائدنا لا تزال فى هذا السبيل طفلة تحبو ، وانى أتمنى أن يأتى اليوم ، الذى نرى فيه جرائدنا كجريدة « التيمس » التى تفخر بأن مكاتبها الذى ذهب الى برلين لحضور المؤتمر استطاع أن يأخذ صورة المعاهدة ، قبل أن ترسل للوزارت الأخرى ، يقال أنه دفع ١٢ الف جنيه وخباها فى برنيطة ، و « المورننج بوست » التى قرأتها وأنا اتهجى الانجليزى تدفع فى سبيل الاخبار آلاف الجنيهات ، واستطاعت ان تهدم « شارلزوك » مش ابراهيم فهمى كريم فمتى نرى السياسة ، والجهاد والكوكب وبقية الجرائد تصل الى هذه العظمة ، هل يسمى هذا افسادا للحياة ·

ويقول الهلباوى بك عيرونا أيضا أن السياسة متلوثة وبنت حرام : ليه اتفقت مع صدقى باشا عدوها الأول ، وكمان ، لما عبد الفتاح يحيى خرج من الوزارة سنة ٣٣ ، أمين باشا كلم محمد محمود باشا ليتوسط لازالة سوء التفاهم ·

***

ثم يقول الهلباوى · هذا كلام لا ينطبق على الواقع ولا المنطق ، ونحن اذا كنا اتهمنا عبد الفتاح يحيى باشا وهو عضو فى الوزارة فى أمور أخفاها عليه بعد ترفعنا عن مخاصمته بعد أن ترك الحكم وأصبح فردا من أفراد الأمة كان بليغ باشا رئيس الاستئناف يوما فى مجلس الوزراء ، ودار الحديث انه مرشح للوزارة فسألوه وقالوا انهم مش مصدقين · قال لهم ليه ؟ قالوا لأن القضاء وحده هو الحر فى هذا البلد وكل الباقين نصابين ، وكان المتحدث على بك فهمى فقال له بليغ باشا ، مع هذا أنا سأقبل الوزارة · قالوا له ليه ؟ قال عشان بيقولوا ان اللى بيخش الوزارة بينسحر وأنا عاوز أجرب ، قلت له لكن اللى بينسحر مابيصدقشى انه انسحر ، دا الحصان لو نقلناه من اسطبل لاسطبل يقعد شهر ما ياكلشى ، وعبد الفتاح يحيى تربى فى بيت النعمة والمال ·

ويقول الهلباوى : واذا كنا اتفقنا مع صدقى زى ما بيقولوا يعنى معناها ايه ؟ معناها : اننا أردنا أن نحصل منه على معلومات عن عهده · الصحيفة

الناصعة التى سجلها الاستاذ البيلى بتقدمه للدفاع عنا : تقدم الى صفوفنا وهو من خصومنا فى الماضى وقد رحبنا به ، وجعلناه زهرة دفاعنا ٠

***

وعن على المنزلاوى خصم الهلباوى فى قضيتى نزاهة الحكم ، يقول الهلباوى : نحن نسلم بأن على المنزلاوى كان من أكبر أركان الأحرار الدستوريين ، وأنا اذا شعرت بحرج فى موقفى الآن ، فهذه الغضاضة التى تركتها فى نفسى أن أكون فى صف والمنزلاوى فى صف : فى انتخابات سنة ١٩٢٤ عرض الهلباوى نفسه لأكثر من الخطر فى سبيل مناصرة المنزلاوى بك بالخطابة فى دائرته ، وعلى المنزلاوى له على يد خاصة فاذا اضطررت ان اجرحه فبرغمى : كان فيه قضية لعلى بك المنزلاوى فى طنطا قعدت فيها عشرة أيام وتركت مريضا عزيزا على من أجل على بك المنزلاوى : اجتمعنا على أثر اعلان انهم يريدون ، الغاء الدستور وقررنا بالاجماع ، البراءة من الوزارة ومن الأسف ان على بك المنزولاى كان من بين الذين أيدوا هذا القرار ، وكان ثانى القرارات التى أصدرناها فى هذا الشأن ولكن الوفد يحارب الوزارة ، ولم يكن يؤيدها الا نحن ولا نتخلى مهما نكن قليلين يكون الواحد منا بمقام مائة : كان على بك المنزلاوى فى مقدمة من أيدوا هذا القرار ، ولو رجعتم الى المحضر لوجدتم انه استغرق ساعات ، وكان على المنزلاوى فى طليعة الخطباء فى جميع المواقف الوطنية لكن فى هذه الجلسة لم يتكلم ليه لأنه كان اتصل بالجماعة دول فى السر فأصبح فى حيرة وأنا أعرف المنزلاوى من سنة ١٩٠٧ وهو من أكبر البيوت ولكن اللى يطلع من الوفد يطلع علشان يروح الحكومة ، اللى يطلع من الاحرار علشان يروح للحكومة هذه الظاهرة شعرنا بها تلك الليلة يا حضرات المستشارين : يقولون ما لكم ومال الدستور ، وقد سبق ان عطلتموه دى نظرية خطأ وهذا قياس مع الفارق ، واحد ، له مال يستثمره فأنا أجى له وأقول له الصندوق ده وديعة عندى أرده لك عند المزوم ، وجاء واحد تانى مسك الصندوق وكسره وابدل الجنيهات بملاليم !

ويقول ابراهيم الهلباوى ان سلطة البرلمان ، على الحكومة ــ كما جاءت فى دستور سنة ١٩٣٠ ــ كسلطة الأم العجوز على ولدها لا تملك ان تناقضه فى شىء لانها ضعيفة ٠

***

وعن مهنة المحاماة قال الهلباوى زمان كان أغلب المحامين من غير شهادات وبعدين جابونا ، وكان معنا سعد زغلول والحسينى وسألوا واحدا منا انت عاوز المحاماه ليه ؟ قال عشان آكل عيش وقال الهلباوى أن زميله قال هــذا الكلام ليتهكم على التشريع ، الذى أراد أن يحرم المحاماة من هؤلاء الفطاحل لأنهم لم يحصلوا على شهادات ، ويناقش الهلباوى الحكومة التى ادعت ان نسبة الناخبين

فى الانتخابات التى أشرفت عليها كانت ٦٧٪ وربع وثمن ، وحبة : لقد أضرب الوفد وهم بيقولوا انهم ٧٠ أو ٨٠٪ والجماعة دول الأحرار الدستوريين ممكن يكونوا ٤٪ : كل دول ماراحوش ٠٠ ما فيش كان عيانين تبقى السبعة وستين دى جبتوها منين ياسى وهيب بك (يقصد وهيب دوس بك) ٠

ويقول الاستاذ الهلباوى : الاستاذ مرقس بيقول بلا دستور بلا بتاع ، الدساتير دى ما شاخت وهرمت : اننى طلعت القصر امبارح العصر ، الأمم اللى تقول كده هى اللى مضى على دستورها سبعمائة سنة ، ثمانمائة سنة وشبعت «شاورنه» وعز لكن احنا دستورنا ابن امبارح لحق شاخ وهرم : طيب ماتعالجوه يا أخى وتشريع الأزهر كمان شاخ وهرم ، لا ، لا ، الغرض ظاهر هو حرمان الأمة من سلطتها : انتو ما عندكوش برقع يحمى هذه العورات » ٠

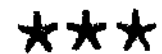


الفصل الخامس

جغبوب ونزاهة الحكم

وبقية مرافعة الهلباوى

وفجأة ينتقل الأستاذ ابراهيم الهلباوى الى الحديث عن جغبوب يقول ، كان فيه مشروع بعد مقتل السردار ان ايطاليا ارادت تحديدحدودها بين مصر وطرابلس وفى هذه الحدود كانت تدخل جغبوب وسبق عملت لجنة فحسمت هذه المسألة فانتهزوا فرصة ان الحكومة قائمة من غير برلمان ، وطلبوا من زيور باشا أن يفاوضهم ويصدق لهم ، على ان جغبوب لايطاليا وأنا أعرف أن زيور باشا كان قبل ذلك وزير خارجية فى وزارة سعد باشا ، وعرضت هذه المسألة فرفضت الوزارة هذا ولما تعين زيور باشا رئيس وزارة طلبوا منه الطلب من جديد ويجب علينا الا ننسى ٦ ديسمبر ١٩٢٥ لأن هذا التاريخ هو الذى نزعت فيه جغبوب ، من أرض مصر ، جغبوب كان مكة الذى يحج اليها المصريون . صحيح ان ايطاليا بلد صديقة لنا يعز علينا ان حكومة مصرية سلمت فى هذه القطعة من أرض مصر بسهولة : حدث هذا من وزارة مصرية كانت تحكم بلا برلمان فهل حدث مثله فى وزارة محمد محمود ؟ عقد البرلمان بعد ذلك ورأينا عقد زيور باشا الخاص بجغبوب ، فماذا يفعل ؟ سأل البرلمان فعرفوا ان البلد راحت فعلا والعلم الطليانى رفع على جغبوب ووادى جغبوب فماذا يفعل البرلمان ؟ كل حيلته ان يتحين الفرص ويترك الأمر، للمستقبل: واذا كنا اليوم ضعافا فقد يأتى يوم نستطيع استردادها ، هذه حيلة الضعيف ، واكتفى البرلمان بأنه لم يوافق على هذا : سلاح المحتفظ بحاله وبعدين جات فترة من الوزارة قلنا استنوا قالوا : ايطاليا بتلح ،صهينا هذه سياسة حكيمة من النواب: ويقول الهلباوى ان معاهدة واحة جغبوب بعثت من جديد ثم يقول :



ويقول الهلباوى :

كان البرلمان شكل لجنة ولجنة طلعت من لجنة وقالوا احنا لازم نروح محل الواقعة ونحقق وكانت اللجنة برئاسة وهيب دوس وهذا تقرير اللجنة قال :

رايحين يحققوا : ايطاليا لها حق ، واللا مصر وأول ما راح أعضاء اللجنة ارتشوا ، ارتشوا رشوة سياسية : ايطاليا قدمت لهم طياراتها ركبوها ·· وراحوا جغبوب وصلوا جغبوب بعد احتلال ايطاليا بسنوات ، شوفوا وهيب اللى بيدقق فى الهايفة تجلى علمه فى هذه المسألة وقال : دى كل سكانها ٢٥٠ نفر : طيب يا سيدى : ماتشوف كانوا كام ·· ماهم تشردوا يا أستاذ : طيب وايه كمان : خمسة أفدنة بينزرعوا والباقى رمال : طيب ماتشوف كانوا كام فدان مزروعين الأول · وايه تانى قال : سكانها معرضين للهلاك لأن مافيهاش ميه ، طيب يا سيدى ما ايطاليا عارفة أن سعادتك جاى بكرة تسيبها شهر تنشف، ميتها وفضل وراه حتى قال : ان مصر تسعد لو تنازلت عنها : لا يا أستاذ : احنا اخوان ولازم نحترم شعائر بعضنا : جغبوب دى كانت زى كعبة للمسلمين مش لازم نتهاونوا فيها : وتكلم عبد الحميد سعيد وبعض اخوانه بخطب طويلة فرد عليهم وهيب بلباقة بأنها — أى جغبوب — نقطة عسكرية مش قد كده واننا كسبنا كمان : كسبنا ايه : السيارة ، يا عينى ، يا عينى ، بتضحك على مين ياسى وهيب على كتب الجغرافيا ولا على النواب بتوعك : الواقع ان السلوم أرض مصرية من قديم الزمن وأقل تلميذ يعرف هذا : أنتم تقولون ان مصر لم تخسر بترك جغبوب واذا كان هذا صحيحا فلماذا تتمسك ايطاليا بها ·

★★★

ويوجه ابراهيم الهلباوى كلامه الى المحكمة قائلا : وأخيرا يا حضرات المستشارين لم يكتفوا بهذا — نظام اسماعيل صدقى ، وعبد الفتاح يحيى — وانما لسانهم زى المبرد · قالوا ، ان النواب السابقين جبنوا عن التصديق على هذه المعاهدة واحنا لوحدنا اللى جرؤنا على التصديق عليها ·

★★★

والطريف ، أن أحد أعضاء هيئة المحكمة طلب من الأستاذ ابراهيم الهلباوى أن يدخل الجوه شوية وبلاش الحدود ويضحك كل من كان فى الجلسة ويرد الهلباوى — الذى لم يكن أبدا يفقد روحه المرحة مهما عنف واشتد فى مرافعته ، أو مهما عنف واشتد خصمه فى مهاجمته — ويرد الهلباوى قائلا : ما ادحنا أهو فى الحدود السودة : وتنتهى الجلسة عند هذا الحد ، ويترافع الهلباوى فى اليوم التالى وكان قد أكد أنه لن يطيل لان زملاءه الذين سبقوه قاموا عنه بالعبء الأكبر فى الدفاع ، ولكن الهلباوى لم يكن يدع تلك الفرصة تمر دون أن يمزق الأستار التى كان يختفى وراءها نظام عبد الفتاح يحيى باشا واسماعيل صدقى باشا : ان الهلباوى — وهذا سر اهتمامنا بمرافعته — لم يكن يدافع عن حفنى محمود ، أو على جريدة السياسة وانما كان يحاكم نظام صدقى ومن معه ومن تبعه!! يقول ابراهيم الهلباوى فى بداية مرافعته فى اليوم الثالث — وهو اليوم الأخير

من مرافعات هيئة الدفاع عن حفني محمود ـ في هذه القاعة المقدسة نحن نطالب وقد خلصت الأمة من دستور سنة ١٩٣٠ أن يعاد لها دستورها : دستور ١٩٢٣ ثم يقول : كان زمان بعض كتاب الجرائد الانجليزية لما وقعت حوادث سنة ١٩١٩ كانوا يقولون أن أولاد الذوات هم اللي زعلانين ، لكن الحقيقة ان الأمة بجميع طبقاتها هي الثائرة ، طيب رأيك ايه في الطبقة الصغيرة بتوع العنابر : اللي الواحد منهم كان بياخد ٣ صاغ : هذه الطبقة فعلت في سنة ١٩١٩ أكثر مما فعلته أية طبقة أخرى من طبقات الأمة في سبيل الثورة : هؤلاء قتلوا بالرصاص لا واحد ولا اثنين : لقد سمعت من على باشا ابراهيم انه ورد له جثث وجرحى فوق ٤٠٠ قتيل في معركة العنابر وأنا أسجل هذا عن مصدر رسمي لايزال حيا فلما نيجي نتوجع لكم يقول الأستاذ وهيب انتم ما اشتركتوش في جنازة السخام الدستور بتاعنا واحنا كل يوم في مأتم : كل يوم في جنازة جديدة .

★★★

وينتقل الأستاذ الهلباوى الى الحديث عن قضية الخطابات المزورة ويقول ان تسعين بالمائة من القضايا التى ترافع فيها في السنوات الأربع الماضية كانت نابعة من بلاوى نظام صدقى ومن معه ويقول ابراهيم الهلباوى ، وهو يصف نظام اسماعيل صدقى ومن اتبعه : لقد سموا دستورهم دستورا وهو ضد الدستور ، وسموا حزبهم شعبا وهو ضد الشعب .. ويشير الهلباوى الى قضية القنابل ، وكيف اتهم النظام ابراهيم الفلاح بأنه كان رايح يودى قنابل بيت علام باشا وغيره ، وعملوا تحقيق وقضية وجابوه شاهد ملك والكن شاهد الملك انقلب وراح يعترف بالألاعيب التى دبرت وبذا حكم على سعادة ابراهيم الفلاح بخمس عشرة سنة ثم يقول : ومع ذلك الحكومة بتاعتنا تعطيه مكافأة : وانا لله وانا اليه راجعون .. وينتقل الهلباوى الى قضية البدارى ـ ولعلها المرة الأولى التى تثار فيها قضية البدارى من الناحية السياسية في المحاكم .. ويقول : عرض حكم البدارى ، على محكمة النقض ولكن المحكمة وجدت أن هذا الحكم قانونا صحيح ، مع ذلك شعر عبد العزيز فهمى باشا بأن عليه واجبا انسانيا : شعر بأن القانون يجب أن يعيد العدل وانه لا يمكن أن يكون قاضيا ، وهذه الجرائم ترتكب فثار ودون في حكمه هذه الفضائح ، المخزية وذهب الى على باشا ماهر وزير الحقانية ورأس القضاء فثار على ماهر ، وأراد أن يحقق كى يوقع بالموظفين الجزاءات التى يستحقونها ليكونوا عبرة لمن تسول له نفسه أن يحذوا حذوهم .. كتر خيره .. يتحقق .. ياأخى دهده يتحقق مع أحمد باشا فهمى حسين بتاع أسيوط وعنها قالوا له ، مع السلامة : أنا من سنة ١٩٣٠ برىء من على باشا ماهر : لا أراه أبدا ولكن لا أتمالك وأنا أمام حضراتكم الا أن أسجل له هذه الصحيفة الناصعة لانه وقف

موقفا مشرفا ورفع راية الاحتجاج على عهد كان يستند الى الجرائم فى حكمه وبقائه • ويقول ابراهيم الهلباوى الواقع ان سيئات هذه الحكومة لا يمكن للانسان أن يشرحها ، « لو كان البحر مدادا لكلمات ربى ، النفد البحر ، قبل أن تنفد كلمات ربى » ••

***

سفكوا الدماء ، هدموا الحرية ، وأخيرا وجدوا أن الذى يكشف عوراتهم للناس من الجماعة ، الصحفيين ، حفنى وأمثاله بيعملوا لهم ايه ؟ عملوا قانون أؤكد انى لم أسمع بمثله حتى فى الأمم البربرية وحتى لما طلعوه ما قدروش يطلعوا له مذكرة تفسيرية : قالوا ان رئيس التحرير اذا حكم عليه ، ولو بخمسة صاغ غرامة وتكررت لا يجوز له مطلقا أن يكون رئيس تحرير ! : هيكل راح ، عبد القادر حمزة راح ، عباس العقاد راح ، توفيق دياب راح ، والجدع ده حفنى لو حكم عليه المرة دى ولو بخمسة صاغ ما هو نافع رئيس تحرير : ويتساءل الهلباوى فى سخرية : ما أعرفش القانون ده فاضل واللا نسيم باشا ألغاه ؟ ويؤكد حفنى محمود انه لم يلغ بعد • ويقول الهلباوى : ياخبر اسود ، أنا معتقد ان وزير الحقانية الحالى ، لا يرضى ببقاء هذا القانون البربرى : يعنى هيكل ينفع يعمل وزير ولا ينفعشى رئيس تحرير •• ده مدهش •• هذه فضيحة أخرى من فضائح العهد البائس » •

***

وينتقل ابراهيم الهلباوى ، الى نقابة المحامين وما أصابها أيام صـــدقى وحلفائه ثم يقول : اذا كان حد من الجماعة المحامين الشبان دول زعل علشانها قيراط أنا زعلت أربعة وعشرين ، لانى اشتغلت علشانها سبع أو ثمانى سنوات وما كانشى معايا حد من دول كلهم الا مرقص فهمى اللى جاى النهارده ثائر على الدستور وعلى البرلمان ، كل الطبقات لها نقابة •• حتى العربجية حتى ماسحى الأحذية •• غريب أن يصل الاستخفاف والمهانة بالشعب الى هذه الدرجة ، ويقول كل هذه يا حضرات المستشارين شكاوى من النظام الماضى ، ومساوىء النظـام الماضى وقد تكلم اخوانى كثيرا ، وأنا وعدت انى أخلص النهارده احتراما لشيخوختى • ثم ينتقل الهلباوى ، الى الحديث عن صديقه على المنزلاوى ويبدى تألمه لأنه يقف ضد صديقه ، ولكن « على واجب لازم أوديه » سأل الأستاذ سابا على المنزلاوى فى المحضر :

***

فرفع رأسه تيها وقال : اسأل زى ماأنت عاوز كم شجرة برتقال ، كم قنطار قطن ، كل دى حاجات هلس : لا مش هلس : وان كانت هلس لا تقبل

من وزير:انت فى ايدك الركن العاشر من ميزانية الدولة من عرقى وعرق أولادى ادفع لك بمئات الألوف من الجنيهات : أنا أبيع الحلة اللى بأكل منها وبيأكل منها أولادى علشان أدفع لك المال » ـ المال هنا يعنى الضريبة التى كانت تفرض على المواطنين ، وعلى المنازل ، وعلى الأراضى الزراعية والعقارات ـ فالمال المتأخر عليك بتاعى أنا : كم شجرة برتقال ؟ صحيح دى حاجـة هايفة لكن ما يصحش أن تصدر من وزير ٠٠ مش دى المسألة انما المسألة دى محجوزة للأهالى مش لمعالى الوزير : ليس هذا عمل كرامة للنفس ومعزتها ، ولما تاخد ثمرة الوزارة أو جزء منها وأنت وزير أنا أزعل ٠

***

محمد باشا محمود رئيس وزارة فلما يدخل المعرض هل يعقل ان فيه حد ما يعرفوش : فلو بعنا عقولنا ، هل يمكن أن نصدق أن محمد باشا يفترى هذه الواقعة : مش ممكن يا حضرات المستشارين ، ثم هل كان من حق محمد باشا أن يحقق رواية الموظف : يعنى انا لما أحب أركب عربية أجيب العربجى وأقول له امشى : العربية دى بتاعتك ؟ هات البوليس يحقق : انت عندك رخصة

وواقعة شجيرات البرتقال التى أشار اليها ابراهيم الهلباوى فى مرافعته تتلخص ـ من واقع التحقيقات ـ ان محمد محمود باشا رئيس الوزارة الأسبق ورئيس حزب الأحـرار الدستوريين زار معرض الربيع ، الذى أقامته وزارة الزراعة فأعجب بشجيرات برتقال شاهدها هناك فطلب شراءها فقال له أحد الموظفين لقد اشتراها وزير الزراعة ٠٠ فيغضب محمد محمود ويثور فى الموظفين قائلا : قولوا لوزيركم أن للجمهور حق الشراء قبله وتعلق جريدة السياسة على هذه الواقعة وتتهم الوزير بالاستئثار لنفسه بمنتجـات وزراته بثمن بخس وحرمان الجمهور من هذه المنتجات ويصـدر وزير الزراعة بلاغا رسميـا من الوزارة : يقول فيه لم يسبق لمعالى الوزير ، أن اشترى شيئا من شتلات الوزارة بل أن قسم البساتين كان يحصل على بعض ما يلزمه من بساتين معاليه مجانا فى خلال السنوات الثلاث الماضية ٠

***

وينتقل الهلباوى الى موضوع البرسيم ، وموضوع البرسيم هذا أثارته جريدة السياسة تحت عنوان : هل صحيح؟ ٠٠ وزير الزراعة وتقاوى البرسيم: وصل الى علمنا انه كان لدى وزارة الزراعة كمية من تقاوى البرسيم ٠ صدر الأمر بتوزيعها على الطالبين من المزارعين فلما ارتفعت أسعار هذه التقاوى وبلغت سبعة جنيهات مصرية للأردب أضيفت كلها لحساب حضرة صاحب العزة على المنزلاوى بك وزير الزراعة بسعر الأردب مائتى قرش صـاغ ، ودفع ثمنهـا وتصدرت الى مزارعه ٠ وتكمل « السياسة » الخبر على النحو التالى ومع أن الذى

أبلغنا هذا الخبر ، يتحدى كل من يكذبه فاننا ننشره بتحفظ الا انه من الغرابة بمكان فهو تصرف لا يجوز أن يصدر من موظف صغير لا من وزير وبعد نشر هذا الموضوع ، نشرت السياسة أيضا : تحت عنوان : على بك المنزلاوى وهل دفع الضرائب العقارية المستحقة عليه من ثلاث سنوات وتحت هذا العنوان كتبت السياسة تقول : على بك المنزلاوى وزير الزراعة حاليا ، ووزير الأوقاف السابق يمتلك أرضا تستحق عليها نحو ألف جنيه ضرائب عقارية كل سنة والناس يتحدثون بأن عزبه لم يدفع عليها الضرائب منذ ثلاث سنوات ويتحدثون أكثر من هذا بأن حجوزات كانت قد توقعت على زراعاته وفاء للمبالغ المطلوبة، للضرائب العقارية وأن العزبى باشا وكيل الداخلية قد أصر على أن تتخذ اجراءات لاستيفاء هذه المبالغ ، ثم طلب اليه أن يسكت فسكت ونحن نروى ما تتحدث به الناس ٠٠ وقد سبق للهلباوى أن أشار الى هذه النقطة عندما تحدث عن المال المفروض للحكومة اما عن موضوع البرسيم فقال عنه الهلباوى : قالوا أن الوزير لم يأخذ الا عشرة أرادب من ١٦٦ اردبا والنيابة جابت كشف ما أعرفشى من أى بورصة من بتوع الحبوب بالثمن : حتى ان فيه قطن بتاع طلعت باشا بيبيعه فوق الكونتراتات بريال وقطن زى قطن حضرتى أبيعه أنقص من الكونترات ريالين ، كذلك البرسيم : برسيم الوزارة منقى ، ومصفى ، والحكومة بتخسر ٣٥٠ ألف جنيه علشان كده ٠٠ والذى يدل على ذلك هذه الطلبات اللى عندك قدموا كشف بأسماء مشترين منهم سعادة أحمد بك كامل مدير الأمن العام ٠٠ سمو البرنس ، عمرو ابراهيم : ليس هؤلاء ، من أنشئت وزارة الزرعة لأجلهم أبدا ، انما أنشئت لصغار المزارعين المساكين ٠

★★★

ويقدم الهلباوى حافظة بها شهادة بأن أسعار البرسيم كانت فى سبتمبر ٢٨٠ قرش صاغ ، ويقول له الرئيس خليها بعدين ويقول الهلباوى بك : على ايه وأنا ماعنديش غيرها ، ويعود ابراهيم الهلباوى الى الحديث عن موضوع المال ــ المتأخرات على على المنزلاوى بك ــ فيقول مسألة المال دى فكرتنى بأحد المرضى فى بلد من البلاد ذهب الى طبيب وكان من عادة الأطباء ان هذا الحكيم عمل ٣٥٠ عملية وأن هذا عمل ٣٠٠٠ عملية وبعدين الراجل راح الى واحد ، كتب على عيادته انه عمل ٢٧ عملية بس : قال ده راجل متواضع وبعدين دخل عنده ولما سأله تبين له ان بقى له تسع أيام حكيم بس فسبعة وعشرين عملية فى ٩ أيام دى نسبة كبيرة قوى ، كذلك مسألة الأموال بتاعة المنزلاوى بك : امتى دخلت القصر قال امبارح العصر وأنت بقالك كام سنة وزير يا سعادة البيك : الواقع ان هذا كثير ! مسألة أرض عبد الفتاح يحيى ، مش بعيد ان أرض أبو حمص تنزل الى ثلاثة جنيهات ، خصوصا وان اللى بيشترها اثنين وزراء اذا كانت أرض مغاغة أم أربعمائة جنيه أصبحت فى العهد السعيد بأربعين

جنيها والأهالى لما يسمعوا ان الأرض دى راح يشتريها اثنين وزراء ، هل يقدم أحدهم ، على منافستها : مش معقول : بقى لما أشوف عبد الفتاح يحيى باشا اللى ربنا أمده بثروة كبيرة ينزل يروح البدارى ، وأبو حمص علشان يشترى أرض خراب : هل هذا يتفق مع مركزه .. وابراهيم فهمى يشترى ليه : يشترى ، وعبد الفتاح باشا يدفع له الفلوس ، قال علشان فقير ، طيب وهو الفقير لا كرامة له ! بقى أنا لما أروح فسحة مع جماعة من أصدقائى يدفعوا هم الفلوس ، اللى تنصرف فى الفسحة دى ، وأنا ما أدفعشى حاجة مش اهانة لى دى : بلاش آكل شاورمة وياهم وخلينى آكل عيش وجبنة : قال ده راح يصلحها : يا شيخ تصلح ايه : وتعمل ايه : الله يحنن عليك طيب والترعة : قال : ده من سوء بختى ، انها تغيرت : سوء بختك ، تبقى ياراجل وزير أشغال واللى يخططوا الترع مرءوسيك وموظفيك ويبقى من سوء بختك ، يا سيدى والأرض اللى انتزعت منك كم فدان ؟ ما أعرفشى : بكم جنيه ؟ ما أعرفشى : قبضت ولا ما قبضتش ما أعرفشى : لما الفدان أبد ثلاثة جنيه يقدر بمائتين وخمسين مايبقاش ، ده استغلال نفوذ ، والمواسير قال دى كانت كده زمان أيام مالكيها الأصلى ، ده كلام صغير ما كناش ننتظره من وزراء : دى فضائح : دى مخازى : ابراهيم باشا يقول : ان الترعة عملت اضرارا به ، والفتحات لا شأن له بها وكهربة خط حلوان تضره ، وهى على المصلحة التابعة له ، المرءوسين بتوعك دول كلهم أولاد حرام ، عاوزين يضروك : يا شيخ .

★★★

تفضل مسألة علاقته بخزان جبل الأولياء ، وعلاقته بالفطن الغيور والغضنفر الذى ، عبود باشا اللى بيقول ان ما كنوش يحكموا على حفنى ده تبقى مصر راحت : خلاص علشان العلى العظيم ده ! ثم يقول الهلباوى وسط موجة من الضحك : يظهر أن صداقة عبود بكريم — وزير الأشغال — صداقة غويطة قوى : مبنية بالأسمنت : أنا لى أصدقاء من رجال القضاء من ثلاثين سنة : لكنها صداقة بريئة ، مش زى صداقة سى عبود وسى كريم ، توجب الريبة الحكومة صممت فى سنة ١٩٣٥ على تحضير مشروع جبل الأولياء وهذا مشروع تعاقبت عليه الوزارة ولم تفكر فى تنفيذه فلما جاءت سنة ١٩٣٢ رأت الحكومة أن تنفذه وهى اما أن تكون مع الانجليز أو مع الأمة والأمة مش وياها طبعا خليها اذن مع الانجليز ، وقد رأيتم الحريقة التى قامت بين باركسميون وعبود ، وبين جيبسون وعبود ، وفى سنة ١٩٣١ دفع ١٤٥ ألف جنيه أريد أن يستر بها الوزارة وحضرات الأساتذة ، يريدون أن يستروه مرة أخرى ، وصاحب المصلحة الأولى فى هذا المشروع عبود باشا ، فلما سافر كريم باشا ، سافر معه ليه ، والواحد مسافر ويسيب مراته سنة ما يسألشى عنها يبقى ايه لزوم سفرك ياسى عبود ايه لزمة دى ، قال دا راجل غنى رايح يصيف : ياسلام ووزير

الأشغال سافر يعمل ايه : يتفق مع المقاولين فلما أقول انه سفر كـريم باشا لهذه المأمورية ووجود عبود باشا معه في السفر شيء يوجب الريبة : والأدهى ، أن ينزلوا في لوكاندة واحدة ليه ؟ دى لندن فيها ٣٥٠٠ لوكاندة ٠٠ وقد جاء في شهادة حافظ باشا وعلى ماهر باشا ان كريم باشا كان يقابل المقاولين في صالون عبود : مش بس كده ، قال ويديله مقاولات فيها ٢٥٠ ألف جنيه ، ربع مليون جنيه ، يشغل أبوى ، وجدى وجد جدى مائة ألف سنة ياسـيدى وانت رايح تحكم بين مقاولين هـل يجوز انـا ونحن متخاصمون أن تركبوا عربية حفنى : ياأخى احنا مالينا سراى هناك دار تكلفت مائتين ألف جنيه فليه يامعالى الوزير ، ماتنزلشى في هذه السفارة الفخمة : ليه تروح تنزل مع عبود : مافيش نزاع كل ده عمل مريب : انت رايح لمصلحة مصر وأول عمل كان واجب عليك أن تأخذ رأى سفير مصر هناك حافظ باشا لكنه اعترف أمامكم انه ولا مرة تكلم في هذه المسألة مع حافظ باشا ايه المفتاح الانجليزى اللى قافل بقك ؟! مش معقول : ان حافظ باشا يستطيع أن يدلك على البيوت الانجليزية التى يمكنها أن تشترك في المناقصة ده وكيل الملك في لندن لكن حافظ مش لازم يعرف حاجة أبدا عن زيارة عبود وهو قال انه تجافى حافظ باشا لان علاقته بعبود لم تكن مرضية ٠

★★★

وقد قال حافظ باشا انه كان يعتقد في عبود انه فشار أو بعبارة أخرى هجاص : نصاب تقريبا : وابراهيم باشا قال لكم انه عمل عزومة علشان يصلح بين عبود وبين حافظ : هل هذا يليق : بقى النيابة لما تعرف انى متخاصم مع واحد تصلحنى معه والا تجبنى شاهد اثبات عليه ؟ حدثكم على ماهر باشا ان سمعة مصر في لندن كانت سيئة وحتى عبد المجيد عمر باشا اللى لبس شهادته عشرين لغة برضه ماقدرشى ينسى انه سمع من أكثر من واحد من رجال الأعمـال ان الكلام داير هناك وان رجال مصر ، لا تؤخذ ولا تسير الا بالرشوة وينتقل ابراهيم الهلباوى ، الى الكلام عن الشهود : على ماهر ، وعبد المجيد عمر ، وحافظ عفيفى ثم يقول : اذا كان وزير مصر في لندن يشهد على عبود ويقولون شهادته انها لمصلحته فعلى الدنيا السلام ٠٠ كذلك وصل المستشار الفنى بتاع الخزانات مستر فون لى هذا الكلام ، وكانت الاشاعة مستفيضة دى مش مسألة صغيرة دى سمعة البلد وطهرها ، وعنها واعمل منشور اعلان : يا هوه الحكومة المصرية كويسة : مافيش فيها رشاوى ، ولا حاجة واللى يعمل هذا الاعلان راجل انجليزى: فيه فضيحة أكبر من كده فيه اعـلان أسوأ من ده ، لسمعة مصر ، ونزاهـة وزرائها » ٠

★★★

وكانت السياسة قد نشرت أن وزير الأشغال لغرض غير مصلحة الدولة قد خالف الأصول الموضوعة للمباحثات العامة وقرر شراء أدوات كهربائية بلا مناقصة بمبلغ كبير من أحمد عبود ، وان وزير المواصلات استفاد من منصبه واسرار وظيفته كوزير للمواصلات فى شراء أرض له ولأهله بجهة المعادى المزمع كهربة الخط الجديد الموصل اليها من القاهرة ، وان بينه وبين أحمد عبود علاقات مريبة ، وانه بحكم هذه العلاقات تصرف تصرفات يأباها القانون وتكشف عن هوى ومحاباة ، وأغراض و ٠٠ و ٠ وأن أحمد عبود استغل علاقته وصلته بالوزير فى الاستفادة من أموال الدولة بغير حق فى عدة مناسبات كما انه استفاد فى عقد اتفاقات مع المقاولين لمشروع تعلية خزان أسوان و ٠٠ و ٠٠

***

وبعد استراحة طويلة يعود ابراهيم الهلباوى ليتحدث عن علاقة عبود باشا بكريم باشا وكيف ان كريم باشا ، لم يكن يقابل المقاولين الذين تقدموا لعملية جبل الأولياء الا بواسطة عبود باشا وأنه لم يحدث ــ ولا مرة واحدة ــ أن قابل كريم باشا أحد المقاولين فى غيبة عبود ، وكيف أن عبود باشا ينشر على الملأ أنه لا يتسنى لأى بيت مال مهما قدم من القناطير المقنطرة أن يأخذ العمل ، الا اذا كان شريكا لعبود باشا وأن ثلاثمائة ألف جنيه قدمت رشوة لثلاثة موظفين كبار ٠ ويقول الهلباوى ، ان مثل هذا الرجل الذى يقول مثل هذا الكلام يسىء ، الى سمعة الحكومة ويبقى الكلام الى بيتقال عليه صحيح ٠ ثم يقول الهلباوى : شرف الرجل وعرضه أقل اعتبار يؤثر عليه ، وعلى ماهر باشا قال لكم انه أراد تحقيق هذا الذى قيل عن سمعة الحكومة وكانت كل القرائن والشبهات موجودة ومع ذلك فلزقة فوزى ــ برضه موجودة ٠٠ والطريف انه لما كرر الهلباوى أكثر من مرة الاشارة الى لزقة فوزى أثناء مرافعته سأله الأستاذ المحامى محمد كامل البندارى : ايه لزقة فوزى دى وقال الهلباوى : كان فيه زمان حكيم كل ما واحد عيان يروح له ، يعمل له لزقة » ويقول الهلباوى : زى ما تجينا من لندن مصايب ييجى لنا منها خير أحيانا : ففى سهرة من السهرات كان عبد المجيد باشا عمر موجود ، وعبد المجيد باشا رجل محتاط : سمع عبد المجيد باشا واحد يقول واحد موظف انجليزى كبير بيقول لزميل له : الأعمال ما تمشيش فى مصر الا بالرشوة ولما سأل هذا الانجليزى زميله : مين قال كده : قال مدير شركة الكراكات طلب منه امضاء شيك على بياض ولما سئل عن الشيك ده لمين قال انه لابراهيم باشا فهمى : وطبعا عبد المجيد باشا عمر له ظروف خاصة ولكن ذلك لا يمنع انه سمع هذه الرواية كما سمعها على ماهر باشا : هذا نبأ خطير وبتقولوا يا سلام الوزير ينزل لحد ستين جنيه ويقول الهلباوى وفيها ايه يعنى : هل فيه مانع تكون أجرة عربية ، ثم ان ستين جنيهــا مستمرة ، دى نعمة ٠ ويقول الهلباوى :

العادة ان الانسان لا يحتفظ بمناعته الا فى المرة الأولى فاذا سقط فى أول مرة مافيش مانع خمسين جنيه خمسة جنيه وابراهيم باشا يقول لكم « بريه » ٠٠ وأنا غرقان خذوا اللى باقى على ، ودى مسألة محتاجة انك تعيط للقاضى : روح قول للديانة واخلص : كل هذا اله معنى : عايز ترد الشبهات عن نفسك لكن مش قادر : صدقى باشا سمع هذا من على ماهر باشا و٠٠و٠٠فى الوزارة تأكد منه : وصلته من مصادر أخرى فى فيشى فماذا قال له عبود باشا : قال : دا حاقد على لانى عطلت عليه المفاوضة يا لوعتك يا مصر بقى عبود باشا هو اللى حايعطل على صدقى باشا ٠٠ صدقى باشا الرجل الداهية ، تعطل عليه انت يا غلبان واذا كانت مصر ، لعبة واستغلالها بيد عبود تبقى انجلترا رخره لعبة في يد عبود : هل يعقل أن صدقى باشا اعتقد فى هذا الكائن الضعيف عبود ، انه عطل عليه المفاوضة : ثم هل أنت وفدى ؟ هل أنت حر دستورى نزيه من اللى بيتشتموا دانت شعبى : صحيح انت جربت كل الأحزاب : انت مع كل الأحزاب عند اللزوم ، كانوا زمان يقولوا ده بوشين لكن عبود باشا ، برهن انه تلت دستورى وتلت شعبى : آدى انت دخلت البرلمان من سنة ١٩٢٦ تقدر تقول لنا أى مشروع تقدمت به كل هذه السنوات ، التى تلونت فيها بالأحمر والأصفر والأخضر أبدا ٠٠ اذن يبقى ان شهادة دولة صدقى باشا شهادة قاطعة تقطع رأس كل واحد توجه اليه ولا تقبل الريبة أو الشك فيها ٠٠

★★★

ولكن لماذا ابراهيم الهلباوى بالذات ؟

سؤال نحاول الاجابة عنه فى الفصل التالى ٠٠

الفصل السادس

الهلباوى شيخ المحامين

● لماذا أوليت مرافعة ابراهيم الهلباوى فى قضيتى نزاهة الحكم ، كل هذا الاهتمام ؟ سؤال وجه الى من كثير من القراء ومن كثير من الزملاء ، وردى بايجاز شديد : اننى لم أعتبر مرافعة الأستاذ ابراهيم الهلباوى مجرد مرافعة قانونية تتعلق بدعوى من الدعاوى القضائية التى يزخر بها تاريخنا القضائى ، وانما اعتبرتها وثيقة سياسية هامة لا تتعلق ـ وحسب ـ بالفترة التى حكم فيها اسماعيل صدقى مصر كلها بالحديد والنـار ، وانما تتعلق فى الغالب ـ بأكثر فترات تاريخنا المعاصر ، أهمية وحيوية : ان ابراهيم الهلباوى ـ وتلك من أهم ميزاته ـ كمحام ـ فى كثير من مرافعاته كان سياسيا ، وكان قانونيا ، بل كان سياسيا قبل أن يكون قانونيا ، وربما كان فى مقدمة الأسباب التى مكنته من النجـاح فى مزج القانون بالسياسـة انه لم يكن فى مصر ، طوال السنوات ، التى لمع فيها الهلباوى فى دنيا المحاماة ، قاض ألا وهو من تلاميذ أو من مريدى ابراهيم الهلباوى كما أن براعة الأستاذ الهلباوى فى مرافعاته ، كانت تجعل القضاء أكثر انصاتا ، لمرافعاته من الجمهور ، الذى كان يتكالب على الحضور الى الجلسـات ، التى يترافع فيها الهلبـاوى كما يتكالب على حضور حفلات منيرة المهدية ، وفتحية أحمد ، وأم كلثوم • كل ذلك بالاضافة الى أننى ـ وأنا فى هذه السلسلة التاريخية ، أحاول انصاف من جحد فضلهم السابق مواطنوهم ـ أجد الهلباوى كرائد من رواد المحاماة والسياسة الجريئة لم ينل حقه أو بعض حقه ، ولولا ، ذلك الكتاب الذى وضعه المستشار عبد الحليم الجندى عن الهلباوى : لما عرف أبناء مصر من يكون الهلباوى • أشهر محام ، عرفته مصر فى النصف الأول من القرن العشرين • وشخصية ابراهيم الهلباوى من الشخصيات السياسية التى تكاد تنفرد بطابع خاص لا تنفرد به عادة الا القلة من الناس •

فقد أحب الناس ، كل الناس ، الهلبـــاوى كمحام : رددوا عنه وعلى لسانه ، القصص والحكايات ، أطلقوا حوله الأمثال ، الشعبية : فالرجل الذى لا يسكت عادة عن الكلام : له لسان الهلباوى ، والفلاح فى القرية عندما يهدد زميله فى الحقل أو فى الجرن أو عند الساقية يقول له : والله أقتلك وأجيب الهلباوى يترافع عنى : اشارة الى أن الهلباوى ــ والهلباوى وحده ــ هو الذى يستطيع أن ينقذ كمحام القاتل ــ أى قاتل ــ من حبل المشنقة ــ وكرهه الناس ، الى أبعد درجات الكره حتى لم يكونوا يطيقون رؤية وجهه جالسا فى حقل ، أو مترافعا فى محكمة وذلك بعد أن تجرأ ، ووقف ضد التيار الشعبى ، وقبل مهمة مدع عام فى قضية دنشواى لا لأن من ورائها كسبا ماديا فالكسب المادى لم يكن يزيد على ثلاثمائة جنيه وهذا المبلغ بالنسبة للهلباوى ، مبلغ بسيط للغاية ٠ لقد قبل الهلباوى أن يقوم ، بتلك المهمة ايمانا منه بأنها تضحية من جانبه وبأن أى مصــرى يجب أن يضحى ويقــوم بتلك المهمــة ، قبــل أن يأتى الاحتلال الانجليزى بمدع عام ، بريطانى !!

***

وابراهيم الهلبــاوى الذى لم يدخل مدرســـة ، ولم يتخرج فى معهد للحقــوق ، كان أبرز المحــامين المصريين ، وقد ظل المحامون المصريون قرابة أربعين عاما لاينادونه الا بشيخهم ونقيبهم ، بالرغم من اختلافهم واياه فى وجهة النظر السياسية ٠٠

كان الهلباوى ــ حقيقة ــ خير من ترافع بالمنطق السليم ، وخير من ارتدى « روب » المحاماة ، بل وأجرأ من وقف مدافعا فى ساحات القضاء ٠ كان مستر دلبروأغلى من أشد القضاة الأجانب ، وأكثرهم عنفا ، وقد وقف أمامه ــ كمتهمين ــ بعض الزعماء السياسيين المصريين الوطنيين الذين لم يسلموا منه وكان ابراهيم الهلباوى معروفا بلسانه الطويل ، الذى يتطرق الى الموضوعات التى لا يمكن لأحد أن يتطرق اليها الا ابراهيم الهلباوى وقال دلبروأغلى وهو يخاطب ابراهيم الهلباوى مهددا : انك تحرض على الجريمة ، ويزأر الهلباوى كالأسد الهصور فى وجه رئيس المحكمة قائلا :

انني أمنعك من أن تقاطعنى !

***

ورغم شدة الهلباوى ، وعنفه فى تناول خصومه الا انه كان فى كثير من الحالات يتصف بالرقة التى ما بعدها رقة : وقف ،يترافع يوما ما مع محام ، زميل له : ضد قاض من القضاة : ووقف الهلباوى دون أن يتكلم والجميع على رأسهم هيئة المحكمة ينتظرون دفاع الهلباوى : ويدعو رئيس المحكمة ابراهيم

الهلباوى للكلام ، فلا يتكلم وأخيرا يقول : ان لسانه انعقد لأول مرة فى حياته لانه يترافع ضد قاض أمام قضاة .

ولم يكن الهلباوى سياسيا ، ومحاميا وحسب ولكنه كان كاتبا ، وكاتبا من طراز خاص : كتب مرة ولم يكن قد نبغ بعد فى دنيا القانون مقالا فى جريدة « التجارة » التى كانت تصدر بالاسكندرية مهاجما ناظر النظار ، الذى يستغل وظيفته عن طريق مدير المديرية ، وقبض على ابراهيم الهلباوى ، وسيق الى القاهرة ، وهو مقيد بالأغلال وفى الطريق قابله مدير المديرية ، وقال له مهددا : ان لم تمتنع فسوف أخرب بيتك » وقال الهلباوى : انك لن تستطيع لا أنت ولا أكبر منك » وانتهزها المدير فرصة ، لمواصلة تهديده : انت بتقول : لا أنا ولا اللى أكبر منى » .

***

وقال الهلباوى وكأنما يلقى نكتة : لن تستطيع أنت ولا اللى أكبر منك أن يخرب بيتى لأننى بلا بيت والقدرة لا تتعلق بالمستحيل .

على اننى وقد قرأت الكثير مما كتب عن الأستاذ ابراهيم الهلباوى عندما كان نجما لامعا جدا فى دنيا « السياسة « ، و « المحاماة » لم أجد أمتع مما كتبه عنه زميله ، وصديقه الشيخ عبد العزيز البشرى فى « المرآة » عندما قال فيه : شيخ يتزاحف على السبعين ان لم يكن قد اقتحمها فعلا : لم توجه الطبيعة أية عناية فى تكوينه الى شكله ودله .. فاذا أنت جلست اليه مع هذا أخذت بلطفه وشعرت بأنه قد تسرب فى كل نواحى قلبك حتى أصبح قطعة من نفسك وأنه ليذكرك بخفة روحه التى تكاد تطير أثناء حديثه بأطراف جسمه ، قول أبى تمام :

ماذا تقولين فى شيخ فتى أبدا
وقد يكون شباب غير فتيان

ويقول البشرى : ولعله لم يفترق الناس فى هوى امرىء اذا استثنينا اسماعيل باشا صدقى ـ افتراقهم فى الهلباوى : لقد عاش مدى عمره ، يحبه ناس أشد الحب ، ويبغضه ناس أشد البغض ، الا ان هؤلاء ، وهؤلاء لا يسعهم جميعا الا التسليم بأنه رجل عبقرى بل لعله لم يجتمع له فى القلوب ، كل هذا الحب ، وكل هذا البغض الا لأنه رجل عبقرى .

***

اذا خطب خطب بكله ، بلسانه ، وبعقله وبنخاعه ، وبعصبه ، وبرأسه ، وبيديه وبرجليه أيضا ! وله صياح يقد أصفق الحناجر ثم تدلى عن المنبر بعد ساعات أربع كاملة فى كل هذا البلاء ، وهو أشد « وافتى » من أكثر ممن

سمعوه ، ان لم يكن أفتى ممن سمعوه جميعا . وما شاء الله كان .. سديد العقل حاضر البديهة ، قوى الذاكرة ملتهب الذكاء على اننى لا أدرى أتفى كل هذا بحاجات لسانه أم لا ! محام أى محام وخطيب أى خطيب . لقد يقف فى الجمهرة والناس ، أكثرهم على غير رأيه فيما يجول فيه : فما يزال يدور على مواطن احساسهم يحسها من ههنا ، ومن ههنا فى رشاقة وخفة ، قول ولطف شاهد ، وبراعة نكته ، حتى اذا أنس من الآذان تطامنا من جماح ، واسترخاء بعد عصيان هجم منها بكله على النفوس فظل يهزها هزا ويرجها رجا ، فما الفحل اذا هدر ولا الليث اذا زار ولا البحر اذا زخر بأشد صولة على الاسماع من الهلباوى يتدفق فى الكلام ، فما يروعك من هذه الجماهير الواجمة الا أن تراها برغمها قد أرسلت حناجرها ، بالهتاف وبعثت أكفها بالتصفيق والهلباوى خطيب يشترى هوى سامعيه بأى ثمن فهو يجد،ويهزل ويثب ويحجل ويضحك ويبكى ويعلو ويسف ، ويثقل ويخف ويكثف ويشف وينظم الدرر ثم يرمى بالشرر .

***

وبينما تراه فى وداعة العصفور اذا به فى شراسة النمور ، كذلك يتشكل هذا الشيخ فى خطبه ويتلون لكل مواقع الكلام واذا كان الهلباوى خطيبا عظيما فهو ممثل أعظم . وعن ابراهيم الهلباوى قال عبد العزيز البشرى - يرحمهما الله - لعل موقفه يوم دنشواى كان مظهرا من مظاهر هذه الثورة على انها هذه المرة كانت أدنى الى تحدى الجمهور منها الى ما اعتاد من تحدى السلطاء من أهل الحكم ، وفى كل حال فقد كانت منه كبيرة ، ولعلها كانت سقطة الرجل العظيم . على أن أحدا لم يجرؤ على أن يحيل تردد الهلباوى الذى قالوا على طلب منفعة شخصية من منصب أو جاه أو مال وقد صحب القضاء المصرى الحديث ، ودارجه من أول نشأته الى اليوم ، فلم تكد تقع قضية ذات شأن فى البلاد الا دعى لها الهلباوى فأفتن وأبدع ، وله فى هذا الباب جولات معدودة اله على وجه الزمان فلا عجب اذا عد صحيفة من أحفل صحف القضاء المصرى وأظهرها حواشى ومتونا وقضى هذا الزمن الطويل محاميا واضحا أمينا ، مجدا فى عمله ، حريصا على أداء واجبه ، لم تحص عليه كرة واحدة ، مما يخمش وجه المحاماة » .

***

ثم هو فى علاقاته الشخصية شديد التوافى لأصدقائه حريص على عودتهم، لا يقصر فى أداء أى واجب لأى كان منهم وأعتقد اننى بهذه الكلمة قد أوفيت واحدا من جيل العمالقة الكبار ، العمالقة الكبار فى كل مناحى الحياة ، بعض حقه ، ولعلها تكون تحريضا لبعض زملائنا من الكتاب ، أو من رجال القانون ليكتبوا عن الرجل العظيم حقا ، ابراهيم الهلباوى أحد شيوخ المحاماة فى بلدنا،

وأحد روادها ، ونقبائها الأول كتابا أو دراسة يمكن أن نستفيد منها وتستفيد منها في الوقت نفسه الأجيال الحاضرة ، والأجيال القادمة من جنين المستقبل ، فما أكثر حاجتنا الى تلك النماذج من العبقرية ، الخالصة التى لا تعرف التصنع، ولا تعرف المداجاة والنفاق .

***

ونعود ـ للمرة الأخيرة لنشير الى بعض فقرات مما جاء فى مرافعة الهلباوى فى قضيتى نزاهة الحكم :

يقول ابراهيم الهلباوى فى آخر مرافعته ، وهى فى نفس الوقت آخر مرافعات الدفاع عن حفنى محمود : من الحكايات التى وردت فى شهادة صدقى باشا ان عبود باشا راح مرة يزوره وكان راكب عربية فخمة قوى من بتوع الملوك ، فلما أعجبت صدقى باشا وقال عنها : دى عربية حلوة ، فكان رد عبود باشا : دى عربيتك يا دولة الباشا ، فصدقى باشا اعتقد أن هذه رشوة لأن الذى يقول فى الجامعات : اتفضل : هدية لك لكن تقول دى عربيتك : يعنى أنا شاريها لك : فعل ماض : دى لغة من تعود أن يقدم ، الرشوة بحصافة ، ولباقة » .

***

ويقول ابراهيم الهلباوى : ماكدونالد لما روى لماهر باشا وعبد المجيد عمر باشا رواية فى لندن ، سمعها فى حفلة من الحفلات وعبد المجيد عمر كان أيامها نصف وزير ، وماكدونالد اعتقد ان عبد المجيد باشا يمكن ما يبلغشى الحكاية ، وسمع أن على ماهر فى لندن وهو يعرف أنه وزير الحقانية وزير العدل ، والقانون فطلب من عبد المجيد عمر أن يأتى عنده فى اسكوتلاندا هو وعلى ماهر باشا : شفتوا الذوق ، الاسكوتلندى ، والحصافة ، عندهم اتيكيت : دى حاجة كبيرة قوى : وراحوا .. كل الدورة دى ، والسفر الى اسكوتلندا برا ، وبحرا كان يقصد بها ماكدونالد أن يطلع على باشا ماهر وهو وزير مسئول على هذه الرواية التى سمعتموها ! قلت لحضراتكم أن عبود باشا ، عنده كفاءة فى ستر أعماله . وقد علمنا صدفة ان ماكدونالد فى مصر فتوسلنا اليكم أن تسمعوه ولكنكم رأيتم أن القضية مش محتاجة فلما رفضتم قام عبود يقول أنا أشارك الدفاع أنا طالب ماكدونالد ، وبعدها كتب جواب بالانجليزى نشره فى الاجبشيان جازيت فى ٢٢ فبراير وفى اليوم نفسه نشرت ترجمته فى البلاغ : يقول فيه : يا مستر مردوخ ماكدونالد طلبت احضارك أمام المحكمة فلما حرمت من هذا جئتك على صفحات الجرائد علشان تقول ما تعرفه : فماكدونالد قال ما دام القضاء رفض فانا لا أحب أن أدخل فى مناقشات على صفحات الجرائد .. » ويمضى ابراهيم الهلباوى قائلا .. رجعنا الى الاجبشيان جازيت فاذا هى تقول :

انى لا أحب أن أدخل معك فى مفاوضات ومجادلات على صفحات الجرائد : يعنى انتهى كل شىء ، أى أن عبود هرب من الجدل ، مع ماكدونالد ، وهذا يؤكد ويؤيد رواية على باشا ماهر ، وعبد المجيد باشا عمر ، وحافظ عفيفى ، وبعد أن يقدم للمحكمة نسخا من صحيفة الاجبشيان جازيت يقول : يبقى ماكانشى ناقص الا نجيب جبرائيل وميكائيل واسرافيل علشان يشهدوا على عبود باشا : ثم يقول: لكنهم قالوا ان هذا لايكفى وان هناك سيفا يقطع الرقاب : ايه ؟ قالوا دا عبد الفتاح باشا طلب أن تحقق هذه الاشاعات : يادى العار !! أنا أفهم انه لو كان الباشا عايز يطهر سمعته كان ياخد له اجازة يقعد عندنا فى الغيط كام يوم ؟ ..

***

لكن الوزير لازق لزقة فوزى فكون عبد الفتاح باشا طلب التحقيق له مغزاه ومعناه انه شاعر ان هناك فضيحة لحقت بسمعة البلد ، وقد جرى العرف ان رئيس الوزارة بالرغم من انه مسئول الا ان هناك جهات أخرى لها صوت فى شكل الوزارة ففى حادث البدارى الذى خرج فيه على ماهر باشا وعبد الفتاح يحيى باشا وكل الجرائد كتبت اجماعا ان من ضمن الوزراء الذين يراد التخلص منهم ابراهيم باشا وفى آخر وقترأينا ابراهيم باشا كريم بقى لسه وزير :

***

طبعا دى شىء غريب ، وكل ما استطاع صدقى باشا أن استشفع ، فى ألا يبقى ابراهيم باشا فى وزارة الأشغال وأجبروا خاطرى وزحزحوا ابراهيم فهمى عن وزارة الأشغال ، علشان الاشاعات المتطايرة حوله فى كل مكان ورأينا فعلا ابراهيم فهمى ينقل الى المواصلات ، وهذا دليل على أن اسماعيل باشا قبل كريم باشا فى الوزارة الجديدة على مضض ، وصدقى باشا لم يكن حديث عهد بسوء الظن بابراهيم باشا بل كانت مسألة قديمة فعندما ألف وزارته الأولى لم يكن ابراهيم باشا فى الوزارة بل كان حافظ باشا حسن وزير زراعة وأشغال ، وبعد أسبوعين لقينا ابراهيم فهمى تزحلق فوق وزارة الأشغال فهذا دليل جديد على أن الشبهة فى عدم صلاحية ابراهيم فهمى فى نفس صدقى باشا كانت شبهة قديمة متأصلة لأن دول مش بيلعبوا سيجة يشيلوا كلب ويحطوا كلب : أبدا ! دول وزراء مسئولين عن حكم البلد وقد ذكر لكم عبد المجيد باشا انه على اثر هذه الاشاعات أخذت انجلترا على عاتقها ألا تستقل بمشروع جبل الأولياء .. وقد قرأتم مذكرة عبود ، التى يبكى فيها على عهد كرومر ، ويقول أنه خير ضمان للخلاص من هذا العذاب الأليم وفى سنة ١٩١٩ ، وما بعدها يقول ، اوعوا تتفقوا مع الانجليز ، أحسن دول عايزين يستعبدوا ، المصريين ، وشفتوا ، النفاق : قلت لكم انه رجل بوشين هنا بوش وهناك بوش قال لكم شفيق باشا ، ان عطاء عبود زيادة عن جيسون ٢٤١ ألف جنيه وهذا الرقم مقارب للثلاثمائة

ألف جنيه التى قيل أنها طلبت لثلاثة موظفين فى الحكومة المصرية : دى بنت عم دى تمام !! يبقى ده دليل ، على صحة الرواية ، وشفيق باشا قال لكم ان فيه حملة حملتها عليه البلاغ فمن سنة ١٩٣٢ والراجل جاى والنار حرقاه بعد ٥٠ شهر وجاب لكم مجموعة من الجرانيل التى نهشت فى سمعته وهو راجل نزيه كفء مشهود اله من الجميع وقد انتهى أمر جبل الأولياء الى قبول عطاء ، جيبسون ولكن بتحفظات ليه ابراهيم باشا قال ده شخص والأشخاص معرضة للموت فمجلس الوزراء قرر بفضل العالم ، الفاضل ابراهيم كريم أن جيبسون لازم يكون شركة : أهى دى الصداقة صحيح ، وبذلك ظل الباب مفتوحا ثلاثة أسابيع وبعدها يحلها ربنا !! حتعملوا ايه شفيق باشا قال لكم أن زكى الابراشى عمل له تليفون الساعة ٨ صباحا : يا سلام داحنــا يا متهمين ما بنجيش الا الساعة عشرة وأنا بعد شهادة شفيق باشا ، سمعت أن الابراشى قعد ١٣ يوم يروح وزارة الأشغال ، وشفيق باشا يؤدى شهادته فى مارس ، والبلد قايمة قاعدة علشان تدخل الابراشى ، دى قلة ذوق ٠

وشفيق باشا ، ظل يروى النا حاجات عن الدستور ، من قبل هو ما يبقى وزير تقولش عبد الحميد بدوى باشا ، الثانى قصد يقول لكم ، عن حق الملك فى حضور جلسات مجلس الوزراء لماذا تزجون بجلالة الملك فى مسائلكم ! قل ان الابراشى باشا نفسه جاءك من غير أن تزج بجلالة الملك ٠

ويقول رئيس الجلســة ، وقد أحس أن الهلبــاوى يوشك أن يدخل فى الممنوعات : العطا مارسى على جيبسون وانتهى ويقول هلباوى ٠ ما كنتم تقولوا لى دا من زمان : طيب خلاص ، انتهينا ، أنا بس حبيت أبرهن لكم على مساعى عبود باشا » ، ويستدرك الهلباوى قائلا : فاننى أقول لكم أن عبد العظيم باشا راشد ، عين لوزارة الأشغال وما رضيوش ، يحطوا فيها ابراهيم فهمى ، كل هذه أدلة على انهم أرادوا أن يبعدوا أخينا علشان مايعكرش جو النزاهة ! وعن التعويضات التى طالب بها المدعون بالحق المدنى من حفنى محمود : عبد الفتاح يحيى باشا ، لم يطلب شيئا ، وعبد العظيم باشا راشد كذلك : عبود طلب عشرة آلاف وكريم باشا ، كذلك ، وحتى على المنزلاوى طلب قرش صاغ : جرفوه وياهم مسكين ، ثم يقول : سمعتم من عبد المجيد باشا عمر ، وهو يتكلم عن الرشوة ٠ انها مسألة مش مهمة ، هذا دليل ، على أن الأخلاق قد انحطت الى حد بعيد ، حتى الامتحانات لم نسمع بحصول سرقة أسئلتها وتوزيعها على التلامذة : الا فى ذلك العهد السعيد : كانت عدوى ، سرت من الوزراء ، الى الموظفين ، الصغار » ٠

ويمضى ابراهيم الهلباوى يعدد ، كل مساوىء ، العهد البائد ويقول ضمن ما يقوله : من أثار هذا العهد الذى لا يحترم استقامة ولا فضيلة ، كان عندنا مأمورين أقسام من القاهرة ، وبعض الأقاليم نسبت اليهم تهم مخلة بالشرف وحكم عليهم تأديبيا بالفصل من الحكومة فلما جاء عهدهم « السعيد » أعادوهم

الى الحكومة · واللى عارض فيه رسل باشا ، أخذوه فى الجان حزب الشعب : الموظفين الذين فصلوا للرشوة عادوهم : اللى هيص فى الانتخابات أخذوه فى الحكومة ولما ثبتت عليه الرشوة ، حكموا بتنزيله درجة ، يا سلام ·· يا سلام ، هذه مفسدة لأخلاق الموظفين » ·

وتبقى بعد ذلك كله فقرات هامة جاءت فى نهاية مرافعة الاستاذ أبراهيم الهلباوى فى قضيتى نزاهة الحكم نلخصها فيما يلى ، يقول الاستاذ الهلباوى :

« ظهر فى وزارة الداخلية أن أمضاء الوزير مزور والقضية أمام النيابة وهـذا لا يقع الا فى الحكومة التى تسقط هيبتهـا : هـل سمعتـم يا حضرات المستشارين أن كاتبا يجترىء على تزوير كالذى ارتكبه موظفو المعارف لكن العهد كله كان عهدا فاسدا ، والعدوى سرت من الكبار الى الصغيرين فاذا كان الأب يسكر لازم الأبن يطلع يسكر · غير كده ، الحكماء ، والصيادلة ، أصبحوا شركاء قطاع الطرق هذا دليل على أنه كان عصرا موبوءا اسقطنا جميعا فى عبادة المادة »

***

ويقول ابراهيم الهلباوى :

« فيه كلمة جرحتنا فى دفاع عبود باشا وهى أنه يتمنى عـــودة العهـد الكرومرى ، وهذا لا يجوز لأن عهد كرومر وان كان فيه حسنات الا انه كان جرحا ، واذلالا ، للكرامة المصرية : كان الوزراء « اسم على غير مسمى » وأنا لو خيرت بين وزير انكليزى يحكم بالقسطاس المستقيم : والا واحد زى ابراهيم باشا فهمى ويكون مصرى لفضلت ابراهيم فهمى مائة ألف مرة · لانى واثق من أن حكم المصرى خير ، مهما كان « من الحكم الأجنبى والا كنت خائنا لوطنى » خصوصا بعد هذا التجارب المؤلمة ·

« خيانة للوطن وللعزة الوطنية ان نقول علشان ابراهيم فهمى والا عبود انتم عاوزين نرجع للعهد الكومرى صحيح ، آن هذا ليس عجيبا فى التاريخ : ليس عجيبا ان ينسى بعض الكبراء هذا الواجب المقدس فى سبيل شهواتهم ولكن ظهور واحد ظالم فى مصر ، مش معناه أن المصريين كلهم كده ··

« عار علينا اننا بعد خلاصنا من هذا الجيش من الموظفين الانكليز نرجع الآن ونطالب بعهدهم : وهل معنىالحياة الدستورية ان يكون أبناء الأمة كلهم قديسين : أبدا انما معناه ان الواحد اذا أخطأ يجد من يرده ، وهذه الخطايا وألعن منها كانت موجودة فىأيام الحكم الانكليزى ، والادارة الانكليزيـــة : حادث فلبيدس ، مثلا ، وقعدنا نترافع فيها شهور والقسوة التى نعيبها على العهـد الماضى · ولا يمكن أن ننسى حادث البلينا : ناس مشبوهين طاردوهم ، وحرقوهم فى أودة ، ما حدش قال هاتوا ايطاليا تحكم بدال الانكليز : من حق وطنى أن

أسجل ان الاضطهاد والظلم وصل الى انه فى عهد كرومر ، أرادوا ان يجعلوا القضاء الجنائى من دور واحد وكان فى ذلك الوقت اثنين وعشرين مستشار ، أغلبهم انكليز ، واتفقوا عليه الا اثنين قالوا : ان اختيار القضاة يجب أن يكون من حق الجمعية العمومية ·

« أتدرون ماذا كان جزاؤهما ، كان كل المستشارين بياخذوا ٨٥ جنيها ، وسعد زغلول ، وقاسم أمين ، كانا يأخذان ٦٠ لانهما عارضا المشروع » ·

ويعلو صوت الهلباوى : ويصرخ قائلا :

« نحتج على هذه التصرفات لانها تقتل كفاءة المصريين : صحيح ان الانكليز ، عندهم معدات التنظيم والاصلاح ، أكثر منا لكن يجب الا ننسى العزة القومية ، والكرامة المصرية · فى عهد الاحتلال كان ايراد مصر نحـــو ٤٦ مليون جنيه والاصلاحات التى جرت فيها خلال أربعين سنة كانت نصف الاصلاحات التى جرت فى الثلاث عشرة سنة التى حكمنا فيها أنفسنا ·

« والذى يدلكم على أن مصر كسبت باستقلالها ان وزارة المعارف كانت فى سنة ١٩١٢ تشرف على ١٨٦ ألف طالب بما فيهم مدارس مجالس المديريات : كان فيه ست مدارس عالية فأصبحت الآن ٨ بخلاف الجامعة وكلياتها ، طلبة الجامعة كانوا ١٩٠ طالبا وفى عهدنا الحاضر ٢٦٠٠ طالب وزيادة ·

« الآن الحياة دخلت فى دور جديد ، وعندنا الآن ٨٩٠ ألف طالب ، فالأمة التى تنهض هذه النهضة أو ليس عزيزا عليها ان يقوم واحد من أبنائها ليطالب بالعهد الكرومرى ؟

« النهضة الصناعية مثلا : بنك مصر ، هل قام الا بأموال المصريين » ؟!

ويقول الهلباوى ، وهو يحتج على هذا الكلام ، الذى ورد على لسان عبود ، وعلى لسان بعض المحامين :

« ولما كان هذا الكلام قد صدر من أحد كبار المحامين فانى بصفتى أكبرهم سنا وأقدمهم عهدا أعلن احتجاجى على هذه العبارات ·· اخلاصا لارواح الشهداء الذين ذهبوا ضحية : أعلن احتجاجى باسم أولئك الابطال الذين سيقوا الى المحاكم العسكرية مدة الثورة ، ولما حكم عليهم بالاعدام صاحوا : « لتحيا مصر » قال، هذا حمد الباسل ، ومرقس حنا ، وويصا واصف ·

★★★

« هذه الأرواح واجب علينا ان نمجدها ونذكرها · قالها أيضا عبد الرحمن فهمى بك ، لما حكم عليه بالاعدام فصار عنوانا لكل مصرى يناله الاضطهاد : فهل يليق بنا أن ننسى هذا كله » ·

ثم يقول الهلباوى بك :

« وبعد ذلك ، لا تحكموا ببراءة حفنى لأن فى هذا الحكم اضرارا بسمعة البلد : هذا كلام فارغ : مصر مهد الأنبياء من قديم الزمن لا يقال انه اذا خرج أحد أولادها وسلك طريقا سيئا ، كعبود تبقى .. وياريت عبود كان وطنى مصرى خالصدا طول عمره ، فى انجلترا ، وعبود لما أراد أن يأخذ أموالنا برضه لجأ الى الأسماء الانكليزية : راستم عبود : جاكسون عبود : ثورنيكروفت عبود

« هل هذا هو الذى اذا حكمتم ببراءة حفنى من أجله ، تكونوا قد خربتم مصلحة الوطن ؟ . دى لى سيبس كان رجلا عظيما انتهى نهاية سيئة ومع ذلك لم يؤثر فى فرنسا .

***

« فى ألمانيا لا نرى مثل عبود . بس لو حصل ان ١٩ بنك ألمانى أفلسوا فى شهر ولما طلعت الجرائد الفرنسية تشنع على المانيا ، جاء الرجل العالم فى كلية الاقتصاد وقال : ليس هذا دليلا على أن ألمانيا شاخت » . « وان الخيل ،، التى تكسب فى السبق هى التى تشعر فى النهاية بتعب » .

ويخاطب ابراهيم الهلباوى هيئة المحكمة أخيرا بقوله :

« فى أعناقكم يا حضرات المستشارين تطهير البلد من هذه الزوبعة وهذا مرض ليس عضالا ، وأنتم أطباء اختصاصيون ونحن نطلب أن تحكموا بما يطهر البلد » .

***

وقبل أن أنهى الحديث عن ابراهيم الهلباوى ومرافعته ، يسعدنى أن أستاذنا الكبير حافظ محمود نقيب الصحفيين الأسبق ، والصحفى الذى رأس تحرير صحيفة « السياسة » لسان حال الأحرار الدستوريين ، بعد اشتراك د. محمد حسين هيكل فى الوزارة ، وبعد رئاسته لحزب الاحرار الدستوريين ، يسعدنى انه زارنى وسلمنى الكلمة التالية :

أخى صبرى أبو المجد ..

« جعلتنى أشعر بالذنب وأنت تعلق على مرافعات الهلباوى فى ذكريات ما قبل الثورة بقولك « لعلها تكون تحريضا لبعض زملائنا من الكتاب ورجال القانون ليكتبوا عن الرجل العظيم حقا » .

« فأنا مدين للهلباوى بالبراءة فى احدى القضايا الصحفية ، وأنا لم أنكر هذا الدين حينما أشرت فى ذكرياتى عن هذه القضية ، لكننى اعترف اننى لم

أوفه حقه ، وكنت أنت أشجع من كتب عن الهلباوى لتجلو صورته الحقيقية أمام الناس » ٠

« ان هناك صورة قاتمة تلاحق اسم الهلباوى هى صـــورته فى موقف « المدعى العام » فى « قضية دنشواى » وهذه حقيقة لا نستطيع أن ننكرها ٠٠ وقد كان أقرب الناس اليه لا يجرؤ على مفاتحته فى هذا الموضوع المثير ٠٠ لكننى استخدمت مرة بلاهة الصبى أمام جبروت أبوته ٠ وسألته فى مجــلس خاص بمنزله : لماذا قبلت القيام بهذه المهمة ؟

« وتكهرب جو المجلس كله ضـــدى ، لكن الهلبـــاوى ، يرحمه الله ، قال لجلسائه : اسكتوا انتم ، فهذا فتى من جيل آخر ومن حقه أن يعرف الحقيقة ، وهى الحقيقة التى أسجلها هنا لأول مرة :

قال الهلباوى : « هناك سر يجهله البعض والذين يعرفونه لا يعلنونه ، وهو أننى لم أكن مختارا فى هذه المهمة ٠٠ فحادثة دنشواى تبعها انذار سرى لمصر الرسمية ، وكان من تفاصيل هذا الأنذار أن يجلس فى كرسى الأدعاء أكبر محام فى مصر ، الى جانب مواصفات أخرى ، ان لم تنفذها مصر الرسمية فسوف تقوم القيادة البريطانية بكيت ، وكيت ، فالرسميون فى ذلك الوقت سعوا الى لقبول هذه المهمة اتقاء لشرور أخرى ، فلم يكن فى مقدورى أن أرفض »

★★★

اما القضية التى أنا فيها مدين للهلباوى بالبراءة ــ فلها قصة طريفة ٠

فى ثورة شباب سنة١٩٣٥ كنت متهما مع زميل آخر فى قضية صحفية ٠٠ وكانت السلطات قد ضاقت بالشباب والطلبة الذين يحتشدون فى ساحة المحكمة فى أيام جلسات المعارضة فى قرار حبسنا على ذمة التحقيق ، فابتكرت « الادارة » شيئا جديدا هو أن تنظر هذه المعارضة بعد انتهاء العمل فى قاعات المحكمة ، وبعد أن ييأس الشباب من احضارنا من سجن « الاستئناف » فينصرفوا ٠

وجىء بى أنا وزميلى الاستاذ محمود حجاج « المستشار فيما بعد بمجلس الدولة » والساحة كلها خالية ، وبينما كنا نصعد درج دار القضاء بميدان باب الخلق للوصول الى مكتب رئيس محكمة مصر ــ وكان اذ ذاك محمد محمود النبوى باشا لنظر المعارضة فى سكون ودون وجود أحد من المحامين ــ التقينا فجـــأة بالهلباوى يهبط الدرج فى طريقه الى الخارج ٠

فلما بادلناه التحية سألنا : ماذا تفعلون هنا فى هذه الساعة ؟ ٠ وما أن علم بقصتنا حتى سلم أوراقه الى من كان معه قائلا لنا : أنا حاضر معكم ٠

حضر معنا وهو لايعلم تفاصيل القضية ، وقال لرئيس المحكمة : « يكفى

اننى أعلم أن هذين الشابين محبوسان فى قضية رأى ، وهو أمر يحتم على أن أترافع ، لا عن هذين الشابين ، بل عن قدسية قضائنا ، لاننى أرى أن حبس ذوى الرأى على ذمة التحقيق أمر يمس هذه القدسية القضائية » ٠

ومازال الهلباوى يترافع بهذه النغمة حتى قال له النبوى باشا : « ياهلباوى بك حرام عليك » فرد عليه الهلباوى قائلا : « حرام عليك أنت أن تجلس فى أرفع كراسى القضاء المصرى العظيم وأمامك اثنان مثل أولادك يودعان فى زنزانة قبل ان تصدر أنت حكمك عليهما لمجرد انهما كتبا كلمة ترددها الملايين علنا » ٠

وأصدر القاضى الكبير حكمه بالافراج عنا ، وأبى الهلباوى أن يبرح المحكمة قبل أن نبرحها ٠٠

ان من حق أى انسان أن ينتقد الهلباوى ، وقد كنت يوما من ناقديه ٠٠ لكن علينا ألا ننسى أن هذا الرجل كان فى مقدمة الذين أرسوا قواعد مهنة المحاماة العظيمة فى مصر ٠٠ لقد كان على رأس الدعاة لانشاء نقابة المحامين ، فلما انشئت فى سنة ١٩١٢ كان أول من انتخب نقيبا للمحامين بالاجماع ، وظل يشغل هذا المركز حتى خلفه فيه رائد القانونيين جميعا « عبد العزيز فهمى باشا » ولعل من الطرائف المجهولة أن عبد العزيز فهمى حينما تخرج فى مدرسة الحقوق قضى جانبا من فترة التمرين بمكتب الهلباوى ٠٠ ثم اشترك مع « لطفى السيد » فى مكتب واحد » ٠

★★★

وبعد تعقيب الأستاذ الكبير حافظ محمود نعود الى قضيتى نزاهة الحكم ، فبعد أن انتهى الأستاذ ابراهيم الهلباوى من مرافعته ٠٠ ترافعت النيابة ٠٠ كما ترافع المدعون بالحق المدنى ٠

والجدير بالذكر أن ممثل النيابة العامة عمر عارف قد أشاد فى بداية مرافعته بهيئة المحكمة وحسن اصغائها وجميل صبرها ، فلقد طالت المرافعات وظل القضاة على اصغائهم فلم يحرم قائل من قول ٠ وكان ممثل النيابة العامة قد قال فى بداية مرافعته أيضا « ما جئنا لنحاكم حزبا ولكنا نخاصم جريدة السياسة ومحررها المسئول حفنى بك ٠٠ وقال عن جرائم النشر ، انها فيما يخل بالأمن العام ، لا تقاس بما تقاس به جرائم القذف التى تقع على فرد لا شأن له بالحكومة ولا يهم أمره المصلحة العامة فهو وحده ، الذى يقدر وجه الضرر ، الذى يلحق به فقد يرى أن يسكت وقد يرى أن يبلغ ثم هى ــ أى جرائم النشر ــ تهز أركان الطمأنينة ولم يعلق القانون تحقيقها على ارادة المجنى عليه كما علقها على ارادة الزوج ، « المخون » فى أهله : ولارادة الزوج الذى لا يريد الاستمرار

فى القضية الخاصة بزوجه من معانى الستر الذى لا يضر الناس ، ولا يغضب القـانون » .

ويعود الدفاع ، ليعقب بدوره على مرافعة النيابة ومرافعة محامى المدعين بالحق المدنى ومن بين ما قاله سابا حبشى بك « أنا نطلب البراءة بناء عـلى اعتبارين جوهريين : الأول ان جرائم القذف والسب المنسوبة اليه غير متوافرة الأركان ، لانها ينقصها الركن الأدبى ، ويكفى لتبرئة حفنى ان تتبينوا انه قصد الى غاية عليا فلم يكن لديه هذا القصد الذى أشار اليه القانون . والثانى ان الوقائع ،التى ذكرها حفنى صحيحة وقد قطعت وقتا طويلا فى اثبات ذلك وكل من هذين الاعتبارين كاف لبراءة حفنى » .

***

وكان مما قاله الاستاذ محمد توفيق خليل : « ان النيابة قاض كبقية القضاة ولذلك فلم يكن خليقا بها أن تطرق باب الوزير عندما أرادت سؤاله » .

ويختتم الاستاذ محمد توفيق مرافعته القصيرة بالتوجه الى هيئة المحكمة : « الذى أريده ان تسجلوا فى حكمكم أن وزراء الدولة ليسوا سادة البلد . وانما همخدامها : هذا ما اطمع فيه » .

وكان ختام مرافعة محمد كامل البنـدارى قوله : انا لا نطلب منكم أن تتخطوا القانون : اذا كنت ظلمت احدا ممن تقدموا ، لحضراتـكم تحت ستار الادعاء بالحق المدنى فأنا أول من يتقدم اليكم وانتم حماة ، العدل ، وأول من يغتبط لدفع هذا الظلم ولكن أؤكد لكم مخلصا اننى كنت متجها فى عملى وفى حملتى لمصلحة مصر ، ومصلحة مصر ، وحـدها ، ولم نكن نعرف ان القـدر يخبىء لنا هذا أبدا وانما كانت عقيدتنا الأولى والأخيرة اننا ندافع عن مصر ، ومصلحة مصر ، واننا نقف الآن مغتبطين وسأهنىء قومى وادعوهم الى مواصلة جهادهم ، الموفق لرفع الضرر والأذى عن البلاد ، وسأترك ساحتكم وأنا مغتبط بأداء هذا الواجب أى اغتباط » .. وقد طلب الأستاذ البيلى « أن يكون حكم القضاء فيصلا بين حفنى بك وخصومه وان تضع المحكمة بهذا الحكم حدا لهذه التصرفات المعيبة ، التى قام بها أولئك الموظفون الذين ائتمنوا على أموال الدولة، التى تجبى من عرق الفلاح فبددوها ذات اليمين وذات اليسار بلا حساب » . وقال الاستاذ البيلى : « اننا نرجو أن يكون فى حكم المحكمة اشارة الى تصرفات النيابة والاجراءات التى اتخذتها لأن النيابة سلطة خطيرة يجب فى كل الظروف والأحوال أن تكون بعيدة عن كل تأثير ، خارجى ، الا ما تقضى به مصلحة الدعوى العمومية ، التى هى أمينة عليها » . والطريف ان الاستاذ البيلى قدم الشكر ، فى ختام مرافعته لسكرتير الجلسة ، الممتاز حقا الشـاب الأديب عبد الرحمن أفندى سلامة ، وللاستاذ أمين الدرمللى مندوب وزارة الأشغال الذى ظل طوال

مدة نظر القضية ملازما للجلسة لتقديم كل ما يطلب من الملـــفات والأوراق ٠ والطريف أيضا ان مناقشات حامية دارت بين الاستاذين محمد كامل البنداري احد المحامين عن الاستاذ حفني محمود ، ومرقس فهمي المحامي عن عبود باشا وكادت المناقشات الحامية تترك أثارا سيئة في نفسي الزميلين الكبيرين ، لولا ان المتهم حفني محمود نجح في ازالة ما بين الاستاذين البنداري ومرقس حنا ٠

***

ثم تتاح ، الفرصة للاستاذ حفني محمود « المتهم » فيلقي بيانا أخيرا وبذلك تنتهي كل المرافعات الخاصة ، بقضيتي نزاهة الحكم ٠

وتحدد المحكمة يوم ٢١ مايو عام ١٩٣٥ للحكم في الدعوتين ٠ واستسمح القارىء ــ وللمرة الأخيرة ــ في أن انقل ما جاء في عدد « السياسة » الصادر في يوم الأربعاء ١٦ صفر ١٣٥٤ هـ ٠ ٢٢ مايو ١٩٣٥ م ٠ خاصا بحكم محكمة جنايات مصر في قضيتي نزاهة الحكم : « لم نشهد منذ بدء نظر هاتين القضيتين جلسة بلغ من اهتمام الجمهور بها اهتمامه بجلسة الأمس ، فمنذ انتصفت الساعة الخامسة والجماهير تفد الى سراى المحكمة تباعا من جميع الطبقات وتحيط بقاعة الجلسة في انتظار السماح لهم بالدخول : ويظهر ان حكمدارية بوليس العاصمة ، كانت تتوقع هذا الاهتمام من قبل ، فقد رأينا في ردهات المحكمة ثلة من رجال البوليس لم نشهد من قبل أكثر منهم وعلى رأسها حضرة الصاغ حسن الصاوى مأمور قسم الدرب الأحمر ، وحضرة الضابط اليوزباشي عبد الرحمـــن عبود والملازمان الأولان ، سيد أفندي الخولي ، ولبيب أفندي المنيري والملازم الثاني مراد أفندي خيري ومعهم قوة من بوليس الدرب الأحمر وأخرى من بلوك الخفر ، وما كادت القاعة تفتح حتى انهمر سيل الحضور ، فاحتلوا جميع المقاعد ، وقفص الاتهام ولم يتركوا في القاعة مكانا لقدم ، وكان في مقدمة الذين حضروا جلسة الأمس لأول مرة في تاريخ القضية بعض حضرات مراسلي الصحف الأجنبية وقد علم مندوبنا ان حضرات المستشارين الذين تتألف منهم الهيئة لم يغادروا مكانهم منذ الصباح الباكر بل تناولوا غداءهم في سراى المحكمة وانهم قضوا الوقت كله في المداولة وفي الساعة السادسة دخلت هيئة المحكمة ونطق الرئيس بالحكم الآتي :

***

« حكمت المحكمة حضوريا ببراءة حفني بك محمود ورفض الدعاوى المدنية كلها قبله وقبـــل محمود باشا عبـــد الرزاق وألزمت المدعين بالحق المـــدني بالمصاريف » ٠ وما كاد حضرة الرئيس يفرغ من تلاوة هذا الحكم حتى دوت أرجاء القاعة بعاصفة من التصفيق الحاد ، وهتف الحاضرون بأعلى أصواتهم بحياة القضاء العادل ، وبحياة حفني محمود بك وجريدة السياسة ٠ وأقبلوا جميعا

يهنئـون بعضـهم بعضا ، وخرج الحاضرون من قاعة الجلسة فى مظاهراتهم الحماسية ، وهتافهم يكاد يشق عنان السماء ، وركب الكثيرون منهم سيارات جعلوا يطوفون بها المدينة وهم يهتفون بحياة « القضاء العالى » وكان الاستاذ حفنى بك محمود فى دار السياسة ينتظر صدور الحكم ، واقبلت الجماهير عليه مهنئة له ، مهنئة شعب مصر ، بقضائها العادل ٠

وفى اليوم التالى كانت افتتاحية السياسة تحمل العنوان التالى « عيـد الأمة كلها ، لا عيد الصحافة وحدها » وكان من بين الفقرات التى وردت فى ذلك المقال :

« فى مصر كلها غبطة شاملة وسرور عـام ، حيثما ذهبت لقيت الناس يتحدث بعضهم الى بعض ويهنىء بعضهم بعضا : غبطة صادقة مصدرها القلب لا شىء البتة من معنى التظاهر فيها ، انما هى غبطة الرجل شفى ولده أو عاد عزيز عليه من سفر ٠ وغبطة الأم ، بفوز ابنها ونجاحه ٠ هذه الغبطة الشاملة ، وهذا السرور العظيم سببهما الحكم الذى صدر أمس الأول ببراءة رئيس تحرير « السياسة » فى « قضيتى نزاهة الحكم » ٠

« لقد اقترح بعض اخواننا الصحفيين ان يجعلوا يوم ٣١ مايو من كل سنة عيدا لحرية الصحافة وان يقيموا فيه أفراحهم ومظاهر ابتهاجهم والحـق ان الصحافة ليست وحدها هى التى كسبت هذه الموقعة العظيمة ، وانما كسبتها مصر كلها ، لتكن هذه الأيام حدا فاصلا بين ماض لن يستطيع الذين نكلوا بالأمـة فيه أن يدافعوا عما فعلوا به وبين مستقبل نرجو ان يكون مضيئا بنور الحرية والحق ، والعدل والنزاهة ٠

★★★

وقد ظلت البلاد حقيقة فى فرح لا مثيل له : ظلت « السياسة » لأيام عديدة تنشر الكثير من أصداء ذلك الفرح الشامل ، كما ظلت أيضا تنشر ألوف البرقيات التى انهالت عليها ، وعلى حفنى محمود مهنئة بالحكم العادل ٠ وكانت السياسة قد نشرت فى اليوم الذى زفت فيه حكم البراءة الى الشعب مقالا رائعا بعنوان : « فى مصر قضاة وفى مصر خلق ونزاهة » قالت فيه : اللهم ما أعظم عدلك ، ستة عشر شهرا ، انقضت منذ بدأت النيابة تحقق مع السياسة فى قضية نزاهة الحكم ، وقد بدأت هذه الشهور الستة عشر فى جو سياسى حالك الظلمة لا يعرف أحد متى تنقشع غيومه ، ومتى تتبدد سحبه ، ثم كانت هذه القضية كلما تقدم التحقيق فيها بعثت فى هذا الجو القاتم أملا من ضياء ٠ فقد كان الصراع العنيف بين الحق والباطل ، وبين الظلم والعـدل ، الصراع الذى ارتدى الباطل فيه ثوب القانون والذى تسلح فيه الحق بسلاح الكرامة والشرف فلما قدمت القضية الى محكمة الجنايات وقفت النيابة مع الأسف تريد ان تحول دون ظهور الحـق

فتطلب الى القضاء ان لا يسمع شهادة شاهد ، ولا أن يضم ملفا وتذيع بلسان الأمين على الدعوى العمومية انها بذمة القاضى قد فحصت الملفات فلم تجد دليلا وقد سمعت من سمعت من الشهود فلم تجد لسماع غيرهم محلا ، ثم ان قضية نزاهة الحكم هذه معول قوى يهدم ركن العهد الماضى فيريد ذلك العهد ان يتخذ من القضية ومن القضاء وسيلة للبقاء فيأبى الله الا أن تكون القضية هى سبب مصرعه ، وسبب مطلع نور الحرية ، وسبب القضاء على قوانين الظلمة والظلم التى كانوا يريدون بها الا يظهر حق أو ينكشف نور و ٠٠ و ٠٠ » ٠

★★★

وتساءل « السياسة » فى ختام مقالها :

« والآن ماذا بعد هذا الحكم ؟ أفيسدل الستار على ما تكشف التحقيق فى القضية عنه من المآسى ، أم ترى الحكومة واجبا عليها تعيين لجنة تحقيق مستقلة نزيهة تحدد المسئوليات والمسئولين ، فلا ريب فى أن لهؤلاء السادة الذين دمغهم حكم القضاء ، انصارا وأعوانا ، ومن الخير ان ينكشف هؤلاء الانصار والاعوان اذا أريد أن تطهر الأداة الحكومية فعلا من الفساد لقد كان فى قضيتى نزاهة الحكم من العبر مالا يمكن السكوت عنه ولكننا نقف اليوم عند اغتباطنا بحكم القضاء حكما تفاخر به مصر ، غيرها من الأمم ، وعند تسجيل ما دل عليه الحكم ، من أن فى مصر ، قضاة ، وان فى مصر ، خلقا ، ونزاهة ٠

على أن فلبيدس منشىء مدرسة البوليس السياسى فى مصر وقد أشار اليه الهلباوى بك فى مرافعته هو فى حد ذاته ، ظاهرة خطيرة تستوجب أن يكون لنا معه أكثر من وقفة فى الفصل التالى لأنه ــ فى رأيى ــ من أركان الفساد السياسى فى مصر ٠

الفصل السابع
جورج فلبيدس
منشىء مدرسة البوليس السياسى فى مصر

ولكن من يكون فلبيدس هذا الذى ورد ذكره أكثر من مرة والذى كان له دور سياسى ، بوليسى هام أثر على مجريات الأحداث فى بلدنا فى الفترة التى سبقت الحرب العالمية الأولى حتى انتهت أسطورته بفضيحة مدوية ؟

سألنى كثير من القراء ، وخاصة الشباب منهم : من يكون جورج فلبيدس الذى ورد اسمه فى سنوات ما قبل الثورة ·· أكثر من مرة باعتباره أحد أعمدة الاحتلال البريطانى فى مصر والذى سبق للأستاذ ابراهيم الهلباوى أن أشار الى اسمه فى مرافعته التاريخية بوصفه من دعائم الاحتلال البريطانى لمصر ؟

***

وجورج فلبيدس يونانى متمصر ، أقام بمصر فترة طويلة وحصل على الجنسية المصرية ، ولأنه كان يجيد اللغة الانجليزية اجادة تامة كما يجيد ــ أكثر ــ استخدام كل وسائل ، التملق والتزلف للحكام ، البريطانيين ، فقد عينوه مترجما بالسلك الحكومى ثم اختاروه بعد أن أثبت وفاءه وولاءه للاحتلال البريطانى رئيسا للمكتب السياسى الذى أنشىء عقب مقتل بطرس غالى باشا ، ومنذ انشاء هذا المكتب راح جورج فلبيدس يدس أنفه ورجاله فى كل مجالات العمل الوطنى لا للحصول على الأخبار وانما لاختيار العناصر الضعيفة من العاملين فى الحقل الوطنى واستخدامها كجواسيس على الآخرين واستخدامها أيضا فى « فبركة » القضايا السياسية الهامة : التى يراد من وراء « فبركتها » ضرب الحركة الوطنية ، والزج بالشباب الوطنى الى السجون والمعتقلات ·

***

يقول الأستاذ محمود العربى ــ أحد المتهمين فيما سمى بمؤامرة شبرا عام ١٩١٢ ــ عن جورج فلبيدس : ما أن قتل المرحوم بطرس باشا غالى بيد

ابراهيم أفندى ناصف الوردانى حتى خيل للحكومة ان فى هذا القتل مؤامرة كبيرة ، أو حركة قائمة يقصد بها بعض الشباب الوصول الى أغراضهم وآمالهم عن طريق القتل السياسى · فلم تدخر وسعا فى انشاء ما سمته « المكتب السياسى » ووضعت على رأسه بطبيعة الحال جورج بك فلبيدس ·

والمكتب السياسى ، أو بعبارة أوضح مكتب استقاء الأخبار يحتاج الى عدد كبير من البوليس السرى والى نفقات باهظة تنفق بلا رقابة ولا مراجعة ولا بحث فى الوجوه التي انفقت فيها ، وكان هذا المكتب على هذه الصورة مورد ثروة جديدة لمثل فلبيدس بك : يهب ما يشاء لمن يشاء ويستبقى لنفسه ما أراد ·

وبقى هذا المكتب السياسى يشتغل سنتين متتاليتين دون أن يكون له أثر فعلى أو نتيجة ظاهرة ، ولا شك ان هذا لم يكن ليرضى رجلا واسع الاطماع والآمال مثل فلبيدس فداخله شيء من الخوف فى تفكير الحكومة فى الغائه اذا ظل بغير فائدة ترجى منه فينضب هذا المعين الذى يفيض عليه الرزق بغير حساب : لذلك خالج نفس فلبيدس باعث جدى ، لخلق ما يمكن أن يجعل لهذا المكتب قيمة لا تعادلها أية قيمة أخرى ، وهل هناك قيمة أكبر وأجل وأعظم من أن يكشف المكتب مؤامرة كان يراد بها اغتيال حياة أكبر الرجال فى مصر ·

***

تلفت فلبيدس يمنة ويسره فلم يلق أمامه بطبيعة الحال غير الحزب الوطنى ورجاله ظنا منه أنه يمكنه استغلال ما هو معروف عن ذلك الحزب من كراهية شديدة للاحتلال البريطانى ، ومن مناهضة له بكل الوسائل والطرق · وقام فى ذهن فلبيدس ان يلقى فى روع أولى الأمر أن وسائل الحزب لمناهضة الاحتلال البريطانى قد تغيرت وانقلبت الى حالة من الثورية والفدائية التى يخشى على مستقبل البلاد وعلى مستقبل العرش منها واقتنع أولو الأمر بذلك وسرعان ما توطدت دعائم سلطة فلبيدس واتسع سلطان نفوذه على ما قد رأت الأمة المصرية فيما بعد ·

« أراد فلبيدس أن يستخدم للدس والوشاية رجلا من الملتصقين بالحزب الوطنى فولى وجهه شطر « دار اللــواء » وأراد أن يستخدم لغرضــه محمد عبد السلام ، فلم يوفق فى اغوائه وتسخيره فى مهمة التجسس ثم ركن الى أحد رجاله وهو المدعو صالح شاكر الذى استطاع أن يؤثر فى شاب ضعيف الشخصية اسمه مصطفى كامل وهو شاب لا عمل له ، يحمل فقط اسم ، المغفور له مصطفى كامل باشا ، وبعد الحصول على مصطفى كامل هذا وبعد استغلاله أبرع استغلال ظهــرت « مؤامرة » شبرا التى ادعى أنهــا استهدفت اغتيال الخديو عباس حلمى الثانى واللورد كتشنر المعتمد البريطانى فى مصر

ومحمد سعيد باشا ناظر النظار ، ومحمد مجدى باشا ومستر دلبر أوغلى المستشارين بمحكمة الاستئناف ٠

***

والجدير بالذكر أن جورج فلبيدس قد ذكر فى شهادته أن المتهمين فى قضية مؤامرة شبرا « أمام واكد ومحمود العربى ومحمد عبد السلام قد أرادوا بايعاز من الحزب الوطنى قتل الخديو عباس حلمى الثانى لأن الحزب الوطنى يريد أن يضع مكان الخديو عباس حلمى ابنه الذى تربى على مبادىء الحزب الوطنى بواسطة والدته !! أما قتل رئيس الوزراء محمد سعيد باشا فلأنه عندما دخل الحكومة وقبل أن يكون ناظرا للنظار اتفق مع الحزب الوطنى على أن تتبع وزارته مبادىء الحزب الوطنى ولكنه أخل بالاتفاق عندما دخل الوزارة وباغتيال محمد سعيد باشا ـ كما قال جورج فلبيدس ـ يكون الحزب قد انتقم لنفسه من محمد سعيد باشا وأبعد عن الحزب تهمة التعصب ٠٠ أما هدف الحزب الوطنى من اغتيال كتشنر فهو اجبار الانجليز على التخفيف من سياستهم فى مصر » ٠

وفى مقدمة الوطنيين المصريين الذين لعبوا أدوارا خطيرة فى تاريخ الحركة القومية الوطنية المصرية ولم يعرف أحد شيئا عن هذه الأدوار الأستاذ عبد الوهاب البرعى : كان أقرب الشباب الى مصطفى كامل ومحمد فريد : حرر أكثر مواد العدد الذى خصصته مجلة المجلات عن حادث دنشواى واشرف على تحرير جريدة القطر المصرى ـ وبحيل شيطانية ـ عندما سجن صاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ أحمد حلمى بتهمة العيب فى الأسرة الحاكمة : هو الذى كتب سلسلة مقالات : « فلتسقط حكومة الفرد الواحد » أيام الخديو عباس حلمى الثانى ٠

***

وقد اشترك عبد الوهاب البرعى فى قيادة ثورة ١٩١٩ فى مديريتى الدقهلية والغربية ، وحكمت عليه احدى المحاكم العسكرية البريطانية بالاعدام فهرب فى مركب شراعى من المنصورة الى حلوان حيث ظل مختفيا الى أن هدأت الأحوال : كان فى مقدمة الذين هاجموا ـ سعد زغلول وهو فى عنفوان قوته ، وفى أوج مجده ، وكان آخر مقالاته فى الهجوم على سعد زغلول بعنوان : « اللهم انتقم »٠

وقد أودعتنى أسرة المرحوم عبد الوهاب البرعى فى ١٩٥٥/٣/١١ بعض الأوراق التاريخية الخاصة به ، أحتفظ بها فى مقدمة ما أحتفظ به من أشياء ثمينة : وجاء فى تلك الأوراق عن جورج فلبيدس :

« كان جورج فلبيدس قد أصبح مأمورا لضبط القاهرة ٠٠ كانت امرأته على درجة رائعة من الجمال ، كان يقطن بأعلى مبنى قسم الموسكى ٠٠ كان هارفى

باشا حكمدار العاصمة صديقا حميما لجورج فلبيدس ولزوجته : استطاع جورج أن يصبح مركز قوة لا مثيل له في مصر ، تحكم بما أوتي من سلطة لا بما أوتى من ذكاء في حركات كل الوزراء : لم يكن أحد منهم يستطيع أن يغادر منزله الا بعد أن يستأذن من جورج فلبيدس الذى يوهمه بأنه سوف يعد الحراس والمخبرين و .. و .. وبعد ذلك يسمح جورج فلبيدس للوزير بأن يغادر منزله ، وكذلك عند عودة أى وزير الى منزله لا بد من اخطار جورج فلبيدس حتى يختار له الطريق الآمن وحتى يتخذ كل الخطوات التى تضمن سلامته ، ويعلم الله أنه ما تحـرك من مكتبه ولا أمـر باتخاذ أى شيء ما ، ولما تضايق جورج فلبيدس من نشاط الأستاذ عبد الوهاب البرعي ، أمر بحبسه مع بعض المتطرفين فى فناء المدرسة الخديوية ووضع معهم نفرا من أذنابه للتجسس عليهم واسـتخلاص نواياهم وأعمالهم ولكن جورج فلبيدس لم يستطع أن يحصـل لهم ما يفيده هو شخصيا فأمر بنقلهم جميعا الى سجن طرة ، وأضاف عليهم بعض أذناب آخرين ولما يئست أسرة الأستاذ عبد الوهاب البرعي من الافراج عنه وخافت على صحته من أن تتدهور بسبب السجن الطويل ، لجأت الى السلاح الذى لم يكن لجورج فلبيدس أن ينكره ، ونعني به سلاح الرشوة : كان الوسيط عند جورج فلبيدس زوجته فهى التى تتفق على المبلغ ، وهى التى تتناوله وهى التى تحدد موعد الافراج عن المتهم و .. و .. ذهب عم الأستاذ عبد الوهاب البرعى الى زوجة جورج فلبيدس ومعه صديق له اسمه الدكتور ماجد وسلماها ٢٠٠ جنيه مصرى ، وسرعان ما اتصلت تليفونيا بزوجها الذى أصدر أمرا سريعا بنقل الأستاذ البرعى الى قسم الجمالية .

★★★

وفى قسم الجمالية – فى مقر وكيل الحكمدار – كان الأستاذ / عبد الوهاب البرعى طليقا من كل قيد : اللهم الا ان يبيت فى القسم وبغرفة وكيل الحكمدار واستطاع الأستاذ البرعى عن طريق وجوده فى مكتب وكيل الحكمدار ان يطلع على جميع التلغرافات التى كانت ترد اليه من جميع بلاد القطر المصرى لاعتقال أشخاص معينين بل واستطاع أن يعثر على الشـفرة ويقوم بحلها و .. و .. وقد نجح فى تنبيه بعض الأشخاص الذين كان يراد اعتقالهم ، الى ضرورة الهرب والاختفاء عن أعين البوليس وأراد جورج فلبيدس أن يبرر طلب الافراج عن الأستاذ عبد الوهاب البرعى فطلب منه أن يقدم تقريرا عن الحزب الوطنى وعن نشاطه ، فرفض فلما ضيق عليه فلبيدس الخناق كتب لهم تقريرا لا يمت الى الحقيقة بصلة ، وكان رحمه الله واسع الخيال ، تضمن تقريره وقائع لا أساس لها من الصحة ، ووضع فى تقريره العديد من الأسماء ذوى « النشاط المزعوم » ممن توفاهم الله أو ممن هم خارج القطر المصرى الذين لا يمكن أن يصل اليهم جورج فلبيدس وجماعته والغريب أن جورج فلبيدس أشر على هـــذا التقرير

بالكلمة التاليـة : هـذه حقائق تاريخية نعلمها والذى نريده شيئا عن الحالة الحاضرة » ولم يقبل عبد الوهاب البرعى أن يكتب حرفا آخر مصرا على أنه كتب كل الذى يعرفه واضطر جورج فلبيدس الى الافراج عن الأستاذ البرعى ..

★★★

ويمضى التقرير الوارد فى أوراق الأستاذ البرعى قائلا :

« لما كثرت غلطات جورج فلبيدس وانكشف أمره وزكمت الانوف الروائح القـذرة النتنة ، التى انبعثت من جـرائم الرشـاوى التى ارتكبها : ومن بينها الرشاوى ، التى كان يأخذها من عدد غير قليل من ضباط الشرطة نظير ترقيتهم أو تثبيتهم ، والتى كان يأخذها من كثير من المعتقلين السياسيين للافراج عنهم ، ومن المتجرين بالأعراض لاطلاق سراحهم ، بعد ذلك كله : تقدم كثير من المجرمين ومن المعتقلين السياسيين ببلاغات ضد جورج فلبيدس الى النيابة العامة طالبين التحقيق معه فى كل ما ارتكبه من جرائم » .

وتستجيب النيابة أخـيرا فتحقق من جورج فلبيدس ومع زوجته السيدة أسماء .

« وقد جاء فى قرار النيابة ــ جريدة الوطن الصادرة فى ١٩١٧/٦/١٨ ــ المتعلق باحالة فلبيدس وزوجته أسماء والذى كان يقوم بوظيفة « مراسلة » له واسمه محمد محمد حربى الى محكمة الجنايات بأنه أخذ من المرأة ــ هكذا فى نص القرار ــ اليفة بنت عبد الله ، رشوة قدرها ٣٠٠ جنيه لنفسه لأداء عمل من أعمال وظيفته وهو التوصية بالافراج عن ابراهيم الغربى المعتقل بالحلمية باعتبار أنه من « .... » .

ولا يطاوعنا قلمنا فى نشر الصفة ، التى الحقت بابراهيم الغربى ، أشهر شخصية فى شارع كلوت بك بالقاهرة فى فترة الحرب العالمية الأولى .

★★★

وفى أثناء المحاكمة ــ محاكمة جورج فلبيدس ــ شهدت اليفة بنت عبد الله التى قررت أنها دعيت الى قسم الجمالية وقابلت مساعد الحكمدار محمود محمد الذى قال لها : « أنتم ماتعرفوش الغربى الا وهو جوه وماتعرفهش وهو بره » أنا والله زعلت علشانه ، وقال لها مأمور شرطة عابدين محمد شكيب : الغربى اللى فلوسه سوست راح عين شمس ، انزلى واطلعى بمائتين جنيه » .

وانتهى الأمر بأن دفعت لفلبيدس مبلغ ٣٠٠ جنيه ولكن الحكمدار لم يوافق على الافراج عن المذكور فاضطر فلبيدس الى رد المبلغ الى صاحبته بعد أن أخذ منه عشرين جنيها . وكانت أسماء زوجته مشتركة معه فى هذه العملية .

واستمعت المحكمة ــ كما يقول الأستاذ محمد سيد كيلانى فى كتابه عن السلطان حسين كامل : « فترة مظلمة فى تاريخ مصر » .. الى شهادة ابراهيم الغربى ، فقال ان الشرطة اعتقلت ابنه أولا ثم طلب منه مأمور عابدين أن يدفع مبلغا من المال فلما امتنع هدده بالاعتقال وأخيرا اعتقله .

وقال محمود محمد مساعد الحكمدار فى شهادته : ان فلبيدس تكلم معه عن الغربى وقال انه رجل طيب وأنا أريد عمل طريقة لاخراجه وقال ان الست ــ يعنى زوجة فلبيدس ــ طلبت منى أن أتصل بأصدقاء الغربى ليدفعوا لها نقودا حتى يمكن أن يفرج عنه » .

وقال محمد شكيب : أن الغربى ، هو الذى ذهب اليه وعرض عليه رشوة ليحصل له على أمر بأن يعود الى ارتداء ملابس النساء والتزين بالحلى فوعده خيرا وقال انه سيكلم له محمود محمد فاذا لم تكن المسألة بأمر الحكمدار فهو يحصل له على المرغوب .. » .

***

والآن جورج فلبيدس نكل بشباب الحزب الوطنى ولفق التهم للأبرياء ، وطغى وبغى ، والحق الضرر والأذى بالعناصر الوطنية ، وبخاصة خلال الحرب العالمية الأولى اهتم الجمهور بمحاكمته فكان يتتبع ما ينشر فى الصحف من أنبائها ، وتزاحم الناس على حضور جلساتها تزاحما شديدا .

ولما صدر الحكم بحبس فلبيدس خمسة أعوام مع الشغل ، وحبس زوجته أسماء سنة ، صفق الجمهور وهتف من أعماق قلبه هتافا عاليا متواصلا بحياة العدالة وصاح فى وجه المتهم : الى الجحيم يا مجرم : الى السجن يا جورج ، وبصقوا فى وجهه واستمرت هذه الهتافات المدوية حتى قادته الشرطة الى السجن ، وكان يبكى بكاء مرا ، هو وزوجته وبناته ، ونظم الشعراء والزجالون القصائد الطويلة معربين عن فرحة الأمة بالقصاص العادل الذى وقع على هذا الطاغية . وكان من بين ما كتبه م.ب.ت « محمود بيرم التونسى » فى جريدة « الأفكار » فى ١٩١٧/٧/٣ :

داء أقام بجسم مصر طويلا
الله يأسو داءها ليزولا
يا قوم لا تخشوا وباء انه
يأتى خفيفا تارة ، وثقيلا
يا من تخص جسومنا بوقاية
أنسيت أخلاقا لنا وعقولا
كدنا نعد اذ الأكف تصافحت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تسلمها للارتشاء دليلا
يا رشوة شدت حبال خبائها
عرضا على ظهر البلاد وطولا
عشقتك ايدى الفاضلين وما شفت
رغم الرقيب من الوصال غليلا
والبعض عف عن النضار وانما
قد عف لما ان رآه قليلا
يا صاحب السجن الحصين جداره
اعزز على بأن ترى مغلولا
أى النساء دعت عليك فصادفت
دعواتها عند الاله قبولا
ما الارتشاء وظيفة رسمية
حتى تنيب لذاك عنك وكيلا
....
الى أن يقول بيرم التونسى :

★★★

لو أطلقوك أكلت أهراماتها
وشربت كى نروى الغليل النيلا

★★★

ويقول بيرم التونسى : فى قصيدة أخرى له فى جورج فلبيدس :
هذا اعتقلت وذا فككت
وان تشأ هذا تثبته وذاك ترشح
خمس وما خمس ، وخمس مثلها
شيئا وصفقتك الأصح الأربح
هذى الفضيحة فذة فى بابها
والله يستر من يشاء ويفضح

★★★

الى أن يقول بيرم التونسى :
ان كان فى الدنيا امرؤ بك شامت
أنا لا مراء الشامت المتبجح
أو يفرح اليوم الأنام ، فاننى
والله أول من يسر ، ويفرح

وقد قضت المحكمة التأديبية بفصل محمود محمد مساعد الحكمدار ومحمد شكيب مأمور قسم عابدين ·

وفى ١٩١٧/٧/١٩ صدر عفو سلطانى عن « أسماء » زوجة فلبيدس لأنها ـ كما جاء فى قرار العفو ـ مريضة وعلى وشك الوضع ·

ويلتقى جورج فلبيدس فى سجنه بالعشرات من ضحاياه ، ويعترف لهم وهو يبكى بكاء حارا بأنه ظلمهم ولا يتوقف يوما واحدا عن طلب الصفح منهم بل انه ليرسل خطابا الى أحد أقاربه ـ من السجن ـ يقول فيه ان فرائصى ارتعدت عند دخولى السجن لا رغبا ولا خوفا منه وانما لرؤيتى محمود أفندى طاهر العربى أحد المتهمين فى مؤامرة شبرا : لقد أحسن الى العربى كثيرا وأنا أتألم ألما شديدا لمسلكه منى ، ومسلكى منه لقد أسأت اليه اساءة كبرى بغير وجه حق » ويعترف جورج فلبيدس بأن مؤامرة شبرا كانت ملفقة تماما ·

وقد توفى جورج فلبيدس بعد خروجه من السجن فى عاليه ـ لبنان ·

ولكن لماذا جورج فلبيدس بالذات ·· ولماذا مكتب البوليس السياسى بالذات ·· سؤالان نحاول الاجابة عنهما فى الفصل التالى ·

الفصل الثامن

من فلبيدس إلى المكتب السياسى

. دولة « الشعر والزجل فى الحرب العالمية الأولى

ويبقى بعد ذلك الاستطراد الطويل سؤال هام وضرورى هو : هل يحمل الاهتمام بأمر جورج فلبيدس ، وقضيته ومصيره الذى تم فى الفصل السابق خروجا على الخط ، الذى وضعته لنفسى عندما رأيت أن أكتب تلك السلسلة أم أن هذا الاهتمام فى حد ذاته ــ يعتبر تعميقا لذلك الخط ؟

وأبادر فأقول اننى من المؤمنين بأن الاهتمــام بجورج فلبيدس ليس خروجا على الخط وانما هو تعميق لذلك الخط ·

فى رأيى انه كان لابد قبــل أن نتعمق فى الكتابة عن الفساد السياسى الذى استشرى بصورة غير طبيعية فى السنوات السابقة على ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ــ والى حد كبير ــ فى الحديث عن جذور الفساد السياسى فى مصر ·

كان لا بد من الاسهاب فى الحــديث عن مؤسسى « مدرســة البوليس السياسى » فى مصر أخطر مدارس الفساد السياسى فى مصر ·

كان لابد من الاسهاب فى الحديث عن أشهر نموذج للفساد السياسى أيام الاحتلال البريطانى ولدينا كثير من الناس يقولون ، ويكتبون أيضا بأنه كان فى مصر احتلال بريطانى ، ولكن لم يكن لدينا فساد أثناء الاحتلال البريطانى ، وقد أردت من الاسهاب فى الحديث عن جورج فلبيدس القول بأنه كان فى أثناء الاحتلال البريطانى أبشع وأشنع صور الفساد السياسى والأخلاقى والا فهل هناك صورة أبشع وأشنع من صورة رجــل الأمن العام ، رجــل المسئوليات السياسية الخطيرة جورج فلبيدس ؟

★★★

ثم كان لا بد من اعطاء نموذج للحاكم الظالم الدخيل على البلاد الذى لا يملك أية كفاءة ولا موهبة خاصة كل ما كان يملكه زوجة جميلة ، ويد طويلة وقدرة فائقة على الحصول على المال ، من أى طريق وبأية وسيلة ، هذا الحاكم الظالم الذى ظل سنوات وسنوات يتحكم فى أقدار البلاد : يعز من يشاء ويذل من يشاء يقبض على من يشاء ويفرج عمن يشاء . فى أى وقت يرغب ويشاء هذا الحاكم الظالم الذى تجمعت فى يديه القذرتين كل أسباب القوة ، والمنعة والسلطة سقط من أعلى الى أسفل بسبب بلاغ قدمته « اليفه بنت عبد الله » التى كانت تعمل فى شارع كلوت بك ، أثناء الحرب العالمية الأولى .

اخوة أعزاء من القراء . ومن الزملاء ، بعثوا الى ببعض الرسائل التى تتضمن تعليقات سريعة — ولكنها عميقة جدا — حول ما نشرته عن جورج فلبيدس — منشىء مدرسة الفســـاد السياسى ، البوليسى فى مصر — بعض هــؤلاء الاخوة اقترحوا ان أكتب قصة جورج فلبيدس ، للسينما فلن تجد — هكذا قال لى احدهم — قصة درامية مثيرة كقصة جورج فلبيدس ، الرجل ، الذى أبى القدر ألا ان يعاقبه بنفس السلاح الذى استخدمه لايذاء الآخرين ، والرجل ، الذى التقى وضحاياه فى السجن لمدة خمس سنوات طويلة ، عريضة . والبعض أشار بل أشاد بموقف اليفة بنت عبد الله ، السيدة ، التى ولدت فى الوحل ، وتربت فى الوحل ، وعاشت طيلة حياتها فى الوحل ، فلما قبض على الرجل — اذا جاز لنا استخدام هذا التعبير — الذى كان شريكا لها فى دنيا الوحل ، أبت عليها «رجولتها» الا أن تبذل قصارى جهدها ، للافــراج عنه : باعت كل ما تملك من مصوغات ، وغيرها ، ذهبت وهى الانسانة المهيضة الجناح التى لا عائل لها — الى حكمدار القاهرة — ومن يــكون وقتئذ حكمدار القــاهرة — لتساومه فى الافراج عن الغربى ولتدفع له ثلاثمائة جنيه — وهى وقت الحرب العالمية الأولى — ثروة ضخمة : تفعل أليفة بنت عبــد الله هذا كله فى الوقت الذى تخلى فيه كثيرون عن أقاربهم واصهارهم ، وأعز الناس لديهم عندما قبضت عليهم سلطات الحاكم العسكرى ، البريطانى ووجهت اليهم تهما سياسية ، لا تهما أخلاقية كتلك التى وجهت الى الغربى .

***

وبعض هؤلاء القراء الأعزاء ، أشاد أيضا بدولة الشعر ، التى كانت تواكب الأحداث صغيرها ، وكبيرها — وتبدى فيها آراءها — بالشعر — ان سلبا وان ايجابا .. وبعض هؤلاء القراء ، الأعزاء سألنى اذا كان جــورج فلبيدس يونانيا متمصرا فلماذا مات ودفن بعالية فى البنان ؟ وردى أن جورج فلبيدس ، كان متزوجا من أسرة كريمة جدا فى لبنان وبعد أن قضى المدة المحكوم بها عليه، انتقل الى لبنان وحصل على الجنسية السورية — حيث لم تكن هناك حينئذ جنسية

تعرف بالجنسية اللبنانية ـ وعاش هناك الى ان لقى وجه ربه فى نهاية عام ١٩٢٢ .

***

والذى أحب ان أقوله ردا ، على بعض تعليقات الاخوة الأصدقاء على القراء ، ومن الزملاء ان موقف اليفة بنت عبد الله ، موقف طبيعى عادي ليس بغريب ، على الاطلاق ، فان هؤلاء ، الذين ولدوا ، وعاشوا فى الرذيلة لم يخلقوا ، أبدا بلا عواطف وقد كتب أستاذنا مصطفى صادق الرافعى مرة ، عن واحدة من هؤلاء تحت عنوان : فى اللهب ولا تحترق وقد سبق للمارشال ويفيل ، الذى أرخ للورد اللنبى في مصر ، أحد مشاهير ، المندوبين الساميين البريطانيين فى مصر ـ ان أشار الى واحدة من هؤلاء ، كان اسمها « هانم عارف » وهو يتحدث عن ثورة ١٩١٩ ـ من وجهة نظره كبريطانى بل كبريطانى مستعمر ـ فيقول : ما ان اشتعلت مصر ، كلها بالثورة فى بضعة أيام : كان مظهرها الأول هجوما غير منظم على المواصلات فى كل أنحاء البلاد فقطعت خطوط السكك الحديدية وأحرقت المحطات وقطعت أسلاك البرق والتليفون وسرعان ما عزلت ، القاهرة ، عن بقية البلاد لم يكن عدد الضحايا من الأوربيين كبيرا ، وان قتل ثمانية من الانجليز فى ظروف بالغة الوحشية بينما كانوا مسافرين بالقطار من الأقصر الى القاهرة ، ولقد أعلنت يومها قصة هذه المأساة المحزنة ، أما قصة هانم عارف ـ وهى ساقطة من ملوى ـ فلم تعرف كما ينبغى وربما لا تخرج بذكرها هنا عن الموضوع ـ هكذا قال المارشال ويفيل : لما وصل القطار ملوى ، وكانت جثث القتلى من الانجليز مكومة فى احدى العربات قابلته ، فى المحطة جماهير ، فقدت وشدها وراحت تجر خارج العربية جثــة رجل منها كانت لا تزال به نسمة من الحياة ، مبالغة فى التمثيل به ، ولم يتحرك الشعور الانسانى الا فى قلب هانم عارف اذ أبكاها المنظر ، فحاولت ان تحمى بنفسها جثة الرجل لكنهــا ضربت ونحيت وأثر عملها الرحيم هذا فى نفوس الجالية البريطانية أعمق الأثر ففتحوا قائمة اكتتاب لها ، وفكروا أول الأمر فى اعطائها قطعة أرض الا انها احتفظت بمميزات طبقتها اذ فضلت الحلى واختارت ســوارين ، غليظين من الذهب ، وخاتما مهر باسمها ثم أعطوها سوارا ثالثا عليه كتابة مناسبة وما بقى من الاكتتاب أخذته نقدا ، وكان ما كتب على السوار كما يأتى : الى هانم عارف : هدية الاعتراف بجميل عطفها على جندى بريطانى يحتضر فى ١٨ مارس ١٩١٩ ان الله يثيب فاعل الخير ..

***

وقد يختلف البعض حول موقف هانم عارف ، الذى روى قصتها المارشال ويفيل : البعض قد يرى فى موقفها من الجندى البريطانى الجريح خروجا على

الوطنية الجارفة التي تفرض القضاء ، بأية صـــورة وبأى شكل ، على جنود الاحتلال ، وقـد يرى البعض أن موقف هانم عارف فيه عطف لا مبرر له على الانجليز الذين يحتلون أرضنا ويستعبدوننا ، ولكنى أرى أنه على أية حال موقف انسانى يتسم وحقوق الانسان بل ويطابق المعاهدات والمواثيق ، الدولية ، التى تحتم علاج ، الجرحى ، والأسرى ، من الأعداء حتى فى زمن الحرب .

وفيما يتعلق بدور الشعر ، فى تلك الفترة المظلمة من تاريخ مصر ـ سنوات الحرب العالمية الأولى ـ التى نعتبرها من أكثر سنوات التاريخ المصرى سوادا ، ان لم تكن أثرها بالفعل أقول : رغم شدة الرقابة ، وصرامة تعليمـات الحاكم العسكرى البريطانى ، ورغم ملء السجون والمعتقلات ، بمن يشتم ان له اتجاها وطنيا ما ، ورغم . ورغم ، فانه كان للشعر ـ وللزجل أيضا ـ دولة ذات صولة ، لها تأثيرها القوى ، الفعال على الجماهير .

ولعلى لا أتهم بالمبالغة ، اذا ما قلت اننى ـ وقد قرأت ما جادت به قرائح شعرائنا خلال ال ١٥٠ سـنة الماضية ـ لم أجـد شعرا سبق عصره بسنوات ، وسنوات ، الا ذلك الشعر ـ والزجل أيضا ـ الذى قيل فى أعوام ١٩١٥ ، ١٩١٦ ، ١٩١٧ ، ١٩١٨ .

★★★

ولقد سبق أن أشرت فى بعض المناسبات الى نماذج من ذلك الشعر ، والزجل أيضا . من تلك النماذج مثلا . قول بيرم التونسى فى جار له . فقير معدم ، لم يكن يملك قـوت يومه الى ان أنشـأ « فرن » فجمع من ذلك الفرن ثروة هائلة :

لى جار كنت أواسيه
من مالى دون الجيران
مأواه اذا ما الليل أتى
كوخ مصدوع الأركان
فى يوم جئت لأنظره
وأراه بقلب جذلان
فحزنت لأنى لم أره
ورجعت حليف الأشجان
ويئست من اللقيا حتى
موتى ، وتقضى عامان
وأنا أتولى البحث على
هذا المسكين الحيران
فتشت جميع مساجدنا

وسألت جميع العميان
حتى مرت بى مركبة
فيها يختال جوادان
ظلت تجرى حتى وقفت
قدام فخيم البنيان
بصروا بالخيل وقد وقفت
فتقدم منهم عبدان
أخذا بذراعى راكبها
فاذا بالجار الجوعان
فبهت لأمر فاجأنى
ما كان يدور بحسبان
هذا جارى صار أميرا
أو من أرباب التيجان

★★★

ويقول بيرم انه سأل عن هذا الملك غير المتوج ·· واحد ممن سألهم استنكر سؤاله وكاد أحدهم يضربه بهراوته لأنه لم يعرف من يسأل عنه ثم يقول:

لكن قد جئت أسائلكم
عن صاحب هذا الايوان
فأجاب كبيرهمو : هذا
يدعى بفلان الفران

ويقول أحمد محرم فى رسالة : « الى الأغنياء » :

هززت اليراع فثار الأدب
ورمت القريض فشب اللهب
حلفت بشعث خماص البطون
عداها من القوت ما ترتقب
تريد الكلام فتعيا الشفاه
وتبغى القيام فتهوى الركب

★★★

الى ان يقول أحمد محرم ، بعد ما قال ما لا أستحب نقله ، لما فيه من عنف شديد :

ألم تر للدهر فى حكمه ،
وكيف استحال بنا وانقلب

ألحت علينا تصاريفه
فما نستفيق وما نثب
تصدت لنا فى معين الحياة
فما برح العيش حتى نضب
بنى مصر ، أن ثراء الشعوب
فقار ، لجسمانها أو عصب
جريتم الى الفقر فى حلبة
ركبتم بها الغى فيمن ركب
فما برح المال حتى خوى
وما برح الخير حتى ذهب
أيشكو الفتى فراغ اليدين
ويمضى الفقير شهيد السغب
فويح الطيالس والمركبات
وويح القصور وويح الرتب
أغيثوا البلاد فان البلاد
ويمضى الفقير شهيد السغب
جلبتم عليها هوان الحياة ،
ويسأل جاهلكم ما السبب

ثم يقول :

تذوب قوى مصر من تحتها
كما ذاب دمعى لها فانسكب
فما ترفع الرأس الا التوى
ولا تراب العظم الا انشعب
فكل الى فمه قد هوى ،
وكل على وجهه قد أكب
بنى مصر ، هذا دعاء النذير ،
فاما النجاة ، واما العطب
بنى مصر ، اما ردى عاجل
واما حياة تزيد الكرب
أناشدكم وطنا ما درى ،
أأنتم شهود به أم غيب ؟

ثم يتساءل أحمد محرم :

وكيف تجف ضروع الحياة

وفى يدكم درها المحتلب
ومن للعزيز اذا ما أهين
ومن للكريم اذا ما نكب
ومن للفقير عناه الطوى ،
فبات وامعاؤه تصطخب
ضننتم عليه بنذر العطاء
ولم تعرفوا حقه اذ وجب •
يفيض النضار على السالبين
فيا للسليب ، ويا للسلب

***

أكف تدر على الأبعدين
ويلوى بها الشح عن ذى النسب
أما راعكم من يبيع البنين
بسوق المهانة بيع الجلب
يبيع البنين ليشرى الرغيف
فيا للرجال ، ويا للعجب
جنود من الفقر تغزو النفوس
وأنتم أسنتها والقصب
الا من يرق ، الا من يلين ؟
الا من يواسى ، الا من يطب ؟
الا من يزيح شفاء العديم ؟
الا من يزيح حياة التعب ؟

***

ويقول مصطفى صادق الرافعى وهو يصف مصر فى أثناء الحرب :
فر منه الدينار رعبا وأمسى
حين يمشى يمشى بغير أمان
وغدت عقدة الدراهم فى الثو
ب ، كعقدة ، الفصوص فى التيجان •
ورأت لفظة الفقير زمانا ،
صار فيه الفقير تبر المعانى
ضاقت الحال ، أعوز المال ، أمسى
فلك الرزق خافت الدوران

وغدا الشغل .. كله شغل عزر يـ
ـل وشغل المشاة والفرسان
وعجيب ان يكسد القطن جدا
حين راجت تجارة الاكفان
أين عين الدينار ؟ كم شغف النا
س ، هواها لا أعين الغزلان

★★★

الى أن يقول مصطفى صادق الرافعى :

رب أنا فى عرس هذى المنايا
قد شبعنا من طبخ هذا الزمان
رب هل تمت الوليمة أم ما
زال فيها لون من الألوان
كم آب حوله البنون صغارا
يعانون شدة ، ويعانى
غاية العز ، عندهم طلعة الخبـ
ـز وكل الأفراح فى الأفران
عضه الجوع عضة ضغمته
فتلوى تلوى الثعبـان

★★★

ويقول عبد الرحمن سالم يحرض الفقراء ، على الأغنياء :

برح اليوم بالظهور الخفاء
فكلوا الأغنياء يا فقراء
دخل البؤس بالشقاء علينا
اذ سكتنا ، وخافه الباساء
امضغوا وعلقوا الاثم فى جيـ
ـدى فهم بانتحارنا الاثماء
وابلعوهم وكلهم مستعد
لابتلاع الأحجار لولا الحياء
واميتوا عواطف اللين ان لا
نوا فلماذا أفادنا الاحياء
ودعونى لمن عصاكم فانى الـ
ـكفء والظن انكم آكفاء
واخطفوهم برا وكغواصة البحـ
ـر ففى البر ، والبحر البلاء

ومرة أخرى يقول بيرم مخاطبا الفقير المسكين :

أيهذا الفقير كن جليدا
راضيا بالقضاء والقدر
لك ثوب يميت لابسه
واهن لا يخاط بالابر
فتنفس اذا بكيت عسى
تصطلى من نار مستعر
كان يكسوك اغنياؤك لو
كنت فى عرفهم من البشر
فدواب الغنى رافلة
فى كريم الدمقس والحبر
أنت للقاصفات مستمع
وهو يصغى لرنة الوتر
فاخر الخز ليس يقنعه
فاقتنع بالتراب والمدر
وهو ان يفترش اريكته
فالتحف أنت هاطل المطر

★★★

وبعد تلك النماذج السريعة ، التى اخترناها من بين عشرات القصائد ، التى امتلأت بها صحف مصر فى الفترة من ١٩١٤ حتى ١٩١٨ انتقل الى بقية قصة المكتب السياسى الذى انشأه جورج فلبيدس والمعروف أنه ما من قضية سياسية فى مصر خلال الفترة من ١٩١٢ حتى ١٩١٧ الا وكان لجورج فلبيدس يد فى « فبركتها » والمعروف أيضا أنه ما من قضية سياسية فى الفترة من ١٩١٧ حتى ١٩٥٢ الا وكان للمكتب السياسى تأثير قوى فيها : عند نظر قضية القنابل ، أيام اسماعيل صدقى باشا كتب المصور فى عدده الصادر فى ٩ سبتمبر ١٩٣٢ يقول : لا تنظر المحاكم المصرية فى قضية من القضايا السياسية الا ويشتد اهتمام الناس بالمكتب السياسى ، لما له دائما من صلة وثيقة بهذه القضايا ، وقد شاهدنا أخيرا ما كان لهذه القضايا ، وقد شاهدنا أخيرا ما كان لهذا المكتب من نصيب وافر فى قضية القنابل حتى لم تخل جلسة ما من ذكره وذكر رجاله ويرأس هذا المكتب ومقره فى دار المحافظة بباب الخلق القائمقام سليم زكى بك وهو أول رئيس له فان أعمال المكتب السياسى ، كانت منوطة من قبل بادارة الضبط والربط ، التى كان يرأسها المرحوم جورج فلبيدس فلما أنشىء المكتب السياسى أسندت رئاسته الى سليم زكى بك ، وقد انتظم فى سلك البوليس من سنين طويلة فامتاز بنشاطه وذكائه وهو الآن برتبة قائمقام وقتى ويشهد له خصومه

بالذكاء وان كانوا يحملون عليه حملة شعواء وقد اشترك فى الحرب العظمى ، وأسدى الى القيادة العامة الانجليزية خدمات كثيرة ، جعلت له مكانة خاصة عند الانجليز ، وليس هذا سرا خفيا .

***

ووكيل المكتب هو الصاغ أحمد أفندى حمدى ، ويليه اليوزباشى أحمد أفندى طلعت واليوزباشى أحمد أفندى الطاهر ، والملازم أول محمد أفندى يوسف ، والملازم الثانى محمود طلعت أفندى وللمكتب السياسى — الى جانب مهامه الأخرى — مهام شتى أهمها مراقبة أقطاب الأحزاب المعارضة للحكومة وكبار رجالها البارزين ، وتسقط أخبار هذه الأحزاب ومعرفة ما يدور فى اجتماعاتها ، وموافاة ادارة الأمن العام بتقارير يومية عما يتصل به من معلومات واخبار فى هذا الصدد ، ويراقب هذا المكتب أيضا الحركة الشيوعية فى البلاد ويوافى وزارة الداخلية بأسماء الأشخاص الذين لا يرغب فى دخولهم مصر كما يوافيها بأسماء الأشخاص الذين يرى وجوب أبعادهم وعنده صور فوتوغرافية لكل منهم ، فعندما تتولى وزارة الداخلية هذه التقارير تحولها الى المكتب الشيوعى وهو فى وزارة الداخلية نفسها فاذا كتب أحد القناصل المصريين الى الحكومة المصرية بطلب الترخيص لأجنبى غير معروف بدخول مصر تراجع الوزارة اسمه بواسطة هذا المكتب فيرجع الى تقارير المكتب السياسى فاذا وجد اسمه بين الأسماء ، غير المرغوب فيهم أشار بعدم اعطائه التصريح ، الذى يطلبه . ومهام المكتب السياسى لاتتعدى العاصمة ولكن لرئيسه أن يتصل بهيئة البوليس السرى ، فى محافظة الاسكندرية مثلا اذا كان هناك ما يدعو لهذا الاتصال . والمكتب السياسى له علاقة مباشرة بوزير الداخلية والى جانب هذين المكتبين يقوم مكتب ثالث فى دار المحافظة وهو المكتب الذى يرأسه البكباشى اليز ، ومهمته حراسة دولة رئيس الوزراء والوزراء ، ودورهم ، وهو الذى يتولى أيضا حراسة كبار الزائرين الذين يفدون الى مصر ... و ... و ...

***

والجدير بالذكر أن رئيس المكتب السياسى سليم زكى كان هدفا لأكثر من اغتيال وكان من أشهر القضايا التى عرفتها مصر ، أيام دكتاتورية اسماعيل صدقى قضايا محاولة اغتيال شيخ الجامع الأزهر الاستاذ الأكبر الشيخ الظواهرى الأحمدى والقائمقام سليم زكى بك وقضيتا حريق الترسانة ونهب احدى حانات بولاق أثناء اضطرابات عمال العنابر وقد نظرت محكمة جنايات مصر برئاسة محمد بك نور وعضوية محمد نجيب سالم بك ، وابراهيم بك ثروت القضايا الثلاث معا وأصدرت فيها حكمها — ديسمبر ١٩٣٢ — مرة واحدة وقضت المحكمة بالحكم على حافظ على حسين وسلامة سيد أحمد سليم بالسجن خمس سنوات

ومعاقبة سيد عبد الخالق بالسجن ثلاث سنوات وكانت التهمة الاتفاق الجنائى على اغتيال شيخ الجامع الأزهر ، ورئيس البوليس السياسى وقد برأت المحكمة الاستاذ عبد القادر أفندى مختار ـ مدير الشرقية سابقا .

وعلى أية حال فاذا كان جورج فلبيدس فى الحرب العالمية الأولى لم يستطع هو ولا مكتبه كبح جماح الشعب الثائر ، فان المكتب السياسى بقيادة سليم زكى لم ينجح بدوره فى الثلاثينات فى كبح جماح الشعب الثائر فما من قوة تستطيع مقاومة ثورة الشعب اذا قامت على أسس سليمة .

***

وقبل أن ننتقل الى ثورة الشباب فى الثلاثينات أنشر ردا جاءنى من اللواء ممدوح سليم زكى دفاعا عن والده وكان قد تفضل بزيارتى عاتبا لما نشرته عن والده ، وكررت له ماسبق أن ذكرته فيما مضى من حلقات، من اننى عندما أعددت نفسى للقيام بتلك المهمة الجليلة ، مهمة محاولة اعادة كتابة تاريخ مصر قد جردت نفسى تماما من أى هوى شخصى وحاولت أن أجعل من نفسى قاضيا عادلا ، لا يكتب الا ما يعتقد انه الحق ويكون أسعد الناس عندما يكتب واقعة ضد أحد من الناس ثم تظهر أدلة تنفى تلك الواقعة وقلت للواء ممدوح : أنا لا أعرف اللواء سليم زكى باشا ، معرفة شخصية وربما كان عدد المرات التى رأيته فيها لا يتجاوز ثلاث أو أربع مرات فى بعض المظاهرات والاجتماعات الهامة وأنا لم أقل أبدا على لسانى أنه أسدى خدمات جليلة ، للاحتلال : كل الذى حدث أننى وأنا أكتب عن المكتب السياسى الذى أنشأه جورج فلبيدس نقلت عن « المصور » بعض ما نشره عن هذا المكتب وعن المرحوم سليم زكى باشا دون أن أعقب بكلمة واحدة من عندى وأحضرت عدد « المصور » الصادر فى ٩ سبتمبر ١٩٣٢ وأطلعت اللواء ممدوح سليم زكى على ما نشره المصور عن المكتب السياسى وعن القائمقام سليم زكى بك وأكدت له أننى لم أفعل الا اننى نقلت وبالنص ما جاء بالمصور الصـادر فى ٩ سبتمبر ١٩٣٢ ومبالغة منى فى الحرص على الحقيقة راجعت الأعداد ، التى صدرت بعد ذلك التاريخ لعلى أجد تكذيبا ، أو تعقيبا من القائمقام سليم زكى بك لما نشره « المصـور » فلم أجد تعقيبا ، أو تكذيبا . وفيما يلى الخطاب الذى دفع به الى اللواء ممدوح سليم زكى :

***

السيد الأستاذ / صبرى أبو المجد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ، لم يكن غريبا على أن يذكر أسم والدى فى عهد ما قبل الثورة ولم نكن نحن أبناءه نأبه بما يقال أو يتردد حول ما كان يأتيه رجال البوليس السياسى من تصرفات حيال المواطنين فى ذلك العهد وقد زادت هذه الأقاويل لسببين أحدهما أن والدى توفى الى رحمة الله شهيدا أثناء قيامه بتأدية واجبه الذى

تفرضه عليه مقتضيات الوظيفة والسبب الثانى انه لا يمكن لأحد أن يرد على تلك الأقاويل التى كانت تثار من تعذيب أو تلفيق الا هو رحمه الله أو من كان يعمل معه ـ كما لم ترفع قضايا ضده من مجنى عليهم فى تلك الفترة تؤيد هذه الأقاويل ٠

كل ذلك كان يسيرا علينا الا أن الذى أثر فى نفسى واخوتى هو ما قرأته فى مجلة المصور فى العدد ٢٧٨٩ الصادر بتاريخ ١٩٧٨/٣/٢٤ والذى نشرت فيه صورة والدى وأعلاها كلمة « سليم زكى باشا أسدى خدمات جليلة للاحتلال » فبدأت أقرأ التاريخ القديم المدون فلم أجد أى شىء يمكن أن تستخلص منه هذه العبارة الجارحة التى أثارت نفوسنا نحن أبناءه ـ وأرجو أن تعلم سيادتكم أن ما قام به والدى لخدمة بلده بصفته ضابطا فى الشرطة وهى الجهاز التنفيذى فى الدولة لم يكن الا تنفيذا لتعليمات وأوامر رؤسائه فى جهاز الشرطة وعلى رأسه وزير الداخلية فى ذلك العهد ثم رئيس الوزراء ٠

وقد ورد أيضا انه اشترك فى الحرب العالمية الأولى ويهمنى أن أوضح لسيادتكم الحقيقة وهى انه عين عند تخرجه للعمل فى بور سعيد وكانت الحرب العالمية الأولى قد اندلعت فكلف من رؤسائه بالقيام بالمرور على قناة السويس مع جنود الاحتلال وتمكنت القوات التركية من خطفه وقوة جنود الاحتلال وأمضى فى الأسر حوالى خمس سنوات فى تركيا ولم يشترك فى الحرب كما نشر فى المصور ـ وكان ما قام به من عمل تنفيذا لأمر رؤسائه فى الشرطة وكان ما وقع له يجوز وقوعه من أى ضابط شرطة يكلف بهذا العمل الذى لا يملك الا الطاعة وتنفيذ ما يصدر اليه من أوامر ٠

★★★

وأود أن أضيف أيضا ان والدى استشهد فى عام ١٩٤٨ أثناء اضراب العاملين بكلية طب قصر العينى حيث ألقيت قنبلة من أعلى المبنى على القوات وشاء القدر أن تستقر القنبلة تحت قدميه ثم تنفجر لتودى بحياته ولم يصب أحد آخر غيره لانه فى ذلك اليوم كان مريضا ورغم ذلك تحامل على نفسه وخرج ملبيا نداء الواجب الذى تفرضه عليه مقتضيات الوظيفة فارتدى معطفا ثقيلا كان ستارا منع الشظايا عن باقى زملائه الذين كانوا بجواره ٠

★★★

كما أرجو أن تعلم سيادتكم انه لو كان قد خدم المحتل فترة عمله فى الشرطة فقد استشهد ولا يملك الا مرتبه وكان المرحوم محمود فهمى النقراشى باشا رئيسا للوزراء فى هذه الفترة ـ « ومعروف عنه وطنيته حيث حكم عليه بالاعدام فى الحركة الوطنية » فكرمت الدولة المرحوم والدى بأن صرفت لأسرته

عشرة آلاف جنيه مكافأة وأمرت بتعليمنا مجانا فى جميع مراحل التعليم وصرف معاش استثنائى وتخصيص مدفن له ونحمد الله اننا لم نشعر بأى معاناة بعد وفاته ولسيادتك أن ترجع الى نصب شهداء الشرطة بكلية الشرطة لتجد اسمه بين أسماء شهداء الشرطة ثم أرجو ان لم يكن ذلك مقنعا وكافيا للتدليل على اخلاصه ووفائه لخدمة بلده أن تراجع عـدد مجلة المصور الذى صدر بعـد استشهاده لتجد انها أفاضت فى ذكر محاسنه عملا بقول الرسول عليه الصلاة والسلام ـ « اذكروا محاسن موتاكم » ـ فكان على سيادتكم أن تذكروا أيضا ما له وما عليه حتى لا تسيئوا اليه رحمه الله وتجرحوا مشاعر ذويه بين حين وآخر وتسببوا لهم المتاعب النفسية التى لا يمكن وصفها الا لمن يعانيها .

ولمـا كنت سـيادتك تسـجل تاريخ أمة وليس تاريخ شـخص لذلك فاننى أردت أن أصحح وأوضح الحقيقة للتاريخ اذ ان المرحوم والدى كان كأى موظف فى الدولة فى تلك الفترة وكان بحكم عمله فى الجهاز التنفيذى الذى يلتزم بالحياد الوظيفى فاذا كانت رؤيتكم لما قام به من واجبات وظيفته كانت خدمة للاحتلال فان ذلك ينسحب على جميع العاملين فى الدولة حينذاك وهو ما لا يمكن التسليم به خصوصا فى مجال العمل فى الهيئات النظامية التى تلتزم بتنفيذ ما تكلف به من أعمال .

أخيرا فاننى أهيب بأى من السادة الضباط الذين عملوا مع المرحوم والدى أن يقولوا كلمة حق فى هذا المقام وللسيد كاتب المقال أن يقول أيضا كلمة حق سمعتها منه عند زيارتى له وهى على نقيض ما نشر عن حادثة كوبرى عباس وما ذكرته لى من انه لم يستشهد أحد من الطلبة وان سيادتك كنت حينذاك طالبا منهم فأرجو توضيحها لانها من أحد الأمور التى نسبت للمرحوم والدى .

وبرا بوعدكم لى أرجو أن تنشر هذه الرسالة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عن أبنائه

ممدوح سليم زكى

وقد بررت بوعدى فنشرت رسالة اللواء ممدوح سليم زكى وأؤكد له اننى سعدت برسالته سعادة بالغة اذ أنها نجحت فى كشف صفحات طيبة عن الراحل الكريم لم تكن ستنشر لو لم أنقل العبارات اياها عن « المصـور » أما ما قلته أن أحدا لم يقتـل أو يمت فى حادث كوبرى عبـاس (١٩٤٦) فلازلت عند ما قلته وعند ما « نصل الى عام ١٩٤٦ سأروى ما عرفته كشاهد وكمشارك فى ذلك الحدث الهام .

وننتقل بعد كل ذلك الى الحديث عن ثورة الشباب .



الباب الرابع



الفصـــل الأول

مقدمات ثورة ١٩٣٥

● ونحن نشير ـ مجرد اشارة ـ الى حركات الشباب المصرى ، التى قامت من أجل مقاومة طغيان اسماعيل صدقى ومن تبعه فى نظامه الدكتاتورى ، وبسبب هذا الطغيان : نشير ـ مجرد اشارة أيضا ـ الى القضية التى اتهم فيها الأساتذة أحمد حسين : وفتحى رضوان وحافظ محمود : لأن الأول ـ أحمد حسين ـ نشر مقالا تحت عنوان : « يا شباب ١٩٣٣ كن كشباب عام ١٩١٩ » ندد فيه بشباب الجيل ، وانكبابه على الملذات والشهوات ، وفقدان عناصر الرجولة ، والكرامة ، والغيرة القومية كما هاجم أحمد حسين فى مقاله هذا دور السينما واللهو ، ومظاهر التخنث ، والاسراف فى العبث . وقد دعا أحمد حسين شباب مصر ، قاطبة أن يتشبه بشـــباب ١٩١٩ ، « الذين كانوا مثـالا للبسالة والرجولة والتضحية والذين جابهوا رصاص الأعداء وتسربلوا بدمائهم ولم يكن لهم من صيحة الا « نموت فداءك يا مصر » .

★★★

وقد اتخذت الوزارة ، القائمة بالحـكم وقتئذ ، نشر هذا المقـال ذريعة للتنكيل بأعضاء جمعية مصر الفتاة وهم وقتئذ بالمئـــات كما أمرت الحـكومة بتفتيش منازل زعماء الجمعية ومصادرة جميع أوراقهم ودوسيهات الجمعية و٠٠و٠٠ وبالغت الحـكومة فى اضطهاد الطلاب منهم حيث اتخذت ضـدهم الكثير من الاجراءات القاسية العنيفة من بينها ـ مثلا ـ عمل فيش وتشبيه « صحيفة سوابق » لكل منهم .

وكانت مرافعة الأستاذ أحمد حسين عن نفسه فى تلك القضية ـ أو كان كلامه عن نفسه فى تلك القضية ولا نقول دفاعه ، لأنه رفض الدفاع عن نفسه ـ شيئا جديدا فى دنيا المحاكمات السياسية فى مصر ، وان كان له سوابق فى

بعض البلدان الآسيوية والأوربية · مما قاله الأستاذ أحمد حسين : وهو يخاطب المستشارين : لا دفاع لى لسببين : الأول : هو اننا فى هذه الحياة لا نملك لأنفسنا ضرا . ولا نفعا ، فالله الذى خلقنا هو الذى يمنح كلا منا نصيبه وما يستحقه ، ان خيرا وان شرا وهو الذى يدبر أعمالنا ، ويسوى نتائجها ، وهو القائل فى كتابه العزيز : « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا ، وعلى الله فليتوكل المتوكلون » · فحكمكم يا حضرات المستشارين أيا كان لونه سواء كان بالبراءة أو بالادانة : سواء أكان بالسجن أم بالغرامة فهو حكم يقربنى من غايتى ألا وهى ايقاظ المصريين واعادة الروح اليهم ، واذن فانى فى انتظار حكمكم . وصدقونى اننى أشكر الله عليه مهما تكن نتائجه ، ولن أغضب عليكم أو أشكو منكم لانى مؤمن كذلك أنكم مسخرون لتنفيذ مشيئة الله ، وهذا هو ما يحدو بى الى الامتناع عن سوق أى دفاع ، والله هو المحامى الأول والأخير وسيقضى على لسانكم بما يريد ويشاء : أما الدافع الثانى الذى يجعلنى أمتنع عن ابداء أى دفاع فهو أنى لا أريد أن أشترك فى هذه المهزلة التى يحاولون بها الباس الظلم لباس الحق والقانون ، وكل ما يستطيعه الانجليز الذين يطاردوننا فى كل مكان بواسطة صنائعهم ، من المصريين : هو أن يقتلونا وأن يسجنونا ، وأن يعاقبونا ، ولكن ستظل أعمالهم وأعمال الظالمين فى كل عصر ، وزمان ، أعمالا غير مشروعة تصيح بها السموات والأرض ، انها ظلم وجريمة كبرى ، ومهمة الأحرار فى كل زمان ومكان أن يصرخوا فى وجه الظالمين والخائنين والمستعمرين ان ما يفعلوه ليس الا الجريمة بعينها مهما أسبغوا عليه من أشكال القوانين » ·

***

ويختتم الأستاذ أحمد حسين ، دفاعه ـ أو كلمته أمام قضاته ـ بقوله : اننى لا أعترف بحق الحكومة فى وضع قوانين لخدمة المستعمر ، لا أعترف بأننى ارتكبت جرما فى حق المجتمع فلست اليوم متهما ولذلك فانى لا أدافع عن نفسى بل أدعوكم الى مثل هذا الذى أحاكم عليه : أدعوكم وأنتم أعلى هيئة فى مصر ، أن تهيبوا بهذه الأمة التعسة أن توحد صفوفها ضد العدو المشترك وأن تراجع قضاياها وأن تتناسى أحقادها وأن يتعفف أبناؤها عن خيانتها من أجل المنصب والذهب ، أدعوكم أن تهيبوا بالشبان أن يدعوا هذا التخنث وهذا الجبن وأن يملأوا أنفسهم رجولة وجرأة ، وشجاعة ، فان مصر ، فى حاجة الى جيش عظيم من الأقوياء الأطهار لا من المخنثين المدنسين : أدعوكم أن تهيبوا بالأمة أن تستيقظ وأن تنفض عنها غبار الخمول ، فان ساعة الكفاح قد دنت ، وناقوس التضحية قد أذن فعلى بركة الله والله يوفقنا ، ويرعانا والله أكبر ·· » ·

***

ومما هو جدير بالذكر أيضا ـ والكلام عن أحمد حسين ، وجمعية مصر الفتاة ـ ان الأستاذ أحمد حسين توجه فى ٢٠ يونيو ١٩٣٤ الى الاسكندرية لالقاء محاضرة موضوعها « مصر منذ أقدم العصور » فى دار جريدة الصرخة ، وحاصر البوليس دار الجريدة ، وعندما دخل الأستاذ المحاضر دار الجريدة ، انهال البوليس ، عليه وعلى أنصاره ، وعلى الحاضرين بالضرب بالعصى وقد قرر الطبيب الشرعى ، أن بالأستاذ أحمد حسين عشر اصابات نشأت جميعا من ضربات العصى، ومع ذلك قدم الأستاذ أحمد حسين وزميله حسنى ناجى الى المحاكمة بتهمة الاعتداء على البوليس والتجمهر . كما قدم للمحاكمة أيضا ـ وبنفس التهمة : رأفت زكى ، وعلى عبد الواحد ، وعبد المعطى خلاف ـ من أعضاء جمعية مصر الفتاة ـ وكان مما قاله الأستاذ أحمد حسين أمام محكمة جنح الاسكندرية حيث نظرت القضية : لقد اعتدى علينا ، لقد نكل بنا ، لقد منعنا من الدخول الى دارنا وها نحن نقف أمام المحكمة كمعتدين وكمتظاهرين وان كنا نأسف على شىء فهو أسفنا على هذه المأساة الخلقية التى تدهورنا اليها والتى تجعل المصرى يقف خصما لأخيه المصرى كما تجعل المصرى ينكل بأخيه المصرى مع أنه يعلم أن هذا المصرى ، انما يكافح من أجل حريته وحرية وطنهما ، المشترك من أجل استقلالهما المنشود » .

***

ويقول الأستاذ أحمد حسين ، وهو يخاطب قاضيه : لا ترهق نفسك بكل المرافعة الماضية ، والنصل الى النهاية ، النهاية : اننى وحسنى ناجى وباقى الزملاء ، قد ألفنا مظاهرة واعتدينا على البوليس ليكن : لسنا نشكو مطلقا ، ولسنا نتبرم من شىء ، وتستطيع أن ترسل بنا الى السجن ، وأنت مطمئن الى أننا لا نشكو أيضا واننا لن نحمل لك بعدها الا الاحترام والتقدير ، بل والحب أيضا .. وقبل أن أنهى حديثى : أرجوك ! أرجوك رجاء خاصا من كل قلبى ، أنك اذا رأيت أن الادانة ثابتة أن تعتبرنى أنا المسئول الوحيد ، وأن تنزل على أنا وحدى أقصى ما تستطيع من العقاب وأن تخفف عن الباقين » ويحكم القاضى على أحمد حسين بغرامة عشرة جنيهات الثبوت تهمة التظاهر ويبرئه من تهمة الاعتداء على البوليس ويحكم على حسنى ناجى ب ١٢ جنيها لثبوت تهمتى التظاهر والاعتداء على البوليس ، ويحكم على الباقين من المتهمين بغرامات تتراوح بين جنيه وجنيهين وفى الاستئناف ، يحكم ببراءة الجميع !!

***

وفى مقدمة الذين دخلوا السجن من أعضاء جمعية مصر الفتاة خلال الفترة من أكتوبر ١٩٣٣ الى أكتوبر ١٩٣٤ أحمد حسين ، فتحى رضوان ، حافظ محمود ، أحمد الشيمى ، محمود حجاج ، محمد صبيح ، عبد الحميد المشهدى ،

حسنى ناجى الشماشرجى ، حمدى الجريسى ، راتب زكى ، على عبد الواحد ، محمود خلاف ، مصطفى عارف ، يوسف نشأت ، على مراد ، شاكر عبد الوهاب، سيد خليل ، عبد العزيز حنفى ، عز الدين عبد القادر مصطفى الجندى ، محمود محمود نديم ، محمود هدهد ، ملاك منصور ، السيد عطية ، السيد سليم ، عبد اللطيف سالم ، مكى مدنى ، عبد الله كامل عيد ، عبد الرحمن الصوالحى ، محمد راشد ، أنور حنفى ، زكريا راتب ، حسين الارناءوطى ، مصطفى كامل ، على سالم ، محمد عبد الكريم ، محمد عبد الباقى سرور ، محمد عبد الكريم يوسف ، محمد عبد المنعم نزار ، محمد ابراهيم الحنفى ، محمد عبد الجواد خضير ، أمين محمد طبرة ، محمد محمد على ، سالم سيد عثمان ، محمد على رضوان ، عبد المنعم عبد الرحمن ، محمد سعودى ، جمال الدين ناصر ، محمد مصطفى عبد الرحمن بنيس .

***

وأستأذن القارىء فى أن أنقل سطورا من المذكرات الخطية التى أودعها لدى الحاج أحمد رمضان زيان – شيخ فدائيى الاسكندرية ، عن مصر الفتاة بالاسكندرية : يقول الحاج رمضان وجدنا – جمعيتنا السرية التضامن الأخوى – ان أحمد حسين ، وفتحى رضوان والشهدى وحسين رمزى الارناءوطى وغيرهم وغيرهم كانوا على رأس جمعية مصر الفتاة التى تصدر جريدة الصرخة ، ورأت الجمعية أن تستعين بهم فى أغراضها : أجمعت اللجنة التأسيسية بالاسكندرية وقررت مساعدتها بكافة الوسائل ، اذ ان جمعية مصر الفتاة ، كانت دعايتها ظاهرة وعلنية فأرادت جمعيتنا أن توجه أعضاء مصر الفتاة الى التمرينات والتدريبات العسكرية ولما كنت أملك بعض مساحات من الأرض بسيدى بشر قبلى السكة الحديد فقد عملت على انشاء معسكر على مساحة حوالى الثلاثة آلاف ذراع مربع أحطناها بالأسلاك الشائكة ، كما أوجدنا بها أهدافا من البناء لتكون هدفا للرماية وأنشأنا مسجدا صغيرا ، وفرشناه بالحصر ، يقيم الأعضاء الصلوات فيه بعد اعلان الأذان فى كل وقت ، وقد أصبح معسكرا بحق .. واحتياطيا كتبت عقد ايجار لأحمد حسين ، رئيس جمعية مصر الفتاة ، عن أرض فضاء تستغلها لأغراض الجمعية كان على رأس القلم المخصوص بمحافظة الاسكندرية ضابط هو على ما أذكر ، السيد زهران وقد قامت قيامته ، وأهاج رجال البوليس خصوصا السريين منهم وجاءوا يطلبون منى العمل ، على ازالة هذا المعسكر واعتذرت بأننى أجرت أرض فضاء ومع أحمد حسين ، عقد الايجار، فلا يمكن أن أعمل شيئا ! وجرى فى هذه الأثناء أن اعتزم أحمد حسين أن يلقى خطابا سياسيا بالاسكندرية وأعددنا اله منشورا مطبوعا من خمسة آلاف نسخة وتسلم جزءا منه أعطاه الى أكثر من واحد ، من أعضاء جمعيته . أما الباقى فقد سلمته لباعة الصحف وأعطيتهم أجورهم ، واتفقت مع أحمد حسين على أن

توزع المنشورات فى الساعة الثانية تماما . وعلى أن يكون القاء خطابه فى الساعة الخامسة وحدث ، أن خرج بعض أعضاء جمعية مصر الفتاة ، فى الساعة الحادية عشرة صباحا . يوزعون ما بأيديهم من المنشورات فتنبه البوليس السرى ، الى خطورة المنشورات وسرعان ما نزلت أعداد كبيرة من البوليس لتتلقف باعة الصحف وهم يوزعون ما لديهم من منشورات وتم القبض عليهم ، وعندما سئلوا فى التحقيق ، اعترفوا بأننى الذى سلمتهم المنشورات ، وقبض على ، كما قبض على أحمد حسين . وأمام وكيل النيابة حضر الأستاذ سليمان حافظ ليتولى الدفاع عنا وأطلق سراحى وقدم أحمد حسين للمحاكمة بعد أن دفعنا له ولزملائه كفالة قدرها عشرون جنيها .

★★★

وفى هذه الأثناء كان السيد زهران ضابط رئيس القلم السياسى بالمحافظة يعمل هو ورجاله على ازالة جميع ما فى المعسكر من أخشاب وحوائط وأسلاك، ووضع أكثر من عشرين جنديا لمدة تزيد على خمسة عشر يوما ، حتى لا يقترب أحد من المعسكر .. ؟

ومن بين وثائقى التاريخية عقد الايجار المحرر فى أول يوليو ١٩٣٤ بين أحمد رمضان زيان وبين الأستاذ أحمد أفندى حسين الخاص باستئجار أرض براح بسيدى بشر ، بقصد استعمالها مضيفا لأعضاء جمعية مصر الفتاة ومدة الايجار سنة من أول يوليو ١٩٣٤ الى آخر يوليو ١٩٣٥ ، وقيمة الايجار اثنا عشر جنيها مصريا فى السنة : جنيه واحد فى الشهر !

والجدير بالذكر ان جمعية التضامن الأخوى ـ السرية ـ كانت من أقدم الجمعيات الفدائية فى مصر وقد لعبت أخطر الأدوار قبل ، وفى أثناء وبعد ثورة ١٩١٩ وكان فرعها بالاسكندرية من أخطر الفروع بل كان نشاطه فى بعض الأحيان يطغى على نشاط الأصل ومقره القاهرة .

★★★

وقبل أن أدخل فى أعماق أعماق حركة الشباب المصرى فى الثلاثينات أقول : ان أستاذنا الكبيرة حافظ محمود وهو من أعمدة حركة الشباب المصرى وقتئذ وقد تلقيت منه الرسالة التالية :

أخى صبرى أبو المجد ..

أعتقد أن الوجه الآخر للحلقات التى تنشرها عن الجو السياسى المصرى فى الثلاثينات ، وهو وجه المقاومة الشعبية وكيف كانت فى مواجهة عبقرية اسماعيل صدقى باشا .. فالشعب كان أسبق من الساسة فى الاحتجاج على

دستور سنة ١٩٣٠ ـ وكانت مظاهرة عمال عنابر السكة الحديد هي القذيفة الأولى في هذا الموقف ·· لم يكتف العمال بالاضراب الذي ترتب عليه توقف جميع القطارات يوما ·· بل قاموا بمظاهرة عارمة يكفي في وصفها أن الحاكمدار « رسل باشا الانجليزي » هرع الى رئيس الوزراء صدقي باشا ، معلنا أن قواته البوليسية عجزت عن تفريق هذه المظاهرة لأن العمال قد استطاعوا أن يغرقوا قوات الأمن باستخدام خراطيم المياه « الساخنة » تتساقط منها فتشوي وجوه العساكر ·

نظر رئيس الوزراء « صدقي « الى الحاكمدار الانجليزي « رسل » مبتسما ابتسامته الشهيرة قائلا : « غلب حمارك يا سعادة الحاكمدار ؟ » ·

ـ نعم غلب حماري يادولة الباشا ·

فاذا بدولة الباشا يرفع سماعة التليفون ، ويطلب مدير شركة مياه القاهرة ، ويعطيه اشارة رسمية يقطع المياه عن حي بولاق الذي احتشد فيه العمال بخراطيمهم الساخنة !

·· وحلت عبقرية صدقي باشا مشكلة الحاكمدار » ·

في صحراء « أبو زعبل » !

ولم يجد زعماء المعارضة بدا من أن ينزلوا هم بأشخاصهم الى ميدان المقاومة ، فاتفق النحاس باشا رئيس « الوفد » مع محمد محمود باشا رئيس الأحرار الدستوريين على أن يشكلا وفدا من أقطاب الحزبين برياستهما لزيارة الأقاليم والالتقاء فيها بالجماهير ·

وفي الموعد المحدد لسفر الزعيمين ومن كان معهما كان ميدان المحطة وفناء المحطة قد تحولا الى كتل بشرية تهتف لهما وتهتف ضد حكومة صدقي ·

ولم تنفع جهود رجال الشرطة في محاولة تفريق هذه الكتل ·· لكن تدافع الناس ترتب عليه سقوط بعض ازرار سترة النحاس باشا وسقوط طربوش محمد محمود باشا ··

★★★

وهي الواقعة الوحيدة التي علقت عليها جريدة « التيمس » بقولها ان زعيم الارستقراطية المصرية قد أهين بسقوط طربوشه تحت الأقدام ·· والطريف في هذه الواقعة أن جريدة « السياسة » نشرت في اليوم التالي تكذيبا لسقوط طربوش زعيم الأحرار الدستوريين !

وقام القطار دون أن يدركه الزعماء · فعادوا في يوم آخر الى قطار آخر

لا تعلم الجماهير القاهرية شيئا عنه ·· لكن أجهزة الأمن كانت تعلم ، فاذا بها ترتب فصل عربات القطار عن العربة التى يركبها الزعماء واذا بالقاطرة تتجه بهم وهم لا يعلمون — الى نقطة خالية فى صحراء « أبو زعبل » ·

وكانت مفاجأة غير سارة للزعماء ، لكن المفاجأة الأخرى أنهم وجدوا هناك الحاكمدار « رسل باشا » فى انتظارهم ·· وبمنتهى النعومة تقدم الحاكمدار من النحاس باشا ومحمد محمود باشا طالبا منهما « الصفح » عن هذا التصرف الذى اقتضته سياسة يقول انه لا دخل له فيهــا ، وأنه مستعد أن يستدعى سياراتهم أو غيرها فورا ليعودوا الى بيوتهم ·

وثار الزعيمان ، وأصرا على البقاء فى هذا المكان حتى يأتى قطار يستقلانه لاتمام رحلتهما فى الأقاليم ·· لكن جميع القطارات كانت قد تحولت الى مسارات أخــرى !

وجلس النحاس باشا ومحمــد محمود باشا على أريــكة خشبية صغيرة مما يستخدمه عمال الاشارات ·· ومرت الساعات وهما يرفضان التحول عن رأيهما ··

★★★

وأخرج الحاكمدار « رسل باشا » منديله من جيبه وأخذ يبكى بحرارة ، لست أدرى كيف ؟! — محاولا اقناعهما بالعدول دون جدوى ··

وأقبل المساء ·· وانقضى هزيع من الليل والزعماء مرابطون هناك بينما كان القلق يستبد بأسرهم وأنصــارهم الذين علموا أن قادتهم لم يصلوا الى الريف ، ولم يرجعوا الى القاهرة ·· فلما علموا بعد البحث ، بما حدث بعد منتصف الليل أسرع وفد من الحزبين الى صحراء « أبو زعبل » لاعادة الزعماء ·

تكررت هــذه الأحداث تباعا ، وأحس الشــباب ان الأسلوب التقليدى للمقاومة لم يعد يجدى ·· وفى حديث لنا — وكنا طلابا — مع الصحفى المفكر سلامة موسى — أشار بأن أفضل طرق المقاومة العصرية هى المقاومة الاقتصادية ·· واتفقنا على أن يوكل اعداد هــذه المقاومة الى لجنــة مشــتركة من الطلبة والأساتذة ، كان من نصيبى أن أكون مندوب الشباب فى هذه اللجنة · وقد اشترك فى أعمال هذه اللجنة من الأساتذة أستاذنا المرحوم أمين الخولى ، ومن أساتذة الاقتصاد المرحوم الدكتور محمد أبو طايله ، ومن رجال التعليم المرحوم الأستاذ محمد عبد الصمد مؤسس مدارس رقى المعارف ومن المحامين المرحوم الأستاذ أحمد ابراهيم المحامى الذى تم اجتماع هذه اللجنة فى مكتبه ·

وفى بداية هذا الاجتماع عرض الأستاذ ســلامة موسى مشروعا متكاملا لمقاطعة البضائع الأجنبية تنفذه جمعية اختار لها اسم « المصرى للمصرى » وتبرع

بأن يكون مقرها فى دار مجلته بميدان محطة مصر وكان اسمها « مجلة المصرى » وهى غير جريدة المصرى اليومية ٠

★★★

وتمت الموافقة على هذا المشروع وتم انتخاب الأستاذ سلامة موسى رئيسا للجمعية وانتخابى سكرتيرا عاما ٠٠ وتقدم الأستاذ محمد عبد الصمد بتبرع كبير مقداره ألف جنيه ، واتفقنا فى اجتماع لاحق على أن يقيم بمبلغ الألف جنيه معرضا فى وسط المدينة تحشد فيه نماذج من منتجات الصناعات المصرية مع دراسة بأفضلية هذه المنتجات عن مثيلاتها من البضائع المستوردة ، وأعددنا بالفعل كراسة مطبوعة بأسماء هذه المنتجات وأسماء منتجيها وأسماء المحال التى تبيعها ٠

وتبينت لنا ضخامة هذا المشروع ، فقررنا أن نلجأ الى الزعيم الاقتصادى طلعت حرب باشا لمعاونتنا ، فاذا به يضع أكثر مما كنا ننتظر ، لقد أخذ منا الألف جنيه وأضاف اليها ألوفا ، وكلف بعض معاونيه بانشاء شركة بيع المصنوعات المصرية التى تطل على ميدان الأوبرا حتى الآن ٠٠

كان شعار الشركة عند انشائها هو « صناعة الوطن تبنى مجد الوطن » ولهذه العبارة قصة :

كان من أنشطة ، جمعية المصرى للمصرى عقد المؤتمرات الشعبية ، وفى أول هذه المؤتمرات بالقاهرة وقد أقيم فى مسرح برنفانا بشارع عماد الدين ـ وقفت أخطب ـ بعد الأستاذ سلامة موسى ـ وبعقلية يافعة خلعت رباط الرقبة المستورد الذى كنت ألبسه ووضعت مكانه رباطا آخر من صنع مصانع المحلة الكبرى التى ظاهرت حركتنا بانتاج منتجات جديدة ، وأنا أقول « صناعة الوطن تبنى مجد الوطن » ٠

★★★

وبين التصفيق والهتاف نزع ألوف الشباب الحاضرين أربطة الرقبة المستوردة التى كانوا يلبسونها وجمعوها فى كومة واحدة ، وأشعلوا فيها النار وهم ينشدون نفس الكلمة بموسيقية عفوية مرتجلة « صناعة الوطن تبنى مجد الوطن » ٠

وليس من شك ان هذه الحركة قد أزعجت حكومة صدقى باشا ، فبدأت تقاومها ، على الأقل للحفاظ على الاتفاقات التجارية مع الدول الأجنبية التى كان صدقى باشا شديد الحرص عليها ٠

ولم تفد المقاومة الحكومية بل كان من نتائجها اننا حين كنا نذهب الى

الأقاليم ـ سلامة موسى وأنا ـ كنا نحمل على الأكتاف ـ خاصة بعد أن انضم الى « المصرى للمصرى » عشرة آلاف طالب فى القاهرة والأقاليم ٠

هنا بدأ الاضطهاد ينصب على رأس سلامة موسى باعتباره رأس هذه الحركة ـ كان هذا الاضطهاد يتمثل فى تكرار مساءلته عما تنشره مجلته الأسبوعية حتى توقفت هذه المجلة عن الصدور ٠ وأغلقت أبوابها ٠٠ فاتجهنا بحركتنا الى « نادى كلية التجارة » وأسسنا فيه جمعية الاستقلال الاقتصادى ، برئاسة رئيس التجاريين اذ ذاك المرحوم عبد الله بك أباظة واستأنفت جمعية الاستقلال الاقتصادى رسالة جمعية المصرى للمصرى ٠٠

وكان شباب هذه الجمعية ينظمون ـ لأول مرة ـ مظاهرات من نوع جديد ٠٠ نوع لا تستطيع الحكومة أن تقول بأنه يقلق الأمن ـ مظاهرات تهتف بحياة المصنوعات الوطنية وسقوط المصنوعات « الاستعمارية » ٠٠ وكانت هذه كلها صورا جديدة من المقاومة للحكم الديكتاتورى ٠

الى أن يقول الأستاذ حافظ محمود :

على ان المقاومة الشعبية أخذت فى بعض جوانبها طابعا عجيبا آخر ، هو طابع « الفن » ٠٠ ولست أريد هنا أن أحلل ما كان يقدمه مسرحا الريحانى وعلى الكسار من كوميديات المقاومة العجيبة ٠٠ لكننى سأتوقف هنا عند واقعة بارعة لم يذكرها أحد حتى الآن ٠

فى صيف ١٩٣٢ أنشأت الفنانة « ببا » ملهى لها على كورنيش البحر بالاسكندرية ٠٠ وفى كل ليلة يقف على خشبة المسرح فى هذا الملهى فتى من البلاد الشقيقة ـ أو هكذا كان يدعى ـ ليلقى منولوجا واحدا لا يتغير طوال أشهر الصيف ، وكله حملة على صدقى باشا واشارات الى التهم ـ التى لا أعتقد فى صحتها ـ الموجهة اليه بالنسبة لانشاء الكورنيش ٠٠

كان المنوالوج يقول باللهجة الشامية :

« يا ريت الله يفرحنى وبصير وزير » ٠

« خبطة والتانية وآجى مليونير » ٠

« مانتو شافين هادا الكورنيش » ٠

« لكن كورنيش واحد ميكفيش » ٠

فلما سقطت وزارة صدقى باشا عادت المقاومة الى طبيعتها السياسية ٠٠ وهذا واضح من المحاكمات المتتالية لكتاب الصحافة « وكان من هذه المحاكمات محاكمة محررى جريدة الصرخة التى جاء ذكرها فى هذه الحلقات » لكن محاكماتنا نحن محررى هذه الجريدة كان لها لون متميز عن محاكمات الكبار

من أساتذتنا فى الصحافة ‥ كنا ثلاثتنا ـ أحمد حسين وفتحى رضوان وأنا ـ نذهب الى دار القضاء وأيدينا متشابكة ونحن ننشد بأعلى أصواتنا نشيد « لك يا مصر السلامة ، وسلاما يا بلادى » ٠

لقد دخلنا السجن وفى أفواهنا هذا النشيد ٠ فاذا بنزلاء السجن جميعا يقابلوننا بالتصفيق والهتاف ٠

وفى السجن التقيت ـ لأول مرة ـ بالزميل الرسام « رخا » ‥ كان محكوما عليه بالسجن أربع سنوات بتهمة العيب فى الذات الملكية كانت السلطات قد ضاقت برسوم الرسام الشاب « رخا » ٠ فدفعت برسام ، غير صحفى ، لكى يدخل على أحد رسوم رخا فى ورشة الحفر بعض الأحرف التى كانت تشكل سبا فى عرض الملك ٠ ولم يستطع أحد اكتشاف هذه الدسيسة فصدر الحكم بادانة « رخا » انتقاما من رسومه الأخرى أو لوقف هذه الرسوم الى أمد طويل ٠

ومن المعروف ان جو المقاومة قد أخذ فى نوفمبر سنة ١٩٣٥ طابعا ثوريا ‥ واليك بعض وقائع هذه المرحلة الهامة :

★★★

كانت الأحزاب تحتفل كل ١٣ نوفمبر احتفالا يسمى « عيد الجهاد الوطنى » ‥ وفى ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ تعمد محمد محمود باشا زعيم الدستوريين أن يكون موعد احتفاله بهذه المناسبة أسبق من احتفال « الوفد » ٠

وخطب محمد محمود خطابا على جانب خطير من الأهمية ‥ قال ان مصر ـ رغم انها لم تكن عضوا فى عصبة الأمم ـ اشتركت على عهد وزارته الأولى سنة ١٩٢٨ فى توقيع « ميثاق كيلوج » الذى وقعته الدول الكبرى أعضاء العصبة ، وبذلك لم يكن من حق حكومة صدقى باشا أن تتنازل عن واحة جغبوب دون عرض الأمر على عصبة الأمم ‥ وكذلك ليس من حق وزير الخارجية الانجليزى صمويل هور أن يصرح تصريحه الذى صدر قبل أيام برأيه فى استحقاق مصر أو عدم استحقاقها ـ كما قال الوزير البريطانى ـ للحكم الدستورى واطلاق الحريات العامة ٠

وقال محمد محمود فى هذا الخطاب ان حكومة نسيم باشا صارت أشد خطرا من حكومة صدقى باشا لانها ألغت دستور سنة ١٩٣٠ لكنها لم تعد دستور سنة ١٩٢٣ الذى تطالب به الأمة ، وبالتالى لا حق لهذه الوزارة فى البقاء حتى من الناحية الشكلية ٠

ولأول مرة فى تاريخ محمد محمود استطاع أن يلهب عواطف الشباب فاذا بعشرة آلاف شاب يخرجون من حفلة الدستوريين فى مظاهرة الى حفلة « الوفد » حيث كان النحاس باشا يلقى خطابه

وعلى اثر خطاب النحاس باشا استأنفت هذه الجموع مظاهرتها ، فلما التقى الشباب بباب سرادق احتفال الوفد بالأستاذ ابراهيم عبد الهادى طلبوا منه كلمة ، فقال : « اعملوا يا أولاد كما كنا نعمل فى سنة ١٩١٩ » ·

وفى اليوم التالى قامت ثورة شباب سنة ١٩٣٥ المعروفة بكل حرارتها وتضحياتها وشهدائها المعروفين ·

عندئذ سقطت الوزارة وجاءت وزارة أخرى برياسة الدكتور على ماهر ومعها دستور سنة ١٩٢٣ وقرار باجراء الانتخابات البرلمانية ·

وعندئذ رأت بريطانيا تحت ضغط الشعب المصرى فى الداخل وتحت تأثير مقدمات الحرب العالمية فى الخارج ضرورة عقد معاهدة تحالف مع مصر · واشترطت التوقيع هذه المعاهدة وفدا مصريا يمثل الأحزاب جميعا ·

كانت مهمة تشكيل هذا الوفد عسيرة عجز عنها فى البداية رئيس الوزراء على ماهر ، فاذا بالملك فؤاد يستدعى الزعماء جميعا الى غرفته الخاصة فى القصر اذ كان مريضا ، واذا به يستغل ظروف مرضه فى دعوتهم الى الائتلاف من جديد ، واستخدم الملك فؤاد دموعه للحصول على موافقتهم ·· فوافقوا ·· وتشكل وفد المفاوضات ·

***

وليس من شك ان أغلبية فصول قصة معاهدة سنة ١٩٣٦ التى اشترك كل الساسة فى التوقيع عليها معروفة ·· لكن العجيب ان اثنين من الموقعين على هذه المعاهدة ــ وهما محمد محمود باشا زعيم الدستوريين وأحمد ماهر باشا ، وكان من أعضاء الوفد ــ عندما عرضت المعاهدة على البرلمان سجل كل منهما تحفظه عليها ·· وترجم الدكتور محمد حسين هيكل هذه التحفظات فى مناقشة المعاهدة بمجلس الشيوخ قائلا : ان كنتم تريدون من هذه المعاهدة استقلالا تاما فارفضوها واما ان كنتم ترون فيها خطوة ايجابية على طريق الأمانى القومية فاقبلوها ·· » ·

***

رسالة من العراق

ومن بين الرسائل التى تلقيتها رسالة من العراق ، كتبها الأخ والصديق المهندس حنفى الشريف ، أحد أعضاء مجلس النواب المصرى ، السابقين ، يقول فيهـا :

العراق فى ١٩٧٨/٤/١

عزيزى الفاضل الأستاذ صبرى أبو المجد ..

تحياتى وتمنياتى الطيبة - وبعد - قرأت كل ما كتبته عن أيام ما قبل ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ وكنت طوال الوقت فى الخارج وفى السابق قرأت كتبك كلها منذ كتاب ، أمين الرافعى ، وتدوين التاريخ مهمة صعبة ودقيقة وحساسة . ففى رأيى أن كلمة (المؤرخ)لا تمنح الا نادرا جدا وفعلا فالمؤرخون منذ هيرودوت يعدون على الأصابع .

أما وقد بدأت فى محاولة تأريخ حوادث وأفكار الشباب قبل يوليو سنة ١٩٥٢ وتسجيل ذكرياتهم وهى محاولة ستحرك مشاعر هذا الجيل كله لأنه رأى ولمس وعاش هذه الأحداث . ثم يقول المهندس حنفى شريف :

تكملة لما ذكرته عن موضوع الملابس المستوردة وكيف تم حرق (الكرافتات) الآتية والمصنوعة فى الخارج وكانت بداية لحركة شعبية عارمة عمت المدن والقرى شمالا وجنوبا وأذكر أننا حرقنا كثيرا من (البدل) فى ميدان (باب الخلق) ونشرت الصحف والمجلات المصورة ذلك سنة ١٩٣١ .

وأذكر ان بعض المصريين لبسوا طرابيش من (جوخ أخضر) ولها زر أبيض ومنظرهم وهم سائرون فى الشوارع كان كافيا لاثارة النفوس وثورتها ضد المستعمر .

★★★

كما أذكر اننا فى سوهاج كونا جماعة وصنعنا (كرافتات) من قماش العلم فى هذا الوقت (أخضر) وعليها قماش أبيض على هيئة هلال وثلاثة نجوم وقدمت لمحكمة سوهاج وكنت طالبا فى الثانوى ودخلنا جميعا المحكمة بهذه الكرافتة .وكانت حماستنا أمام القاضى وتصميمنا رائعا فى المناقشة العلنية ثم صدر أمر المحكمة باخلاء سبيلنا وهنا قدمنا للقاضى (كرافته) ليلبسها وفى اليوم التالى رأت الجماهير فى أقصى الصعيد قضاة ومحامين ومدرسين يلبسون هذا اللون وأصبحت ثورة عملية ضد المصنوعات المستوردة .

ومن الغريب حقا اننى كنت وأنا طالب سنة ١٩٣٠ بالشانوى أراسل جريدة (الوادى) ووكيلا موزعا لمجلة (المجلة الجديدة) التى كان يصدرها الأستاذ سلامة موسى وفى ذات يوم ظهرا فاجأتنى قوة من البوليس ومعهم ناظر المدرسة (الحملاوى) وأخذوا يفتشون (درجى) فى الفصل ولم يجدوا الا كتابا دراسيا واحدا ووجدوا أكواما من (المجلة الجديدة) جاهزة للتوزيع وكانت شهرية مثل المقتطف والهلال وصدر أمر بالتليفون من (وزير المعارف) فى وزارة صدقى بالفصل النهائى ..

وبهذه المناسبة أرسل لك من أرشيفى بعض الصور لرحلة الزعيم سعد زغلول سنة ١٩٢٤ على الباخرة (نوبيا) الى بلاد ومراكز وقرى الصعيد وكان البوليس يمنعها فكان الناس يلقون بأنفسهم فى النيل كى يصلوا سباحة الى الباخرة وكان الناس يرفعون علما عليه هلال وصليب فى كل مكان كما سارت النساء محجبات يلبسن (الحبرة) فى مظاهرات رائعة .

انه شعب مصر الخالد الذى ظل صامدا على ضفاف النيل منـذ سبعة آلاف عام متمسكا بالدستور رمزا للحرية محاربا لكل مستعمر منتصرا دوما فى كل معاركه .

وهناك ذكريات لا عد لها ولا حصر .

قوانا الله لتدعيم الديموقراطية وطرد المستعمر – أى مستعمر – مهما كان ومهما بلغ جبروته وطغيانه .

دعواتى لك بالتوفيق والسلام ..

المخلص

حنفى الشريف

وبعد رسالتى حافظ محمود ، وحنفى الشريف ننشر رسالة مطولة للدكتور محمد بلال – من زعماء شباب ١٩٣٥ ورئيس حركة القمصان الزرقاء – وهو خير من يتحدث عن ثورة الشباب المصرى عام ١٩٣٥ .

الفصــل الثانى

زعماء ثورة ١٩٣٥

يتحدثون إلينا لأول مرة عن الثورة

فى رسالة بعث بها الينا د. محمد بلال تتعـــلق بحركات الشباب فى الثلاثينات قال فيها :

كان الشباب من جيل ١٩٣٥ تملؤه مشاعر الحب لوطنه وكان منشغلا دواما بقضية البلاد ويتابع بوجدانه كل ما يمس هذه القضية من بعيد أو قريب تماما كما يتابع جيل اليوم دورات كرة القدم ! .. وكانت أفكاره وخلجاته فى أخبار القادة والساسة مثلما تتعلق أفكار الكثير من جيل اليوم بأبطال الفن والمسرح والسينما ! . من هنا كان لجيل ١٩٣٥ وزن ثقيل فى توجيه سياسة مصر وتطوير قضيتها مما يسجل له التاريخ صفحات خالدة مشرقة عنها .. وهو أمر طالما تمنيناه فى الجيل الجديد .

***

بدأت ثورة الشباب عام ١٩٣٥ أو ما يسميها بعض المؤرخين ثورة الدستور ويسميها فريق آخر ثورة الدستور والاســتقلال .. بدأت حين أحس الشباب اذ ذاك بالمماطلة من جانب العدو المحتل فى الجلاء ومن جانب القصر ووزارة توفيق نسيم فى عودة الدستور بعد أن ألغت دستور صدقى الذى أقحم على الشعب ١٩٣٠ . وكان الالغاء فى نوفمبر ١٩٣٤ .. وتطور الملل فى نفوس المواطنين وأخذ الشعور نحو التحرك لعمل وطنى يختمر فى وجدان الشعب بجميع فئاته .. وبدأ هذا التحرك فى يناير ١٩٣٥ حين عقد الوفد مؤتمره الوطنى الكبير وطالب فيه بعودة الدستور ١٩٢٣ كاملا غير منقوص .. كذلك فى العمل على حل قضية البلاد على أساس تحقيق الاستقلال التام وكذلك طالب بعلاج كثير من المشاكل الداخلية فى البلاد على ضوء تقارير اللجان المتخصصة فى المؤتمر ..



وحين اشتدت المطالبة بعودة الدستور من جميع طبقات الشعب وأصدر صمويل هور وزير خارجية بريطانيا تصريحه المشهور بأن الوقت غير مناسب لعودة ذلك الدستور اجتاح الغضب فيمن اجتاحهم شباب الجامعة والمدارس .. ونشر بيان هور فى الصحف بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٩٣٥ وعقب ذلك اجتمعت الهيئة البرلمانية الوفدية بكامل هيئتها بالنادى السعدى بتاريخ ١٢ نوفمبر واتخذت القرارات التى أعلنها رئيس الوفد مصطفى النحاس فى الاجتماع الكبير فى اليوم التالى احتفالا بعيد الجهاد الوطنى مساء ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ . ومن هذه القرارات نداء الى الأمة بعدم التعاون مع الانجليز وسحب الثقة من وزارة نسيم والمطالبة باستقالتها واعلانه أن أى وزارة تقبل الحكم على الأساس القائم اذ ذاك تعد خارجة على البلاد ويجب مقاومتها ومحاربتها . وجاء فى خطاب رئيس الوفد تعقيبا على تصريح هور : ان عودة دستور مصر من شأنها وحدها وليس لانجلترا – حتى تصريح ٢٨ فبراير الذى رفضناه – ان تتدخل فى هذا الشأن أو غيره – وأشار الى الجيش المصرى فى خطابه بقوله : « لقد شاءت السياسة الظالمة التى أتبعتها بريطانيا منذ الاحتلال أن يكون جيشنا قاصر العدة والعدد فى الدفاع عن حياض مصر ومن واجبنا كدولة مستقلة ذات سيادة وأمة أبية ذات كرامة أن تتولى نحن حماية الذمار والذود بكل ما نستطيع عن الديار » .. ثم قال : لن تقبل مصر اليوم أن يساق أبناؤها الى ميدان القتال وتؤخذ أقواتها وتستخدم ثكناتها وموانيها قهرا وغلابا واغتصابا .. » .

وكان ممثلو طلاب الجامعة قد أذاعوا بيانا للشباب يحضونه على الجهاد من أجل قضية البلاد كما كان الشعور الوطنى يغمر ساحات المدارس فى مختلف الأنحاء . فما أن أقبل موعد عيد الجهاد ١٣ نوفمبر حتى تدفقت جموع الطلاب فى مظاهرات عارمة نحو بيت الأمة من الجامعة ومدرسة التجارة المتوسطة بالظاهر والفنون والصناعات وغيرها ومرورا بثكنات قصر النيل والسفارة البريطانية حيث هتفوا بسقوط بريطانيا ومستر هور وقذفت جموع منهم القنصلية البريطانية . الى أن يقول د. بلال :

★★★

« وكذلك تظاهر الطلاب فى معهد طنطا الدينى . وقد هاجم البوليس تلك الحشود وأصاب منها الكثيرين ورابطت جموع غفيرة منهم بالسرادق الكبير بجوار بيت الأمة فى انتظار خطاب مصطفى النحاس مساء ١٣ نوفمبر ..

ويقول د. بلال :

وما ان انتهى رئيس الوفد من خطابه حتى اندفعت الجموع فى هتاف كالرعد ضد الانجليز وأطلق الضباط الانجليز العاملون بالبوليس المصرى النار على المتظاهرين – وعلى رأسهم مساعد الحكمدار لوكاس – فصرعوا أول ما صرعوا

العامل اسماعيل الخالع وأخاه عبد السميع الخالع الذى أصيب بجروح بالغة مع مائة وخمسين غيره وتم اعتقال مائتين من الشباب ·· وفى صبيحة اليوم التالى ١٤ نوفمبر اندلعت الثورة فى صفوف الطلاب جميعا وانطلقت من كليات الحقوق والآداب والهندسة جموع حاشدة الى كوبرى عباس مرورا بالمدرسة السعيدية والطب البيطرى وعقب كلمات ملتهبة من خطبائهم وتلاوة القسم الوطنى بالكفاح من أجل الوطن بكل ما يملك الانسان ·· وهناك استقبلهم رصاص الضباط الانجليز على الطرف الآخر من كوبرى عباس بقيادة الضابط ليز وبأمر من كين لويد الانجليزى الكبير بوزارة الداخلية ·· واستشهد بطل كلية الزراعة محمد عبد المجيد مرسى وأصيب كل من عبد الحكم الجراحى والذى توفى الثلاثاء ١٩ نوفمبر ١٩٣٥ ـ وهو بطل كلية الآداب ·

كما أصيب كل من ابراهيم شكرى من الزراعة وعبد القادر زيادة من الحقوق ومحمود مكى من الآداب وغيرهم ·· وكان شهيد آخر قدم حياته لوطنه فى طنطا وهو الطالب محمد عبد المقصود شبكة بطل المعهد الاحمدى ·

★★★

وصبيحة ١٦ نوفمبر ضرب كونستابل انجليزى الطالب على طه عفيفى من دار العلوم على مؤخرة رأسه بهراوة ثقيلة نقل على أثرها الى قصر العينى مثل الذين سبقوه ولكنه أسلم الروح بطلا شهيدا مبرورا صباح يوم ١٧ نوفمبر ١٩٣٥ ·

★★★

واندلعت فى الاسكندرية والمنصورة وشبين الكوم وبور سعيد والزقازيق ثورات عارمة للطلاب وأصيب من أصيب واعتقل المئات ولم يبق طالب أو شاب على أرض مصر لم يردد هتاف مصر ونداء حريتها ودستورها ·· وانطلقت القصائد على ألسنة الشعراء منهم يؤججون نار الثورة ويستنصرون المواطنين وتوالت مظاهرات الطلاب من جامعة القاهرة حتى صدر بيان باغلاقها ـ وأقيمت الجنازات الصامتة فى كل مدينة وقرية ـ وأبرق الطلاب من خارج مصر يشجعون من فى داخلها واحتجوا لدى عصبة الأمم على طغيان الانجليز وعدوانهم ·· وترددت صيحات الحرية فى كل بيت وسوق ومسجد وكنيسة ورفعت أعلام الثورة فى كل مكان وسمع العالم حينئذ صوت مصر عاليا مدويا فى الآفاق ـ ووضع كل طالب شارة الثورة على صدره وهى من شريطين الأسود رمز القوة والحداد والأحمر رمز الدماء ـ وتكررت مظاهرات الجامعة مرة أخرى فوق كوبرى عباس وفتح الضابط نوبل الكوبرى لمنعها وتغلب الطلاب على قوة الشرطة وأغلقوا الكوبرى وأصيب مساعد الحكمدار لوكاس فى رأسه اصابة جسيمة ـ وأحرقت مركبات الترام بشارع قصر العينى ـ واستعمل طلاب كلية الصيدلة زجاجات

مولوتوف يقذفون بها البوليس ٠٠ وامتلأت الشوارع المحيطة بجميع المدارس بالأحجار وبقايا الأشجار ــ وأغلق الأزهر قبل موعد اغلاقه المقرر في رمضان ٠٠

★★★

كان مصطفى النحاس قد انتهى من خطابه مساء ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ مخاطبا بريطانيا العظمى « لن تقبل مصر بعد اليوم أن يساق أبناؤها الى ميدان القتال وتستخدم ثكناتها وموانيها وتؤخذ أقواتها قهرا وغلابا واغتصابا » وكان مكرم عبيد سكرتير الوفد قد خاطب المرأة المصرية بقوله : « اغضبي أيتها المصرية فانك ان لم تغضبي فليس لك أن تنجبي » ٠ وكما قلت : كان أول الشهداء العامل اسماعيل الخالع ٠٠ صرعته رصاصة أمام سرادق عيد الجهاد ونقل الى قصر العيني حيث حمل البوليس جثمانه مساء اليوم التالي في عربة مقفلة يحيط بها جنود بلوك النظام ودفن خلسة تحت جنح الظلام ٠

★★★

يحيا الشهيد : كان هذا هتاف طلبة كلية الطب يستقبلون به الشهيد الثاني محمد عبد المجيد مرسي حين أقبلت محفة تحمل جثمانه الى مشرحة الكلية صباح ١٤ نوفمبر ٠٠ وما لبث الطلاب حتى سمعوا ولولة الممرضات داخل المستشفى وهتافهن وكانت بينهن شقيقة الشهيد ٠ وأخذنا نخطط فورا للاحتفال شعبيا بجنازة عبد المجيد وتسللنا ليلا في غفلة من البوليس واستولينا على مفتاح الثلاجة بعد أن علمنا أن البوليس كان يخطط هو الآخر لنقله خلسة في الظلام الى الاسكندرية مثلما نقل جثمان الخالع ٠٠

ولاحظنا أن رجلا ظل ملازما الجثمان أمام الثلاجة ولا ينطق بكلمة ولا يفصح عن هويته وحسبناه من رجال المباحث أول الأمر ثم اتضح فيما بعد أنه والد الشهيد ينفذ تعليمات البوليس بعدم الافصاح عن نفسه أو التحدث الى أحد ٠٠ وزاد ذلك في اطمئناننا الى نجاح خطتنا ٠٠ غير اننا فوجئنا عند عودتنا صباحا باختفاء الجثمان ووالد الشهيد وعلمنا ان البوليس استولى على الجثمان قبل الفجر بعد كسر باب الثلاجة ونقله في عربة مغلقة الى الاسكندرية مع والده حيث دفن بمقبرة العمود ٠٠ وهناك بالاسكندرية أطلق اسم الشهيد على أحد شوارعها ٠

★★★

أشرف سرقة في التاريخ

تعلمنا من سرقة البوليس بقيادة امام ابراهيم لجثمان الشهيد الثاني أن نبادر نحن بسرقة الشهيد الذي يليه ٠٠ والمعركة مستمرة ٠٠ وكان على طه عفيفي شهيد دار العلوم ٠٠ وذلك ايمانا منا بأن اشتراك

الشـــعب فى تشييع شـهدائه سوف يزيد الثـورة اشتعالا فتشـــمل كل الربوع والأرجاء · وكان شهيدنا هـــذه المرة قد صرعته هراوة كونســـتابل انجليزى صبيحة ١٦ نوفمبر أمام كلية دار العلوم وأسلم الروح صباح ١٧ نوفمبر وأحضر الى المشرحة فى انتظار أن يخطفه البوليس ليلا كما فعل بالزميلين اللذين سبقاه ·· ولم نضيع وقتا ودلفنا فورا الى داخل المشرحة وفى غفلة من البوليس الذى لم يحسب حسابا لذلك ·· وحملنا جثمانه نحن الثلاثة من طلبة الطب « بلال وطراف وجوهر » · ووقف للمراقبة فريق آخر وعند باب الكلية فريق ثالث · وأخفينا الجثمان أسفل مدرج علم التشريح وتركناه مغطى بالصحف وأوراق المحاضرات واتفقنا على مغادرة الكلية جميعا وبقيت أرقب الأمر بمنزل أطباء الامتياز ومتخفيا عن البوليس داخل بالطو أحد الأطباء · وأسقط فى يد البوليس الذى حاصر الكلية برا وبحرا بقوات لا يحصرها العد ·· وانطلق ضباط القسم المخصوص وحكمدارية القاهرة ومأمور قسم السيدة يفتشون فى كل مكان داخل الكلية وخارجها واقتحم فريق من الضباط والجنـــود منزلى بالمنيرة ·

***

وحطموا المكتب والدولاب والادراج وعثروا على بدلتى مخضبة بدماء الشهيد وكنت أرسلتها وارتديت غيرها داخل المستشفى · وحضر رسل باشا حكمدار البوليس وضباطه وكذلك وكيل وزارة الداخلية واشترك عميد الكلية الدكتور على باشا ابراهيم فى البحث عن واحد منا دون جدوى · وأشيع ان الجثمـان خارج الكلية وان الجنازة الشعبية يجرى اعدادها · واستشاطت الحكومة غضبا وتضاعف قلقها · وحين عثر عميد الكلية على فأبدى نصحه باعادة الجثمان أجبته نيابة عن الطلبة أن الجثمان فى حوزتنا ولن نفصح عن مكانه حتى تجاب مطالبنا بالتصريح رسميا بتشييع الشهيد شعبيا بجنازة تجمع كل فئات الأمة والا فسوف يشيع بواسطة الشعب ورغم أنف الحكومة · وطلبت رفع الحصار عن الكلية والسماح للطلبة بالدخول والخروج وبعد اتصالات عديدة أمام أصرارنا وافقت الحكومة على مطالبنا وصرحت بتشييع الجنازة شعبيا فاتصلت بزملائى خارج الكلية وفتحت الأبواب واتصلنا بجميع الهيئات وشيع الشعب الجنازة الى مسجد السيدة زينب رضى الله عنهـا قبيل الغروب ودفن الشهيد بمدافـن المجاورين · وقد أطلق الأستاذ الكبير فكرى أباظة على هذا الحادث · أشرف سرقة فى التاريخ » فى صدر أعداد مجلة المصور آنذاك · ومما يذكر أن هذا الشهيد وشقيقته كانا آخر اثنين على قيد الحياة من أربعة عشر أخا وأختا ·

***

الشهيد الرابع :

ونحن منشغلون بتلك الأحداث كان عبد الحكم الجراحي يصارع الموت داخل المستشفى بعد اصابته بثلاث رصاصات من الضابط الانجليزي « ليز » فوق كوبرى عباس صبيحة ١٤ نوفمبر بعد أن هجم على الضابط المذكور عقب اطلاقه الرصاص على « محمد عبد المجيد مرسي » ، « محمود مكي » ، « ابراهيم شكري » ، « عبد القادر زيادة » وآخرين ·· وكنا بين الفينة والأخرى نلقى عليه نظرة ونعود لفناء الكلية ومعه الأطباء يبذلون قصارى جهدهم لانقاذ حياته ·· وقد تعلقت به خواطر الطلاب جميعا بل الشعب بأسره ·· وكم من فئة وجماعة وهيئه زارته · وكم من زعيم أقبل عليه يطبع على جبينه أطهر القبلات ويغمره بالحب والاكبار والاشفاق ·· وعلى رأسهم مصطفى النحاس وحرمه ولجان السيدات ·· وامتلأ العنبر بباقات الزهور وقصائد الشعراء ودعوات الأمهات والآباء ·· ولم يكن في مصر كلها مواطن أكثر مني سعادة واعتزازا حين وجد الاطباء دما من فصيلة عبد الحكم في عروقي وهناك أعطيته ربع دمي فورا وهو لتر كامل وكنت أصر بكل فخر أن أعطيه المزيد لأن الدم الذي يعيد الشهيد الوطني الى ساحة الكفاح لا يقل في حساب التضحية عن الدم المسفوح على أرض المعركة ·· غير أن الله أراد له الخلود واستأثر به الى جواره مع الصديقين والشهداء ففاضت روحه الطاهرة صباح ١٩ نوفمبر ١٩٣٥ ــ ولكنه وهو سائر الى المنية بوعي وايمان عميق طلب أن يملي على أحد زملائه من حوله خطابا الى رئيس وزراء بريطانيا آنذاك بالانجليزية هذه ترجمته ــ الى رئيس وزراء بريطانيا « روح الشر » : « سيدي أحد رجالكم الأغبياء رماني برصاصة وأنا الساعة أمشي رويدا الى الموت ·· ولكنني سعيد للغاية بأن أترك روحي تنزع مني وأضحي بدمي ·· ان الموت أمر صغير وانه أعذب المذاق من أجل مصر ·· فلتحيا مصر ·· مصر فوق الجميع ــ لتحيا التضحية ــ ليسقط الاستعمار ولتسقط انجلترا وسيتولى الله عقابكم طويلا انتم وانجلترا « روح الشر » ·

محمد عبد الحكم الجراحي

★★★

ثم أسلم الروح راضيا مرضيا وترك وراءه كتابا في التضحية تقرؤه الأجيال جيلا بعد جيل ·· وشيعته مصر شبابا وكهولا رجالا ونساء يتقدمهم جميع الزعماء ورؤساء الهيئات ·· وان أنسى لا أنسى وقفة الجرحى داخل المستشفى يتكاثرون على النوافذ ليشهدوا الموكب المهيب ويودعوا صاحبه الوداع الأخير ومازالت صيحاتهم الباكية تتردد في أذني ووجداني ·· « الى جنة الخلد يا رفيق الجهاد » ــ « نحن وراءك فداء لمصر » · وكان من أخلد حسنات هذا الموكب التاريخي أنه جمع بين رؤساء الأحزاب جميعا الى جانب الزعيم مصطفى

النحاس يتقدمون الجنازة ويجمعهم شعور واحد وهدف واحد مما مهد لقيام الجبهة الوطنية بعد ذلك ، وقد قامت الكلية بتصوير فيلم سينمائى لهذا الموكب التاريخى احتفظ به حتى اليوم واضعه رهن مشيئة الشباب ٠٠ وبين يدى عشرات القصائد فى رثاء الشهداء يحضرنى منها بعض أبياتها :

لا تلفوا الاعـــلام حـول رفات ... هى أعـــلام مصرنا الوطنيـــة
أوجه تشـــبه الـكواكب غـرقى ... فى بحـــار من الدماء الزكيـــة
والشـــباب الحر العزيز علينـــا ... جاد للنيـــل بالنفـــوس الوفيـــة
نحن لا نقتـــل النفـوس ولا نطلب ... الا حقـــوقنا القوميـــــــة
أيه حـــرية البـــلاد عـــروس ... مهرهـــا هـذه الضـــحايا الفتيـــة
لا تسموا قتلى الشباب الضـــحايا ... بل هـــدايا البـــلاد للحـــرية

« من شعر أبى الوفا نظيم »

***

واتفقنا على اقامة نصب تذكارى من سبعة أضلع تختص كل كلية فيه بضلع تسجل عليه اسم شهيدها ويقام فى فناء الجامعة ٠ وحين علم البوليس بأمر هذا النصب نقلناه ليلا وتناوب الطلاب حراسته ٠٠ ومما يذكر أن البوليس قبض على أحد هؤلاء الحراس من الطلاب حين اشتبه فى وقوفه هناك بمنتصف الليل ولم تقع أنظار البوليس على النصب وأصر الطالب على اخفاء الغرض من وقوفه حتى لا ينكشف أمر النصب واختلق تهمة لنفسه أنه كان يحاول اقتحام منزل أحد الأجانب بالمنطقة تضليلا لرجال الأمن وابعادا لهم عن مكان النصب ٠ ولم يطلق سراحه الا صباحا بعد ازاحة الستار بحضور مدير الجامعة الدكتور أحمد لطفى السيد والأساتذة والآلاف من طلاب الجامعة والمدارس وخطب مندوب الطلبة جميعا بحياة مصر ٠٠ وقال مدير الجامعة : يؤسفنى كل الأسف فقد هؤلاء الأبطال وأقدر كل التقدير تضامن كل الشباب واجماعهم على خدمة وطنهم ٠

واتفقنا على ان يضع كل طالب اشارة من لونين على صدره : الأحمر ــ لون الكفاح من أجل مصر والأسود ــ لون الحداد على الشهداء ٠٠ وكان أفراد الشعب يهللون لأبنائهم حين يرون شارة الثورة على صدورهم ويشجعونهم بالهتاف الوطنى وعبارات التقدير والاكبار ومعاونتهم على التحرك والاختفاء عند مطاردة البوليس لهم ٠



ضرب لوكاس وكوبرى عباس مرة أخرى :

وفى صبيحة ٧ ديسمبر وعقب مؤتمر عام بساحة الجامعة أقبل الطلاب

الى القاهرة استئنافا لمظاهرتهم ضد الانجليز والمطالبة بعودة الدستور ٠٠ وفى انتظارهم على الطرف الآخر من كوبرى عباس رابطت قوة ضخمة من البوليس بقيادة الضابط « نوبل » الانجليزى الذى أمر بفتح الكوبرى حتى لا يعبر الطلاب الى الروضة وفعلا وقف الطلبة على حافة فتحة الكوبرى ٠٠ ولم يمض وقت طويل حتى انقسمنا الى فريقين : الأول أخذ يدفع عربة من عربات الترام فوق الكوبرى نحو الفتحة مهددا باسقاطها فى البحر وتحطيم الكوبرى ٠٠ والفريق الآخر نزل الى حجرة الماكينات اسفل الكوبرى وكنت من هـذا الفريق وحملنـا العصى والمجاديف من المراكب المجاورة واشتبكنا مع عمال الكوبرى حين امتنعوا عن ادارة الماكينات تنفيذا لأوامر البوليس المرابط وأمام اصرارنا بتحطيم الماكينات والقاء عربة الترام فى البحر طلب الضابط « نوبل » مقابلتى وعرض أن يفتح الكوبرى جزئيا بما يسمح بمرور واحد بعد الآخر حرصا منه على تلافى التجمع ٠ وبعد مشاورات وافقنا على ألا يلقى القبض على الذين يصلون الى الروضة ، وفى نفس الوقت اتفقنا نحن الطلاب على التجمع فى شوارع الروضة بعيـــدا عن البوليس وحين تقاربت زوايا الكوبرى قفز كثير من الطلاب من فوق الأسوار كما عبر البعض بالمراكب ولم يمض وقت طويل حتى نشبت معركة حامية بين الذين عبروا وبين البوليس الذى أطلق النار على المتظاهرين وانضم الأهالى فى الروضة الى الطلاب وامتلأت الساحة بالأحجار والأخشاب وأغصان الأشـجار وأصابت شظية كبيرة رأس الضابط الانجليزى الكبير « لوكاس » وكان قد حضر لتدعيم القوة المرابطة وسالت دماؤه ونقل فى حالة خطيرة الى مستشفى الانجلو .

***

وزادت غضبة البوليس واقتحم كل المنازل بحثا عن الطلاب المختبئين ٠٠ وحين علمت أنهم يبحثون عنى لاتهامى بضرب « لوكاس » لجأت لأحد المنازل وأذكر أن صاحبه هو الدكتور « مدكور » فقد أوانى عدة ساعات حتى أقبل الليل وكنت قد خلعت سترتى وارتديت جلباب عامل بناء بالمنطقة ، وفتش البوليس منزلى ومنازل جيرانى بالمنيرة ٠ وأشار على « مكرم عبيد » سكرتير الوفد آنذاك بمغادرة القاهرة فاصطحبنى الزميل أحمد عبد النبى عضو اللجنة التنفيذية للطلبة الى منزل والده بمنشأة عبد النبى مركز أجا وانتحلت اسم « محمد شوقى » وظللت هناك عشرة أيام عدت بعدها الى القاهرة بعد أن اتصل بنا مكرم عبيد وزملاؤنا من زعماء الطلاب واستؤنفت مظاهرات الطلبة أمام كلية الطب وكلية التجارة ووقعت معـارك ضارية بين البوليس والطلاب وأحرقت مركبات الترام بشارع قصر العينى وكان ضباط البوليس الانجليزى يطلقون النار بغير وعى على الطلاب بعد اصابة « لوكاس » ومن بين من أصابهم رصاص الانجليز الطالب « محمد محمود عبد الحكيم » وكان الكونستابل الانجليزى « ماكينزى » قد أصابه برصاصة فى صدره مرت بجوار القلب ٠ وروى لى

هذا الطالب المصاب عندما زرته بالمستشفى أن الكونستابل المذكور كان يعتقد عند اطلاقه الرصاص عليه أنه الطالب محمد بلال وذلك بناء على صيحة الكونستابل أثناء اطلاقه النار على ذلك الطالب ظنا منه اننى على رأس هذه المظاهرة • واستمرت المظاهرات من الطلبة والطالبات بالمدارس الثانوية والصناعية بجميع أنحاء القاهرة وأصيب مئات الطلاب وامتلأت عنابر المستشفيات بالمصابين •

***

لجنة الطلبة التنفيذية العليا :

بدأت أولا من ممثلين للكليات جميعها – وهى غير مجلس اتحاد الجامعة – ولم تكن هناك أول الأمر لائحة تنظم عدد الأعضاء أو طريقة تشكيل اللجنة ولكن الأحداث وحدها جمعت الذين تصدروا فى شجاعة حركة الطلاب وواظبوا على أن يتقدموا الجموع ويتفرغوا لانجاز القرارات ويقودوا الطلاب الى نضال عملى وانجاز واضح مما لم يسمح بمأخذ من تخاذل أو نكوص على أنه فى أغلب الكليات جاء تصديق اجماعى من الطلبة على اعتماد ممثليهم فى اللجنة ، وكانت الاجتماعات تعقد فى الأيام الأولى بنادى نقابة المحامين ثم فى النادى السعدى بعد ذلك • وقد بدأت اللجنة رأيا واحدا وصفا واحدا الى ان اختلف الرأى حول المطالبة بالدستور أولا أو الاستقلال قبل الدستور ؟ وقد تحيز للرأى الأخير الفريق الأقل عددا من الأعضاء وبقى الفريق الأكثر عددا على ما آمن به من المطالبة بعودة الدستور فورا مع المطالبة بالاستقلال •• وأسجل هنا قدر ما أتذكر أسماء ممثلى كل كلية فى لجنة الطلبة التنفيذية العليا من الفريقين مع استعدادى الكامل لقبول أى استدراك من هنا أو هناك حول أسماء قد يكون لى العذر ان نسيتها لطول ما مضى من زمن وما وقع من أحداث •

الفريق الذى رأى تأجيل المطالبة بالدستور هم : نور الدين طراف من الطب ، الظاهر حسن أحمد ، وعبد العزيز الشوربجى من الحقوق ، مصطفى السعدنى من الآداب ، أحمد حسن الباقورى من الأزهر •

واستمرت اللجنة بأغلبية أعضائها المطالبين بعودة الدستور فورا على الوجه الآتى :

كلية الطب : محمد بلال وأحمد لطفى – حافظ حسنى عن الطب البيطرى •

كلية الحقوق : فريد زغلوك ، زكى علام ، على كريم ، نصيف مرقص ، أحمد عبد النبى •

كلية الآداب : أحمد بشر ، عبد القادر حجاب – فتحية الكابلى – عبد العزيز يونس •

كلية العلوم : محمود لاشين وسعد الدين الشيشينى ٠

كلية التجارة : عبد المنعم البيه ، كامل الدماطى ، فتحى عمر ، أحمد طلبة صقر ٠ ٠

كلية الزراعة : أحمد الدمرداش تونى ، أبو المجد التونى ، حسن سالم ، عبد السلام حسن ٠

كلية الهندسة : جلال الدين الحمامصى ، جمال صادق ، ابراهيم عثمان ، محمود يونس ٠

ومن الهندسة التطبيقية : حسين الشايب ٠

كلية دار العلوم : أحمد الحوفى ، أحمد حجاب ، فؤاد رحمو ، سيد العجان ، محمد برهام ، عبد الرافع الشافعى ، سليمان النمكى ٠

الأزهر : عبد المجيد الغايش ، عبد السلام العجان ٠

الفنون الجميلة العليا : محمد شبل الحضرى ٠

وكانت هناك لجنة لطلبة المدارس الثانوية والمتوسطة وكان يمثلها فى اللجنة العليا : أحمد الشافعى ٠

وأكرر انه بالقطع قد سقطت بعض الاسماء وأقرر انه فى بعض الجلسات كانت الوجوه تتغير غير ان ما ذكرتهم كانوا الأكثر مواظبة ٠

وباشرت هذه اللجنة شئونها بالنادى السعدى وشكلت مكتبا دائما لها ولجانا متخصصة للدعاية والتنظيم والاقاليم وغيرها ، ووضعت لائحة تنظمها ٠

وعاد دستور ١٩٢٣ وقامت الجبهة الوطنية :

وحين عادت وحدة الصف مرة أخرى الى الطلاب بدافع من الشعور الوطنى الأصيل واتفق رأى الجميع على المطالبة بعودة الدستور فورا والمطالبة باستقلال الوطن بدأ الطلاب يعملون على ضم الأحزاب والهيئات الأخرى مع الوفد لقيام جبهة وطنية متحدة ٠٠ وتحقق لمصر ذلك بعد جهاد طويل ومثابرة لا تلين من الشباب ٠٠ وطالبت الجبهة الوطنية برئاسة مصطفى النحاس صدور الأمر الملكى بعودة دستور ١٩٢٣ ٠٠ وذلك بعد ان أسقط فى يد بريطانيا وتراجعت عن موقفها فى الاعتراض على عودة الدستور بعد أن جمع الشعب صفوفه ووحد كلمته ٠٠ وصدر الأمر الملكى بعودة دستور ١٩٢٣ بعد ظهر يوم ١٢ ديسمبر سنة ١٩٣٥ ٠٠ ومن ثم انطلقت الجبهة تطالب الانجليز بحقوق الوطن من جلاء المحتل والاستقلال التام لمصر والسودان ٠

وينتهى بذلك الجزء الأول من رسالة د٠ محمد بلال ، لتبدأ رسالة أخرى بعث بها الينا الشاعر عامر بحيرى ٠

الفصل الثالث

بقية أحاديث شباب ١٩٣٥

القمصان الزرقاء والخضراء والسوداء

● جاء في رسالة من الشاعر الرقيق الصديق الاستاذ عامر بحيرى ، يروى فيها بعض أحداث ثورة ١٩٣٥ ما يلي :

أخي العزيز الصحفى الكبير الاستاذ صبرى أبو المجد

تحية طيبة وبعد · فانى أقرأ باستمرار ، وبشغف . ما تكتبونه عن « سنوات ما قبل الثورة » ·· وعندما وصلت الى الحديث عن ثورة الشباب سنة ١٩٣٥ ، ازداد انفعالى بما تكتبه ، لأننى عاصرت هذه الحركة ، بل وشاركت فيها مشاركة متواضعة ·

وأحسست ان شباب اليوم ، ربما لا يفرقون بين حادثين ، يسمى كل منهما حادث كوبرى عباس ·· الأول وقع فى ١٤ نوفمبر ١٩٣٥ ، وهو الذى شهدته ·· والثانى وقع فى عام ١٩٤٦ ، وكنت يومئذ قد تخرجت فى الجامعة منذ سنوات ، وسافرت للتدريس بالمملكة العربية السعودية ·

والحادث الأول هام ، لأنه هو الذى سقط فيه الشهداء من الطلبة برصاص الانجليز ·· بينما ذكرت أنت محققا ان الحادث الثانى لم يسقط فيه شهداء ، وانما كان الاعلان عن ذلك للاثارة ، بغرض اسقاط الوزارة النقراشية ، التى كانت قائمة يومئذ ··

***

عن الحادث الأول ·· توجهت صباح ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ الى الجامعة . وفى الصحف بيان اتحاد الجامعة ، بالمشاركة فى الحركة الوطنية احتجاجا على تصريح صمويل هور ، بأن الوقت غير مناسب لعودة دستور ١٩٢٣ الذى كانت تطالب

به الأمة يومئذ ٠٠ ولم آكد أصل الى الحرم الجامعى ، حتى وجدت المظـــاهرة الكبرى قد تهيأت للخروج ، وسلكت طريق الجزيرة ٠٠ وعندما كانت تعبـر كوبرى قصر النيل ، وفى مواجهة القشلاق الانجليزى « مكان الجامعة العربيـة وفندق هيلتون الآن » ٠٠ كنت أنا محمولا على الاعناق ، أهتف باللغة الانجليزية ، بعبارة ٠٠ يسقط الشرف البريطانى ٠٠ وأطلق الرصاص على المظاهرة ، من نوافذ الثكنات ، كما أطلق أفراد البوليس المصرى البنادق على المتظاهرين ٠٠ فتفرقت المظاهرة عندئذ ، دون حوادث أو اصابات تذكر ٠

★★★

وفى صباح اليوم التالى ، كان الزعيم مصطفى النحاس قد ألقى خطابه فى الليلة السابقة وتدخل البوليس ، وسقط أول شهيد من العمال ٠٠ هو المرحوم اسماعيل محمد الخالع ٠٠ فاشتعلت حماسة الشباب ٠ وسارت مظاهرة طلبة الجامعة ، من الحرم الجامعى ، مارة بالمدرسة السعيدية ، وكلية الزراعة ، الى ميدان الجيزة ٠٠ فكوبرى عباس ٠٠ وكانت عند ذلك كالبحر الزاخر ، تصب روافده من ثلاث جهات ٠٠ شارع الجامعة ، وميدان الجيزة ٠٠ والتقت بمدارس التجارة المتوسطة ٠٠ وتقدمت المظاهرة ، التى كانت تتســلح بالحـــديد ، والاخشاب ، وقطع الحجارة ، التى أخذت من عربات اليد ، عنـــد مبنى ادارة الجامعة ، الذى كان يجرى انشاؤه وقتئذ ٠٠

★★★

فى ميدان الجيزة فرضنا على الطالبات ضرورة العودة ، وأذكر من بين كثيرات منهن ٠٠ قائدتين للمظاهرات ، هما المرحومة فتحية الكابلى ، والمرحومـة حكمت ذهنى ٠٠ وكانت الثانية خطيبة قوية العارضة ، كالرجال ٠٠ ولم تكد تصل المظاهرة الى نهاية كوبرى عباس من ناحية جزيرة الروضة ٠٠ وتبدأ فى الانتشار فى الميدان المقابل لها ٠٠ حتى تقدمت فرقة من الكونستبلات الانجليز ٠٠ بقيادة الضابط « ليز » ٠٠ فنزلت من « البكسفورد » ٠٠ وركعت على نصف ركبة ٠٠ وأطلقت رصاص المسدسات فى بطون الصف الأول ٠٠ الذى كنت فيه الى الناحية اليسرى ٠٠ فى مقـــابلة عربات الترام ، التى فزع ركابها ٠٠ وسقط الشهيد محمد عبد المجيد مرسى من كلية الزراعة ، فى وسط الصف الأول ، حيث لقى مصرعه فى الحال ٠٠ وتقدم اليه الشهيد محمد عبد الحكيم الجراحى ، لاسعافه ٠٠ فلاحقته رصاصة فسقط الى جانبه ٠٠ وامتلأت الساحة بالدماء ٠٠ وأصيب آخرون اصابات مختلفة ولم أعدم اصابات من رش البنادق المتوالى ٠٠ حتى تفرقت المظاهرة ، وانحدر جانب منها الى ناحية شارع الأخشيد والثانى الى الشاطئ المقابل أما الوسط فارتد الى كوبرى عباس نفســه ، فى اضطراب ليس بعده اضطراب ٠٠ حتى سقط البعض فى النيل ، أو تحصنوا بظل الكوبرى وقوائمه فى الماء ٠

وكان الشهيد محمد عبد الحكم الجراحي ، زميلا حـديث الالتحاق بكلية الآداب ٠٠ اذ عاد الى مصر تاركا دراسة الطب في فرنسا ليدرس الأدب ، وكان شاعرا موهوبا ، وله قصائد مختارة نشرتها مجلة أبولو عام ١٩٣٤ تدل على شاعرية خصبة ٠ وقد عرفته قبل المظاهرة مع الزملاء المرحومين مصطفى السعـدنى السفير السابق ، وعبد العزيز يونس عضو اتحاد الجامعة ، محمود أبو رحاب عضـو مجلس النواب فيما بعد وآخرين ٠٠ فلما نقل جريحا الى قصر العيني ، لم أتمكن من الدخول لزيارته ٠

وكان الاقدر على الدخول والخروج من قادة الطلاب هو الدكتور نور الدين طراف ، الذي كان يخرج في معطفه الأبيض فيسمح له البوليس ٠٠ فينقل الينا الاخبار ٠ وظل عبد الحكم في فراشه حتى يوم ١٩ نوفمبر وهو يرسل البيانات الوطنية للطلاب ، فيلهب حماستهم ٠٠ ومن أهمها رسـالة مفتوحـة كتبها بالانجليزية الى رئيس الوزارة البريطانية « روح الشر » كما سماه ٠

وجرى موكب عظيم للشهيد الجراحي ، في عصر يوم وفاته ١٩ نوفمبر (لأن جثمان الشهيد عبد المجيد مرسى قامت الحكومة بتهريبه الى الاسكندرية ليلا ليدفن هناك دون احتفال) ٠٠ فكان موكب الجراحي ، رهيبا وفيه تلاقى الزعماء بعد الخلاف ، وتألف ما سمي بالجبهة الوطنية وقامت مظـاهرة في تلك الليلة شبيهة بمظاهرات ١٩١٩ ٠٠

★★★

وأغلقت الجامعة أثر هذا الحادث ، ثلاثة أسابيع متوالية وفي يوم السبت ٧ ديسمبر فتحت أبوابها ٠٠ فتظـاهر اليها الشبـاب والطـلاب والعمال والوطنيون ٠ وفي حشود الطلاب في الحرم الجامعي ٠٠ في ذلك اليوم القيت القصيدة الوطنية عند النصب التذكاري التي تسجل أحداث تلك الفترة ومطلعها :

قم يا شهيد ، فمصر في آلامها
نسيتك بين عشية وصباح !

ومنها :

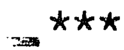
عبد المجيد وأنت أول باذل
للنفس دون حمى لمصر مباح
أنت اللواء على دماك تهافتت
زمر الشباب كريمة بالساح
ولقد هوى للموت لما ان هوى
عجلا ٠٠ يضمد جرحك الجراحي ٠

وتوجهت المظاهرة بصورة أقوى من مظاهرة ١٤ نوفمبر ٠٠ الى كوبرى عباس ٠٠ وعندما قامت الحكومة بفتح الكوبرى ، تطوع بعض طلاب الهندسة والطب الى النزول الى قاعدة الكوبرى واعادة أغلاقه ٠٠ حتى تمكنت المظاهرة من المرور فردا فردا ٠٠ ثم تجمعت من جديد فى جزيرة الروضة ، وامتدت الى المنيل فاحرقت مركبات الترام والاتوبيس وظلت الثورة قائمة فى هذه المنطقة حتى المساء ٠

كنت شاهدا حاضرا فى كل ما ذكرت ٠٠ وعندما أقام أهل الشهيد الجراحى ضريحا جديدا له فى مقابر الغفير بالعباسية ٠

أرسل الى شقيقه السيد على عز الاسلام الجراحى ٠٠ « وكيل وزارة التخطيط فيما بعد ـ وتوفى فى فبراير ١٩٧٧ » ٠٠ خطابا من جامعة شيفيلد بانجلترا حيث كان يدرس الهندسة يخبرنى بحضوره الى مصر ، للمشاركة فى موكب الجنازة الجديد ، الذى جرى فى يناير ١٩٣٧ ، وكان مشهدا رائعا حقا ٠٠

كما أرسل الى السيد على الجراحى رحمه الله خطابا ٠٠ كان عبد الحكم قد أرسله اليه قبل عودته الى مصر حيث لقى مصيره ، فى تلك المظاهرات الوطنية ٠٠ لينشر فى كتاب تذكارى ٠٠ وهو خطاب هام ٠٠ أعدته اليه بعد ثلاثين عاما ٠٠ بعد أن احتفظت بصورته ٠٠ وفيه يقول :


***

جرينوبل فى ١٩ سبتمبر

أخى الحبيب

اقبلك قبلات التهنئة والفرح والسرور بنجاحك وتفوقك ، الشىء الذى كنت انتظره لارادتك القوية ، وعزيمتك الماضية ، ومثابرتك واجتهادك ٠ وصلنى خطابك حاملا البشرى بعد ان كنت ابتدأت فى رسالة لاستحثك على الكتابة الى ، بعد أن امتنعت عنها مدة طويلة ٠٠ وفى خطابك تبشرنى بمقدمك الى فى جرينوبل، فحمدا لله سيكون فرحا مضاعفا ، فاستمتع برؤيتك ، وكم أجد شوقى عظيما ، فأقبل الى مباركا أيها الشقيق الحبيب ٠

أما امتحانى فسيكون أول نوفمبر القادم ، وها أنا أستعد له ، فالله يوفق الآمال ٠٠ أما سفرى الى انجلترا فكم كان بودى أن أصحبك اليها ، وكم كان بودى أن أقيم معك فى مكان واحد أبدا ٠٠ ولكن للظروف سلطة على الانسان فلن يمكننى أن أسافر الى انجلترا الآن ولعلى أفعل ، ولكن ليس هذا العام ٠ ولعلى أفعل ولكن حينما تتهيأ الظروف فلنترك اذن مسالة سفرى الى انجلترا للظروف ٠

يجب أن تكون قد اتخذت اجراءات السفر من الآن · فما هي البلد التى ستسافر اليها للدرس بجامعتها ؟ وهل لا تزال عازما على دراسة الطيران ؟ انى أشجعك من صميم قلبى على هذه الناحية من الدراسة ، ذلك لقوامك الرياضى ، واستعدادك الجسمى · فسر غير هياب الى ما تقصده ، وتسلح اليه بعزيمة من حديد ، والله يعين العاملين ·

يتردد فى خطابك ذكر الحالة التى وصلت اليها مصر فى هـذه الأزمـة الأخيرة ·· وهنا تصلنا الأخبار عنها باستمرار مكتوبة فى الجرائد الاشتراكية وغيرها ، أو منقولة بالراديو ·· وفى بعض الأحيان تصل الأهرام الى محـلات الجرائد هنا · وانا نرثى لحالة مصر حقا ، فهى بلد غير مسلح ، مضطر الى حماية الانجليز له من عدوان الطليان ان طوعا أو كرها · وخمود الروح الوطنى فى قلوب الشبان ، واهمالهم السعى الى الاستقلال هما السبب فى الحالة التى وصلت اليها مصر العزيزة ·· وكما تعلم ليس لنا اسطول جوى ، ولا بحرى ، وحالة كرب ··

★★★

ما علينا ، ليس فى وسعنا الا أن ندعو الله ان يبعد الحرب عن مصر ، والا ان ننوى الدفاع عنها ، والتضحية فى سبيلها بعقولنا ، وقلوبنا ، وأرواحنا ، وأجسامنا ·· ولننوى أيضا الكفاح لنصر الفلاح الذليل فى مصر ، لأنه هو قوامها ·

ختاما أهنىء الأسرة جميعا بالنجاح الذى أحرزته ، وأرجو الله أن يحفظ الوالدة بصحة وفى سعادة · وتقبل قبلات لا أحصيها عدا من أخيك الذى ينتظر قدومك بكل شوق ·

« ·· عبد الحكم ·· »

فهذه صورة طبق الأصل من خطاب الشهيد عبد الحكم الجراحى « ٢٠ سنة » الى شقيقه المرحوم على الجراحى ، التى كتبها فى جرينوبل يوم ١٩ سبتمبر ١٩٣٥ ·· وذكر فيها انه ينوى الاستشهاد فى سبيل مصر ·· ثم عـاد الى مصر ·· ليستشهد بالفعل ، بعد شهرين كـاملين من ذلـك التاريخ فى ١٩ نوفمبر ١٩٣٥ ·

وقد طال الحديث ·· وهناك أشياء كثيرة أذكرها ·· ولكنى اقتصرت ، على اظهار المواقف التى اشتركت فيها ، فى حركة الشباب عام ١٩٣٥ ·· أكتبها للمذكرى والتاريخ ··

وأرجو مع اعجابى بما تكتبه وتأثرى به ، أن تتقبل خالص تحيتى ومودتى.

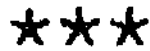
وحتى تكون الصورة مكتملة نفسح المجال للدكتور محمد بلال ليروى بقية مذكراته الخاصة بحركة الشباب ، وخاصة فرق القمصان الزرقاء التى كان يقودها ، يقول د. بلال :

★★★

لم تكن الجذوة التى تأججت فى صدور الشباب عام ١٩٣٥ لتنطفىء ولم تكن ثورتهم لتهدأ بعد ما تحقق لهم النصر عندما صدر الأمر بعـودة دستور ١٩٢٣ بنـاء على طلب الشـعب ممثلا فى جبهته الوطنية برئاسـة مصطفى النحاس عقب مظاهرات الشباب بدءا من طلبة الجامعة والمعاهد والمدارس الى احتجاج جميع طبقات الأمة واستشهاد العديد من الشهداء الأبرار وعقب تراجع الانجليز عن موقفهم المتعنت من عودة دستور ١٩٢٣ .. ذلك لأن الاستقلال لم يكن قد تحقق وان معركته قائمة ولأن الوطنية فى صدور الشباب ليست ظاهرة مرحلية وليست شعورا يلتهب حينا ويخمد حينا آخر .. ومن هنا فقـد كان انصراف الطلبة تماما عن المطالب الوطنية والكفاح من أجلها أمرا غير مقبـول مادامت ثورتهم تنبعث عن أصالة فى مشاعرهم ومثل عليا استهدفتها تلك الثورة ، بل لم تكن ثورتهم فى حقيقة الأمر غير حلقة فى سلسلة عريقة من نضال الشباب المصرى منذ انبعاث الثورة الأولى عام ١٩١٩ والتى تلتها حلقات وانتفاضات لا يجهلها التاريخ أعوام ١٩٢٤ ، ١٩٢٨ ، ١٩٣٠ وما بينها سواء فى مقاومة المحتل واغتيال أفراده أو مجابهة القصر والتصدى لاعتدائه على دستور البلاد أو تعطيله أو تبديله .. وكذلك فى المناداة باحياء الاقتصاد المصرى أو مقاطعة البضائع الأجنبية وغير ذلك .. وهكذا اتصلت مسيرة النضال الوطنى بين صفوف الشباب مع قيام الجبهة الوطنية فى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ .. ولكن مسيرته تلك أخذت تندفع فى خطوات منتظمة ذات مناهج وأهداف وطنية محددة وواضحة وفى اطار المسيرة الوطنية الشاملة وتيارها الشعبى العارم ..

★★★

ولما كانت مظاهرات الطلبة عام ١٩٣٥ قد بدأت بتجمعات غاضبة هنا وهناك فى ساحات الكليات وأفنية المدارس والاحياء لتواجه البوليس والانجليز بغير منهج مخطط فانها انتهت بطوابير منتظمة تحت قيادات مسـماة وفى طوابير متجانسة وطبقا لخطط موضوعة وتصدر صيحاتها الوطنية فى هتافـات متفق عليها .. مما أدى تلقائيا الى انتظامها فى تشكيلات أقرب الى الفرق العسكرية .. وهو أمر ينبهر به الشباب ويصادف رضا فى نفوسهم ويقبله وجدانهم وتهلل له عواطفهم .



كان ذلك هو المناخ الوطني الذى نشأت فيه فرق الشباب « القمصان الزرقاء » مما يصحح الفكرة الخاطئة عند الكثير من المؤرخين من انها نشأت من خارج صفوف الطلاب لتأديب خصوم الوفد ٠٠ ويؤكد انها تكونت استمرارا لحركتهم الوطنية واندفاعهم لتحقيق أهداف الوطن من الاستقلال التام لمصر والسودان ٠

وذاع أمر هذه الفرق وانتشرت في القاهرة والعواصم وأقبل عليها شباب الكليات والمعاهد ، واتخذت من ساحات المدارس ميادين للتدريب والتنظيم ٠٠ وكانت أولى هذه الفرق ٠٠ فرقة عبد الحكم الجراحي وساحة تدريبها فى فناء كلية الطب حول تمثال كلوت بك ٠ وكانت الثانية فرقة على طه عفيفى « دار العلوم » وساحة تدريبها فى الميدان الفسيح أمام كلية دار العلوم ٠٠ ثم قامت فرق أخرى فى باقى الكليات والمعاهد والمدارس ٠٠ واتخذت فرق الشباب نشيدا وطنيا وضعه الكاتب الشاعر مصطفى صادق الرافعي ولحنه ولقنه للشباب الموسيقار رياض السنباطي الذى كان يصحب معه مندوبين ومجموعات من الشباب لتدريبهم على القاء النشيد ٠٠ وطفقت طوابير الشباب تردد هذا النشيد فى كل تحركاتهم ومن بين أبيات ذلك النشيد :

***

حماة الحمى يا حماة الحمى	هلموا هلموا لمجد الزمن
فقد صرخت فى العروق الدما	نموت نموت ويحيا الوطن
بلادى احكمى واملكى واسعدى	أنا لبلادى وعرشى فدا
لك المجد يامصر فاستمجدى	بعزة شعبك طول المدى
ونحن أسود الوغا فاشهدى	وثوب أسودك يوم الصدام

***

واختلفت الآراء حول الزى الذى يرتديه أفراد الفرق ٠٠ هل هو الأحمر الذى يمثل الدماء والكفاح أو الأسود الذى يمثل القوة والحداد على الشهداء أو الأصفر وهو ما يرتديه أفراد الجيش والكشافة واتفق على اللون الأزرق لما له من الصفة التاريخية حيث اشتهر به الفلاح المصرى وكان واحدا من القاب زعيم الأمة سعد زغلول عام ١٩١٩ « زعيم الجلاليب الزرقاء » و « زعيم الرعاع » و « زعيم الأفندية » ! ٠٠

***

واتفق على صورة « بادج » يوضع على الذراع وعلى شارة معدنية صغيرة مثلثة تعلق على الصدر ٠٠ وكلتاهما تمثل قبضة قوية تطبق على مفتاح النيل ٠٠ كما اتخذت الفرق علما خاصا يرفع فى معسكراتها وفى مقدمة الطوابير وكان مكونا من اللونين الأحمر والأسود ٠ وعلى هذه الصورة قامت فرق الشباب وأصبحت أمرا واقعا وبدأت ــ مع استهلال أول عام ١٩٣٦ ــ أدعو للانضمام

اليها كل شباب مصر مستهدفا قيام جيل قوى يعرف حق وطنه ويعمل على رفعته ويتحلى بمكارم الأخلاق ويعتاد الطاعة والنظام وينصرف عن اللهو والعبث ولم يكن لنا أول الأمر منهج سياسى مخطط قائم بذاته ولم نكن نرغب أن تكون هذه الفرق بمعزل عن أغلبية الشعب فى نضاله لاستخلاص حقه من طغيان القصر وكفاحه لاجلاء المستعمر عن أرض الوطن ٠٠ وكانت هناك لجان للشباب الوفديين كجزء من تشكيلات الوفد في جميع انحاء البلاد تجمعها هيئة مركزية هى رابطة الشبان الوفديين ولم تكن لها الصورة النظامية لفرق الشباب ، وكنت فى باكورة تكوين هذه الفرق من الطلاب أباشر شئون اللجنة التنفيذية العليا للطلبة بالنادى السعدى مع اخوانى أعضاء اللجنة غير أن نشاط اللجنة لم يكن مرتبطا بأدارة هذه الفرق أو تكوينها رغم أن جلسات اللجنة كانت تعقد برئاستى ، وفى مقابلتى لرئيس الوفد مصطفى النحاس وسكرتيره مكرم عبيد واقتناعهما بسلامة الأهداف من وراء هذا التشكيل « القمصان الزرقاء » لشباب مصر ، وهى بعث الروح الرياضية والثقافية الوطنية والخلقية فى نفوس الشباب مع الحفاظ على الجوهر الأصيل لنظام الحكم الدستورى والديمقراطى فى مصر وحمايته ٠٠ دعوت الى اجتماع كبير للجان الشبان حضره مكرم عبيد وزهير صبرى فى ٥ يناير ١٩٣٦ :

وانضمت هذه اللجان الى صفوف الفرق التى كانت قائمة فعلا ٠٠ وكان مما قلته فى هذا الاجتماع بالحرف الواحد : « لن يكون المصريون سادة فى بلادهم الا اذا كانوا جنودا ومصر فى حاجة الى هؤلاء الجنود لتسترد حقوقها المغتصبة ٠٠ وفى تاريخ الدول المتحررة أمثلة شاهدة على نهضات الشباب وما يحققه لبلاده بجهاده ونضاله من رفعة الوطن وعزته » ٠



فرق العمال :

ولم يستمر قيام فرق للطلاب وحدهم طويلا حتى طالب العمال بحق الانضمام اليهم اسهاما منهم فى الجهاد من أجل وطنهم فقامت فرق من عمال العنابر والمطبعة الأميرية والتنظيم والسكة الحديد وأبو زعبل وغيرها من المؤسسات ٠٠ بالاضافة الى فرق أخرى للعمال والموظفين والفلاحين فى المدن والقرى ٠٠ وأصبح فى كل مديرية مصرية قيادة مركزية لفرقة كل المديرية وقائد لها من المناضلين الشرفاء وذوى المكانة والسيرة الحسنة والتاريخ الوطنى ٠٠ وأقبل الشباب على الانضواء تحت أعلام هذه الفرق بحماس وايمان وتشرب لروح الجندية والنظام ٠



التشكيل :

كانت كل وحدة تشكل من عشرة جنود يختارهم وينظمهم رائد لهم ، ومن

الوحدات تشكل قيادة الفرقة ، وكان لكل عضو بطاقة شخصية فيها صورته وبياناته ولا يتم قبوله حتى تطمئن قيادته بغير التحرى عنه الى حسن سيره وسلوكه ، وكانت تلقى بمعسكرات الفرق محاضرات ودروس أسبوعية منتظمة عن مشاكل الوطن والشعب وعن الأهداف الوطنية الى جانب ارشادات بضرورة التمسك بالقيم الروحية واشاعة الروح الدينية بين الأعضاء والتحلى بالخلق الكريم داخل الفرق وخارجها ، وكان يقام فى كل معسكر مصلى للأعضاء يتردد عليه بعض الوعاظ والمرشدين ٠

★★★

مجلس القيادة :

وتألف فى أول الأمر مجلس لقيادة الفرق من : محمد بلال ـ فهمى سليمان ـ أحمد لطفى ـ راغب الهوارى ـ محمود يونس ـ عماد الجندى ـ أحمد الشافعى ـ كامل الدماطى ـ حنفى الشريف ٠

وكان يقوم فريق من قدامى الخبراء والعسكريين بمهمة تدريب الأعضاء على الطوابير والتشكيل واقامة المعسكرات ٠٠ منهم الصاغ محمود لبيب كما كان يتردد متطوعا على معسكرات الفرق رئيس الكشافة عبد الله سلامة ومحمد محفوظ ٠

★★★

ومن قادة فرق المديريات « المحافظات حاليا » :

البرت برسوم سلامة لفرق الأحياء بالاسكندرية ، على الحلوانى لفرق العمال بالاسكندرية ، د٠ حامد محمود عن القليوبية ، محمد محمود الزيات عن الغربية، حامد الألفى عن بورسعيد ، سليمان عيد عن الاسماعيلية ، فهمى خورشيد (أسيوط) ، حنفى الشريف (سوهاج) ، محمود حلبى (البحيرة) ، أنور الغمرى (الفيوم) ـ حلمى الجيار (الدقهلية) ، ابراهيم بيومى (الشرقية) ، عبد الجليل عبد المنعم (أسوان) ، محمد فهمى (الجيزة) حسن المنسافيسى (المنيا) واشترك ممدوح رياض ومحمد شعراوى فى تكوين الفرق عند بدء قيامها ٠

★★★

المجلس الأعلى للفرق :

وقد أصدر الوفد فيما بعد قرارا بتشكيل المجلس الأعلى للفرق من : الأميرالاى حافظ صدقى « ضابط كبير بالتقاعد » ـ سيد بهنس (عضو الوفد المصرى » ـ محمود سليمان غنام « عضو الوفد المصرى » ـ محمد بلال « قائد

الفرق » ــ زهير صبرى المحامى « عضو مجلس النواب » ــ ميخائيل غالى المحامى « عضو مجلس النواب » ٠

★★★

وكان لكل حى معسكر خاص به تقام فيه الخيام ويتناوب أعضاؤه نوبتجيات الحراسة والتعليم ويرتفع وسطه علم الشباب الأسود والأحمر وكان أول معسكرات الأقسام قد أقيم فى الفضاء المجاور لبيت الأمة وبه فرقة الأساس وفرقة بوليس التنظيم ٠ ثم انتقل الى أرض ميدان الاسماعيلية « فى مكان مجمع التحرير الحالى » وكان يتسع لعشرات الألوف من الشباب وأقيمت معسكرات للشباب فى : ميدان السيدة زينب ــ الخليفة ــ عابدين ــ بسولاق ــ شبرا ــ العباسية ــ حلوان ــ البساتين ــ طره ــ المعادى ــ الدرب الأحمر ــ مصر القديمة ــ فم الخليج ــ الجمالية ــ الوايلى ــ الموسكى ــ الجيزة ــ باب الشعرية ــ بين السرايات ــ أمبابة ــ الزيتون ــ المطرية ــ روض الفرج ــ المعادى ــ الازبكية ــ الظاهر ــ الشرابية ٠

★★★

وأقيم مثلها فى عواصم الاقاليم والمراكز والقرى حيث كانت الامكانيات أكثر منها فى معسكرات القاهرة ٠

فرقة الشرطة من أعضاء الفرق :

وكانت مهمتها مراقبة تصرف وتحركات الأعضاء وضبط غير الأعضاء ممن كانوا يندسون داخل الفرق وأغلبهم كان مدفوعا للاساءة الى سمعة هذه الفرق ٠

وكان أعضاء الفرق يدعون لاجتماعات عامة فى معسكراتهم عند المناسبات الدينية والوطنية مثل : مولد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لتلقى عليهم سيرته الشريفة ومطلع شهر الصوم وفى الأعياد ٠ أما المناسبات الوطنية فكانت ذكرى عيد الجهاد الوطنى « ١٣ نوفمبر ١٩١٨ » التى كان يحتفل بذكراها الوفد كل عام ويلقى رئيس الوفد خطابا سياسيا جامعا على الجماهير يستعرض فيه الأحداث الجارية ويجدد الدعوة للجهاد فى سبيل استقلال البلاد والتنديد بخصوم الشعب والدستور وعلى رأسهم الملك وأنصاره ٠ أقيم أول استعراض لهذه الفرق بتاريخ ١٠ يناير ١٩٣٦ أمام النادى السعدى وبيت الأمة حيث احتشد الفان من الجنود أعضاء الفرق وكانت تقام استعراضات عامة فى المناسبات الوطنية الكبرى منها استقبال وفد مصر برئاسة مصطفى النحاس بعد عودته من مؤتمر مونتريه الى الاسكندرية والغاء الامتيازات الأجنبية وقد استعرض رئيس الوفد بضعة ألوف من أعضاء الفرق أمام فندق وندسور وكذلك احتشدت عدة ألوف من جميع أنحاء البلاد للمشاركة فى الاحتفال بنقل رفات سعد زغلول من الامام الشافعى الى

ضريحه الحالى بجوار بيت الأمة فى موكب طويل يتقدمه قائد الفرق وأعضاء مجلس القيادة ويشترك فى الاشراف عليه من أعضاء الوفد محمود فهمى النقراشى ٠

وكانت تصل الى قيادة الفرق رسائل ونشرات منتظمة من مؤتمر الشباب العالمى والذى كان يعقد مؤتمرا سنويا فى كل عاصمة ويدعو له مختلف منظمات الشباب فى العالم وقد أوفدت عن الفرق الدكتور سليمـــان عيد لحضوره فى سويسرا مرة ، وصلاح ذو الفقار فى باريس مرة أخرى ٠ وأرسلت الى القائمين بالمؤتمر خطابات ورسائل عن أهداف تنظيمنا وأوضحت لهم قضية بلادنا التى نكافح من أجلها كما أرسلت فى أكثر من دورة الى عصبة الأمم نداء باسم شباب مصر أندد فيه بالاستعمار والمستعمرين واستنهض الأحرار من أعضاء العصبـة لمساندتنا وتدعيم كفاحنا ٠٠

***

كما كانت تصلنا قصاصات من صحف مختلفة ومن عدة دول تتحدث عن فرق الشباب فى مصر كل تكتب حسب هويتها وعلاقتها بمصر ـ وكان بدهيا أن تكون الصحف البريطانية أول من يهاجمنا وعلى رأسها جريدة « التايمز » ٠ التى ادعت ان أعضاء هذه الفرق يعتدون بقسوة على خصوم النحاس وكذلك جريدة « الديلى تلغراف » التى وصفت هذه الفرق أنها مصدر اضـــطراب لمصر وان أعضاءها ليس لهم منازل !! ٠

***

وقد أوضحت فكرة قيامها والغرض من تشكيلها وسردت أهدافها والمناخ الوطنى والنضالى الذى نشأت فيه ٠٠ وكأى هيئة وطنية تتخذ صفة سياسية فى بلد به صراع حاد بين قوى سياسية ضخمة فانه لا بد ان يواكب مسيرة هـذه الهيئة أنصار وخصوم ولا بد ان تتلقى القدح والمدح والقوى السياسية المتصارعة فى مصر أنذاك هى الوفد والملك ٠٠ لذلك لم يكن غريبا عند قيام هذه الفرق ان كان الملك وأنصاره أول من خاصمها واتخذوا منها ذريعة لمحاربة الوفد وقامت قيامة جميع الأحزاب المؤيدة للسراى نسبت كل اعتداء أو شجار مع أنصارها الى القمصان الزرقاء حتى ولو كان المعتدون من المواطنين غير أعضاء الفرق ٠٠ ولم تدخر الصحف الموالية للملك وسعا فى مهاجمة الفرق وتجريح أصحابها ، وبعضها كان يصف تلك الفرق بالفاشية والآخر يصفها بالنازية ، ولم يكن ذلك مستغربا من الملك وأنصاره لانهم تعودوا على الشكوى من جماهير الوفد قبل قيام الفرق وبعدها ٠



ولم يكن عمر « القمصان الزرقاء » فى الصراع الطويل بين الملك والوفد غير فترة قصيرة أى أن الحملة على القمصان الزرقاء من جانب الملك وأنصاره لم تكن بكاء على الدستور المفترى عليه ولكن كان غطاء لاقتناص حق جديد من حقوق الشعب :

مقابلتان هامتان :

وأسجل للتاريخ أن الملك دعا رئيس الوفد مصطفى النحاس بتاريخ ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٣٧ بقصر المنتزه وسلمه بحثا قانونيا جاء فيه ان وجود جماعة القمصان الزرقاء ، ينافى الدستور وطلب اليه حلها ، هذه مقابلة ٠ أما المقابلة الأخرى فكانت قبل ذلك بأيام حيث استدعانى عميد كلية الطب الدكتور على باشا ابراهيم الى مكتبه وكنت ما زلت طالبا بالسنة الرابعة وجرى بيننا الحوار التالى : أسجله بألفاظه :

العميد : انت مثل ابنى تماما واتمنى لك الخير وعندى رسالة لك من مولانا الملك !

بلال : أشكرك وما فحوى هذه الرسالة ؟

العميد : انه يعرض عليك وظيفة رفيعة بالسراى لقاء بيان قصير منك فى الصحف ٠

بلال : وما هو يا سيدى العميد ؟

العميد : ان تقر بأن أعضاء فرق الشباب جنود الملك المخلصين يدينون له بالولاء والاخلاص وبهذا لا يطالب بحلها !

بلال : يا سيدى العميد أنا طالب عندك وكيف يشغل طالب وظيفة عند الملك ؟ ٠٠ ثم كيف يقبل منى أن أعبر عن ضمير هؤلاء الأعضاء وهم ألوف من المواطنين وكلهم وطنيون وذوو وعى ويقدرون صالح الوطن ويقدرون جيدا موضع ثقتهم وولائهم ٠ ولا حقوق لى عليهم غير تنشئتهم وتدريبهم وتوعيتهم بقضايا بلادهم ولهم ارادتهم المستقلة التى هى فوق كل أرهاب أو ضغط ٠٠

وكيف وهناك صراع دستورى بين رئيس الوفد المدافع عن حقوق الشعب وبين الملك الذى يجترىء على كل حق للشعب ٠٠ كيف والازمة قائمة على مرأى ومسمع من العالم بين الوفد والملك يمكننى أن أصدر مثل هذا عن الشباب الوفدى ؟

***

أو ليس هذا طعنة من الخلف فى ظهر الوفد ورئيسه ٠٠ ؟

وكيف ينظر الينا الوطنيون ؟ وهل ترضى عن ابنك لو كان فى موقفى ويصدر منه هذا التصرف ٠٠ انى واثق ان ضميرك لا يرضى ولا يقبل ان يكون

الشباب ألعوبة سياسية على حساب ارادة الشعب وحقوق الوطن ٠٠ ولقد نعت الملك فرق الشباب بأبشع الصفات هو واحزاب السراى ٠٠ ولم يتركوا نقيصة لم يلصقوها بنا واتهموهم بالتشرد والجهل وان أكثرهم من العمال ٠ كأنما لم يكن العمال من أبناء مصر ٠ أو حتى من بنى البشر ٠٠ !

العميد : يابنى لا يكلفك الأمر سوى بضعة سطور وأخشى عليك مغبة الامتناع ٠

بلال : يا سيدى العميد انى مقدر عطفك وعاطفتك وأقرأ فى عباراتك ان رجال القصر أثقلوا عليك وانت وطنى ونعرف وطنيتك وأوكد انك مستريح فى داخلك لما اجبيك به وأكرر اعتذارى وأنا واثق انك سوف تنقله وانت مرتاح الضمير ٠٠ أما ما يلحق بى فليس بالجديد على وأفوض أمرى دائما لله صاحب الأمر ؟

***

وانتهى هذا اللقاء وكان شهوده الدكتور أحمد شفيق باشـــا والدكتور مصطفى فهمى وكيل الكلية « والد الدكتور رشوان فهمى » والأستاذ محمد السحرتى مسجل الكلية ٠٠

وانصرفت الى حال سبيلى ٠٠

وأذكر هذا اللقاء لعل فيه الرد القاطع على لقاء المنتزة ٠٠ وهو ان الحملة على تنظيمات الشباب باسم الدستور كانت شعارا للصراع بين الملك والوفد : الأول يطلب الاستيلاء على المزيد من حقوق الشعب ، والثانى يتصدى اله ويدافع عن حقوق الشعب ٠

ولو ان هذه التشكيلات انفضت عن الوفد وحرقت البخور لصاحب القصر لألقيت عليها الورود والرياحين ولقال عن أفرادها حواريو الملك انهم من الملائكة المنزلين وانهم خيرة المواطنين ٠٠

***

ثم أسأل مرة أخرى : متى كان الملك دستوريـــا حريصـــا على أحــــكام الدستور ؟! عن هذا السؤال يجيب المؤرخون ٠

موقف الانجليز : أما موقف الانجليز من هذه الفرق فكان قلقا لا حد له وغضبا وريبة وتجسسا وتحسسا ومتابعة لكل حركة وقياسا لكل كلمة ؟

وهذا ما عبرت عنه صحفهم كما اسلفت ٠٠ وكنت كلما زرت احد معسكرات الشباب وتلفت خلفى وجدت الحمكدار رسل أو وكيله فيتز باتريك ورائى فى

نفس المعسكر ؟ وفى كل استعراض لأى طابور أتلفت بجانبى فأجد أحدهما أو كليهما أو زمرة من رجالهما ·· يراقبون ويسألون ويكتبون ··

لقاء بالنادى السعدى :

وفى أول العهد بالفرق وبتاريخ ١٠ يناير سنة ١٩٣٦ وعقب استعراض لبعض الطوابير أمام بيت الأمة والنادى السعدى زارنى بالنادى مستر كين بويد مدير الادارة الادارية بالداخلية وبصحبته زائران قدم لى أحدهما على أنه موفد من وزارة الخارجية البريطانية والثانى من السكرتارية الشرقية للسفارة البريطانية ·· ودار الحديث بالعبارات الآتية :

مستر كين بويد : لقد حضر مستر ··· ليتعرف على الحركة الجديدة للشباب فى مصر ··

بلال : كما ترون ·· حركة لتربية الشباب تربية وطنية ورياضية ·

كين بويد : هل هناك أهداف بعيدة وراء هذا التنظيم ؟

بلال : أهدافنا أعداد الجيل الصالح الذى يحمل الأمانة ويعرف حقوق بلاده ·· جيل صحيح الجسم والخلق والوعى الوطنى ··

كين بويد : والكن هناك لجانا سياسية بعيدة عن التنظيم العسكرى فلماذا هذا التطور الجديد ؟

بلال : ان التدريب العسكرى يخلق من الشباب مواطنين صالحين ويشغل ذهنهم بما يصلح به وطنهم ويساعدون به مواطنيهم · ويعلمهم النظام والطاعة والخلق ·

كين بويد : هل ترون ان يكون ذلك تقليدا لفرق الفاشيست فى ايطاليا أو النازى فى ألمانيا ··

بلال : بالقطع لا لاننا لا نؤمن بالدكتاتورية ونحن نحترم الدستور والديموقراطية هدف من أهداف الوفد يسعى الى تأكيده وتأمينه تماما كما يسعى لتحقيق الاستقلال التام لمصر والسودان :

كين : هل اقمتم أى اتصال بمنظمات أو هيئات خارجية ·

بلال : لا واسنا فى حاجة الى ذلك ·

كين بويد : مادام النحاس يتزعم أغلبية هذا الشعب ويحترم الدستور فلماذا يرضى بقيام تشكيلات عسكرية ؟

بلال : النحاس لا يكره ان يرى الشباب مكتمل الخلق والوعى والروح الرياضية ويسعده قيام جيل صالح يعرف حق الوطن والمواطنين •

ورغم ذلك فكانت تعليمات البوليس التصدى لتحركات هذه الفرق ومراقبته لكل حركة لها ـ كما كانت المراقبة على المراسلات الواردة من الخارج والصادرة الى الخارج والمتعلقة بقادة الفرق مستمرة ودقيقة وتمر على القسم الأوربى بالداخلية •• وكما ذكرت كانت جميعها لا تتعدى دعوة لمؤتمر أو قصاصة من صحيفة ••

***

الأحزاب :

لم يدخر فرد أو هيئة من مؤيدى الملك أى جهد فى الحملة على هذه الفرق وفكرتها •• وبكل الوسائل ، وعشرات المرات ضبطت قيادة هذه الفرق أفرادا مدسوسين عليها من غير أعضاء جاءوا لاصطناع شجار أو القيام ببعض الأعمال التى تسىء اليها وكان هؤلاء الأفراد يتصلون فورا بقيادتهم بما هو مطلوب منهم بالصحف المعادية للوفد وكم من مخالفة أو شجار يقع بعيدا عن معسكرات تلك الفرق وتنسبه تلك الصحافة اليها وهكذا •• كان أعوان الملك يحرقون البخور بين يديه بتشويه صورة هذه الفرق •• وهو نفسه لم يكن بحاجة الى المزيد من الحقد والكراهية ••

***

وقد كان مما يضايق هؤلاء ، وغيرهم من قيام فرق القمصان الزرقاء ، ونجاحها فى مهامها انها اصطبغت بالصبغة الوفدية ، وانه عندما نشبت الازمة الدستورية بين الملك والوفد ، وقفت تلك الفرق الى جانب الوفد ، ولم تقف الى جانب الملك كما انه فى مقدمة الأسباب التى جعلت الكثيرين يتضايقون من وجود تلك الفرق انها ضمت الى جانب الطلاب ، العمال ، وغير المثقفين ، وكم كنت أتمنى شخصيا لو امتد الأجل ببعض الشخصيات التى أسهمت فى هذا العمل ، وخدمت البلد من خلال انتسابها الى فرق القمصان الزرقاء لعلها تتولى الدفاع عن فرق القمصان الزرقاء وفى مقدمة تلك الشخصيات التى رحلت كان جمال عبد الناصر ومحمود يونس ، ود• حامد محمود ، وممدوح رياض ، ومحمد شعراوى نجل على شعراوى ومن بين من انضموا الى القمصان الزرقاء ، فى بداية شبابهم ، الأساتذة ألبرت برسوم وعبد المنعم الصاوى وعدلى الصيرفى والدكتور محمد

قناوى والاستاذ محمد رجب والدكتور حسن الجندى والمستشارون محمد حسين وسيد عبد العال وموسى فرهود ومحمد رأفت عبد الرحيم ، وراغب الهوارى ـ محكمة النقض والابرام ـ ومن النواب السابقين والشيوخ السابقين حامد الألفى « بورسعيد » وسليمان عيد « الاسماعيلية » وابراهيم بيسومى « الزقازيق » ود٠ حلمى الجيار « المنصورة » ومحمد محمود الزيات « طنطا » وعلى الحلوانى « الاسكندرية » ومن أعضاء مجلس الشعب الحاليين : صبحى وهدان وحسن عماد وعلى سلامة ، وغيرهم وغيرهم ٠

وبعد تلك الرسالة التى كتبها د٠ بلال ونشرناها بنصها وفصها ننشر رسالة أخرى للدكتور عز الدين عبد القادر حفيد أحمد عرابى ، فى الفصل التالى :

الفصـــل الرابـــع

اعترافات د. عز الدين عبد القادر حفيد عرابى باشا

وثائق هامة تنشر للمرة الأولى

وحتى تكون الصورة واضحة للغاية نفسح المجال للدكتور المهندس عز الدين عبد القادر حفيد أحمد عرابى باشا يروى أسرار خطيرة تذاع لأول مرة عن حركات الشباب فى عامى ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ جاء فيها :

« وما أحسب شابا فى جيلنا شارك فى الحركة الوطنية فى الثلاثينات والى الأربعينات الا وهو مدين بشىء ·· للرجل الأسطورة عزيز المصرى أو الفريق عزيز باشا المصرى أو قل عبد العزيز على ابراهيم الخربوطلى ·· وهذا اسمه كاملا ·

ولقد تعرفت بعزيز المصرى ·· فى منزل الاستاذ أحمد حسين المحامى رئيس جمعية مصر الفتـــاة ·· التى تكونت فى ٢١ أكتوبر ١٩٣٣ من شباب مصر الذين شـــاركوا فى حركة مشروع القرش وتجمعوا فى جمعيـــة مصر الفتاة تخلصا من الحيرة التى اشتدت بنا بسبب مساوىء الاحتلال البريطانى لمصر ·· وتناحر الاحزاب ·· وضعف الساسة القدامى وعزم الشباب على النضال ·· حتى يتحقق لمصر ما تصبو اليه من حرية واستقلال ورخاء ··

وكنت بحكم اشتراكى فى حركة مشروع القرش من الرعيل الأول الذى انضم الى جمعية مصر الفتاة عند قيامها ·· بايمان وحماس الشباب كما كنت كذلك احد مؤسسى حزب مصر الفتاة عندما تحولت هذه الجمعية الى حزب سياسى فى ٣١ ديسمبر ١٩٣٦ · وقد عهد الى الحزب بمهمة تكوين اللجان وتنظيمهـا واعتبارى المسئول عن ذلك كما عهد الى من قبل فى عام ١٩٣٤ ·

***

وكانت حركة مصر الفتاة بحق ٠٠ مدرسة وطنية لتعليم السياسة كما تعلمت ذلك فى صدر شبابى مثل سائر شباب الجيل فى ذلك الوقت ٠٠ عن أحمد حسين ٠٠ السياسى الشاب الذى تحدى الساسة القدماء ٠

ولقد كان موضوع مصر الفتاة وظهورها فى حياة مصر السياسية موضع دراسة للباحثين ٠٠ فتقدم ج٠ ب٠ جانكوسكى أحد المؤرخين الامريكيين بدراسة بعنوان « حزب مصر الفتاة والقومية المصرية فى الفترة من ١٩٣٣ الى ١٩٤٥ » نال بها الدكتوراه فى التاريخ الحديث من جامعة متشجان بالولايــات المتحدة الامريكية ٠٠ عام ١٩٦٧ ٠

كما قام غيره بمثل هذه الدراسة هنا وهناك ٠٠ كذلك ٠٠

وفى مصر مثلا أعد الاستاذ على محمد حامد شلبى رســالة ٠٠ بعنوان « مصر الفتاة ودورها فى المجتمــع المصرى ـ ١٩٣٣ الى ١٩٤١ » تحت اشراف الاستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم قدمها لنيل درجة الماجستير وحصل عليها عام ١٩٧٥ من جامعة ـ عين شمس ـ كلية الآداب قسم التاريخ ٠٠ وكم اتمنى لو قدر لهذه الرسالة التاريخية العميقة أن تطبع وتنشر وأن يتوفر لها الحظ للظهور فى وقت قريب ٠٠ لتتداولها الجماهير ٠٠

★★★

وانى اضمرت فى نفسى ٠٠ ووضعت نصب عينى ٠٠ منذ اللحظة الأولى التى فيها تطوعت وانضممت الى حركة مصر الفتاة ٠٠ هدفا واحدا ٠٠ هو هدم حكم أسرة محمد على لمصر ٠٠ وطرد الانجليز منها بقوة السلاح ٠٠ وبكل الوسائل ٠٠ وبأى شكل من الأشكال ٠٠

★★★

يقول الاستاذ على شلبى فى رسالته بصفحة ٢٤٠ ٠

« مقابلة الخديو عباس باشا الثانى » ٠

« فى تقرير سرى للأمن عن محاولة سفر عز الدين عبد القادر الى العراق ليقيم اتصالات به مع مصر الفتاة ٠٠ والتقرير بتاريخ ١٦ ابريل ١٩٣٥ ٠٠ وذلك لمقاومة الاستعمار وتهيئة الرأى العام للثورة ضده فى كل البلاد الشرقية ، كذلك ، أرسل سير مايلزم لامبسون سفير انجلترا بمصر تقريرا سريا للغاية برقم ٥٠٢ مؤرخا ٢٠ مايو ١٩٣٥ الى جون سيمون فى لندن قال فيه :

« وقد استطاع عز الدين عبد القادر ان يحصل على تأشيرة دخول من القنصلية العراقية بالقاهرة وسافر عن طريق فلسطين ولكن يبدو أنه لم يواصل السفر وعاد الى القاهرة ٠

« المصدر ــ محفظة رقم ٦ احراز ــ فى القضية الجناية رقم ١٤٣ ــ ١٩٣٨ مصر الجديدة٠٠قضية اعتداء عز الدين عبد القادر على حياة مصطفى باشا النحاس رئيس الحكومة رميا بالرصاص فى ٢٨ نوفمبر ١٩٣٧ » المحفوظة بدار القضاء العالى بالقاهرة ٠

***

ويقول الأستاذ على شلبى فى دراسته العميقة فى هذه الرسالة بصفحتى ٢٣٩ و ٢٤٠ :

سبق أن ذكرت أن العلاقات بين مصر الفتاة والقصر بعد خروج الابراشى منه شابها شىء من الفتور ، فبدأت مصر الفتاة تتجه اتجاها آخر ربما كان الاتجاه المضاد تماما لاتجاه القصر وسياسته ٠٠

حاولت مصر الفتاة فى تلك الفترة اقامة علاقات بينها وبين الخديو عباس حلمى الثانى فى منفاه ، وقد تولى الوساطة بين الطرفين عبد الخالق باشا مدكور والذى كان قد أعلن انضمامه لجمعية مصر الفتاة من قبل٠وفى تلك الفترة حاول مدكور من جانبه أن يمهد لاقامة تلك العلاقة بل ربما كان هو بطلها ، فقد كان يتردد على الخديو فى جنيف وفى حيفا والقدس بفلسطين اذ كان الخديو يتردد عليهما ، وخلال تلك اللقاءات كان مدكور يحادث الخديو عن الجمعية ومبادئها وأغـراضها حتى استطاع أن يحصـل على تأييده لها والوعـد بمساعدتها فى المستقبل ٠

***

كانت مصر الفتاة تتوجس خيفة أن ينتشر خبر ذلك الاتصال بالخديو فقد قصرت العلم به على كل من أحمد حسين وفتحى رضوان ومحمد على علوبة ، ومع هذا فقد تسرب الخبر الى خارج هؤلاء،فقد وجه مندوب جريدة«روزاليوسف» سؤالا الى علوبة باشا حول هذا الموضوع بقوله : هل هناك حقيقة مهمة خاصة بمصر الفتاة يقوم بها مدكور باشا فى مقابلته للخديو ؟ ولكن الباشا كذب ذلك الخبر ونفاه نفيا قاطعا ، وأبلغ أنه استاء جدا لتسرب خبر ذلك الموضوع ٠ وقد علق أحمد حسين آمالا كبارا على ذلك الاتصال « دار القضاء العالى ــ تقرير سرى سياسى ٠ بالقضية المذكورة بتاريخ ٢٨ فبراير ١٩٣٥ » فلما عاد مدكور باشا من رحلته هرع أحمد حسين الى لقائه كى يطمئن عـلى موقف الخـديو منه ومن الجمعية ، وفى نفس الوقت توجه وفد من الجمعية لتهنئة مدكور باشا بالعودة يضم كلا من فتحى رضوان وأحمد الشيمى ومحمود طاهر العربى وقد أكد لهم مدكور أن الخديو يعرف كل شىء عن الجمعية ووعد بأنه سيساعدها ماليا ويدعم جريدتها « وادى النيل » وقد ذكر مدكور فى حديثه لأحمد حسين أن الخديو

لا يهمه مطلقا مسألة عرش فلسطين أو سوريا ولكن هناك مفاوضات بينه وبين الانجليز حول عرش يهمه كثيرا جدا وأهم من فلسطين وغيرها « نفس القضية بدار القضاء العالى تقرير سرى سياسى بتاريخ ٢ مارس ١٩٣٥ » .

***

● ولعل فى ذلك القول من جانب مدكور ظلا من الحقيقة فان انجلترا كانت فى شك من أمر الوصية التى أعدها الملك فؤاد بولاية العرش ومن هم الأوصياء ، وهل هم أشخاص ترتاح اليهم انجلترا ، وتأمن جانبهم وخاصة ان الوضع فى المنطقة كان ينذر بالتوتر ، فالنزاع الحبشى الايطالى يهدد انجلترا ووضعها فى مصر ، هذا فضلا عن أن صحة الملك فؤاد كانت متدهورة الى الحد الذى يجعل بريطانيا قلقة على مستقبل الأوضاع فى مصر فلا مانع لدينا من قبول ذلك القول من انها فكرت فى حل تلك المسألة وايجاد البديل فيما اذا تطورت الأوضاع فى مصر على غير ما ترى ..

وان مما يؤكد لنا ان هذه العلاقة قامت بين مدكور والجمعية حول الاتصال بالخديو السابق أن عز الدين عبد القادر — عضو مجلس جهاد جمعية مصر الفتاة — كان قد توجه الى فلسطين بدون جواز سفر وكان على اتصال بأحمد حسين الذى كلفه بأن يتصل بمدكور باشا أثناء اقامته فى القدس فتوجه اليه ولكن مدكور طلب أن يلقاه فى حيفا بعد ذلك ، فالتقى به هناك حيث مهد له فرصة لقاء الخديو على يخته الخاص « نعمت الله » وكما يذكر عز الدين نفسه — ان لقاءه بالخديو كان على اعتبار أنه أحد أبناء رجال الحزب الوطنى البارزين والمعروفين لدى الخديو فهو ابن محمد بك توفيق بن عبد القادر « باشا » فهمى وبهذه الصفة استطاع أن يلتقى بالخديو ويشرح له رغبته فى السفر الى الحجاز سيرا على الأقدام فقدم له بعض المساعدات المالية ، وقد حضر اللقاء عبد الله البشرى سكرتير الخديو ، ويؤكد عز الدين أن هذا اللقاء كان بوحى منه شخصيا وليس بتوجيه من مصر الفتاة !!

***

ولكن يمكن القول أن المقابلة كانت بتعليمات من أحمد حسين فى خطاباته الى عز الدين وهو فى فلسطين ..

كانت محاولة مصر الفتاة الاتصال بالخديو تدل دلالة واضحة على انها تعمل على تدعيم جمعيتها بأى شكل من الأشكال ، فسواء هى التى سعت لاقامة تلك العلاقة أو ان مدكور باشا هو الذى جرها اليها لمصلحته الشخصية فمن المؤكد انه كان أحد أنصار الخديو والذين يهمهم أن يروجوا له أن فى مصر ركائز سياسية يمكن أن تساند حكمه اذا تغيرت الأوضاع وفضلت انجلترا اعادته الى

عرشه ، وجمعية كمصر الفتاة التي توصف بالتطرف يمكن استغلالها في هذا الشأن وهو سؤال يفرض نفسه وهو : كيف تسمح جمعية مصر الفتاة لنفسها باقامة علاقات مع الخديو عباس حلمي وهي تعلم تمام العلم أن مجرد ذكر اسمه في مصر يهز أركان القصر الملكي ؟

حقيقة الأمر أن مصر الفتاة كانت على استعداد لأن تتعاون مع الشيطان كي تصل الى هدفها المبكر في اعادة مجد مصر على يديها « كما تعلن ذلك » فهي لا ترى مانعا من التعاون مع أية قوة داخلية كانت أم خارجية تقربها من هدفها ، ولكن في حقيقة الأمر سواء استفادت مصر الفتاة ماديا عن طريق ذلك الاتصال أو انها لم تستفد فانه بمجرد أن بدأ يظهر في الأفق تولى على ماهر لرياسة الديوان الملكي على نحو ما رأينا فقد أوقفت تلك المحاولات من جانبها للاتصال بالخديو وهي تتوجس خيفة من أن يظهر للقصر ما بدر منها في هذا الموضوع .

***

ويعلق أحمد حسين على أخلاق على ماهر باشا بقوله « انه من النوع الذي اذا خاصم فجر » .

ولا أعدو الصواب اذا قلت ان أصعب موقف صادفته في حياتي الحافلة بالمغامرات والأخطار والأهوال .. هو انني وجدت نفسي في مستهل حياتي السياسية نهبا للتيارات والعواصف التي تنازعتني وزلزلت كياني .. وهدمت بنياني وان كانت والحق يقال خلقتني خلقا جديدا .

كان لأول لقاء لي مع عزيز المصري في منزل الأستاذ أحمد حسين .. هذا الشاب الممتلىء ايمانا بمصر ومجدها .. أثر بعيد في حياتي كلها .. اذ ارتاح الباشا الى ودعاني لزيارته في منزله وكان يسكن في أعلى شقة بعمارة فيكتوريا بشارع فؤاد بالزمالك .. وتفضل على بالاستعارة من مكتبته الخاصة الزاخرة بأندر الكتب العلمية النفيسة .. وشجعني على الاطلاع والقراءة .. كما شجعني على استمرار التردد عليه كثيرا .. وكانت أول كتب أعارها لي كتابا عن فريدريك الأكبر بالفرنسية وآخر عن بسمارك ..

***

ومن الغريب .. في أخلاق عزيز المصري .. انه كان يحدد لي في كل زيارة أذهب اليه في منزله ، موعد الزيارة التالية .. وكثيرا ما كان يحدد لي موعد المقابلة الساعة السابعة صباحا .. كما لو كان يقصد امتحاني وتقدير مبلغ اهتمامي بلقائه فكنت أبذل أقصى جهدي وأنا أسكن في القلعة بعيدا جدا عن الزمالك كي أطرق عليه بابه قبل الساعة المحددة بخمس دقائق بالضبط فأجده جالسا الى مائدة الطعام ينتظرني فنتناول طعام الافطار معا الذي تعده عادة

خادمته النوبية الأمينة « زينب » • وكثيرا ما تناولنا الغداء أو العشاء معا •

وكان يحنو له أن يحدثني عن ذكرياته وآرائه على المائدة وبعدها ، ولا ينسى أن يعيرني ما أطلبه منه من كتب أستعيرها من مكتبته •• كما كان يستبقيني طويلا ولا يتركني أنصرف حتى ولو حضر اليه كبار ضيوفه•• وكثيرا ما تعرفت عنده ببعض ضيوفه •• ومنهم على باشا ماهر وعبد الرحمن عزام « والشيخ رشيد رضا » والزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي والجنرال •• كلايتون ملك مصر غير المتوج وغيرهم •• قبل عام ١٩٣٧ وتعرفت عنده بعد ذلك عام ١٩٤٥ بحسن عزت وأنور السادات •

وكانت حصيلة زياراتي لعزيز المصري سعة اطلاع • وثقافة • وانقلابا تاما في تصوري للحرية وابعادها ووسائل تحقيقها •• فقد كان عزيز باشا المصري بحق ثورة متفجرة هادرة •• تشعل ثورات في نفوس كل عارفيه ••

وأهم ما تأثرت به في تلك الفترة انني اكتشفت جهلي التام بالقضية التي آمنت بها •• وتجردي التام من الخبرة ومن السلاح الواجب توافرهما لنصرة هذه القضية ••

***

ولهذا كان لابد لي وقد غمرني عزيز المصري بعلمه الغزير وتجاربه وتوجيهاته طويلا •• أن أعرف طريقي •• وأن أبحث عن العدة اللازمة لاعزاز ما أؤمن بأنه •• حق ••

وبدأت من الصفر •• طلبت من السلطات منحي جواز سفر لأقوم بجولة في الوطن العربي •• للتعرف عليه •• فرفضت السلطات لأن اسماعيل صدقي باشا رئيس الحكومة في ذلك الوقت وضع أسمي في القائمة السوداء ضمن الممنوعين من السفر لعضويتي في جمعية مصر الفتاة المعادية للانجليز •• وله••

ولما أردت الاستعانة برئيس الكشافة الأهلية وكان أزهريا هو محمد خالد حسنين وكان قادما الى مكتبه لتوه من عند الشيخ الأحمدي الظواهري شيخ الأزهر يوم سقوطه لمعارضته مطالب شباب الأزهر الذين هيجهم ضده وتظاهروا عليه بقيادة الشاب النابه خطيب الأزهر الثائر أحمد حسن الباقوري .. حتى أسقطه يومذاك •• طردني محمد خالد حسنين بتهور وعصبية •• فكتب الأستاذ محمد صبيح عن هذه الواقعة في مجلة مصر الفتاة بعنوان : خالد حسنين يهدد عز الدين عبد القادر بالسجن المؤبد ويحلم بالأحكام العرفية !!

وبعزيمة الشباب واصراره •• قمت برحلتي وسافرت سيرا على الأقدام مخترقا كل الحدود العربية المصطنعة •• بلا جواز سفر •• غير معترف بها ولا بالتجزئة والتقسيم الذي فرضه الاستعمار على بلادنا ••

وكان ذلك فى فجر يوم السبت غرة رمضان ١٣٥٤ الموافق ٨ يسمبر ١٩٣٤ . وبدأت السير من منزل الأستاذ أحمد حسين حيث كان يسكن بجهة المنيرة .. مسقط رأسى وحيث كان مولدى هناك عام ١٩١٤ . وفى اليوم الثانى مررت بالتل الكبير ثم عبرت القناة من القنطرة .. وكم أحزننى حال سيناء وسيطرة جارفى بك المحافظ الانجليزى وفرض الحكم العسكرى فيها .. وبؤس واذلال أهالى سيناء من المصريين الأعراب المسحوقين .. باهمال حكومة القاهرة لهم ونسيانهم !! فريسة للجوع والفقر والجهل والمرض .. فكنت أراهم أشباحا شبه عرايا يترنحون ..

***

وعبرت الحدود .. رغم كل العوائق والحراسات ودخلت أرض فلسطين.. والمراسلات بين أهلى ومنزلى مستمرة وبينى وبين الأستاذ أحمد حسين لا تنقطع والأستاذ محمد صبيح ينشر أخبار رحلتى بين حين وآخر فى عمود أخبار الشباب المخصص له بجريدة كوكب الشرق .. اليومية بالقاهرة .. وبالطبع كان ينشر ما يمكن نشره أما عن نشاطى السياسى هنا وهناك فلم يكن للنشر .. ولم يعلم به أحد الا بعد ضبط مستندات كثيرة وتقارير خصومنا من رجال البوليس السياسى والقسم المخصوص فى حادث النحاس باشا فى نهاية عام ١٩٢٧ .. هذا وسيناء باب مصر الشرقى ومساحتها ٨٢ ألف كيلو متر مربع عزلها الانجليز عن مصر وتركوها خرابا . وسيطروا عليها حسب مخطط استعمارى خبيث .

وأنه لمن المؤسف حقا .. أننى علمت فيما بعد أن بعض أعضاء مصر الفتاة البارزين .. كان يتجسس على الحركة ويبيع أسرارها وأخبارها فى تقارير منتظمة بعضهم يبعثها للسفارة البريطانية..وبعضهم للبوليس السياسى « اللواء سليم زكى ورسل باشا» وبعضهم للقلم المخصوص « اللواء عمر حسن رجل الانجليز والملك » ..

هكذا ذاع سر مقابلتى للخديو السابق عباس حلمى الثانى على ظهر يخته الخاص « نعمت الله » المسمى على اسم الأميرة أخته .. والغريب ان هذا الحاكم الذى عرف يوما بعدائه الشديد للانجليز فى مصر كان يرفع العلم البريطانى بصفة مستديمة على يخته ويحيا فى ظله .. بينما كان قبطان اليخت ضابطا ألمانيا ..

***

ولأول مرة أرى علم اسرائيل .. مرفوعا على صوارى المقدمة فى أعلى كل السفن الراسية فى ميناء حيفا .. فى عهد الانتداب البريطانى على فلسطين العربية .. باعتبار ما سيكون .. وانها أرض اسرائيل .. وكان ذلك المشهد

المحزن في يناير عام ١٩٣٥ .. قبل قيام دولة اسرائيل فى فلسطين .. واغتصابها واستشهادها ..

***

ولكم أثار ما جرى فى فلسطين وما شاهدته فيها من غيظ فى نفسى .. وكم أشعل ما فيها من كراهية وعداوة للانجليز .. وصنائعهم .. انها المؤامرة أراها بوجهها القبيح ..

وذهبت أصلى المغرب فى أقرب مسجد لميناء حيفا بعد انتهاء مقابلتى للخديو السابق .. وكان جامع الاستقلال .. لفت اسمه انتباهى .. أى أمل يعنى هذا الاسم فى بلد يحتله الانجليز ويهاجر اليه شذاذ الآفاق من اليهود ، هجرة غير شرعية .. تهريب منظم على أوسع نطاق بمساعدة الوكالة اليهودية والصهيونية العالمية والاستعمار البريطانى المسلح ..

ولما سألت ما هى قصة هذا المسجد..علمت أنه أقيم بتبرعات..كتبرعات مشروع القرش فى مصر .. شيده مجاهد سورى مهاجر الى حيفا .. كان مقاتلا فى جيش سوريا زمن الملك فيصل وحضر معركة ميسلون عام ١٩٢٠ بقيادة الشهيد البطل يوسف العظم وبعد الهزيمة نزل عند نسيبه الشيخ عز الدين وأصبح رئيسا لجمعية الشبان المسلمين هناك .. فى حيفا ..

هزتنى القصة .. فيا له من كفاح ويا لها من قصة .. ولم أضيع وقتى أسرعت الى مركز الشبان المسلمين بارشاد أحد شباب جوالة صقر قريش وقابلت المناضل العظيم .. وجدته فى السبعين تقريبا .. استقبلنى بالأحضان وهو أبيض الوجه نحيف يميل الى القصر .. حاد النظرات كأنه .. نسر جارح وقصصت عليه قصتى .. وكررت زياراتى له .. وتناولت الغداء فى اليوم التالى على مائدته .. وتدارسنا الأوضاع العربية ووسائل الخلاص من أخطبوط الاستعمار والصهيونية وأعوانهما .. واتفقنا ، أن الجنة تحت ظلال السيوف .. وان المقاومة المسلحة هى اللغة التى لا يفهم غيرها الأقوياء .. واذا كان قاطع الطريق يومئذ ـ أبو جلدة ـ قد قتل ومات وهو يقاوم السلطات فى جبال فلسطين .. من أجل عرض زائل .. لقمة العيش .. فكم يكون أعظم وأعظم أن نموت ونحن شباب محمد فى سبيل الله والوطن والحرية .. وأن نختم حياتنا بالاستشهاد ..

***

ولقد قدمت للشيخ الجليل قسما من المال الذى منحنى اياه بالأمس الخديو .. عارضا عليه شراء بعض قطع السلاح للعمل فورا ضد أعدائنا .. فأبى .. واستمهلنى حتى يتمكن من تجنيد بعض خيار المتطوعين المخلصين

وتسليحهم بمعرفته ·· وهكذا انصرفت فى طريقى الى الحج سيرا على الأقدام··
على أمل أن أعود والتقى به لنبدأ الجهاد المسلح فى جبال نابلس ·· بمجرد أن
يصلنى منه استدعاء فى القاهرة ·· ودخلت الحجاز عن طريق الأردن ومعان
وينبع والمدينة المنورة ··

وكان يوم عرفه حينذاك يوافق يوم الجمعة ٩ من ذى الحجة ١٣٥٤ ـ ١٥
مارس ١٩٣٥ ـ وهو للغرابة يوافق عيد ميلادى « ١٥ مارس ١٩١٤ » وبلوغى
سن الواحد والعشرين ·· جعله الله حجا مبرورا وذنبا مغفورا خاصة وانه كان
يوم جمعة ·· أسعد الأيام عند الله ·

ومن غرائب الصدف أيضا ·· أن الشيخ المجاهد اسمه الكامل هو عز
الدين عبد القادر القسام ·

ولله در شاعرة العراق دكتورة عاتكة الخزرجى ·· حيث تقول :

قدر ·· كان اننا نتلاقى

واتفاق جرى بغير اتفاق

***

عدت الى مصر ·· بعد أن أديت فريضة الحج ·· وبعد أن مررت بمواطن
تاريخية هزت وجدانى وأحيت موات ذكرياتى ·· التل الكبير وسيناء وفلسطين
والأردن التى العب تشرشل ولورنس دورا فى خلقها وتمزيقها من الشام «سوريا»
العربية ·· كما زرت الحجاز والأماكن المقدسة بكل ما فيها من بهاء وعظمة وجلال
وقد ضمته الدولة العربية السعودية الحديثة الى مملكتها ·· قبل ظهور البترول
فيها الذى تدفق عام ١٩٣٧ بكميات تجارية ·· أى بعد عامين من حجى هناك··

ولورنس هو توماس ادوارد لورنس ولد فى مدينة تريمادوك بمقاطعة
ويلز فى ١٨٨٨/٨/١٦ وأبوه توماس شابمان وأمه فلورنس مسهام كانت خادمة
فى المنازل والفنادق ·· وكان لورنس أحد الرجال الذين أوفدتهم المخابرات
البريطانية الى الشرق ولعب دورا خطيرا فى خداع العرب واستغلالهم وتمزيق
بلادهم وكان كما علمت صديقا حميما لزعيم عربى من أصل شركسى من قبيلة
قوقازية اسمها شاه بلو ·· هو عزيز المصرى الذى تفاهم مع الانجليز فى مصر
بصفته رئيسا لجمعية « العهد » العربية وقائدا لجناحها العسكرى وأوفده عميد
المخابرات البريطانية فى مصر الجنرال كلايتون الى الحجاز فسافر مع صديقه
الانجليزى لورنس على ظهر باخرة واحدة عام ١٩١٦ واستقبل عزيز المصرى
طابور شرف عسكرى فى ميناء جدة لتحيته رسميا باعتباره قائد جيش الثورة
العربية التى دبرها الانجليز مع الشريف حسين ضد الأتراك العثمانيين ··

وكان الحاج عبد الله فيلبى ــ وهو الانجليزى الاستعمارى العتيد هارى سانت جون فليبى ــ الذى قضى أربعين عاما حتى مات عام ١٩٦٠ فى مستشفى الجامعة الأمريكية ببيروت بعد أن حقق البريطانيا سياستها فى شبة الجزيرة العربية ــ معروفا بجاسوسيته وخدمته للمخابرات الانجليزية طوال عمره ·· ونجح فى التخلص من الشريف حسين ·· ولحس وعود الانجليز له وللعرب فى الحرب العالمية الأولى ·· وهو واحد من رجال المخابرات الانجليزية العتاة الذين ابتلى بهم الشرق وخدعوا العرب وحاربوهم هم وأعوانهم حتى أوردوهم موارد التهلكة والحتوف والعبودية ·· ومنهم ·· لورنس ·· وجون باجوت جلوب « باشا » ومكماهون ·· وكركبرايد ·· وكوكس وغيرهم ·· وكان من أنجح عمد الاستعمار فى البلاد العربية فى تحقيق أهدافه وهو يصرح « بأن خطط السياسة البريطانية مؤسسة على تجاهل العرب ومصالحهم » ·· منذ وضعت بريطانيا خطط سياستها فى بلادنا ··

***

تأثر عزيز المصرى بالضابط الجاسوس البريطانى هارى سانت جون فيلبى وآمن مثله بأن الأفضل أن يتمكن السعوديون من حكم الحجاز وضمه الى مملكتهم ·

وكما علمت من جعفر العسكرى أن الشريه حسين أحس بتغير دخيلة نفس عزيز المصرى تجاهه وتجاه حكمه · فأحس بمرارة وخيبة أمل فى عزيز المصرى فاستبدل به فى قيادة جيش الثورة العربية فى الحجاز ·· الجيش الهاشمى ·· القائد الكبير جعفر باشا العسكرى ولم يفد عزيز المصرى ·· الانجليز ·· فعاد الى مصر ·· رغم أنهم أرادوا له أن يساعدهم على تنفيذ خططها للقضاء على دولة الرجل المريض فى تركيا ·· والاستيلاء على تركته لقمة سائغة ·· وتمزيق الأمة العربية والسيطرة على الوطن العربى واستعباده لصالح الاستعمار ··

***

وحصلت على جواز سفر ·· بعد عودتى الى مصر ·· وتغيير حكومة صدقى باشا ·· ضمننى فيه المرشد الشهيد حسن البنا دون سابق معرفة بى ، وذلك فى مكتب محاماة أحمد حسين لهذا بقيت طوال عمرى عارفا بجميله ·· مقدرا لنبله كما ضمننى شهيد مصر الفتاة كمال الدين صلاح ·· رحمهما الله تعالى ·

حصلت على جواز السفر ·· عملا بنصيحة « الخديو عباس باشا حلمى الثانى » لى خلال زيارتى له فى يخته بحيفا فى رحلتى الأولى الى فلسطين والحجاز عن طريق امارة شرقى الأردن حيث قال بالفرنسية :

« انها حماقة .. السفر بلا جواز سفر » ..

وعدت الى فلسطين .. حيث وقفت فى القدس فى نفس المكان الذى وقف فيه عام ١٩١٨ اللورد اللنبى الانجليزى بعد دخوله فلسطين وطرد الأتراك منها وقال : « اليوم .. انتهت الحروب الصليبية » .

وقفت وروحى كلها ترتجف غضبا .. أن يقحم كل عدو استعمارى وفى أرض السلام .. اسم السيد المسيح له المجد .. لتغطية عدوانه الدموى على الأمة العربية .. ووطننا العربى لسلب خيراتنا .. وسفك دمائنا واحتلال بلادنا واغتصاب أرضنا ..

***

عدت الى فلسطين .. وفى أعماقى رغبة ملتهبة .. فى السفر الى دمشق لزيارة .. قبر صلاح الدين .. استلهم من وقفتى عنده الرد الذى لا يرده غيره على .. بجاحة واجرام المستعمرين المعتدين على مدى العصور .. والأزمان ..

عدت لأقابل الشيخ القسام .. لأستعجله لحمل السلاح .. والمقاومة المسلحة .. ونشرها بين الجماهير .. ضد الاستعمار « الانجلوصهيونى » فى فلسطين والوطن العربى ..

وقابلت الشيخ المجاهد عز الدين القسام فى حيفا من جديد .. فذهل لهذه الزيارة المفاجئة .. وتأكد من اننى جاد ومصمم على حمل السلاح ضد الانجليز والسياسة الانجليزية التى لا تريد حلا عربيا للقضية الفلسطينية ولما علم اننى مررت بامارة شرقى الأردن واننى لم أحاول أن أتصل بأحد فيها .. سره ذلك ..

وتباحثنا طويلا حول اشعال الثورة العربية .. وعن مصر الفتاة ودورها الثورى .. فقال ان الثورة اذا قامت فانها ثورتنا نحن العرب ونحن وحدنا الذين نملك الحق فى بناء بلدنا .. وحماية أمتنا وتقرير مصيرنا وحياتنا ومستقبلنا دون قيود .. وعلينا أن نزهق أنفاس أعدائنا من استعمار ورجعية وعملاء خونة .. بقوة وبأى ثمن ..

وجددنا العهد بيننا على السير الى الأمام فى طريق النضال الثورى بعزيمة من أجل وطننا العربى .. وأمتنا العربية .. وتغيير الأوضاع من أقصى وطننا الكبير الى أقصاه ..

***

ولم يكن الشيخ قد استكمل استعداده لبدء الحركة المسلحة بعد وتواعدنا على أن أنتظر اشارة منه •• لأعود مرة أخرى لفلسطين ••

وذهبت الى القدس •• والى معظم مدن فلسطين •• وزرت تل أبيب •• وفي القدس زرت الدكتور حسين الخالدى •• رئيس بلدية المدينة العريقة فى قصره بالقدس الجديدة •• وكان زعيما من زعماء العرب •• وحدثنى عن زعيم جليل عربى آخر هو موسى باشا الحسينى •• وفى تل أبيب سرت فى تجوالى بالمدينة العربية التى سكنها اليهود مع لفيف من شباب المدينة العرب وكنا فى أهم شوارعها •• شارع اللنبى •• فقلت لهم : اليوم ضبط أحد رجال الشرطة العرب فى الميناء كيس أسمنت مستوردا الى اليهود سقط أثناء تفريغ شحنة الأسمنت من السفينة على رصيف ميناء حيفا فوجد داخله مدفعا رشاشا واتضح أن الشحنة كلها تخفى سلاحا مهربا لليهود •• فماذا أنتم فاعلون يا عرب ؟

فاندفع شاب منهم وأجابنى بحماسة بصوت مرتفع •• أنظر • أترى هذا الشارع المزدحم باليهود وحوانيتهم •• لو اننى الآن التفت خلفى وصرخت قائلا: ياولد •• لرأيتهم جميعا يهربون ويفرون فزعا مذعورين كالفئران •• ولأغلقوا حوانيتهم من شدة الخوف والجزع •• ولا تنسى أننا مليون ونصف مليون عربى وهم مائة ألف الا قليلا !

***

ولشد ما حزنت من رده •• ومن حماقة هذا التفكير بهذه العقلية !! كان هذا فى ابريل عام ١٩٣٥ •• ودارت الأيام ••

وكما ركبت القطار من القاهرة الى يافا فى رحلتى هذه الثانية •• ومعى جواز السفر ركبت الأتوبيس فى تنقلاتى بفلسطين هذه المرة وسافرت به الى سوريا وكانت تحت الانتداب الفرنسى •• وكنت قد حصلت فى القاهرة على تأشيرة دخول للعراق وبذلك تمكنت من الحصول على تأشيرتى دخول الفلسطين وسوريا للمرور بهما صالحة لمدة ٤٨ ساعة فقط •• وعندما وصلت الى جسر بنات يعقوب حيث نقاط الحدود بين فلسطين وسوريا اكتشف رجل شرطة الأمن الانجليزى أننى مكثت تسعة أيام زيادة فى فلسطين مخالفا بذلك التأشيرة الممنوحة لى من قنصلية بريطانيا فى القاهرة فقال لى بغطرسة : ادفع قيمة الفرق نقدا وقدره جنيه واحد قلت ببرود •• لا •• لا أدفع قال : اذن •• تستطيع أن تعود لمصر عن أى طريق الا فلسطين فانك لن تدخلها عند العودة ثانية •• أبدا قلت متحديا : أتعتقد ذلك حقا ؟!

وأسفت فى أعماق نفسى ولمتها على أننى قيدت أسفارى بالقانون الذى فصل بلادنا •• وسمعت نصيحة الخديو •• وأنا مطمئن اننى رغم صلف هذا

الشرطي البريطاني أستطيع التسلل الى أي بلد عربي وقتما أشاء وحيثما أريد بلا حاجة الى جواز سفر ··

***

ووصلت دمشق ·· وصليت بالجامع الأموي وشاهدت بصحنه مقام الامام الحسين رضي الله عنه ·· وزرت قبر صلاح الدين العظيم ·· وهمس الحارس في أذني بكلمة الجنرال غورو لما وقف على قبر صلاح الدين بعد انتصار فرنسا على مقاومة العرب في سوريا في موقعة ميسلون عام ١٩٢٠ حيث قال : ها نحن قد عدنا ·· يا صلاح الدين ··

نفس روح الاستعمار ·· المتشح زورا بالعقيدة الصليبية··في القدس·· وفي دمشق ·· وفي كل مكان احتله المستعمرون المعتدون في امبراطورية الرجل المريض التركي الممزقة المنهوبة ·

ولكم أن تتصوروا ما يفعله رد فعل هذه المواقف العدوانية وهذه العبارات الاستعمارية في نفس شاب عربي ثائر ··

وفي دمشق زرت واستمعت الى محاضرات للشيخ الجليل شمس الدين والد الشيخ تاج الدين رئيس الوزراء ·· وكان يناهز المائة سنة من عمره وهو متمالك لكامل قواه البدنية ·· وقد رحب بي في مجلسه وفي داره ·· وفيها تعرفت بالعالم الجليل الشيخ الحافظ يحيى زميته مدير دار الحديث والشيخ عبد الحكم المنير امام الجامع الأموي فيما بعد ··

***

ولم أكن أنوي السفر الى بغداد ··الا أن أنطون سعادة زعيم الحزب القومي السوري ·· الذي قابلته هناك ·· وكانت لي معه لقاءات ومباحثات ·· نصحني بمحاولة السفر الى العراق ·· ولقد وعدني بزيارة جمعية مصر الفتاة ·· وأوفى بوعده اذ زارها فعلا عدة مرات ·· وقابل أقطابها في القاهرة ·· بعد ذلك ·

وكان أنطون سعادة ·· بركان وطنية ثائرا حقا ·· ميالا للعنف ·· كما انني قابلت الصحفي الكبير الأستاذ أكرم زعيتر ووجدته يشكو مر الشكوى من مصر الفتاة ·· وبخاصة من الأستاذ فتحي رضوان لأنه لم يبادله مجلة الصرخة بجريدته التي كان يبعثها بالبريد الجوي بانتظام دون أن يتلقى ردا من صديقه فتحي حسب ، ووعده فاعتذرت له نيابة عنه وعن الجمعية ··

***

وعلمت من بعض الصحفيين بوجود الجنرال نوري باشا السعيد في دمشق ·· وبعد البحث والاستقصاء علمت بتواجده في فندق أوريان « الشرق»

بالاس ٠٠ فتقدمت اليه وعرفته بنفسى وأبديت له سعادتى بمعرفته ومقابلته ٠٠ مثلما أسعدنى تعارفى ومقابلتى « للخديو عباس باشا » من قبل ٠٠ وبهذا كسبت الجولة الأولى وفتح لى قلبه بعد أن تبادلنا الحديث ٠٠ وكررت مقابلتى له بعد ذلك ودعانى فى آخر لقاء معه لمرافقته فى سفره بالسيارة الى العراق وقبلت الدعوة فورا بدون تردد ٠٠ وسافرت معه ونزلت فى قصره وهو القصر الفخيم القائم بجهة الوزيرية والذى أهداه فيما بعد للحكومة المصرية فاتخذته مقرا للسفارة المصرية فى بغداد ٠٠

***

ومن نورى باشا سمعت كلاما كثيرا وعجيبا ٠٠ قال لى :

« ان الحكومة العراقية التى أقامها بنجاح فى بلاد الرافدين ، ٠٠ تدفع منذ قيامها فى عام ١٩٢٠ أتاوة مالية مجزية ٠٠ سنويا ٠٠ للقبائل ثمنا لسكوتهم وعدم اثارة القلاقل والاضطرابات وغزو بعضهم بعضا ٠ حتى تستطيع حكومة بغداد تسيير سياسة البلاد والنهوض بها ٠٠ وهى الحكومة الوحيدة فى العالم التى تدفع « فردة » لقبائلها ٠٠ مرغمة ٠

ويبدو انه كان يستمد بالتالى قوته من العشائر فى العراق٠٠ومن الانجليز وذلك لأنه حكى لى عن وضع العراق بعد وصوله والملك فيصل الأول الى الحكم فيه ٠٠ انه مهدد بالشيوعية من ناحيـة ٠٠ وأن للعراق حساسيـة من هذه الناحية أكثر من شعور مصر أو أى بلد عربى آخر بهذا الخطر لقرب العراق من الاتحاد السوفييتى ٠٠ ومن ناحية أخرى فان للعراق علاقات خارجية ترتبط بصلة متينة بانجلترا لأنه كان لانجلترا « الفضل » فى اقامة الحكومة الملكية الهاشمية فى العراق » ٠

***

وتعرفت فى قصر نورى باشا بالقائد الكبير جعفر باشا العسكرى وهو شقيق السيدة حميدة هانم حرم نورى باشا السعيد ٠٠

وكانت تجربة ٠٠ فيها صدمتنى حياة الواقع المر ٠٠ صدمة عنيفة مؤلمة٠٠ وتحاملت على نفسى ٠٠ منتهزا فرصـة وجودى فى العراق ٠٠ وقمت بزيارة العتبات المقدسة ٠٠ فى الكوفة ٠٠ والنجف الأشرف حيث مقام الشهيد الامام على بن أبى طالب ٠٠ وكربلاء حيث مقام الشهيد الامام الحسين رضى الله عنهما وحيث وجدت انهما وهما طلاب حق ولم يطلبا الدنيا أبدا حتى سمى الامام على بأبى تراب ٠٠ قد بنيت جدران مسجديهما وقبابهما ومآذنهما بالذهب الخالص .. بينما رأيت فى دمشق أرضا خربة وسط المدافن القديمـة يحرسها جنـدى سنغالى مدجج بالسلاح ليمنع تبرز وتبول الناس هناك حيث كانت مقابر معاوية

وملوك بنى أمية الذين طلبوا الدنيا فلا نالوا دنيا ولا أصابوا الآخرة ·· وكانوا عبرة لمن يعتبر على مر الزمن ··

***

وعدت بعد ذلك الى مصر ·· بعد أن طردتنى السلطات الحاكمة الفرنسية من دمشق ·· عن طريق لبنان ·· وقد اهتزت صور ·· وقيم ·· كانت مقدسة وثابتة في نفسى ·· حتى ذلك الحين ·

وفي دمشق ·· شاهدت عند وصولى اليها فى عودتى من بغداد ·· الاحتفالات الشعبية التى زينت المدينة بمناسبة عودة وفد التجار السوريين من الحجاز ·· الذين افتتحوا طريق السيارات البرى من سوريا الى الأراضى المقدسة بالسعودية تخلصا من أثر نسف خط سكة حديد الحجاز خلال الحرب العظمى الأولى بواسطة الجاسوس البريطانى ·· لورنس ·· الذى سافر على سفينة واحدة برفقة رجل المخابرات الخطير الضابط الانجليزى فى مصر رونالد ستورز ·· مع عزيز المصرى لمحاربة تركيا ··

***

أعود فأقول ·· عدت الى مصر من رحلتى الثانية هذه ·· وقد صممت على أن أستغنى عن الباسبور حتى لا أتقيد به فى تنقلاتى وأسفارى ·· وأيقنت أن نصيحة الخديو عباس لى لا تتفق مع خطتى ·· فضربت بنصيحته عرض الحائط ·· كما صممت أن أخفى كل أسرارى ومقابلاتى واتصالاتى التى تمت فى هذه الرحلة عن أقرب الناس الى ··

وما كدت أتلقى استدعاء المجاهد الشيخ عز الدين القسام حتى أسرعت الى فلسطين فى أواخر عام ١٩٣٥ وساعدنى الأستاذ محمد صبيح على تخطى الحدود بكتاب كان أرسله الى صديقه الأستاذ الدكتور عبد الهادى أبو ريده الذى أوصى بى السيد والده المعلم الجليل الشيخ ابراهيم أبو ريده أستاذ جيلين من أبناء العريش تلقوا العلم على يديه وفى مدرسته وقتذاك وكما فعل صنيعه معى فى الرحلة الأولى ·· كذلك فعل معى فى هذه الرحلة الأخيرة فعبرت الحدود عند رفح مع قافلة أحد تجار العريش الطيبين المعروفين وهو صالح البيك وأسرته بتوصية ورعاية الأستاذ الشيخ أبو ريده ·· ودخلت فلسطين مرة أخرى هازئا من الشرطى الانجليزى وحكومته ·· الذى قال لى واهما : تستطيع أن تعود الى مصر عن أى طريق الا فلسطين فانك لن تدخلها عند العودة ثانية ·· أبدا ··

قلت يومها متحديا ·· أتعتقد ذلك حقا ؟!

ودخلتها ٠٠ مرة أخرى بلا جواز سفر ٠٠ فلم يعد ممكنا أن أخدع نفسى ٠٠ وقد أيقنت بأننى مقبل على المهمة التى تصبو اليها نفسى للقيام بها حتى أتدرب على القتال ٠٠ وحمل واستعمال السلاح ٠٠

وقابلت الشيخ القسام بالأحضان ٠٠ وكان قد اصطدم فعلا هو وبعض رجاله الاثنى عشر أكثر من مرة بالسلاح مع دوريات شرطة ٠٠ وهى عادة تتكون من رئيس انجليزى للدورية ٠٠ وصف ضباط يهود وجنود عرب ٠٠

وسقط فى كل مرة قتلى وجرحى من دوريات العدو ٠٠ وكان المجاهدون يصبون نيرانهم على الانجليز واليهود فقط ٠٠ وكان بعض هؤلاء المجاهدين قد حصلوا على ثمن سلاحهم من بيع حلى زوجاتهم ٠٠ وكان جميعهم من الفلسطينيين الا مصريا واحدا كان مقيما بصفة دائمة فى فلسطين ٠

واشتركت مع المجاهدين فى طلعاتهم الجبلية الليلية واصطدمنا باحدى الدوريات وتبادلنا معها النار ٠٠

***

وكانت معى بندقية لى أنفيلد قديمة لكنها صالحة للاستعمال وفى لحظة المواجهة الأولى أحسست بهزة الخوف ورعشته حتى أننى فكرت فى الهرب فى جنح الليل لولا اننى خجلت حقا من نفسى ٠٠ ومع الفزع الشديد ٠٠ والعرق المتصبب وجفاف حلقى من العطش الشديد أطلقت النار لأول مرة ٠٠ وهنا ، بدأت أنسى حالى وأنهمك بقوة فى اطلاق النار على العدو ٠٠ وذهب عن الروع ٠٠ ولم أفكر بعدها أو أخاف أبدا وبعد واقعتين اثنتين اشتركت فيهما لم يعد فى استطاعتنا العودة من الجبال الى منازلنا فى حيفا ٠٠ فقد ثارت السلطات لتعدد الحوادث وتكرارها ٠٠ ووضعت خطة لسحقنا والقضاء علينا وانى أشهد شهادة للتاريخ أننى رأيت بنفسى بطولة الفلسطينيين فى قتالهم المسلح للانجليز ولليهود ٠٠ فما يماثل شجاعتهم وبطولتهم ٠٠ شجاعة أو بطولة أحد ٠٠ انهم رجال مثل فرسان صدر الاسلام ٠٠ يحبون الموت كما يحب عدوهم الحياة ٠

***

وذهب بنا الزعيم القسام الى نابلس ٠٠ ومنها الى جبال جنين حيث اصطدمنا عدة مرات بقوات بريطانية مسلحة من الجيش ٠٠ أسقطنا منهم قتلى وجرحى ٠٠ أخفى المسئولون عددهم فى بياناتهم بالصحف ٠٠ ثم حوصرنا فى آخر مرة بقوات كثيفة مسلحة تسليحا جيدا وبدت انها مصممة على أبادتنا وذبحنا جميعا وكان ذلك فى يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٣٥ حيث استشهد الزعيم المجاهد القسام برصاص الانجليز ومعه جميع رجالنا ٠٠ ولم يسلم من القتل أو الأسر الا اثنان فقط هما الشيخ فرحان السعدى « ٧٠ سنة » وأنا ٠٠

هربنا وتسللنا من الموقع على وجوهنا كل منا فى طريقه ‥ وكنت أجهل المنطقة فابتعدت بأقصى ما أستطيع عن المكان مخترقا الطرق والجبـال حتى ضبطنى بالصدفة صاحب سيارة خاصة اتضح لى وقد التقطنى بعد أن رآنى أعبر طريقا مطروقا بالأسفلت وأختفى وراء صخرة وسط الأعشاب العالية اتضح لى أنه ضابط شرطة عربى عظيم ‥ فلما تأكد اننى مصرى واعترفت له بصراحة بأننى قاتلت مع المجاهدين واننى هارب من العدو ‥ وصلنى بسيارته الى نابلس ثم الى يافا ومن هناك عدت ومعى مسدسان ‥ بعد أن دفنت بندقيتى أثنـاء انسحابى ‥

***

ونشرت الصحف اليهودية بشماتة مصرع الشيخ القسام وهاجمت جمعية الشبان المسلمين وعرب فلسطين وسبتهم ولما تأكد عرب فلسطين من أن الشهيد زعيم المقاومة المسلحة هو الشيخ القسام هبت الصحافة العربيـة ترد بقوة الصاع صاعين للصهاينة وتعصب كل قوم لقوميتهم ‥ وهب شباب فلسطين الأبطال بالنسج على منوالنا وتكوين كتائب المقاومة المسلحة ومهاجمة الانجليز والصهاينة فى كل مكان ‥ واشتعلت فلسطين العربية نارا ‥ وكانت حركة الشـيخ القسام هـذه هى الشرارة ‥ التى أشـعلت بحق ‥ ثورة فلسطين الكبرى ‥ عام ١٩٣٦ ‥

***

ولكن أكبر خطأ ارتكبه العرب ‥ فى هذه الثورة هو قيامهم بالاضراب الطويل المدى الذى استمر ستة أشهر كاملة حتى حطمهم ماديا وخربهم اقتصاديا وأضر قضيتهم ، ضررا بليغا حيث أضعفهم واعتصرهم وعجل بنهايتهم ‥

وبعد عامين ‥ تمكنت سلطات الاحتلال البريطانى من القبض على الشيخ الفانى ‥ المجاهد الهارب فرحان السعدى ‥

وفى ٢٠ نوفمبر ١٩٣٧ ‥ أعدمته الحكومة شنقا بلا رحمة ولا شفقة ‥ فى فلسطين ‥

هذا ومما يؤسف له ‥ اننى وجدت بعد نكبة فلسطين باسرائيل وجدت الضابط الفلسطينى الشهم الذى أنقذ حياتى يعمل موظفا بمحل باتا للأحذية بالمعادى ‥

قامت الحرب الأهلية فى أسبانيا ‥ وهاجم الجنرال فرانكو المتمرد بقواته المغاربة الذين وعدهم خداعا وكذبا بالحرية والاستقلال ان هم ساعدوه فى حربه مع حكومة بلاده الشرعية ‥ الجمهورية الاسبانية ‥ وتكونت الفرقة الدولية من متطوعى العالم للدفاع عن الجمهورية وحكومتها الشرعية ضد الغزو العسكرى

بقيادة الجنرال فرانكو ولشدة حاجتى الى ممارسة القتال ومعرفة فنون الحرب الحديثة أسرعت الى مفوضية أسبانيا بجاردن سيتى بالقاهرة وقدمت طلب تطوعى بالجيش الجمهورى ضمن الفرقة الدولية وذلك فى أواخر عام ١٩٣٦ ..

وترددت مرات على المفوضية لمعرفة موقف حكومة مدريد من طلبى هذا.. وانتظارا للرد الذى تأخر أياما .. لم أيأس حتى جاء الرد ـ كما أبلغتنى المفوضية ـ بالاعتذار عن قبول طلبى وشكرى الأمر الذى جرح شعورى وصدم طموحى .. وبعد أيام قليلة استدعيت الى المفوضية .. وفى سرية تامة ومشددة أخبرنى مسئول بأنه تلقى رسالة خاصة .. بشأنى .. وانه سيقوم بكل ما يلزم لسفرى الى أسبانيا تحقيقا لرغبتى فى القتال فى صفوف المحاربين من أجل الجمهورية والحرية والديمقراطية .. وذلك بعيدا عن روتين المفوضية والرسميات .. حتى لا أكون سببا فى اشكال سياسى بينها وبين الحكومة الملكية فى مصر وقد كان .. وتم ذلك فعلا بأوراق أصدرتها المفوضية باعتبارى مغربيا وباسم محمد الفاسى .. سافرت بها على السفينة شامبليون الى مارسيليا .. ثم بقطارات السكك الحديدية الفرنسية والأسبانية مارا بمدينة بور فاندر على ما أذكر .. ومنها الى مدريد ..

***

والتحقت بالفرقة الدولية وكنت المتطوع المصرى الوحيد فيها وقتذاك .. وبعد تدريب عنيف وسريع .. أرسلت مع كتيبتى الى الجبهة فى الجنوب ..

وكانت الزعيمة الاسبانية ذائعة الصيت الباسوناريا تلهب قلوب الجماهير فى العاصمة وسائر أسبانيا بخطبها الوطنية العظيمة .. للدفاع عن الجمهورية ضد العدوان ..

وبعد أن قضيت حوالى أربعة أشهر مدججا بالسلاح محاربا العدو مع المحاربين فى الخنادق ومتسترين بجثث الخيل والصرعى من رجال ونساء المقاومة وجنود الجمهورية استدعيت الى مدريد ..

ذلك أن الجنرال مياخا قائد الجيش علم بوجود مصرى مقاتل..فاستدعانى ولما تأكد من اننى أعرف الجنرال عزيز المصرى معرفة شخصية .. كلفنى بمهمة سرية عاجلة .. هى العودة الى مصر والتفاهم مع عزيز باشا المصرى على العمل معه .. ليتولى الدفاع عن مدريد .. لأنها الهدف الأكبر لفرانكو وهجومه ..

وكانت مفاجأة هائلة .. اننى علمت منه أن الموظف بمفوضية أسبانيا بالقاهرة الذى استدعانى بعد رفض طلبى للتطوع والذى قام بتسفيرى الى أسبانيا سرا هو ابن الجنرال مياخا نفسه .. سكرتير المفوضية وأسمه كاملا هو : جوزيه ايزاك مياخا ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويبدو لى كأنه أراد بسفرى التأكد من صدق اخلاصى للجمهورية ٠٠ وللقتال من أجلها ٠٠ والدفاع عنها ٠٠ تمهيدا لتكليفى بهذه المهمة السرية العاجلة ٠٠

***

وعدت الى القاهرة فعلا ٠٠ وقابلت ابنه بالمفوضية فأوصانى باللقاء فى مكان آخر بعيدا عن المفوضية فى شقته بعمارة بشارع الكورنيش قرب مبنى الاذاعة والتليفزيون حاليا تطل على النيل ٠٠ فى ماسبيرو ٠٠

واتفقنا على خطة العمل ٠٠ وتنفيذا لها قابلت عزيز باشا المصرى فى منزله بالزمالك ٠٠ وصارحته بمهمتى فاتفق معى على موعد يلتقى فيه بواسطتى مع ابن الجنرال مياخا مغرب يوم حددناه وذلك فى حديقة مينا هاوس ٠٠ وجاء ابن مياخا فى تاكسى وجلس على مائدة بجوار سور الحديقة الخارجى بعيدا عن المائدة التى جلست عليها قبل حضوره ٠٠ وفى الموعد المحدد بالضبط حضر عزيز باشا المصرى بسيارته القديمة وتركها خارج الفندق ٠٠ بعيدا ٠٠

وجلس قليلا معى ٠٠ ثم حضر الينا ابن الجنرال مياخا ٠٠ وعرفتهما ببعض ٠٠

وتكررت بعد ذلك المقابلة مرات قليلة ٠٠ وافق فيها عزيز باشا المصرى أمامى مبدئيا على السفر الى أسبانيا للدفاع عن مدريد ضد الغزو ٠٠ وضد الطابور الخامس ٠٠ من اليهود وأعداء الجمهورية الذين يتربصون بالجمهورية ٠٠ وبالحكومة الأسبانية الشرعية القائمة ٠٠ لتقويضها والقضاء عليها ٠٠

وطلب عزيز باشا المصرى ثلاثين ألف جنيه نقدا تدفع له مقدما ـ لتسديد ديونه فى مصر ـ قبل سفره ٠٠

***

وانصرفنا فى آخر لقاءاتنا على أن يتصل ابن الجنرال مياخا بأبيه حتى يبت فى طلب عزيز باشا ٠٠ ليبدأ عمله بالسفر الى أسبانيا ٠٠ الكنه لم يسافر لأنهم فضلوا ـ الأسبان ـ عدم الاتفاق مع عزيز المصرى باشا ٠٠

ولن أطيل فى النقل عن مذكرات د٠ عز الدين عبد القادر أكثر من ذلك بعد أن حاولت ـ عن طريق ما نشرته اعطاء صورة واضحة لشباب ١٩٣٥ ولست بحاجة الى التأكيد أن ما نشرته هنا ـ لعز الدين أو لغيره بتحمل أصحابه ، تبعة ما نشر ، ولقد حرصت على أن أنشر كل حرف وصلنى ايمانا بحرية النشر وضرورة الاهتمام بالرأى والرأى الآخر كما يتجلى فى الفصل التالى :

الفصل الخامس

شباب الوفد يهاجم وشباب مصر الفتاة يرد

تعليقات الرأى والرأى الآخر

● من أحد مناضلى الاسكندرية : المهندس مصطفى شوقى ـ مراقب هندسة اللاسلكى «هيئة المواصلات اللاسلكية والدولية» حاليا بالمعاش ـ تلقيت الرسالة الكريمة التالية :

عزيزى الأستاذ صبرى أبو المجد

تحية وبعد : تكملة لما ذكرته فى مقالاتك عن سنوات ما قبل الثورة خاصا بحركة الشباب عام ١٩٣٥ وحركة مصر ، الفتاة ، بنوع خاص ، أود أن أضيف ما يلى :

فى عام ١٩٣٠ ، وكنا وقتئذ طلبة بالمدارس الثانوية ، كنا نسمع عن شاب اسمه أحمد حسين فى السنة النهائية بكلية الحقوق ، يقطع كل الأراضى المصرية من أقصى الصعيد الى أقصى الدلتا داعيا الى مشروع جديد اسمه مشروع القرش ، يتلخص فى أن يدفع كل مصرى قرشا واحدا فى العام ، ومن حصيلة هذا القرش نبنى مصانع جديدة حتى يمكننا تحويل بلدنا الزراعى الى بلد صناعى ، وسمعنا أيضا عن انتشار فكرة المشروع وعن تأسيس جمعية القرش ، وتحمس كثير من الشباب المصرى ، لجمع القرش ، وقد دعا نجاح الشباب فى جمعية القرش بعض الهيئات السياسية ، للعمل فى الخفاء لاسقاط المشروع أو للسيطرة عليه ، وأذكر انه فى العام الأول للمشروع أمكن جمع ما يقرب من ثمانية وعشرين ألف جنيه وفى العام الثانى تم جمع ما يقرب من عشرين ألف جنيه وفى العام الثالث لم يمكن جمع أكثر من أربعة عشر ألف جنيه أى أن الحصيلة أخذت فى النقصان بسبب فتور الحماسة للمشروع وبسبب الهجوم عليه من جانب البعض ، وخوفا من القضاء على المشروع ورغبة فى انقاذه ترك أحمد حسين المشروع ، لحزب الوفد : حزب الأغلبية وحزب الأغنياء المعروفين

في البلد ووصلت الحصيلة في العام ، الذي ترك فيه أحمد حسين المشروع الى ثمانية آلاف جنيه وهاج أحمد حسين وغضب على الوفد و ٠٠ و ٠٠ ومات المشروع رويدا ، رويدا . بسبب الاتهامات التي وجهت ظلما الى القائمين به وعلى فكرة أمكن انشاء أول مصنع للصوف في مصر - مصنع الطرابيش - من حصيلة الأموال التي جمعت من مشروع القرش وكان اختيار صناعة الطرابيش ، لبداية المشروع لأن الطربوش كان وقتئذ غطاء الرأس الوحيد ، الذي يحرص المصريون على ارتدائه ، وقد رئي أن يكون غطاء الرأس من صناعة مصرية اذ ليس من الكرامة الوطنية أن يكون غطاء الرأس من صناعة أجنبية ٠ على أية حال ، كان مشروع القرش هو الذي جمع لفيفا من الشباب الوطني المخلص الذي أراد أن يخلص بلده من الأجانب عن طريق الصناعات الوطنية ، ومن هذه المجموعات تألفت جمعية مصر الفتاة لمحاربة الاستعمار وكان لها مبادىء عشرة أولها جمع شـــمل البلاد بالصلاة يوم الجمعة ان كنت مسلما والأحد ان كنت مسيحيا والسبت ان كنت يهوديا وكانت مصر الفتاة تربي شعبها على الأخلاق الحميدة ، والرجولة ، والصراحة والايمان ، والجرأة ، وأذكر بهذه المناسبة قضية كان بطلها أحد أعضاء مصر الفتاة يدعى علي كمون ، كان قد اعتقل لسبب سياسي ، وأثناء التحقيق معه ناداه وكيل النيابة وسأله عن اسمه فقال له علي كمون ، فضحك وكيل النيابة كثيرا ، ولما سأله علي كمون عن سبب ضحكه قال وكيل النيابة : كمون ٠ وقال علي كمون بكل جرأة : « أو ليس كمون أفضل من الجحش » وهو لقب وكيل النيابة على ما أذكر : « وأفتح قوسا وأذكر صاحب الرسالة » المهندس ، مصطفى شوقي ، بأن لقب الجحش ، لم يكن لقب وكيل النيابة وانما كان لقب رئيس الوزارة وقتئذ ، وكان قد حذف من اسمه الرسمي بالطبع ولم يكن يعرفه الا القلائل » ٠

★★★

ويكمل المهندس مصطفى شوقي رسالته قائلا ، ما كان من وكيل النيابة الا أن استدعى اثنين من المخبرين الأقوياء وأشار اليهم اشارة خاصة ، بعدها أخذاه خارج مكتب وكيل النيابة وأوسعاه ضربا وبعد الضرب المبرح العنيف سأله وكيل النائب العام ، فكرر نفس الاجابة فأشار الى المخبرين ، فأخذاه وظلا يضربانه الى أن كاد يفقد النطق فلما أعاداه الى وكيل النيابة سأله نفس السؤال فاذا به ، وهو لا يستطيع النطق لا يجيب الا نفس الاجابة ، وعلى فكرة علي كمون هذا كان يعمل بقالا ، بشارع المسافرخانة المتفرع من شارع الحجازي قسم الجمرك بالاسكندرية ٠

★★★

● نموذج آخر ، للشباب الوطني المخلص : كان الطالب السيد حنفي - هو الآن الدكتور السيد حنفي مدير مستشفى أبي قير - يدرس بالمدارس الثانوية

وتصادف أن عجزت جمعية مصر الفتاة بالاسكندرية . عن دفع الايجار ولم يكن مع الطالب السيد حنفى الا قسط مصاريف المدرسة فدفعه للجمعية وحينما عرف والده القصة دفع القسط مرة ثانية وشجع ابنه على هذا العمل الوطنى .

★★★

● ونموذج ثالث يورده المهندس مصطفى شوقى يقول :

كان شقيقى على موظفا بالبلدية ، وكان يعمل وكيلا لجمعية مصر الفتاة بالاسكندرية ، وكثيرا ما كان يستدعيه وكيل بلدية الاسكندرية – وهو انجليزى الجنسية – لينصحه بالبعد عن العمل السياسى وأكثر من مرة هدده بالفصل من وظيفته فلم يكن يأبه بتهديد رئيسه مع انه كان فى أشد الحاجة الى الوظيفة وفجأة جاء خطاب من الادارة الأوروبية بالقاهرة التى كان يرأسها كين بويد الى بلدية الاسكندرية يقرر فصل على شوقى من وظيفته بدون ابداء الأسباب وظل شقيقى مفصولا من وظيفته الى ان جاءت وزارة على باشا ماهر وذهب الأستاذ أحمد حسين وعلى شوقى – شقيقى – الى رئيس الوزارة الجديدة ، لمقابلته وطلب على باشا ماهر ملف أخى ، وأشار عليه بما يلى : يعود الى وظيفته ان كان قرار الفصل كان ظالما ، وعاد الدوسيه ثانيا الى الاسكندرية ، وكان صادق باشا يونس مدير عام البلدية وقتئذ ، فأمر أيضا بعودة على شوقى ، ورغم موافقة رئيس الوزراء ، ومدير عام البلدية ، فان أخى لم يعد الى وظيفته بحجة : « انه لا توجد وظائف مناسبة له » ومرت سنوات ، وسنوات وتقدم على شوقى الى مصلحة الموانى والمنائر ليؤدى امتحانا عسيرا ، وبعد ان نجح فى الامتحان وتسلم عمله ، فوجىء ، بوكيل الموانى والمنائر حمدى بك الديب ، يستدعيه ، ويسأله ، هل سبق أن كنت تعمل بالبلدية وفصلت لأسباب سياسية ؟ فقال له أخى بصراحة : نعم : كل ما تقوله صحيح ، وأعجب وكيل الموانى والمنائر بصراحة الموظف الجديد وأخبره بأنه سيطلب الدوسيه الخاص به فى البلدية ، ليحفظه عنده لأن الوزير « العرابى باشا » طلب الدوسيه ، وسوف لا يرد عليه ، فان مر الوقت ولم يطلبه مرة أخرى فمعنى ذلك ان الموضوع قد انتهى ، وان كرر طلبه فلا مفر من تقديمه له واشترط حمدى الديب بك على أخى أن يسافر فورا الى بور توفيق بمحطة الاشارات هناك ، حتى يكون بعيدا عن الاسكندرية وبقى فى بور توفيق سنوات وسنوات وهذا المثل يبين لنا ، كيف كان الوفد ، يحارب الأحزاب والجماعات الأخرى .

★★★

وعندما حاول أحد أعضاء مصر ، الفتاة عز الدين عبد القادر – حفيد أحمد عرابى – قتل مصطفى النحاس باشا وضبط مرتديا ملابس مصر الفتاة وهى القميص الأخضر فما كان من حكومة الوفد الا ان اعتقلت جميع أعضاء مصر ،

الفتاة ، فى كل مكان ، ومنهم على شوقى ، الذى كان يعمل بفنار وسط البحر ، وذهب وكيل النيابة واثنان من الضباط وبعض جنود البوليس للقبض عليه ، ووضعوا الحديد فى يديه وكان مرتديا زيا يشبه الزى العسكرى - قريب من زى ضباط البحرية فى ذلك الوقت - وسجن بالتخشيبة بالقاهرة على ما أذكر وكان من بين زملائه الأستاذ فتحى رضـــوان ، والدكتور نور الدين طراف وغيرهما ، وغيرهما وبعد التحقيق مع على شوقى عاد الى ميناء السويس ، حيث استقبله عمال الميناء استقبال الفاتحين هاتفين لمصر الفتاة ، ومنها توجه الى الفنـار .

***

وللعلم أيضا أقول انه عندما كان أخى على مفصولا من عمله ، عرض عليه السيد زهران رشدى رئيس القلم السياسى « المخصوص » ان يعمل معه مرشدا سياسيا فأبى وفضل أن يكون عاملا ، بل أن يموت من الجوع على أن يتجسس على اخوانه الوطنيين ، لقد خرج الى المعـاش منذ سنوات ومعاشـه لا يـكاد يكفيه ولو لم يكن قد عمل بالسياسة لكان اليوم من الأغنياء ، ولكان معاشه وحده يكفل له الحياة الكريمة . أما عن الاجتماع الذى أشرت اليه فى مقالك والذى انتهى بتوجيه تهمة الاعتداء ، على البوليس الى الأستاذ أحمد حسين فأضيف الى ما ذكرته ان هـــذا الاجتماع كان فى مقر ادارة جريدة الصرخة بالاسكندرية وكان هذا المقر عبارة عن حجرة واحدة بمنزل يقع بالطابق الأول فى شـارع السـيد محمد كريم ، وعندما قـــدم الأسـتاذ أحمـد حسين الى الاسكندرية .. كان البوليس فى انتظاره ، وقد أصدر البوليس أمرا بمنع الاجتماع . فحدث احتكاك بين رجال البوليس وبين الحاضرين واستخدم البوليس الأيدى ، والأحزمة الجلدية .

***

وقد نقل الأستاذ أحمد حسين من مركز الجريدة الى قسم المنشية «القديم» وذهبت أنا وشقيقى لزيارته فى زنزانته ولم تكن أكثر من غرفة مترين × متر ولم يكن بها أكثر من جردلين أحدهما فارغ والآخر به ماء وبرش للنوم ، وأذكر انى انفعلت وقلت كيف تسجنون محاميا فى هذا المكان وبهذه الطريقة فأمسكنى شقيقى وكلفنى بالذهاب الى المنزل لاحضار « مرتبة » صغيرة ومخدة ، وبطانية .

ويطول بنا المقام لو رحنا نسترسل فى الحديث عن تاريخ مصر الفتاة وعن تاريخ الأستاذ أحمد حسين وتضحياته ، وتضحيات الشباب الوطنى وقتئذ . أذكر أن الأستاذ أحمد حسين أراد مرة اصدار جريدة وادى النيل بالاسكندرية ولم يكن لدينا المال لاصدارها فكنا نجمع الحروف ونحمل الورق وعندما كانت جرائد مصر الفتاة تصادر كانت تأتينا بطرق سرية وكنا نقوم بتوزيعها فى كل

مكان : كان على ـ مثلا ـ أن أذهب مع بعض الزملاء الى مسجد سيدى أبى العباس ومسجد سيدى ياقوت لتوزيع جرائدنا « بالفلوس » على طلبة المعهد الدينى وكان أغلب الطلبة يجلسون بالمسجد فى انتظار هذه الصحف الوطنية بل اننا كنا نقوم بعمل الاعلانات عن تلك الصحف وطبعها على الجدران فى منتصف الليل ، كما كنا نحارب أيضا المؤسسات الأجنبية عن طريق كشفها بالكتابة عنها على الجدران أيضا : جاء الى الاسكندرية من ألمانيا سيرك اسمه سيرك هاجينيك ولأن الهدف من مجيئه لم يكن الا الحصول على أموالنا ، وقد أعددنا العدة لمقاطعته وفى منتصـف الليل كنا قد ملأنا جدران الاسكندرية بالدعوة الى مقاطعة ذلك السيرك الأمر الذى أذهل البوليس السياسى فى ذلك الوقت .

***

أما عن الصورة التى نشرتها لجماعة مصر ، الفتاة ومن بينهم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فالأصل لدينا وقد أهداها أخى على شوافى الى الأستاذ الشاذلى ـ وكان وقتئذ مدير شركة صباغى البيضا ـ لتوصيلها الى الرئيس عبد النـــاصر . وتضم هذه الصورة عددا كبيرا من العاملين فى الحقل « الوطنى من بينهم على ما أذكر حلمى ربيع » سجن عامين بسبب تكسير حانة كاب دور بالاسكندرية وابراهيم الرشيدى وسجن حوالى سبع سنوات وتجدد سجنه مرات ومرات » عبد الحميد المشهدى ، وأخى على ، والسيد خطاب « اتهم بأنه وضع عبوة ناسفة فى سيارة لنسف قطار الرئيس عبد الناصر ، وقد سجن فترة طويلة » ، ثم السيد كمون .

ويبقى بعد كل الذى قلته أمل واحد وهو تكريم كل الوطنيين القـدامى ولو بميدالية صغيرة ، أو أى شهادة تقدير على قطعة من الورق .

***

وفى رسالة أخرى من المهندس مصطفى شوقى يقول :

احقاقا للحق أرجو أن تنشروا تعقيبى على ما جاء بمذكرات الدكتور المهندس عز الدين عبد القادر فى ملاحظات عليها .

● القمصان الزرقاء لم تولد الا بعد وجود مصر الفتاة «القمصان الخضراء» كما ان وجودها كان لمحاربة « مصر الفتاة » ليس الا . ولذلك قصص كثيرة .

● فعندما وجدت مصر الفتاة وكونت « القمصان الخضراء » كان معظم الشباب يميل اليها ، وكثيرون كانوا يعطفون عليها ويخشون الانضمام اليها لأنها كانت تضحية وفداء وسجنا وعذابا . وكان للوفد وللأحزاب الأخرى فرق

من الشباب كل حسب لونه السياسى • وكاد شباب الوفد فى تلك الفترة ينشق عنه ، ففكر حزب الوفد فى تقليد مصر الفتاة ، وعمل « القمصان الزرقاء » بدلا من « القمصان الخضراء » وكان شعار القمصان الزرقاء تحطيم مصر الفتاة بكل الطرق •• وخصوصا جماعة الاسكندرية ، التى لم يكن همها فى السياسة بقدر ما كان همها فى سحق شباب مصر الفتاة • ولما كانوا هم أكثرية بشرية ، ومصر الفتاة أقلية••كانوا يعتدون دائما عليهم اذا ما حاولوا اقناعهم بمبادئهم العشرة• ويشهد على ذلك قسم بوليس العطارين ، حينما هجم شباب القمصان الزرقاء على مقر جمعية مصر الفتاة ، وحطموه ، وضربوا من كان فيه •• وهذا مثل من الأمثلة •

***

● ويحضرنى بهذه المناسبة انه كان يرأس فريق القمصان الزرقاء شاب ضخم الجسم اسمه على ما أذكر ـ طميش • وهو تاجر « بميدان شارع النصر حاليا » كانت فرقته تحضر أمام محله كل يوم أحد ، ويجتمعون فى هذا المكان هاتفين •• والذى منه • وكان يبدو ان هناك انقسامات داخلية بين الفرق وبعضها • وحضرت فرقة السيد طميش فى أحد أيام الأحد ، وحضرت فرقة اخرى برئاسة أخرى فى الناحية المضادة •• وأخذ كل منهما يهتف لرئيسه والآخر يرد عليه بهتاف مماثل للرئيس الآخر • ثم حدث تلاحم وجذب شديد•• وكان البوليس على علم بما سيحدث •• ولولا تدخله لكانت مجزرة •

● والملاحظ على هؤلاء الشباب أن الواحد منهم كان نظيفا جدا فى ملبسه ، ويعتنى بمظهره أكثر مما يعتنى بمبادئه • وربما يجهل الكثيرون سبب سخط الوفد على مصر الفتاة ولعلى أكون قد وفقت اذ أقول أن ذلك كان بسبب جرأة أحمد حسين ، لأنه أول من حاول الرد ومحاسبة الوفد •• فى كل ما كان يفعله أو يقوله • وكان الوفد فى تلك الفترة يعتبر الحزب المقدس ، وزعيمه فوق كل مساس أو محاسبة ويكفى انه ذات يوم نام زعيم الوفد على كرسى خشبى داخل محطة سكة حديد ، عنادا فى الحكومة التى كانت موجودة فى ذلك الوقت •• فهاج الشعب والوفد : كيف يحدث ذلك ؟

***

● أما أحمد حسين فقد سجن ما لا يقل عن ١٤ مرة بأحكام ولمدد تتراوح ما بين سنتين وثلاث فى سبيل الوطن • وأذكر أن الأستاذ أحمد حسين كان قد طبع كتيبا على غلافه رسم لواحد من القمصان الخضراء ، يمسك مقشة بيد طويلة ، ويكنس الأرض ، التى عليها جمجمتان •• احداهما جمجمة النحاس

باشا والأخرى جمجمة مكرم عبيد باشا . وكانت هذه منتهى الجرأة فى مصر الفتاة فقد كانت الصورة واضحة وبالألوان .

● من هنا يتضح ان أعضاء القمصان الخضراء هم الأعضاء الأصليون ، وليسوا مدسوسين كما ذكر الدكتور بلال .

● أما مسألة تهديد مصر الفتاة للملك بالاتصال بالخديو السابق ، فاعتقد أن هذه كلها مجافية للصواب ، لأنه ليس من المقبول أن تخلع مصر الفتاة الملك لتعطى عرش مصر لقريب له بدلا منه .. مهما كان الفارق بينهما .

وقد كانت مصر الفتاة تضع اسم الملك ضمن شعاراتها لعدم اتهامها بأية تهمة تؤدى الى غلق الجمعية ـ « وفعلا هذا حدث وتحولت الى حزب » .

***

وكتب لنا الأستاذ أحمد حسين . رئيس مصر الفتاة :

● ليس من برنامجى ان أهتم بما يقال عنى مدحا أو ذما فما بالك بتاريخى ، أو تاريخ مصر الفتاة ، والتى أعتبرها قطعة من نفسى .

وكونى لا أعبأ بما يقال عنى فى الوقت الحاضر مدحا أو ذما ، قد يكون مفهوما لدى الكثيرين ، فعندما يتجاوز الانسان السبعين ، ويدرج نحو الثمانين ، فان الأمور كلها تستوى عنده فما بالك اذا كان عاجزا عن كل شيء ، الا أن يفكر ويكتب : أن كل ما أصبحت أتمناه هو أن يديم الله هذه النعمة على ، حتى يأذن بالنهاية ، وقد قدمت ان هذا الموقف قد يكون مفهوما من الكثيرين ، ولكن ما قد لا يفهمه الكثيرون ، هو قولى اننى لا أحفل كثيرا بما يقال عن تاريخى وتاريخ مصر الفتاة ، حتى ولو خالف الحقيقة ، ولكن السبب هنا متغير ، أى على خلاف السبب السابق .

ذلك أن ما وقع ، ومنى كان مسجلا ومنشورا ، فقد أصبح ملكا ، لكل من يطالع هذا المنشور ، وما يفهمه منه ، ولن تستطيع كل أقوال الدنيا ، ان تغير مما قد يفهمه انسان جديد ، فالتاريخ هو التاريخ ، لم يعد ملك صاحبه ، وانما هو ملك لكل من يطالع هذا التاريخ ليفهم منه ما يفهم .

ولأضرب مثلا واحدا لاظهار مصداق ذلك . فقد نشرتم على لسان مجاهد من أكبر من ساهموا فى تكوين مصر الفتاة وأعنى به المجاهد الدكتور محمد عز الدين عبد القادر ، ولقد نقل أقواله من رسالة للأستاذ شلبى ، وحصل بها على درجة الماجستير وعلى الرغم من أن الأستاذ شلبى من أعز الناس على ، وبالرغم من أنه ظل يتردد على أكثر من عام ، ووجه الى مئات الأسئلة ، فقد

راح فى رسالته يذكر بعض المعلومات التى تخالف الحقيقة ، وهى الخاصة بالقول بوجود صلة بين الخديو السابق « عباس حلمى » وبين مصر الفتـــاة ولا لوم ولا تثريب على الباحث الفاضل ، مادام قد أثبت المصدر الذى استقى منه هذه المعلومات وهى تقارير البوليس ، الملحقة بقضية المجاهد عز الدين عبد القادر ، وحتى لو نفيت هذا للدارس الفاضل لجاز له ألا يصدقنى بعلة أن من المفروض أن أدفع عن نفسى ، وعلى أية حال ، فلم يكن أمامه مناص من اثبـــات هذه المعلومة وان لم يصدقها هو فسوف يصدقها انسان آخر ، ومن هنا فانه وهم ما بعده وهم أن يتصور متصور أنه يمكن أن يصحح وقائع التاريخ لمجرد أنه قال ، وسيظل الموقف بعد قوله تماما كما كان قبله ، فالذين يتعاطفون معـــه سيظلون يتعاطفون ، حيث الذين يزورون عنه ـ فضـــلا عمن يخالفونه ـ فسيظلون يخالفون ·

***

ولأشرح على سبيل المثال الحقيقة ، ثم كيف وصلت الى رسالة علمية سوف تطالع على مدى الأيام باعتبارها مصدرا من مصادر تاريخ مصر الفتاة ، وحقيقة الأمر اننى فى صباى « خلال دراسة الثانوى » كنت من عشاق فن التمثيل ، وكان يوسف وهبى هو عميد عمداء هذا الفن ، وليوسف وهبى شقيق يلازمه وهو الأستاذ اسماعيل وهبى المحامى ، فلما تخرجت فى كلية الحقوق ، وكنت قد انصرفت تماما عن المسرح ، وانخرطت حتى الأذقان في الكفاح السياسى ، فلم أجد غير مكتب الأستاذ اسماعيل وهبى ، انتسب اليه ، وشــاءت الصـــدفة المطلقة ، أن يكون المرحوم اسماعيل وهبى صهرا لعبد الخالق باشا مدكور ، ولم أكن أعرف حتى هذا التاريخ شيئا عن خلفيات عبد الخالق باشا مدكور ، الا انه كان فى يوم من الأيام « سر تجار مصر » وأنه كان من أعضاء الوفـد الأول . وعندما عرفته كان نموذجا لطيبة القلب ، ودماثة الأخلاق ، والذكاء والكرم ، وغنى عن البيان ، اننا فرحنا به فرحا كبيرا واعتبرنا طلبه منا أن نعتبره عاملا معنا ، هو فتح ما بعده فتح ، ولكن لم يحدث أبدا « والله شهيد على ما أقول » ان دار بيننا حديث عن الخديو السابق بالخير أو بالشر ، عن قرب أو بعد ، تصريحا أو تلميحا ، والمتاريخ ، فقد كان الملك فؤاد قد سوى موضوع الخديو نهائيا فى سنة ١٩٣٠ وأعلن الخديو عباس تنازله عن أى مطالب فى عرش مصر ، وتعهد بأن يوقف كل نشاط سياسى له ، وان يقطع صلته بأى انسان قد تحدثه نفسه بمثل هذه الأوهام ، وقد تألفت مصر الفتاة بعد هذا الاتفاق بثلاث سنوات ، واتصل عبد الخالق باشا مدكور بعد ذلك بعام نتيجة المصادفة البحتة التى أشرت اليها ، ومع ذلك فقد نسج الانجليز هذا الحديث الطويل العريض عن صلات بين الخديو ومصر الفتاة ·

***

واليك نموذجا آخر لفكرة أن التاريخ هو التاريخ بمجرد حدوثه ، يصبح ملكا لكل انسان يفهم منه ما يشاء ولن يتنازل عن ما فيمه أمام كل تصحيحات الدنيا ، فقد اتهمت فى عهد الملك السابق بأننى حرقت القاهرة ، وكانت مصر كلها تعرف ظلم هذا الاتهام ، وقامت فى مصر ثورة أطاحت بالملك ، ووضعت يدها على كل أسرار الدولة . فكان مما عثرت عليه أن الشاهد الوحيد الذى استطاع البوليس السياسى ان يجنده ضدى ، كان قد قبض ألف جنيه « تساوى عشرين ألف جنيه اليوم » ليدلى بشهادته الكاذبة .

وطويت صفحة القضية بالعفو والبراءة وكشفت السنوات التالية أصبعا انجليزية .

ويهمنى من ذلك كله أنك لن تعدم من يقول لك أحمد حسين حرق القاهرة ، وقد أصبح سيان عندى أن أكون حرقت القاهرة ، أو لم أحرقها ، فكلا الأمرين يفرضان على الباحث والدارس ، أن يرجعا لتاريخى وتاريخ مصر الفتاة ، واستخراج الفوائد والعظات .

***

وتأسيسا على ما سبق . فان ما سوف أقوله ليس تصحيحا ، ولا هو دفاع عن النفس ، وانما هو من قبيل طرح الأفكار ليستفيد منها من يستفيد ، وهو ما كانت عليه كل حياتى .

فقد شاءت الظروف أن يبدأ النشاط الشيوعى فى مصر عقب الحرب العالمية الثانية ، على يد قيادات يهودية « هنرى كورييل » وكانت الصهيونية اليهودية على أشدها ، واليهود هم اليهود مهما تظاهروا ، باختـــلاف الأفكار واعتناق شتى المذاهب من رأسمالية وماركسية ، وديمقراطية واشتراكية ، فالهدف واحد لا ثانى له ، وهو تمزيق الجنس البشرى وايقاع الخلافات والفتن والحروب بين صـــفوفه ليسهل على اليهـــود السيطرة ، وتنفيذ أنفه رغباتهم ، انظر اليهم فى أمريكا ، وهم خلف كل دعوة للحرية الى درجة الفوضى ، وهم ضد العنصرية ، وهم ضد العنف وضد الحروب ، يبثون ذلك كله فى صفوف الأمريكان ، حتى اذا وصل الأمر الى اسرائيل ، فلا حرية حتى للأمريكان أنفسهم وهم أعداء الحرية للعرب ، وهم أشد غلاة العنصرية ، وهم على استعداد ليشردوا الملايين ، ويدمروا المدن والقرى فوق رءوس أصحابها ليستولوا على قطعة من الأرض ، فلا تصدق ان هناك يهوديا رأسماليا وآخر شيوعيا وثالثا صهيونيا .. انهم جميعا يهود يهدفون الى غاية واحدة وهى تخريب العالم وهدم الحضارة ، ليظلوا هم سادة العالم وقادته .

***

ومن هنا كان كوريبل رائد الشيوعية فى مصر لا يفترق عن أى صهيونى .
واذ كانت مصر الفتاة تحارب أطماع الصهيونية فى فلسطين ، فقد حاربها كوريبل واصفا اياها بأنها حركة فاشستية ونازية ، وتابعة على ذلك كل من كان تلميذا له من الشيوعيين ، وشب بعض الشيوعيين وكبروا ، وصار بعضهم أساتذة تاريخ ، وبعضهم نقادا ومفكرين ومع ذلك فهم يرددون هذا الوصف كلما ذكرت مصر الفتاة ، وانه اذ أكتب هذا المقال ، فليس ذلك للرد عليهم ، أو لتصحيح التاريخ ، فلا جدوى من ذلك ، وسيظل الشيوعى اذا تحدث عن مصر الفتاة فسيقول عنها انها حركة فاشستية ، ولكننى أكتب كما قدمت لفائدة الجيل الحاضر ، والأجيال القادمة فمصر الفتاة كانت فى جوهرها تعادى الفاشستية والنازية ، وقد اتهمت عام ١٩٣٤ بأننى أهنت دولة ايطاليا الفاشستية ، فقد كتبت سلسلة من المقالات بعد زيارتى لايطاليا ، اعتبرها موسولينى تحقيرا له ولنظامه ، وبعد ذلك وجهت لهتلر وهو فى أوج سلطانه عام ١٩٣٨ رسالة أدعوه فيها لاعتناق الاسلام ، ورحت فى ثنايا الرسالة أندد بسياسة النازى استنادا الى التعاليم الاسلامية .

ومع ذلك فقد وصف اليهود « باسم الشيوعية » مصر الفتاة بأنها فاشستية ونازية وقد حان الوقت ليعرف أبناء الجيل الجديد ما هى الفاشستية وما هى النازية ، ليدركوا على الفور استحالة وصف مصر الفتاة بهذه الصفة .

★★★

فأما الفاشستية فهى مشتقة من كلمة لاتينية « على ما أذكر » وهى كلمة « فاشيو » بمعنى الحزمة ، وقد اتخذ موسولينى من الحزمة شعارا لحركته ، فأصبحت النسبة الى كلمة فاشيو فاشيست ، وكان هدف موسولينى من حركته هو أن تستعيد ايطاليا استعمار حوض البحر المتوسط ، وكان يطلق عليه بالايطالية « نوترامارى » أى بحرنا ، مستعيدا بذلك مجد الامبراطورية الرومانية ولما كانت مصر هى درة الامبراطورية الرومانية ، فقد جعل موسولينى ، احتلال مصر واستعمارها هدفا من أكبر أهدافه ، واتخذ من ليبيا قاعدة عسكرية كبرى ليحتل مصر فى الوقت المناسب وأصبح من المشهور والمتداول أنه أعد فرسا بيضاء ليمتطيها ساعة دخوله مصر فاتحا ، ومن هنا كان هجومنا على موسولينى هجوما عنيفا ، ورحنا نندد أقسى تنديد بسياسته وسياسة ايطاليا فى ليبيا ووصفناها بالهمجية والوحشية والبربرية ، الأمر الذى أحفظ موسولينى ، كما قدمنا ، فطالب الحكومة المصرية بمحاكمتنا ، والا ساءت العلاقات بين الانجليز « سادة مصر » وبين ايطاليا ، وبالفعل قدمنا الى محكمة الجنايات ، لمحاكمتنا بتهمة اهانة ايطاليا .

واذا كان موسولينى يريد استعمار حوض البحر الأبيض المتوسط فان زميله هتلر كان يعمل على السيطرة على العالم كله وكان يصف حركته بأنها وطنية اشتراكية وكلمة « نازى » هى مجموع الحروف الأولى من اسم حزبه ، وكانت مصر الفتاة شديدة النكير على هتلر وسياسته ·

***

ولقد قدمت أننى وجهت له رسالة ولكننى قبل ذلك كنت قد وصفته فى مقال لى بأنه « بلطجى دولى » واحتجت المانيا ·

وهكذا ترى استحالة وصف مصر الفتاة بالفاشستية ، أو النازية لا لأننا كنا حربا عليهما ، ولكن لطبيعة كل من الحركتين ، فحيث الفاشستية والنازية هما قمة الجهود الاستعمارية فقد كانت مصر مستعمرة انجليزية بالفعل ، وتأسست مصر الفتاة لتقاوم الاستعمار كائنا ما كان ·

ويكون السؤال الذى كتبت المقال من أجله ، وما هى حكاية القمصان الخضراء ، أو ليست محاكاة للقمصان السوداء والبنية الفاشستية والنازية وهذا هو ما أحب أن ألفت نظر الشباب اليه ، وهى أنهم واجدون فى تراثهم الاسلامى والوطنى كل الأفكار التى يمكن أن تطرأ على العقل البشرى بهدف النهوض أو التقدم أو التحضر ، وقد نجحت أوروبا عندما اقتبست الأفكار والنظم الاسلامية ، هى تتهاوى اليوم لتمردها على هذه المبادىء « الروحية والنظام والنظافة والعمل والانتاج والأمانة والاستقامة والعفة » ·

***

فأثر توحيد الزى فى مضاعفة قوة المجاهدين ، من صميم التراث الاسلامى ، فعندما توجه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لفتح مكة طلب من عمه العباس ، أن يوقف أبو سفيان بحيث يرى قوة المسلمين ، وظل أبو سفيان يسأل عن أسماء القبائل التى تمر أمامه ، حتى مر أمامه ما أطلق عليه اسم « الكتيبة الخضراء واتخذ الأمويون شعار « الخضرة » لملابسهم الرسمية ، وعندما شرع أبو مسلم الخراسانى فى التبشير بالدعوة الى العباسيين ، جعل أتباعه يتشحون بالسواد ومن هنا ظلت الملابس الرسمية للعباسيين هى السواد ، ولا يظنن ظان أننى أقول هذا الكلام اليوم ، فلو أنه رجع الى ما كتبته منذ نصف قرن «تقريبا» وأنا أشرح فلسفة القميص الأخضر للشباب لوجد نفس العبارات ، فالقميص الأخضر منتزع من التراث الاسلامى ·



بقى لكى أعرف الشباب بما كانت تزخر به مصر من حيــوية فى هذه الفترة ، فقد كان فى مصر فى العشرينات نظام يوشك ان ينقرض اليوم وهو « نظام الكشافة » واذا كان الانجليز هم الذين أدخلوا هذا النظام فقد حوله المصريون كما هو دأبهم ، لما يتفق مع مصالحهم وأغراضهم وقــد كانت مصر متعطشة لنشر الروح العسكرية ، فتحولت الحركة الكشفية فى مصر الى مؤسسة لغرز الخشونة والرجولة بين صفوف الشباب وما زلت أذكر مواكبنا ونحن فى مدرسة محمد على الابتدائية ، ونحن نجوب الشــوارع على نغمات موســيقانا العسكرية وأناشيدنا الوطنية ، ولم تخرج أنظمة مصر الفتاة ، عن هذا النظام الكشفى مقدار « انملة » الا أن أهدافها كانت وطنية مائة فى المائة ، وكانت تحارب الانجليز ولا تدور فى فلكهم ، وقبل أن يوجد موسولينى أو هتلر على مسرح التاريخ ، كتبت وأنا طالب فى مجلة المدرسة الخديوية ، أحلم بمصر الفتاة وحركة مصر الفتاة ٠

ولعلك ترى من ذلك ، كيف كان الاسلام والوطنية ، هما مبعث « القمصان الخضر » مع ذلك فســوف يظل اليهود وتلاميــذهم يتحدثون عن الفاشيستية والنازية ، حيث لم يعد فى الدنيا من يمكن أن يوصف بهاتين الصفتين ، سوى اسرائيل وحكام اسرائيل ، ومن هنا فلســت أشك لحظة أن اسرائيل ستنتهى وتزول من الوجود ٠

***

وكتب شوقى عبد الوهاب معلقا على ما رواه د٠ محمد بلال عن « القمصان الزرقاء » :

● نشرتم بيانات عن القمصان الزرقاء مصــدرها ما رواه الدكتــور محمــد بلال فى مذكراته عن هــذه الفرق ٠ ولما كانت هــذه الرواية لا تتفق مع الحقيقة والتاريخ من حيث التفكير فى تكوينها واسم صاحب الفكرة وكيفية خروج الفكرة الى حيز التنفيذ ٠ ثم العرض على رئيس الوفد وسكرتيره العــام وما ذكره عن الدعوة الى اجتماع مؤتمر الشبان الوفديين فى ٥ يناير ١٩٣٦ ٠ وما حدث بعد أن أصبحت الفرق حقيقة واقعة وما صاحب ذلك من مؤامرات ودسائس أدت الى انقسام الفرق فرقتين احداهما باسم « فرق الشباب الوفدى » والثانية باسم « فرق الرابطة العامة للجان الشبان الوفديين » وكل منهما له مجلس أعلى وقائد عام وتشكيلات فى الاقاليم ٠ وبما أن قصة القمصان الزرقاء أصبحت منذ زمن مضى فى ذمة التاريخ ومن واجبنا ان نتوخى الحقيقة التاريخية فى رواية قصتها ٠ فاننى أود أن أصحح ما نشر مخالفا الحقيقة التى يعرفها من كانوا على قرب من مسرح الحوادث فى هذه الفترة ٠

ان مجلة « الطليعة » سبق لها أن نشرت بعددها الصادر فى سبتمبر ١٩٧٥ مقالا للدكتور رفعت السعيد عن « مصطفى النحاس السياسى والزعيم » وقد تضمن تعليقا للدكتور على ما أورده السير مايلز لامبسون سفير بريطانيا الأسبق فى تقريره الذى كان قد أرسله الى وزارة خارجيته فى ذلك الحين عن فرق القمصان الزرقاء ٠

وجاء فى هذا التعليق ما يأتى : « ولكن اللافت للنظر فى هذا الموضوع هو ان صاحب فكرة القمصان الزرق كان زهير صبرى أحد قادة التيار اليسارى فى حزب الوفد ـ الخ » ثم بعد ذلك اطلعت على كتاب ـ تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩٣٧ ـ ١٩٤٨ ـ لمؤلفه الدكتور عبد العظيم رمضان وقد أورد فيه شرحا مطولا عن فرق القمصان الزرقاء جاء فيه « ان صاحب الفكرة فى تأليف هذه الفرق هو محمد بلال » ٠

كما أوضح « أنه سبق انشاء هذه الفرق تكوين لجان للشباب الوفديين لتنظيم جهودهم وتطوير هذه اللجان ليصبح أفرادها جنودا صالحين » ٠

ولما كان كل من الدكتور رفعت السعيد والدكتور عبد العظيم رمضان وهما من أساتذة التاريخ لم ينصفا التاريخ برواية الاسم الحقيقى لصاحب الفكرة ٠ بل ان كلا منهما نسب الفكرة الى اسم مختلف عن الاسم الذى رواه زميله مما يقطع يقينا ومن غير شك أن المصدر الذى استقى منه كلاهما هذا الاسم لم يكن حريصا على تحرى الحقيقة ولم يتوخ الدقة والأمان فى روايته ٠

وأسأل هؤلاء السادة فى صدق وصراحة ٠ هل راجعوا مجموعة الصحف التى صدرت فى الفترة التى بدأت منذ اذاعة خبر انشاء هذه الفرق بنادى المحامين الى ما بعد مؤتمر ٥ يناير ١٩٣٦ ثم ما تلا ذلك من أيام ؟

***

لو تمت هذه المراجعة لظهر الحق ينطق أن صاحب الفكرة هو ـ كاتب هذه السطور ـ الشاب الوفدى شوقى عبد الوهاب ٠ الذى كان رئيسا للجنة الشبان الوفديين المركزية بشبرا والذى سعى جاهدا لتكوين الرابطة العامة للجان الشبان الوفديين وكان سكرتيرا عاما لها ٠ والذى كان أيضا عضوا باللجنة التنفيذية للجان الوفد بالعاصمة ٠ والذى اختاره رئيس الوفد وسكرتيره العام ليشغل وظيفة سكرتير نادى المحامين منذ أن تقرر افتتاحه فى ابريل ١٩٣٤ ٠

وهذا النادى بعلم الجميع كان له دور تاريخى هام فى المدة من قيام ثورة ١٩٣٥ الى المفاوضات والاجتماعات التى انتهت بعودة دستور ١٩٢٣ وتكوين الجبهة الوطنية التى وقعت معاهدة ١٩٣٦ ٠

***

وفيما يلى بيان وجيز عن قصة القمصان الزرقاء التى تتلخص فى : اننى فكرت فى تكوينها صيف عام ١٩٣٤ وافضيت بالفكرة الى صديقى وزميلى الاستاذ زهير صبرى الذى كانت وجهات نظرى تتفق فى كثير من الأمور السياسية مع وجهات نظره · فرحب بالفكرة وعرضها على مكرم عبيد « باشا » سكرتير عام الوفد الذى رفض الفكرة بحجة « أن تنفيذها فى هذه الظروف فيه احراج لوزارة توفيق نسيم الصديقة والتى كانت تمهد لعودة الوفد للحكم · ولذلك فانه من المصلحة ارجاء التنفيذ لمستقبل قريب » ·

وانتظرت فرصة مواتية للتنفيذ وكانت الفرصة ثورة ١٩٣٥ ، ونظرا لأن لجنة الطلبة التنفيذية كانت تجتمع فى كثير من الأيام بنادى المحامين فقد أمكننى اختيار ثلاثة من أعضائها للاشتراك معى فى اخراج الفكرة الى حيز التنفيذ وهم محمد بلال ومحمد كامل الدماطى وفهمى سليمان سيدهم الذين وافقوا فورا على الاشتراك فى العملية معى ·

***

وأعددنا القمصان الزرقاء الأربعة والبانطلونات الفانلا وارتديناها بداخل حجرة مكتبى بالنادى · وسرنا فى طابور نظامى الى حجرة مكتب رئيس النادى مكرم عبيد وقد كان مجتمعا مع الرئيس مصطفى النحاس وبعض أعضاء الوفد وأحدث ظهورنا بهذه الهيئة دهشة كبيرة · ولكن نظرا لان الموقف السياسى كان وقتها فى حالة شديدة الاضطراب والوفد ورؤساء الأحزاب يتبادلون التهم العنيفة والصحف تنشر تصريحاتهم فقد تمت الموافقة على تكوين الفرق فى هذه الليلة وعلم جميع الذين كانوا بالنادى بذلك وانتشر الخبر فى احياء القاهرة وصدرت الصحف فى اليوم التالى معلنة الخبر ·

وابتدأنا نتلقى الاعداد الكبيرة التى تفد الى النادى مبدية الرغبة فى الانضمام الى هذه الفرق · واجتمعت الرابطة العامة للجان الشبان الوفديين وأخذت علما بموافقة الوفد على انشاء الفرق ووضعت الضوابط والشروط اللازم توافرها فيمن يطلب الانضمام اليها : وهى ضرورة أن تزكى لجان الوفد والشبان الوفديون هذه الطلبات ليتسنى لنا التأكد من أن أفراد الفرق من أصحاب السمعة الحسنة والأخلاق الفاضلة ·

***

وفى ديسمبر ١٩٣٥ قررت الرابطة الدعوة لعقد مؤتمر عام للجان الشبان الوفديين بالنادى السعدى يوم ٥ يناير ١٩٣٦ · والقيت فى هذا الاجتماع كلمات من شوقى عبد الوهاب سكرتير عام الرابطة وزهير صبرى رئيس الرابطة والزميل محمد بلال وأعلن فى هذا الاجتماع عن تكوين الفرق رسميا طبقا لما سبق أن قررته الرابطة من الشروط والضوابط ·

وانى أنوه هنا ان ما أشرت اليه من حيث الجهة التى دعت لعقد هـذا الاجتماع وما تقرر فيه هو ما سبق ان ذكره الدكتور عبد العظيم رمضان فى كتابه وهذا هو المتفق مع المنطق لأن الجهة التى لها الحق القانونى فى دعـوة لجان الشبان الوفديين للاجتماع انما هى الرابطة وليس الزميل محمد بلال كما يقول فى مذكراته • وترتب على تكوين هذه الفرق النظامية أن فكر أصحاب الأغراض ومن له هوى سياسى معين فى الطرق التى تمكنه من السيطرة على هذه الفرق أو على الأقل تسخيرها لتنفيذ أغراضه والسير وفق هواه • وسرعان ما ظهرت النتيجة لهذا التفكير • اذ بدأ الخلاف بيننا وبين محمد بلال فى كل شىء ثم اشتد الخلاف وفوجىء الجميع ذات صباح بجريدة الجهاد تنشر ما سمى بقرار المجلس الأعلى لفرق الشباب الوفدى وكان يقضى بفصل شوقى عبد الوهاب من الفرق والتحذير من الاتصال به أو تلقى أى أمر منه • ومساء نفس اليوم اجتمعت الرابطة العامة للجان الشبان الوفديين وسط عاصفة مدوية من الاستنكار المصحوب بالدهشة • وحضر اجتماعها بعض أعضاء الهيئة الوفدية وأصدرت الرابطة قرارها بفصل محمد بلال ومن يؤيده وتعديل اسم الفرق الى « فرق الرابطة العامة للجان الشبان الوفديين ، وتعيين شوقى عبد الوهاب قائدا عاما لها • ونشر القرار أيضا بالصحف •

***

وبذلك انقسمت الفرق الى فرقتين كل منهما له اسم مختلف ونظام مختلف وقائد عام ومجلس أعلى • وترتيبا على ما تقدم ظهرت سريعـا الآثار الخطيرة الناجمة عن انقسام فرقة وفدية تدين بمبدأ واحد وتقدم الولاء لزعيم واحد•وتعدت هذه الآثار الفرق نفسها الى أعضاء الوفد والهيئة الوفدية وقيل لمن عرضوا الأمر على رئيس الوفد وسكرتيره العام « ان البقاء للاصلح » • وظلت الحالة هادئة مظهريا وكالنار المتخفية تحت الرماد الى أن أعلن عن تاريخ وصول الوفد الرسمى الى القاهرة عائدا من لندن بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ •

***

وانتهزت فرقة الشباب الوفدى فرصة تجمع عدد كبير من أفـــرادها فى القاهرة لمناسبة الاحتفال باستقبال الوفد الرسمى • ووجهت الى معسكر فرقـة الرابطة بشبرا اللوارى التى تستقلها قوة كاملة العدد والعدة وبضربة واحدة قضت على المعسكر ومن فيه • واقتيد قائد عام الفرقة شوقى عبد الوهـاب غارقا فى دمائه فاقدا النطق الى معسكر فرق الشباب فى حى زينهم • واتضح بعد ذلك انه تم القضاء على جميع معسكرات فرق الرابطة فى الاقاليم • وتولى البوليس والنيابة التحقيق • ولكن القوى السياسية التى كانت خلف قرار فصل شوقى عبد الوهاب من الفرق تدخلت فى التحقيق ولم تمكن العدل من أن يأخذ مجراه وأدي ذلك الي تعثر التحقيق ثم توقفه • ولم يضـــأ له النـور الأخضر

الا بعد تأليف وزارة محمد محمـــود وحل الفرق نهائيا فى ينـــاير ١٩٣٨ ٠
ولو راجع الذين كتبوا عن القمصان الزرقاء صحف القاهرة الصـــادرة عقب وصول الوفد العائد من لندن لاستلفت أنظارهم الأخبار المنشـــورة عن حادث الاعتداء الأليم الذى حدث ليلة أفراح القاهرة ٠ هذا الحادث الذى يؤسفنى أن أساتذة التاريخ أغفلوا حتى مجرد الاشارة اليه ولماذا ؟ علم ذلك عنـــد علام الغيوب ٠

***

وبعد القضاء على فرق الرابطة فى سبتمبر ١٩٣٦ لم يبق فى الميدان سوى فرق **الشباب الوفدى** ٠

وانى أرجو أن أشير هنا الى ما نالنى من الاضطهاد والتعسف عقوبة لتفكيرى فى تكوين هذه الفرق بنظام خاص كنت رسمته بدقة لخدمة وطنى المقدس مصر ٠ ولكن بالنظر لما كان معروفا عنى من شجاعة فى ابداء الرأى وصراحة فى توجيه النقد لكل ما اعتقد انه لا يتفق مع الحق والعدل ٠ فان البعض خشى عاقبة نجاحى فى تكوين هذه الفرق ودبر لابعادى عن صفوفها بعد أن أصبحت حقيقة واقعة ٠ ولما لم يفلح التدبير واعاننى الله وأحاطنى بعـــدد كبير من الوطنيين المخلصـــين الذين ساعدونى بجدية وعزم فى اعداد فرق الرابطة التى كانت تحظى بقـــدر كبير من الاعجاب والاحترام لما اتصفت به من نظام وخلق وهندام منسق وتدريب كامل على مختلف الانشطة ٠ فانهم لم يكتفوا بالاعتداء الأثيم الذى سبق أن شرحته ٠ بل اتصل الاضطهاد بالعمل الوظيفى أيضا ٠ فكنت أنا الموظف الوفدى الوحيد المفصول سياسيا الذى حرمت من تطبيق قرارات وزارة توفيق نسيم الخاصة بتسوية حالة الموظفين الذين فصلوا سياسيا فى عهد وزارة اسماعيـــل صدقى منذ عام ١٩٣٠ وما تلاه من أعوام ٠ وظللت أبذل أقصى ما استطيع من جهود فى المطالبة بمساواتى بزملائى الذين فصلوا سياسيا فقط بينما أنا سجنت وفصلت سياسيا ٠ ولم أظفر بهذه المساواة الا فى نوفمبر ١٩٥٠ حيث صدق مجلس الوزراء على تسوية حالتى مع حرمانى من صرف ما استحقه من علاوات عن الماضى وبذلك حرمت وحدى من التمتع بما اتبع مع جميع الزملاء ٠

وانى أبعث بهذا الخطاب راجياأن ينشر فى عهد حرية الرأى والكلمة وسيادة القانون وحقى فى النشر ــ الذى كفله القانون ــ ولتظهر الحقيقة ناصعة تحطم حواجز الاباطيل التى حاول البعض احاطتها بها ٠

شوقى عبد الوهاب
احد المجاهدين القدامى « بالمعاش »
الاسكندرية ــ كليوباترا ــ حمامات
شارع السيد عثمان الساعى رقم ١٨

تعليقات أخرى سريعة :

من أحمد حسين الى صبرى أبو المجد

أخى الحبيب الأستاذ صبرى أبو المجد

وكيف لا تكون حبيبا ، وأنت تبتعث صفحات من تاريخ جهادنا فى صدر شبابنا ، وتزيد فتطلعنى أنا شخصيا على بعض الخلفيات لأحداث شاركت فيها ، كهذا القسم الذى نشرته من مذكرات الحاج رمضان زيان ، وقد كان ثالث ثلاثة يشار اليهم بالبنان كأعلام للوطنية ، فى الاسكندرية عام ١٩٣٤ وكنت قد فكرت ان أعلق على بعض الأحداث ومدى ترابطها مع سير الأحداث بعد ذلك كنشرك دعوتنا لاحياء الروح العسكرية فى مصر ، وكيف تأثر شابان بهذه الدعوة تأثيرا مباشرا فالتحقا بالكلية العسكرية ، وكان منهما ما كان : أقول كنت أنوى ، ان أكتب معلقا وشارحا ومظهرا العلاقة بين ما جرى ويجرى ، ولكن وجدت ان هذا موضوع يطول شرحه ، ويحتاج الى عشرات المقالات ، وعلى هذا ، فالى ان تنتهى من بحثك ، واذا امتد بنا العمر بمشيئة الله ، وشاء المصور ان يقدم لأبناء الجيل الجديد ، حديث انسان ، شارك فى أحداث ما قبل الثورة ، بل ما قبل الحرب العالمية الثانية يوما بيوم ، بل ساعة بساعة ، فسيكون هذا موضع غبطتى بطبيعة الحال ٠

***

وبقى اذا لم تخنى الذاكرة ان أقرر حقيقة ، ربما لم تذكرها من باب التواضع ، فقد سبقت حركة المصرى للمصرى ، كل حركات الشباب التى انبثقت فى الثلاثينات ، ومازلت أذكر اننا انضممنا اليها أنا وأخى الاستاذ فتحى رضوان كعضوين فلك يا صديقى على « أنا شخصيا » فضل السبق ، وأرجو أن « لا يفزعك » ذلك من حيث السن فقد كنت أنا طالبا كبير السن ٠

ولم أر ما أعبر به عن شكرى وتقديرى لما تنشره الا أن أبعث اليك ببعض صفحات من مذكراتى وما كتبته تعليقا ، على حادث من أضخم الحوادث التى مرت فى تاريخنا المعاصر ، بل وتاريخ الدنيا كلها ، فقد أسدلت الستار على الامبراطورية البريطانية ، وكشفت عن أطماع اسرائيل التى لا يحدها حد ، وعن طبيعتها العدوانية ، التى تجعلها مثل العقرب أو الذئب لا يجدى فى كليهما سوى ما يفعله الناس حيالهما ، وهذا الحادث هو محاولة اسرائيل لاحتلال سيناء ، وهذا القسم الذى أرسله ، مما كتبته فى مذكراتى منذ قرابة ربع قرن يغنى عن كل تعليق ، ويثبت أن لا جديد تحت الشمس ٠ ودمت ٠

المخلص / أحمد حسين

● وما أرسله الى الأستاذ أحمد حسين استفدت به ــ وباسمه ــ فى بحث عن اسرائيل أكبر قاعدة استعمارية فى وطننا العربى ٠

ومن الأستاذ حافظ محمود تلقيت الرسالة التالية :

«فاروق» يحرم على القصر الاشتراك فى جنازة اسماعيل صدقى

أخى صبرى أبو المجد

لا أنت ولا نحن قد أسرفنا على المرحوم اسماعيل صدقى باشا فيما نشرته عن « سنوات ما قبل الثورة » فهو الذى اختار لنفسه هذه السياسة ٠ وعليه أن يتحمل تبعة كلمة التاريخ فيها ٠٠ لكن التاريخ ليس لتفسيره وجه واحد ، ولهذا أرى من العدل التاريخى ــ كما ذكرنا الجانب الصعب من سياسة الرجل ــ ان نذكر له الجانب الآخر ٠

فاسماعيل صدقى هو احد الاقطاب الأربعة الذين حسبت سلطات الاحتلال حسابهم فاعتقلتهم فى ٨ مارس سنة ١٩١٩ ٠٠ ولما أفرج عنهم تحت ضغط الثورة بعد شهر ، وسافروا الى باريس للدفاع عن القضية المصرية ، كان صدقى هو الذى تولى الجانب الاعلامى لوفد مصر فى الصحافة الفرنسية بالمقالات والأحاديث وعقد المؤتمرات الصحفية للوفد بحكم تضلعه فى اللغة والآداب الفرنسية ٠٠ وقد قام بنفس هذا الدور فى مفاوضات « عدلى كيزرون » فى العام التالى بلندن ٠

ولعل الذى غير الخط السياسى فى حياة اسماعيل صدقى هو أن سعد زغلول قد فضل عليه فى الانتخابات البرلمانية الأولى أصغر محام فى بلدته ، وهو المرحوم « نجيب الغرابلى باشا » الذى صار وزيرا وفديا فى وزارة سعد زغلول ٠

ونحن اذ ذكرنا أخطاء صدقى السياسية فى مطلع الثلاثينات ينبغى أن نذكر له مشروعاته العمرانية ، وأشهرها انشاء كورنيش الاسكندرية الذى غير الجغرافية الاجتماعية والاقتصادية لهذه المدينة ، واذا خلينا جانبا ما أثير حوله ، اذ ذاك من انتقادات تنبع من الشعور السياسى المضاد له ــ فاننا نجد أن هذا المشروع الضخم لم تصل تكاليفه الى مليون جنيه ، بينما نجد الآن أن الايجارات فى هذا الطريق تبلغ كل صيف ــ على طول الزمن ــ أكثر من هذا المبلغ فضلا عن الحركة التجارية والسياحية التى اكتسبتها الاسكندرية من الكورنيش ٠

ومع هذا فان صدقى باشا قد استنفر الشعب ، بالعمل لا بالقول ، حينما تولى الحكم فى وزارته الأخيرة ففى عهد هذه الوزارة تم الجلاء عن القاهرة والاسكندرية وقبل أن يتم هذا الجلاء ترك رئيس الوزراء اسماعيل صدقى للشعب فرصة الثورة التى أحرقت الثكنات العسكرية البريطانية فى ميدان الاسماعيلية

« ميدان التحرير » دون أن يتعرض لهم ولو بشرطى واحـــد • رغم احتجاج بريطانيا •• بل كان رده على هذا الاحتجاج رائعا ، اذ قال للسفير البريطانى « وهل أجليتم ، كما وعدتم ، وتعرضنا لكم ؟ » •

وفى اليوم التالى ذهب صدقى الى الجامعة فحمله الطلبة على الاعناق وهتفوا له ، فألقى فيهم كلمة قال فيها « أرجو ألا تكونوا شعب كل وزارة » •

وأخر ما نذكره من حسنات صدقى باشا ، الى جانب ما نراه من سيئاتـــه من وجهة نظرنا ـ ذلك الخطاب الرائع الذى بعث به من مستشفاه فى باريس ـ صيف سنة ١٩٥٠ ـ الى الملك ، وقال له فيه :

« اننى أخاطبك كما يخاطب الأب ابنه ، لاننى الآن استعد لملاقاة ربى ، وانت فى هذه الحالة لا تملك لى ضرا ولا نفعا » •

ثم سرد صدقى فى هذا الخطاب أخطاء الملك فاروق وطالبه بتصحيحها •• فاستشاط الملك غيظا من صيغة هذا الخطاب ، وبعد أيام انتقل صدقى فعلا الى رحمة الله ، فأصدر الملك أوامره بالا يشترك أحد من المسئولين فى القصر أو الحكومة فى تشييع جنازته ، فصار الذين شاركوا فى تشييع هذه الجنازة فى عداد « الشجعان » ولم يكونوا قليلين وكان من بين أولئك الشجعان أحد أمناء الملك ، فأمر باقصائه عن وظيفته فى القصر الى وظيفة أخرى •

هذا تاريخ •• وفى التاريخ الصحيح ينبغى أن تقال كلمة الحق بمختلف زواياها •

حافظ محمود

وتلقيت من المهندس د• عز الدين عبد القادر رسالة وجهها الى المهندس مصطفى شوقى •

رد من د• عز الدين عبد القادر :

الانجليز وحدهم كانوا يملكون خلع الملوك ومنح العروش

الى الأخ المهندس مصطفى شوقى

● قلت فى رسالتك « احقاقا للحق أرجو أن تنشروا تعقيبى على ما جاء بمذكرات ـ كاتب هذه السطور » •

وقلت « وأما أحمد حسين فقد سجن ما لا يقل عن ١٤ مرة بأحكام ولمدد تتراوح ما بين سنتين وثلاث فى سبيل الوطن » •

ويهمنى باديء ذى بدء أن أقرر بأننى مسئول عن صدق كل كلمة وحرف يكتبه يراعى وهذا ما قلته وسجلته من قبل المخابرات ونيابة أمن الدولة ومحكمة الدجوى فى آخر قضاياى الكبرى وحكم على فيها بالسجن المؤبد فى القضية رقم ١٣ لسنة ٦٤ عليا ـ ٩ كلى عابدين والتى ظللت بموجبها أحد عشر عاما فى السجن من ١١ أغسطس عام ١٩٦٣ الى أن أفرج عنى الرئيس المؤمن محمد أنور السادات يوم ١٩٧٤/٤/٤ بعفو جمهورى شامل من أجل كتابى « كيف تحكم مصر ٠٠ اليوم ؟ » الذى ألفته خلال أزمة مارس الدستورية عام ١٩٥٤ ٠٠ وترجم الى عدة لغات ٠٠ .

أما أن تنعكس كتاباتى الى صور وهمية فى ذهن القاريء فأنا غير مسئول عن ذلك ٠

هذا ٠٠ وواضح اننى لم أمس موضوع سجن الأستاذ الكبير أحمد حسين لا من قريب ولا من بعيد ٠٠ وان كان مبلغ علمى أنه سجن مرات عديدة منها فى ١٤ قضية صحفية وعيب فى الذات الملكية ولكن قضاء مصر النزيه العادل لم يحكم عليه أبدا بالسجن وكان نصيبه فى جميع قضاياه البراءة ٠٠ هذه حقيقة تتأكد منها لو أنك أعدت قراءة مقالى من جديد ٠٠ الذى تناولت التعقيب عليه بقلمـك ٠

ثم انك قلت « أما مسألة تهديد مصر الفتاة للملك بالاتصال بالخديو السابق فأعتقد أن هذه كلها مجافية للصواب » ٠٠ من أين لك هذا يا أخ مصطفى ؟ ٠ مسألة تهديد مصر الفتاة للملك ؟ هذه الصورة الوهمية التى لم يجر بها قلمى ولا جاءت فى رسالة الماجستير التى نجح فيها الباحث العالم الأستاذ على شلبى وأشرف عليها الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ٠٠ والتى سجلتها فى مقالى مستشهدا بهذه الرسالة العلمية ٠٠ المؤيدة بالمستندات والتى ناقشتها لجنة من العلماء الكبار ٠٠

من قال كلامك هـذا ٠٠ أنا أم الباحث العالم ؟ لا أحد منـا قال هـذه الأوهام ٠٠ يا أستاذ مصطفى ؟ ٠ فان الاتصال شيء ٠٠ والتهديد شيء آخر !!

أما اذا كنت ترى مقابلات المغفور له عبد الخالق مدكور باشا للخديو ومقابلاتى للباشا وللخديو أنها مجافية للصواب ٠٠ فان هذه المقابلات قد تمت وسجلت فى مستندات رسمية منذ أن جرت فى عام ١٩٣٥ وفى قضيتى مع النحاس باشا عام ١٩٣٧ ٠٠ والواقع لا ينفيه الوهم أبدا ٠

أما قولك « فأعتقد أن هذه كلها مجافية للصواب لأنه ليس من المقبول أن تخلع مصر الفتاة الملك لتعطى عرش مصر لقريب له بدلا منه » فانه سذاجة أو قل اغراق فى الوهم ٠ لأنه لا مصر الفتاة ٠ ولا حتى مصر كلها بشعبها وجيشها فى ذلك الوقت كانت قادرة على ذلك انما كان الذى يستطيع فى مصر آنذاك أن يخلع الملوك ويمنح العروش انما كان الانجليز ٠ والانجليز وحدهم ٠

هذا ولا أنا ولا صاحب الرسالة العلمية التى ذكرتها فى مقالى جاء فيها هـذا الوهم ..

وقلت أخيرا « كانت مصر الفتاة تضع اسم الملك ضمن شعاراتهم لعدم اتهامها بأية تهمة تؤدى الى غلق الجمعية وفعلا هذا حدث وتحولت الى حزب » ويؤسفنى يا أيها الأخ العزيز أن أؤكد لك ـ واسمح لى بأن أستعير كلامك وهو ـ احقاقا للحق ـ لم يحدث أبدا ما ذهبت انت اليه ولم تتهم جمعية مصر الفتاة بأية تهمة أغلقتها فحولتها الى حزب .. وبعيدا عن كل ظن ووهم فان الجمعية ببساطة كانت قد كبرت ونمت وتطورت فأعلناها حزبا سياسيا مناضلا لا بسبب تهمة ولا خوفا من ملك ولا شيطان .. وشكرا يا أخى ..

د. عز الدين عبد القادر

ومن د. محمد بلال تلقيت الرسالة التالية :

د. محمد بلال .. يعقب :

الأستاذ صبرى أبو المجد

اطلعت على تعقيب على بعض ما جـاء فى مذكراتى عن فرق الشـباب « القمصان الزرقاء » .. ولما كان الأمر يتصل بتاريخ التحرك الوطنى للشباب فى تلك الفترة من تاريخ مصر فقد رأيت صـيانة للتاريخ وفى كلمات ابراز الحقائق التالية والمتصلة بنشأة هـذه التشكيلات ومبادئها والظروف السياسية التى نشأت فيها وعلاقاتها الداخلية والخارجية الى أن انتهى الأمر بحلها بعد قيام أزمة دستورية حادة بين الملك والوفد وكانت هى أهم أسبابها .

أولا : نشأت الدعوة لقيام هذه الفرق بين صفوف طلاب الجامعة فى الحقبة الأخيرة من ثورتهم للدستور والاستقلال عام ١٩٣٥ .. ومن موقعى بين الطلاب فى الاسهام فى تلك الثورة دعوت لقيام هذه التشكيلات وبهذا اعتبرت هذه الفرق استمرارا لثورتنا عام ١٩٣٥ .

ثانيا : كانت ساحات الكليات فى بادىء الأمر هى ميدان التدريب لأعضاء الفرق وكان الأعضاء يرتدون الزى العادى ويرددون الأناشيد الوطنية وينتظمون فى الطوابير .

ثالثا : لم تكن للفرق أول الأمر صلة أو اتصال رسمى بالوفد حتى تم اللقاء مع رئيس الوفد وسكرتيره ومن ثم أطلق عليها الاسم الذى عرفت به « فرق الشباب تحت لواء الوفد » .

رابعا : ارتدى الأعضاء القميص الأزرق ووضعوا شارة الفرق وبدأ تجمع الأعضاء فى معسكرات بالأحياء .

خامسا ـ بدأ انضمام العمال فى نفس الوقت الى صفوفها كما قامت فرق عمالية بكثير من المؤسسات ٠

سادسا : وانخرط فى صفوفها كثير من أعضاء لجان الشبان الوفديين التى كانت قائمة قبل ذلك الوقت ٠

سابعا : كان للفرق مجلس قيادة يرأسه قائد الفرق ثم أصدر رئيس الوفد قرارا بانشاء مجلس أعلى يرأسه ضابط كبير متقاعد ومعه عضوان من الوفد وقائد الفرق وعضوان من مجلس النواب « الهيئة الوفدية » ٠

ذلك ما أردت توضيحه وأحيل الى تفصيله فيما جاء بالمذكرات وأرى أن ما رواه صعب التعقيب عن ايذاء وقع عليه وحرمان من العلاوات والدرجات فى وظيفة من وزارة الوفد يعتبر من الأمور الشخصية ٠٠ ونحن وأنتم نحرص جميعا على تسجيل الجانب الوطنى العام للتحرك الوطنى للشباب مجردا ومشرفا للجيل الجديد للعبرة والذكرى ٠٠ ولنواصل حمل الرسالة الكبرى لخير الوطن والمواطنين ٠٠

د ٠ محمد بلال

اقنعوه بالاستمرار فى رواية أحداث تاريخنا النضالى

السيد الأستاذ صبرى أبو المجد

أكرر لكم الشكر الجزيل لتفضلكم بنشر مقالى واهدائكم لى كتابكم الذى أتيت عليه اليوم التهاما وقراءة ٠٠ انه عميق الدراسة ، عظيم المادة وهام جدا ٠

● سيدى ٠

من يصدق مغامراتى وحقائق كفاحى ؟ أنها أغرب من الخيال ٠٠ مثلا : من يصدق اننى أدخلت مسدسا محشوا بالرصاص الى زنزانتى فى ليمان أبو زعبل ؟ وان محمد صبيح وأحمد حسين هرباه لى مع سجان مسيحى ؟ وان ضابط السجن من الملتحين بذقن مريبة من الاخوان وشى بى وكان أحمد حسين وصبيح يثقان به وبمساعدته لى على الهرب فخاننى وترقى الى رتبة اليوزباشى فى زمن الحرب « عام ١٩٤١ » ٠

من يصدق اننى كنت أراسل الصحف سرا من داخل السجن ونشر الكلمات باسمى ٠

من يصدق اننى علمت بتسليح المانيا لمصر الفتاة وبالغواصات الألمانية واخفاء الأسلحة فى جبال حلوان لضرب الانجليز عند انسحابهم ٠

لا ٠ لن يصدق أحد ذلك ٠ وهذه أبسط قصة مثلها قبل قصة عزيز المصرى وميخانا ٠

حقائق أغرب من الخيال ٠٠ تتعب الناس ولا تفيدهم وأنا فى غنى عن ايذاء نفسى بذكرها لتسلية الناس ٠

لهذا أبادر بطلب الصفح عنى لزهدى فى نشر المزيد من ذكرياتى التى يصعب أن يصدقها الناس ، واعفائى من الكتابة ٠٠ ووالله لولا أن الأستاذ المناضل الوطنى زميل السلاح والكفاح عبد الرحمن بك أباظة طلب منى تبييض مسودة العجالة التى كتبتها لشخصكم النبيل فيها شىء عن كفاحى المسلح عام ١٩٤٦ وحادث النحاس باشا ٠٠ ما حاولت الاقتراب من أى دار صحفية ٠٠ كما اننى ما كتبت الا اكراما لخاطركم وتقديرا وحبا لشخصكم النبيل ٠٠ فلا شىء يضايقنى مثل الحديث عن نفسى ٠٠ ومغامراتى العاطفية ٠٠ عن حبى الكبير لمصر ٠٠ والحرية ٠٠ لكننى والله ٠٠ لا أجد حافزا من نفسى للكلام أو الكتابة الآن عن ماضى بخيره وشره لأنه عندى أمر مضى واحتسبت فيه عملى عند الله ٠٠ فأرجوك العفو عنى وقبول عذرى ٠ وأملى أن يكون رجائى عندك بقدر محبتى لديك أيها المناضل الوطنى الحر الكبير القلب والمؤرخ المصرى الجليل ٠

د ٠ عز الدين عبد القادر

تلقيت هذه الرسالة من المجاهد الوطنى الدكتور عز الدين عبد القادر ٠٠ على اننى مع ايثارى الكبير له ، غير مقتنع بالحجج التى يسوقها لكى يحرمنا من روايته للأحداث الهامة التى شارك فيها وعاشها فى تاريخنا السياسى الذى الذى يحتاج الى أن يتضافر فى روايته كل من عاش أحداثه منذ مطلع هذا القرن وحتى اليوم ٠٠ انه تاريخ خصب ٠٠ تاريخ د٠ عز الدين عبد القادر وحرام ألا يروى ليثرى التاريخ الوطنى لمصر ورجائى أن يؤازرنى القراء فى تمسكى بالفصول التى يكتبها ليروى فيها مذكراته وفى اقناعه بالاستمرار ٠٠ اكتبوا له لكى يعدل عن صمته ٠

وتلقيت من الأستاذ شوكت التونى المحامى الكبير رسالة يقول فيها :

من شوكت التونى الى صبرى أبو المجد

صبرى أبو المجد

● لقد حركتني كلماتك عن ثورة ١٩٣٥ ، ولم يعد كثير مما يكتب يحرك المشاعر أو يلفت الفكر ونازعتنى نفسى أن أكتب اليك كلمة تحية وشكر فقد أنصفت النقراشى العظيم النزيه بعد طول ظلم من رجال انتسبوا الى الكتابة ولم ينتسبوا الى الخلق الأمين ٠

لقد سبقك فى هذا الانصاف الكاتب الوطنى والسياسى الأمين عبد الرحمن الرافعى حين كتب فى كتابه عن الحركة الوطنية المصرية ان حادث كوبرى عباس مختلق وانه لم يمت انسان واحد وقد قام رحمة الله عليه بالتحقيق فى صحة هذا الاختلاق الى حد أنه ذكر انه اطلع على دفاتر الحوادث فى مركز وبندر الجيزة ومصر القديمة ثم اطلع على دفاتر الوفيات ، ولكن الأقلام التى شاءت لها تعاسة حظها ان يصطنعها الغرض والمرض لكى تشوه تاريخ مصر فتنسب هذه الجريمة الى رجل قلما تنجب مصر مثاله ، أو يبلغ مجاهد مقدار كماله خلقا وذمة وفدائية ٠

ولكن فضلك انك كتبت عن اختلاق هذا الحادث وأنت تؤرخ لزمانه ، ولا يزال من الأحياء كثيرون عاشوا أيامه ولياليه ، وكانوا فى مقدمة الثائرين ، وفى صحيفة يقرؤها الخاصة والعامة والكافة فى حين ان كتاب الرافعى لا يقرؤه الا الخاصة ، جزاك الله عن النقراشى خير الجزاء ، وجزاك عن الحق أجزل الثواب .

أما عما يثيره نشر الصفحة الخالدة لثورة ١٩٣٥ ، وأسماء شباب المجاهدين فيها ، وفضلهم على تاريخ مصر ومستقبلها وقد أرغموا القصر الملكى ودار المندوب السامى وهما عملاقان ليس من الهين قهرهما فاننى أذكر لك وقد كنت فى ذلك الوقت محاميا ومقررا أمام محاكم الاستئناف وكان الوفد قد اختارنى سكرتيرا للجنة الدفاع عن الحريات وكان من الأعضاء العاملين فيها والساهرين على حماية الحريات ابراهيم عبد الهادى وزهير صبرى ومكرم عبيد وصبرى أبو علم ويوسف الجندى وحسن النحاس ورافع محمد رافع وعبد الحليم رافع وأنطون جرجس أنطون وسليمان اليمانى وغيرهم كثيرون وأذكر بهذه المناسبة انه ما كان يقبض على شاب حتى يتزاحم للمرافعة عنه المحامون بلا مقابل بل يحسبون انهم ينالون « شرف المرافعة عن الصناديد المجاهدين » كما كان يتزاحم على السجون رجال الأحزاب وغير الأحزاب بالطعام والفرش ، وترفع الصحف أسماءهم فى أعلى ذروة من الصفحات الأولى لقد كان المجاهد يكرم أما المجاهد فى عهود قريبة فكان يقتل معذبا أو يعدم أو يسجن وتصادر أمواله ويهتك عرض نسائه ، عهود لا اعادها الله على مصر ٠

ولكن الذى أود أن أدلى به فى صدد كتابة تاريخ هذه الفترة الخالدة من تاريخ مصر أمران فى منتهى الأهمية لمهمة المؤرخ ٠

الأمر الأول : ان شقيقى المرحوم المستشار محمود التونى كان رئيس لجنة طلبة المدارس الثانوية وكان سكرتيرا للجنة الرئيس السابق جمال عبد الناصر وقد كتب المرحوم محمود التونى مذكرات يومية فى حينها أثبت فيها الحوادث ساعة بساعة ، كما انطوت هذه المذكرات على محاضر جلسات لجنة الطلبة وعليها امضاء الرئيس والسكرتير ٠

وقد قامت هذه اللجنة بدور فعال وقوى فى اذكاء نار الثورة فى القاهرة ٠

الأمر الثانى : انه قد حدث فجأة أن أخذت دار المندوب السامى وأخذ القصر الملكى فى مباراة للموافقة على اعادة دستور سنة ١٩٢٣ بعد طول رفض حازم وحاسم من الدارين الانجليزى والملكى ٠

ولم يعرف الناس الى الآن السر فى هذه المباراة والنكوص عن حرمان البلاد من دستورها الذى لا يزال هو مطمعها ومطمح آمالها وهوى قلوبها ٠

ان سبب هذا هو ما صنعه أربعة من شباب مصر وهم أبو المجد التونى وعبد المنعم عبد الرءوف ومحمود التونى وأبو الغيط سائق سيارتنا ٠

لقد أرادوا أن يحدثوا خرقا فى الزمن ، ويصنعوا حدثا يهز بريطانيا فقصدوا بعد منتصف الليل دار المندوب السامى فى شارع القصر العالى فى حى قصر الدوبارة وتربصوا حتى أدبر جندى الحراسة بزيه الذى كان يشبه حرس قصر باكنجهام سائرا من أول الدار عند الركن القائم بين شارع البرازيل على ما أذكر — وشارع القصر العالى حيث توجد نافذة صغيرة فوضعوا قنبلة حاول اشعال فتيلها عبد الرءوف فأطفأ الهواء الكبريت فتعاونوا جميعا على اشعالها ثم استقلوا سيارتى وكان يقودها أشجع قائد سيارة أبو الغيط وكانت ماركة بونتشياك وانطلقوا بها الى حى السيدة زينب حيث يسكن عبد المنعم عبد الرءوف فاوصلوه ثم رجعوا الى دارنا بالجيزة

وعندما انفجرت هذه القنبلة وهى تمثل أول قنبلة وآخر قنبلة فى تاريخ بريطانيا واحتلالها فى مصر حدث فى دار المندوب السامى حتى كان صداها مدويا فى لنـــدن وفى ١٠ داوننج ستريت وفى قصر الملك فؤاد وفى قلوب المترددين ٠

وبعد أيام أعلن القصر ، عن عودة الدستور

ولم يضبط واحد من هؤلاء الشبان ٠

لقد حكم عبد الناصر على عبد المنعم عبد الرءوف بالاعدام وشرده من سنة

١٩٥٤ الى سنة ١٩٧١ وفرضت الحراسة على « أبو » المجد التونى ومحمود التونى وأبعد الآخير من منصبه كمستشار وتوفى الاثنان ـ كيف ؟ الله يعلم ـ وها هو أبو الغيط يعيش فى داره وحيدا ولم تذكرهم دولتهم ولو بوسام !

كم ظلمنا أبطالنا ٠٠ ولكن الى متى ؟

محمد شوكت التونى

المحامى

وتلقيت من المهندس حنفى الشريف ـ وكان وقتئذ يعمل بالاردن ـ الرسالة التالية :

حنفى الشريف يكتب من الأردن ٠٠

عزيزى الكاتب المؤرخ الأستاذ صبرى أبو المجد :

كم كنت تواقا الى التواجد بمصر العزيزة فى هذا الظرف بالذات الا أننى أحب أن أشير الى بعض النقاط التى أعتقد انها هامة لتاريخ هذه الفترة المهمة من تاريخ مصر :

● مرسل لك الصورة المنشورة فى عدد سابق من المصور لمظاهرات الشعب فى سنة ١٩٣٥ ٠ ووفاء للرجل الذى مات سياسيا ولم يشعر به أحد ولم يذكره أحد وقد رسمت دائرة تبين صورته بين الجموع الثائرة وهو (حسن يس) الذى كان أول رئيس للجنة الطلبة فى تاريخها الطويل والذى دخل عضوا فى أول مجلس للنواب سنة ١٩٢٤ بعد اعلان دستور سنة ١٩٢٣ وكان وقتئذ طالبا فى كلية الحقوق وضحى بالليسانس وفضل تمثيل الشعب واستمر يعمل فى الحقل الوطنى الى أن مات فقيرا معدما وقد رأيته فى أواخر أيامه يسير بالقبقاب الخشبى يرتدى « روبا ممزقا وشعره أشعث فى شوارع مصر الجديدة ٠٠٠ هذا هو الرجل الذى كان يخشاه الملك فؤاد ويحرص عليه فيلاطفه فى كل مرة يذهب فيها (الملك) لافتتاح دورة المجلس ٠

● الحادثة الأولى كوبرى عباس (سنة ١٩٣٥) : تم اغلاق الكوبرى من بعض الطلبة بطريقة عكسية خاطئة وهو الذى أدى الى عدم انطباق قوسى الكوبرى ومر عشرات الآلاف من الطلبة من فتحة عرضها متران فقط مما أدى الى مذبحة رهيبة وقفز الكثيرون الى الشاطىء وامتلأت منازل « الروضة » بالطلبة وتمت محاصرتهم والقبض على عشرات منهم وأرسلوا الى القسم السياسى بالمحافظة والى أقسام البوليس الأخرى ولو كان الكوبرى أغلق بالطريقة الفنية الصحيحة لكان الضباط الانجليز فروا أمام الطلبة الثائرين ٠

● الطالب الذى كان يدفع مع بعض رفاقه بعربة صغيرة ملأى بالزجاجات والزلط ويرفع العلم بشكل ثورى يبعث فى نفوس الناس الاندفاع والتقدم هو المرحوم (نجم) الذى مات وهو ضابط كبير ومريض ٠

● كان الأساتذة والمدرسون يخطبون فى الطلبة داخل المدرجات بصورة حماسية يحرضونهم على الاستمرار فى الثورة ومنهم المرحوم الدكتور ابراهيم رفعت بكلية الهندسة وأنا أتعمد ذكر أسماء الأموات الى حد ما ٠

عندما تكرر فتح كوبرى عباس قرر الطلبة تحويل نشاطهم الثورى الى مظاهرات ليلية فى القاهرة كما قرروا الانتقال الى الأقاليم خصوصا بعد اغلاق الجامعة وبدأت الاجتماعات فى نقابة المحامين فى العمارة القديمة التى كانت أمام شركة بيع المصنوعات المصرية على ناصية شارعى الجمهورية ، ٢٦ يوليو وكانت كلها فى المساء حيث تتوالى الخطب وتحدد حيا معينا نذهب اليه ونقوم بمظاهرات صاخبة ولكننا كنا نعلن اسم « حى من الأحياء » السيدة زينب مثلا للتمويه وبعد ذلك وبطريقة (كلمة السر) تصدر تعليمات بأن المقصود (حى العباسية) مثلا ويزدحم البوليس بشكل رهيب فى ميدان السيدة بينما تهب المظاهرات فى العباسية ويشترك فيها الشعب الذى كان يجلس فى المقاهى يتساءل (أين سيكون الطلبة الليلة) ٠

وانتقل الطلبة الى الأقاليم كل مجموعة فى محافظة وكانت مهمتهم توزيع المنشورات الحماسية والخطابة فى المساجد والكنائس وتقرير يوم لاغلاق المتاجر كلها ونجحت الفكرة ايما نجاح وبذلك اسمح لى أن أقول أن اطلاق ثورة ١٩٣٥ على القاهرة فقط والاكتفاء بذكر أحداث كوبرى عباس ليس كافيا لذكر الحقيقة ان الشعب كله اشترك فعلا فى تلك الثورة حتى فى القرى المصرية شارك أبناؤها فى الثورة وكان رجال ثورة سنة ١٩١٩ فى الأقاليم يخرجون مع الطلبة ويحرضون الناس على المشاركة وتعطيل أعمالهم فى يوم معين ٠

● جاء فى المصور ذكر الأقاليم ولاحظت أنها أقاليم الوجه البحرى فقط مع أن بلاد الصعيد شاركت وبحماس فى هذه الثورة بالمال والعمل كما حدث سنة ١٩١٩ (أسيوط وديروط ٠٠٠) عندما ضرب الانجليز الثوار بقنابل الطائرات وأعرف صديقا رحمه الله (الشيخ الشامى) المحامى الشرعى قتلوا ولدين من أولاده بالقنابل وهكذا لا أقول هذا تعصبا للصعيد ولكن للتدليل على أن مصر كلها شاركت فى تلك الثورة ٠

● بالمناسبة كان الصحفيون قادة للثورة بالكلمة الملتهبة والتحريض السافر وكانت نقابتهم فى بيت قديم جدا مكان (عمارة وهبه) أمام البنك الأهلى وكانت مكانا لاجتماعات كثيرة ٠

● لا تنسوا (مشروع القرش) فكرة الأستاذ أحمد حسين الايجابية الناجحة وكان يشرف عليها بعض أساتذة كلية الحقوق وأقيم مصنع الطرابيش الموجود حتى الآن فى العباسية وقد تحول الى انتاج آخر غير (الطربوش) وقد كانت تجمع له القروش سنويا من كل مدينة وقرية ٠

● أرجو الرجوع الى د٠ عبد الرزاق نوفل الكاتب الاسلامى المعروف وهو خريج كلية الزراعة ومن جيل سنة ١٩٣٥ ٠

● الدكتور مصطفى خليل : فيما بعد : حدثت اضرابات عنيفة فى كلية الهندسة بالقاهرة وحاصر العساكر الكلية واستعملت خراطيم المياه وكان « مصطفى خليل » فى السنة النهائيــة ورأى أن يخرج من الكلية الى منزله للمذاكرة وبالرغم من تحذيره الشديد بأن قسوة رجال البوليس لن تتركه يمر بسهولة الا أنه تقدم ولم يكد يصل الى الباب الخارجى حتى « التهمه » رجال البوليس وانهالوا عليه ضربا بالهراوات ثم ألقوه داخل السور وقمنا باسعافه فقد كانت الاصابة فى « حاجبه » فوق العين والدماء غزيرة وما زالت العلامة واضحة جدا حتى الآن ٠٠ هل يتذكر ؟ ٠٠ أعتقد أن هذا من الأمور التى لا يمكن نسيانها ٠

● المرحوم عبد السلام حسن كان فى هذا الوقت طالبا بالمدرسة السعيدية وكان والشهادة لله يقود المدرسة بأجمعها ويمر فى طريقه على كلية الزراعة وكلية الطب البيطرى ثم أصبح بعد دخوله الجامعة رئيسا للجنة الطلبة التى كانت تضم حسن سالم وحسين عزت وعلى الزير وغيرهم ، وغيرهم ٠

● انعقد مؤتمر دولى فى قاعة الاحتفالات بجامعة فؤاد « القاهرة » واستعد له الطلبة فطبعوا كتيبات صغيرة باللغات المختلفة وأخذوا يوزعونها على المندوبين أثناء دخولهم ثم قاموا بالضربة القاضية حيث أغلقوا الأبواب الخارجية للجامعة ومنعوا المندوب السامى البريطانى من الدخول فعاد أدراجه وعند وصول سيارة رئيس الوزراء توفيق نسيم « الرولزرويس » ركب الطلبة على ظهرها وجوانبها وأخذوايرددون الهتافات الشديدة فعاد رئيس الوزراء أيضا دون أن يتمكن من الدخول وكان مندوبا عن الملك فؤاد وعلم أعضاء المؤتمر الدولى بما حدث وفشل المؤتمر ولكن بعد أن أصبحت قضية مصر حديث جميع أعضاء المؤتمر ٠

أخى صبرى : قواك الله : ان هذه الفترة لا تزال مجهولة بالنسبة الى جيل بأكمله وتحتاج الى المزيد حفظ الله مصر وصانها بشبابها المخلص دوما ٠٠

مهندس
حنفى الشريف
عمان - الأردن

ومن دولة الامارات العربية يكتب د. العجان ..

... صبرى أبو المجد

أتابع الحوار الممتع الذى تقدمونه فى حديث « سنوات ما قبل الثورة » ، والرسائل التى يتبادلها مع سيادتكم أبطال تلك السنوات ، وأحيى فى سيادتكم جهد الباحث عن الحقيقة ، وصدق المحايد لنعلم — نحن شباب هذا الجيل — من تاريخ وطننا ما لم نحظ به علما من قبل ، وخصوصا تلك الفترة الملتهبة بالحماس الوطنى وحب مصر ، التى غيرت من وجه الزمان على أرض هذا الوطن العظيم .

ان جيلكم يا سيدى الفاضل ـ الذى عاصر هذه الفترة واشترك فى أحداثها ـ جيل عظيم وخصب بكل المقاييس .. جيل برز فيه الاكفاء فى مجالات السياسة ، والعلوم ، والأدب ، والوطنية والرياضة ، وفى كل مجال اشعاع ونور ..اتسم جيلكم بالجدية والاخلاص والتفانى ، فأنجز الكثير وأرسى الأرضية الصلبة التى يحيا عليها جيلنا اليوم .. وللأسف فان جيلنا تتنازعه اليوم أهواء وتيارات مستوردة ، ومعظمها متعمد يهدف الى تدمير القيم والأسس الراسخة لهذا المجتمع العربى الأصيل ، لذا جاءت كتاباتكم الخصبة مصباحا مضيئا يوضح الحقائق ، ويكشف النقاب عن فترات زاهية من حلقات النضال الوطنى ، لتكون قدوة ، وضياء .

دكتـــــور

أحمد فكرى السيد العجان

شركة ادنوك ص . ب ٨٩٨ أبو ظبى

دولة الامارات العربية المتحدة

ولعلى قد نجحت فيما أردته من اتاحة الفرص لشباب ١٩٣٥ للتعبير عن آرائهم بكل صراحة ووضوح على نحو لم يحدث من قبل ولست بحاجة الى القول ، اننى قد أتفق وقد اختلف مع تلك الآراء التى يتحمل أصحابها تبعتها .

وأعتقد بعد هذه الجولة مع التعقيبات الكثيرة أنه لابد من أن نعود الى المسار السياسى الطبيعى للأحداث ونتوقف قليلا عند خلاف العقاد مع مصطفى النحاس ومكرم عبيد .



الباب الخامس



الفصل الأول

العقاد يفتح النار على النحاس ومكرم

● استقالت وزارة عبد الفتاح يحيى باشا ـ أو بمعنى أدق اقيلت ـ لأن الخلاف قد استحكم بينها وبين دار المندوب السامى البريطانى ٠

لقد طلبت دار المندوب السامى البريطانى اخراج وزيرين من وزارة عبد الفتاح يحيى باشا ، فرفض عبد الفتاح يحيى باشا ورفض القصر ٠

طلبت دار المندوب السامى البريطانى من عبد الفتاح يحيى باشا ان يطلعها على اسماء المرشحين لمجلس الوصاية على العرش ، فرفض عبد الفتاح يحيى باشا ، ورفض القصر ٠

اتهمت دار المندوب السامى ، وزارة عبد الفتاح يحيى باشا بانها شجعت على استعمال اللغة العربية فى المحاكم المختلفة وأنها قررت حق القضاة المصريين فى رئاسة بعض الدوائر فى تلك المحاكم ، وانها قررت رفض طلب بريطانيا لتعيين موظف كبير ـ مستر سمسون ـ كخبير لوزارة المعارف العمومية ٠٠ و ٠٠

***

قدمت الوزارة استقالتها الرسمية فى ٦ نوفمبر ١٩٣٤ ، وقبلها الملك فؤاد فى ١٤ نوفمبر ١٩٣٤ ٠ وعرض القصر الملكى على دار المندوب السامى البريطانى أن يرأس الوزارة الجديدة على ماهر ، أو حافظ عفيفى و ٠ و ٠ ولكن دار المندوب السامى رفضت الأسماء التى عرضتها السراى ،وأصرت على اسناد رئاسة الوزارة الى توفيق نسيم باشا ، نتيجة ترشيح الوفد المصرى لتوفيق نسيم باشا ٠ وقد قبلت دار المندوب السامى البريطانى اسناد الوزارة الى توفيق نسيم باشا ـ فضلا عن ترشيح الوفد له ـ لما هو معروف عن ولائه الكامل للسياسة البريطانية ٠ وكانت النية ـ فيما يبدو ـ متجهة منذ ذلك التاريخ ،

الى اسقاط دستور ١٩٣٠ وحل البرلمان القائم ، واجراء انتخابات جديدة ، كما ان نسيم باشا ـ رغبة منه فى أن يحظى بتأييد من الوفد المصرى أكثر وأكثر ـ عرض أن يهمل قسم الولاء لدستور ١٩٣٠ وكانت وزارة توفيق نسيم قد شكلت منه ، ومن أحمد عبد الوهاب ، وأمين انيس باشا وكامل ابراهيم بك ، وعبد العزيز محمد بك ، وأحمد نجيب الهلالى بك ، وعبد المجيد عمر بك ، ومحمد توفيق عبد الله باشا ـ وهم فى الغالب موظفون مستقلون . وان كانت دار المندوب السامى قد رأت أن الوزارة ضعيفة ، لا تستطيع مواجهة الموقف الدولى المتوتر ، ولكنها عادت وقبلت تشكيل الوزارة ، بوضعها الراهن بعدما تأكد لها أن معظم أعضاء الوزارة يميلون الى الوفد المصرى ولبعضهم مواقف يذكرها الوفد لهم جيدا .

***

ومنذ اليوم الأول لتشكيل وزارة توفيق نسيم باشا ، وهى موضع رضاء الوفد بالرغم من أن بعض القواعد الوفدية كانت تتململ من هذا التأييد ، لان وزارة نسيم باشا تراخت فى تنفيذ ما وعدت به ، ولانها ـ وهذا هو المهم ـ قبلت بعض المطالب البريطانية التى رفضتها ـ من قبل ـ وزارة يحيى باشا .

وسرعان ما بدأت الصحافة الوطنية تضيق ذرعا بتوفيق نسيم باشا وضعف وزارته .

ولكن الوفد المصرى ظل يقول على لسان رئيسه مصطفى النحاس عن وزارة نسيم باشا « اننا مبسوطون ودائما مبسوطون من هذه الوزارة » . وحتى عندما طالبت بريطانيا بتعيين خبير أجنبى لم يغير الوفد خطته من الوزارة بالرغم من أن نسيم باشا كتب فى وثيقة رسمية أن تعيين الخبير الفنى الأجنبي لا يمس السيادة المصرية .

***

وأذكر ان الاستاذ عباس محمود العقاد كتب في افتتاحية جريدة روزاليوسف اليومية بتاريخ أول أكتوبر ١٩٣٥ تحت عنوان : نسيم باشا والنحاس باشا كيف تفاهما فى مسألة الخبير الفنى ؟ « نسيم باشا رجل طيب ولا يفهم معنى حق الاتصال . قال العقاد : اذا كان تعيين الخبير الفنى كارثة لا شك فى وخامتها فموقف النحاس باشا كارثة أكبر منها وأولى بالأسف والملام ، فهو خطأ ـ أولا ـ من وجهة اللياقة لأن اعلان الانبساط ـ من نسيم باشا ووزارته ـ قبل اجتماع الوفد للنظر فى الموضوع يزرى أشد الزراية بأعضائه ويمثلهم للأمة وللانجليز فى صورة المسخرين المنقادين بغير ارادة ولا تفكير والا فما كان يجرى لو أن

الأعضاء قرروا فى اجتماعهم انهم غير مبسوطين كما قال رئيسهم على باب الوزارة .

« وهو خطأ ـ ثانيا ـ من الوجهة الوطنية لأن النحاس باشا لو انتظر قليلا وتمهل أياما لرجع الانجليز عن حق الاتصال ـ اتصال الخبير الأجنبى ـ كما رجعوا عن مثل هذا الطلب فى عهد وزارة ضعيفة لا يؤيدها الرأى العام لان الصحافة ثارت يومئذ على تعيين مستر سمسون مستشارا لوزارة المعارف ، مزودا بحق الاتصال كما طلب الانجليز فى عهد الوزارة العبدية « وزارة عبد الفتاح يحيى باشا » ..

« وموقف النحاس باشا خطأ ـ ثالثا ـ من الوجهة السياسية والوطنية معا ، لانه اقنع الانجليز باننا مستعدون لقبول كل شيء من أجل بقاء الوزارة النسيمية » .

ويقول العقاد :

« وأسرع النحاس باشا الى مخاطبتى بالتليفون يسألنى : فيم تكتب اليوم يا فلان ؟ قلت فى مسألة الخبير طبعا .. قال : أو بعد زيارتى لنسيم باشا ، وتصريحى بما صرحت ؟ قلت : وما المانع ؟ قال : ماذا يفهم الانجليز اذن ؟ يقولون اننى عاجز عن قيادة الرأى العام ، قلت : لا يفهمون ذلك ولكنهم يفهمون ان الرأى العام جاد فى قضيته الكبرى ، وانه اذا سكت فى حين من الأحيان لا يسكت الا وهو متذمر على مضض ، وان هذا التذمر يوشك ان ينفجر اذا طال اغفاله وطالت مطالبته بالسكوت وقد كان سعد باشا ـ كما تعلم يا دولة الباشا ـ يقول للانجليز : اذا أنا قبلت هذا لم تقبله الأمة وهو فى ذلك صادق لا يقدح فى قدرته احد من المصريين ولا الانجليز . قال : ولكن الرجل ـ يعنى نسيما ـ حسن النية فيما صنع فلا داعى للاثقال عليه أؤكد لك يا استاذ انه طيب لم يكن يعرف ان حق الاتصال بالانجليز يؤدى الى هذا الخطر ، وقد شرحت له تفسيره وقلت له : اسألنى يا باشا فقد عركنا المفاوضات من عهد ملنر وعرفنا ما يضمره الغد من وراء هذه الألفاظ » .

***

ويقول العقاد ـ بعد أن فكر طويلا ـ لو كنت حسن الظن بالسياسة النسيمية قبل أن أسمع هذا الكلام ، لغيرت رأيى وأسأت بها الظنون .

ويقول العقاد أيضا انه قال للنحاس باشا : احتج يا باشا لتحفظ حقك وحقنا فى الاحتجاج على أمثال هذه الأعمال من وزارة تأتى بعد هذه الوزارة والا اتهمنا الناس بقلة الانصاف ولم يؤمنوا بالاخلاص فى نقد الأعمال .

وقال النحاس باشا ـ تعقيبا على ذلك مخاطبا العقاد : يا سلام يا فلان ·· انت دايما كده ، انت دايما كده ، انها غلطة فاتت ولا يمكن ان يعيدها ، رجائى على كل حال ، آلا يظهر شيء بقلمك فى هذا الموضوع ·· » ·

وانتهى الحديث ··

★★★

والجدير بالذكر ان العقاد ، وقد كان في مقدمة أعمدة الوفد المصرى قد أختلف مع النحاس باشا رئيس الوفد ، ومع مكرم عبيد باشا ، سكرتيره العام حول موقف الوفد من وزارة نسيم باشا · وقد أحدث هذا الخلاف انشقاقا كبيرا في الوفد ، وكانت جريدة « روز اليوسف »اليومية تفرد كل يوم صفحة كاملة تحت عنوان « صوت الرأى العام » ·· تنشر فيها تأييد الجماهير الوفدية ، وغير الوفدية . للأستاذ عباس محمود العقاد ، وكان من بين الذين يؤيدون العقاد ، لجان وفدية بكاملها · وكان من بين المؤيدين شعراء كثيرون أذكر من بينهم : الشاعر أحمد مخيمر الذى نشر قصيدة قال فيها :

★★★

أرى طرق السياسة قد تلوت
وألمح فى نواحيها اضطرابا
وها هى ذى المخاوف قد تراءت
ولم نحسب لمقدمها حسابا
ولم نعدد لها سيفا حساما
ولم نجمع لها جيشا عجابا
وكم من أمة ضحكت علينا
وتسألنا وما ندرى الجوابا
أهاب الشعب لكن ليس فيه
زعيم يرشد الشعب الصوابا
لقد خانوه حتى ضللوه
ولم يصغوا له لما أهابا
وكم أمنيةقد خدروه
بها لكنها كانت سرابا
« فيا عباس » افعمه حماسا
كوقد النار يلتهب التهابا

★★★

وجرد ذلك القلم المرجى
يذلل هذه النوب الصعابا
ويفضح خائن الوطن المفدى
ومن ساموه بالأمس العذابا
ويفتح بعد للدستور بابا
ويغلق بعد للاعداء بابا
ألست أجلهم نفسا وعلما
وأفصحهم ـ اذا نطقوا ـ خطابا

***

ومن بين الكلمات التي بعث بها مأمون الشناوى ، الى العقاد العظيم :
سر في طريق الحق واكشف لنا
عن نية الأوغاد المجرمين
وحطم الاصنام في أمة
بمذهب الاصنام ليست تدين
الذائدين الشعب عن حقه
والمخلصين اليوم ، للمعتدين
الحق قد دوى بأذانهم
بصيحة منك فزاغت عيون
وأصدروا ما أصدروا ويحهم
هل يجفل النسر لذاك الطنين
ضجوا كما شاءوا فلم تستكن
وكيف عن حق لنا تستكين
يراعك الجبار هاد لنا
مداده الحق ، ونور اليقين

***

ومن شعر عبد المغنى سعيد ، وقد وجهه الى الشباب :
افيقوا شباب الوفد ان زعيمكم
يلين لمحتل الحمى ويجانبه
وينقاد وسنا لرغبة مكرم
وتلهو به اطماعه ورغائبه
افيقوا شباب الوفد أين حماسكم
هلموا الى النحاس قدما نحاربه

كذا مصر شاءت فتلبوا نداءها
هلموا شباب الوفد ناداه واجبه
اذا أشهر المحتل فينا سيوفه
وجارت علينا جنده وكتائبه
نهضنا جميعا لا نخاف حرابه
وسرنا الى الموت الذريع نداعبه
فأما حياة فى جحيم وذلة
واما كفاح لم تخفنا عواقبه

***

هذا وقد وجه العقاد كلمة شكر واجب الى الأمة الساهرة بدأها بقوله :

« ما دام فى الأمة من يسمع الحق ففيها من يقوله وما دامت فيها كلمة الحق ، ففيها الحرية ، وفيها الاستقلال بمعناه وان احتجبت الى حين ، مراسمه ومزاياه ، ليس أصعب من الاستقلال على أمة يصعب فيها استقلال الأفراد وقد لعن الله قوما ضاع الحق بينهم واللعنة قرينة الذل والاستعباد .

« وليس أوجب من صيحة الحق فى زمن تشابه فيه ما يزيفه الاستعمار وما يزخرفه دعاة الوطنية الاطهار وأصبح من أيسر الأمور فيه على الجاسوس المأجور أن يغنم من نفحات الاعداء الأقوياء ، ويغنم من رضوان الزعماء الضعفاء ويخدم الغاصبين والمغصوبين فيما يزعم من وراء حجاب الرياء ، ويكاد يستغنى عن الرياء » .

الى أن يقول العقاد :

«اننا كنا أحرياء أن نستفيد من قبضة الأقوياء أضعاف أضعاف ما يستفيده مهازيل الاجراء ، وكنا احرياء أن نبوء بالغبطة والرضوان من الاقطاب الاجلاء ، وكنا احرياء أن نمضى مع الماضين ونلغوا مع اللاغين ونأمن مع الآمنين ، فماذا علينا لو أرضينا هؤلاء جميعا ، وخرجنا كاسبين غير ملومين بل مشكورين مأجورين .. ناجينا أنفسنا .. أو تأبى علينا الأمة الا أن نكون كذلك أو نكون من المنبوذين عندها الى يوم الدين ؟ اذن لنكن من المنبوذين عندها الى يوم الدين، فذلك خير من حقارة فى أعيننا نحن وشرف مدخول فى أعين الآخرين المخدوعين ، الغافلين ! جازفنا بالسمعة والغنيمة وكان فى وسعنا أن نربح السمعة والغنيمة فى كفة واحدة ولا مجازفة ولا عناء ولكن الأمة لم تنبذنا ولم تستمع الى أباطيل الهازلين من حولنا ، بل علمت اننا واثقون صامدون حيث كنا وان الهازلين المبطلين هم المتغيرون وانهم هم القائلون اليوم ما كان يقوله خصومنا وخصومهم الأقدمون منذ حين ، فاصغت الينا وأقبلت ثم أقبلت علينا ، وثبتت دعائم اليقين من نفوسنا ، وعلمتنا حين بادرت بتأييدنا اننا مسبوقون ولسنا سابقين .

ثم انهى الاستاذ العقاد كلمته بقوله :

« لئن كان مع الشكر عتب هو أقرب الى عرفان الجميل من الشكر ٠ فلذلك عتبنا على الأمة اذ أخلفت ظننا فيما أقدمنا عليه وان كان اخلافا أحب من تحقيق الظنون ٠٠ لقد كنا نحسب اننا مقدمون على هول فاذا نحن مقدمون على أمان ٠٠ وكنا نحسب اننا نصرع الجبابرة فاذا نحن قد صرعنا أصناما من الخزف ، لا تقوى على لمس اليدين . وكنا نكبر ماهجمنا عليه فقد صغر ما هجمنا عليه وما نحسبنا بآسفين ، ووفاء للأمة الساهرة على ما حققت من ظننا ، وأخلفت من ظننا ٠٠ انا لها لشاكرون وانا على العهد لثابرون وموعدنا الغد ، باستئناف ما بدأناه من حساب لمن لا يحسبون حساب الوطن والناس ، والغد قريب ، وقريب مثله النصر المبين ٠٠ » ٠

وكان عباس محمود العقاد قد بلغت به القسوة على الوفد ورئيسه وسكرتيره الى الدرجة التي كتب فيها مقالا عنيفا يقول فيه : « النهضة الوطنية قد تطورت الى وفد ، والوفد قد تطور الى زعامة ، والزعامة قد تطورت الى زعيم ، والزعيم هو مصطفى النحاس ٠ ومصطفى النحاس هو مكرم عبيد ٠٠ هذه خلاصة النضال في طلب الحرية ستين سنة » ٠

***

ونحن وان كنا لا نوافق العقاد على ما يقوله كله الا اننا ننقل هنا ما جاء به قلمه باعتبار معركة الوفد ضد العقاد ، ومعركة العقاد ضد الوفد من أعنف المعارك السياسية التي لا يمكن أبدا لمؤرخ منصف محايد أن يغفلها ، وهو يكتب عن تلك المرحلة الوطنية الغنية بالمعارك السياسية ٠

يقول العقاد :

« لقد أصبحت قوة النحاس باشا المستعارة من الأمة لازمة للانجليز في اخضاع المصريين ، وما رأيناها لازمة للمصريين في بلوغ شيء من الانجليز ٠ لقد أصبحت طغيانا علينا واستسلاما لغيرنا ، وما لهذا نحتاج الأمم الى الزعامات ، ولا نحن محتاجون الى من يعلمنا كيف يكون انتظار الرحمة من الانجليز وبعد فما هي زعامة النحاس باشا ، ومن ورائها الدساس الكامن للأمة بمكيدة الخراب ؟ انها زعامة خلقتها الأمة ، ولم تخلق نفسها ٠ انها زعامة تخلقها الأمة كلما شاءت أن تعيد خلقها وما أفلست مصر حتى يكون خير من فيها مصطفى النحاس بلا عوض ، ولا شبيه ولا نظير ٠ ولئن أفلست لقد جلت مصيبتها عن العزاء وبطلت حاجتها الى الزعماء ٠٠ » ٠

***

« فقرات من مقالة العقاد نشرتها روز اليوسف فى ٢ أكتوبر ١٩٣٥ » ٠

واتبعها العقاد فى اليوم التالى بمقالة أخرى ، أعنف وأقسى تحت عنوان « ما هى الخرافة التى يسمونها « صلابة مصطفى النحاس » قبل قيام الوزارة النسيمية » ٠٠ قال العقاد :

« فى بداية مقالة اليوم ٣ أكتوبر ما انهى به مقالة ٢ أكتوبر : انه ما وقف موقف الصلابة قط الا عن اضطرار لا فضل له فيه وما اتسع له باب الاستسلام مرة الا ذهب فيه الى أبعد مراميه ٠ وقد أتيح له الاستسلام اليوم ، والوقوف بين الصفين فاذا هو أضعف المستسلمين واذا هو أعدى للرأى الصريح ، والمصلابة فى الحق من كل عدو عرفناه » ٠

وفى مقال العقاد تفصيل لمواقف النحاس باشـا من معـاهدة ثروت ـ تشمبرلن ، ومعاهدة محمد محمود ـ هندرسون ٠ واستقالته من الوزارة عام ١٩٣٠ ومعارضته للوزارة الصدقية وفصل ثمانية أعضاء من حـزب الوفد لانهم أيدوا فكرة الوزارة القومية ، بينما عارضها الوفد ٠ وكذلك موقف النحاس من أزمة قانون الاجتماعات ، وكذلك موقفه من تأييد وزارة نسيم ٠ وحول الموقف الأخير كتب العقاد يقول :

« والوزارة النسيمية هى أول وزارة استطاع النحاس باشا ان يؤيدها دون ان ينتحر انتحارا أو يفقد الزعامة وكل شىء كما كان يفقدها ، ولا ريب اذا أقدم على تأييد وزارة كالوزارة الصدقية أو الوزارة العبيدية (عبد الفتاح يحيى باشا) استطاع أن يؤيد الوزارة النسيمية لأنها وزارة صـديقة ، فيما ينادى به كل يوم ، استطاع ان يؤيد الوزارة القائمة مرة فهل وقف عند حـد فى الخضـوع والاستسلام ، فى تلك المرة الواحدة التى فتح له فيها باب لخضوع والاستسلام ، كلا ، انه لن يستطيع أن يستسلم أكثر مما استسلم بل أقولها ولا أخشى اعتراضا اننى لا أعرف أحدا من ضعاف المستوزرين تيسر له أن يذهب فى الاستسلام الى أبعد من هاتيك الحدود » ٠

***

ويقول العقاد فى نهاية مقاله :

« ذاك هو الرجل الذى ينعت العقاد ، بانه مغرور لئيم أو خائن أثيم !

ذاك هو مصطفى النحاس ، وتلك صلابة مصطفى النحاس ، استسلام ذاهب الى أقصى حدود الاستسلام حين يختار وصلابة زائفة لا فضل له فيها حين يقهره الاضطرار ، ومع هذا الاستسلام ، كله لم نظفر من الانجليز بدستور ولا وعـد بدستور ، ولا مفاوضة ، ولا تمهيد لمفاوضة ولا عناية ولا أمل فى العناية ، ولم

ننجح فى بلوغ شىء منهم الا الاحتقار والامعان فى الاحتقار . اليوم نحمل على الانجليز فيغضب مصطفى النحاس ، ونحمل على مصطفى النحـــاس ، فيغضب الانجليز .. اليوم هو حرس وزارات يمشى بين يدى الوزارة النسيمية ليمنع عنها ضجة الأصوات وهو حرس انجليزى ، يتكفل باسكات من لم يسكته الانجليز فى زمن من الأزمان . اليوم ، هو طغيان علينا واستسلام لغيرنا ، فهل عجب ان يكون واجب الأمة الأول هو هدم هذه الصلابة المزعومة أو هـــذه الخـــرافة الموهومة ، لانها تستحق الهدم ، قبل ان تهدم هى البلاد ، ان الاستعباد الدائم خطب أيسر على مصر ، من أن يقال انها خلت من زعيم كمصطفى النحاس لأن الأمة التى يكون خير من فيها كمن رأينا قد جل مصابها عن العزاء ، وبطلت حاجتها ـ كما قلنا أمس ـ الى الزعامة والزعماء . ولكنها الأمة لن تخلو من رجال يتورعون عن مثل ذلك الاستسلام ويترفعون عن صلابة كما عهدنا من صلابـــة الاضطرار ، وعليها ـ بداية ـ أن تخلص من هذه الآفة لانها فاتحة الخلاص » .

★★★

وفى عدد ٤ أكتوبر ١٩٣٥ ، كتب العقاد مقـــالا تحت عنوان : مصطفى النحاس ، المتطرف ضعيف فكيف بمصطفى النحاس ، المعتدل اليائس ؟

وفى عدد ٦ أكتوبر ١٩٣٥ كتب عن مكرم عبيد : « دساس مطبوع ، يختلق الدسيسة لمصلحته ، لا لوطن ، ولا لطائفة . يهدم القضية المصرية على رأس الأمة ويستبقى الحالة الحاضرة جهد ما عنده من جهاد ولا يريد ان تتغير الا اذا ضمن من بعدها الوزارة ومن بعده الطوفان وخـــلاصة سياســة اليوم ـ ويا لقسوة العقاد ! ـ ان يكشف من قضايا المخدرات ، ويتولى تحذير الأمة ، وذلك هو الجهاد الكبير : مكرم من واجب المصريين ان يحذروه ، لانه أخطر عليهم من السطوة الأجنبية ، اذ هم اتبعوه وما نحسبه من السطوة الأجنبية الا قرينا من قرين » .

★★★

وفى عدد ٧ أكتوبر : كتب أيضا عباس العقاد مقالا من أعنف مقـــالاته بعنوان : « لسنا عبيدا ، يا عبيد : حقيقة المرتجل ، وما ارتجل : بروجـــرام البـــوليس السرى ومكرم عبيـــد يتفقان . ثنـــاء العقاد ، وثنـــاء المورننج بوست لا يجتمعان ، الرئيس الجليل يدفع سبعمائة جنيه مهرا وشبكة من أموال الأمة : ١٧٠٠٠ ينفقها مكرم عبيد بغير حساب:أكاذيب ، تدمغها بينات ، خاتمة الدساس الدجال » .

فى تلك المقالة الشهيرة أطلق العقاد ، على مكرم عبيد : المجاهد الكبير ، أو المخدر الكبير .

ويخاطب العقاد النحاس ، ومكرم ، ومن معهما بقوله :

« شتان بين وفد شعاره الاخلاص لمصر ، ووفد شعاره الاخلاص للانجليز : ذلك وفد يدعو المصريين الى عقاب المخالفين فيجيبون ، وهذا وفد يدعو الى عقاب المخالفين فلا يجيبه الا الغاصبون وهم راضون ، مستبشرون : أشعرتم بالأرض يا هؤلاء تتصدع تحت أقدامكم ، أسمعتم بالصيحة يا هؤلاء ترتفع فوق رءوسكم ، أرايتم يا هؤلاء الضمائر والقلوب تنفض من حولكم ، اعلمتم يا هؤلاء ، ان عقاب المخلصين لمصر ، لن يكون بايدى المخلصين للاستعمار ، فى أشنع أيام الاستعمار : إن لم تشعروا فستشعرون وان لم تسمعوا ، فستسمعـــون ، وما يعنينا ان تشعروا ، أو تسمعوا فأنتم بعد اليوم ، أضعف الشاعرين وأسخف السامعين » .

يلوم العقاد الوفد لأن مرجعه اليوم ، تقريرات البوليس السياسي بعد أن كانت تلك التقريرات مرجعا لاتهام المخلصين ، وترويج أكاذيب المغرضين !

وكان مكرم عبيد ، قد كتب مقالا عن العقاد ، قال فيه ان العقاد كان يجادل سعدا ويناقشة وحول تلك النقطة كتب العقاد :

★★★

« اما انني كنت أناقش سعدا فهذا صحيح ، لا ريب فيه ، ولكنني كنت اناقشه في خطبة العرش ، وفى قانون الجيش وفى السياسة العادة ، ولا أناقشه لأقول له كما افترى هذا المأفون ال ... : انني خلقت الوفد بسن قلمى ، لم يكن كل ما يجيب به سعد على هذا السخف المزعوم ، بعد خروجى : داروا سفاءكم كأنما كان سعد جبانا ذليلا لمكرم عبيد ، أو لمصطفى النحاس وكأنما كان سعد الذى يفترى على هذا المختلق رجلا آخر . غير سعد ، الذى كان ينعت العقـاد بالجبار ويفاخر به أمام الأعداء والأنصار » .

وحول ما قاله مكرم عبيد عن العقاد من انه ينحى على الوفد بعد ان نصره طوال تلك السنين : فانى عجبت فى انحائى عليه اذا كانت المورننج بوسـت تثنى عليه فى هذا الزمان المقلوب وأى تناقض فى موقفى منه وهذه شهادة الانجليز له بالاخلاص ، والتحضيد فى عهد لم يبخسنا الانجليز قط كما بخسونا فيه . وأى اختلاف بين ما كنت أقوله أمس ، وما أنا قائله اليوم .. الى أن يقول : « فاذا كان هناك تحول فالوفد ، هو المتحول ، واذا كانت هناك خيانة ، فالوفد هو الخائن ، واذا كان الوفـد يخون القضـية فلعنة الله ، ولعنة الوطن على من يبقى له على مودة أو وفاء ، واذا كنت لا أثنى عليه اليوم فما من حرج على كاتب مصرى ألا يتفق ثناؤه وثناء المورننج بوست أعدى عدو للشـعوب الضعيفة وللمصريين قبل سائر الشعوب وما من دليل على الاخلاص لمصر ، أوفى من موقفى هذا مع الوفد فى زمن ظفر فيه الوفد بوثيقة الاخلاص للمستعمرين ، فان كنت

خائنا ، فنعمت الخيانة وان كانت الأمانة أن أثنى على الشيء ونقيضه فليتفرد بفضيلة الأمانة كلها الدساس الدجال وليكن فيها بلا شريك ، ولا نظير .. » .

***

وكان من بين ما كتبه الأستاذ مكرم عبيد عن الأستاذ العقاد :

« بدأ العقاد ، حياته العامة ، وحياته الصحفية ، بمراقبة الصحف المصرية تحت اشراف السلطة العسكرية البريطانية أثناء الحرب العظمى » .

ويرد العقاد على ذلك بقوله :

« كانت الحرب العظمى ولم يكن للصحفى عمل ، ولا رجاء ، فى العمل القريب ، وكنت أعرف الاستاذ عثمان فهمى بك ، العالم الأديب ، الذى كان يومئذ من كبار الموظفين بوزارة الداخلية ثم أصبح مديرا لأسوان فمديرا لقنا ، ثم أحيل الى المعاش فخاطب الأستاذ صاحب السعادة جعفر والى باشا ، فى شأنى ، وكان يومئذ وكيلا للوزارة فصدر الأمر بتعيينى فى قلم المطبوعات وأنا على أحوج ما يكون الانسان وهو يطلب الرزق ، ويطلب الشفاء .. أبيت ان أعمل فى قلم المطبوعات الا كما يعمل المصرى فى خدمة الأمة المصرية فلم ينقض على خدمتى فترة أسبوع فقط ، حتى دعانى مستر هورنبلور وقال لى : ان لم يكن عطفك معنا فلماذا تعمل فى هذه الوظيفة ؟ قلت : اننى لا أفهم ما تعنى : قال انك لا تتوخى الدقة ، فى مراجعة الصحف .. وارانى اخبارا تركتها فى بعض الصحف وكان من حقها ألا تترك محافظة على « أمن الخواطر » . قلت : اننى لا أجد فى هذه الاخبار ما يمتنع نشره بين المصريين واننى أقرأ فى الصحف الانجليزية نفسها ، ما هو أهم من هذه الاخبار فلماذا ينبغى ان يجهل المصريون ما يعلم الانجليز المحاربون ! فنظر الى طويلا ثم قال : هل أنت من الحزب الوطنى ؟ قلت لا ، ولكننى من المصريين قال حسبنا : نحن لا نتفق . وأشار الى بالتحية وأنا أعلم اننى خارج من الوظيفة وفارقت العمل بعد أسبوع واحد ، وأنا لا أعرف متى تنتهى الحرب ولا أعلم اننى اعتز بعملى الذى يكفينى بعض الكفاية فى شئون المعاش وشئون العلاج ولو كنت ... مأجورا كالاستاذ مكرم عبيد ، أو كصديقه الأستاذ الفاضل توفيق دياب ، لاستطعت أن أبقى سبع سنوات فى تلك الوظيفة لا سبعة أيام وان أخدم قلم « المخابرات » مع الخادمين وان أبشر للاستعمار بين المصريين والشرقيين ! » .

وكان مكرم عبيد قد ذكر فى مقاله بالجهاد أنه جزى مصطفى النحاس بالكنوز والعقوق ، لانه كان يحسن اليه من فضل ماله الغزير .

***

ويقول العقاد :

« فليسمعها اذن كلمة صدق لا تنفيها الأقاويل ولا تخفيها الأباطيل : انني ما تناولت قط من الوفد مرتبا وانني فى غنى عنه وانني ما تناولت مرتبا قط وأنا أجد الكفاية من عملى ، فى النيابة أو فى صحيفة من الصحف كروز اليوسف ، أو الجهاد ، أو كوكب الشرق ، أو مصر ، أو المؤيد الجديد ٠ وانني كنت أتناول مرتبا من الوفد يوم كانت الوزارات التى أهاجمها تغلق كل صحيفة أكتب فيها ، وتعرض على مئات الجنيهات ولا تطلب منى عملا ، ولا قولا غير السكوت ! وانى كنت أستطيع أن أسكت لأن الصحف تقفل على الكره منى ولا حيلة لى فى خلق الصحافة ، التى أكتب فيها ولكننى كنت أؤلف الرسائل ، كرسالة الحكم المطلق ، ورسالة اليد القوية ، وأطبعها على الرغم من رقابة المطابع ، تحديا لما يريدوننى عليه من سكوت مأجور » ٠



ويسأل العقاد مكرم عبيد :

« فاذا كان هذا عارا يا ٠٠٠ فقل لى اخزاك الله : فيم كان الوفد يجمع الألوف من الجنيهات بل مئات الألوف من الجنيهات باسم القضية الوطنية ، واسم الأعمال السياسية ، واسم الجهاد والمثابرة على الجهاد : فيم كان الوفد يجمع التبرعات تارة باسم المكتب المصرى فى لندن وتارة باسم تخليد الزعيم ، الفقيد ، وتارات باسم المنكوبين أو جزية مفروضة على الشيوخ والنـــواب والمرشحين للمشيخة والنيابة ؟ ٠ فيم كان الوفد يجمع نحو ثلاثين ألف جنيه صفقة واحدة من مكافآت الشيوخ الموقوفة أثناء تعطيل المجلس ولم يدخل منها مليم واحد فى جيب شيخ واحد ؟ أتراه كان يجمعها يا ٠٠٠ لتنفق أنت منها سبعة عشر ألف جنيه فى لندن لا تقدم عليها حتى الساعة أقـــل حساب ؟ أتراه كان يجمعهـــا يا ٠٠٠ لتقبض أنت أجر الدعاية وقد كان خليقا بك ــ وأنت ذو يسار ــ ان تتبرع ٠ أتراه كان يجمعها يا ٠٠ لتقبض منها أنت عشرة آلاف جنيه لم تنزل عنها الا الى ثمانية آلاف كما طلبت يوم احتاج سعد ، فى باريس ، الى سكرتير يعرف الانجليزية أتراه كان يجمعها يا ٠٠ لينعم النحاس باشا وحـــده بمرتب يتقاضاه بغير انقطاع من سنة ١٩٢٠ الى أن تولى رئاسة الوفد فأصبح المال كله بين يديه ، ينفق منه على هدايا الغـــرام ، ومهـــور الزواج وعرابين الوســـطاء والشفعاء ؟ من أين جاء النحاس باشا بالسبعمائة جنيه التى بذلها بين مهر وشبكة وهدية لخطيبته الأولى قبل أن يحـــال بينه وبين الزواج منهـــا لأسباب لا يعنينا بحثها فى هذا المقام أى والله على هدايا الغرام ومهور الزواج وعرابين الوسطاء والشفعاء ، ويعيرون العقاد بثلاثين جنيها يأخذها حين تحاربه القوة فى رزقه ويرفضها حين يجد الكفاية من عمل صحفى يؤديه ٠٠

وعذرا لأننى حذفت كلمة كان العقاد يخاطب بها مكرم في مقاله هذا .

وعذرا آخر لأننى لم أمض فى تكملة الجملة المتداولة بين مكرم والعقاد ، فما أردت الا اعطاء صورة « للخلافات » السياسية « أيام زمان » .

ويظهر أنها كخلافات « اليوم » وكل يوم .

ولننتقل الى الحديث عن أكبر حدث سياسى ، عرفته مصر فى الثلاثينات : « الجبهة الوطنيــة وتشكيلاتها » وكذلك أخطر حدث مر بنا في العشرينــات والثلاثينات وهو توقيع معاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ .

الفصل الثانى

وبدأت معركة التمهيد للمفاوضات المصرية البريطانية

● رأس على ماهر حكومة انتقالية بعد سقوط وزارة نسيم لكى يمهد لوزارة ائتلافية تفاوض الانجليز عام ١٩٣٦ .. جاء ليخلف نسيم باشا عندما أبدت انجلترا استعدادها للتفاوض مع جبهة وطنية متحدة .

● كانت وزارة على ماهر باشا ـ وزارة المائة يوم ـ من أخطر الوزارات المصرية ، التى تسلمت السلطة فى أخطر فترة مرت بمصر فى سنوات ما قبل الثورة ، ولذلك فان الافاضة فى شرح الظروف ، التى جاءت بالوزارة الى دست الحكم ، من الأمور المستحبة بل والضرورية .

★★★

فى كتابه : فى أعقاب الثورة المصرية ثورة ١٩١٩ ، يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى يصف الأيام الأخيرة لوزارة نسيم باشا والأيام الأولى لوزارة على ماهر باشا : شرعت وزارة نسيم باشا ، فى اعداد العدة ، لاجراء الانتخابات العامة ، طبقا لقانون الانتخاب المباشر الصادر سنة ١٩٢٤ واصدرت فى ١٩ ديسمبر ١٩٣٥ قانونا للانتخاب ، وكان المنتظر أن تمضى وزارة نسيم فى اجراء عملية الانتخابات ، حتى نهايتها ولكن الأحرار الدستوريين والاتحاديين والشعبيين وبعض المستقلين انتهزوا فرصة دعوة انجلترا للحكومة المصرية للمفاوضة فى عقد المعاهدة فسعوا فى تنحية وزارة نسيم باشا بحجة انها لا يؤمن حيادها ، فى الانتخابات ومن عجب ـ كما يقول أستاذنا الرافعى ـ أن تجىء الشكوى من عدم حياد هذه الوزارة فى الانتخابات من فئة كانت تسخر قوات الحكومة للتدخل فى الانتخابات والضغط على الناخبين وتزييف ارادتهم لانجاح مرشحيها ولكنهم وجدوا الفرصة سانحة لاسقاط الوزارة القائمة لعلهم يصلون الى قيام وزارة يدخلها بعضهم أو تناصرهم فى الانتخابات المقبلة وازاء

اصرار أغلبية المؤتلفين على تنحية وزارة نسيم قدم هذا استقالته فى ٢٢ يناير ، ١٩٣٦ ، وقبلها الملك فى ٣٠ منه ، رغب الملك فؤاد فى ان تعقب وزارة نسيم باشا ، وزارة ائتلافية وذلك على خلاف اتجاهه بعد استقالة الوزارة الدستورية سنة ١٩٣٠ فقد أقام فى اعقابها وزارة حزبية بكل معانى الكلمة وكان أساس تأليفها هدم الدستور والبرلمان ، وكذلك فعل من قبل فى سنة ١٩٢٨ ففكرة الوزارة الائتلافية كانت تبدو كلما اضطرت الظروف السراى فى ذلك العهد ، الى اعادة الحيـاة الدستورية لكى تجعل من الوزارة الائتلافية تكئـة فى فض الائتلاف واعادة الحكم المطلق من جديد ولم يرض الوفد ، بهذه الفكرة استمساكا بالميثاق الوطنى الذى اتفق عليه مع حزب الأحرار الدستوريين والمستقلين ، فى مارس سنة ١٩٣١ وفى الحق انه لا خير فى ائتلاف لا يقوم على أساس من خلوص النية بل يحمل فى ثناياه نية فضه والانقضاض عليه وعلى الدستور ..

***

ولما فشلت المساعى لتأليف وزارة ائتلافية ، عهد الملك فؤاد ، الى على ماهر باشا ـ وكان رئيسا للديوان الملكى ـ مهمة تأليف الوزارة وهى وزارة محايدة لا تمت الى الأحزاب بصلة ، وليس من أعضائها ، من يتصل بالأحزاب السياسية لأن محمد على علوبة باشا كان قد استقال من حزب الأحرار الدستوريين قبل تأليفها ، وكانت مهمتها اجراء انتخابات حرة ، لا تتدخل فيها الحكومة ؟!

***

ويقول د. يونان لبيب رزق ، فى كتابه تاريخ الوزارات المصرية ـ اشراف حسن يوسف : شهد عهد الوزارة النسيمية اضطراب الأحوال الدولية ، والغزو الايطـالى الحبشى وتأثيراته القوية على الرأى العــام المصرى ، من جهـة ، وعلى السياسة الانجليزية من ناحية أخرى وما ترتب على ذلك من امكانية ان يقدم الطرفان تنازلات معينة ليلتقيا فى منتصف الطريق وفى اطار هذه التطورات تكونت فى مصر ، الجبهة المتحدة ، لتضم جميع الأحزاب على أساس ان جولة جديدة من المفاوضات مع الحكومة البريطانية قادمة وان هذه الجولة فى ظروف مختلفه ، وتقدمت الجبهه المتحدة فى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ بطلبات محددة ، الى دار المندوب السامى تطلب فيها العودة الى مشروع النحاس هندرسون عام ١٩٣٠ باعتباره أساسا للاتفاق بين الطرفين ولم تلبث الحكومة البريطانية أن ردت على طلب الجبهة فى ٢٠ يناير عام ١٩٣٦ تبدى فيه استعدادها للمفاوضة وكان هذا الرد ، ايذانا بتقديم استقالة وزارة توفيق نسيم ، بعد أن أدت مهمتها لاخلاء الطريق أمام الوزارة القوية التى يراد تأليفها لتتولى المفاوضة وتعقد المعاهدة ، وتقدمت الوزارة النسيمية باستقالتها بعد أن عبر الملك عن رغبته فى تأليف حكومة تمثل الأمة دون حاجة لانتظار نتيجـة الانتخابات وبالفعل دعا القصر

النحاس باشا ، لتشكيل وزارة ائتلافية الا أن الوفد رفض هذا المطلب وقد بنى رفضه على حجتين :

١ ـ ان الائتلاف يخالف مبادئ الوفد لأنه قد جربه قبل ذلك وفشل ٠

٢ ـ ان تمثيل الوحدة الوطنية سيتم فى اطار وفد ، المفاوضات لا فى داخل الحكومة وذلك بوعد من النحاس ، انه اذا أحرز الوفد ، الأغلبية البرلمانية وفاوض بريطانيا يكون فى وفد المفاوضة أعضاء من الجبهة المتحدة ٠

★★★

وقد جرت محاولات سعى فيها كل من الجانبين الى محاولة اقناع الجانب الآخر بوجهة نظره فعلى ماهر باشا رئيس الديوان الملكى انذاك يحاول اقناع الوفد ، بضرورة الحكومة الائتلافية على أساس ان أى اتفاق مع بريطانيا لا بد وأن ينال موافقة جميع الأحزاب ويرفض الوفد ، الفكرة ويصمم على موقفه ، ويؤدى ذلك بالقصر ، الى محاولة اعفاء النحاس من رئاسة الوزارة الائتلافية ، التى يرفضها ، على ان تكون برئاسة شخصية قوية من المحايدين ويشترك فيها الوفد ، ويرفض الوفد هذه الفكرة بدورها ، يدعو ذلك الملك الى التفكير لتأليف وزارة من كافة الأحزاب غير الوفدية ومن الشخصيات القيادية فى هذه الأحزاب ويوافق كل من صدقى ومحمد محمود ، رد الوفد على هذه المناورات بعملية استعراض للعضلات الشعبية فتفجرت المظاهرات من طلبة الجامعة والمدارس ٠

★★★

وانعقدت المؤتمرات الشعبية وقدمت العرائض للملك : وفقا لهذا التصاعد ، كان لا بد من الاتفاق الذى تم التوصل اليه فى ٣٠ يناير ١٩٣٦ ، بعد أكثر من أسبوع على تقديم نسيم باشا استقالته وقد تضمن هذا الاتفاق خمس نقاط هى : تكوين وزارة محايدة ، القيام فورا باجراء مفاوضـات تستهدف عقـد المعاهدة ، ان يتشكل وفد المفاوضين فى جانب منه من الوفد ، وفى جانب آخر من سائر الأحزاب على أن يكون برئاسة النحاس باشا ، أن تجرى الانتخابات لتشكيل برلمان جديد فى ٢ مايو ، ١٩٣٦ ، وأخيرا ان يتولى رئيس الديوان ـ على ماهر ـ رئاسة الوزارة الجديدة ٠ لما أبداه من حياد فى اتصالات خـلال الأزمة الأخيرة ـ كل ذلك كما جاء فى مراسلات لامبسون المندوب السامى البريطانى فى مصر ، الى انتونى ايدن وزير ، الخارجية البريطانية الجديد ٠

ويلخص د٠ محمد حسنين هيكل ، الموقف كله ، فى ست صفحات من كتابه « مذكرات فى السياسة المصرية » : يقول مرة : انه بعد تعيين انتونى ايدن وزير عصبة الأمم خلفا لسير صمويل هور فى وزارة الخارجية فى ٢٢ ديسمبر

١٩٣٥ وبعد أسبوع من تعيينه ورد الى المندوب السامى البريطانى تبليغ برقى من مستر ايدن جاء فيه ان طلب الجبهة المصرية لتسوية العلاقات بين مصر وبريطانيا موضع عنايته الجدية ، ولكن ابداء الرأى فيه يحتاج الى بعض الوقت نظرا لحداثة عهده بتولى مهام وزارة الخارجية ولانشغال انجلترا بالأزمة الحبشية انشغالا ، لا يتيسر معه البحث حالا فى المسألة المصرية ، ويبدى أنتونى ايدن رأيه الشخصى فى الموضوع ـ قبل أن يعرضه على مجلس الوزراء البريطانى ـ فيقول ـ اننى أميل كل الميل ، الى عقد معاهدة تحقيق الصداقة بين البلدين ، ويرجو الا تستمر القلاقل فى مصر بعد علمها بهذا الشعور من جانب انجلترا ٠٠ أطلع سير ما يلز لامبسون أعضاء الجبهة على هذه البرقية فرادى ولم يسمح بأن يعطيهم صورة منها ، فجعلوا يجتمعون يتحدثون فى مضمونها وقد ذكر اسماعيل صدقى باشا ، ومحمد محمود باشا فى مقابلتهما للمندوب السامى ، انهما لا يريان هذه الطريقة متفقة مع ما يرجى من تصفية الجو وتحسين العلاقات بين الدولتين فقد صرح سير صمويل هور فى مناسبتين علنيتين بما جرح شعور المصريين فاذا أريد ارضاء هذا الشعور لم يكن ببرقية تتلى على أعضاء الجبهة فرادى بل لابد من بيان صريح يقرر قبول انجلترا مشروع سنة ١٩٣٠ قاعدة للتسوية فمثل هذا البيان يعيد الى النفوس فى مصر طمأنينتها ويزيل المخاوف التى نشأت عن الأزمة الحبشية ، ولم يرد من انجلترا ما يطمئن المصريين ويزيل مخاوفهم بل لقد ألقى مستر ايدن فى يوم ١٨ يناير ١٩٣٦ خطابا فى بلدة لنجتون عن السياسة الخارجية لبريطانيا ولم يشر فيه بكلمة الى مصر فأثار هذا شعور المصريين مرة أخرى وقامت المظاهرات احتجاجا ، على ذلك الاغفال الذى اعتبر اهانة للشعور المصرى ، وللكرامة الوطنية ويقول د ٠ هيكل أن الرد البريطانى الذى أبلغ الى الملك والى نسيم باشا والنحاس باشا كان خاصا باستعداد الحكومة البريطانية للمفاوضة لعقد معاهدة فى الحال لكن هذه المعاهدة يجب أن تسبقها مناقشات مبدئية مع الحكومة المصرية فى المسائل العسكرية فاذا انتهت المناقشات الى نتيجة مرضية انتقلت المناقشات الى مسألة السودان فاذا انتهت الى نتيجة مرضية كذلك أجريت المفاوضات بين البلدين لعقد معاهدة ولم يتقيد الرد بأن يكون مشروع سنة ١٩٣٠ أساسا للمفاوضة ٠

***

وختم المندوب السامى البريطانى حديثه بعد أن عرض رد حكومته بأن فشل المفاوضات فى الوصول الى اتفاق ستكون له عواقب خطيرة فقد يتعين على الحكومة البريطانية فى هذه الحالة ان تعيد النظر فى سياستها فى مصر ثم أردف قائلا : ليس هذا تهديدا بل هو بسط للحقائق فان فشل المفاوضات سيجعلنا فى مصر ، أمام حالة جديدة تماما » وينصح المندوب السامى البريطانى ببقاء الأحزاب متحدة لأن الحكومة البريطانية ترغب فى ان تجرى المفاوضات مع ممثلى الشعب

المصرى بأسره » وعندما رفض الوفد فكرة الوزارة القومية كلف الملك نسيم باشا ، بالبقاء فى الحكم حتى تتألف الوزارة الجديدة وبدأ رئيس الديوان الملكى على ماهر باشا يتصل بأعضاء الجبهة وبغير أعضاء الجبهة من رجال مصر ، وقد انتهت اتصالاته بأن تؤلف وزارة محايدة لاجراء الانتخابات وأن تؤلف فى الوقت نفسه هيئة رسمية لاجراء المحادثات ، والمفاوضات فى القاهرة مع ممثل الحكومة البريطانية وهو مندوبها السامى فى مصر ، وقد أبدى أعضاء الجبهة جميعا اطمئنانهم الى أن يؤلف على ماهر باشا نفسه هـذه الوزارة وألف على ماهر وزارته ، وبدأ التمهيد لصفحة جديدة فى تاريخ مصر الحديث !!

***

وألقى مصطفى النحاس باشا خطابا فى الجماهير ، التى احتشدت لتحيته وتهنئته وأعلن فى هذا الخطاب أن وزارة على ماهر باشا ستباشر عملها من الغد « ٣١ يناير » بتأليف الوفد الرسمى ، وتفويضه تفويضـا مطلقا فى ادارة المفاوضات للوصول الى معاهدة مع الحكومة البريطانية وتوقيع المعاهدة باذن الله وسيكون الوفد الرسمى برياسة من اخترتموه « تصفيق وهتاف عال » .

وكان من بين ما قاله مكرم عبيد : لقد انتصر الوفد انتصـارا عزيزا كريما ، لا لأنه ارتفع الى الحكم بل لأنه ارتفع فى الحكم ، وكان ارتفاعه متواضعا لا مترفعا ، فأبى الا أن يكون للأمة خادما وان يبذل لها من خدمة بقدر ما بذلت له من ثقة : أبى الوفد الا أن يكون حاكما باسم الأغلبية لا محكوما باسم الأقلية وكان فى ذلك نازلا ، على أحكام الدستور متمشيا مع تقاليده .

ويقول مكرم عبيد : ان الوفدية فوق كونها عقيدة سياسية فهى عقيدة أدبية تغلغلت فى النفوس فحببت اليها مكارم الأخلاق وجعلت من الاعتبارات المعنوية والأدبية مقياسا للناس ، ونبراسا لهم فى أعمالهم ، وحياتهم المادية » .

***

وقال حافظ رمضان باشا فى جماهير المواطنين الذين اكتظت بهم دار نادى الحزب الوطنى : ان الحزب الوطنى ليدعو دائمـا الى اعتناق العقيدة السليمة والتشبث بالوطنية الصادقة ويعمل على ابقاء جذوتها فى النفوس ، بدأتم تفدون الينا من كل مكان متطلعين الى جهادنا فى سبيل الله والوطن ، والناس يتساءلون: يقولون لنا انكم خياليون فماذا أعددتم من القوة ، وردنا على ذلك يتلخص فى كلمة واحـدة : ان للعقيدة سلطانا على الماديات فقبل أن توجد الماديات يجب أن تتربى العقيدة ، ومتى وجدت أمكنها أن تخضع كل شىء لارادتهـا ، أن العقيدة هى التى جعلت خالد بن الوليد يخترق صحراء العرب ولم يترك وراءه

متخاذلا ، ومتخلفا ، وقابل جموعا أكثر منه عددا وعدة واننا مؤمنون بالله قبل كل شيء فيجب أن يكون ايماننا بالعقيدة كايماننا بالله ، واننا نفنى ويبقى هذا الايمان تتوارثه الأجيال تلو الأجيال ، ولذلك عقيدتنا تظل أبدية الى يوم الدين ، لقد بدأنا بتنظيم أنفسنا منذ خمس سنوات يوم دعوت لتكوين المبارى : لقد تكونت الجبهة الوطنية لخدمة مصر ، لا لخدمة بريطانيا ولقد كنت أنا وصاحبى عبد الرحمن الرافعى فى جانب مصر دائما وها نحن نستبقى الجبهة الوطنية الصحيحة وعما قريب يعودون الينا باذن الله ، لقد كنتم أبعد منا نظرا وأدق فراسة ٠

اننا قوم لا نمل ، ولا نقف ،ولا نقول أبدا لقد طال الانتظار ٠

★★★

ويأبى القدر الا أن يستشهد الجريح الثالث فى حوادث المنصورة وهو متولى موسى يوسف الشاذلى اذ فاضت روحه الكريمة فى صبيحة يوم ٣ فبراير ١٩٣٦ ٠ وكان الى جانبه ساعة وفاته والداه وبعض أفراد أسرته وكان آخر ما قاله الشاذلى : سأموت بعد قليل تاركا اخوة يأبون أن يعيشوا مستعبدين ولتحيا التضحية فى سبيل مصر بلغوا سلامى لاخوانى جميعا » وشيعت جنازة الشاذلى من المستشفى الأميرى الى طما المرج بلد الشهيد وقد أطفئت الأنوار فى جميع أنحاء المنصورة ونكست الأعلام ووقفت الاذاعة فى المدينة حدادا على وفاته ، وكان الشاذلى الطالب بمدرسة المنصورة الصناعية أول شهيد يلقى ربه فى بداية وزارة على ماهر ، وان لم يكن للوزارة دخل فى عملية الاعتداء عليه ٠

وكان أول أزمة واجهها على ماهر باشا مشاركة حمد الباسل باشا فى عضوية وفد المفاوضات ذلك لأن حمد الباسل يمثل الحزب السعدى ، والوفد المصرى ــ مصدر كل قوة وقتئذ ــ لايعترف بأى وفد الا الوفد المصرى ولايعترف بالانتساب الى سعد الا الوفد المصرى ٠ ولقد وقف حمد الباسل ــ بحق ــ موقفا نبيلا عندما أكد على أنه مستعد للعمل ، ولا يمكنه أن يتخلف عنه بحال من الأحوال اذا ما دعى اليه ولكنه فى نفس الوقت لا يريد أن يجعل من عضويته فى وفد المفاوضات مثار خلاف فى وقت اعتقد انه أحوج ما نكون فيه للتساند ، والتآزر وكل اعتبار شخصى ــ كما قال حمد الباسل ــ يجب أن يزول ويتلاشى أمام مصلحة البلاد العامة ٠٠ » والجدير بالذكر ، أن الوفد المصرى لم يعترض على وجود حمد الباسل فى الجبهة الوطنية لانه لم يكن يملك وقتئذ سلطة الاعتراض ، كما أنه لم يكن يريد أن يضع أية عراقيل تحول دون تشكيل الجبهة فلما أصبح هو مصدر القوة بعد أن أوشك على ماهر على اجراء الانتخابات برزت مشكلة عضوية حمد الباسل فى وفد المفاوضات ٠

بذل علي ماهر عندما اختير رئيسا للوزراء بعد استقالة وزارة نسيم جهودا كبيرة لكي يشكل الوزارة الانتقالية التي مهدت للمفاوضات بين مصر وبريطانيا عام ١٩٣٦ ، ونجح في براعة سياسية في التوفيق بين الأحزاب والزعماء لكي يتشكل وفد المفاوضات ممثلا لكل الأحزاب والتيارات السياسية في مصر .

★★★

ويقابل المندوب السامي ــ في رئاسة الوزارة ــ علي ماهر وكانت المقابلة بخصوص وفد المفاوضات الذي يجري تشكيله ، وقد كثرت التكهنات بخصوص تأخر صدور المرسوم الخاص بتشكيل ذلك الوفد وقيل ان السبب الرئيسي في تأخير صدور ذلك المرسوم كان بسبب خلو الرد البريطاني من الاشارة الى أن مشروع النحاس ــ هندرسون سوف يكون أساس المفاوضات المقبلة ، وان مصر قد اعتبرت بعض العبارات الواردة في الكتاب الملحق بالرد البريطاني الأخير تهديدا لها ؟ وان كانت الصحف البريطانية قد رأت أن تأخير صدور المرسوم ــ رغم اعترافها بالتهديد البريطاني أو بما يشبه التهديد ، البريطاني ــ تعود الى خلافات داخلية في مصر حول اختيار أعضاء الوفد و .. و ..

ويذهب ــ وسط تلك الازمة العاتية الجبارة ، التي تكاد تعصف بكل شيء في مصر ــ وفد من طلبة كلية أصول الدين ، لمقابلة النحاس باشا ويدعو النحاس باشا الطلاب أن يخلدوا الى الهدوء والسكون ويقول مكرم عبيد : لست بحاجة الى ابراز ما تكنه نفسي من شعور عميق ، نحو هذه التحية المباركة التي انبعثت من طلبة كلية أصول الدين ، الى أخ لهم في الوطن ؟ والوطنية من أصول الدين : تحدث خطيبكم عن المفاوضات المقبلة وعندي ، ان عدة المفاوض حجته وحجة المفاوض المصري أمته وان أمة فيها مثل هذا الشباب الفتي الزاهر ، وهذا الشعور القوي ، الطاهر ، لهي الحجة التي لا تقبل محاجة أو جدلا .

وكان رئيس الوزراء قد انتظر الرد البريطاني حتى ساعة متأخرة من ليلة ١١ فبراير في دار السفارة فلما لم يصل عاد الى داره ولم يجد ما يقوله ، الا « ان الجو الذي نحن فيه الآن جو قبول ، ولم تعد هناك عقبات » وفي السادسة من مساء يوم ١٢ فبراير « أقبل جناب المستر كيلي مستشار دار المندوب السامي البريطاني ومعه الرد وقيل ان البريطانيين رفضوا ان ينهوا الأشكال بتصريح شفوي ينهي الازمة .

وكان علي ماهر ــ كما أكد كثيرون من المتصلين به ــ قد رفض أن تبدأ المفاوضات في جو من التهديد وكان دائم الاتصال بالسفارة المصرية في لندن وبدار المندوب السامي البريطاني في مصر للخروج بحل يحفظ لمصر كرامتها قبل ان تبدأ المفاوضات .

وأخيرا وافقت بريطانيا على تبليغ الحكومة المصرية بلسان وزارة الخارجية البريطانية انه مهما كانت نتائج المفاوضات فلن يؤثر هذا فى الحالة التى عليها مصر سياسيا فى الداخل والخارج ، وكان مستر كيلى هو الذى أبلغ على ماهر هذا التصريح وبذلك انتهت الازمة الأولى التى واجهت وزارة على ماهر فى أيامها الأولى ·

***

وكان قد جاء فى خطاب على ماهر باشا الى المندوب السامى البريطانى وهو يبلغه بالمرسوم الصادر فى ١٣ فبراير بتعيين الوفد الذى كلف باجراء المحادثات والمفاوضات مع بريطانيا : لا يسعنى عند تبليغكم الصورة المرفقة بالمرسوم المشار اليه الا أن الاحظ انكم عند قيامكم بالتبليغ الشفهى قد نوهتم بأن الاخفاق فى عقد اتفاق ، قد يترتب عليه نتائج جدية مما قد يحمل الحكومة البريطانية على اعادة النظر فى سياستها نحو مصر ولا شك لم يفت سعادتكم ما أثارته هذه التصريحات فى الرأى العام المصرى من القلق ، حقا انكم حرصتم على الاشارة الى انها لا تنطوى على شيء من التهديد أو الارهاب وانها لا تعدو تقرير الواقع ، ولكن مهمايكن لهذه الاشارة من أثر فى تخفيف وقع التصريحات التى كلفتم ابداءها بصفة خاصة لا يسع الشعب المصرى وحكومته ومندبوه ، الناطقون بلسانه ان يعتقد ان محادثات أو مفاوضات تعالج فى مثل تلك التصريحات يمكن أن تكون خالصة أو حرة كذلك ، ومراعاة للمصلحة المشتركة للبلدين ، أتشرف بأن أرجو منكم أن تؤكدوا لى ان الحكومة البريطانية ترى حق الرأى أن لا شيء يمكن أن يحد من حرية ممثلى مصر فى المناقشة والعمل ، وان استعمال هذه الحرية لن يؤثر على ما بين البلدين من صلات الصداقة » ويوضح على ماهر فى كتابه الى المندوب السامى البريطانى أهمية المندوبين المصريين فى المفاوضات ، « ولما لهم من صفة تمثيلية للبلاد فهم ــ ممثلو الرأى العام كما انهم يتمتعون بشخصية بارزة ومكانة عالية و ·· و ·· » ·

***

ويرد سيرمايلز لامبسون على رسالة على ماهر باشا بقوله : تطلبون دولتكم الآن تأكيدا من حكومة ملك بريطانيا نسلم بانه لن يحد شيء من حرية مندوبى مصر فى المناقشة أو التصرف وان استعمال تلك الحرية لن يخل بحسن العلاقات بين البلدين ، فجوابا على ذلك يسرنى أن أخبر دولتكم بناء على تعليمات حكومتى أن لها وطيد الأمل بل انها فى الواقع موقنة ان كلا الفريقين سيبذلان قصارى جهدهما كى لا يترتب على استعمال هذه الحرية أى تأثير فى العلاقات الودية بين البلدين وان الحكومة البريطانية لتحمل أصدق عواطف الود حيال الحكومة المصرية والشعب المصرى وبينما نجد من الواجب أن تحتفظ لنفسها بحرية

العمل بالنسبة لمستقبل مجهول المدى شأنها فى ذلك شأن كل الحكومات فانها ترى اذا كان هناك ثمة فشل فى الوصول الى اتفــاق ، بالرغم مما يحــدو الفريقين من صادق الرغبة انه ليس من الضرورى ان يترتب على الفشل تأثير فى حسن العلاقات بين البلدين التى تحــرص الحــكومة البريطانيــة لا على استدامتها فحسب بل على زيادتها قوة » ٠

***

وكان على ماهر قد رفع الى الملك فى ١٣ فبراير ١٩٣٦ كتابا بخصوص تعيين أعضاء الهيئة الرسمية لابرام معاهدة صداقة ومودة وتحالف مع بريطانيا العظمى مع تخويلهم السلطة التامة فى مفاوضة الحكومة البريطانية وتوقيع اتفاق يكفل لبريطانيا مصالحها دون أن يتنافى مع استقلال مصر » ٠

ويصدر الملك أحمد فؤاد مرسوما يصدره بالكلمة التالية : رغبة منا فى ابرام معاهدة صداقة ، ومودة ومحالفة مع بريطانيا العظمى ، نعين مندوبين فوق العادة حضرات مصطفى النحاس رئيسا ، محمد محمود باشا ، اسماعيل صدقى باشا ، عبد الفتاح يحيى باشا ، واصف بطرس غالى باشــا ، الدكتــور أحمد ماهر ، على الشمسى باشا ، عثمان محرم باشا ، محمد حلمى عيسى باشا ، الأستاذ مكرم عبيد ، حافظ عفيفى باشا ، الأستاذ محمود فهمى النقراشى ، أحمد حمدى سيف النصر أعضاء وكان للوفد المصرى الى جانب الرئاسة غالبية الأعضاء ٠ ويقسم الأعضاء أمام الملك اليمين التالية : أقسم أن أكون مخلصا للملك ، والدستور ولقوانين البلاد المصرية ، وان أؤدى ما هو معهودا أو ما قد يعهد الى به من الأعمال فى مهمتى بالذمة والشرف ٠

***

وتشيد الصحف البريطانية بموقف على ماهر وحنكته السياسية ، حيث استطاع ان يتغلب على كل العقبات التى اعترضت طريق ، المفاوضات المصرية والبريطانية ، وفى ذلك المجال يقول مراسل صحيفة الاوبزرفر البريطانية فى القاهرة : تمكن على ماهر باشا ، من تذليل العقبة التى برزت فى الساعــة الأخيرة بسبب ما عزى الى الحكومة البريطانية من تهديد فؤاد ذالك فى مكان رئيس الوزارة المصرية ، ورفع منزلته فى العيون ، ذلك انه عمل بفطنته وحنكته على أن يبتكر وسيلة الى ارضاء مواطنيه واراحة بالهم ، والمسألة مسألة ألفاظ ، فان من يطالع الرد البريطانى يرى انه وان كان الأصل فى الحادث هو النفور مما قاله السير مايلز لامبسون على اثر تلاوة رده السابق وهو انه اذا أحبطت المفاوضة فان الحكومة البريطانية قد تجد نفسها مضطرة ، الى اعادة النظر فى سياستها ، نحو مصر ، فان حرية بريطانيا فى التصرف فى حالة كهذه أى اذا

ما قطعت المفاوضات ـ عززت وأكدت بصراحة فى الرد الأخير ، ولكن يظهر ان الصيغة العامة اراحت المصريين وهو ما يهم فى مسألة كهذه المسألة ٠

***

ثم انتقل المراسل بعد ذلك يعلق على أحاديث المفوضين المصريين وقال انه يتبين من تلك الأحاديث ان المحادثات القادمة ستبدأ فى جو أفضل من الجو الذى سبق حالة التهديد ، فالمندوبون المصريون مشربون بروح المودة لزملائهم ، من الجانب الآخر ومشبعون بأطيب التمنيات والرغبة فى الوصول الى اتفاق ٠

ـ والمسلم به ـ كما يقول مراسل الأوبزرفر البريطانية ـ فى كل مكان هو ان الأمل بعقد المعاهدة يتوقف كله على ايجاد حل مرض ، للبند العسكرى ولبند السودان فالشئون العسكرية وترتبط بها شئون الأمن ، العام ، حتما ـ تنطوى على الصعوبة الكبرى ذلك ان معناها ان مصر ـ تقبل ما كان حتى ، الآن فى مقدمة الأمور ، المعترض على قبولها ولكن اذا نظر المندوبون ، المتفاوضون الى كيفية توزيع الجنود البريطانيين من حيث اقامتهم هنا ، لمساعدة مصر . على صون أراضيها دون سواها من الوجهات فليس عن صعوبة تعترض سبيل الوصول الى وسيلة لمواجهة الطلبات الضرورية التى تطلبها السلطات العسكرية البريطانية ٠

والمسلم به أيضا أن الفرصة التى سنحت الآن لحل هذه العقدة ، باتحاد الأحزاب لا يحتمل أن تعود ، وعلى كل حال فانى رأيت فى كل مكان رغبة صادقة فى الوصول الى حل على أن هناك ما يصح أن يسمى قوى خفية عملت فى الماضى، وهى مع تظاهرها بالشعور ، بالحاجة الى معاهدة فانها تعارض فى عقد المعاهدة وينتظر بعد أن تعيد هذه القوى ما أن سبق ، ضيعته ٠ أن تتوسل بوسائلها الخفية لتؤثر تأثير ضارا بالجو ٠

***

والمرجو ـ كما يقول مراسل الأوبزرفر أيضا ـ أن يتذرع المندبون المصريون بالثبات ، والصدق ، ليدرأوا فعل هذه العناصر فعلى مدى نجاحهم فى تقديم ، مصلحة بلادهم ، على كل اعتبار آخر تتوقف نتيجة المفاوضات ، وهل تكون منتجة أو لا ٠

وفى الوقت الذى تبدأ فيه المفاوضات المصرية البريطانية تعطل السلطات البريطانية فى فلسطين جريدة الجامعة الاسلامية لمدة اسبوعين لنشرها مقالا ، بعنوان : لا أيها الفرنسيون ان لكل شيء حدا ٠ واننا نحن العرب ، لا ننسى ولا نصفح » وكاتب المقال هو صاحب المجلة ورئيس تحريرها وهو الاستاذ سليمان التاجى الفاروقى ، والمقال دفاع عن سورية ، وكانت السلطات الاستعمارية الفرنسية تستبد بالشعب السورى على النحو الذى كانت تقوم به السلطات

البريطانية الاستعمارية فى مصر ، وفى فلسطين على حد سواء ، وقد جاء فى المقال ـ وننشر بعض فقراته للذكرى ، وللتدليل على ان العرب رغم سطوة الاحتلال البريطانى وسطوة الاحتلال الفرنسى كانوا يتحركون كجسم واحد ، بقلب واحد ، وشعور واحد : جاء فى المقال :

★★★

اليوم تبرز فلسطين المثخنة المصفدة المثقلة التى للانجليز فى كل قيد انملة من جسمها سهم ، وفى كل مغرز ابرة ناب ، ومخلب ، وفى كل مدب حياة مطعن ، ومضرب . تبرز فلسطين المثخنة بالجراح المثقلة بالسلاح ، المحمى عليها الانين والتوجع ، والركن والجناح المبغى عليها فى الحد الصراح ، المأخوذ بالباطل، القراح ، والظلم ، البواح : المباح ؟ فيها حرام ، والحرام فيها كل مباح : تبرز فلسطين اليوم دامية الجراحات جياشة الذكريات ذخارة بالغضبات اثر الغضبات والصيحات تلو الصيحات غير آبهة للقوة المسلطة ، والسهام المسددة والحراب المسنونة المصـــوبة منادية بملء فيهـــا لا ، وألف مرة لا : لقـد بغيتم أيها الفرنسيون ، وطغيتم ، وجرتم واعتـديتم ، لقـ اجترحتم المآثم ، واقترفتم المناكر ، وأتيتم فى سوريا الكبائر !!

★★★

لقد ذبحتم الأبرياء ، وسجنتم الأطفـال والشباب وولغتم فى الحرمات والدماء ، لا : أيها الفرنسيون ، ان لكل شيء حدا ، وان لكل هزل جدا ، وان لكل قبل بعدا .. أما والله لئن طال عليكم ، وعلى حلفائكم العهد وتنفس لكم ولهم هنا ، وهناك طول العمر ، فان لنا لأكباد أشفها الظمأ ، الى ما تعلمون ، وان لنـــا لقـلوبا بهـا الشوق ، الى ما لا تجهلون ، وان فى ســويداء تلك القلوب وفى باحات تلك النفوس لمزروعا من الاحقاد خصبا ومكانا للتراث رحبا ، واننا العرب لا ننسى ولا نصفح ولا ننام عن ثأرنا ولا نكل ، فاقتلوا واستحيوا واستطيلوا وابقوا واظلموا واطغوا ، ثم لا تذروا ولا تبقوا ، وقولوا لحلفائكم أن يقتدوا بكم ويتأسوا ، فأنا بقايا السيوف ، وأنا تمار الحتوف وأنا ربيبو الملاحم ، والزحوف ، ومن قبل ما أجلب علينا وعليهم أجدادكم واثخن فينا وفيهم بطارقكم وأخباركم ولكننا بقينا وذهبتم ثبتنا ، وانقلبتم والعاقبة لنا شئتم أم أبيتم ، والدولة لنا ، تماديتم ، أم انتهيتم الا أن جندنا لهم الغالبون ؟؟

★★★

ويقيم على ماهر باشا ، رئيس مجلس الوزراء . مأدبة غداء فى مينا هاوس لرجال الوفد المصرى للمفاوضات ، ويجلس على ماهر متصدرا المائدة الرئيسية وعلى يمينه النحاس باشا وعن يساره محمد محمود باشا وأمامه اسماعيل صدقى باشا !

ويسجل على ماهر باشا فى تلك الحفلة سابقة طيبة ــ كما أشادت الصحف فى اليوم التالى ــ هى عدم تقديم خمور كما جرت العادة ، فى المآدب الرسمية ، وكان من بين الحضور أحمد زيور باشا ، والشيخ محمد مصطفى المراغى ، ولطفى السيد وطلعت حرب وشريف صبرى وصبرى أبو علم ، ويوسف الجندى ، ومحمد كامل البندارى ، وحفنى محمود ، وابراهيم الهلبـــاوى ، وعبد الرحمن عزام ، وحافظ رمضان ، وعبد الرحمن الرافعى وبين الصحفيين حسب الترتيب ، الذى أذاعته رياسة مجلس الوزراء : عبد الرحمن فهمى بك ، جبرائيل تقلا بك ، الدكتور محمد حسين هيكل بك ، والدكتور فارس نمر وانطون الجميل بك ، والاستاذ كريم ثابت والاستاذ محمود عزمى ، والاستاذ عبد القـــادر حمزة ، والاستاذ محمد توفيق دياب ، والاستاذ كمال الدين عوض ، والاستاذ عبد الحميد حمدى ، والاستاذ فكرى أباظة والاستاذ سليمان فوزى والاستاذ على بليغ ! ويعتذر من الصحفيين خليل ثابت ، عباس محمود العقاد ، وتوفيق صليب و٠ و ٠

ويمضى على ماهر فى أداء مهامه الوطنية بين جذب وشد ومد وجذر فى جو شعبى متوتر للغاية وخاصة فى محيط الشباب الذى كان يقف ــ رغم الهدوء الظاهرى ــ على فوهة بركان ٠

الفصـــل الثالث

وبدأ شـــباب مصر يتحـــرك من جـــديد

وقفنا عند الظروف التي كانت تمر بها مصر في بداية عام ١٩٣٦ ، واتفاق الأحزاب على التفاوض مع بريطانيا ، فيما عدا الحزب الوطني • وقيام وزارة على ماهر بكثير من الاصـــلاحات الجـــذرية ، والاعداد للانتخابات • ونكمل هـــذا الحـــديث •

***

● لا تنتظم الدراسة في الجامعة وتعطل الدراسة في كلية الزراعة لاعادة أحد المدرسين بها الى وزارة الزراعة وتضرب كلية الحقوق لفصل بعض طلبتها بتهمة التحريض على الاضراب والاخلال بنظام الدراسة ويجتمع حزب الشعب برئاسة اسماعيل صدقي ويلقى رئيس الحزب خطابا هاما يشرح فيه الظروف التي مرت بالبلاد والصعاب ، التي قامت في وجه المفاوضات ، ويطلب صدقي باشا ، من أعضاء حزبه الثقة والتأييد في المهمـــة التي يشـــارك فيهـــا وهي ، المفاوضات مع بريطانيا باعتباره عضوا في وفد المفاوضات ، المصري الرسمي مؤكدا ان شعاره وشعار الحزب ــ حزب الشعب ــ سوف يكون أثناء المفاوضات الاطمئنان لمجراها ، مع الاحتفاظ بالصبر والهدوء وضبط النفس وهي الصفات التي يجب أن يشعر المفاوضون بان البلاد حريصة على الاحتفاظ بها ، ويتحدث اسماعيل صدقي باشا عن الانتخابات فيقول انه كان يأمل ان تجرى بعد المفاوضات لا في اثنائها لانطباق ، ذلك على القواعد المألوفة ، وعلى الروح الدستورية التي تقضي بأن تكون نتيجة المفاوضات هي المحور ، الذي تدور عليه الانتخابات حتى اذا عرضت هذه النتيجة على البرلمان ، كان عرضها تركيزا لرأي كتلة الناخبين ، أي مجموع الشعب بأسره ويقول اسماعيل صدقي « انني لا أستطيع الا الأخذ بالرغبة التي تجلت في موقف حزب الشعب ، وهي الا يكون ، رأى قائم بذاته ، بعيدا عن رأي الجماعة فنحن ندخل الانتخابات في موعدها ، تحقيقا لهذه الرغبة التي عبرنا عنها في جميع تصرفاتنا » ••

وتستمر المحاكم ، فى نظر قضايا المظاهرات ويكون من أهم القضايا تلك التى اتهم فيها صلاح الدين عزت ، محمد محمود راغب ، محمد كامل الدماطى ، محمد سعيد ، محمود ، أمين سعد الدين ، و ٠٠ وكانت قد نظرت أمام محكمة الجنح المستأنفة بعد ان حكم فيها ابتدائيا بتغريم كل المتهمين ثلاثة جنيهات ٠

وكانت مدام فهمى ويصا ، قد ألقت فى الجمعية الدولية للسيدات فى مانشستر فى بريطانيا خطابا هاما اهتمت به الصحف البريطانية وكان من بين ما قالته مدام فهمى ويصا : أن المصريين مستعدون لقبول مشروع معـــاهدة ١٩٣٠ ٠٠ « النحاس ــ هندرسون » وان ضـعف الجيش المصرى قـد أوجده البريطانيون أنفسهم » وطالبت مدام ويصا الحكومة البريطانية بأن تكون صريحة فى سياستها ، مع مصر تجنبا لما يترتب على سوء التفاهم من مستقبل خطير ؟؟

وتذهب وفود عديدة الى دار حمد الباسل باشا ــ بالزمالك ــ لشكره ، على موقفه الخالد ، وتفانيه فى خدمة أمته ، وتناسيه نفسه وكان من بين ما قاله حمد الباسل باشا ، لهذه الوفود ، انه لا شىء أحب الى نفسه من رفعة وطنه وتضحيته بكل ما يملك فى سبيل أمته !

***

انتهز الضباط المصريون القدماء فرصة قرب بداية المفاوضات ، فاجتمعوا بناء على دعوة من الأميرالاى محمود حلمى اسماعيل بك فى ١٩ فبراير ١٩٣٦ وحضر الاجتماع : اللواء محمود عزمى باشا ، سليم موصلى باشا ، محمد فاضل باشا ، عبد الحميد راغب باشا ، عبد الرحيم فهمى باشا ، وكل من الأميرالاى أحمد خليل بك ، محمد راتب السباع بك ، محمد أحمد حليم بك ، حسين كامل بك ، محمود صدقى بك ، عبد الوهاب وهبى بك ، حافظ صدقى بك ، محمد عابدين بك ، محمود سامى بك ، محمد بدر بك جلال منير بك ، اسماعيل حافظ بك ، أحمد نيازى بك ٠ محمود عزت بك محمود حلمى اسماعيل بك ، وكل من القائمقام : محمد حليم بك ، يوسف صادق الموجى بك ، محمود سالم بك وكل من البكباشى : على نجيب متولى سالم ، أحمد حلمى ، سيف اليزل خليفة ، محمود رياض ، فرج مبروك ، أحمد بكير ، وكل من اليوزباشى محمود ابراهيم الجندى ، وأمين فوزى ، ومحمد حمدى وكذلك الملازم أول محمد فريد ثابت ويتلقى صاحب الدعوة من الأمير عمر طوسون برقية يقول فيها : المسألة السودانية فى نظرنا أهم المسائل ، التى سيتناولها البحث فى المفاوضـــات فاجتماعكم ، مع حضرات اخوانك الضباط المتقاعدين للنظر فى مسألته أمر يقابل من جميع المصريين بالحمد والشكر والارتياح العظيم لما لأرائكم فى مسألته الخطيرة من القيمة والتقدير » ويقرر المجتمعون تأليف لجنة برئاسة اللواء محمود

عزمى باشا للاتصال بهيئة المفاوضات المصرية لتقديم ، وجهة نظرهم فى مسألة السودان ٠

***

ويقرر مجلس التأديب بالجامعة فى ٢٠ فبراير ١٩٣٦ برئاسة الأستاذ أحمد لطفى السيد وعضوية الشيخ أحمد ابراهيم وكيل الكلية والأستاذ برشيامز الأستاذ بها لمحاكمة الطلبة المتهمين بالتحريض على الاضراب وهم : حافظ شيحا ، أحمد فؤاد مصطفى ، عبد الحميد محمود سالم ، و ٠٠ و ٠٠

***

ويقرر المجلس فصل حافظ شيحا وأحمد فؤاد مصطفى فصلا نهائيا من الكلية كما يقرر فصل عبد الحميد سالم الشواربى ، ومحمد على شلبى ، وعبد المنعم عبد الوهاب من الكلية لمدة سنة مع الترخيص لعميد الكلية فى قبول من يرى صلاح حاله منهم ، واستعداده لمتابعة الدراسات الجامعية وفصل بقية المتهمين سنة من الكلية مع وقف التنفيذ بحيث لو صدر من أحدهم سلوك مماثل فى خلال هذه السنة فان العقوبة تنفذ عليه ٠٠

ويعلق محمد على علوبة باشا وزير المعارف على قرار مجلس التأديب بالجامعة ، قائلا : أرجو أن يكون مفهوما انه ليس هناك عداء بين الوزارة والطلبة وانه اذا كانت الاجراءات التى اتخذتها الوزارة مع بعضهم اجراءات صارمة ، فان هذه الصرامة اقتضتها الظروف ، وهى أشبه بقسوة الوالد مع ابنه وهى دائما قسوة لمصلحة الابن قبل كل شىء ، وهذه المسألة متعلقة بمجلس الجامعة وأنا حريص على استقلالها وسنعمل جهدنا لتحقيق ما فيه المصلحة العامة قبل كل شىء ، ويجب ألا يقال عنا اننا أمة لا تعرف النظام ، ولا تحافظ على القانون ؛ ويرسل ، مصطفى النحاس باشا رئيس وفد المفاوضات فى ٢٦ فبراير ١٩٣٦ ، الأستاذ أمين عثمان سكرتير الوفد الرسمى الى دار المندوب السامى ، البريطانى لابلاغه نص الخطبة التى سيلقيها النحاس باشا فى حفلة افتتاح المفاوضات على أن يرسل المندوب السامى ، بنص خطبته الى النحاس باشا ، قبل القائها وفقا للتقاليد ، المتبعة ٠

***

وكان الأزهر الشريف رغم كل المحاولات التى بذلت لاعادة الصفاء والود الى طلابه ، مجالا لانقسامات عديدة بين صفوفه سرعان ما انتقلت عدواها الى طلاب المعاهد الدينية بالأقاليم ٠ ونفتح قوسا نقول فى داخله ما يلى :

يجرنا حديث الصراعات والانقسامات بين طلبة المعاهد الدينية الى الحديث عن ظاهرة وصفت بالغرابة ، نود الاشارة اليها لاعطاء صورة عن تفكير بعض أساتذة وطلاب المعاهد الدينية وقتئذ :

الى جانب هذه الانقسامات وجهت اتهامات عديدة الى بعض طلبة المعاهد الدينية فمن خروج ـ كما قيل ـ عن تقاليدهم القديمة ، الى مسايرة بعضهم لبعض « صرخات العصر » مما اعتبره بعض شيوخ الأزهر ورجال الدين بصفة عامة خروجا على القيم المتوارثة ، وقد أدى ذلك كله ، أو بعضه الى استقالة الشيخ الديناري شيخ المعهد الأحمدى بطنطا كما أدى ذلك كله أو بعضه الى أن شيخ الجامع الأزهر تقدم الى أبنائه الطلبة طالبا منهم الالتزام بكل ما توارثوه من قيم ومبادىء ٠

***

كان النداء الذى وجهه شيخ الجامع الأزهر فى ١٩ فبراير ١٩٣٦ عنيفا للغاية وقد جاء فيه :

« من المعروف ان طلاب العلم الدينى لهم قيود وتقاليد رسخت عند الناس كافة فاذا هم خرجوا عليها ، أو لم يحفلوا بها فانهم يتعرضون لازدراء الناس ، وسخفهم فليعلم الطلاب هذا وليتدبروا أن مهمتهم التى ينتظرون القيام بها مستقبلا تتطلب منهم أن يكونوا دائما موضع احترام الناس وموضع اجلالهم ، فلا يأتون ما يتنافى مع قواعد الشرع الشريف أو ما يثير الرأى العام ضدهم فانهم ان فعلوا ذلك سقطوا عند الناس السقوط ، الذى لا يستطيعون بعده ، أن يؤدوا لمواطنيهم العمل الذى يكلفون به حين يدخلون ميدان العمل ٠

« وعلى حضرات شيوخ المعاهد أن يبالغوا فى ملاحظة الطلاب ، والعمل على رفع مستواهم الخلقى وتنبيههم الى ما قد يغفلون عنه مما لا يتفق وكرامة طلاب العلم الدينى ، وأن يعالجوا بالحزم والحكمة ما يرونه غير صالح من أعمال الطلاب » ٠

***

وكان من بين المآخذ ، التى أخذت على طلاب المعاهد الدينية انهم اختلفوا اختلافات عنيفة للغاية من أجل اقامة اتحاد للطلاب لم تقم الدلائل ، على تركيز الجانب الثقافى فى بيئته مما يجبر الطلاب عليه ٠ ثم ان احتفالهم ـ كما قال أحد كبار رجال الدين وقتئذ ـ بهذه الخصومة ٠ مما يوقظ فى أجوائهم فاصفة فتنة تنذر بالشر ، وتجنبهم الصراط المستقيم الى جانب انتزاعها لهم من موطن التحصيل العلمى ، واسدالها عليهم سترا من القلق الدائم ٠

ومن المحقق ، ان انصراف الطلاب الى ذلك قد مهد لهم أن يتابعوا فى معاهدهم ضروبا من الأضاحيك ، التى يضيفون بها الى الاتجاهات الثقافية المعاصرة تزويقا لها و ٠٠ و ٠٠ وهكذا سمعنا عن طالب أزهرى ، يؤدى دور ليلى فى مسرحية « المجنون » ٠٠ وسمعنا عن طلاب أزهريين يكشفون عن سيقانهم فى جولات كشفية وجولات أخرى فى ميدان الرياضة ، وهنا وهناك نظارة

يحصون ، على الغارقين فى مدنية العصر أنفاسهم سائلين الله ان يوفر ، على دينه من يقيهم مصارع السوء ، ثم لا يكون الحماة لهذا الدين من أبناء الأزهر ، الذى يمثل واحد منهم دور ليلى ويكشف واحد من ساقيه فى غير موطن الوضوء» ·
ونقفل القوس ، لنعود الى حديث المفاوضات المصرية البريطانية وبعض الأحداث الداخلية والافريقية والعربية :

★★★

تبدأ المفاوضات بين مصر ، وبريطانيا فى ٢ مارس ١٩٣٦ وحيا مصطفى النحاس باشا ، فى كلمة الافتتاح التى ألقاها رجل الدولة الكبير مستر ارثر هندرسون الذى رأس مفاوضات سنة ١٩٣٠ وظل حتى الممات على أداء رسالته فى خدمة السلام فقد ساهم بسمو فكرته ، وثاقب نظره وصادق نيته فى تقريب المسافة الى حد كبير من وجهتى النظر البريطانية والمصرية ·

وتحدث سير مايلز لامبسون عن سعادته بتأليف هيئة المفاوضات المصرية من كل الأحزاب المصرية تقريبا · وقال أنه على يقين من ان علاقات المودة والثقة القائمة من عهد طويل بين الحكومتين المصرية والبريطانية هى باكورة الروح التى يقدم بها الفريقان على هذه المباحثات التمهيدية ·

وكتب كامل الشناوى عن على ماهر كلمة رقيقة للغاية ، لأنه أيقظ دور الحكومة بعد رقدة هائلة ونوم سعيد ، ولأنه عمل على تحرير الصحافة من القيود والأصفاد التى بذلت الوزارات الماضية جهودها الجبارة فى صياغتها ، وأحكام وضعها ، فى أعناق الصحافة حتى لا تقوم لحرية الرأى قائمة فى هذا البلد المسكين ولأنه وافق ، على قانون الأزهر ، ذلك الذى تضمن المستقبل ، بل الحياة ، لآلاف من الطلبة والعلماء ·

ولقد خطا الرجل – كما قال كامل الشناوى – نحو استقلال القضاء خطوات فسيحات ومعنى هذا أنه يريد أن يكفل للناس الاطمئنان على حقوقهم ويكفل للقاضى تأدية وظيفته فى ظل سابغ من الأمن بعيدا عن جور السلطان وحين يتم هذا فسيكون فيه قضاء على الذين يفيدون من وراء تقييد القضاء وهم مصريون ، فعلى ماهر اذن يريد أن يحرم الفائدة على المصريين فيا أيها المصريون أخذلوه ولا تنصروه ·

وأخيرا : انه يريد لمصر الحياة كأسمى ما تكون الحياة ، والحياة كما قال المعرى تعب كلها ، فابحثوا عن رجل غيره ، يريحكم من التعب وانصروا هذا الغير ولا تخذلوه ·

★★★

ويبدأ الحديث عن الغاء الامتيازات الأجنبية فى مصر ، وتقول جريدة جمهوريت التركية ، ان الغاء الامتيازات هو بالنسبة الى مصر مسألة كرامة وهيبة

قوية . وقالت الجريدة التركية ـ والمعروف أن تركيا كمصر عانت الكثير من الامتيازات الأجنبية ـ ان الدول المتمتعة بالامتيازات يجب ، عليها اذا كانت مدفوعة حقا بالنوايا الحسنة أن تفاوض على ماهر باشا أو من يخلفه للقضاء على النوايا ، التى تفرق بين الرعايا فى البلاد ، والتى لا يوجد لها نظير فى العالم.

وكان الدكتور محمود الصاوى جمعة الذى كان قد تطوع ضمن أعضاء البعثة الطبية المصرية إلى الحبشة ، قد توفى .. فاحتفلت الحبشة بتشييع جنازته عسكريا وشعبيا ، وكان بداية احتفالات الحبشة فى مستشفى البعثة الطبية المصرية فى جقجيقا ، ثم فى هرر حيث أصر الأهالى على الاحتفال بتشييع الجثمان احتفالا لم يعرفه تاريخ هرر من قبل ، وكان الدكتور عبد الحميد المشرف على البعثة يوالى أولا بأول ارسال البرقيات الى الشعب المصرى ، عن كل خطوة من خطوات الاحتفال بتشييع جثمان الدكتور الصاوى .

ويزور مصر وفد من شباب فلسطين فتحتفل به مصر ، كلها حكومة وشعبا .. وكان من أهم حفلات التكريم التى أقيمت لهؤلاء الشباب الحفلة التى أقامها مكرم عبيد باشا وكان خطيبها مكرم عبيد ومحمد شفيق أسعد ، وهو من شباب فلسطين .

***

وقد جاء فى كلمة مكرم عبيد :

« ليس للشعور ترجمان ، الا خفقان قلبك واختلاج لسانك ، واضطراب بيانك : لقد زرت فلسطين فأحببت فيها فوق حبى لذاتها حبها لمصر ، شقيقتها ، ولعلى لا أغلو ان قلت ان حبى لمصر نفسها قد ازداد رسوخا فى قلبى ووضوحا

فى عينى .. بعد أن زرت فلسطين وسورية ولبنان من البلاد الشقيقة ولا عجب فان بلدا يحبها هذا الحب أشقاؤها أولى أن يحبها ، أكبر الحب أبناؤها ».

وبعد أن يشير مكرم عبيد ، الى زيارته والسيدة شقيقته وبعض أصدقائه ، الى فلسطين والاستقبال الرائع الذى استقبله به هو ومن معه الاخوة الفلسطينيون بحيث تأكد أنه فى مصر ، لم يفارقها فانه أصبح لنا نحن أبناء العروبة وحدة جديدة أساسها المحبة والولاء وغذاؤها الجهاد والفداء .. يقول :

« لقد اجتمعت محبتنا نحن العرب على أسمى المعانى وأروعها وذلك هو معنى الوطنية المحلية .. مصرية كانت أو فلسطينية أو عراقية أو شامية بل لقد سمت فأصبحت وطنية عربية شرقية مجاهدة متفانية متحدة ، اذا جد الجد ودعا داعى الوطن هادئة سالمة متفاهمة اذا نادى منادى التفاهم والسلام ، فهى مضرب الأمثال عند الغربيين ، ومفخرة لنا نحن الشرقيين » .

ثم قال :

« ليس أجمل ولا أروع من هذه الرابطة الروحية التى تجمع بيننا نحن الأمم الشقيقة ، ولا تنسوا ، أن الشقيق حقا ، ليس هو الشقيق جنبا بل هو الشقيق حبا · لقد أحب أبناء الأقطار الشقيقة بعضهم بعضها فلنزد هذا الحب قوة وبذلا ، نصبح له أهلا وبه أهلا » ·

★★★

وفى الحفلة التى أقامها الحزب الوطنى لتكريم شباب فلسطين ، القى الشاعر الأديب على أفندى منصور قصيدة عامرة حيا بها مصر ، وفلسطين ، وتحدث الأستاذ محمد شكرى كرشاه المحامى فأشار الى جهاد الحزب الوطنى فى سبيل الوحدة العربية والاستقلال · كما ألقى الأديب محمد أفندى ابراهيم جمعة كلمة قوبلت بالاستحسان ، وقام الأستاذ مصطفى أفندى الحفناوى فرحب بالفلسطينيين وتحدث اليهم عن تشكيلات البزاة والرسالة التى يسعون لتحقيقها فى مصر ، وفى الأقطار الشقيقة وقال ان هذه التشكيلات اذا قويت وتمكنت من نفوس الشرقيين فستكون القوة الجبارة التى تدك صروح الاستعمار وبذلك يحمل الشرقيون مشعل الحرية والحق ، فيعيدون الى أعمال الرسالة سيرتها الأولى !

وكان من بين كلمات حافظ بك رمضان رئيس الحزب الوطنى قوله ·

« لقد حضرتم من فلسطين وأنتم أدرى بأن هذه المنطقة من الارض هى التى انتجت الأنبياء ، الذين نشروا نور الحق والعدل ، وكان من خلفهم أنصار لهم عقائد كالجبال الشامخة ·· أولئك الذين جاهدوا وحملوا فى أعناقهم رسالة الانسانية فهل كان قائدهم عبر الاعتقاد الثابت فى حقوقهم أن بيننا وبين الفلسطينيين من الروابط التاريخية وروابط المدنية ما يحتم علينا أن نبنى وطنينا على العمل الصالح والخلق القويم » ·

★★★

ويوجه حافظ رمضان خطابه الى شباب فلسطين قائلا : « ابنوا وطنكم على العقائد وسخروا الوسائل المادية لتستخلصوا حقوقكم وتستردوا بضاعتكم : يجب أن ننظم فرقنا وقد قمنا بذلك فى مصر ، وجعلنا شعارنا « أد الواجب ودع ما يكون ، جعلنا من بيننا انه اذا كان للحياة مدخل واحد ، ومخرج واحد فاذا حررنا أفكارنا وحررنا وجداننا غزونا الحياة ، وغزونا الموت : أرجو أن تبلغوا تحياتنا لاخوتنا فى فلسطين فانه لابد وأن يأتى يوم نعمل فيه معا متضامنين ضد الغاصبين » ·

وتحدث الأستاذ سليم بك عبد الرحمن نيابة عن فلسطين وقال ان مؤسس فكرة الحزب الوطنى مصطفى كامل هو أول من رفع لواء الاستقلال وقاد القافلة فى بلاد المشرق ، وان مبادىء مصطفى كامل ، لا يجب أن يعتنقها المصريون وحدهم ولا العرب وحدهم ، وانما أمم الشرق قاطبة تلك التى تعمل للحرية والاستقلال .

***

ويتبادل الشباب المصريون والفلسطينيون القاء الأناشيد الوطنية والحرية وتعاهدوا جميعا على الجهاد فى سبيل تحرير العرب .

وفى وسط ، هذا الجو الوطنى ، الثائر ، ترفع مدرسة السعيدية الستار عن النصب التذكارى للمرحوم الطالب مصطفى أمين أول شهداء الوطن سنة ١٩١٩ ، وتحدث فى حفل ازاحة الستار من زملاء ، الفقيد محمد على رسمى ، وصلاح الدين حافظ الذى ألقى خطبة حماسية فياضة نالت التقدير والاعجاب » وكذلك تحدث شقيقه الأكبر حامد صدقى أمين أفندى ، وكان من بين ما قاله :

« نعم أنا أخوه وقد كنت بجانبه فى ذاك الوقت الذى استشهد فيه وما رأيته يسقط حتى أسرعت اليه وحملته مضرجا بدمائه ، وقد اعترانى من هول الموقف ، عاملان . حب الشقيق لشقيقه وحب المصرى لام الفداء مصر . ولقد كان العامل الثانى أقوى العاملين فتمالكت نفسى ورفعت الفقيد بما بقى فى أعصابى من قوة ، وهتفت لمصر بالخلود مرددا هتاف شقيقى الخافت نموت وتحيا مصر . وخارت قواى فارتميت بجسمى على الأرض وأسندت رأسه باحدى ذراعى وبالأخرى ضممته الى صدرى وهمست فى أذنه :

« أخى العزيز ما كنت أتوقع ، اننى سافقدك هكذا سريعا ولكن هى الحرية التى ننشدها ومطلبها غال ولا بد من دفع الثمن . وها أنت أول من دفع فلا تحزن وفى ذمة الله روحك الطاهرة ، وسوف تسطر لك دماك المسفوكة صحيفة بيضاء فى سجل الضحايا والشهداء ثم بكيت .. نعم بكيت لأننى رأيت أعز مخلوق لدى يحتضر بين يدى تعلمت أن السهم ، قد نفذ وانه لا راد لقضاء الله وقدره » .

***

« نجح على ماهر بوزارته الائتلافية فى التمهيد لبدء المفاوضات بين مصر وانجلترا فى عام ١٩٣٥ ، وتشكل بالفعل وفد المفاوضات .. لم تكن مصر وحدها ، بل كانت شقيقات عربيات لها تغلى بالثورة والانفعال ضد الانتداب الانجليزى فى فلسطين والانتداب الفرنسى فى سوريا ولبنان ، وبدأ التمهيد فى مصر لاجراء انتخابات عامة » .

● وفي الوقت ، الذى كان فيه وفد شعبي عراقي ، على مستوى عال يزور مصر ، ويلقى كل تكريم من كبار الشخصيات المصرية ، كانت سورية تغلي بالثورة . وكان مجلس النواب العراقي يدافع عن قضية سورية أمام الرأى العام الفرنسي حيث كانت فرنسا ، هي التي تحتل سورية ، ونقف قواتها العسكرية حجر عثرة في سبيل استقلال سورية . وكان مما جاء في الخطاب الذى أرسله رئيس مجلس النواب العراقى الى زميله رئيس مجلس النواب الفرنسي : « لا تستطيع الأمة العراقية أن تتغاضى عن شقيقتها سورية ، التى تربطها بها جامعة الاصل واللسان والعواطف وتتمسك الأمة العراقية بأواصر الصداقة مع الأمة الفرنسية الشريفة ان المسئولين عن ادارة سورية يناقضون بأخطائهم السياسية والاقتصادية ولا سيما للشركات صاحبة الامتيازات والمثل الأعلى والسمعة الحسنة التى نماها كبار الفرنسيين منذ خمسة قرون ، ويؤلمنا أكثر أن هؤلاء يقوضون الاعتبار الذى كسبته فرنسا في الشرق كحامية للانسانية ومدافعة عن حقوق الانسان » .

***

ويطالب رئيس مجلس النواب العراقى زميله رئيس مجلس النواب الفرنسي بالتحقيق بنفسه فيما اذا كانت هذه الأعمال والتصرفات التى تحدث اليوم فى سورية تتفق والمبادىء الانسانية التى بشرت بها فرنسا في خلال العصور ، واذا كانت تتفق والمبادىء الانسانية ، التى سن على أسسها الانتداب » .

ويرسل كذلك نائب ، الموصل ونواب البصرة ، وكثير من النواب العراقيين برقيات مماثلة الى المسئولين الفرنسيين والى جمعية الدفاع عن حقوق الانسان فى باريس وفى نفس الوقت ، كان صحفيون سوريون كبار يزورون مصر ، ويلقون الترحيب والتكريم من كل الصحفيين ، والكتاب المصريين ومن كبار السياسيين أيضا ، وكان من بين هؤلاء الصحفيين الأساتذة معروف الأرناءوط صاحب جريدة فتى العرب ، ونجيب الريس صاحب القبس ، ونصوح بابيل صاحب الأيام وتيسير ظبيان صاحب الجزيرة .

وبعد تلك الاطلالة العربية السريعة نعود الى الحديث عن الانتخابات والمفاوضات فلم يكن لمصر وقتئذ ــ عام ١٩٣٦ سوى الحديث عن الانتخابات والمفاوضات .

الفصــل الرابــع

ومع بداية المفاوضات

بدأت معركة الانتخابات كما بدأت الانقسامات الداخلية

وكانت معركة الانتخابات قد بدأت منذ أن سقطت وزارة اسماعيل صدقى ، كان الحديث عن الانتخابات لا يتوقف حتى فى أيام وزارة عبد الفتاح يحيى باعتبار أن نظام اسماعيل صدقى قد انهار بعد أن جيء ، بعبد الفتاح يحيى ، ولما جاءت وزارة نسيم باشا ، بدأ الحديث جديا عن تقسيم الدوائر ، وبدأ المرشحون ــ كما هو العادة ــ يعيدون الاتصال بدوائرهم و .. و .. وكانت الأحزاب ترغب ــ فيما عدا الوفد ــ فى تقسيم الدوائر ، بحيث يكون من نصيب الوفد المصرى كذا دائرة ، والأحرار الدستوريين كذا دائرة و .. و .. ولكن الوفد كان مصرا على عدم قبول تلك الفكرة ، التى كانت تلح عليها بقية الأحزاب الأخرى ، وان كان فى النهاية قد أبدى استعداده لعدم ترشيح وفديين فى الدوائر التى يرغب أعضاء وفد المفاوضات المصرى فى ترشيح أنفسهم فيها ، حتى يجنب هؤلاء الأعضاء مشقة عملية الانتخابات .

★★★

وفى ٢١ مارس ١٩٣٦ بدأ الوفد يعلن عن ترشيحاته ومن بين هؤلاء المرشحين ــ مثلا ــ أحمد حمدى سيف النصر بك ، قسم مصر القديمة : عبد المجيد الرمالى أفندى ، قسم السيدة زينب ، الدكتور أحمد ماهر ، قسم الدرب الأحمر ، أحمد حافظ عوض : قسم باب الشعرية ، زهير صبرى قسم بولاق ، كامل صدقى : قسم الأزبكية ، الدكتور نجيب اسكندر : قسم شبرا .

وفى الاسكندرية : الأستاذ عبد الفتاح الطويل ، قسم محرم بك ، محمود فهمى النقراشى ، قسم الجمرك ، حسن سرور ، قسم كرموز ، ممدوح رياض قسم المنشية ، عزيز أنطون ، قسم اللبان .

★★★

وفي محافظة دمياط حسين البدرى بك : دمياط ٠٠ وفي القليوبية : د٠ حامد محمود ــ طوخ ، ميخائيل غالى ، العمار ، أحمد حمزة ــ نوى ــ البرادعة: محتفظ بها ــ كما جاء في قرار الوفد المصرى ــ لحضرة صاحب السعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا ، عضو الوفد المصرى ، محمد عبد الهادى الجندى ــ الغربية ، واحتفظ الوفد المصرى بدائرة القنايات لعلى الشمسى باشا عضو ، الهيئة الرسمية للمفاوضة وكان من بين مرشحى الوفد أيضا ، في الشرقية ــ حسن مرعى بك ــ دائرة التلين ٠ على السيد أيوب ، التل الكبير ٠ محمد فتحى المسلمى الدهتمون ٠ محمد فريد الطاروطى ، بنى حريد ، شيخ العرب محمد السعدى الطحاوى ، جزيرة مسعود ٠ ومن مرشحى الدقهلية : مصطفى نصرت (ميت أبو خالد) سيد سعيد الرحمن سليم (البوها) محمود عبد النبى بك : أجا ، راغب فودة (ديرب نجم) حسن فودة السنبلاوين اسماعيل رمزى باشا تمى الامديد ، محمود نصير بك : مدينة المنصورة ، أحمد نجيب الهـــلالى بك ، « المطرية » ٠ ابراهيم عبد الهادى : الزرقا ، طاهر اللوزى : فارسكور ٠

وفي المنوفية : أشمون ، محتفظ بها لسعادة محمد حلمى عيسى باشا عضو الهيئة الرسمية للمفاوضات ، أحمد صبرى أبو علم ، (منوف) ، أنطون جرجس أنطون (بركة السبع) ٠

***

وفي الغربية عبد السلام فهمى جمعة بك مدينة طنطا ، وسمنود ومنشأة الصباحى ، محتفظ بها لاسماعيل صدقى ، باشا ، وعوض الجندى « سنباط وحصتها » ، حسين المراسى « بسيون » عثمان محرم دسوق ، عمر عمر « كفر الشيخ » ، فؤاد سراج الدين ، بلقاس أول ، عبد العزيز البـــدراوى ، ميت أبو غالب ، سيد محمد البدراوى باشا ، نبروه ، السيد عبد الهادى القصبى ، طنطا دولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشـــا ، سمنود ٠ د٠ حيـــدر الشيشينى ، المحلة الكبرى ٠

***

وفي البحيرة محمد سليمان الوكيل باشا ، مدينة دمنهور ، عبد الواحد الوكيل ، المحمودية ، محمد محمد الوكيل ، مركز دمنهور ٠

وفي الجيزة يحتفظ الوفد بدائرة تكلا لأحمد عبد الوهاب باشا ، وزير المالية ــ محمود سليمان غنام (تاج الدولة) ، محمد عزام « حلوان » ٠

وفي بنى سويف : محمد أمين الريدى (الواسطى) حسين يس « أشمنت » واصف بطرس غالى مديرية بنى سويف ٠

وفى مديرية المنيا دائرة السلطان حسن ، للأستاذ سامح موسى خريج جامعات انجلترا ومن الأعيـان دائرة مركز المنيـا ، محتفظ بهـا لفؤاد سلطان بك مدير بنك مصر ٠

★★★

وفى أسـيوط : دائرة الحواتكة لعبد الرحمن حفنى الطرزى أفنـدى « مدينة أسيوط » محمود بسيونى عضو الوفد المصرى ومحمد حامد جريدة « الحمراء » باقور ، الأستاذ عازر جبران : النخيلة ، الشيخ : محمـد أحمد الصدمى ٠ البربا — محتفظ بها لمحمد محمود باشا ، بنى محمد ، الشهابية ، شاكر غزالى بك بصرة ، سامى أخنوخ ، فاقوس ٠

★★★

وفى جرجا : سعد الدين أبو رحاب ، المنشاة ، خليل أبو رحاب ، أولاد حمزة ، برديس : أحمد على أبو ستيت ، البلينا ، محمد فؤاد أبو ستيت وفى قنا ، مكرم عبيد : دائرة قنا ٠ وفى دائرة قفط الشيخ محمد على اسماعيل ٠

★★★

ولقد استهدفت من ذكر ، بعض أسماء مرشحى الوفد التأكيد ، على أن الوفد كان يدرس جغرافية وتاريخ كل دائرة ويختار لها القادر على النجاح ، وليس الأكفاء ، انه كان يختار من الأسرة الواحدة مرشحين ، أو ثلاثة أو أربعة ويوزعهم على الدوائر بصرف النظر عن تواجدهم ، الدائم فى مقار دوائرهم أو عدم تواجدهم ، وكان مرشحو الوفد فى أية انتخابات حرة يفوزون بما لا يقل — ان لم يزد — على ٨٠٪ من عدد الدوائر ٠

★★★

وقد كان خلو كشف ترشيحات الوفد المصرى من اسم الدكتور محمد حلمى الجيار سببا فى قيام ثورة بين شباب الدقهلية الذين كانوا يعتبرون الجيار زعيما لهم ، وكانت مظاهرة ، عنيفة اشترك فيها غالبية طلاب المنصورة الذين ساروا فى مظاهرة كبيرة طافت بأنحاء المدينة مطالبة بترشيح الجيار وكان من بين هتافاتها الدكتور الجيار نائب المنصورة ، نريد نائبا قويا ، نريد نائبا يمثل الشباب ٠ الشباب لا يثق الا فى زعيمه ٠

★★★

ويصطدم المتظاهرون بالبوليس وكان مأمور بندر المنصورة قد هاله قيام مظاهرة عنيفة بعد أن هدأت البلاد ، فأمر رجاله باستخدام العصى الغليظة

لتشتيت شمل المتظاهرين ولكن المتظاهرين رغم قسوة الضرب ، وعنفه لم يتفرقوا وكان بينهم وبين رجال البوليس معركة حول العلم المصرى ، البوليس يريد أن يستولى عليه ، لأن الشباب يتبعون حامل العلم والشباب يدافع عن العلم بكل ما يملك من قوة ــ ورغم نجاح البوليس فى تمزيق العلم شر ممزق ، الا أن الشباب ظلوا متجمعين ، متجمهرين ، مارين بكثير من شوارع المنصورة الى أن وصلوا ، الى مستشفى الدكتور الجيار وكان فى شارع السكة الجديدة ، كما أذكر ، وهتف الشباب للدكتور الجيار وطالبوه بترشيح نفسه رغم عدم ترشيح الوفد له • وتحدث الدكتور الجيار ، مؤكدا تمسكه ، بمبادىء الوفد المصرى وزعامة الوفد المصرى ومعلنا انه سوف يرشح نفسه بعد استشارة الــوفد •

***

وفى اليوم التالى أذيع بيان الدكتور الجيار ــ وكان فعلا من قيادات الشباب القوية ، وربما كانت قوته هى مصدر عدم ترشيح الوفد له ، وكان البيان يحمل العنــوان التالى : « للوطن والمبدأ أقدم على ترشيح نفسى » • وقد نشرت جريدة روز اليوسف اليومية هذا البيان ، فى صفحتها الأولى ، وقد جاء فى البيان ما يلى :

« حملت علم الثورة فى سنة ١٩١٩ من يوم اشتعالها وأنا طالب بكلية الطب ولم ترهبنى الأحكام العرفية ولم يخفنى الموت حتى قبض على مع صاحب العزة عبد الرحمن بك فهمى فى قضية جماعة الانتقام ، فى مايو ١٩٢٠ وألقيت فى السجن محكوما على بخمسة عشر عاما فى فبراير ١٩٢١ ولما لم أطق صبرا ، على الحياة بعيدا عن ميدان الجهاد أعملت الفكر بعد أن عقدت العزيمة ونفذت ارادتى بالافلات منه فى نوفمبر سنة ١٩٢٢ والتجأت الى تركيــا حتى وزارة المرحوم زعيمنا سعد زغلول باشا الذى ضرب المثل الأعلى فى حرصه على رجاله واذكاء روح الوطنية الصادقة فيهم واستعجل عودتى من تركيا فعدت فى مارس سنة ١٩٢٤ الى مدرسة الطب طالبا مجــاهدا من جديد ، حتى كانت حادثة السردار المشئومة فى نوفمبر ١٩٢٤ اذ اختفيت ثم سلمت نفسى وقبض على مدة شهرين الى أن أفرج عنى • وقد تمكنت من أداء امتحانى فى السجن ونلت دبلوم الطب بعد هذا الجهاد العنيف فى ابريل ١٩٢٥ •

***

ويقول الدكتور الجيار : أنه عاون فى انجاح المرحوم ويصا واصف بك ومعاونيه فى الانتخابات وحارب جميع الوزارات الرجعية فناله منها ما ارتاح اليه من عنت واضطهاد ، وتعذيب ، وارهاق ، ويروى كيف عمل فى مستشفى

المنزلة المركزى فى وظيفة حكيمباشى الى أن فصله من وظيفته اسماعيل صدقى والى اعتقاله ، فى حوادث دكرنس ومحاكمته أمام محكمة الجنايات وتبرئته ، ويقول انه كان ومازال عضــوا فى لجنة الوفد العامة من سنة ١٩٢٥ واشترك فى جميع الهيئات التى تكونت أو كونها تحت لواء الوفديين من اتحاد العمال ولجان الشبان أو فرق الشباب الوفدى ٠

***

ويقول انه قبيل الانتخابات بفترة كافية رغب فى أن يرشح نفسه وانه فاتح « دولة رئيسنا الجليل ، وكثيرا من حضرات أعضاء الوفد فى الأمر » فلقيت من جميعهم عطفا وترحابا وتشجيعا ، ولكن على غير انتظار صدرت ترشيحات الوفد ، خلوا من اسمى ٠ فأرسلت فى الحال تأييدى الخالص للمبدأ وللزعامة ٠ ولقد شرفت بمقابلة دولة الزعيم أمس بعد استدعائى من المنصورة فلقيت من دولته العطف الخالص والتقدير الشامل ، والأسف الشديد لأنه حالت ظروف خاصة من اختلاف بينى وبين بعض اخوانى فى لجنة الوفد العامة بالدقهلية دون ترشيحى ولما كان هذا الخلاف لا يمت الى المبدأ أو العقيدة وانما يتناول بعض وجهات النظر مما هو طبيعى فى كل هيئة ، لا يبلغ من الأهمية درجة تحول دون حرمانى من تحمل قسطى فى الخدمة العامة ، فى النيابة كما كان الحال فى الماضى ، ولمـا كنت أحتفظ لهم ولغيرهم بكل ود واخــلاص قلبى ما دامت التضحية والتفانى رائد الجميع ، ولما كنت مستعدا ، أن أتعاون معهم ، ومع غيرهم ومع كل من يتقـدم لرفع علم الوفد عاليــا فوق الرءوس ، ولما كانت ترشيحات الوفد قد أباحت التقدم ، لشخصين فى دائرة واحدة حتى مع نائب سابق علاوة على أنها تركت دوائر لأشخاص لم يكونوا وفديين يوما ، من الأيام ، ورشحت آخرين من هذا الطراز فى غيرها ٠ ولما كان استعدادى ، دائما هو أن أضع حياتى ، وقدراتى ، ومالى ، فى سبيل مصر وتحت لواء الوفد ، وزعامته الرشيدة ، فانى أتقدم بهذا التاريخ وتلك الصفحة وهذا العهد مرشحا نفسى عن دائرة من دوائر الدقهلية فان وفقت فهاكم ميثــاقى لا أتحول عنــه وان لم أوفق فواجب ، أقوم به كما قال سعد فى الجمعية التشريعية خدمة لوطنى ، وارضاء لضميرى » ٠

***

ولما كان عبد الرحمن فهمى بك أحد كبار الشخصيات ، الفدائية فى مصر ، هو مدير سياسة جريدة روز اليوسف وكان حلمى الجيار من تلاميذ عبد الرحمن فهمى ومن العاملين معه فى الحقل الفدائى فقد فتحت روز اليوسف ، صدرها للدكتور حلمى الجيار ، الذى كانت معركته الانتخابية من أهم المعارك ، لأنها بدأت بمظاهرة من أخطر مظاهرات الشباب أكدت لحكومة على ماهر أن استقرار

الأمور فى عهده وزارته ليس ثابتا أبدا وانما هو استقرار مؤقت ، مزعزع لا يستطيع أن يقف أمام قوة الشباب المصرى » .

***

وكان الأزهر ، فى تلك الأيام قد احتفل بعيد الهجرة وكان الحزب الوطنى هو وحده دون الأحزاب المصرية ، الذى احتفل أيضا ـ استمرارا للتقاليد التى أرساها مصطفى كامل ، ومحمد فريد ـ بتلك الذكرى العطرة .

وكان شباب الوطن الاقتصادى ـ وهم جماعة من خيرة شباب مصر رأت أن الاستقلال السياسى لا يتم ، الا بالاستقلال الاقتصادى ـ هؤلاء الشباب طلبوا من الأستاذ عباس محمود العقاد أن ينظم لهم نشيدا وطنيا يرتلونه فى مهرجاناتهم واستجاب العقاد لرغبة الشباب فكان هذا النشيد الذى كتبه العقاد ، ولحنه ابراهيم عز الدين المحامى وجاء من بين كلمات النشيد :

قد رفعنا العلم
للعلا والفداء
فى ضمان السماء
حى أرض الهرم
حى مهد الهدا
حى أم البقاء
كم بنت للبنى
مصر أم البناء
من عريق الجدود
آية الخالدين
من يهبها الحياة
وهبته الخلود

***

وبينما المفاوضات المصرية البريطانية تجرى بهمة ونشاط ، وبينما معركة الانتخابات لمجلس النواب ومجلس الشيوخ ، فى مصر تجذب انتباه كل الجماهير المصرية اذا بالمستر سانديز عضو مجلس العموم البريطانى يسأل مستر ايدن ، عن سير المفاوضات المصرية البريطانية . ولا يجيب مستر أنتونى ايدن بأكثر من قوله :

« ان المحادثات التمهيدية للمفاوضات للوصول الى تسوية ، ما زالت سائرة ولم يحن الوقت بعد للادلاء بتصريح فى هذا الموضوع .

وبينما المفاوضات المصرية البريطانية تجرى بهمة ونشاط ، وبينما معركة الانتخابات لمجلسى الشيوخ والنواب تجذب انتباه الرأى العام المصرى ٠٠ اذ بعاصفة مثيرة تحدث فى مجلس العموم البريطانى ، تشد الانتباه فى مصر ٠٠ فبعض النواب البريطانيين حاولوا احراج الحكومة ، وأثاروا قضية اشتراك الدكتور أحمد ماهر والأستاذ محمود فهمى النقراشى فى وفد المفاوضات المصرية ـ البريطانية ، وقد سبق أن أشرنا الى سؤال المستر ساندير عضو مجلس العموم للمستر ايدن وزير الخارجية البريطانية عن سير المفاوضات ، ورد المستر ايدن عليه ٠٠ ثم تواصلت الأسئلة والردود ٠

★★★

● يسأل المستر كارتلاند المستر ايدن ، عما اذا كان يمكنه أن يذكر أسماء أعضاء الوفد الذين حوكموا فى محكمة القاهرة سنة ١٩٢٦ فى مؤامرة اغتيال السردار ٠ وهذا السؤال لم يكن أحد يتوقعه على الاطلاق خاصة وأن القضية انتهت وان اثارة مثل هذا الموضوع بينما المفاوضون المصريون والمفاوضون البريطانيون ، يقومون ، بعملهم لا يهدف الا الى اثارة الحزازات القديمة من جانب بعض النواب البريطانيين ٠

وقد أخطأ مستر ايدن ، خطأ شنيعا عندما قال : لقد حوكم فى هذه القضية تسعة كان من بينهم شفيق منصور عضو الوفد المصرى ٠ ولم يكن شفيق منصور فى يوم ما عضوا فى الوفد المصرى ٠

ويسأل نائب آخر هو مستر لينوكس بويد : عما اذا كان من المرغوب فيه أن يكون أحد الأشخاص على الأقل ، الذين اعتبرتهم الحكومة البريطانية مدانين رسميا ٠٠ عضوا فى الوفد المصرى المفاوض ؟ ٠ ويطلب مستر ايدن من النائب المحافظ أن يدون سؤاله كتابة فطرح النائب لينوكس سؤاله ، بالصورة التالية :

هل يذكر مستر ايدن أن اللورد لويد بصفته مندوبا ساميا نشر بيانا فى مصر ، يصرح فيه بأن الحكومة البريطانية لا يمكن أن تفاوض مرة ثانية أى واحد من هؤلاء ، الأشخاص ؟

ويجيب مستر ايدن بقوله : أظن أن مثل هذه الأسئلة الخطيرة يجب أن تترك ٠

★★★

وكان الهدف من سؤال مستر لينوكس احراج أحمد ماهر ، والنقراشى عضوى الوفد المصرى وعضوى وفد المفاوضات المصرى وكانا من بين المتهمين فى احدى قضايا الاغتيالات التى تمت فى سنة ١٩٢٥ ٠

ويسأل المستر ايدن فى مجلس العموم البريطانى عن عدد المحامين فى الوفد المصرى وأسمائهم ، فيجيب : ان ما لديه من المعلومات يدل على أنه ليس هناك خبراء قانونيون منضمون الى الوفد المصرى ، ولو أن بعض أعضاء الوفد المصرى من المحامين ، أو ممن تلقوا دراسات قانونية ٠

ويسأل المستر دونر عضو المجلس نفس السؤال ، الذى سبق أن سأله مستر لينوكس بويد ، عما اذا كان موقف أحمد ماهر ، والنقراشى من الحكومة البريطانية يدعو الى عدم الرغبة فى أن يشترك هــذان الرجلان فى المحادثات الانجليزية ـ المصرية ٠

ويجيب المستر ايدن بقوله : ان النقراشى كان عضوا فى الوفد المصرى الذى تفاوض فى سنة ١٩٣٠ بينما اصطحب أحمد ماهر الوفد كخبير فنى فنظرا لهذه الحقائق تكون الحجة التى استند اليها المستر دونر لا قيمة لها ٠

ويعود مستر لينوكس بويد الى سؤال وزير الخارجية البريطانية ، ولكن بصيغة أخرى ٠٠ فيقول : كان تصريح رئيس االحكومة البريطانية فى يونيو ١٩٢٦ والخاص بتبرئة المتهمين الأربعة فى مؤامرة اغتيال السردار ، ومن بينهم أحمد ماهر ٠٠ وهذه التبرئة لا يمكن أن تقبلها بريطانيا كدليل على براءته ٠٠ هل لا تزال وجهة نظر الحكومة البريطانية كما هى ؟!

ويقول المستر ايدن : ان السائل مخطىء فى سؤاله ، فانه لم يصدر عن الحكومة البريطانية مثل هذا التصريح بشأن محاكمة الذين اتهموا فى مؤامرة اغتيال السردار ٠

***

ويسأل المستر كارتلاند عما اذا كان الأســتاذ أحمد ماهر ، والأســتاذ النقراشى حوكما بتهمة التآمر على قتل السردار ؟ فيجيب المستر ايدن بالنفى ٠

وفى نهاية الأسئلة يثير المســتر تشرشل مسألة ترتيب سؤال المســتر كارتلاند ، فيقول : انه كان على المتكلم أن يلاحظ أن سؤاله يتضمن اتهامات خطيرة ضد سيدين من أعظم رجالات السياسة المصرية البارزين ٠ وقد صرح وزير الخارجية بأن الأسانيد التى يلجأ اليها السائل لا أساس لها ـ وهو أى تشرشل ـ يفهم أن القاعدة التى يسير عليهــا المجلس ، ان الأعضــاء يقبلون المسئولية عن البيانات التى تتضمنها أسئلتهم ٠

***

وقال ـ أى تشرشل ـ انه كان على المستر كارتلاند قبل أن يدلى بمثل هذه البيانات الخطيرة أن يتأكد انها حقيقية ، فاذا ما أدلى عضو ببيانات من هذا النوع دون أن يكون متأكدا من صحتها ، فان فى ذلك خرقا بالغا لنظام المجلس .

ويدافع المستر كارتلاند عن نفسه قائلا :

« بشـأن مسألة النظام ، التى أثارها المستر تشرشل ، هل يمكننى أن أقول انه بحسب ما أعرف عندما توجهت بسؤالى أن الوقائع صحيحة من جميع الوجوه ولم يكن لدى متسع من الوقت عندما أعتزم المستر تشرشل أن يثير مسألة النظام ، أن أدلى ببيان من ذى اختصاص ، أكثر مما جاء فى كتاب كتبه رئيس الوزارة المصرية السابق استعرض فيه هذه الحقائق الخاصة . فقد ذكر الكتاب أن هذين السيدين حوكما فى القاهرة،وأطلقت محكمة الموضوع سراحهما فى الخامس والعشرين من شهر مايو ١٩٢٦ . وكانت المحاكمة قد بدأت منذ شهر مارس . ففى هذه الوقائع أعتقد ان بياناتى صحيحة » .

ثم استطرد مستر كارتلاند قائلا :

« ان القاعدة الخاصة بالأسئلة معروفة . ان السائل والمدلى ببيان مسئول عن البيانات الواردة فى سؤاله . وانى أرى انه لا يمكننا أن نفعل أكثر من ذلك » .

***

ويعود مستر كارتلاند فى جلسة تالية الى اثارة موضوع الدكتور أحمد ماهر والأستاذ النقراشى .

فيسأل المستر كارتلاند وزير الخارجية البريطانية مرة أخرى قائلا :

« هل تعلم أن الدكتور أحمد ماهر والأستاذ النقراشى العضوين فى الوفد المصرى قد حوكما فى عام ١٩٢٦ بتهمة التآمر على القتل ، وانهما حاولا أن يغتالا كثيرين من البريطانيين والمصريين ؟ ـ وهل تعلم أيضا ـ والسؤال موجه الى وزير الخارجية البريطانية ـ ان المندوب السامى البريطانى هو الذى ناب عن الحكومة البريطانية فى اخطار رئيس الوزارة المصرية ، بأن الحكومة البريطانية تأبى أن تقبل أن يكون اطلاق سراح هذين السيدين ـ أحمد ماهر والنقراشى ـ دليلا على براءتهما ؟

***

ويجيب فى هذه المرة اللورد كرامبورن الوكيل البرلمانى لوزارة الخارجية قائلا :

« نعم ان الوقائع كما ذكرها العضو المحترم فى سؤاله صحيحه ولكن يجدر بى أن أوضح كما بين ذلك المستر ايدن أمس « ٥ ابريل ١٩٣٦ » .

ان الدكتور أحمد ماهر والأستاذ النقراشى لم يحكم عليهما فى مؤامرة اغتيال السردار » .

ويسأل مستر كارتلاند :

« هل كانت هذه الوقائع معروفة لدى وزير الخارجية ، عندما وافق على كيفية تأليف وفد المفاوضة المصرى وشخصياته . وهل ظن انه من المستحسن ـ نظرا لماضيهما ـ ان يفاوض هذان الرجلان الحكومة البريطانية ؟ » .

ويرد المستر كرانبورن قائلا :

« نعم لقد كانت هذه الوقائع معروفة ، وواضح لدى المجلس ان هذه الحقائق ليست توصيات ، ولكن يجدر بى فى الوقت نفسه أن أقول ان هذه ليست المرة الأولى التى يشترك فيها هذان السيدان فى مفاوضات مع الحكومة البريطانية . فقد اشتركا فى مفاوضات عام ١٩٣٠ » .

ويسأل المستر دونور :

« لماذا تجارى الحكومة الوطنية « المحافظة » سياسة الحكومة الاشتراكية « العمالية » .. وخصوصا اذا كانت الخطة التى سار عليها الاشتراكيون قد انتهت بفشل المفاوضات ؟ » .

***

ويجيب اللورد كرانبورن بقوله :

« انى أظن أن أعضاء جميع أحزاب المجلس يرغبون أن تؤدى المفاوضات الى تسوية حسنة دائمة بين بريطانيا ومصر . وانى أرى انه من غير المرغوب فيه التحامل على نجاح المفاوضات بالاعتراض على اشتراك هذين العضوين » .

ويسأل مستر الينوكس : عما اذا كان يظن ان النية الحسنة الدائمة بين بريطانيا ومصر تنال عن طريق الضعف فى هذه القضية ؟

***

ويجيب اللورد كرانبورن بقوله :

« ان النية الحسنة الدائمة تنال عن طريق النجاح فى المفاوضات » .

ويســأل المستر ترتل قائلا : هل نفهم من الجواب أن التصريحات التى تضمنها سؤال أمس ، بأن الاعتراض الذى أبدى هو فى الحقيقة غير صحيح وان

النقراشي وماهر لم تثبت عليهما تهمة المؤامرة ، مؤامرة قتل السردار وانه من المعروف أن مبادىء القانون الانجليزى ، ان الرجل يعتبر بريئا الى أن يقدم الدليل على ادانته » .

ويجيب اللورد كرانبورن عن القسم الأول من السؤال قائلا :

« انى أظن أن الموقف الحقيقى قد وضح بأجابتى .. » .

وأجاب عن القسم الثانى قائلا : « الحقيقة هى ان المحكمة لم تحكم بادانه هذين السيدين » .

ويسأل المستر سانديز : « أولم تكن الفقرة الوحيدة غير الصحيحة الواردة فى بيان المستر كارتلاند هى قوله : ان الدكتور أحمد ماهر والأستاذ النقراشى قد أدينافى مؤامرة اغتيال واحدة .. بدلا من ست مؤامرات ؟ » .

ويرفض اللورد كرانبورن الرد على هذا السؤال .

وتهتم الصحافة المصرية اهتماما بالغا بهذه الحملة الطائشة على الدكتور أحمد ماهر والأستاذ محمود فهمى النقراشى . وتتولى الصحف المصرية من جميع الأحزاب ، من كل الأحزاب المصرية — وليس من حزب الوفد وحسب — الرد على هذه الحملة .

***

وكان مما قاله الأستاذ عبد الرحمن بك فهمى — أستاذ النقراشى وماهر وغيرهما من قادة العمل الوطنى الفدائى :

« يقول هؤلاء المتصايحون بالسخف ، ان الأستاذين الكبيرين ماهر والنقراشى يجب الا يكونا ضمن أعضاء الوفد المصرى الرسمى ، وانهما اتهما فى جريمة وبرئا من التهمة ، ومن العدل أن نثنى على موقف وزير الخارجية البريطانية من هذه الحملة المدبرة ، لقد كان موقفه على شىء كبير جدا من النبل والانصاف ، ولكننا نتجاوز هذا لنسأل أولئك المتحاملين : ألم يكونوا على علم حين بدأت مفاوضات ١٩٣٠ بأن الدكتور ماهر وقد كان مستشارا فى الوفد الرسمى المفاوض ، والأستاذ النقراشى وقد كان وزيرا فى ذلك الحين .. كانا متهمين بريئين ؟ .. لاشك أن النواب المتسائلين كانوا على علم بذلك . ولكنهم لم يعكروا الجو اذ ذاك .. لأن أحدا يدفعهم الى ذلك وهم يعكرونه اليوم ، لأنهم مدفوعون الى ما فعلوا فالذنب ليس ذنبهم ، وانما هو ذنب المحرك الراصد من وراء الستار . ولاندرى حتى الآن أهو مصرى — كما تلوك بعض الألسن — أم بريطانى على ما نعتقد .. أم هو خليط من هذا وذاك » .



ويقول الأستاذ عبد الرحمن فهمي :

« ان الأستاذين النقراشي وماهر ، أرفع من أن تنال منهما حملة كتلك الحملة الطائشة ٠ وانهما العلمان من أعلام مصر، يعرف قدرهما الوطن ٠ وحسبهما من مجد أن حاول أعداؤهما النيل منهما . فارتدت على الأعداء دعواهم ، وظفر الوطنيان الصادقان بما هما أهل له من تقدير الخصوم والأصدقاء على حين ظفر المتحاملون عليهما بالهزيمة والخذلان » ٠

والجدير بالذكر أن قضية اغتيال السير لى ستاك ـ سردار الجيش المصرى ـ صدر الحكم فيها فى ٧ يونيو ١٩٢٥ ـ وكانت المحكمة مؤلفة من : أحمد عرفان باشا رئيسا ، والمستر كيرشو ، ومحمد مظهر بك عضوين وكان الحكم فى هذه القضية بالاعدام على كل من : عبد الفتاح عنايت الطالب بمدرسة الحقوق وقد خفف الحكم بالنسبة له من الاعدام الى الأشغال الشاقة المؤبدة ٠ ونفذ حكم الاعدام فى كل من : عبد الحميد عنايت الطالب بمدرسة المعلمين العليا ، ابراهيم موسى الخراط بالعنابر ٠ محمود راشد المهندس بالتنظيم ٠ على ابراهيم موسى الخراط بالعنابر ٠ حسن النجار بمصلحة تلغرافات الحكومة ٠ شفيق منصور المحامى ٠ محمود أحمد اسماعيل الموظف بوزارة الأوقاف ٠

وكان الحكم بالنسبة لسائق السيارة التى نفذ بها المتهمون حادث الاغتيال ، وهو محمود صالح ، السجن عامين ٠

***

والجدير بالذكر أيضا انه على اثر مقتل السردار اتجه التحقيق فى عهد وزارة زيور باشا الى ايجاد صلة بين حادث مقتل السردار وحوادث القتل التى وقعت على البريطانيين من قبل ٠ ووجه الاتهام الى بعض أئمة الوفد وهم : الدكتور أحمد ماهر ، والاستاذ محمود فهمى النقراشى ، والأستاذ حسن كامل الشيشينى ٠ كما اتهم فى هذه القضية أيضا عبد الحليم البيلى بك ٠ ومحمد فهمى على ٠ ومحمود عثمان مصطفى ، والحاج أحمد جاد الله ٠ وكانت هيئة المحكمة مؤلفة من المستر كيرشو رئيسا ، وكامل ابراهيم بك وعلى عزت بك عضوين ٠ وكانت هذه القضية من أهم القضايا السياسية حتى ذلك التاريخ وقد ترافع فيها مصطفى النحاس ، ومرقص حنا ، ومكرم عبيد ونجيب الغرابلى ، وسلامة ميخائيل ، ومحمد يوسف ، عن الدكتور أحمد ماهر والأستاذ النقراشى ٠ كما ترافع فيها الأستاذان أحمد لطفى ومصطفى الشوربجى من أقطاب الحزب الوطنى عن الأستاذ حسن كامل الشيشينى باعتباره أيضا من قيادات الحزب الوطنى ٠٠ كما ترافع أيضا الأستاذ زهير صبرى عن محمد فهمى على ، والأستاذ ابراهيم رياض عن أحمد جاد الله ٠ والأستاذ عبد الله حسين عن محمود عثمان مصطفى ٠ ووهيب دوس عن عبد الحليم البيلى ٠

وفى ٢٥ مايو ١٩٢٦ صدر الحكم بالاعدام شنقا على : محمد على فهمى وبراءة جميع المتهمين الآخرين ٠

★★★

والجدير بالذكر أيضا أن القاضى كيرشو لم يكن موافقا على براءة ماهر والشيشينى والحاج أحمد جاد الله ومحمود عثمان مصطفى ٠ وقد قدم استقالته من وظيفته بعد الحكم ، وبناها على اعتراضه على براءة هؤلاء وخرج على التقاليد القضائية المرعية وهى الحفاظ على سرية المداولة ٠ اذ لا يليق بالقاضى أيا كانت الظروف التى تحيط بنظر القضية أن يفشى أسرار المداولات التى يجريها القضاة فيما بينهم وبين بعضهم ، حيث تعتبر تلك المداولات سرية للغاية ، ولا يجوز أبدا الافصاح عن هذه المداولات فيقول هذا القاضى : كنت موافقا على الادانة ، أو كنت معترضا عليها ٠ كما فعل المستر كيرشو ٠٠ الذى أذاع سر المداولات التى جرت بينه وبين زميليه كامل ابراهيم بك وعلى عزت بك ٠

وقد قال كيرشو ، انه كان معترضا على براءة الدكتور أحمد ماهر ، والشيشينى ، وجاد الله ، ومحمود عثمان مصطفى ، وكان يرى ادانتهم بعكس زميليه فى هيئة المحكمة ٠

ويقوم المندوب السامى البريطانى بابلاغ الحكومة المصرية ، أن الحكومة البريطانية ترفض قبول حكم المحكمة بالنسبة لهؤلاء الأربعة كدليل على براءتهم من التهم الموجهة لهم ٠

★★★

والجدير بالذكر كذلك ان مصطفى حنفى بك رئيس نيابة الاستئناف ، وممثل النيابة العامة فى هذه القضية قد روى فى مرافعته « تاريخ الاجرام السياسى فى مصر » ٠٠ وكان من بين ما قاله فى مرافعته :

« الآن انتهى واجب مهنتى ، وبقى واجب وطنى ٠ واذا كانت هذه المهنة قد منعتنى فى الماضى أن أدلى برأى فى هذه المسائل التى أقلقت البال أعواما طوالا ، فان هذه المهنة نفسها هى التى وقفتنى اليوم هذا الموقف ، فأتاحت لى فرصة قلما تسنح مرة أخرى فمن الواجب ألا أتركها تمر دون أن أقول كلمة فى سبيل بلادى ٠ وقد لا أكون فى هذه الكلمة الا معبرا عن رأيى الخاص ، دون أن أمثل أحدا ٠٠ ان هؤلاء المتهمين أقلية ضئيلة ، بل أقلية تافهة لا تعبر الا عن رأيها ، فعليهم وحدهم أن يحملوا مسئولية أعمالهم ، وعليهم وحدهم أن يحملوا تبعتها ٠ واذا كانت هذه التحقيقات أيضا ، لم تثبت وجود أية صلة بين هذه الفئة القليلة وبين أية هيئة سياسية ، فمن الانصاف أن نقرر هنا أن مجموع الأمة برىء من هذا الاجرام ٠

« تحكمون بادانة المتهمين أو ببراءتهم ، حسبما تستريح اليه ضمائركم الطاهرة ، ولكنكم ستقضون حتما بأن مصر بريئة من الاجرام والمجرمين ، وستظل سائرة فى طريقها المشروع نحو غايتها المنشودة رافعة راية السلم حتى تتبوأ بين الأمم مركزا يليق بتاريخها الخالد المجيد » ٠

وكان من بين ما جاء فى مرافعة الأستاذ مكرم عبيد :

« لقد أثارت هذه القضية بين الناس على تباين نزعاتهم وأهوائهم شديد اهتمامهم وكامن عواطفهم ، وهذا طبيعى لأن القضية سياسية ، والسياسة كانت ولا تزال مسرحا لكل عاطفة ، وسوقا لكل شهوة ، وميزانا لكل ضعف وكل قوة ٠ ولقد نتج عن هذا الخلط بين السياسة والقانون أن اختلطت فى القضية أسباب الحق بالباطل والعدل بالظلم والصدق بالكذب حتى أصبحت مجمعا لكل تناقض ومضربا لكل مثل » ٠

***

وقبل أن ينهى مكرم عبيد مرافعته يقول :

« من سوء حظ البشرية أن هناك نفوسا اذا لم تكبح تجمح ، اذا لم ترعو لا تستحى ٠ وهناك نفوس تجزع ونفوس تطمع ٠٠ وهكذا فالاستثناء ــ أى الاجراءات الاستثنائية فى الاتهام والتحقيق ــ مهما تلطفنا فى تسميته هو الظلم بعينيه ــ لانه يفتح الباب لكل شهوة ، ويتنافى مع كل مساواة ٠ ولهذا قلت ان الناس قلقوا وأوجست نفوسهم خيفة ، لان كل ظلم مهما كان فرديا ، فهو ظلم مزدوج ٠ ظلم واقع على الفرد ٠ وظلم يهدد المجموع » ٠

وينهى مكرم عبيد مرافعته بقوله :

« يا حضرات المستشارين لقد انتهى واجبى كمحام ، ولا ريب أن واجب المهنة يتطلب كثيرا من الصنعة ٠ وانه فيما بين الأوراق والدوسيهات وشهادة الشهود والاتهام والدفاع يخلق جو خاص هو جو المحاكم ٠ وكثيرا ما تضيع على المتهم شخصيته فى وسط هذا الزحام العلمى ، فيصبح المتهم ويمسى ٠٠ فاذا به قد تحول الى نظرية قانونية أو دليل يتراشقه الخصمان ٠٠النيابة والمحاماة٠٠ فهو فى نظر النيابة مندمج فى الاتهام ، وفى نظر المحاماة هو عبارة عن الدفاع . أما شخصيته ٠ اما حريته ٠٠ اما عواطفه فهى فى نظر الاتهام مسألة ثانوية طالما أن القضية « مخدومة » ٠٠ وانى أؤكد لحضراتكم انه ليس أقسى على المتهم من هذا التجرد من شخصه ٠٠ هذا التنكر عن أهله وجنسه ، فاذا دخل ، فالى سجن ٠ واذا خرج فالى قفص ٠ يجب ألا ننسى أن المتهم الذى هو فى السجن « نمرة » ٠٠ هو فى بيته حياة ومحبة ٠ يجب ألا ننسى أن المتهم الذى هو فى نظر النيابة اتهام هو فى الوقت نفسه أب وزوج وولد وأخ وصديق ٠٠ فلا

تعجبوا اذن يا حضرات المستشارين اذا كلمتكم عن هؤلاء المتهمين كأشخاص وبشر ، فأنتم ولله الحمد لستم قضاة أوراق ، كما وصف حضرة قاضى الاحالة نفسه ، أنتم وانى لأرتجف من هول ما أنتم ـ أنتم قضاة نفوس بشرية أودع الله مصيرها فى كلمة تخرج من أفواهكم • فأنتم لسان الله ، وصوت القدر ، فاقضوا اذن بيننا وبين شفيق منصور ذلك المجرم الذى قضى الله عليه مرات عديدة قبل أن يقضى عليه بشر •• اقضوا بين ضعفنا وقوة من اذا قال قدر ، فأنتم أقوى وأنتم أقدر » •

***

والجدير بالذكر أخيرا •• أن دكتور شفيق منصور ، وكان من قبل عضوا سابقا ومنتميا الى الوفد المصرى كان هو الذى اعترف أو هو الذى قدم اعترافات مكتوبة ـ قبل أن يذهب الى لقاء ربه متجها الى حبل المشنقة ـ تضمنت اعترافات كثيرة بدور النقراشى وماهر والشيشينى •• وغيرهم وغيرهم من المتهمين فى تلك القضية •• وكانت اعترافات شفيق منصور هى الأساس الذى اعتمدت عليه النيابة فى توجيه الاتهامات الى ماهر والنقراشى وغيرهما •• ممن أحيلوا الى المحكمة فيما سمى بقضية الاغتيالات السياسية •• أشهر القضايا السياسية التى عرفتها مصر حتى ذلك التاريخ والتى انتهت فى ١٩٢٦ •• ثم جاء نواب بريطانيون ليثيروا الأحكام الواردة فيها بعد عشر سنوات كاملة •

***

ووسط هذه الأجواء السياسية والوطنية الملتهبة تقع بعض الأحداث التى تعطى دلالات هامة وخطيرة على مدى التوتر والقلق الذى كان يصيب الكثير من جماهير الشعب كما تعطى فى نفس الوقت دلالات أكثر أهمية : وخطورة على مدى يقظة الشعب وحرصه على الحصول على كل حقوقه كاملة غير منقوصة وعدم التفريط فى أى من هذه الحقوق كبيرا كان ذلك الحق ، أم كان صغيرا تقع مثلا الأحداث الأليمة الدامية فى سورية الشقيقة فسرعان ما يتجاوب شعب مصر ، وفى مقدمته شبابه ويتكون وبسرعة عجيبة اتحاد الطلبة الشرقيين ويعقد الاتحاد أول اجتماع له فى نادى الجامعة المصرية ، تحضره أعداد وفيرة من شباب العراق وسورية وفلسطين واليمن وجاوة « أندونيسيا » والحجاز والمغرب وتركيا ، والهند ، والصين والسودان وأفغانستان والحبشة ، ومصر ويدعو الاتحاد كل شباب البلدان الشرقية الى الانضمام تحت لواء الاتحاد ويدعو الاتحاد الشعب المصرى الى القيام بصلاة الغائب ، حدادا على شهداء سورية الشقيقة اثر أداء صلاة الجمعة ويبرق المجتمعون الى دولة هاشم بك الأتاسى رئيس الكتلة الوطنية بسورية يعربون عن خالص تأييد شباب الشرق لمطالب أبناء سورية الأحرار على الأساس الذى ارتضته الكتلة الوطنية ويمجدون فى شخص هاشم بك

الأتاسى بطولة الشعب السورى وتضحياته فى سبيل حريته وكرامته ويستنكرون تلك الأساليب الوحشية التى لجأت اليها القوة الغاشمة التى اعترفت مرغمة بسوء سياستها وأعلنت رغبتها فى الاتفاق مع الأمة السورية ٠

***

وكان الاتحاد العام لهواة التمثيل قد أعد حفلة خيرية العائلة مصرية كريمة أخنى عليها الدهر ، ولكن الاتحاد يؤثر ضحايا الحرية فى سوريا على العائلة المصرية الكريمة التى أخنى عليها الدهر فيخصص ٥٠٪ من ايراد الحفلة لضحايا سورية تلبية لنداء مؤتمر علماء المسلمين الذى انعقد فى ١٤ فبراير ١٩٣٦ تحت رئاسة صاحب السماحة ، محمد أفندى أمين الحسينى وكان د٠ أحمد ماهر يدير سياسة جريدة « كوكب الشرق » لسان حال الوفد المصرى غير انه نظرا لانشغاله بالمباحثات المصرية البريطانية كعضو فى الوفد المصرى اضطر الى التخلى عن هذا العمل فاذا بالصحف المصرية ، كل الصحف المصرية مؤيدة ، أو معارضة ، للوفد تودعه وداعا حارا وتذكر له كلها ـ كل الصحف ـ جهوده الجبارة ، ونشاطه العظيم فى خدمة الصحافة و ٠٠ و ٠٠

***

وتأبى جمعية مصر الفتاة ، الا أن تحتفل بالعيد الأكبر ـ عن عام ١٣٢٤هـ ـ احتفالا من نوع خاص فيذهب جميع مندوبيها فى الأقاليم من ذوى الأقمصة الخضر الى سفح الهرم الأكبر ، حيث يقضون جميعا ليلة العيد ساهرين ما بين العبادة وترتيل الأناشيد الوطنية وذكر الأقاصيص الوطنية والتاريخية حتى اذا ما طلع الفجر ، انتظم الجميع فى هيئة مثلث عظيم المساحة حول علم مصر الفتاة ودوت أصواتهم وقلوبهم ترتل نشيد اسلمى يا مصر وبعد أداء صلاة العيد فوق الرمال المنبسطة ، تحدث الأستاذ أحمد حسين رئيس الجمعية الى الأعضاء حديثا ناريا ، وكان من بين ما قاله : لن يثنينا ارهاب ولا وعد ، ولا وعيد ، وسوف تقوينا السجون والاضطهادات فعلى الحكام ، والخصوم أن يفهموا ذلك وأن يحترموه » ويمضى الجميع اجازة العيد ، فى أداء التمرينات الرياضية وفى الزيارات وفى نهاية الاحتفال يذيع الأستاذ محمد صبيح السكرتير المساعد بيانا بكل ما حدث فى هذه الأيام الوطنية الطيبة ٠

***

ويلتقى أبناء الحزب الوطنى صبيحة يوم عيد الأضحى على تقليد وطنى رائع اذ يذهبون الى ضريح مصطفى كامل ويكون فى استقبالهم عنده عبد الرحمن بك الرافعى ، محمد محمود ، جلال بك ، اسماعيل بك العسيلى من أقطاب الحزب الوطنى ، ومن شبابه مصطفى الحناوى ومحمد سليم ، ويلقى شاعر دار العلوم محمد أفندى ابراهيم جمعة قصيدة ، ويتحدث عبد القادر أفندى مصطفى عن

طلبة الجامعة كما يتحدث أيضا عبد العزيز أفندى محمود ويلقى الاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك سكرتير عام الحزب الوطني كلمة يعتذر في بدايتها عن عدم حضور رئيس الحزب حافظ بك رمضان لمرضه ثم يشكر الحاضرين لتفضلهم بالحضور الى هذا المكان الطاهر ، لأداء واجب مقدس ويناجي عبد الرحمن الرافعي مصطفى كامل وكان مما قاله الرافعي : انك يا مصطفى قد قمت بدعوتك منذ خمس وأربعين سنة تعلم الأمة الوطنية الحقة فأيقظتها من نومها ودعوت دعوتك فكانت صرخة الحياة الداوية في سكون النوم العميق كانت رسالة الحق وصيحة العزة والكرامة علمت الأمة أن لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس · علمتها كيف تجاهد في سبيل حريتها واستقلالها . علمتها أن الاستقلال والاحتلال ضدان لا يجتمعان : علمتها أن الجلاء هو الرمز الصحيح للاستقلال التام ·· جئنا نحيى زعماءنا الراحلين ، وصحبهم المخلصين ، نحيى مصطفى وفريد ، وعليا ، وأمينا ، والصوفاني ، وفؤاد ، ولطفى ، ووجدى ، وغيرهم ، وغيرهم ممن بذلوا للأمة حياتهم واخلاصهم ، جئنا نحيى زعماء الوطنيين أجمعين والشهداء ، المجاهدين جئنا نحيى الشهداء المعروفين والمجهولين ·

***

وينهى عبد الرحمن الرافعى كلمته مخاطبا مرة أخرى مصطفى كامل :

لتطمئن يا مصطفى ان غرسك قد أينع وان دعوتك قد استجيبت وان الأمة ذاكرة على الدوام فضلك ·

وها هو الشباب قد اعتنق مبادئك ، وسار على نهجك · جئنا نطمئنك : أننا على العهد باقون ، ولذكراك حافظون وأن نبتهل الى الله فى الختام ، أن يعيد هذا العيد المبارك والأمة متمتعة بالاستقلال التام ·

وينتقل الجمع الحاشد من قبر مصطفى كامل ، الى قبر محمد فريد فى السيدة نفيسة ، حيث ينثرون عليه الأزهار والرياحين ، ويتذاكرون جهاد فريد وتضحياته فى سبيل مصر ·

***

ويضبط البوليس كميات كبيرة من منشور شيوعى بجوار كنيسة سانت تريز بشبرا ومن التحقيقات الأولية ، يتضح أن المنشور طبع فى المحلة الكبرى ، وطنطا ويعتقل بعض عمال المحلة الكبرى وطنطا حيث يجرى التحقيق معهم ·

ونستريح بعض الوقت من معارك السياسة ، لنتحدث عن معركة أخرى أثارت الرأى العام وهى معركة فصل ١٢ ممثلا ، وممثلة من الفرقة القومية على النحو التالى ·

الفصل الخامس

حادث ثقافى هام أثار انتباه الجماهير
فصل ١٢ ممثل وممثلة من الفرق القومية

وتستغنى الجنة تشجيع التمثيل العربى برياسة حافظ عفيفى باشا عن خدمات بعض ممثلى وممثلات الفرقة القومية المصرية ابتداء من شهر ابريل ١٩٢٦ وتمنحهم مرتب شهر بصفة مكافأة على خدماتهم ٠٠ وتقوم الدنيا ولا تقعد : وتتوالى المقالات فى كل الصحف تقريبا لتنقد وبعنف شديد هذا القرار الجائر ، المستبد خاصة وأنه تم فى يوم وقفة عرفات ، وليلة عيد الأضحى المبارك ، وترد فى المقالات عبارات « المنبوذين » والمرضى عنهم الذين لا يستطيع « النيل العظيم » « أن يغسل أدرانهم ، وقاذوراتهم » ويكتب بعضهم داعيا الحكومة الى التفكير من جديد فى عمل مثمر نافع ، تؤدى به غايتها من تشجيع التمثيل ، ومساعدة الممثلين خصوصا ، وقد زاد عدد العاطلين منهم وساءت حالة الفرقة الموجودة الآن لدرجة أن أكثر الممثلين أصبحوا يتقاضون مرتباتهم أقساطا تتراوح بين خمسة قروش وعشرة قروش ؟ ٠

***

وكان من الذين أبعدتهم الفرقة القومية الأستاذان عبد المجيد شكرى وحسن البارودى رغم انهما من أعلام المسرح المصرى وقد اعترفت وزارة المعارف فى عهود سابقة بجهودهما ومنحتهما الكثير من الجوائز ، المادية والأدبية ٠

وكان من بين الذين أبعدتهم الفرقة ـ فى نفس الوقت ـ الفنانة زوزو حمدى الحكيم ، والسيدة سرينا ابراهيم ٠

وكان كل الذين أبعدوا من الفرقة اثنى عشر ممثلا ، وممثلة ٠

***

واشتدت الحملات بصورة مكثفة على خليل مطران بك ، شاعر القطرين، ومدير الفرقة وعلى الأستاذين زكى طليمات ، وعزيز عيد من نجومها الكبار وكان من أجمل ما كتب فى هذا الموضوع الخطاب المفتوح الذى وجهه الأستاذ حسن البارودى تحت عنوان « من ممثل مفصول من الفرقة القومية الى معالى وزير المعارف » ويقول حسن البارودى : انه خدم البلد والتمثيل خمسة عشر عاما وقد دخل الفرقة القومية ضمن من دخل فيهـا مستبشرا متفائلا بالمستقبل المضمون ، عاقدا العزم ، على بذل الجهد للسمو ، بفنه الى الذروة التى يتمناها كل فنان مخلص لفنه وبلاده » ويتحدث حسن البـــارودى عن أحد العيوب الأساسية التى منيت بها الفرقة ، والتى أصابه منها رشاش، والعيب، الذى يشير اليه الأستاذ البارودى هو سوء توزيع الأدوار ويقول الأستاذ البارودى، ان الفرقة فوتت على فرصا كثيرة من بينها السفر الى السودان ، على رأس فرقة تمثيلية كنت أنتظر من ورائها فائدة مادية وأدبية ويختم البارودى رسالته الى الأستاذ محمد على علوبة وزير المعارف طالبا منه بصفته محاميا ضليعا ونصيرا للمظلومين، أن يتجاوز عن نصف ساعة من وقته ليحقق فى مسألة شاب مصرى وضع قضيته العادلة بين يديه « حتى لا تقع فى المستقبل أمثال هذه المظالم التى لا تقوم على منطق والتى لا يجب أن ترتكب فى عهـدكم الزاهر ، وأنتم على رأس وزارة المعـارف » ٠

***

● وتتزايد الحملة على خليل مطران بك فيتهم بمحاباته لبعض الممثلين والممثلات الذين لا يزالون فى الفرقة ولم يكن قد استفادت الفرقة من وجودهم شيئا ، ومن الأصوات التى انطلقت تنتقد خليل مطران بشدة صوت رمز ، الى أسمه بالحرفين ج٠ع وكان من بين ما قاله اننا لن نسمح له بأن يكون معولا من معاول الهدم بعد أن دبت فى حياة التمثيل روح القوة والنشاط » ويؤكد عزيز عيد وزكى طليمات انهما لم يؤخذ رأيهما فى اخراج الـ ١٢ ممثلا وممثلة ٠

وتكتب جريدة روزاليوسف اليومية سلسلة من المقالات يوقعها « يوسف» تحت عنوان : حركة رجعية : وعبث منكر ، فى الفرقة القومية ، اذا استغنت الفرقة عن أحد ، فعن المدير قبل الممثلين ٠

وينشر الأستاذ خليل مطران ، ردا على الموضوع فى جريدة الأهرام يؤكد أن الفرقة ، وجدت اناسا ــ ولا ينسب لهم أى ذنب ــ كانوا أكثر من حاجة الفرقة فرأت اللجنة الاستغناء عنهم وهى تتمنى لهم كل خير ، ويقول أيضا : فنحن ما عملناه وربما قد يعمل مثله ان دعت اليه الضرورة يتمشى مع ما اقتضاه البرنامج الموضوع للفرقة وهو أن تكون فرقة بالمعنى الصحيح لترقية التمثيل لا أن تكون أداة معاونة أو مساعدة على الأرزاق لغير الصالحين للعمل بها أو للذين يزيد عددهم على حاجتها ٠

ويؤكد الأستاذ خليل مطران أن الفرقة وحدها هي صاحبة الحق في اختيار من يحتاج اليه العمل في الفرقة ومن لا يحتاج اليه العمل ٠

ويعيب الأستاذ «يوسف» على الأستاذ خليل مطران «الوحدانية» في المعرفة التي يدعيها الأستاذ وهي تلك النزعة الاستبدادية التي دمغناه بها وحاول في حديثه الى الأهرام أن ينفيها ويقول الأستاذ يوسف ان ظلما وقع يجب رفعه ، وان خطأ فادحا ارتكب يجب تلافيه لا الشيء ، الا لصالح الفرقة ومستقبلها أما مسألة الرزق فاننا واضعوها الآن في جانب لنبحث فيما هو أهم منها وان كنا متشبثين كل التشبث بأن تنشيء الفرقة صندوقا يقتطع رأس ماله من جـزء الاعانة وجزء من مرتبات الممثلين ومن ايراد بعض الحفلات ليخصص هذا المال كله لشيوخ الممثلات والممثلين المتعاقدين وأينما أتيت حديث الأستاذ الجليل مدير الفرقة وجدته اما خاطئا ، أو متملصا أو متصيدا دعاوى تافهة لم يدعها عليه أحـد ٠

★★★

وفي مقال آخر من سلسلة مقالات روز اليوسف تحت عنوان « حركة رجعية » يجيء العنوان التالي : الفرقة تحتاج الى الممثل قبل المدير : وفي نهاية المقال تساؤل : هل نحن مخطئون اذا قلنا ان حاجة الفرقة الى ممثل صغير ينفعها ويكمل عناصرها ، أكثر من حاجتها الى مدير يؤذي بتصرفاته كيـانها ومستقبلها ؟ وتجيء الاجابة : ثم ان الأستاذ خليل بك مطران ليس أول من يصلح للمنصب الذي تولاه فانه ليس خير رجالنا من المثقفين الملمين بشئون المسرح خير المام وفي وسعنا ، أن نعد لوزارة المعـــارف عشرة رجال قبل أن نضطر الى ذكر اسم الأستاذ الجليل خليل بك مطران ٠

★★★

ويخصص المقال رقم ٤ ، وجزء من المقال رقم ٥ من سلسلة مقالات «حركة رجعية» ، مسئولية الأستاذ زكي طليمات ، ويتهم كاتب المقال الأستاذ زكي طليمات بالتواطؤ ، المتعمد ، مع مدير الفرقة ويحمله المسئولية المشتركة ٠

وفي المقال الأخير من هذه السلسلة كلام من أولئك المفصولين ومكانتهم الفنية : محمود المليجي ، ممثل شاب ذو مواهب طيبة مثل دور الصياد في أهل الكهف كما أن له دورا ناجحا في تاجر البندقية ومن المفصولين أكثر من خمسة أفراد لهم أدوار في تاجر البندقية منهم السيدة زوزو حمدي الحكيم ومحمد يوسف ثم حسن فايق ٠

وللسيدة زوزو حمدي الحكيم أيضا دور هام في الملك لير ، أدته بنجاح وكذلك عبد المجيد ابراهيم ، ومحمد ابراهيم وسرينا ابراهيم وصالحة قاصين

واستر شطاح ويتساءل كاتب المقال لماذا استثنيت يا خليل بك دور زيزى عثمان ؟ ولماذا أدخلت آمال حلمى ، التى لا تعرف التمثيل ، ولم تخطر لها على المسرح قدم ؟ ماذا يعمل موظفك عبد الله أفندى عكاشة وامرأته وكم مرة سجل أحدهما أثرا على المسرح ؟

★★★

بل ماذا يعمل الأستاذ عبد الرحمن رشدى وفيم يتقاضى ثلاثين جنيها لم يخدم الفرقة بمليم منها ؟ بل ماذا تعمله أنت الا أن تؤذى الفرقة ولا شىء قبل ذلك ، ولا بعد ذلك : بل ماذا صنعه ممثلوك الكبار أمثال عزيز عيد . وجورج أبيض وأى أموال دخلت خـزانة الفـرقة بسببهم ، وكم تكلفت رواياتهم من مصاريف . وينهى كاتب المقـالات الأسـتاذ يوسـف سلسـلة مقالاته بقوله ان ثمـة علاجا عاجلا ، لابد وأن يكون فى الطريق . لاصـلاح هذه الفوضى ، والتمسك بأذيال الأمل الضائع ، الذى كنا علقناه على هذه الفرقة ، وتكوينها فاذا لم تستمع اللجنة الفنية الى هذه الكلمات الصادقة وتراجع فيها مدير الفرقة ومخرجيها فأولى بها أن تحل نفسها بدل أن تنتظر اليوم القريب . الذى ستجلل فيها مهمتها بالخيبة الفنية ، اللهم انى قد بلغت ..

★★★

وأبادر فأقول اننى تعمدت الاطالة فى الحديث عن هـذه المعركة الفنيـة الشيقة لجملة أسباب فى مقدمتها اننى أحببت وقد أكثرت فى هذه السلسلة من الحديث عن المعارك السياسية أن أتحدث وبافاضة عن معركة فنية ، وأن أعطى قراء هذه السلسلة صورة حية عن معاركنا الفنية منذ حوالى نصف قرن تقريبا ، كما اننى ــ وربما كان هذا هو السبب المباشر للاطالة فى الكلام عن هذه المعركة ، ــ أردت أن أوضح للقراء ، كم كان الرأى العام قويا يثور لفصل اثنى عشر ممثلا ، وممثلة : تكتب المقالات العديدة فى كل الصحف تقريبا عن تلك المشكلة التى جاءت فى وقت اتجهت فيه كل الأنظار الى المعركة السياسية الكبرى ، التى كانت البلاد تخوضها وقتئذ ، ولكن الرأى العام لم يكن يسمح ، للمعركة السياسية الكبرى أن تغطى على مشكلة تخص مستقبل اثنى عشر فنانا وفنانة فصلوا بدون ذنب ..

★★★

والى جانب المحادثات السياسية التى كانت جارية بين مصر وبريطـانيا العظمى ، كانت الاستعدادات بدورها تجـرى على قدم وسـاق ، للانتخـابات البرلمانية . وكان الربط بين المحادثات والانتخابات باستمرار سواء فى مصر ، أو فى بريطانيا .

وكان على ماهر باشا رئيس الوزراء ، يدير حقيقة بخبرة ومهارة الانتخابات • وكان مصطفى النحاس رئيس حزب الوفد المصرى يدير بالنسبة لحزبه الانتخابات ، كما يدير فى نفس الوقت المحادثات ، باعتباره رئيسا لوفد المفاوضات المصرى •

وكانت النقطة العسكرية هى من أخطر وأهم النقاط ، بعد أن رئى تأجيل مشكلة السودان • وكان العسكريون البريطانيون موقنين بأن الحرب العالمية يمكن أن تنشب بين وقت وآخر ولذلك كان همهم الاطمئنان على وجودهم فى مصر للدفاع عن امبراطوريتهم فى الواقع ، وللدفاع عن مصر ، ضد ألمانيا وايطاليا فى الظاهر •

***

وقد كان العسكريون البريطانيون أعلى صوتا ، وأكثر نفوذا ، وقتئذ ـ عام ١٩٣٦ ـ من السياسيين البريطانيين •

وفى أثناء المفاوضات ظهر رأى جديد للماجور أتلى رئيس حزب العمال •• مؤداه ـ وان كان قد قال انه رأى شخصى ، ولو أن العارفين بالسياسة البريطانية يعرفون انه لا توجد آراء شخصية بالنسبة لكبار السياسيين وخاصة اذا كان هؤلاء الكبار رؤساء أحزاب كبيرة ـ كان قد رأى أتلى ان يترك موضوع الدفاع عن مصر ، لعصبة الأمم وأن يعطى للسودان الحق فى تقرير نوع الحكم الذى يريده •

وكان الحزب الوطنى قد اهتم فى هذه المرة اهتماما بالغا بالانتخابات اذ كان الجو حرا ، ولم يكن هناك فيما يبدو اتجاه الى اسقاط قيادات الحزب الوطنى كما كان الأمر فى بعض الانتخابات السابقة •

ورشح الحزب الوطنى رئيسه حافظ رمضان بك فى الخليفة بالقاهرة ، وابراهيم رياض الحديدى « الموسكى » و د• عبد الحميد سعيد « سخا » وأحمد وفيق « شبرا » ، ومصطفى العجيزى « الدرب الأحمر » وحسن الشافعى الجيزاوى « بولاق » وحسن حسنى كامل « عابدين » وفكرى أباظة « أبو حماد شرقية » ومصطفى الحفناوى « الزقازيق » وعلى بسيونى « كفر الدوار » وعبد العزيز الصوفانى « كفر داود » ومحمد بك محمود جلال « بنى مزار » ، وأحمد السراوى « طوخ » وعبد المقصود متولى « شربين » ، وعبد الرحمن البردى « مصر القديمة » والسيد محمود القاياتى « قايات » ومحمد خلف الحسينى « أسيوط » وحسين أبو زيد « ديروط » وسليمان حافظ « محرم بك بالاسكندرية » وحسن رمزى الأرناؤوطى « مينا البصل » وعبد الفتاح كيرشاه « طنطا » ومحمد عرارجى « الجمرك » وأحمد العطيف « جهينة » وعباس الزمر « نكله » وأحمد خليفة

ومضان « كفر الزيات » ويوسف دسوقى « الوايلى » وعبد العزيز زكى « حلوان » ·

وكان هؤلاء هم قيادات الحزب الوطنى الذين رغبوا دخول معركة الانتخابات فى بداية فتح باب الترشيح ·

***

وكان من بين مرشحى الأحرار الدستوريين : حامد العلايلى « دمياط » د· حسين هيكل « تمى الامديد » ، عبد الجليل أبو سمرة « كفر بداوى » ، ابراهيم الطاهرى « الجمالية دقهلية » آمين العلايلى « فارسكور » شفيق جبر « السنبلاوين » فؤاد حمودة « محلة مرحوم » ابراهيم دسوقى أباظة « بردين » عبد المنعم مصطفى خليل « فاقوس » أحمد طلعت « بنى جريد » أحمد عبد الغفار « تلا » عبد الله أبو حسين « طنوب » عبد السلام عبد الغفار وأحمد حماد « بركة السبع » جعفر والى « المطرية قليوبية » محمود عبد الرازق « أبو جرج » الدكتور شمس الدين طراف « البرجاية » ، محمد محمود « البربا » السيد خشبة « باقور » رشوان محفوظ « الحواتكة » عبد الرحمن محمود « النخيلة » عبد المجيد ابراهيم « البدارى » حفنى محمود « الطوابنة » محمد توفيق خشبة « بنى رافع » و ·· و ··

***

وكان من بين مرشحى حزب الاتحاد أيضا ـ وأنا أحرص على أن أذكر الأسماء كما سبق أن ذكرت لأعطى فكرة عن القيادات الحزبية فى سنوات ما قبل الثورة ـ رشح محمد حلمى عيسى باشا نفسه فى دائرة أشمون ، مأمون اسماعيل « البرادعة » محمود محمد الألفى « سنهوا » هارون أبو سحلى « فرشوط » حفناوى الزمر « نهيا » فكرى الصغير « قفط » معوض ابراهيم جاد المولى « الفنت » مدنى حسن حزين «اسنا» محمد طه أبو زيد « الدر » حسين السيد واكد «تلراك» ·

وكان اسماعيل صدقى باشا رئيس حزب الشعب قد رشح نفسه فى سنبو ·

***

ومن معارك المفاوضات ومعارك الانتخابات ننتقل الى المعركة الكبرى معركة العرب أجمعين بل المسلمين أجمع معركة فلسطين !! ·

الفصــــل الســادس

مصــر رائـدة أمتهـا العربيـة

الثورة الفلسطينية وصـداها فى مصر

وكانت نسمات العروبة تهب على كل مكان من أرض العروبة · فالأخوة العرب من كل الأقطار العربية يتوافدون على مصر زوارا ، أو مقيمين ، ومصر تفتح لهم صدرها ، وقلبها وتنزلهم أعز منزل : كل الهيئات الرسمية والشعبية، تحتفى بهم ، بل تتسابق على الاحتفال بهم · شعراؤنا المطبوعون يهتفون بقصائد الوحدة العربية ويخلدون العـلاقات الطيبـة التى تجددت بين مصر وشقيقاتها العربيات ·

★★★

وأذكر من بين القصائد التى احتفى بها الشعب فى هذه الفترة ، قصيدة للشاعر الكبير أحمد محرم قال فيها : وكان قد وجهها الى الضيوف العراقيين :

حمـاة الرافدين لـو استطعنا جعلنـا النيرين لكم سـلاما
سـلام من شعاع الشعر صاف أرفرفه ، فينسـجم انسـجاما

★★★

● وعن جدودنا القدامى قال أحمد محرم :

ذكـرناهم فحـركهم بطيـف من الذكرى وان أمسـوا رماما
وكبـرت العـروبة اذ رأتنـا فهبـوا من مضاجعهم قيـاما
أراهم يرفعون ، كمـا عهـدنا فوق النجيـم أعناقا وهاما
أعـدنا للشرق سـيرته وقمنا نعالج من أمره حتى استقاما
أهاب بنـا الزمـان وأيقظتنا قوارع توقظ الأمم النيـاما

الى أن يقول :

مضى ما كان من أحداث دنيا ... تجرعنا مصائبها الجساما
أني ، لبني العروبة أن يهونوا ... قوى لن تستطاع ولن تراما
لئن أخذتهم الغارات تترى ... فما وهنوا ولا ملوا الصداما

★★★

ويقول أحمد توفيق البكرى تحت عنوان تحية العراق :

يا حادى الركب بلغ أمة العرب ... لدى اللقاء تحايا العترة النجب
من ساكنى النيل فى أعلى روافده ... وقاطنى النيل فى شطآنه القشب
هم شيعة العرب لا فرعون يجمعهم ... فى المشركين ولا حمالة الحطب
وما لفرعون من مجد يصول به ... على الزمان سوى الأحجار والنصب
أو ساحر بعث الحيات راقصة ... تسعى أمام اله القوم فى عجب
أباد ما حشدوا موسى وما عرضوا ... على الأيام بنسأة من الخشب
فمن يسوى بأشباح مصورة ... سحرا تنزل فيه فيالفرقان والكتب
ومعجز الله والآيات بينه ... نزلن هدى الدنا فى مقول العرب
مضى الزمان يدك الشم من أمم ... وآية الله ، لم تهرم ولم تشب
وجمع الوحى شعبا غير متحد ... وأمن الوحى بعد القتل والشغب

★★★

ثم يقول :

أيام بغداد شمس الكون مشرقة ... تضىء للناس من قطب الى قطب
فيها الرشيد وفيها من سلالته ... أسد السرى،وكماة البيض والغضب
وفى دمشق وحدث عن مآثرها ... اناف عصر بنى مروان بالشهب
أتى الزمان على أنقاض مجدهم ... بفتية جاهدوا لله ، والرحب
ومصر فى عهدها الماضى وزاهنها ... تاج المفاخر فى التاريخ والحقب
أيام «عمرو» على الفسطاط دارته ... ينهى ويأمر فعل الكيس والارب
ومن بنى الأزهر،المعمور «جوهره» ... وغيره من بناة المجد والطنب

★★★

الى أن يقول الأستاذ توفيق البكرى :

بنى العروبة ان المجد متصل ... باق على عظم الأيام والنوب
أم اللغات ودين الله يجمعنا ... ولحمة النسب الموصول بالحسب
فان ترنم فى الزوراء شاعرها ... تصاعد الشعر فى السودان أو حلب
وان تغنى بمصر ، طير أيكتها ... تناقل الرافدان القول فى طرب

ومن قصيدة للأستاذ عبد العزيز سيد الأهل فى تكريم الصحفيين السوريين :

وكيف ترجى لنا وحدة ... تضم جميع بنى العرب
وهم يزعمون بأن الشام ... تمزق فى النسب الأقرب
وقيتم بنى الشام ان تذهبوا ... طرائق كل الى مذهب

ثم يقول :

بلغتم على الأرض عمر الشباب ... وعمر بنى الأرض فيها صبى
وكان لكم ملك أقطارها ... من الشرق أو أفق المغرب
ولم يبق الا امتلاك السماء ... ووصلت لبنان بالكوكب
فأفقدكم قدر مقعد ... وصم عن اللوم والمعتب

★★★

الى أن يقول :

كأن أمية لم تغرب ... ومال ابن حمدان لم ينضب
وفيهم محاسن آبائهم ... فأكرم بالابن وشد بالأب
مضاء الحكيم وطبع الحليم ... وكف الكريم وأنف الأبى
وحول عيون بنى عبد شمس ... شمس من الحسن لم تغرب
علمنا جهادكم فى الحياة ... وموت الضحايا على المطلب

★★★

والى جانب الدعوة الى الوحدة العربية ، فى الشعر ، كانت دعوة أخرى الى الوحدة الاسلامية فى الشعر أيضا ، أذكر تحت عنوان الوحدة الوطنية قصيدة الأستاذ عبد الحكيم عابدين وكان وقتئذ طالبا بكلية الآداب قسم اللغة العربية ، جاء فيها :

بدمى وروحى الفتية الأشبالا ... الحافظين عهودهم أجيالا
الخالعين ، على الصباح جماله ... الساطعين على الكواكب هالا
المانحين شذا الورود أريجه ... الحاملين الى الظلام تبالا

ثم يقول الأستاذ عبد الحكيم السكرتير العام للاخوان المسلمين سابقا :

ما ضيع الاسلام الا نومنا ... عنه غداه النؤوم وصالا
والمؤمنون بكل أرض اخوة ... قال الاله فلم نطع ما قالا
بعثت بنا عصبية مرذولة ... لم تلق بعد الجاهلية آلا

هى شتتت منا القلوب وطوحت ... بالمسلمين تفرقا وخذالا
أغرت بنا البغضاء بعد اخوة ... سجد الزمان لصفوها اجلالا

ثم يقول :

فلأمة الاسلام شعب واحد ... بل أسرة قد بوركت اشبالا
فاستيئسوا من رفعة الاسلام ان ... لم ترجعوه اخوة امثالا
أو تبعثوه وحدة عربية ... تخشى لها الأسد الشداد خيالا
مدعومة بالخلق نبراسا وبالقر ... آن دستورا يفيض جلالا
وبنخوة الاعراب ركنا ثابتا ... وبحزم خير المرسلين مثالا
واذا يقض فراشنا فى مصر ان ... دما بأقصى الصين مسالا
ونهرنا بالشام شاك لم يزل ... بالمغربين انينه يتعالى
ويثيرنا فى يثرب متوجع ... فى مصر بغيا بالخطوب توالى
كالجسم أن يألم عضو بكت ... أعضاؤه حسرى عليه وثقالا

★★★

وفى النهاية يقول الأستاذ عبد الحكيم عابدين طيب الله ثراه :

ان لم تعودوا وحدة لا تطلبوا ... حرية أو تنشدوا استقلالا
فلسوف تلقون الجهاد مهازلا ... انى افترقتم والنجاح محالا
فاذا أثرتهم بالعقيدة وحدة ... أيأستم من وصلنا الأهوال
ورددتم دهم الخطوب مراسما ... بيضا وموردة الحمام زلالا

★★★

لقد كانت الوحدة العربية شعار الجميع ، الجميع ينادون بها · الجميع يعملون لها ، ليست مقصورة على حزب ، أو هيئة ، أو جماعة ، وانما هى للجميع ·

وكانت الوحدة الاسلامية فى نفس الوقت شعار الجميع ، الجميع ينادون بها ، الجميع يعملون لها ، فهل هناك بعد تلك الأدلة الناطقة على أن مصر العربية لم تتوان يوما واحدا عن الدعوة الى الوحدة العربية ، والوحدة الاسلامية والعمل لهما · من ينكر على مصر دورها العظيم هذا ؟

★★★

وفى نفس الوقت كان شعراء العروبة كلهم يترنمون بمصر وبالوحدة العربية ، وبالوحدة الاسلامية · فى ٢٣ ابريل ١٩٣٦ أقام طلاب الحقوق حفلة

لتكريم طلعت حرب باشا ورفاقه من أعمدة بنك مصر ، وفى تلك الحفلة ألقى شاعر العراق الأكبر معروف الرصافى قصيدة خالدة قال فيها :

أتى من مصر ، طلعتهـا بن حـرب ... فأهلا بالمذلل ، كل صـعب
وأهلا بالذى ادخرته مصر ... لدفع ملمـة ولقرع خطب
هو الرجل ، الذى فى مصر قامت ... له همم ، تنفس كل كـرب
تعهد بالمسـاعى الغر مصرا ، ... فبدل جـدب تربتها بخصـب

★★★

ثم يقول معروف الرصافى :

اذا ما مصر فى المـال استقلت ... فلا تخشى التأخر فى السياسة
فان المـال أكبـر ما يرجى ... به نيـل السـيادة والرئاسة
اذا ما الشعب كان أسـير فقر ... فما تجـدى السـياسة والحماسة
أيصبح فى سياسته طليقـا ... أسير أوجب الفقر احتباسـه

★★★

ثم يقول :

رجال النيل حييتم رجالا ، ... بما للعرب فيكم من سمات
بكم طرب الفرات ، وقال جهرا ... لوادى النيـل انك من لداتى
كـلانا جاريان على سـهول ... بأبنـاء العـروبة آهـلات
كـلانا فى الاخاء له مواطن ... ضمن لنـا النجاح بكل آت
وتجمعنا جوامع كبـريات ... وأكبرهن سـيدة اللغـات

★★★

ثم يقول :

وكم فى مصـر من بطل وشهم
يسـير بها على خطـوات سـعد
وكم راق بها فى جو علم
لتسـتهدى بأنجمـه ويهـدى
وكيف تكون مصـر ، فى اسار
وفيهـا اليوم من يحمى ، ويفدى

الى أن يقول أخيرا معروف الرصافي :

متى تنقـاد للعرب الليـالى
فتفتـر من نوازلها النـوازى
وترجعهـم الى ما كان قبـلا
لهم مـن دولة ومـن اعتزاز
فيسموا فى العراق على اتحـاد
مصر والشـام ، وفى الحجـاز

★★★

وفى أوائل أبريل ١٩٣٦ ينقسم الاخوة الفلسطينيون فيما بينهم ، هل يذهبون الى لندن تلبية لدعوة وزير المستعمرات البريطانية لمحاولة بحث النزاع الفلسطينى اليهودى أم لا يذهبون ؟

البعض وفى مقدمتهم ممثلو حزب الاستقلال يرون الذهاب الى لندن وهؤلاء تمثلهم جريدة الدفاع · والآخرون ـ وهم الأغلبية ـ لا يريدون الذهاب ، وتمثلهم جريدة الجامعة الاسلامية التى ترى أن سفر الفلسطينيين الى لندن لا يعدو أن يكون دسيسة ضد العرب ·

★★★

ويقع الخلاف بين كثير من الزعماء الفلسطينيين حول تحديد مهمة الوفد أو يتأجل الاجتماع مرة ، ومرة ، دون الوصول الى كلمة واحدة ، هذا فى الوقت الذى يجمع فيه الجانب الصهيونى على الترحيب بالدعوة من أول لحظة ·

وفى الوقت الذى يقوم فيه الصهيونيون بالاعداد للسفر الى لنـدن هذا فى الوقت الذى تقرر فيه حكومة فلسطين فتح اعتماد بمبلغ ٢٠٠ ألف جنيه انجليزى للمجلس الوطنى العبرى لدى بعض بنوك انجلترا · وكأنما الحركة الصهيونية بحاجة الى أموال ؟ وفى الوقت الذى أعلن فيه الاضراب العام ابتداء من يوم ٢٠ أبريل ١٩٣٦ حتى تحقق الحكومة مطالب العرب وتتحرج الحالة فى يافا ، وتل أبيب ويصاب كثير من اليهود بجروح وتتصاعد الحمـلة على الزعماء الفلسطينيين ، من قبل الصحف الفلسطينية متهمة هؤلاء بالتساهل ، والخيانة ، وقد دهش المتصلون بالزعماء ـ كما نشرت وكالات الأنباء وقتئذ ـ لأن الحكومة لم تقم بشىء ازاء هذا الهجوم على الزعماء الفلسطينيين ، الذى يثير الأمن فى نفس الوقت ·



وفى الوقت الذى تختلف فيه الأحزاب حول الذهاب أو عدم الذهاب الى لندن تطالب الأحزاب بزيادة نسبة عدد الأعضاء الفلسطينيين وجعلهم تسعة بدلا من ستة ويتوالى اطلاق النار من الفلسطينيين على رجال البوليس البريطانى ، وعلى اليهود فى نفس الوقت ٠ وقد بلغت خسائر العرب واليهود فى يوم واحد (٢١ أبريل ١٩٣٦) خمسة قتلى و ٥٠ جريحا ٠

وقد قرر اليهــود فى يافا ترك منــازلهم والاقامة فى تل أبيب ، وقدر ما سوف يدفعه اليهود الى أصحاب الأملاك العرب فى تل أبيب بنحو أربعمائة ألف جنيه ، وتعلن حالة الطوارىء وتضرب مدينة تل أبيب بدورها وتقوم بها مظاهرات عنيفة ٠ ويحاول المتظاهرون اختطاف الجثث اليهودية ٠ وتشب النيران فى يوم ٢١ أبريل فى تسعة منازل للعرب ويقتل أحد الصبيان العرب ، بينما كان يساعد فرقة الاطفاء ، ويحاول اليهود الوصول الى يافا فيصدهم الثوار الفلسطينيون ٠ ويستمر هرب سكان المستعمرات اليهود فى منطقــة يافا ، وطولكرم متجهين الى تل أبيب تاركين منازلهم ، وقراهم ، وتضرب عمان ، أيضا مشاركة للمضربين العرب فى فلسطين ، ويصل عدد القتلى من اليهود فى بضعة أيام الى ١٨ قتيلا بينما لم يصل عدد القتلى من العرب الى أكثر من ثلاثة من النساء ، ويبلغ عدد الجرحى العرب ٦٠ جريحا و ٠٠ و ٠٠

★★★

وتصدر حكومة فلسطين بيانا فى ٢٢ أبريل ١٩٣٦ تقــول فيه : أن السكينة استتبت ويعقد رؤساء الأحزاب العرب اجتماعا يحضره الأستاذ شبل الجمل باسم المسيحيين العرب ويقررون ما يلى :

- تأجيل سفر الوفد الفلسطينى الى لندن بسبب الحالة الحاضرة ٠
- استمرار الاضراب حتى نشر بيان آخر ٠
- يستثنى من الاشتراك فى الاضراب مؤقتا المشتغلون بالأعمال التالية : العيادات ، والصيدليات ، ووسائل النقل ، والقهاوى ، والأفران ، والمطاحن ٠

ويطالب الزعماء العرب من المندوب السامى وقف الهجرة الصهيونية ومنع بيع الأراضى لليهود وتجريد اليهود من السلاح ، وعدم تسليح العرب أيضا وتعطل جريدة الجامعة الاسلامية لمدة خمسة عشر يوما ٠

وينشر المفتى الأكبر ، نداء الى الأمة العربية من سكان فلسطين يدعوهم فيه الى مواصلة جهادهم دفاعا عن قضيتها العربية و ٠٠ و ٠٠



« فى الوقت الذى كانت فيه مظاهر الصراع الدموى بين العرب أهل فلسطين ، واليهود الصهاينة المهاجرين اليها ، تتحول الى حرب أهلية فى ربيع عام ١٩٣٦ ، كانت الأقطار العربية الأخرى لها ما يشغلها .. خاف الأمير عبد الله ـ الملك عبد الله فيما بعد ـ أن يستجيب لنداء العرب المقاتلين فى فلسطين حتى لا تعم المظاهرات الأردن ، وكان الملك عبد العزيز آل سعود يوافق على قيام مجلس للشورى فى السعودية وكانت مصر تستعد لوداع ملك هو الملك فؤاد الذى يحتضر واستقبال فاروق وتشكيل مجلس للوصاية ، ومع هذا فلم تتقاعد مصر ، ومصر وحدها عن تزويد المحاربين العرب فى فلسطين بالسلاح والذخيرة » .

★★★

● وكنا قد حرصنا على أن نعطى صورة تكاد تكون واضحة ، لما كان يجرى فى فلسطين عام ١٩٣٦ الذى كان من أخطر أعوام النضال الفلسطينى : ان لم نقل أخطرها جميعا .

ونود أن نركز ـ وبايجاز شديد ـ على تحول الصدام الدموى ، الدائم بين العرب واليهود ، الى ما يشبه الحرب الأهلية التى امتدت الى كل انحاء فلسطين ، وخاصة يافا وحيفا ، وتل أبيب ، ونابلس ، والناصرة ، والجليل ، وبيسان ، وغزة ، وجنين ، صفد و .. و .. وكيف أن اضراب الشعب الفلسطينى ، قد كاد يشمل كل الطوائف . وكيف أن الوحدة الوطنية بين كافة القوى الفلسطينية قد اتخذت مظهرا رائعا ، الى الدرجة التى دفعت زعماء الأحزاب الفلسطينية الى الاشادة بها ، فى بياناتهم الرسمية .

★★★

ولعل فى مقدمة ما أود التركيز عليه هنا ، هو النبأ الذى نشرته كل وكالات الأنباء فى ٢٤ ابريل ١٩٣٦ ـ ونشرته كل الصحف الفلسطينية ، بصفة خاصة ، والصحف العربية بصفة عامة تحت عنوان « وصول ذخائر من مصر » .

★★★

ويقول النبأ ـ وهو بصيغة التأكيد :

« وصل قطار خاص من مصر ، مؤلف من ٢٧ مركبة تحمل شتى أنواع الذخائر الحربية ، والمدافع الرشاشة الى الفلسطينيين » .

لذلك أحب أن أركز على نبأ آخر يقول ـ فى نفس اليوم أيضا :

« ان رئيس بلدية تل أبيب قد سمح له بمقابلة المندوب السامى البريطانى فى القدس ، وأنه قد حضر للمقابلة بحراسة البوليس البريطانى » ٠

ونبأ ثالث ــ فى نفس اليوم أيضا ــ يقول :

« اكراه ما يقرب من خمسة آلاف يهودى على المهاجرة من مدينة يافا ، الى الخـــارج » ٠

وكذلك نبأ يقول :

« اعتقل رئيس جمعية العمـــال العرب السـيد ميشيل مترى ، بواسطة بوليس يافا ، وقد أودع السجن ٠ واعتقل أيضا ١٤ شيوعيا بينهم امرأتان ٠ وحوكمت يهودية قبض عليها ، ومعها ثلاثة مسدسات و١٠٦ طلقات ، وقضى عليها بالسجن أربعة أشهر ، أو بغرامة ٤٠ جنيها فدفعت المبلغ وأطلق سراحها فى الحال » ٠

ويعلن الاضراب فى شرق الأردن ، وفى سورية « عطفا على فلسطين » كما جاء فى بيانات الاضراب ٠

وتتحدث الصحف فى ٢٦ أبريل ١٩٣٦ ، عن تدخل الشيوعية فى حوادث تل أبيب ، ويافا ٠ وكيف ان الشيوعيين فى هاتين المدينتين قاموا باحراق أماكن كثـيرة ٠

★★★

تقول ــ مثلا ــ جريدة « الديلى تلجراف » ــ البريطانية :

« وردت تلغرافات من القدس تقول ان من المظنون أن هناك عوامل أجنبية شجعت الاضطرابات فى فلسطين وأن مبالغ كبيرة من المال ، قد وزعت ٠ فاذا جرى تحقيق فى الأسباب التى جعلت بعض العـرب يصبحون فجأة أغنيـاء ، فان الأمر ، سينجلى عن أسباب مهمة « ويتهم المحامون العرب فى يافا البوليس اليهودى بتسهيل مهمة اليهود ، الذين يحرقون المنـــازل العربية ، ويطالبون بابعاد البوليس اليهودى عن الأحياء العربية » ٠

★★★

ويصف رئيس بلدية تل أبيب العرب « بالمتوحشين » ٠

ويجتمع أكثر من ألف فلسطينى فى القدس ، حيث يطالبون الدكتور الخالدى رئيس بلدية القدس أن يرد على هذا الاتهام الوقح ٠ ويتولى الدكتور الخالدى ــ فى خطاب بليغ ــ الرد على رئيس بلدية تل أبيب ، كما يتولى الرد

عليه أيضا كل من الحاج أمين أفندى الحسينى وراغب بك النشاشيبى ، وحسن صدقى الدجانى ·

ويجتمع المجلس البلدى فى يافا حيث يقرر استنكار خطاب رئيس بلدية تل أبيب ·

ويصل عدد اليهود الذين دخلوا البلاد خلال أبريل ١٩٣٦ ــ أى الشهر الذى تصاعدت فيه الاضطرابات ــ الى ١٤٥٠ يهوديا ·

وتشعر تل أبيب بوطأة المقاطعة العربية لسكان تل أبيب حتى ليصل ثمن أقة الطماطم الى ثمانية قروش والبيضة الواحدة الى قرش ، وأقة الموز الى خمسة وعشرين قرشا ، وهى أسعار تعتبر وقتئذ خيالية ، لأنها أضعاف ، أضعاف الأسعار العادية وقتئذ ·

***

وتوالى الحكومة انذارها للأهالى : كل شخص يساعد على الاضطرابات أو يشترك فى اجتماع غير مشروع يعاقب بالسجن من خمس سنوات ، الى عشر سنوات وكل من ينذر ولا يتفرق ، يعرض نفسه للقتل ·

وتبلغ اللجنة القومية العليا ــ بهيئتها الجديدة ــ ملوك العرب والمسلمين، وزعماء العرب والمسلمين وكبارهم بما يجرى فى فلسطين ، وتطلعهم جميعا على خطورة الحال ، وعلى ما يتهدد الوطن الفلسطينى من أخطار بسبب السياسة البريطانية تجاه العرب وممالأتها لليهود ·

ومما هو جدير بالذكر أن رئيس طائفة السامريين فى نابلس قد أصدر بيانا رد فيه على المستر ويزنكوف رئيس بلدية تل أبيب ، الذى اتهم العرب بالوحشية وكان من بين ما قاله :

« ان طائفته تعيش فى نابلس منذ مئات السنين بين العرب آمنة مطمئنة وما ذلك الا لأنها لم تعتنق الفكرة الصهيونية » ·

وينهى بيانه بقوله :

« ان اتهام العرب بالوحشية جهل للحقيقة وللتاريخ » ··

ويطلب الشيخ فاروقى مدير الجامعة الاسلامية فى القدس من النساء الفلسطينيات ان يدفعن الرجال الى ميدان القتال ليعملوا على انتصار المبدأ الوطنى ·

ووسط ذلك الجو الثائر ، تتردد شائعة عن وجود خلاف بين المفتى وراغب النشاشيبى ويقال ان راغب النشاشيبى قد أوعز الى الجهات المسئولة اقالة المفتى

لأنه يشتغل رسميا فى السياسة وانه – أى النشاشيبى – طالب باسناد وظيفة المفتى الى واحد من أفراد أسرته مكافأة له لتأييده مشروع المجلس التشريعى .

وتعود الهيئة القومية العليا لترسل الى ملوك مصر ، والعراق ، والمملكة العربية السعودية ، واليمن ، وشرق الاردن ، وشاه ايران ، وشاه أفغانستان ، ورئيس الجمهورية التركية ، تلغرافات ورسائل تصف فيها حـــالة فلسطين ، وتناشدهم فيها النهوض لمساعدتها . وكان من بين البرقيات التى أرسلت الى هؤلاء :

***

« فلسطين مضربة منذ أسبوع استنكارا للسياسة البريطانية والصهيونية ، المبيدةللشعب العربى والأمة متكاتفة بجميع أحزابها على المضى فى الاضراب حتى تتبدل هذه السياسية تبدلا يضمن سلامة كيان العرب وحقوقهم » .

ويرد الأمير عبد الله – أمير شرق الأردن – بالبرقية التالية :

« قرأت برقيتكم باهتمام ، وســــأقوم بما يجب ان شاء الله ، والله غوث الجميع وحسبنا الله ونعم الوكيل .. »

ويرسل المستوردون اليهود الى أصحاب المصانع فى الخارج يطلبون منهم عدم ارسال بضائعهم بطريق ميناء « حيفا » وتتألف لجنة لمفاوضة الحكومة بشأن انشاء ميناء فى تل أبيب ، ويتولى رئاسة هذه اللجنة الأستاذ هوبين مدير بنك الانجلو فلسطين .

وفى أول مايو ١٩٣٦ يتم أعتقال ٧٦ شيوعا ، وشيوعية فى تل أبيب ويصـــل وفـد اللجنة العربية العليا الى عمان لمقابلة الأمير عبد الله . ولكن حكومـــة شرق الأردن تخشى من انصار المفتى ، فمنعت هذه الحكومة الوفد من المجىء الى عمان ، وقام الأمير عبد الله بمقابلة الوفد فى سيارة بالقرب من عمان .

وتنشر الصحف العربية فى أول مايو ١٩٣٦ برقية من القدس تقول :

« روت الصحف الفلسطينية أن وفدا من الشيوخ البدو فى بير سبع زار أمس وكيل الحكومة الفلسطينية وأنه تحدث معه فى كل ما له علاقة بالمهاجرة وبيع الأراضى » .

***

ويؤخذ مما نشرته الصحف ان الوكيل صرح للوفد ان الحـــكومة لم ترغم أيا كان من العرب ، على بيع أرضه ، وان العرب هم الذين يبيعون أرضهم بمحض اختيارهم . وقد وعدهم برفع شكواهم الى المندوب السامى البريطانى .

وتتظاهر مجموعات كبيرة من النساء الفلسطينيات ويجتزن النطاق الذى ضربه البوليس حول دار الحكومة فى القدس ، ويتجهن الى الحاكم العام ، لمقابلته وتقديم احتجاجهن اليه • وتصفع احداهن رجل بوليس بريطانى على وجهه لانه عاملها بقسوة • وتبرق السيدات العربيات الى الأمير عبد الله تسألنه التوسط لحل قضية فلسطين • كما تبرقن أيضا الى المندوب السامى قائلات : سنضطر الى النزول الى الميدان السياسى ، والعمل بأنفسنا اذا لم تعدل الحكومة البريطانية عن سياستها وتقف الهجرة اليهودية •

كما يذهب وفد من السيدات العربيات الى يافا لزيارة قبور الشهداء ، وزيارة الجرحى فى المستشفيات ويزرن نادى التجارة ، ويخطبن فى أعضائه شاكرات لهم غيرتهم ووطنيتهم •

***

ويطلب مفتى فلسطين الأكبر الغاء وعد بلفور •

وتقع فى ٣ مايو ١٩٣٦ أول معركة كبيرة بين العرب واليهود ، فى مستعمرة « قصر سابا » بالقرب من طولكرم حيث هاجم العرب القرية ، وقطعوا أشجار البرتقال التى توجد بها • والتحموا مع ٤٠٠ يهودى من حراس تلك المستعمرة • فى معركة استخدم فيها الرصاص وتمكن العرب من التغلب على حراس مستعمرة « قصر سابا » • وأنقذ البوليس البريطانى الحراس اليهود من المهاجمين العرب •

والجدير بالذكر ان الموظفين الفلسطينيين فى حكومة فلسطين ، لم يشاركوا الشعب الفلسطينى فى اضرابه رغم كثير من الضغوط التى وجهت اليهم • وقد حاول بعض المتطرفين فى حركة الاضراب منع العرب من أداء الضرائب والقيام بعصيان مدنى لشل حركة الدوائر الحكومية •

***

ومن القضايا الهامة ، التى أثارت الشعب الفلسطينى فى هذه الفترة قضية حسن صدقى الدجانى ، رئيس جمعية سائقى السيارات العرب ، وقضية صالح عبده عضو هذه الجمعية • وكانا متهمين بتوزيع منشور ، دعيا فيه الشعب الى العصيان المدنى • وتولى الدفاع عنهما أربعة من المحامين المعروفين •

وكان مؤتمر الأحزاب السياسية قد اجتمع برئاسة السيد أمين الحسينى مفتى فلسطين وانتخب راغب بك النشاشيبى وكيلا للرئاسة ، وعونى بك عبد الهادى سكرتيرا عاما ، وبعد بحث استغرق ساعتين • اتفق المجتمعون على المضى فى الاضراب الى أن تجاب مطالب البلاد والامتناع عن دفع الضرائب اعتبارا

من يوم ١٥ مايو الحالى ، اذا لم تغير الحكومة سياستها تغييرا أساسيا تظهر بوادره بوقف الهجرة اليهودية ·

ويعلن وزير المستعمرات البريطانى استعـــداده لسماع وجهـــة النظر العربية ··

★★★

وتعلن جريدة « فلســطين » لسان حال النشاشيبيين قبــول دعوة الوزير البريطانى : ويشترك فلاحو نابلس وجنين فى الاضراب · ويحذو حذوهم بقية الفلاحين الفلسطينيين · ويحكم على أحد علماء الدين الاسلامى بالسجن اثنى عشر شهرا لانه كان يقود مظاهرة فى يافا ··

ويتلقى الحاج أمين الحسينى رئيس اللجنـــة العربية العليا ، كتابا من العمال اليهود فى بلغاريا يستنكرون فيه أطماع الصهيونية ، ويعلنون أنها فكرة خاطئة يجب أن تسحق فى مهدها · ويحتجون على السياسة البريطانية التى تؤيد الصهيونية وتعمل على اخراج الزراع العرب من أراضيهم ·

ويبلغ فى شهر كامل العجز فى ايرادات ــ حكومة فلسطين ــ مبلغ مائتى ألف جنيه · ويشكو المجلس اليهودى فى القدس · من الخـراب الذى لحق بالمستعمرات اليهودية · ويقرر ارسال وفد من الزراع اليهود الى لندن لبسط حالة المستعمرات اليهودية أمام وزارة المستعمرات البريطانية ·

★★★

وتقول أنباء وردت من لندن ، انه تقرر استدعاء الدكتور حاييم وايزمان من فلسطين ، الى لندن بعد أن كان معلوما انه لن يسافر قبل مضى الأشهـر الثلاثة التى صرح له بها كسائح بريطانى فى فلسطين · وقيل ان هذا السفر ــ كما نشرت الصحف البريطانية ــ جاء بعد ضغط الصهيونيين عليه ، الذين طالبوه بأن ينقذهم من هذه الحالة ، « لان الأيام اثبتت لهم أن الاضراب العربى طويل الأمد ، وان الوحدة العربية قاضية عليهم وعلى أوهامهم » ·

ويقابل رئيس اللجنة العربية العليا سماحة الحـــاج محمـــد أمين أفندى الحسينى ، فخامة المندوب السامى البريطانى ، ويبحثا معا الحالة الحاضرة فى فلسطين ·

وتلجأ بريطانيـــا الى أسـلوبها القديم فى تمييع الثورات ، فتعلن حكومة فلسطين أنها قد قبلت مطالب العرب ، وأنها تفكر الان فى الصيغة التى يمكن بها تهدئة معارضة اليهود ، من ناحية ، ومنع العرب من اســتئناف العصيان المدنى من ناحية أخرى ·

ولا ينخدع بعض القادة العرب بالوعود البريطانية ، ويصرون على مواصلة اضرابهم حتى تتحقق أماني الشعب الفلسطيني ٠٠ وان كان قد انخدع أيضا في نفس الوقت زعماء أخرون ٠

وكانت أحوال فلسطين الثائرة تحتل الصفحات الأولى من الصحافة المصرية، كما كانت اضرابات الشعب الفلسطيني تحتل كل يوم ـ في الغالب ـ صفحة أو صفحتين في داخل كل جريدة مصرية ٠ كما تنشر الصحف المصرية ٠ وبافاضة أحاديث عديدة مع زعماء فلسطين ، الذين يصلون الى القاهرة ، وكذلك الذين كانوا يقيمون فيها وقتئذ ٠

***

وأعتقد انني بهذا القدر ، قد استطعت أن أعطي صورة واضحة ، أو شبه واضحة ، عن كفاح الشعب الفلسطيني في عام ١٩٣٦ ٠٠ أخطر أعوام النضال الفلسطيني ٠

ونعود بعد ذلك كله الى الكلام عن الأحوال في مصر في تلك الفترة التي وقفنا عندها في الحلقة السابقة ، وهي الفترة التي كان يجري فيها الاستعداد للانتخابات البرلمانية المصرية ، كما تجري فيها المحادثات بين مصر وبريطانيا ، تمهيدا لعقد معاهدة التحالف بين البلدين ٠

***

وكانت وزارة علي ماهر التي تجري الانتخابات تتخذ العديد من القرارات الهامة دون أن تنتظر نتائجها ، الأمر الذي كان يضايق الوفد باعتباره الحزب الذي يتوقع حصوله على الأغلبية الساحقة ٠

وفي مقدمة ما اتخذته وزارة علي ماهر من قرارات خطيرة ، تسويتها لكثير من المسائل المعلقة بين مصر والمملكة العربية السعودية ٠

وحول هذه النقطة نشير الى رسالتين متبادلتين بين علي ماهـــر باشا ، باعتباره وزيرا لخارجية المملكة المصرية ، وبين الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود ، باعتباره وزيرا لخارجية المملكة العربية السعودية ٠

يقول علي ماهر في رسالته المؤرخة في ٧ ابريل ١٩٣٦ :

« انه لمن أعز أماني حكومة مصر ، أن توطد علاقات مصر بالمملكة العربيــة السعودية على أساس متين من المودة والصداقة ، وان تسوى المسائل المعلقــة بينهما ـ لما فيه مصالح البلدين » ٠

ويطلب على ماهر من الأمير فيصل : « ارسال وفد الى القاهرة فى أقرب وقت ممكن ، يكون مفاوضا لمباحثته ، وتوقيع الاتفاق الذى قد ينتهيان اليه » ·

***

ومن القصر العالى بمكة ، يرسل الامير فيصل فى اليوم التالى ٨ أبريل ١٩٣٦ ، ردا على رسالة على ماهر ، يشكره فيها على ابداء رغبة الحكومة المصرية فى توطيد علاقاتها بالمملكة العربية السعودية ، على أساس متين من المودة والصداقة ، وفى تسوية المسائل المعلقة بينهما « لما فيه صالح البلدين » ·

ويقول الأمير فيصل :

« باسم حكومة الحجاز ـ حكومة المملكة العربية السعودية ـ أعرب لدولتكم عن ابتهاج حكومة جلالة الملك وسرورها بهذه الخطوة المباركة ، فى سبيل التوفيق ما بين بلدينا · وأمتينا من روابط وطيدة ، ومصالح مشتركة قائمة على سلسلة مديدة من الصفات والتقاليد والماضى المشترك والدين واللغة والجوار » ·

ويضيف الأمير فيصل :

« ان حكومة المملكة العربية السعودية قد وقع اختيارها على سعادة فؤاد بك حمزة وكيل الخارجية للقيام بهذه المهمة ، وسيكون سفره من جده يوم الاثنين الواقع فى ١٣ ابريل ، فيصل السويس يوم الأربعاء ١٥ منه ، وانى أسأل الله أن يوفقنا جميعا لما فيه حفظ مصالح بلدينا المشتركة وسعادة أمتينا ورفاهيتهما » ·

واذا كان الشيء بالشيء يذكر ، فان المملكة العربية السعودية ، قد أعادت تأليف « مجلس الشورى » فى دورته الخامسة من الأعضاء الآتية أسماؤهم : عبد الله الفضل ، صالح شطا ، شرف رضا ، عبد الله الشنبى ، عبد القادر غزاوى ، حسين باسلامه ، على كتبى أحمد غزاوى : محمد المغيربى : عبد الرءوف الصبان : عبد الوهاب قزاز ، محمد صالح نصيف ·

***

وكان خطاب الملك عبد العزيز فى افتتاح الدورة الجديدة ، موجزا الى أبعد حدود الايجاز ، اذ لم يتجاوز ثلاثين سطرا · وكان من بين الكلمات التى وردت

« لقد قضت حكمة الله فى اجتماع المسلمين للنظر فى مصالحهم باتباع ما أمر به ، وباجتناب ما نهى عنه ، وأمرنا بالتعاون على البر والتقوى ، والتشاور والتناصح فى مصالح البلاد والعباد ، حيث قال فى محكم كتابه : « وشاورهم فى الأمر » · وقال عليه الصلاة والسلام « الدين النصيحة » ·

« ولما كان من أعز أمانينا أن يمثل الشعب في هذا المجلس تمثيلا صحيحا لتكون الصلة بين الشعب والحكومة أوسع وأعم ، فقد أصدرنا أمرنا بوضع نظام يقضي بانتخاب ممثل عن كل قضاء في المملكة ، يجتمعون بصفة مجلس عام في شهر الحج من كل عام » .

***

والجدير بالذكر ان فؤاد حمزة وكيل وزارة خارجية المملكة العربية السعودية عندما وصل الى مصر تحدث عن : « قيام الوحدة العربية ، واعتبارها أمنية كل مخلص للعروبة ، وأن الدعاية الواسعة التي يقوم بها الرجال المخلصون لهـذه القضية ، بدأت بوادر ثمرتها وأخذت تعمل عملها في الشعور العام ، وعلى كل عربي أن يغذي هذه الدعوة ، وأن يعمل كل ما استطاع في سبيل ازدهارها ، وأن يغرس بذورها في نفوس الشباب الناشيء بجميع الوسائل المشروعة » .

وبعد تلك الجولة العربية أعود الى مصر ، حيث مات الملك أحمد فؤاد الأول وتولى مكانه الملك فاروق الأول .



البـــاب الســادس



الفصــــل الأول

مـات الملك .. يحيـا الملك

وفي القاهرة يبدأ الحديث بصراحة ووضوح عن اشتداد المرض على الملك احمد فؤاد وعن استدعاء ولي العهد الامير فاروق من لندن ٠

***

وكان الملك فؤاد قد أصيب في أسنانه وظل يخلعها واحدة اثر واحدة طوال ثلاثة أسابيع : وكان الدكتور فرجوني ، الذي استدعى من ايطاليا على طائرة خاصة ، قد شكل مجلسا طبيا ، أخذ أعضاؤه يفحصون المرض ويسبرون غوره ، ثم أصدروا « نشرة طبية » أولى ، قالوا فيها : « لقد حدث التهاب تعفني في الفم اتخذ شكل الغرغرينا ، ثم طرأ نزيف له خطورته أثر تأثيرا غير محمود في الحالة العامة » ٠

وبينما كان الملك فؤاد يواجه ساعاته الأخيرة ، كان الأمير محمد علي يتردد على دار المندوب السامي البريطاني ٠

ورغم نقل كميات من الدم ٠٠ الا ان الحمى قد زادت على الملك فؤاد ٠

وتتوالى « النشرات الطبية » ، التي يصدرها الاطباء : بروفيسور فرجوني برفيسور دونيه ٠ د٠ ريدر ٠ د٠ بيرت داي ٠ د٠ هيس ٠ د٠ جروس ٠٠ ولم يكن من بين الأطباء الذين يعالجون ملك مصر أي طبيب مصري ٠٠ !!

***

وقفنا عند الكلام على اشتداد المرض على الملك أحمد فؤاد ، وقيـام مجموعة من الاطباء بمعالجته دون أن يكون من بين الاطباء طبيب مصري واحد ، يشترك في علاج ملك مصر ، الأمر الذي يؤكد ، بأن عقدة الخواجة كانت متوافرة جدا

فى السراى الملكية ، كما وقفنا أيضا عند تردد الأمير محمد على توفيق ، أكثر من مرة على دار المندوب السامى البريطانى والامير محمد على توفيق ، كما تؤكد ، كل الوثائق ، المصرية ، والبريطـــانية كان من أوثق أمراء البيت المالك علاقة ببريطانيا ، وكان فى نفس الوقت ، على خلاف دائم مع الملك أحمد فؤاد ، والسبب فى ذلك انه كان يرى أحقيته فى ملك مصر ، فبمجرد اعلان الحماية البريطانية ، على مصر ، فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ ، واهدار استقلال مصر ، الداخلى ، التام ، أعلن ناظر الخارجية ، البريطانية انه بالنظر لاقدام سمو عباس حلمى باشا ، خديو مصر ، على الانضمام لأعداء ملك بريطانيا (تركيا) قد رأت حكومة ملك بريطانيا خلعه من منصب الخديوية وقد عرض هذا المنصب السامى ، مع لقب سلطان مصر ، على سمو الأمير حسين كامل باشا أكبر الامراء ، الموجودين من سلالة محمد على فقبله ٠ وكان اختيار السلطان حسين ، ويعد من غير فرع توفيق ، الذى ينتمى اليه الخديو عباس حلمى فى رأى الأمير محمد على توفيق ، وباقى أفراد أسرة توفيق باشا ــ الخديو الأسبق ــ عدوانا على هذا الفرع ، وافتئاتا على حقوقه ، اذ كان يجب على بريطانيا ــ فى رأى محمد على توفيق ــ انها ما دامت قد عزلت عباس حلمى ، الثانى ، فيجب أن تختار بدلا منه ابنه ، أو شقيقه ، لاستمرار بقاء السلطنة فى فرع توفيق باشا والد عباس حلمى وقد زاد هذا الاعتقاد أهمية فى نفس الامير محمد على ، بعد وفاة السلطان حسين ، واعتذار نجله الوحيد كمال الدين حسين عن قبول منصب سلطان مصر ، متنازلا ، عن كل حق ، أو صفة أو دعوى كان من الممكن له ان يتمسك بها فى عرش السلطنة المصرية ، وقد كان محمد على توفيق ومحمد عبد المنعم ، وغيرهما من امراء فرع توفيق ، يرون انه بعد وفاة السلطان حسين ، واعتذار ابنه لا بد من العودة الى نجل الخديو عباس حلمى أو الى شقيقه خاصة ٠ ان بريطانيا عندما عزلت عباس حلمى ، الثانى لم تعزل ورثته ، عن حقهم فى تولى السلطنة ، ولان الأمير أحمد فؤاد ، الذى اختارته بريطانيا فى ٩ أكتوبر ١٩١٧ ليكون سلطانا على مصر ، لم يكن صاحب حق ، فى هـــذا المنصب ، وكان الأمير محمد عـــلى توفيق ٠ وهو ميال الى السلطنة منذ شبابه المبكر ، يرى أحقيته فى أن يكون له الأمر ، وكان دائما يعرض نفسه على بريطانيا ، التى كانت محتلة مصر ، لتختاره فى أى وقت يقع بينها وبين السلطان ، أحمد فؤاد « الملك فؤاد » فيما بعد ٠ أى خلاف أو اختلاف ٠

***

وكان أحمد فؤاد قد تزوج للمرة الثانية من الآنسة نازلى كريمة عبد الرحيم صبرى باشا ، وكان وزيرا للزراعة وذلك فى ٢٤ مايو ١٩١٩ ، أثناء اشتداد لهيب ثورة ١٩١٩ ، وفى ١١ فبراير ١٩٢٠ انجب فاروق ، وقد قام ، يوسف وهبه باشا ، رئيس مجلس الوزراء ، وقتئذ بابلاغ النبأ ، الى المندوب السـامى

البريطانى والى وزارة الخارجية البريطانية وكان ذلك الابلاغ شذوذا فى حد ذاته ، فلم يجر العرف على ابلاغ ممثل دولة أجنبية فى مصر ، ولا وزارة خارجيتها بمثل هذا الحدث الداخلى وبالرغم من أنه لم يكن فى مصر ، وقتئذ ، نظام خاص بوراثة العرش الا أن الحكومة البريطانية ، قد انتهزت الفرصة ، وبالغت فى التدخل فى شئون مصر ، فأرسل صاحب المقام ، الجليل الفيلد مارشال اللنبى ، المندوب السامى البريطانى الى السلطان أحمد فؤاد فى ١٧ ابريل ١٩٢٠ رسالة يقول فيها : ان الحادث السعيد الجديد ، الا وهو ميلاد نجل لعظمتكم قد دعا حكومة جلالة الملك الى النظر فى نظام وراثة السلطنة المصرية وعليه فقد رأت من لدن جلالة الملك بأن أبلغ عظمتكم الاعتراف بنجل عظمتكم الأمير ، فاروق ونسله من الذكور ، على قاعدة الأكبر من الأولاد ، فالأكبر من أولاده على نفس القاعدة كأولياء عهده .

***

وكان تدخل بريطانيا منذ اللحظات الأولى لمولد ، فاروق منافيا للاستقلال وهادما للسيادة ، القومية ، بل والكرامة الوطنية .

واذا كان الشيء بالشيء يذكر فان الحزب الوطنى لم يترك تلك المناسبة تمر دون ان يحتج عليها فى بيان ، أصدره ووزعه ، على الصحف ، فلما حيل بين الصحف وبين نشره لوجود الرقابة على الصحف ، بادر بتوزيعه فى نشرات خاصة ، مطبوعة ، وأبلغه الى معتمدى الدول الأجنبية فى مصر ، وكان البيان قد صدر من اللجنة الادارية للحزب الوطنى وقد جاء فى هذا البيان ـ للذكرى ـ ان مسألة عرش مصر ، وما يتعلق به من المسائل الخاصة بالأمة المصرية وحدها ، دون غيرها ، وبما أن اقدام الحكومة البريطانية على التدخل فى شئون مصر ، الخاصة فى الوقت الذى تعمل فيه الأمة المصرية جميعا على استرداد استقلالها التام ، باذلة فى سبيل ذلك كل جهودها المشروعة يعد اعتداء صريحا على أحكام ، القانون الدولى ، من جهة وعلى مبادىء ، حرية الشعوب وحقوق الأمم الطبيعية من جهة أخرى وبما ان الوسائل ، التى تتخذها الحكومة البريطانية فى تنفيذ اغراضها السياسية أزاء مصر ، قائمة على سلطان قوتها وعلى الأحكام العرفية المعلنة ، منها ، فان جميع الأعمال الناتجة عنها ، تعتبر بغير شك ، غير مشروعة ولا جائزة لأن الأمة وحدها هى المالكة للتصرف فى جميع حقوقها السياسية وبما ان الأمة المصرية لا تزال ولن تزال متمسكة بحقوقها ، المقدسة وانها لا تعترف لانكلترا بمركز خاص فى مصر ، يخولها أى حق أو أية صفة للتدخل فى شئون البلاد السياسية سواء كانت بخصوص ، العرش ، أو الوراثة ، أو غيره ، وكذلك بما ان الأمة المصرية لا تزال تعمل ، على تحقيق مبدئها ، القاضى باستقلال مصر ، التام مع سودانها وملحقاتها استقلالا غير مشوب باحتلال أو حماية أو وصاية أو أى تدخل

أجنبى فاللجنة الادارية للحزب الوطنى ترى من واجبها عدم السكوت على كل عمل سياسى يراد منه الافتئات على حقوق البلاد كلها أو بعضها لذلك قررت بالاجماع أولا ــ الاحتجاج بشدة ، على جميع هذه الأعمـــال ، وما يماثلها . ثانيا ــ تبليغ وكلاء الدول الأجنبية وقناصلها العامين ، الممثلين لها فى مصر ، هذا القرار لابلاغه الى حكوماتهم وقد وقع ، « البيان » عن اللجنة الادارية للحزب الوطنى : على فهمى كامل ــ شقيق مصطفى كامل ، باعتباره وكيـــلا ، للحزب الوطنى .

***

كما أصدرت أيضا لجنة الوفد المركزية بمصر برياسة محمود سليمان باشا قرارا بالاحتجاج ، على هذا التدخل قالت فيه ان الأمة المصرية مع تمسكها الشديد بعائلة محمد على مصلح مصر ، الكبير وبأن يكون على عرش مصر ، احد أفراد هذه العائلة المجيدة بطريق الوراثة ترى انه فى تقرير نظام ، هذه الوراثة بواسطة حكومة انجلترا اعتداء ، على حقوق مصر الشرعية ، لأن الأمة المصرية وحدها بما لها من الحق فى تقرير مصيرها ، هى صاحبة الحق فى تقرير نظام وراثة ، الحكم فيها وعلى ذلك فاللجنة المركزية للوفد المصرى تحتج على هذا العمل وهى بذلك ، تعبر عن رأى الأمة .

***

وكانت اللجنة الادارية للحزب الوطنى ، تتخذ موقفا صلبا ، ازاء السلطان أحمد فؤاد ، وازاء القرارات التى يتخذها ، أو تتخذها السلطات البريطانية خاصة به ، أو بابنه فاروق ــ ومن أجل ذلك ، كانت توجه ، اليها ، الاتهامات الخاصة بميلها الى الخديو عباس حلمى الثانى وسعيها ، المتواصل لاعادته الى العرش ..

***

ونعود بعد ذلك الاستطراد لنقول ان الأمير محمد على ــ ومنذ اشتد المرض على الملك أحمد فؤاد ــ كان دائم التردد على دار المندوب السامى البريطانى ، ولا نعتقد أبدا ، انه كان يطمع فى أن يلى العرش ، بعد وفاة أحمد فؤاد لأن بريطانيا كانت قد اعترفت بفاروق وليا للعهد ، ولم يكن فى الامكان ، احداث انقلاب ، جذرى فى السلطة ، وكل ما كان يسعى اليه محمد على هو أن يكون وصيا ، على العرش ، وان يكون فى نفس الوقت ، وليا للعهد .

***

وفى نفس الوقت ــ وقت اشتداد المرض على أحمد فؤاد ، كان على ماهر باشا رئيس الوزارة دائم الاتصال بأحمد حسنين بك وابنه الأمير فاروق فى

لندن وكان المستر كين بويد مدير الادارة الأوروبية فى وزارة الداخلية يلتقى باستمرار مع شريف صبرى ، وكيل وزارة الخارجية وشقيق الملكة نازلى وكان أحمد فؤاد ــ عندما اشتدت به العلة ــ يعكف على الجلوس نصف جلسة على كرسى مريح حتى لا يسرى السم الناتج من التهاب اللثة الىبقية اجزاء جسمه وقد انتهز الملك فرصة تحسن صحته ، فوقع مرسوما خاصا بتعديل اتفاقية قناة السويس ومرسوما ، آخر بتعيين توفيق ابراهيم بك قاضيا بالمحاكم المختلطة ، وكانت قد وصلته رسالة من ابنه فى لندن ، رأى أن يطلع عليها فضغط على زر كهربائى لانارة الاباجورة القريبة منه وفتح المظروف ، ووضع نظارته ، على عينيه ولكنه ما كاد يستهل قراءة الرسالة حتى استسلم لنوبة اغماء قصيرة ، أسلم بعدها الروح ، ولم يكن بداخل الغرفة الا فيروتشى بك كبير مهندسى السرايات الملكية ــ وهو ايطالى ككل موظفى السراى الكبار ــ فرأى ، أحمد فؤاد بعد أن فارق ، الحياة ، فخرج ليعلن النبأ لمن هم خارج الغرفة وقيل ان آخر رغبات الملك أحمد فؤاد ، كانت اعداد توكيل ، لتوقيعه يهدى فيه مجموعته الأثرية ، النفيسة الى ابنه فاروق ، حتى لا تقسم بين الورثة ، ولكن تلك الرغبة لم تتحقق لانه فارق ، الحياة ، قبل ان يتم ، اعداد التوكيل ·

***

وكان على ماهر قد أعد ، لكل شيء عدته ، قبل أن يلفظ الملك أنفاسه الأخيرة فسرعان ما أعلن وفاة الملك فؤاد فى وثيقة رسمية وقعها ، الى جانبه محمد على علوبة ، حافظ حسين ، أحمد على ، على صدقى ، صادق وهبه ، أحمد عبد الوهاب، حسن صبرى ــ الوزراء ، وفى نفس الوثيقة التى أعلن فيها وفاة الملك أحمد فؤاد أعلن المناداة بفاروق ملكا على مصر ، وفى نفس الوقت أعلن تولى مجلس الوزراء منذ يوم ٢٨ ابريل ١٩٣٦ ــ يوم وفاة الملك ــ سلطات الملك الدستورية باسم الأمة المصرية وبحث مسئوليته حتى الوقت الـذى يجب ، عليه ان يسلم مقاليدها الى مجلس الوصاية ·

وفى نفس الوقت أيضا أرسل على ماهر ، برقية عزاء من مجلس الوزراء الى الامير فاروق ولى العهد لوفاة والده ، وبرقية أخرى يهنئه باعتلاء جلالته عرش مصر !

***

وفى نفس الوقت أيضا ، اتخذت الاجراءات اللازمة لتشييع جنازة أحمد فؤاد ، ولم يتخذ مجلس الوزراء قرارا فى مسألة ولاية العهد وان كانت بعض الصحف ، الممالئة ، للأمير محمد على قد ذكرت ان ولاية العهد ستكون من حق الأمير ، محمد على توفيق لانه أقرب الأمراء ، الى جلالة الملك فاروق ، كما ان

بعض الصحف الأخرى رأت ، ان ولاية ، العهد ، يجب أن تكون من حق الأمير محمد عبد المنعم ·

★★★

والجدير بالذكر ان الاستاذ ابراهيم الهلباوى قد نشر فى الاهرام ــ وقد أيدته الأهرام فى رأيه ــ وكذلك نشرت ، كثير من الصحف البريطانية ان ولاية العهد ، انتقلت بعد أن أصبح فاروق ملكا ، الى الأمير محمد علي توفيق وان الاستاذ سعيد حبيب المحامى قد نشر فى روزاليوسف مقالا ، أكد فيه ، ان ولاية العهد حق للأمير محمد عبد المنعم ، رأس فرع توفيق فى أسرة محمد علي وان هذا الحق انتقل اليه بحرمان والده الخديو عباس حلمى دون عمه الأمير محمد على توفيق ·

★★★

وكان الغضب الملكي واقعا لفترة طويلة على الاستاذ سعيد حبيب لانه تجرأ أن يعبر عن رأيه هذا ، الذى كانت بريطانيا لا ترتاح له وبالتالى لا ترتاح له السراى أيضا بالتبعية ·

وقبل ان يوارى جثمان الملك التراب لم يكن من حديث للناس الا الحديث عن مجلس الوصاية هل يكون مشايعا للوفد أم غير مشايع له ، هل يكون برئاسة محمد على توفيق ، أم برياسة على ماهر ، وكانت الاسماء المطروحة ، وقتئذ للمشاركة فى مجلس الوصاية : على ماهر ، محمود فخرى ، زوج كبرى كريمات الملك فؤاد ، محمد طاهر باشا ابن شقيقة الملك الراحل ، والأمير محمد علي ، وقيل ان نسيم باشا كان مرشحا ليكون أحد أعضاء مجلس الوصاية ولكن بعض الجهات اعترضت ·

★★★

وقبل ان يوارى أيضا جثمان الملك الراحل كانت لجنة مؤلفة من على ماهر وأحمد عبد الوهاب وزير المالية وأحمد على باشا وزير الحقانية وحسن صبرى باشا وزير المواصلات وسعيد ذو الفقار باشا كبير الأمناء ومحمود فخرى باشا وكان وقتئذ وزيرا مفوضا لمصر فى باريس ويحمل لقب صاحب معالى ، وكذلك شريف صبرى باشا ، وكيل وزارة الداخلية بالاضافة الى عبد الحميد بدوى باشا كبير المستشارين الملكيين وكانت مهمة هذه اللجنة بحث كل الاجراءات الدستورية الخاصة بالمرحلة الجديدة من مراحل الحكم وكان من بين المشاكل التى كانت تبحثها تلك اللجنة أى مجلس نيابى سيجتمع لتعرض عليه مسألة الوصاية على العرش ؟ هل هو برلمان ١٩٣٠ الذى كان يقوم عليه نظام حكم اسماعيل صدقى والذى انتهى وانتهى معه الدستور ، الذى كان يعتمد على دستور سنة ١٩٣٠

أم هو برلمان ١٩٢٩ آخر برلمان استند على دستور سنة ١٩٢٣ ، الذى أعيد بعد زوال الانقلاب الصدقى أم هو البرلمان الجديد الذى سوف تجرى الانتخابات الخاصة به بعد يومين من تشييع جنازة الملك الراحل ؟ وكان لكل رأى من تلك الآراء الثلاثة وجاهته وأسانيده القانونية . ولكن لم تكن المسألة مسألة قانون وحسب ولكنها أيضا مسألة سياسة فلا بد من أخذ رأى زعماء الجبهة الوطنية الذين يفاوضون بريطانيا باعتبارهم قادة البلاد وزعماءها ، ولا بد - فى نفس الوقت - من أخذ رأى الحكومة البريطانية التى تدس أنفها فى كل صغيرة وكبيرة متعلقة بمصر خاصة فى الفترة الأخيرة .

***

وتشييع جنازة الملك فؤاد وكان محمد على توفيق نائبا ، عن الملك فاروق ولوحظ ان أعضاء الحزب الايطالى الفاشيستى - وكان للفاشستيين فى مصر ، نفوذ قوى وقتئذ لأن بعض كبار ذوى النفوذ فى القصر من الايطاليين ، الممالئين للفاشيست - قد اصطفوا بميدان سوارس بأعلامهم المنكسة وشارات الحداد الخاصة بهم وقد أدوا التحية الفاشية لجثمان الملك الراحل عند مروره من أمامهم .

وكان على ماهر - وتلك من بعض حسناته - قد رفض أن يشترك جيش الاحتلال البريطانى فى تشييع جثمان الملك أحمد فؤاد ، وان كان قد وافق على أن يمثل هذا الجيش فى الجنازة ببعض ضباطه الانجليز .

***

وقد حدث خلال حول من يكون وليا للعهد كما حدث خلاف حول أى برلمان ، يمكن دعوته لعرض أسماء الأوصياء .

وتصف الصحف جنازة الملك فؤاد .

وتقول الأهرام - مثلا - فى عددها الصادر فى يوم الجمعة أول مايو سنة ١٩٣٦ وتحت عنوان ضخم - على امتداد صفحاتها الأولى كلها - أمة تشيع ملكا : الألوف من قصر عابدين ، الى مسجد الرفاعى يحيون الملك الراحل خاشعين متأثرين : يكتب الكاتب وصف احتفال الأمة بتشييع جنازة المليك الراحل ، على غير مثال سابق ، ولا مشاهدة مقربة فلم يحدث ، من قبل أ نرأى الراءون الأمة المصرية بأسرها تخرج هالعة جازعة قد فطر الحزن نفسها ، وهد المصاب كيانها ، مثل ما رأوا من ذلك أمس ، ولقد كانت القاهرة أمس بعد أن مدتها الأقاليم بالوفود من أعيانها ، وزعمائها ، وسوادها تموج بالناس موجا وتضطرب بهم اضطرابا ولم تكن العين تقع الا على عيون دامعة وأبصار شاخصة ، وأناس . قد وقفوا خاشعين واجمين من هول المصاب ، ولقد حق لمصر البكاء على فقيدها العظيم ، وما لها لا تبكيه وقد نهض بها نهضة الجبابرة وأرسل اسمها يدوى فى

جميع انحاء العالم ، وجعلها قبلة الانظار ، ومثلا يحتذى فى الشرق كله بل مالها لا تبكيه وهو الذى بعثها من رقدتها وسدد خطاها • وحنا عليها حنو الوالد ، البار على ولده الوحيد •

★★★

ولقد حق على مصر ، من غير شك ، ان تبكى أول ملوكها والملك الذى رد اليها تاج الملك بعد أن سلبت أياه حوالى خمسة قرون •

وحق على مصر ، ان تبكى الملك الذى علمها وثقفها وما زال ينشر فيها لواء العلم والعرفان ، ويشرع لها موارد الثقافة حتى اتجهت صوبها ، وولت وجهها شطرها ، وهى اليوم سائرة فى هذا الطريق ، الواضح المسالك •

وحق لمصر ان تبكى الملك الذى حمى طابعها ، وتقاليدها المحترمة ، وأبقى على مكنونات القومية فيها ، وكان فى ذلك كله المثل الأعلى والقدوة المحتذاه •

★★★

ومن أخبار تشييع الجثمان ، كما جاء فى نفس العدد بالأهرام :

● لم يسمح البوليس لمصورى الصحف والسينما بالتصوير فى الشوارع، ولهذا كانت مهمتهم شاقة متعبة فراحوا يتسلقون المنازل ، ويعلون الأماكن المرتفعة فى طريق الجنازة لالتقاط الصور •

● على أثر تحرك الجنازة من قصر عابدين حلقت ثلاثة أسراب من سلاح الطيران المصرى فوق السراى وكان عددها خمس عشرة طائرة وقد ظلت الطائرات محلقة تذهب ، وتجىء فوق طريق الجنازة ، من قصر عابدين الى المدافن الملكية وبالعكس •

● أقبل الناس على استئجار أسطح المنازل وشرفاتها ، واستعان أكثرهم بالمظلات الكبيرة فوق الاسطح للوقاية من وهج الشمس •

وبلغ من شدة شغف الجماهير بمشاهدة الموكب ان كانوا يستأجرون الكراسى للوقوف عليها ، وكذلك الصناديق الخشبية الفارغة ، ثم تدرجوا الى استئجار السلالم الخشبية فكان كل من يضع قدميه ، على درجة من درجات سلم خشبى يدفع أجرا يختلف باختلاف الموقع • وقد كان بعض السلالم ، يحمل أكثر من خمسة أشخاص !

★★★

● أودع الجثمان الكريم ، مقره الأخير بين مظاهرة الحزن والبكاء الشديد ، وقد نزل مع الجثمان ، الى اللحد ، معالى سعيد ذو الفقار باشا ، وسعادة مراد

محسن باشا وفضيلة الاستاذ عبد المجيد سليم المفتى الذى قام بتلقين الفقيد الكريم ، بالعبارات الدينية المعروفة ·

● كانت الملكة نازلى على اثر خروج الجثمان الطاهر من سراى عابدين قصدت الى مسجد الرفاعى وكانت مرتدية الملابس السوداء تصحبها كريمتاها الأميرتان فوزية وفايزة وكانتا ترتديان ملابس بيضاء ، وتضعان على رأسيهما شريطا أسود ، وكانت فى استقبالهن الأميرة فوقية ــ كبرى كريمات الملك فؤاد ــ والسلطانة ملك الخ ·· الخ ··

● أعلنت الماسونية التى كانت تعتبر الملك أحمد فؤاد أحد كبار رجالاتها الحداد ستة أشهر ، على أن تكون أوراق المكاتبات الخاصة بها مجللة بالسواد ، وأن يضع الأعضاء ورودا سوداء على أوشحتهم ، ومآزرهم ·

***

ولا اعتراض لى ــ ككاتب ــ على ما نشرته الأهرام عن جنازة الملك أحمد فؤاد · الا فى نقطتين اثنتين : أولاهما قول الأهرام ان هذه الجنازة لم تعرف مصر لها مثيلا من قبل ، وأنا هنا أذكر بجنازة مصطفى كامل ، وجنازة سعد زغلول ، النقطة الثانية قول الأهرام ان الملك فؤاد ، هو الذى علم مصر ولست أعرف انسانا ما علم مصر ، لأن مصر ، هى المعلم باستمرار ، وأفتح قوسا قبل ان انتهى من الكلام عن جنازة الملك فؤاد التى أردت من مجرد تسجيلها هنا اعطاء صورة لمبالغة الصحافة المصرية فى بعض الأحيان ، ولا أقول كل الأحيان · وأقول فى القوس : انه بينما كانت مصر مهتمة بتشييع جنازة الملك فؤاد احتلت اخبار الانتخابات الخاصة بمجلس النواب ، والتى كانت ستجرى فى اليوم الثالث لتشييع الجنازة عمودا واحدا ، أو أقل من صحفنا الكبرى تخللته بعض الاخبار عن هذه المعركة من بينها أن الأستاذ أحمد راسم وكيل محافظة القاهرة أشرف على الاعداد للانتخابات ، لان محافظ العاصمة ــ محمود صدقى باشا ــ كان مشتركا رسميا فى جنازة الملك الراحل ، وان عددا كبيرا من ناخبى دائرة الخليفة قد اجتمعوا ، واختاروا الأستاذ حافظ رمضان رئيس الحزب الوطني نائبا عنهم ، لتمثيلهم فى مجلس النواب من بين المرشحين الثلاثة فى هذه الدائرة وان اعتداء وقع على الوجيه الحاج على أحمد الجمل رئيس الغرفة التجارية ، وعضو لجنة الوفد العامة عن دائرة المنصورة من قبل انصار المرشح المنافس الدكتور حلمى الجيار ــ الذى هو أيضا وفدى ولكنه غير مرشح الوفد ــ وان مصطفى النحاس باشا قد أرسل برقية الى الحاج على الجمل قال فيها : ساءنى كثيرا ما علمته من اعتداء جرىء عليكم من بعض الصبية المناصرين للدكتور الجيار ، وما كان ليدهشنى مثل هذا الاجرام ممن يناصرون شخصا أجرم فى حق الوفد ، ولم يحترم له ارادة أو نظاما ؛ غير انى لا يخالجنى شك فى أن المنصورة وهى حصن الوفد الحصين ،

ستهزم كل من اجترأ على مقاومة الوفد وتكتب له الخذلان المبين ، كما انها ستنصر حضرة صاحب العزة محمود بك نصير نائب المنصورة السابق ومرشح الوفد الوحيد فيها نصرا مبينا فيه عبرة للخارجين ، وترضية للمخلصين ٠

★★★

كما أرسل الاستاذ مكرم عبيد ، برقية الى الحاج على الجمل يقول فيها : ما كان الاعتـداء الأثيم عليكم الا مفخرة جديدة من مفاخركم ودلالة أكيدة على انتصاركم ٠

وكان الدكتور منصور فهمي ، عميد كلية الآداب ، قد نقل مديرا لدار الكتب فغضب الطلبة لذلك النقل ، وتظاهروا من أجل اعادته ونظموا اجتماعا كبيرا فى أحد مدرجات الكلية تحدث الطلبة والطالبات : محمود أبو رحاب ، محمد أحمد الصياد ، محمد النويهى ، أحمد فتحى عفيفى ، على جمال الدين ، ابراهيم خليل ، عبد الحكيم عابدين ، محمد منصور ، ابنة الشاطىء ، ويشـكر د٠ منصور فهمى لأبنائه الطلبة اخلاصهم ووفاءهم مؤكدا أن للجامعة أن تفخر بحق بشبابها ٠

★★★

ويقرر شباب الوفد ــ القمصان الزرقاء ــ فصل عبد الهادى أفندى نجم الدين الجندى لأنه اشترك في ١٩٣٦/٤/٢٦ وخطب في حفلة انتخابية بملابسه الرسمية مخالفا بذلك التعليمات الصادرة « للجنود » من الاشتراك فى الانتخابات ، أو الدعـاية للمرشحين بصـفتهم الرسمية ، كجنود من جنـود الشـباب الوفدى و ٠٠ و ٠٠

ونقفل القوس ، ونعود الى ما كان يجرى وراء الـكواليس فى اجتماعات القادة والزعماء خاصا بمجلس الوصاية والبرلمان ، الذى سـوف يعرض عليه موضوع الوصاية ٠ وننقل هنا فقرات للدكتور محمود عزمى ، وكان على اتصال وثيق بعلى ماهر ، يصف فيها الأيام العصيبة لمصر ، وكيف تجلت ملكات على ماهر باشا ، فى ميادين الاخلاص للعرش والسهر على مصلحة الأمة والجلد على كثرة العمل والابتكار فى الشئون الدستورية والتغلب على المكاره جميعا :

★★★

لقد توفى الملك فؤاد فى ظروف تناوب الأمة فيها اليأس ، والرجاء ، من حيث الصحة الملكية كما تناوبها الاقدام والاحجام ، من حيث التقاليد الدستورية ولم يكن ولى العهد قد بلغ سن الرشد ، وكان الرأى غير مستقر بالنسبة لتحديد هذه السن للرشد المدنى : هل تكون سن الرشد السياسى المحددة بثمانى عشرة سنة هلالية ، أو تكون هى السن المقررة لكـافة المصريين بالواحـد والعشرين

ميلادية ، ولم يكن مجلس النواب قد تمت الانتخابات له ، وكان مجلس الشيوخ منحلا ، ولم يكن موعد انتخابات أعضائه قريبا ولم يكن خمساهم قد عينوا وكان لابد من التوفيق بين ضرورة تعيينهم قبل اجتماع البرلمان ، ورضا الكثرة البرلمانية التى ستتكون منها الحكومة الدستورية ، عن هذا التعيين ، ونصوص الدستور صريحة فى أن مجلس الوزراء هو الذى يتولى سلطات الملك من يوم وفاته الى يوم انتخاب الأوصياء وهى صريحة كذلك فى أن البرلمان يجب أن يجتمع لاختيار الأوصياء قبل مضى عشرة أيام على وفاة الملك ، ولم يكن البرلمان قائما ، واذا كانت الانتخابات ستجرى فى مدى هذه الأيام العشرة بالنسبة لمجلس النواب ، فانها لا تجرى فى خلالها بالنسبة لمجلس الشيوخ اذ الموعد المحدد لانتخابات هذا المجلس يجىء بعد انقضاء تلك الأيام العشرة ، وكل ما ينير الطريق أمام الأمة هو أن رئيس الحكومة كان قد أعلن يوم اشتداد المرض على الملك قبل وفاته بخمسة أيام أن وزارته ستسير بالبلاد فى حدود الدستور والقانون ، وحدود الدستور بالنسبة للأمور الواقعة بعد الحادث الفجائى ، هى على ما قدمنا من تعقيد .

***

واجه على ماهر باشا ، ذلك كله والملك الجديد فى لندن ولا يستطاع وصوله الى القاهرة الا بعد مضى أسبوع فأمتلك ناصية أعصابه كلها ، وقبض على جميع ملكات تفكيره كلها وأقبل يعمل فى سرعة وحزم فأصدر مجلس وزرائه نعى الملك الى الأمة المصرية ، وضمن النعى المناداة بولى العهد ملكا لمصر ، و .. و ..

وأسرع فاتخذ جميع الاجراءات الخاصة بتشييع جنازة الملك الراحل وكانت دار المندوب السامى البريطانى قد رغبت فى أن تشترك فى التشييع فرقة من القوة الانجليزية فى مصر ، فرفض على ماهر هذا الاقتراح فى حزم ، وأبى الا أن تكون الجنازة فى رسميتها ذات صبغة مصرية بحتة .

***

وبنفس السرعة دعا على ماهر باشا كبير المستشارين الملكيين وطلب رأيه فى مسألة سن الرشد المدنى ، كما دعا هيئة مؤلفة من شيخ الجامع الأزهر ، ورئيس المحكمة العليا الشرعية ، ومفتى الديار المصرية وطلب اليها رأيها الشرعى فى الأمر ذاته ، فأقرت ، كما أقر رئيس لجنة قضايا الحكومة ، ان سن الرشد المدنى لجلالته انما هى سن الخامسة عشرة ، على اعتبار ان جلالته ملك مسلم فحال هذا الاجراء السريع من جانب على ماهر باشا دون مشاكل عدة .

***

وكان رأى شيخ الجامع الأزهر ، الامام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى، والشيخ فتح الله سليمان رئيس المحكمة العليا الشرعية ، والشيخ عبد المجيد

سليم مفتى الديار المصرية فى ٣ مايو ١٩٣٦ « ان الحكم الشرعى يقضى بأنه اذا بلغ الشخص سن الخامسة عشرة رشيدا ، أصبح ذا أهلية تامة للتصرفات الشرعية جميعا فيكون له الولاية التامة ، فى ماله ويصح ان يكون ـ وهذا هو المهم فى فتوى رجال الدين ـ ناظرا على الأوقاف وأن يكون وليا على غيره فى النفس والمال ٠

★★★

وجاءت معضلة اختيار الأوصياء ، وقد رأى على ماهر باشا ، ان يكون البرلمان المختص هو المكون من مجلس النواب الذى تمت انتخابات أعضائه الجدد ، ومن مجلس الشيوخ ، الذى كان قائما قبل ابطال العمل بدستور سنة ١٩٢٣ ٠

★★★

وتقدم الفقهاء ، والباحثون ، والدستوريون ، برأى يقول بأن يتولى مجلس الوزراء وحده اختيار الأوصياء ، لأنه هو وحده صاحب الأمر ، لوفاة الملك ولعدم وجود برلمان ٠ وكان على على ماهر ٠ أن يجابه الصعوبات الناشئة من الوضع الاستثنائى فيما يخص الأوصياء ، كما كان عليه ان يجابه الصعوبات الخاصة بتعيين خمس الشيوخ ، فدعا دولته أعضاء الجبهة القومية للاجتماع به فى الساعة السابعة من مساء الأحد الثالث من شهر مايو ١٩٣٦ كى يعرضوا معه للمشاكل الطارئة على ضوء ما أفتت به ادارة قضايا الحكومة والهيئة الشرعية ، وما أدلى به الباحثون من آراء : بدأ على ماهر باشا الحديث بذكر موعد وصول الملك فاروق الى الاسكندرية عائدا من انجلترا فى صباح الأربعاء السادس من شهر مايو وسأل المجتمعين : هل تريدون الاشتراك فى استقبال الملك فى الثغر ، كى تتخذ الحكومة الاجراءات اللازمة لاعداد صالون خاص يلحق بأحد قطارات السكك الحديدية « ولانشات » خاصة للذهاب بها الى عرض البحر ؟ فأظهر بعض المجتمعين الرغبة فى الاستقبال فى الاسكندرية ، ورغب بعضهم الآخر فى الاستقبال بمحطة القاهرة فتم الاتفاق على الرأى الثانى ما داموا غير مجمعين على الذهاب الى الاسكندرية ، ثم تقدم على ماهر باشا للمجتمعين ـ وهم يتناولون المثلجات وما اليها من حلوى ـ بالرأى ، الذى عقد عليه اجماع الفقهاء وفقهاء الدستور ، بشأن سن الرشد المدنى وكيف ان رجال الشريعة الاسلامية رأوا اعتبار جلالته بالغا سن الرشد المدنى فى الخامسة عشرة من عمره ٠

★★★

وسكت المجتمعون الا الاستاذ مكرم عبيد فقد اعترض على رأى الفقهاء الاسلاميين والدستوريين بقوله : انه يتعارض مع حكم من أحكام القوانين العامة ، التى تجعل سن الرشد للمصريين كافة الحادية والعشرين ؟ لكن على ماهر باشا

رد عليه بما كان قد قدمه من الاعتبار الجارى فى غير مصر ، من الدول واعتبار عدم وجود نص صريح مماثل له عند غيرنا فى هذا الصدد ، واعتبار الاضطرار للرجوع لأحكام الشريعة الاسلامية ، بصفة كون الملك مسلما ، وانتهت المناقشة الأولى ومرت مسألة سن الرشد وسط أكواب الشيكولاتة المثلجة ، ولما انتهى المجتمعون من تناول المرطبات اعتدل على ماهر باشا وقال : لنتكلم فى الموضوع الذى دعوتكم للاجتماع من أجله وهو موضوع الوصاية والاجراءات التى ينبغى أن تتبع فيه ، وشرح على ماهر ، للحاضرين كيف أن رأى لجنة القضايا ، استحالة اعتبار أى من برلمانات العهدين الماضيين برلمانا قائما ، أو قديما ، ينطبق عليه الدعوة الى الانعقاد ، وأنها ـ أى لجنة قضايا الحكومة ـ تنصح بالانتظار الى ما بعد الانتخابات لمجلس الشيوخ حتى يعرض الأمر على البرلمان الجديد كله ، معتبرة مخالفة النص القائل بانعقاد البرلمان للنظر فى أمر الوصاية فى فترة الأيام العشرة التالية لوفاة الملك مخالفة قهرية ، وعلق على ماهر باشا على هذا الرأى بأنه مهما تكن ثقته بمعلوماته الفقهية فانه بحكم مركزه ومسئوليته بالنسبة لحكومة نظامية يرأسها ، مضطر ان يستعين برأى لجنة القضايا وان ينظر اليه فيما ينظر بعين الاعتبار ، لكن النحاس باشا قاطعه وقال له : ان رأى لجنة القضايا « كلام فارغ » وانه كثيرا مارمى بآراء هذه اللجنة عرض الحائط ، وهو يعرف القانون ، وقال على ماهر باشا للنحاس باشا ، ان لدولته ان يقول هذا بصفته الفردية ، ولكنه وهو فى مكان رياسة الحكومة ، فينبغى أن ينزل عند نظام هذه الحكومة ويستمع الى رأى ذوى الاختصاص فيها ولكن النحاس باشا استمر فى حديثه مدليا برأيه القاضى بعقد برلمان ١٩٢٩ ٠ فى الحال قبل ان تنتهى الأيام العشرة لوفاة الملك وقال على ماهر ، انه مع التسليم جدلا ، باحتمال دعوة برلمان سابق فان برلمان ١٩٢٩ ليس هو البرلمان الأخير : فقال النحاس باشا : ان صدقى باشا ، هو صاحب البرلمان الأخير موافق على رأيه فلاحظ على ماهر ، ان ذلك البرلمان الذى يريد النحاس الدعوة الى عقدهلم يكن قد اشترك فى انتخاباته الأحرار الدستوريون والظروف ظروف توحيد للصفوف فيحسن أن يكون البرلمان الجديد الذى اشتركت فى انتخاباته الهيئات كلها هو الذى يدعى للاجتماع فأجاب النحاس باشا بأن محمد محمود باشا هو أيضا موافق على رأيه ٠

***

وتحدث على ماهر ، فى حزم قائلا : انه لا يستطيع ان يبعث برلمانا ميتا بحكم الغائه السابق ، وان الحل الذى يراه : الحل الوحيد للتوفيق بين الاتجاهات كلها ، والذى يحترم الدستور فى نصوصه ، وفى روحه ، انما هو أن يعجل فى اجراء الانتخابات لمجلس الشيوخ بحيث تتم قبل انتهاء الأيام العشرة التالية لوفاة الملك ، وان يدعو البرلمان الجديد ، بمجلسيه للاجتماع يوم الجمعة الثامن من شهر مايو ، وهو آخر أيام تلك الفترة ، فعارض الأستاذ مكرم عبيد وقال : انك

بذلك تحرم المرشحين من أن يدلوا للناخبين بتفاصيل برامجهم وآرائهم ، وتحرم الناخبين من أن يتعرفوا هذه الآراء وهذه البرامج قبل أن يتقدموا للانتخابات » فأجاب على ماهر بأنه يسوى فى المعاملة بين الناخبين جميعا والمرشحين جميعا على أن هذه الترشيحات ، قد تمت من وقت غير قصير ، وعرف الناخبون كلهم ، من أمر المرشحين ما يستطيعون أن يتبينوا معه ما يريدون قبل أن يتقدموا للانتخاب .

***

وعاد النحاس باشا ، الى نغمة البرلمان القديم وقال : نأخذ مجلس النواب الجديد ومجلس الشيوخ القديم ، فأجاب على ماهر ، بأن هذا جمع بين احياء ، وأموات وتلفيق لا يرضى لنفسه ان يشترك فيه » .

ويسأل النحاس باشا ، على ماهر ، عن أمر الشيوخ المعينين ويقول على ماهر : يعينهم مجلس الوزراء صباح الجمعة بعد أن تكون نتائج الانتخابات ، قد عرفت ، ويقول النحاس : لكن تعيينهم من حق الحكومة البرلمانية المقبلة ، ويسأل على ماهر النحاس باشا ، عن السوابق ويريد حافظ عفيفى انقاذ الموقف ، فيقول : ليجتمع مجلس الشيوخ بالأعضاء المنتخبين فقط ، ويتدخل أحمد ماهر فى المناقشة قائلا : ان مجلس الشيوخ لا يعتبر مجلسا للشيوخ الا بتوافر عنصرى المنتخبين والمعينين من أعضائه ، والنص على هذا فى الدستور صريح ، لا يحتمل تأويلا .

***

ويعلن على ماهر استعداده لأن يعين مجلس الوزراء الشيوخ الذين يضع بهم النحاس باشا قائمة ويقول النحاس : لكنها ستكون سابقة خطيرة ، ويحاول صدقى باشا تدعيم موقف النحاس باشا بقوله ، ان تعيين الشيوخ من حق الملك والأوصياء دون غيرهم ، وبعد جدال شاق عنيف ، تتفق الآراء على تقصير آجال الانتخابات للشيوخ ، وتقديم موعد انعقاد البرلمان ، واصدار مرسوم تعيين الشيوخ ظهر اليوم الثامن من مايو وفق القائمة التى يقدمها له النحاس باشا .

***

والطريف أن النحاس باشا عندما قدم القائمة الخاصة ، بمن يريد تعيينهم أعضاء فى مجلس الشيوخ ، الى مجلس الوزراء لاصدار المرسوم الخاص بهذا التعيين ، لاحظ حسن صبرى باشا ، ان القائمة لا تتضمن اسم على ماهر باشا ، ولا اسم واحد من زملائه الوزراء ، وقال حسن صبرى باشا : انه يرفض بتاتا التوقيع على مرسوم لا يتضمن اسماء الوزراء القائمين أعضاء معينين فى مجلس الشيوخ ، واذن فلا مرسوم ولا تعيين ولا مجلس شيوخ ، ولا انتخاب أوصياء

اذ السلطات الملكية مودعة لدى مجلس الوزراء ، لا لدى رئيسه أو طائفة من أعضائه .

ودارت مفاوضات تخللتها اعتبارات الذوق واللباقة ، والكياسة ، وانتهت بتضمين القائمة أسماء على ماهر باشا وزملائه الوزراء .

★★★

وتبقى - قبل أن تمضى بنا الأحداث بعيدا - أن نقول كلمة فى الملك أحمد فؤاد .

الفصل الثانى

كلمة فى الملك فؤاد

أحمد فؤاد هو سادس انجال الخديو اسماعيل باشا وأكبرهم محمد توفيق وهو من مواليد عام ١٨٥٢ ، يليه حسين كامل وحسن « ١٨٥٤ » ومحمود حمدى « ١٨٦٣ » وهو ـ أى أحمد فؤاد ـ من مواليد ١٨٦٨ ، وبعده رشيد ١٨٦٩ وعلى جمال « ١٨٧٥ » وكان للخديو اسماعيل بنات هن : زينب ؛ توحيدة ؛ نازلى ، فاطمة ، جميلة ، فاضلة ، أمينة ، ونعمت مختار ٠

وكان الأمير أحمد فؤاد قد تزوج الاميرة شويكار ابراهيم كريمة ابراهيم أحمد ثم طلقها ، على اثر اعتداء فظيع وقع عليه عام ١٨٩٨ من أخيها الأمير سيف الدين أحمد الذى أطلق عليه الرصاص فى النادى الخديو « نادى محمد على فيما بعد » وحكم عليه بالسجن سبع سنوات خفضت استئنافيا الى خمس سنوات ثم نقل الى مستشفى الأمراض العقلية بانجلترا ومكث فيه سبعا وعشرين سنة الى أن هرب الى الاستانة ٠

وقد تربى أحمد فؤاد فى معهد توديكوم فى جنيف وبعده انتقل الى معهد تورينو الدولى ، وبعد انتهاء دراسته فى معهد تورينو ، أصبح ضابطا فى الجيش الايطالى برتبة ملازم ثان ، والحق بالفيلق الثالث عشر من مدفعية الميدان وكان مقر الفيلق يومئذ روما ٠

وقد اختاره فيما بعد سلطان تركيا ليكون ملحقا بالسفارة العثمانية فى فيينا ٠

★★★

وقد عمل أحمد فؤاد فى خدمة الخديو عباس حلمى ، ثم اعتزل العمل فى عام ١٨٩٥ ورافق الخديو عباس حلمى فى رحلته الى ايطاليا فى سنة ١٩١١ ، لما كان يجمعه بأسرة سافواى ، المالكة من صلات وثيقة ٠

وحاول أحمد فؤاد أن يكون ملكا أو أميرا على طرابلس الغرب ذات مرة ، ثم حاول أن يكون ملكا أو أميرا على البانيا مرة أخرى ، فلما فشل مسعاه فى كل من المحاولتين آثر أن يتفرغ للمشاركة فى الجمعيات الأدبية والثقافية والفكرية والاجتماعية ، كالجامعة المصرية والجمعية الجغرافية وجمعية الاقتصاد والتشريع، ومعهد الاحياء المائية و .. و..

وعن قصة اختياره ليكون سلطانا على مصر ، يقــول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى : « بعد وفاة السلطان حسين واعتذار الامير كمال الدين حسين عن توليه العرش مكان والده أصبح الطريق أمام الامير أحمد فؤاد معبدا اذ كان بعيدا عن السياسة طيلة حياته السابقة ولم تبد منه مغاضبة أو معارضــة للاحتلال البريطانى فى أى موقف من المواقف ، ولا بذل أى تأييد أو مناصرة للحركــة الوطنية فى أية مرحلة من مراحلها السابقة مثل ما بدا من بعض الأمراء ، فكان هذا الماضى ، ما رشحه لولاية العرش .

***

واجتمع الى ذلك ما أظهره من الولاء ، للاحتلال البريطانى خلال الحرب العالمية الأولى ، اذ كان على رأس اللجنة التى تألفت لتكريم الجنرال جون مكسويل قائد جيش الاحتلال الذى تم على يده انقلاب ديسمبر « ١٩١٤ » وهو الانقلاب الذى تم بمقتضاه ، اعلان الحماية البريطانية على مصر ، وعزل الخديو عباس حلمى الثانى لوقوفه الى جانب تركيا ، التى كانت فى الحرب العالميــة الأولى تحارب بريطانيا ..

وعن مراحل حياة الملك فؤاد ، كتب عبد الرحمن الرافعى : وقد دفع ثمن ما كتبه عن الملك فؤاد ، وكان الثمن باهظا للغاية : كتب عن الفترة الأولى من اعتلائه العرش الى ثورة ١٩١٩ يقول .. لم يكن للسلطان فؤاد ، عمل ما فى تطور الحوادث منذ اعتلائه العرش الى نشوب ثورة ١٩١٩ . وأغلب الظن انه لم يكن له برنامج فى الملك يسير عليه ولا أهداف يقصد اليها .

ومن الحق ان يقال انه كان فى هذه الفترة سلطانا تحت الحماية البريطانية بكل ما تحمله الكلمة من معان ، فالحماية التى رفعته الى العرش كما رفعت سلفه السلطان حسين ، ولم يجد باسا من أن يصل من هذا السبيل ، الى عرش محمد على ،بل تدل الدلائل على انه ارتضى هذا الوضع وأقره ، وكان يراه أمرا طبيعيا ، لا غبار عليه .

وهذا ولا ريب خطأ فى تفكيره وموضع ضعف فى شخصيته .

قال فى أول خطاب له الى وزيره الأول حسين رشدى باشا يوم ١٠ أكتوبر ١٩١٧ :

تعلم رعايانا انه بسبب وفاة سلفنا وأخينا المحبوب المغفور له السلطان حسين الأول الذى اختطفته المنية قبل الأوان وملأت القلوب حزنا عليه قد تولينا بالاتفاق مع الدولة الحامية عرش السلطة المصرية على أن يكون هذا العرش من بعدنا لورثتنا طبقا للنظام الوراثى الذى سيوضع بالاتفاق بيننا وبينها » فهذا الخطاب يدل على أن السلطان فؤاد لم يكن يرى غضاضة فى الحماية ولا فى اعتبارها مصدرا لولاية العرش ٠

ولقد ساير سياسة الاحتلال والحماية فى طريقها ولم يبد منه اعتراض ولا تململ من هذا النظام فكان الأمر والنهى الى دار الحماية والى المستشارين وكبار الموظفين البريطانيين فى مختلف المصالح ، والدواوين ولم يفكر فى الاعتراض على هذا النظام ولا فى احداث أى تغيير فيه ٠

وهنا يبدو شيء من الفرق ، بينه وبين سلفه السلطان حسين ، فالسلطان حسين قد تولى العرش هو أيضا بواسطة الحماية البريطانية ولكن يظهر انه أدركه بعد ذلك شيء من الندم ، على ما فعل ، فأخذ يجاهر بالطعن فى السياسة الانجليزية ويصرح فى أحاديثه العامة والخاصة انه مؤيد للشعب فى سخطه واحتجاجه على الحماية ووقع الجفاء بينه وبين السير هنرى مكماهون المندوب السامى ، البريطانى ، وقتئذ مما أدى الى ان تستبدل به الحكومة البريطانية مندوبا آخر وهو السير ايجنالد ونجت « نوفمبر ١٩١٦ » وبقى السلطان حسين على تبرمه بالسياسة البريطانية والموظفين البريطانيين فى الحكومة حتى أدركته الوفاة ٠

★★★

أما السلطان فؤاد فقد ظل مواليا للاحتلال والحماية وبالرغم مما أصاب الشعب من العنت والارهاق ، مدة الحرب العالمية الأولى من اعتساف السلطة العسكرية البريطانية واضطهادها للأهلين ، ومصادرتها أياهم فى حاصلاتهم ودوابهم وأرزاقهم فانه لم يفتا يخص الانجليز خالص الود ويسابقهم الى ما يطلبون ٠

اعتبر ذلك فى الملايين الثلاثة ونصف المليون من الجنيهات التى منحها مجلس الوزراء ، هبة لبريطانيا فى « ٩ مارس ١٩١٨ » أى أن الحكومة المصرية وعلى رأسها الملك فؤاد تتطوع لمكافأة الدولة الغاصبة على غصبها ، وعدوانها وسلبها البلاد حريتها واستقلالها وعن المرحلة الثانية فى حياة الملك أحمد فؤاد يقول الاستاذ عبد الرحمن الرافعى ـ وذلك فى حد ذاته دليل على شجاعة الكاتب ، الذى ينتقد الى هذا الحد من العنف ملك مصر السابق فى حياة ابنه :

– لم يكن السلطان فؤاد يتوقع ثورة ١٩١٩ ولا كانت تخطر له ببال ولم يكن هو وحده على هذا الظن ، بل ان الانجليز أنفسهم على ما اشتهروا به من اتساع أفق التفكير وبعد النظر ، والخبرة والدهاء لم يكونوا أيضـا يتوقعون نشوب هذه الثورة ولقد واجهوها بالعنف والقسوة تارة واللين والخداع تارة أخرى ، أما السلطان فؤاد فقد احتجب فى قصره تاركا الشعب وجها لوجه أمام عاصفة البغى والعدوان وكان موقفا سلبيا محضا وأخـذ يرقب ما تجـرى بـه الحوادث واستهدف من أجل ذلك لسخط الشعب اذ بدا كأن مصير البلاد أمر لا يعنيه .

***

وعن المرحلة الثالثة والأخيرة من مراحل حياة الملك فؤاد يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى – وذلك فى حد ذاته عنوان على توافر حرية الكلمة الى حد كبير ، حيث يتاح لكاتب ، أن ينتقد والد الملك فى عنفوان قوته :

« كان واجبا ، على الملك فؤاد ، بعد صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ – حيث أعلنت بريطانيا انها لا تعترض على حق مصر فى أن يكون الدستور نظام الحكم فيها وتألفت وزارة ثروت باشا فى أول مارس سنة ١٩٢٢ .

***

كان واجبـا على الملك فؤاد بعـد صدور هـذا التصريح أن يدع للأمة ما نالته من حقوق ، كان الاحتلال يغتصبها واستردتها بفضل نضالها وجهادها ويقتصر هو على المزايا التى نالها ضمنا بفضل هذا النضال وهى أن يكون ملكا على رأس دولة مستقلة ذات سيادة ولكنه فى الواقع ، أراد ان يستأثر بكل المزايا التى نالتها الأمة من جهادها وتحركت فى نفسه نزعة الحكم المطلق ، التى عرف بها معظم ملوك الشرق ، وامرائه ، وكانت هذه النزعة مكبوتة بفضل الاحتلال ، الذى كان قابضا على زمام الحكم والسلطان .

وفى دور التحضير للدستور فى عهد وزارة ثروت أخذ الملك يضع العقبات فى سبيله وبدا أنه يريد أن تئول اليه السـلطات والحقوق ، التى نالتها الأمة فى ميدان النضال .

***

ولم يكن راضيا فى خاصة نفسه عن الدستور بل تنكر له ، وظل برما به ، متجهما له طول حياته وظهرت أعراض هذه النزعة فى سعيه ، لاسقاط وزارة ثروت حين رآه جادا فى اخراج الدستور ، بعد ان تم وضعه على لجنة الثلاثين فمازال حتى اضطره للاستقالة فى نوفمبر ١٩٢٢ واصطنع من بعده وزارة نسيم

ذات الميول الرجعية التى أخذت تسوف وتماطل ، فى اصدار الدستور وتمسخ وتشوه فى مبادئه ونصوصه وترتب على هذا السعى وقوع كارثة وطنية اذ انتهزت الحكومة الانجليزية فرصة التلكؤ فى اصدار الدستور والمساعى ، التى بذلت لمسخه ، وتشويهه فتدخلت هى أيضا فى شأنه وطلبت أن تحذف منه نصوص السودان وكان لها ما أرادت واستجاب الملك فؤاد ، الى طلبها وبعد تلكؤ وبعد حذف نصوص السودان من الدستور صدر الدستور فى ١٩ أبريل ١٩٢٣ ومع ذلك ظل الملك فؤاد على تجهمه له ، ولم يطق صـــبرا ، على أية وزارة ، دستورية تولت الحكم ، عن طريق ارادة الأمة بل كان يتربص بها ، ويلاحقها بالأزمات حتى تستقيل أو تقال ..

لقد كان واجبا على الملك فؤاد وقد نالت مصر الدستور فى عهده ان يخلص لهذا النظام ، الذى نالته ، بفضل كفاحها الشاق الطويل والكنه مع الأسف لم يكن يبغى له استقرارا وكانت مناوأته له سياسة رسمها لنفسه ، وأصر عليها طوال السنين بحيث حال دون استقراره فعلا وكان يصدر فى هذه السياسة عن اتجاه تملك فؤاده وهو ان السراى يجب أن تكون مصدر السلطات .

★★★

● تحدثنا وبافاضة عن الملك فؤاد باعتباره من أهم الظواهر السياسية فيما بعد الحرب العالمية الأولى ، وقد نقلنا ، أجرأ رأى أبدى فى أحمد فؤاد فى حياة ابنه الملك فاروق ، وهو الرأى الذى ظل صاحبه ــ الاستاذ عبد الرحمن الرافعى ــ يدفع ثمنه باستمرار طوال حياته السياسية ونكمل هنا رأى الاستاذ عبد الرحمن الرافعى فى الملك أحمد فؤاد :

★★★

كان الملك ينقم من الدستور ما سماه انتقاص سلطة الملك ، ولم يكن على حق فى هذا الاتجاه اذ لم تكن له سلطة ما قبل اعلان الاستقلال وقبل صدور الدستور ، بل كان سلطانا تحت الحماية البريطانية لا يصدر عنه الا ما يراه عمال الحماية ، وكان راضيا بهذا الوضع مقرا له . و .. و ..

لقد صارت المرحلة الثالثة من حياة فؤاد ــ وهى معظم سنى حكمه ــ نضالا مستمرا ، بينه وبين الأمة . وقعت فيها ثلاثة انقلابات حطمت الحياة الدستورية وهذا لعمرى مما لا يشرف صفحة الملك وخاصة اذا لاحظنا انه لم يبذل مثل هذا النضال ولا أقل منه فى ميدان آخر كان هو الجدير به ونعنى به ميدان النضال ضد الجانب البريطانى جانب الاحتلال والعدوان على الاستقلال .

ان هاتيك الانقلابات الثلاثة ، التى وقعت فى عهده كانت تتم باتفاق ، بينه وبين الجانب البريطانى مع — اختلاف فى المقاصد والأغراض فالجانب البريطانى كان يرى فيها عقوبة لمصر ، على عدم اذعانها لسياسته والملك والمستوزرون ، يرون فيها استردادا للحكم المطلق على حساب سلطة الأمة ٠

ان السياسة ، التى اتبعها الملك فؤاد ، حيال الدستور ، قد أضرت بالبلاد ضررا بليغا ، صحيح ان الملك فؤاد لا يتحمل وحده هذه التبعة بل يحملها معه أشياع الحكم المطلق من المستوزرين ، والوصوليين الذين كانوا أداة له فى تحطيم الدستور ٠

★★★

ولو لم يجد من هؤلاء ، الوصوليين عونا له فى الانقلابات الثلاثة التى تمت فى عهده لما وقعت ولكن هذه المشاركة لا تصرفنا عن تعريف تلك الحقيقة وهى انه كان هو الملهم ، لهذه الانقلابات ولولاه لما اجترأ هؤلاء الوصوليون على امتهان حقوق الشعب وعلى أى حال فهم يحملون مع الملك تبعة ذلك العدوان ٠

ان الجانب السياسى من حياة الملك فؤاد لم يكن صفحة لامعة فى تاريخه فلقد كان متخاذلا ، أمام الاحتلال متحيفا حقوق الشعب وليس هذا وذاك مما ينبغى أن يكون وقد أدت هذه السياسة ، الى عدم استقرار الحكم فى مصر ، والى ضعف البلاد ، أمام العدوان البريطانى وتراجعها فى الازمات أمام المطامع الاستعمارية وتعطيل نهضة التقدم والاصلاح » ٠

★★★

ولعل ما كتبه الاستاذ عبد الرحمن الرافعى طيب الله ثراه فى الملك أحمد فؤاد ، كان من أعنف ما كتب عن الملك فؤاد فى حياة ابنه الملك فاروق ٠

وبعد الحديث عن الملك فؤاد ننتقل الى الحديث عن مجلس الوصاية الذى ولى الأمر بعد الملك فؤاد الى أن بلغ ابنه الملك فاروق سن الرشد ٠

الفصـــل الثالث

مجلـس الوصـاية يحكم مصر

● حول الانتخابات البرلمانية ووفاة الملك أحمد فؤاد والمناداة بالأمير فاروق ، خلفا له يقول د. محمد حسين هيكل .

« مما زاد فى مشقة هذه الانتخابات ان الأحزاب حاولت الاتفاق ، على الترشيح فيها على نحو ما فعلت فى سنة ١٩٢٦ أيام الائتلاف الذى تزعمه سعد باشا ، فلم توفق ، فاشتدت المعركة الانتخابية شدة مخيفة فى بعض الأحيان ، وانى لأذكر يوما وأنا أتنقل فى السيارة بين بلاد الدائرة وكنت على مقربة من المقر الانتخابى لمنافسى اسماعيل رمزى باشا اذ خرج علينا جماعة من «العماليق» معهم العصى الغلاظ ، وجعلوا يضربون السيارة بهراواتهم فلم ينجنا منهم الا أن أطلق السائق للسيارة أقصى سرعتها حتى يفلت من الناخبين فلا يسـتطيعوا اللحاق به ، وهكذا جرت انتخابات ذلك العهد ، وهى التى وصفت بانها جرت فى جو من الحرية والنزاهة ، لم يعهد من قبل فى كل الانتخابات الأخرى التى جرت فى مصر » .



ويضيف د. هيكل :

« بينما كانت المعركة الانتخابية على أشدهـا وبينما كان يوم التصويت يقترب اذاعت الصحف : ان الملك فؤاد يشتد به المرض وكان الملك فؤاد يومئذ فى التاسعة والستين من عمره لكنه كان قوى البنية معروفا بالدقة فى المحافظة على صحته ولهذا لم يروع الناس حين نشرت صحف لندن ، ان صحة جلالته أخذت تدعو الى القلق ، ومالوا الى تصديق ما صرح به على ماهر باشا ردا على الصحف البريطانية من أن صحة جلالة مولانا الملك بخير ، ولو كان هناك شىء لا سمح

بإلله لذكرته . على أن مجلس الوزراء ، نشر غداة هذا التصريح فى ٢٣ ابريل سنة ١٩٣٦ أن الطبيبين اللذين عادا جلالة الملك حين مرض فى أكتوبر سنة ١٩٣٤ قد استدعى أحدهما وهو الدكتور فرجونى لعيادة جلالته لأنه يشكو ألما بأسنانه ، ومع هذا ظل على باشا ماهر ، ينفى ما يشاع من أن البحث تجدد فى مسألة الوصاية على العرش لأن ولى العهد ، لا يزال دون الثامنة عشرة من عمره وليس هناك ثمة ما يدعو الى عودة سموه من انجلترا حيث أوفده جلالة والده قبل ذلك بأشهر ليتم تعليمه وأوفد معه ، أحمد بك حسنين رائدا ، والفريق عزيز باشا المصرى مدربا لسموه على الفنون العسكرية .

بعد يومين اثنين من تصريح على ماهر باشا اذاعت رياسة مجلس الوزراء نشرة طبية فى الخامس والعشرين من أبريل موقعا عليها من الاطباء الذين يعودون جلالة الملك جاء فيها ان مضاعفة فى سير المرض حدثت بسبب التهاب تعفنى فى الفم ، وان نزيفا طرأ فى المساء أثر تأثيرا غير محمود فى الحالة العامة .

هنالك بدأ القلق يسود الدوائر ، المختلفة فى مصر ، وفى انجلترا ، وقيل فى الصحف ان بعض الذين ذكرت أسماؤهم على أنهم أعضاء فى مجلس الوصاية الذى اختاره الملك فؤاد ومن بينهم توفيق نسيم باشا ومحمود فخرى باشا قد زاروا دار المندوب السامى البريطانى .

***

وتوالت النشرات الطبية وليس فيها ما يبعث الطمأنينة الى النفوس بل صرح رئيس الوزراء بانه اذا أراد سمو الامير فاروق العودة الى مصر ، فالرأى لسموه .

وقد اتخذت الحكومة الاجراءات اللازمة لعودته بطريق البحر ، وان سموه بلغ ذلك تليفونيا . وقد سئل رئيس الوزارة عما اذا كان هناك بحث حول الوصاية فكان جوابه : مع من يدور البحث ؟ ان هذه المسألة من اختصاص الحكومة وحدها . ومع ذلك فلا محل لها الآن ، فان جلالة الملك حفظه الله ورجاء الجميع ان يطيل الله فى عمر جلالته » .

ويواصل د. هيكل فيقول :

واختار الله الملك فؤاد فى الثامن والعشرين من ابريل أى قبل موعد الانتخابات بأربعة أيام ، ورأيت من واجبى يومئذ أن أشيعه فعدت من طوافى الانتخابى بدائرة تمى الامديد الى القاهرة حتى اذا أديت هذا الواجب رجعت ، أتم الطواف وتركت العاصمة تموج بالأخبار عن الوصاية ، ومن يتولاها ومن يوليها .

ومما لا يذكر ، بهذه المناسبة أن سير مايلزلامبسون المندوب السامى البريطانى استدعى اليه مصطفى النحاس باشا ، ومحمد محمود باشا واسماعيل

صدقى باشا كلا على حده وتحدث اليهم فى مسألة الوصاية ٠٠ من ناحيتها العامة ٠٠ بحجة أن مصلحة العلاقات بين مصر وانجلترا تقتضى أن يكون الأوصياء ، ممن يحرصون على توكيد هذه العلاقات ٠

وكان رأى الزعماء ، المصريين أن الخير فى أن يكون الأوصياء من البعيدين بماضيهم عن الحزبية » ٠

ويبدو أن الأمر لم يكن فى مسألة الوصاية وقفا على الاسماء ، الواردة فى الوثيقتين اللتين وقعهما الملك الراحل ـ كانت احدى الوثيقتين مودعة فى رياسة مجلس الوزراء ، والأخرى مودعة فى الديوان الملكى ـ بل كان للسياسة توصيات قد تستبعد هذه الاسماء جميعا ٠

والواقع أن الاسماء الثلاثة الواردة فى المظروفين كانت أسماء عدلى يكن باشا وتوفيق نسيم باشا ومحمود فخرى باشا ٠٠ لكن زعماء الجبهة الوطنية كانت لهم اتجاهاتهم الخاصة وقد انتهوا الى اتفاق مع رئيس مجلس الوزراء على الأوصياء ٠

***

ويقول د٠ حسين هيكل :

ان على باشا ماهر : نادى فى يوم وفاة الملك فؤاد بالأمير فاروق ملكا على مصر ٠٠ رغم انه كان لا يزال بعيدا عن أرض الوطن وانه كان ولما يبلغ سن الرشد ، لكن على باشا ماهر ذكر العبارة التى ترددها الأمم فى مثل هذا الحال « مات الملك يحيا الملك » ٠٠ فنادى بفاروق الأول ملكا على مصر ثم اتجه بعنايته ، الى حل المشاكل الناجمة عن عدم بلوغه سن الرشد المقررة بالأمر الملكى الخاص بولى العهد ، وعن القانون الذى يحدد سن الرشد ، لادارة الأموال الخاصة ٠٠ وقد استعان فى هذين الأمرين بلجنة قضايا الحكومة ، من ناحية ، وبرجال الشريعة الاسلامية من علماء الأزهر ومفتى الديار من ناحية أخرى ، ولما كانت هذه المسألة تقتضى سرعة البت ، فقد تناولت الأحاديث ونشرت الصحف ان ثمة تفكيرا فى مد مدة الوصاية حتى يتمكن الملك فاروق من اتمام دراسته بانجلترا ونسبت هذا التفكير الى البريطانيين حينا والى بعض المسئولين من المصريين حينا آخر ٠

ولم يجد على باشا مشقة فى مواجهة هذا التفكير فالأمر ، الملكى الصادر فى ١٣ ابريل سنة ١٩٢٢ والذى نص الدستور على قيامه قد جعل سن الرشد للملك ثمانى عشرة سنة هلالية ولا يجوز تعديل الدستور والملك لم يبلغ سن الرشد ٠ ومجلس الوصاية هو الذى يتولى حقوق العرش : لا مفر اذن من

الاذعان للأمر ، الواقع واعتبار السنوات الهلالية الثمانى عشرة سنا للأهلية السياسية ٠

★★★

ولم يستسغ على ماهر باشا ان يكون الملك وقد أشرف على السابعة عشرة من سنى حياته قاصرا ، عن ادارة ، شئونه لهذا عرض على مجلس الوزراء مذكرة استند فيها الى رأى رئيس لجنة قضايا الحكومة وشيخ الجامع الأزهر ومفتى الديار المصرية » جاء فى ختامها :

« وليس من شك فى أن جلالة مليكنا المحبوب ، الذى أشرف على السابعة عشرة والذى دلت أثاره بصورة واضحة على نضجه ، حائز للشروط اللازمة لأن يعتبر راشدا من الناحية الشخصية والمالية » ، وعلى هذا أعلن رشد جلالة الملك من هذه الناحية كذلك وصفق الناس لهذا لاعلان حين خفض على باشا ماهر ، - بقانون - مخصصات جلالة الملك السنوية من مائة وخمسين ألفا الى مائة ألف من الجنيهات ٠

وحتى تكون الصورة التاريخية لهذه الايام التاريخية متكاملة تماما نشير هنا الى ما كتبه د٠ يونان لبيب رزق فى كتابه « تاريخ الوزارات المصرية الذى راجعه حسن يوسف (باشا) عن وزارة على ماهر المحايدة ٠ التى انتهت كما قال بحدثين كبيرين :

أولهما : اجراء انتخابات عامة حرة بهدف تشكيل برلمان جديد وكما كان منتظرا نال الوفد كالعادة أغلبية ساحقة ، ففى مجلس النواب حصل الوفد على ١٦٦ مقعدا ، بينما حصلت سائر القوى الأخرى من الحزبيين أو المستقلين على ٦٦ مقعدا فقط ، وفى مجلس الشيوخ نجح من الوفديين ٦٢ شيخا بينما نجح من غيرهم ١٥ شيخا فقط ٠

ثانيهما : كان من صنع القدر ومشيئته وذلك حين توفى الملك فؤاد فى ٢٦ أبريل ١٩٣٦ وغاب عن ميدان السياسة المصرية شخصية رئيسية ظلت تلعب أدوار البطولة خلال أغلب السنوات السابقة منذ أن تولى العرش قبل ذلك بنحو عقدين من الزمان ٠

وكان لا بد أن يتمخض عن تواكب هذين الحدثين صورة جديدة ، وقد نبعت ملامح هذه الصورة أساسا من اعتقاد الوفد أن الجو قد خلا له وانه قد أصبح القوة الرئيسية الداخلية على مسرح السياسة المصرية وان عليه ان يشغل دور البطولة الذى طالما حرمه منه البطل لذى رحل ٠

ومن هذا الاعتقاد ظهر موقف الوفد ، المتشدد خلال الفترة القصيرة : التى

انقضت بين وفاة الملك « ٢٦ ابريل » وتأليف الوزارة النحاسية الثالثة فى ٩ مايو ١٩٣٦ ٠

***

وقد بدا هذا التشدد واضحا فى مسألة الوصاية ، ذلك انه كان لابد بعد وفاة الملك من فتح الوصية التى تركها لتنفيذها ٠

وبعد اجراء الانتخابات ، عقد البرلمان الوفدى أولى جلساته لفتح وصية الملك الراحل ، وقد وجد ان تاريخها يعود لأربع عشرة سنة سابقة (٢١ يونيو ١٩٢٢) وقد تضمنت ثلاثة أوصياء هم محمد توفيق نسيم باشا وعدلى يكن باشا، ومحمود فخرى باشا : وقد مات احدهم (عدلى يكن باشا) مما دعا حزب الأغلبية ، الى أن ينتهز الفرصة متعللا بقدم الوصية وعدم امكانية تطبيقها ، ليختار أوصياء جددا ٠

وبالرغم من أن النحاس باشا لم ينجح فى تحقيق رغبته بوضع توفيق نسيم ضمن الاوصياء الجدد ٠٠ الا انه نجح فى منع ترشيح أحمد زيور باشا من أن يعين كأحد الأوصياء ملوحا بأن البرلمان سوف يرفض قبول تعيين الرجل (من لامبسون : الى ايدن فى ٥ مايو ١٩٣٦) « تلغراف رقم ٣٨٨ » وامام هذا تم اختيار كل من الأمير محمد على ، وعزيز عزت باشا وشريف صبرى كأوصياء ، على العرش الى حين بلوغ الملك فاروق سن الرشد ٠

وقبل أن نعود الى الحديث عن وزارة المائة يوم ــ وزارة على ماهر باشا الأولى ــ ننشر رسالتين هامتين احداهما من ، تونس الخضراء والأخرى من لندن ٠

رسالتان هامتان احداهما من تونس والأخرى من لندن :

من تونس الخضراء رسالة رقيقة

الحمد لله وحده

تونس فى ١٩٧٨/١١/٢٠ ٠

سيادة الكاتب الكبير ، الاستاذ صبرى أبو المجد دام مجده وحمد أثره ، وبعد ٠٠

أبعث اليكم بخالص التحية من تونس الخضراء معبرا عن اعجابى بما يخطه يراعكم خاصة فى سلسلة مقالاتكم الرائعة عن « سنوات ما قبل الثورة » التى توخيتم فيها جانب الموضوعية ، وذكر الحقائق ، التاريخية على علاتها ، وتسلسلها

مع التحليل المركز ، والاستنتاج الدال على نزاهتكم وقدرتكم على استنطاق الوثائق الحبيسة والمكتوبة على السواء ٠

ولا تفوتنى الاشارة الى انكم ذكرتم أثناء حديثكم عن عمر المختار عليه رحمة الله ، وما قاله شعراء مصر ، فى رثائه انه من بين من رثوه وأشادوا ببطولته شاعر النيل المرحوم حافظ ابراهيم مع أن الواقع ان حافظ لم يرث عمر المختار ، فيما نعلم وتكون شاكرين لو تشيرون فى تعليقكم على هذه الرسالة الى مطلع قصيدة حافظ فى رثاءه عمر المختار ان كان رثاه حقا ٠

كما أننى ألفت نظركم الى انكم لم تذكروا شاعركم الكبير الاستاذ محمد مصطفى حمام ، وأنتم تتحدثون عن رجال الفكر الذين واجهوا المرحوم اسماعيل صدقى واحال ان حمام نظم الكثير فى هجو وتشويه ومواجهة عهد اسماعيل صدقى ٠

وفى استطاعتى ان أمدكم بشىء منه اذا كان فى نيتكم ــ وهو ما نطالب به فى الحاح ــ نشر « سنوات ما قبل الثورة » فى كتاب يسهل تناوله ، ويبقى ذكرة للأجيال والتاريخ واذ وصلت فى حديثى الى هذا الحد فانى أستودعكم الله ، راجيا لكم التوفيق والنجاح والسلام ختام من أخيكم بظهر الغيب ٠

المخلص

الحبيب شيبوب

● بادىء ذى بدء أشكر استاذنا الجليل الحبيب شيبوب على تحيته الرقيقة وثقته الكبيرة فى كاتب هذه السطور وأؤكد له ــ اذا لم تخنى الذاكرة ــ انى عندما كتبت فى عدد المصور الصادر فى ١٩٧٧/١٢/٢ عن موقف شعب مصر العظيم ، الى جانب الشهيد عمر المختار ، واصراره على تأبينه رغم كل الجهود ، التى بذلها اسماعيل صدقى باشا ــ حاكم مصر وقتئذ ــ لمنع حفلة التأبين ، لم أذكر بين أسماء الذين قاموا برثاء عمر المختار فى ذلك اليوم الا أحمد شوقى ، وخليل مطران ولعل الأمر التبس عند استاذنا الحبيب بين خليل مطران وحافظ ابراهيم وبالمناسبة نؤكد لاستاذنا الحبيب شيبوب اننى فيما أكتبه بصفة عامة وفيما اكتبه عن سنوات ما قبل الثورة بصفة خاصة لا اكتب الا ما أثق به ثقة مؤكدة ١٠٠٪ أما الذى اثق به حتى ٩٩٪ اتجاوز الكتابة عنه ٠٠

وفيما يتعلق بما لدى أستاذنا الكبير من أشعار شاعرنا الكبير محمد مصطفى حمام فى اسماعيل صدقى وفى غير اسماعيل صدقى فاننى أكون سعيدا للغاية لو ان استاذنا وافانى به ووافانا بنفثات قلمه الصادق المعطاء فنحن لا نكتب الا للتاريخ وللتاريخ وحده وتاريخ مصر كما يعلم أستاذنا الكبير لم يكن ولن يكون أبدا ملكا لشعب مصر وحده وانما هو ملك لشعبنا العربى كله من مشرقه الى مغربه ٠

من قاهرة المعز لدين الله الفاطمى ، أبعث الى أستاذنا الكبير الحبيب شيبوب والى كل الأخوة التونسيين وعلى رأسهم الزعيم الكبير الحبيب بورقيبة ـ كتب الله له الشفاء العاجل ـ بأخلص الود من مواطن مصرى ، ولا ينسى أبدا كما لا ينسى المصريون جميعا موقف الشعب التونسى ، العظيم من مصر ، فى السراء ، والضراء ٠

صبرى أبو المجد

ورسالة رقيقة أخرى من لندن :

السيد الأستاذ صبرى أبو المجد ٠٠

بعد الاعجاب بما تكتب عن تاريخ مصر ، أشير وأنا واحد من أبناء الحزب الوطنى أعيش فى انجلترا منذ مدة ترجع لعام ١٩٥٣ ثم بعد استقرارى أصبت بشلل أثره واضح فى خطى فمعذرة ٠

اطلعت على ما تكتبونه عن « سنوات ما قبل الثورة » عادت الذكريات الى كلمات حافظ رمضان عن تشكيل « البازى » وتدريب يوسف كمال للشبان على لعب الشيش وشعر محمد ابراهيم جمعة وشعر وخطب على منصور والتدريبات العسكرية لمحمد سليم حجازى ٠

والصورة التى نشرتموها وفيها الأستاذ فكرى أباظة يستمع لأحد أعضاء فرقة البازى وهذا العضو هو على منصور والحفلة فى تكريم عبد الفتاح عمرو سفيرنا فى انجلترا ـ بعد ذلك ـ بمناسبة فوزه بالبطولة العالمية فى الاسكواش٠ وسأبحث عندى عن صور أخرى وأرسل نسخة لك منها ، فالموضوع يستحق الكتابة عن مجد الحزب الوطنى ، فهو حياة أوقدت الشعلة والكفاح رغم المغريات حتى ينضم اليه فى هذا الوقت محمود العيسوى ومحمود عطية وأمثالهما رحمهما الله ٠ كذلك بعد أن نظم هؤلاء الشباب أنفسهم ومثلهم المجاهد الكبير عبد العزيز على الذى أقام عام ١٩٣٦ أو حول هذا حفلا عن فلسطين خطب فيه الدكتور محجوب ثابت ٠ وطالب الحقوق وقتها على منصور ودعم هذا بالبيان والأرقام والأسانيد عن حالة فلسطين وتدبير المخطط اليهودى وتراخى العرب والمساهمة الفلسطينية بالسلبية ، الا الخطب وبيعهم أرضهم وكأنهم يقرأون من كتاب مفتـــوح ٠

التاريخ فيه الكثير ٠٠ اكتبوا وأضيفوا بيان جهود الشباب خصوصا الذين كانوا قدوة وفداء ومات أكثرهم ٠

أعتذر ثانية عن الخط للمرض وعدم قدرة قلمى على التعبير ٠
والسلام عليكم وعلى المجاهدين ٠٠٠٠

محمود قاسـم

الفصل الرابع

معاهدة الصداقة المصرية السعودية

ولقد كان فى مقدمة الأعمال التاريخية التى قام بها على ماهر .. نجاحه فى اعادة العلاقات ، بين مصر وبين المملكة العربية السعودية الى سابق عهدها من القوة والمتانة .

***

وقد سبق ، أن أشرنا الى تبادل الوفود بين مصر ، والمملكة العربية السعودية من أجل الوصول الى معاهدة صداقة بين البلدين ، الصديقين دائما وأحب أن أشير فى هذا الخصوص الى كلمة للدكتور محمود عزمى وصف فيها هذا العمل التاريخى بقوله :

« كانت مسألة العلاقات بين مصر والمملكة العربية السعودية من المسائل الشائكة التى طال انتظار تسويتها ، والتى طالما تاقت الأمة المصرية الى التغلب على العقبات التى كانت مصر ، الرسمية ، تقيمها فى سبيل هذه التسوية . وقد حاول أكثر من رئيس وزارة أن يتغلب على هذه العقبات فلم يكن التوفيق حليفه : حاول سعد باشا ، ولم يفلح ، ثم حاول عدلى باشا ولم يفلح وحاول ثروت باشا ، ولم يفلح ، كما حاول النحاس باشا ، ولم يفلح .. ذلك بأن الخلاف بين المملكة العربية السعودية ، ومصر ، الرسمية لم يكن راجعا الى مسائل ذات صفة عامة فقط ، بل انه كان ممتزجا باعتبارات شخصية متصلة بمقامات سامية أمر التفاهم معها فى مثل هذه الحالات » .. ونفتح قوسا ، لنؤكد على حقيقة هامة لم يستطع د. محمود عزمى ان يصرح بها وقت ان كتب كتابه « على هامش التاريخ المصرى الحديث « الأيام المائة » تلك الحقيقة التى نقولها اليوم هى أن الملك فؤاد ، كان بصفة شخصية ، غير راغب على الاطلاق فى تسوية المشاكل ، التى بين مصر والمملكة العربية السعودية ، وليس هذا وقت شرح الأسباب التى كانت تدفع

الملك أحمد فؤاد ، الى الوقوف فى سبيل أية تسوية بين مصر والمملكة العربية السعودية ونقفل القوس ٠

***

ويستطرد محمود عزمى قائلا :

« أقدم على ماهر باشا ، على معالجة هذه المشكلة الشائكة التى فشل فيها أولئك الرؤساء السابقون ووفق فيها توفيقا عظيما ، استند الى تقدير اخلاصه غير المشوب والى احسان تصويره ، للمصلحة المصرية ، وأحكام تضامنها مع اعتبارات « التاج » وتولى ماهر باشا بنفسه المفاوضة مع مندوب المملكة العربية السعودية ، الذى جاء الى مصر ، تلبية لطلب الحكومة التى أظهرت من تلقاء نفسها أكيد رغبتها فى تسوية المسائل ، المعلقة من البلدين وانتهى الأمر الى اقرار معاهدة تستند ، اليها العلاقات بينهما ٠٠ » ٠

وعن هذا الموضوع ، تحدث د٠ محمد حسين هيكل بافاضة فى كتابه مذكرات فى السياسة المصرية ، فأشار الى موضوع ارسال المحمل من مصر ، وحدوث خلاف بين السلطات المصرية ، والسلطات السعودية حول القوة ، التى ترافقه وامتناع مصر ، عن ارسال المحمل نفسه فى عام ١٩٢٦ ٠ والى موضوع الخلافة وذهاب الشيخ محمد مصطفى المراغى الى الحجاز فى عام ١٩٢٦ ، للحديث فيه مع جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وعن اضطراب الجو بين الدولتين منذ ١٩٢٦ حتى ١٩٣٦ ٠ الى آن يقول :

« علمت قبيل سفرى الى الحج ان على ماهر باشا يريد أن يعيد العلاقات بين الدولتين ، فذهبت اليه وعرضت عليه معاونتى لتحقيق مقصده فذكر لى أنه يسره تمهيد الجو لمحادثات تكفل نجاح هذا المقصد وكنت مقتنعا من جانبى بأن بقاء القطيعة لا خير فيه ٠

***

سافرت الى الحجاز على ظهر الباخرة « كوثر » وانى لفى بهوها يوما بعد أن ارتديت رداء الاحرام ، اذ تقدم الى حاج محرم ، لم أكن قد رأيته من قبل وقدم نفسه ٠٠ ذلك هو الشيخ حسن البنا ، وقد ذكر لى يومئذ أنه ألف جمعية الاخوان المسلمين ، لتهذيب الناس تهذيبا اسلاميا صحيحا وانه يطمع فى تعضيد مؤلف « حياة محمد » ـ أى الدكتور هيكل ـ لهذه الجماعة بل يطمع فى قبولى رياستها ٠٠ والرجل لبق حسن الحديث حلو الالقاء عرفت ذلك منه فى هذه المقابلة وعرفته بعد ذلك أثناء مقامنا بالحجاز ، اذا كان الحجاج من بلاد الأرض المختلفة يجتمعون ويتحدثون فى مختلف شئونهم فكان يقف فى كل جمع خطيبا واعظا ، يتلو أى القرآن فى مناسباتها ويلقى خطبة فى عبارة بليغة وعربية فصيحة وقيل لى وأنا

بالحجاز ان له صلة بالحكومة السعودية وانه يلقى منها عطفا ومعونة • فلما فاتحنى فى أمر جمعيته ذكرت له ان بث الدعاية لتهذيب الناس على هدى الدين الحنيف أمر حسن جدير بالتشجيع ولكن أعمالى فى التأليف وفى السياسة لا تدع لى مجالا ، بقبول ما دعانى اليه •

***

وقضيت بالحجاز ستة أسابيع أتصل أثناءها على ماهر باشا بالحكومة السعودية وقد أوفدت الى مصر ، السيد فؤاد حمزة وكيل خارجيتها ، ليتم المفاوضات وليوقع مع مصر ، معاهدة مودة ، وصداقة ، ولم آل جهدا خلال هذه الأسابيع فى التحدث الى ذوى النفوذ من رجال الحكومة السعودية حديث مودة خالصة •

ولأن معاهدة الصداقة بين مصر والمملكة العربية السعودية كانت أول معاهدة صداقة توقعها مصر ، مع دولة عربية شقيقة ، ولأن نصوص هذه المعاهدة قد اشتملت على كثير من المبادىء الهامة فى العلاقات بين الاخوة الأشقاء أجد لزاما على أن أشير ، الى بعض نصوص تلك المعاهدة التى وقعت فى ٨ مايو ١٩٣٦ – آخر يوم فى وزارة على ماهر – وقد وقعها ، عن الجانب المصرى على ماهر ، وعن الجانب السعودى فؤاد حمزة ••

***

● سميت المعاهدة – أولا – باسم معاهدة الصداقة ، بين المملكة المصرية ، والمملكة العربية السعودية وفى ديباجة المعاهدة : مجلس وزراء ، المملكة المصرية متوليا حقوق جلالة ملك مصر الدستورية وحضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية – نظرا لما لدى المملكتين المصرية ، والعربية السعودية من خالص الرغبة فى توثيق عرا الصداقة بينهما قد اتفقا على عقد معاهدة تثبت فيها قواعد علاقاتهما الودية •

● والمادة الأولى من هذه المعاهدة تنص ، على أن تعترف الحكومة المصرية بأن المملكة العربية السعودية دولة حرة مستقلة ذات سيادة ، مستقلة استقلالا تاما مطلقا •

● بينما المادة الثانية تقول : يكون بين المملكة المصرية ، والمملكة العربية السعودية ، وبين رعاياهما سلام دائم وصداقة خالصة ، ويتعهد كل من الطرفين بأن يحافظ على حسن العلاقات مع الطرف الآخر وان يسعى بكل ما لديه من الوسائل ، لمنع استعمال بلاده قاعدة للأعمال غير المشروعة ، الموجهة ضد السلم ، والسكينة فى بلاد الطرف الآخر •



● وتنص المادة الثالثة من معاهدة الصداقة ، على انه تنشأ بين المملكتين المصرية والسعودية علاقات التمثيل السياسى والقنصلى .

● والمادة الرابعة : يتعهد صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية بتسهيل أداء فريضة الحج ، واقامة الشعائر الدينية الاسلامية للمسلمين من الرعايا المصريين ويعلن انهم يتمتعون أثناء اقامتهم فى الحجاز بالأمن على أموالهم وأنفسهم بالحرية الشخصية فى الحدود الشرعية ، وعلى العموم بالمعاملة والحقوق الممنوحة أو المعترف بها لرعايا أولى الأمم بالتفضيل .

● وتنص المادة الخامسة من المعاهدة على : أنه عملا بالتضامن والتعـــاون الأسلامى يوافق صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية على تمكين الحكومة المصرية اذا رأت من مصلحة الحجاج وزوار المدينة التطوع ، لعمارة الحرمين الشريفين أو اصلاح المرافق المتصلة بهما من تلك العمارة وذلك الاصلاح ، كما يوافق على عمل كل التسهيلات اللازمة لقيام الحكومة المصرية بهما وتشمل المرافق المشار اليها تعبيد الطرق التى يسلكها الحجاج ، أو الزوار واضاءة الحرمين ، وما حولهما وتوفير مياه الشرب وغير ذلك من الأعمال والمنشآت التى تهدف الى توفير راحة الحجاج والزوار . أو المحافظة على صحتهم . وتتفق الحكومتان مقدما على التصميمات الخاصة بالأعمال المشار اليها .

ويرسل جلالة الملك عبد العزيز آل سعود .. طيب الله ثراه . الى على ماهر باشا البرقية التالية فى ٨ مايو ١٩٣٦ :

« حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا رئيس الوزارة الأفخم .

« اطلعنا على نص المعاهدة ، التى وقعتموها مع مندوبنا فؤاد حمزة والمحتوية على سبع مواد ، واشعارا بموافقتنا عليها نرسل لكم هذه البرقية ونسأل الله أن يتولى الجميع بتوفيقاته ويجعله فاتحة عصر ، سعيد بين البلدين » .

ويرسل على ماهر باشا ، البرقية التالية الى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود : « حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم « مكة المكرمة » » .

« انى سعيد بتلقى برقية جلالتكم بالموافقة على المعاهدة التى نرجو أن تقوى العلاقات الودية بين البلدين وتسهل أداء فريضة الحج ، على جميع المسلمين .

وتفضلوا جلالتكم بقبول عظيم الشكر وأخلص التمنيات » .

« على ماهر »

***

ولست اعتقد ، انه فى دنيا التعاقدات ، الدولية معاهدة اتسمت بمظاهر الحب والود والأخاء والتعاون المشترك كمعاهدة الصداقة بين المملكة العربيـة السعودية ومصر ٠

ولست ، أعتقد أن معاهدة سعد بتوقيعها المسـلمون فى مشـارق الأرض ومغاربها وفى مقدمة هؤلاء المسلمين المسلمون فى مصر ، وفى المملكة العربيـة السعودية سعادتهم بتوقيع تلك المعاهدة ٠٠

وبعد الحديث عن معاهدة الصداقة المصرية السعودية ــ أهم حدث عربى فى عام ١٩٣٦ ــ نعود الى أهم الأحداث الداخلية فى مصر : الانتخابات البرلمانية :

★★★

بدأت نتائج الانتخابات تظهر وكانت أولى هذه النتائج ، نتيجة دائرة باب الشعرية وقد حصل فيها الأستاذ أحمد حافظ عوض بك على ١٠٩٣ « انتخب » بينما نال منافسه عوض سليمان أفندى ٥١٧ وكانت الدائرة الثانية دائرة قسم الخليفة حصل الشيخ ابراهيم بدوى على ٤٦١ ومحمد حافظ رمضان بك رئيس الحزب الوطنى حصل على ٥٢٤ صوتا ، وحصل على عباس أفندى على ١٧٠٥ وقد انتخب ، وسقط أمامه رئيس الحزب الوطنى ، وسقط عبد الرحمن فهمى عميد الفدائيين المصريين فى دائرة نقطة بوليس الغرب رقم ٢ ولم يحصل الا على ٢٦٤ صوتا رغم الجهود التى بذلت من كثير من السياسيين المصريين من كافة الأحزاب لانجاحه وحصل منافسه محمد عبد الصمد أفندى على ١٥٥٠ وقد انتخب وفى دائرة سنباط لم ينجح مرشح الوفد الاستاذ عوض أحمد الجندى وقد حصل على ٢٦٥٠ صوتا بينما حصل منافسه الأستاذ محمد راغب عطية على ٦٦٧٨ صوتا وقد أعلن انضمامه الى الوفد اثر نجاحه فى الانتخابات ٠

★★★

وفى دائرة سخا « غربية » انتخب الدكتور عبد الحميد سعيد ، وحصل على ٤٧٠٥ أصوات ، ونال منافسه الاستاذ فؤاد خير الدين أفنـدى ٣٣٤٣ صوتا والدكتور عبد الحميد سعيد كما هو معروف من أقطاب الحزب الوطنى وكان فى مقدمة الصحفيين الفائزين فى تلك الانتخابات الاستاذ محمد توفيق دياب عن دائرة سنهوا ومنشأة فتحى وفى دائرة منيا القمح حصل رياض المصرى أفندى على ١١١٧ صوتا ، نجح حسن مرعى بك ، ب ٧٤٤٧ صوتا وقد انتخب وأعيدت الانتخابات بين الاستاذ فكرى أباظة أفندى « ٢٨٧٠ » والشـيخ محـمد عثمان عبد القادر « ٣٠٠٦ » فى دائرة أبو حماد « شرقية » وقد نجح الاستاذ فكرى أباظة فى الاعادة وحصل على ٤٠٢٣ صوتا وكان من الفائزين فى هذه الانتخابات محمد صبرى أبو علم أفندى « وفدى » وقد حصل على ٥٠٤٩ عن دائرة منوف وأحمد أحمد عبد الغفار بك دائرة تلا وقد حصل على ٤٦٨٩ صوتا ٠

وحصل اسماعيل رمزى باشا على ٦٤١٢ صوتا فى دائرة تمى الامديد ولم يحصل د. محمد حسين هيكل بك الا على ٢٧٠١ صوت وكذلك نجح محمود نصير بك « دائرة المنصورة » وحصل على ٢٩٤٢ صوتا وحصل د. محمد حلمى الجيار على ١٩٥٥ صوتا ، ونجح أيضا فى دائرة كفر داود عبد العزيز عبد اللطيف الصوفانى من أقطاب الحزب الوطنى وحصل على ٥٦٢٣ صوتا وحصل منافسه الجارحى عبد السيد حميدة أفندى على ٤٥٦٣ صوتا .

ونجح من أقطاب الحزب الوطنى أيضا محمد محمود جلال فى دائرة بنى مزار المنيا ـ وحصل على ٦٥٥٣ صوتا ، ونال منافسه محمد سعودى أفندى على ٥٠٢٦ صوتا .

وفى دائرة الحسكة « أسيوط » فاز رشوان محفوظ باشا « حر دستورى » على منافسه عبد الرحمن حفنى الطرزى .

وانتخب محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين عن دائرة البربا « أسيوط » وحصل على ٧٠٣٠ صوتا وحصل منافسه على عثمان حماد على ٢٩٧٤ .

***

وفى دائرة البلينا « جرجا » فاز فؤاد أبو ستيت أفندى ٦٤٢٤ صوتا وفى دائرة كفر بداوى القديم « الدقهلية » فاز محمد عبد الجليل أبو سمرة وفى دائرة القلينى « شرقية » فاز محمد عزيز أباظة .

وفى مقدمة التعليقـات على الانتخـابات ، التى أعجبتنى ما كتبه الاستاذ عبد الرحمن فهمى سكرتير عام لجنة الوفد المصرى (سابقا) وقطب الحركة الفدائية وكان من أبرز الوجوه التى لم تنجح فى الانتخابات حيث قال تحت عنوان « يوم الانتخابات ، وما حدث فيه »: فى فترة الترشيحات من جانب الوفد المصرى ، عرض على الوفد بعد حديث لى مع صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا أن يترك لى دائرة الصف من مديرية الجيزة فاعتذرت له مع وافر الشكر ، ثم عاد الوفد مرة أخرى ، فعرض على أن يترك لى دائرة ثانية هى دائرة « ناهيا » احدى دوائر الجيزة أيضا ولكننى كررت الاعتذار وكررت الشكر ذلك اننى رأيت لنفسى ألا أبارح القاهرة فترة الانتخابات وفيها من وجوه السياسة بظروفها الدقيقة ما يشغلنى عن كل شىء على أننى وقد التزمت هذا الموقف حيال ما عرضه الوفـد المصرى على فى مرتين متتابعتين اذا بوفد من جمهرة كبرى من الموظفين والأهالى والعمال المنتمين الى الدائرة الثانية فى شبرا ، تفد على أكثر من مرة ملحة فى أن أرشح نفسى عن هذه الدائرة ، والواقع ان سابقة عملى للعمال قبل اعتزالى السياسة والى جانبها احساس آخر ، أكد لي بأن التوفر على معركة انتخابية في

قلب العاصمة لم تقعدني عن ملابسة الظروف التي تجتازها البلاد ، قد مهدا لى اجابة دعوة الداعين والتقدم ، الى دائرتهم مرشحا نفسى ٠

لقد تحريت فى هذه المعركة ان العرف فى ظل الفكرة ، التى دعوت اليها ، وخرجت من أجلها عن اعتكافى وهى اننا مصريون ، واننا أخوة فلم أسلح فى معركة ، الانتخابات اذن بسلاح المباترة أو النزول الى مستوى الاسفاف أو شراء الثقة بأى ثمن كان ، وانما حرصت جهدى على أن تكون المعركة من جانبى بعيدة عن هذه الظواهر ، نائية عن كل ما يشين الرجل الشريف ٠

وجاء يوم الانتخاب فاذا به يتمخض فى طائفة من لجان الانتخابات عن سوءات ومخالفات لا أريد أن أفصل أمرها بعد أن بعثت عنها شكاوى الى جهة الاختصاص٠

ومرة أخرى — وأخيره — نعود الى « النار » التى فتحها العقاد — كاتبنا وشاعرنا الكبير — على صديقيه السابقين مصطفى النحاس ، ومكرم عبيد ، ذلك أن معركة العقاد والنحاس ومكرم ذات أثر كبير فى تطـــور كثير من الأمور السياسية والصحفية فى تلك المرحلة الهامة من تاريخنا ٠

الفصـــل الخـامس

مرة أخرى : العقاد يفتح النار على النحاس ومكرم

ونحن نؤرخ لأحداث عام ١٩٣٥ وهى من أخطر سنوات تاريخنا الحديث ـ كان لا بد لنا من أن نتوقف قليلا عند المعركة العنيفة التى قادها عباس محمود العقاد ، ضد مصطفى النحاس ومكرم عبيد . وكذلك المعركة العنيفة التى قادها مكرم عبيد ضد عباس محمود العقاد .

واعتقادنا الخاص ، أن لهـاتين المعركتين السياسيتين الكبيرتين أهميـة خاصة ، لا لأن جماهير عديدة ، وقفت الى جانب العقاد فى معركة خروجه على الوفد وارادته ، ولا لأن الوفد ، كحزب سياسى قد جند كل قواته فى القـاهرة والأقاليم ، للقضاء المبرم على كاتبه الأول ، أو الذى كان طوال عشرين عاما كاتبه الأول .. ولكن كما لكل من طرفى هاتين المعركتين من مميزات ، ومميزات ، وخصائص وقدرات جعلت هاتين المعركتين من أشهر معاركنا السـياسية فى سنوات ما قبل الثورة .

والذين يعرفون (مكرم عبيد) ، ويعرفون فى نفس الوقت (عباس محمود العقاد) يعرفون انهما يجمعان خصالا واحدة أو تكاد تكون متشابهة فى كثير من الأوقات والحالات .

مكرم عبيد كعباس العقاد كله حب ، وود ، واخلاص ، وتفان اذا ما أحب ، وكله شدة ، وعنف ، وبغض ، وكره اذا ما خاصم حتى ولو كان ذلك الذى خاصمه هو ذلك الذى أحبه واحترق فى حبه .

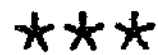
وعباس محمود العقاد ، كمكرم عبيد أيضا ، كلاهما ، لا يعرف المهادنة ، أو الحلول الوسط ، ولا الدرجة التى بين الحب ، والبغض : الأمور عندهما أما حب شديد ، واما كراهية شديدة ، الألوان عندهما لونان فقط ، اما أبيض

واما أسود : لا يملك كل منهما الا شيئين اثنين لا ثالث لهما يوجهانهما الى من أحب ، أو الى من كره ، اما الورود الحلوة الجميلة واما الرصاص القاتل أو الرصاص الذى يحدث دويا كثيرا ، وان كان لا يصيب الا فى حالات قليلة ! ٠

تلك مقدمة رأينا أن نقدم بها بقية هاتين المعركتين ونتائجها على الصعيد السياسى ٠

مؤكدين ــ ولو ان الأمر لا يحتاج الى تأكيد ــ ان آراء كل من طرفى المعركتين لا تلزمنا فنحن لا نرفضها ونحن لا نقبلها ، وانما لنا فى كل رأى معين ما ينقضه أو ما يؤيده ، أو ما يجعلنا نقف فيه موقف الحياد ٠

فى المقال الشهير الذى كتبه عباس محمود العقاد تحت عنوان : (لسنا عبيدا يا عبيد) ٠٠ وأقول الشهير ، لأن بعض الدراسات التاريخية قد اعتبرت من هذا المقال نقطة اللاعودة بين العقاد وبين الوفد ، ربما لأن العقاد قد خاض فى هذا المقال الأمور الخاصة المتعلقة برئيس الوفد وربما لأنه كان أعنف مما ينتظر الجميع من وفديين ، وغير وفديين :



يقول العقاد :

(منذ سنتين عرفت السيدة عائدة مكرم عبيد صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا ، الى فتاة يخطبها الباشا للزواج ، ثم فسخت الخطبة لأسباب قلنا ان بحثها لا يعنينا فى هذا المقام ولكنها لم تفسخ حتى بذلت الهدايا ، ودفعت المهور ، ونفح الوسطاء ، والشفعاء بالهبات : هبات السلاطين والأمراء من مال الجهاد ، فى سبيل القضية المصرية ، ومن مال الوفد الذى يعاب على العقاد أن يتناول منه القليل عند مسيس الحاجة اليه ولا يعاب بذل الكثير منه فى سوق الغرام ونفحات الوسطاء والخدام ٠

ــ وأفتح هنا قوسا لأقول اننى لم أكن أستطيع أن أنقل هذه الفقرة من مقال العقاد لو أن المال ــ موضوع المناقشة ــ كان مالا خاصا ٠ فلكل صاحب مال خاص أن يتصرف فيه على النحو الذى يريده ٠ أما اذا كان المال مالا عاما فان لكل امرىء فى هذا الشعب حق مناقشة أمور صرف هذا المال وأضع قوسا آخر ، لأقفل به هذه الكلمة لأنتقل الى بقية ما قاله العقاد حول هذا الموضوع ٠

يوجه العقاد الى مكرم عبيد بضعة أسئلة من بينها :

(والآن ماذا يريد ال ... أن يقول بذلك الكلام ، الذى أزرى به وبمصطفى نحاسه ، ولم يقع الى موطىء النعال من كاتب هذه السطور ؟ أيريد أن يقول ان

كاتب هذه السطور لم يثبت على مهاجمة الأقوياء عشرين عاما طوالا الا لأنه لم يجد وزارة تعطيه ثلاثين جنيها ، أو ثلاثمائة أو ثلاثة آلاف ؟

(أيريد أن يقول أن الوزارات التى تدفع الحملات من كاتب هذه السطور بالمئات والألوف تغدقها على المأجورين المهازيل كانت تضن عليه ببعض هذه المئات والآلوف لو كان يقبلها أو يتخيل أحد منه استعدادا لقبولها ؟ .

(أيريد أن يقول ان الوزارات التى تدفع الحملات من كاتب هذه السطور الوطنيـــة من أبواق الوفد ومأجوريه لولا ثلاثون جنيها أطمع فيها ولا أعرف سبيل الوصول اليها ؟ فاذا لم يكن فى وسعه أن يقول هذا ، ولم يكن فى وسعه أن يصيب فى مصر عاقلا ، أو مجنونا يصدق هذا ان قاله فما ذلك الاسفاف اذن فى غـير طائل لـولا الغيظ العاصف بالعقول . ولولا النذالة والجهل ، والفضول ، ولولا الخزى الذى أراده الله له ولمصطفى نحاسه من حيث لا يعقلون ، ولا يدركون : يستطيع كل انسان أن يكون شريفا فى اتهامه وادعائه الا المهرج الخسيس فانه لن يستطيع الا التهريج والخسة فى ثنائه وفى هجائه وكذلك كان ال ... منحدرا فى الخسة الى حضيض أغوارها الموبوءة فى غير ما طائل ولا اقناع الا التنفيس عن جحيم من الضغن فى صدره الحقود وعن بؤرة من الدنس فى رأسه المخبول) .

★★★

وفى أعلى جزء من مقال العقاد ، يوجد الباب الثابت الذى يحمل عنوان : (من أدب القرآن) :

(الآية الكريمة التى أختيرت فى ذلك اليوم : بسم الله الرحمن الرحيم) : لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين . بل نقذف بالحق على الباطل ، فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (صدق الله العظيم) (١) وتستمر روز اليوسف فى تخصيص صفحة كاملة : صوت الرأى العام ، تنشر البيانات والمقالات والقصائد ، التى تؤيد العقاد فى موقفه من الوفد وتؤيد أيضا (جريدة روز اليوسف) التى بدأ الوفد يهاجمها ، ويؤكد أنها لا تعبر عن رأيه) .

ويستمر العقاد فى الحملة على مكرم عبيد ، فى العدد التالى من روز اليوسف (٨ أكتوبر سنة ١٩٣٥) .

وتكون افتتاحية روز اليوسف أيضا : « لسنا عبيدا يا عبيد » .

ويستهل العقاد مقاله هذا بالكلمة التالية :

(البينات على لسان مكرم عبيد تأبى من الناس التصديق والاطمئنان لما يحيط به من الشبهات وما يلوح على قوله من حملات التهويش والتهويل فكيف

(١) سورة الأنبياء آية ١٦ ، ١٧ .

بالأباطيل التى لا سند لهـا الا أنه لقينى فى الطريق وانهى قلت أمام بعض الزملاء ، ولا بيان للزملاء ، ولا أسماء ولكن اذا لم يكن عند مكرم عبيد ما يقوله غير تلك الأباطيل ولم يكن فى وسعه السكوت لأن السكوت مميت فما نراه يفعل غير أن (يرتجل) الحقائق (عفو البديهة) كعادته فى ارتجال السجعات ·· بالثلاثات والأربعات وماذا نراه يفعل بعد ذلك غير اكراه الناس على تصـديق الارتجال ، لأن الشك فيه ·· شك فى الدساس المحتال الدجال · والشك فيه ، شك فى الزعيم أو الطور الأخير من حركة الاستقلال ·

● وهو يقول أن العقاد ملحد يكفر بالله ، وقد كان العقاد ـ منذ بضعة أيام فقط ـ متعصبا دينيا يفرق بين العنصريين ·· فأى الاكذوبتين يريد لها التصديق ، وأى العقول يسيغ الاكذوبتين معا ، ان كان ضمير الدجال المحتال يسيغ جميع الأكاذيب · وهو يقول ·· ويالخزى ما يقول ·· اننى اشترطت لوقف الحماة على وزير المعارف أن يتكلم مكرم فورا ، مع وزير المعارف لنقل الموظفين الاثنين الى مصر ، وكان صديقى ماهر قد أبلغنى انه علم أن أحدهما فاسد الخلق والآداب ، ويقول ال ··· ال··· اننى جبـــــان ·· لأننى بينت للمحكمة سوء المعاملة التى ألقاها فى السجن بكلام سمعه جميع الحاضرين ·· ولا تبدى فى تحريفه رواية الأفاكين المزورين » ·

***

ويقول العقاد :

« فماذا كان ينبغى أن أفعـل ؟ · أكان ينبغى أن أجعل عقوبتى الموت مرضا ، بدلا من الاعتقال الى حين · أكانت الشجاعة أن أنكر سوء المعاملة وأنا مصاب من رطوبة السجن بنزلة خانقة ، توشك آن تتحول الى مرض خطير · عباس العقاد جبان أما الشجاع فهو الذى كان يبـــكى على صورة امرأة فى مستشفى السجن ، وهو غير مريض ·

(ويقول الشجاع على الحقائق ال··· مكرم عبيد : وما أن خرج البطل من السجن ، حتى ابتلع حماسته ولطف حدته ، فكنت تقرأ مقالاته ، فتكاد لا تعرف أسلوبه ، لأن أسلوبه من الصنف العنيف ، بينما السجن من الصنف المخيف ولذلك ترك السجون لغيره ، من امثال توفيق دياب ، الذى لم يشتغل قط فى السلطة العسكرية وحدث أن قابلنى مرة فى الطريق فى ابان اشتداد الحـكم الصدقى : وقال : يا أستاذ شوفوا لكم طريقة ، اتفقوا مع الانجليز بأى ثمن · فناقشته فى ضرورة الثبات والجلاد (يا ولد) · وأخبرت دولة الرئيس الجليل (الطور الأخير) وقتئذ ·· بما كان بينى وبينه ·



(هكذا فلتكن الشجاعة ، التى لا ينحدر الجبن انحدارها الى حضيض الزور والرقاعة . فهذه صحيفة مصر ، لم أبدأ الكتابة فيها بعد خروجى من السجن الا وقد بدأت الحملة على الاستعمار ، وواليت الكتابة والدعوة ، الى الجهر بخطة العداء والمقاطعة ونشر الدعاية ، حتى اضطر الوفد اضطرارا الى اعلان تلك الخطة بعد شهور ، ولكنه أعلنها ، وهو يلتفت الى الوراء لينظر هل يتبعه الانجليز ، واعدين بكرسى الوزارة ، أو هم غير حافلين .. هذه هى الحقيقة الجبانة ، فماذا يقول مكرم عبيد الشجاع لو لم تكن صحيفة مصر محفوظة فى المكتبات ، مذكورة عند القراء . انه لكاذب من الصنف الرخيص ، لأنه كذوب ضعيف الذاكرة ، وقوة الذاكرة من أول شروط الكذوب) .

(ويقول .. أخزاه الله .. ولو اننا كنا ممن يمالئون الانجليز ضد مصلحة الوطن .. أفما كان الأولى بنا أن نوقع المعاهدة التى فرضت علينا .. فيستتب لنا السلطان والجاه ؟

***

ثم يقول العقاد :

(يا شيخ يا ألعبان . وهل أنتم قطعتم المفاوضة . وهم نسيتم وساطتكم الذليلة على يدى مستر « سليبى » لاستئناف المفاوضة بعد انقطاعها ، وهل كان المصريون عبيدا لكم مسخرين حتى لا يكون بينهم وبين قبول المعاهدة الا توقيعكم ؟ . وهل كان فى وسعكم أن تعودوا بنصوص المعاهدة كما جاء بها محمد محمود باشا ، ولا تسجلوا على أنفسكم النصب العلنى . وتثبتوا للصديق قبل العدو . انكم طلاب مناصب تتشاجرون على الوزارة ولا تتشاجرون على الحقوق والنصوص . أما الآن وقد خيل اليكم أنكم استعبدتم الناس من دون الله . وأن لا معارض لكم فى حقوق هذا البلد وقضاياه . أما الآن وقد حسبتم أن الحركة الوطنية ، قد تطورت الى وفد ، وأن الوفد قد تطور الى زعامة ، وأن الزعامة قد تطورت الى زعيم . أما الآن وقد نفخكم الغرور ، وطار بكم حب الظهور ، وفجرتم فى الطغيان أقبح الفجور ، فماذا تصنعون ؟ وأى ممالاة للانجليز تعفون عنها وتنكصون ؟ .

(قولوا لنا ، ماذا يصنع الزعيم الانجليزى .. لو تطور الزعيم الى لورد لويد آخر أكثر مما تفرضونه على الناس طائعين وتسوقونهم عليه كارهين .. الدستور ؟ .. لايهم . الخبير الفنى مقبول . السياسة الكرومرية على الرأس والعين . السودان الى حيث ألقت .

.. التبليغ البريطانى على الرحب والسعة . الغطرسة البريطانية نحن لها خانعون . الاحتجاج بالعمل أو بالكلام .. معاذ الله ، ثم معاذ الله ، ثم

معاذ الله ، المحالفة الحرة : لا ، بل بغير المحالفة الحرة نرسل المصريين الى مجزرة القتال فداء لمآرب الدساس ونغنغة مصطفى النحاس ٠

(أو ليست هذه سياستكم ؟ أو ليست هذه أوامركم لعبيدكم ؟ ٠٠ فاذا لم تكن هذه ممالاة الانجليز ، فكيف تكون الممالاة من الانجليز لأنفسهم فى حكم البلاد ؟ واذا لم تكن هذه ممالاة للانجليز ، ففيم كان استحقاقكم لثناء (المورننج بوست) ، وشهادة الاخلاص والتعضيد ولقب الاعتدال ؟

★★★

وينهى العقاد مقاله بقوله :

(أتحتجون بالحرب وحروجه الحال ؟ ٠٠ أين كانت الحرب يوم ختمتم المؤتمر بالتفريط فى السودان ؟ وأين كانت طوالع الحرب أو روائحها يوم (انبسطتم) من الخبير الفنى صاحب حق الاتصال ؟ ٠ انما هى علة تتعللون بها للغافلين ٠ وقريبا قلتم ان (الوقت العصيب) هو أوان الاصرار على طلب الحقوق ٠٠ لقد كنت وصاحبك يا هذا معتدلين فى أيام اللجنة (الملنرية) ٠٠ كما هو مذكور ومأثور ٠٠ ولكن الاعتدال لم يبلغكم الحكم فاندفعتم فى التهييج ، ثم أمعنتم فى التهريج ٠٠ ثم رأيتم الحكم قريبا للمتوسلين المتزلفين ٠٠ فلم تدعوا مطلبا من مطالب المستعمرين الا قبلتموه صاغرين ٠ وأنكرتم علينا أن ننكر هذا القبول ، وزعمتم أن البلاد مقهورة على قبوله من أجلكم لأنكم آلهة لا يرد لها قضاء ، أو لأن الحركة الوطنية قد تطورت الى وفد فزعامة فزعيم ، ولقد تغيرتم على الأمة ، واستكبرتم أن تتغير عليكم ، كأنكم أكبر من الأمة وأكبر من الاستقلال ٠

أو ليست هى الحقيقة التى تنطق بلسان الأعمال والوقائع لا بلسان الكذب والتهريج ؟

أو ليست هذه آخرتكم وتلك أولاكم شر ما تكون الآخرة والأولى ٠ وشر ما يكون عليه الضعف والخذلان ؟

أنكم ـ وأيم الحق ـ لأخطر على مصر من الاحتلال ، لأن الاحتلال يحكمنا غاضبين ، وأنتم تمهدون له أن يحكمنا قانعين شاكرين ٠٠ محسوبين فى تسليمنا وموتنا من المجاهدين الغيورين والوطنيين الفخورين ؟

هذه آخرتكم لا آخرة العقاد ٠٠ فلعنة الوطن عليكم فى الآخرة والأولى ٠ ولعنة الوطن علينا ان تركنا فيكم بقية من خداع يحجبها ستار) ٠

ومما هو جدير بالذكر أن كل من وقف الى جانب الأستاذ العقاد ، حاربته

وزارة نسيم باشا . ومن بين ما نشرته جريدة روزاليوسف بتاريخ ٨ أكتوبر ١٩٣٥ ، تلغرافا من عمدة « يرنبال » القديمة ، جاء فيه :

(لتأييدكم والأستاذ العقاد فى الحق ، تعسف معى مركز دكرنس ، ووقفنى ، فلا تخش لومة لائم) .

***

وقد علق الأستاذ توفيق صليب على هذه البرقية فى مقال نشره تحت عنوان : (وقف عمدة يؤيد الحق) :

(ليفرح الأستاذ مكرم لتأييد رجال الادارة وبعث مظالم العهد البائد) .

وكان من بين ما قاله الأستاذ توفيق صليب : (هذا هو الظلم الصارخ ، وتلك هى الحرب التى أشعل الدس نارها ، وأثار أفن العقول غبارها على حرية الرأى فى هذا العهد ــ السعيد جدا وهكذا يحاربوننا ويفرحون باشتراك رجال الادارة معهم فى محاربتنا ، لا الأنصار الأحرار الأوفياء يستبقون .. ولا المبدأ الذى قام عليه الوفد يرعون . فليرحم الله هذا البلد ، وليرحم ضحاياه . ونحن من ذلك على العهد مقيمون ولو تخطفنا الموت واحدا واحدا) .

***

ويكتب العقاد مرة أخرى فى ٩ أكتوبر ١٩٣٥ بعنوان « ذكروا نفوسهم ونسوا بلادهم وستنساهم البلاد ، ولا يذكرهم أحد غيرهم » . وفى هذا المقال يحمل العقاد على الدكتور أحمد ماهر ، فيقول :

« والعجيب فى أمر الدكتور ماهر هذا أنه يستوى على كرسى المعلم ليؤنبنا على خروجنا من الوفد ، فى الوقت الذى أصبح الوفد فيه أضعف من أضعف الأحزاب فى أمر السودان والدستور والاستقلال . يؤنبنا على خروجنا وهو قد استقال من الوفد ، لا لشىء الا لأن توفيق دياب شتمه وهو عضو فى الهيئة الوفدية ، ولم يرجع فى استقالته الا بعد ارغام توفيق دياب على الخروج من تلك الهيئة ، مع أن ماهرا قابل الشتم بالضرب وأعلن ذلك فى الصحف ، وسكت دياب على هذه الاهانة صاغرا ، ووجب أن يكون لصاحبنا فى ذلك رضا أو غنى عن الاستقالة أو عن الخيانة ، كما يسميها الآن . فاذا كان البقاء فى الوفد واجبا مقدسا ، فلماذا أبحت لنفسك أن تتركه على هذه التفاهة .. وحرمت على العقاد أن يخالف الوفد من أجل حقوق البلاد ؟ أبحت لنفسك ذلك لأنك اله من أرباب السماء ، وحرمته على العقاد لأنه آدمى من طين وماء .. وبعد ذلك تكون أنت الرجل المتواضع الرصين ، ويكون العقاد هو الرجل الدعى المغرور) !! .



ويعود الأستاذ العقاد مرة ثالثة في ٢٥ أكتوبر ١٩٣٥ · وتحت عنوان « لسنا عبيدا ياعبيد ولسنا مأجورين كذلك » · وينهي العقاد مقاله هذا بقوله :

« لقد كان في وسعنا ان نغنم المنافع العالية والسمعة المكرمية رنحسب عندهم من الوطنيين الغلاة · كما يحسبون أجراء الصحافة المكرمية في هذه الأيام · كان ذلك في وسعنا · فرفضنا المنافع · ورفضنا السمعة المكرمية · وجازفنا بما هو أعظم من المنافع والسمعة المكرمية · ونحن نعلم ما نجازف به ولا نجهله ولا ننساه ·· جازفنا بهذا ليتهمنا مكرم عبيد · باننا مأجورون لا نخدم الرأى ولا الضمير · ومن الذى يتهمنا هذا الاتهام ·· مكرم عبيد الذى أودع الخزانة والمصارف ما لا يقل عن سبعين ألف جنيه · والذى أيد مشروع ملنر وقال ان رفضه جناية لا تغتفر · ثم رفضه وارتكب هذه الجناية التى لا تغتفر ، ليقبل الوزارة ، ثم قبل اليوم الحماية ·· وما هو شر من الحماية · وان مكرما لايعلم انني أقول اليوم ما كنت أقوله كل يوم · وانني اليوم أنكر السياسة التى أنكرتها في جميع العهود · وان مسلكى السياسى لا غرابة فيه ولا موجب للتأويل والتعليل ·· ولكن الغريب المريب المعيب · هو مسلك أناس كانوا « من الزعماء الغلاة » فأصبحوا يتطوعون لحذف السودان · وقبول حق الاتصال والدفاع عن السياسة الكرومرية · والتبشير بالتبليغ البريطانى والعرض البريطانى والعرض العسكرى ·· و ·· الخ ·· هذا هو الغريب المريب المعيب ·· أما أن أقول الحقيقة لأنها الحقيقة ولو كان أمامها ووراءها ألف لسان كاذب وألف سلاح مشهور وألف منفعة ضائعة ·· فذلك غريب على طبعك أيها المسكين · ولكنه غريب ليس بالمريب المعيب ودونه ، وينقشع كل بهتان · وينقطع كل لسان » ·

***

وكان الى جانب الأستاذ العقاد في معركته ضد الوفد ، وضد النحاس ومكرم بالذات ، الدكتور محمود عزمى ، الذى كان يكتب أيضا مقالات من نار ضد الوفد ورئيسه وسكرتيره العام ، وضد نسيم باشا بالذات · وكان من بين مقالاته التى نشرها في روزاليوسف ، مقال بعنوان « أيها المصريون أفيقوا فنسيم باشا يلقى بمصر الى التهلكة » · وقد ختم د· محمود عزمى مقاله هنا بقوله ، بعد أن حذر البلاد من سياسة نسيم باشا :

« ذلك هو ما ندعو المصريين قاطبة اليه ، وذلك هو ما نرجو تحقيقه قبل الغد · وأملنا أنهم مفيقون قبل فوات الأوان ، وقد لمسوا ما لمسوا مما تجره على البلاد وزارة نسيم باشا ، ويجره « تأييد » الأصدقاء اياها » ·

وعند هذا الحد من معارك زمان نتوقف مستئذنين في العودة مرة أخرى ــ من أجل تأصيل الأحداث ــ الى ثورة ١٩٣٥ ·



الباب السابع



الفصـــل الأول

بـدايات ثـورة ١٩٣٥

نشرت روز اليوسف دعوة من « مصر الفتــاة » .. الى الاحتفال بعيد ١٣ نوفمبر ، احتفالا قوميا ، بمسرح برينتانيا يلقى فيه الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد كلمة فى الموقف السياسى الحاضر . وكانت لجنة تنظيم الاحتفال برياسة الأستاذ اسماعيل وهبى ، وعضوية الدكتور حسن أبو السعود والأساتذة فتحى رضوان ، ومحمد صبيح عبد القادر ، وأحمد عبد المطلب الشيمى . ومحمد على امام ، وشفيق رومان .

★★★

والجدير بالذكر أيضا أن العقاد كان يلقى فى هذه الفترة فى محطة الاذاعة الحكومية أحاديث أدبية ، كانت تعيد اذاعتها جريدة روزاليوسف . وكان العقاد يحرص فى هذه الأحاديث على الابتعاد عن السياسة .

والجدير بالذكر أيضا انه فى يوم ٧ نوفمبر ١٩٣٥ ألقى محمد محمود باشا خطابا سياسيا فى قصر آل لطف الله بالجزيرة ، وكان من بين حضوره الشريف عباس حليم ، واسماعيل صدقى ، وحافظ عفيفى ، وحافظ رمضان ، وعبد الرحمن فهمى ، وعبد الرحمن الرافعى ، وعبد القادر حمزة ، وعباس محمود العقاد ، و د. عبد الحميد سعيد ، ومحمود عزمى ، و د. محمد حسين هيكل ، وعبد الرحمن عزام .. وغيرهم وغيرهم من رجال الأحزاب والهيئات .. الا الوفد والوفديين .

وقد استقبل الأستاذ العقاد بالهتاف عند وصوله ، وحملته الجماهير على الأعناق .. الى أن جلس فى مكانه الذى اختاره بين زملائه الصحفيين .

وبعد أن انتهى محمد محمود باشا من خطبته ، طلبت الجماهير من العقاد ان يلقى كلمة . فصعد الى المنصة ليقول :

« ان الكاتب الذى يشتغل أولى به ألا يرتجل »

وضحكت الجماهير لأن الارتجال كان سمة من سمات مكرم ٠ وكان العقاد يحمل على مكرم كثيرا لارتجاله ٠

وقال العقاد : « يجب على الكاتب أن يطالعكم فى صحيفته بما تقرأونه كل صباح » ٠ كما قال عن الخطبة :

« انها رقيقة عاجلة فى محاسبة الوزارة وأنها وفقت توفيقا حكيما بين حسن الاستعراض للحوادث ، وبين اجتناب مواضيع الخلاف مع الأحزاب الأخرى بحيث تصلح لأن تكون أساسا لمباحثة قومية لتنتهى الى اتفاق بين الساسة ، وهذا هو خير ما يعمل له الساسة المصريون فى هذا الآوان » ٠

***

وقد ألقى أحد الشبان الشعراء هذين البيتين ، فى تحية العقاد :

عقاد مصر ولست أجحد فضله

ممن يعاضد بأسه الايمان

قاد الشـباب فقلت مرتجلا به

عقـاد مصر جنـوده الشـبان

وكان من بين ما جاء فى خطبة محمد محمود باشا :

« أهيب ببنى وطنى أن يقدروا خطورة هـذا الموقف الذى تتخطاه مصر الآن ، ويتدبروا ما يفرضه عليهم الوطن ازاءه ٠ واذا كان واجبهم دائما أن يقدسوا ما كسبت مصر من الحقوق والحريات ، وألا يسمحوا لأحد كائنا من كان أن يفرطوا فى شىء منها ، وان يكونوا دائما على استعداد لدفع ما يقع من اعتداء على هذه الحقوق والحريات ٠ فواجبهم اليوم أن يكونوا رجلا واحدا فى تأييد حرية مصر واستقلالها ٠ يجب عليهم أن يعلموا أن استقلالهم وحريتهم لا يكمل لهم بعمل غيرهم ، وانما يكمل لهم اسـتقلالهم وتكمل لهم حريتهم بعملهم أنفسهم ، بعمل يدفع اليه ايمان صادق ، صادر من قلوب امتلأت بحب الوطن والاخلاص له ، ونسيت من أجله كل خلاف وكل ضغن ، وكل حقد ٠ ان انجلترا لتضرب لنا المثل باتفاق كلمة أحزابها فى مواقف الشدة ، بالغة ما بلغت التضحية التى تبذل فى هذا السبيل ٠ فلنضرب نحن المثل بأمم الشرق التى تتطلع الينا ، وتنسج على مثالنا ، لنضرب لهم المثل فى انكار الذات وفى اتفاق الكلمة ، ساعة الشدة ، وحين يتعرض الوطن ، والوطن معرض له اليوم » ٠

وينهى محمد محمود خطبته التى كانت أول نداء لوحدة الصف ، أطلقه زعيم مصرى فى الاسبوع الأول من نوفمبر ١٩٣٥ • وينهى محمد محمود خطبته قائلا :

« فلنكن جميعا قلبا واحدا ، ورجلا واحدا فى العمل لكمال استقلال مصر وسيادتها ، وعهد مصر بأبنائها أنهم أبر بها فى ساعة الشدة من أن ينسوها ليذكروا أشخاصهم ومنافعهم • فلننس كل شىء الا مصر ، ولننس كل شىء الا استقلال مصر ، وحرية مصر ، ومجد مصر •

★★★

وكان مما كتبه الأستاذ عباس العقاد عن خطاب محمد محمود :

الحقيقة التى تجلت للنظر فى اجتماع الجزيرة يوم الخميس الماضى هى ان سياسة التسليم وتسليم الوزارة النسيمية ، سياسة لا تعبر عن رأى البلاد ، ولا توافق شعور الأمة ولولا ذلك لما أمكن ان يجتمع فى مكان واحد ، عدد لا يقل عن عشرة آلاف يستمعون الى نقد تلك السياسة والدعوة الصريحة الى تبديلها ولو أمكن قيام الاجتماع لما أمكن انتظامه والترحيب بما قيل فيه وهذه الآلاف الكثيرة لم تكن من طائفة واحدة ولا من طبقة واحدة ولا من سن واحدة ولا كانت فى أى وصف من الأوصاف هيئة خاضعة لمشيئة شخص واحد أو قبة واحدة ، فاتفاقها لا يمكن أن يكون الا تمثيلا لارادة واحدة وشعور طبيعى فى الأمة » ولو كان لتأييد الوزارة النسيمية ، أى صدى فى القوة فى شعور المصريين لكان قيام الاجتماع من المستحيلات مع وجود الراغبين فى تعطيله لكان ما يستطيعون ، ومن السهل اصطناع المؤيدين المستسلمين ، ولكن ليس من السهل اصطناع المعارضين المفكرين » •

وكان وزير الخارجية البريطانية السير صموئيل هور ، قد ألقى بتاريخ ٩ نوفمبر فى قاعة جيلدهول أشار فيه الى ما قيل عن اتخاذ الاسكندرية قاعدة انجليزية ثابتة فى البحر الأبيض المتوسط ، والتضحية بمصالح مصر فى سبيل تحسين مركز انجلترا ، وقد نفى صموئيل هور تلك الأقاويل وقال الوزير البريطانى : انه ليس صحيحا أيضا اننا نعارض فى اعادة الحكم النيابى فى مصر ، معارضة تمليها أغراضنا الخاصة ، فتقاليدنا تمنعنا أن نفعل شيئا من هذا • على أننا نصحنا ـ عندما استشرنا فى مسألة اعادة دستور ١٩٢٣ أو دستور سنة ١٩٣٠ بأن أولهما قد ثبت بالفعل أنه غير صالح لأن يعمل به ، والآخر دستور غير مقبول عند الجمهور » •

وختم وزير الخارجية البريطانية خطابه بقوله :

« ان التاريخ والموقع الجغرافى يربطان البلدين ومصيرهما • ونحن كشركاء يجب علينا أن يعامل كل منا الآخر بصراحة ، ويجب أن يضع كل منا الحقائق نصب عينيه ، ونتغلب على الصعاب اذا استطعنا ، ونتوخى دائما أن يفهم كل منا حقيقة موقف الآخر » •

***

وقد اعتبر الأستاذ العقاد خطاب سير صمويل هور نكبة جديدة • ودعا الشعب الى أن يكشف الخداع ، والى أن يتفهم الحقائق •• وختم مقاله قائلا :

« كانوا يمقتون كل صوت يرتفع بالحقيقة ، ويعاجلونه بالخنق والتشهير والافتراء ، وكانوا ينتظرون بعـد ذلك أن يعطى الانجليز من لا يطلبون ومن لا يجسرون على الاحتجاج ، ولا يتحركون أو ينعقدون مستعجلين •• الا لاخماد صوت الاحتجاج والمحتجين • كان الله فى عون هذه الأمة • كان الله فى عونها من الغاصبين • وكان الله فى عونها من القادة الحماة الذائدين » •

وقالت جريدة « الجهاد » أيضا عن تصريح السير صمويل هور :

« انه يهدم تصريح ٢٨ فبراير من أساسه ، ويجعل دستور مصر رهنا لارادة الانجليز » •

وقال الدكتور محمود عزمى : « وزير الخارجية الانجليزية يفضح نسيم باشا ، فهل يفهم نسيم باشا بالاشارة ويستقيل ؟ » •

وقالت جريدة « الكوكب » التى كانت لسان حال الوفد : « يجب على الوزارة أن تقوم بواجبها فى هذه الساعات الخطيرة . فلا تقبل هذا العدوان على استقلال البلاد وحقوقها ، ولا تتهاون ازاء خطورة الموقف وجسامة أهميته » •

وكانت أول مدرسة فى مصر أضربت احتجاجا على تصريح وزير خارجية بريطانيا هى مدرسة التجارة المتوسطة بالمنصورة ، حيث أضرب طلبة المدرسة عن تلقى دروسهم على أثر اطلاعهم على تصريح وزير خارجية بريطانيا • وقد هتف الطلبة ضد السياسة الاستعمارية • وقبض على عشرة منهم اتهموا بتزعم هذه الحركة ، وفرضت عليهم اجراءات وعقوبات شديدة ، مع انذارهم بالرفت النهائى ، واتخاذ أقسى العقوبات ضدهم •

***

ثم جاءت ذكرى « عيد الجهاد » فى ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ • وأفردت له الصحف أعدادا خاصة • ونشرت بعض الصحف أخبارا تؤكد أن الوفد لم يعد بقادر على أن يستمر فى تأييد وزارة نسيم باشا • وأن نسيم باشا لا بد وأن يستقيل •

وفى يوم ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ كانت القاهرة فى حالة حرب حقيقية ٠ منعت الحكومة « جماعة مصر الفتاة » من الاجتماع ٠ وأضرب الطلبة المصريون فى كل مكان ٠ وأطلق البوليس النار على المتظاهرين ٠ وحدثت عشرات من الاصابات للمتظاهرين وللبوليس ٠ ورغم كل هذا استطاع مصطفى النحاس أن يلقى خطبة هامة وخطيرة ونشرت الخطب التى كان مقررا القاؤها فى عيد الجهاد الوطنى لمحمد على علوبة باشا ، وأحمد حسين ، وعبد الرحمن عزام ٠ وكان من بين القصائد التى كانت معدة للالقاء فى الاحتفال بعيد الجهاد الوطنى بقصر الجزيرة قصيدة للأستاذ عباس محمود العقاد ٠

★★★

وأضربت المدارس ٠٠ وقامت المظاهرات ٠٠ الى أن جاء يوم ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ حيث أعدت القصائد والخطب لتلقى فى عيد الجهاد الوطنى وكان من بين القصائد المعدة للالقاء قصيدة للأستاذ عباس محمود العقاد يقول فيها :

أجل ٠٠ هو يوم الفدا والهمم
ويوم الجهاد ويوم القسم
ويوم الذين دعوا أمة
ونادوا بدعوتها فى الأمم
ويوم له غده المرتجى
ويوم له سره فى القدم
هنا حرم فى جوار الزمان
فحيوا الزمان وحيوا الحرم
هنا فليقم عهده من أقا
م ويعزم على أمره من عزم
ويستقبل الهول من راضه
ويرتد من خافه فانهزم
... ...
وهيهات تعلو لنا شوكة
بشكوى الذليل ونجوى السام
اذا كرمت أمة لم تكن
كرامتها من هبات الكرم

اذا استرحمت أمة خصمها
فلا رحمتها عوادى النقم
... ...
أفيقوا أفيقوا حماة الديا
ر بيأس الرمم
أتسمعكم لندن ياترى
على النأى أم لم تزل فى صمم
أيشفق هاجركم ياترى
هنالك .. أم قد جفا واعتصم
أيطعمكم منه ذاك الدلال
أم حسم الشك فيما حسم
اذا لم يكن صوتكم بالغا
اليه فما قولكم فى النغم
عليكم بقيثارة حلوة
وناى وعود وزير وبم
« الزير والبم من أوتار العود »

وينهى العقاد قصيدته بقوله :

بدأنا بسعد وغاب الاما
م فمن شاء فليحسن المختتم
اذا نحن سرنا على نهجنا
فلا ضير فى أن تزل القدم
حذار القعود مع القاعد
ين وسر فالطريق سوى أمم
فدى للبلاد وأعوانها
على النصر من خانها وانهزم
ومن هونوا الأمر حتى غدا
أجير الهتاف دعى العظم
وحتى غدت كل تصفيقة
تبوأ فى المجد أعلى القمم
وما المجد صفقا ولا صفقة
ولكنه معقل يقتحم
... ...

وهذى الكنانة من رامها
بسوء وهى ظهره وانقصم
وانتم لها سيفها المنتضى
وانتم لها عزمها المعتزم
فقولوا : يرد لها مجدها
يرد وما تم بالعزم تم

وكان من قصيدة الأستاذ على منصور :

آه يا قلبى قد ذكرت شجونا
بين جنبيك فاستحلت أنينا
ذبت يا قلب اذ ذكرت جراحى
وجراح البلاد حينا فحينا
وغرام البلاد ان صح يذكو
فيصير الغرام فرضا ودينا
.. أيها الدهر قد تنكرت حتى
أصبح الحر فى البلاد سجينا
أسلس الأمر للطغاة وأمسى
صاحب الحق كالغريب قطينا
ها هو الروض لسواد الليالى
قد غدا اليوم كالفؤاد حزينا

***

ومن بين القصائد التى ألقيت فى « جبهة الشباب » فى مناسبة عيد الجهاد الوطنى ، قصيدة لحسين المهدى الغنام مطلعها :

ماذا ادخرت : شباب مصر ؟ الى الغد
حاسب ضميرك يا شباب ورددى
فيما خنوعك والكوارث جمة
حاقت بمصر وأنت جد مقيد
فاحطم قيودك يا شباب
فانما وقت الشباب اذا مضى لم يولد
واليوم يومك يا شباب النيل لا
تبخل بروحك فى الزمان الانكد
... ...

روحى دمى نفسى لمصر وديعة

يا مصر فابتهجي بجند أصيد

قلبي لساني كل ماملكته

لفداء مصر ، فلست مغلول اليد

تلك المنية ما أحب ورودها

للطامحين فتلك أعذب مورد

أرواحنا يا مصر جد رخيصة

وقت الجلاد وانت خير الشهد

... ...

وقد علقت جريدة الاجبشيان ميل على اجتماع الجزيرة بقولها : وفيما بين الفينة » والفينة كانت تتصــاعد أصوات هاتفة : فليحيا الائتلاف ، وليسقط الاستعمار بينما لم يهتف بحياة الوفد ، الا شخص واحد ، سرعان ما أخمد صوته فريق من الجماهير الحاشدة ، وكانت جريدة البلاغ قد نفت ما ذكرته جريدة الجهاد من أن المجتمعين هتفوا ضد الأستاذ العقاد ، وجريدة روز اليوسف ، والواقع ـ كما ذكرت البلاغ انه لم يحدث شيء من هذا « وقالت الأهرام : على أن الجمهور قد اختص الأستاذ العقاد بمزيد من التحيات : لكن الجماهير الحاشدة أخذت تنادى بحياة الأستاذ العقاد وكان يجلس في المقـاعد الخاصـة برجال الصحافة ، ولبثوا على ندائهم هذا مدة طويلة ثم استحال هذا النداء ، الى قولهم : عاوزين العقـاد ، عاوزين كلمـة ، نريد أن يخطب ·· وقـد نشرت جريدة روز اليوسف ، بمناسبة اشتراك الأستاذ العقاد في اجتماع الجزيرة بيانا قالت فيه : تعلن هذه الصحيفة أنها مستقلة كل الاستقلال عن جميع الهيئات والأحزاب السياسية ، ليتسنى لها أن تحقق خطتها التى تنظر فيها الى الأعمال والمبادىء ، دون الأشخاص والعناوين ، وان ما تنشره من أخبار ، أو تقبله من دعوات لا يقيد المشاركة في الآراء ، ولا في الخطط ، ولا يقيدهـا بموقف من المواقف السياسية ، غير ما تكتبه الصحيفة ، وتدعو اليه ، وقد بادرت رياسة مجلس الوزراء بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٩٣٥ فنفت ما ذكره محمد محمود باشا من أن الحكومة المصرية ردت على تبليغ الحكومة البريطانية في ١٤ سبتمبر ١٩٣٥ ، فطلبت الى انجلترا أن تتولى الدفاع عن البلاد ، وألحت في تنفيذ أحد تحفظات تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ التى كانت مصر تسعى دائبة لحلها ، وتنظيمها ، قالت رياسة الوزارة ، ان الحكومة البريطانية لم تخاطب الحكومة المصرية في شأن الدفاع عن مصر ، وأن الحكومة المصرية لم تتقدم الى الحكومة الانجليزية بأى طلب يتعلق بتنفيذ تحفظات سنة ١٩٢٢ خاصة بشأن الدفاع عن سلامة البلاد .

★★★

ويكتب الأستاذ فتحى رضـوان عن مصر الفتاة فى وضح النهار ـ روزاليوسف ١١ نوفمبر ١٩٣٥ : كانت جماعة مصر الفتاة تطارد ، وتضطهد ، وتصادر وتراقب ، فتأبى جرائد الحكومة أن تشير الى العذاب النازل بنا وتأبى جرائد خصومنا ، أن تقول كلمة انصاف ولو على سبيل النقد ، للحكومة ، التى كانت تضربهم عصا ، لتجلدنا مائة » ثم يقول : حينما تألفت هذه الجماعة ذهب رئيسها ، وقابل دولة النحاس باشا ، وأعلن له بأنه واخوانه مستعدون أن يسيروا وراء دولته فى حدود البرنامج الذى وضعوه لأنفسهم وهو لا يتعارض مع سياسة الوفد لأنه خطة تفصيلية غايتها تعزيز الشباب بالخلق ، وتحصينه بالارادة ، وملء قلبه بالشجاعة ، وتطهيره من الخوف ، وقد تكون الخطة دقيقة وقد يكون البرنامج ملتهبا والأسلوب ناريا ولكن فى هذا كله نفعا للوفد لأن السياسى الوطنى ، لا يضيره أن يكون الى جانبه المشتعلون ، الملتهبون ، ويقول الأستاذ فتحى رضوان انهم خرجوا من لدن رئيس الوفد مغضوبا عليهم لأنهم يدعون الى الغاء الامتيازات الأجنبية ، ولأنهم يحلمون بالحماسة ويفكرون فى القومية الوطنية ، ولأنهم يحاربون اللهو ويدعون الشباب الى مقاطعة السينما الأجنبية والاقلال من التردد على الملاهى ، واحراج لنفوسهم وتشبه بغاندى ، وغاندى « همجى » ولا يجوز التشبه به .

***

وكان محمد على علوبة باشا ، قـد أعد بدوره خطبة لتلقى فى الجزيرة « ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ » والذى ألغته وزارة نسيم باشا وقد جاء فى تلك الخطبة : الآن وقد وقعت الواقعة وقد قطع غيرنا يدنا التى بسطناها اليه ، فماذا هو واجبنا كشعب ؟ لا أظنكم ترضون كشعب أبى كريم ، أن تكتفوا بالاحتجاج أو باظهار السخط ، والألم ثم بعد ذلك تتفرقون انما واجبنا أن نفكر ، عمليا فيما يجب أن يكون بعد الذى كان : كنا فكرنا ، كما فكر غيرنا فى أن الأمر يدعو الى ائتلاف الأحزاب أو اندماجها سعيا وراء توحيد الجبهة الوطنية والدفاع عن كيان البلاد ، لكننى أصارحكم ، بعد الذى رأيت ، وبعد الذكريات المؤلمة ، أن لا أمل فى هذا التضامن . وأن العظات والعبر ، الأخيرة لم تقو على محو ما بين الأحزاب من نفرة وخلاف وانى أقرأ ، الى يومنا هذا مقالات الصحف فلا أجد بينها الا ما يوسع مسافة الخلف ويلقى الشكوك فى قلوب الاخوة ، أبناء هذا البلد المحزون ، ولا أدرى علام يختلفون والأرض تفور تحت أقدام الجميع ؟

***

وقد سمح للوفد باقامة الاحتفال بذكرى عيد الجهاد ، وألقى فيه مصطفى النحاس خطابا هاما وخطيرا رد فيه على كل المطاعن التى وجهت للوفد واستعرض أعمال الوفد ، وأشار الى ما ذكرته صحيفة الايكونوميست البريطانية من ان

هناك خطرا من قرب وقوع السياسة البريطانية في نفس الخطأ ، الذى وقعت فيه فى سنة ١٩١٩ وان المصريين أظهروا حرصا شريفا فترفعوا عن استغلال المتاعب التى تعانيها بريطانيا فى الوقت الحاضر ووضعوا أصابعهم فى آذانهم من ناحية الدعوة الايطالية ، وتعاونوا عمليا وفى اخلاص مع الجزر البريطانيـة المتحدة وغيرها من الدول ، المنتمية الى عصبة الأمم وأعلن مصطفى النحاس أن الوفد المصرى اجتمع مع الهيئة الوفدية ، فى ١٢ نوفمبر وقرر توجيه الدعوة الى الأمة بجميع طبقاتها ، وعلى اختلاف هيئاتها ، وجماعاتها بعدم التعاون مع الانجليز مادام اعتداؤهم قائما على الدستور والاستقلال وانه اذا لم تستقل الوزارة فان الوفد لا يؤيدها بعد الآن ، وان كل وزارة تقبل أن تتعاون مع الانجليز مع استمرار اعتدائهم على الدستور والاستقلال هى وزارة خارجة عن البلاد ويقاومها الوفد بما يستطيع » • وأنهى مصطفى النحاس خطابه بقوله : اننا لا نكره توحيد الجهود ، ولكننا مع التجارب الماضية ، يستحيل علينا أن نقبل ائتلاف يعود بالضرر ، أو ميثاقا تذروه الرياح ، وانما يكون توحيد الكلمة نزول الجميع على مبادىء الأمة وأن يعمل كل من ناحيته لهـا ففى ميـدان العمل متسـع للجميع ! » وانى باسم الوفد المصرى أدعو الشعب المصرى بأسره تحقيقا لوحدة الجهود الى الاستمساك بهذه المبادىء ، والاستبسال فى الدفاع عنها وأن تعلن جميع الهيئات على اختلاف نزعاتها فى غير مواربة ولا ابهام ، المطالبة بعودة دستور الأمة ، ناجزا ، غير مؤجل ، وكف عدوان الانجليز عنه ، وعن استقلال البلاد بهذا ، وبهذا وحده تكون الوحدة القوميـة • لقد ظهر المستور وبرح الخفاء ، وعرفتم ما يراد بدستوركم ويبيت لقضيتكم فلا تستبيحوا للعادين على حرمتكم ، لانكم ان استسلمتم ضيعتم نهضتكم وأهنتم وطنيتكم وأغضبتم أرواح شهدائكم ، وهذا يوم الجهاد ، والتضحية فاجمعوا فيه على الجهاد أمركم ، واعقدوا على التضحية عزمكم ، فما تغلو تضحية من أجل مصر !! » •

★★★

وقد جاء فى كلمة الأستاذ أحمد حسين رئيس جمعية مصر الفتاة – وكان مقررا القاؤها أيضا فى اجتماع خاص : ان الدعوة الى الاتحاد والتعاون دعوة تصادف هوى فى نفوس المصريين ، ولكن الوفد ، يعترض عليها واذا صح أن « الجهاد » كانت تعبر عن رأى الوفد فأغلب الظن اننا سنسمع فى خطاب اليوم ، رفض دعوة الائتلاف والدعوة الى ما يسمونه اســــتقلال كل حزب مع تمسكه بمطالب الوفد ، وأرجو أن تذكروا أن مطالب الوفد لم تعد معروفة ، ولا مفهومة ، والوفد ، أصبح من المرونة بحيث أنه يقبل اليوم ما قد لا يخطر على عقل مصرى أن يقبله ، ومع ذلك فانى أتفق مع الوفديين فى أن الائتلاف اذا تم ، على الطريقة الماضية فانه سيؤدى الى نفس النتائج التى انتهى اليها الائتلاف الأول : اتفق مع الوفديين فى هذه الناحية ولكنى أختلف معهم ، فى أنهم لهـذا السبب

يرفضون الائتلاف . أما أنا فأبحث عن علاج لهذه الحالة ، أبحث عن ضمانات لهذا الائتلاف ، وهذا هو ما يقضى به المنطق ، وما يقضى به الواجب ، ويقترح أحمد حسين باسم مصر الفتاة ، على الأحزاب السياسية أن تحتمى فى مؤتمر وطنى ، وأن تضع ميثاقا قوميا فى وثيقة مكتوبة ، وأن يوقع عليه كل ساسة مصر ، وأن يقسموا فى نهايته ألا يقبلوا أى وزارة ، أو يشتركوا فى وزارة ، أو يعاونوا وزارة الا على أساس هذا الميثاق ، وحرفيته الدقيقة فاذا خرج واحد من الموقعين على الميثاق عليه واستهان بأحكامه فانه يعتبر مرتكبا لجريمة الخيانة العظمى ، وأن يثبت ذلك فى نهاية الميثاق ويقول عبد الرحمن عزام ، اذا كانت الأحزاب والجماعات السياسية ، وأولو الرأى من الأمة لا يجدون وسيلة للعمل المشترك ، فلا أقل من أن يرموا جميعا الى هدف مشترك . هـذا الهدف هو استقلال مصر ، والا تقوم فيها حكومة الا على ارادة الشعب ويخاطب عبد الرحمن عزام الشباب بقوله : اعلموا ان المستقبل لكم فالخير والشر عائد عليكم ، وهذا الضعف الذى ترونه أمامكم من الشيوخ ذهب عاجلا ، أو آجلا وفيه رجال تعودوا أن يطأطئوا رءوسهم للقوة ، وقد ذاقوا طعم الجاه والمنصب ، وزاد حرصهم على الحياة ، ونما فى نفوسهم الحقد ففسدت قلوبهم وأنتم معقد الآمال ، أنتم الذين ترفعون الرأس عاليا : أنتم الذين صفت نفوسكم من الحقد ، والحسد ، أنتم الذين يتمثل فيهم جيش النهضة ورمز الاخلاص والشجاعة ، والاتحاد ، فاحملوا راية الجهاد وسيروا على ضوء الشعلة التى أوقدها سعد فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ نحو الهدف الاسمى ، نحو الاستقلال التام : سيروا الى القوة القومية .. الى المجد ولا تلهكم سفاسف الساسة بمصر ، الى أن تستقر فى المكان اللائق بها ، الى أن يصير استقلالها حقيقة واقعة ، وأن تصبح أرادتها فوق كل ارادة وأن تكون خالصة لكم ، ولمن يرثها من بعدكم .. ! » .

***

هذا بعض ما كان سيقال فى المؤتمر الذى منعت انعقاده وزارة توفيق نسيم باشا ونكمل – فيما يلى – مسيرة الشباب فى ثورة الشباب .

الفصل الثانى

يوم الجهاد فى عيد الجهاد

ثورة شباب مصر

وكانت قوات البوليس ــ فى العاصمة ــ قد اتخذت كل الاحتياطات للحيلولة دون قيام مظاهرات واضطرابات : كانت أول مدرسة تظاهر طلابها فى هذا اليوم « ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ » مدرسة شبرا الثانوية ، وقد أدى تجمهر الطلبة وتظاهرهم ، الى وقوع سلم المدرسة فأصيب ١١ طالبا من طلبة المدرسة ورغم ذلك الحادث الأليم خرج الطلبة واستقلوا الترام قاصدين وزارة المعارف ، وتبعهم طلبة مدرسة الفنون والصناعات بالعباسية ، وطلبة مدرسة التجارة المتوسطة ٠ وقد قام طلاب هاتين المدرستين بالتزود من قطع الأخشاب والحجارة من عمارة كانت تشيد حديثا وظلوا يقذفون بها الجنود والضباط ، مما أدى الى اصابة كل من الملازم أول عبد الحميد أفندى فوزى والملازم أول عبد اللطيف أفندى كرارة ، وأطلقت الأعيرة النارية « ١٢ عيارا » وتفرق الطلبة ، وكان عددهم يتراوح بين ٢٠٠ ، ٣٠٠ طالب ٠ ومن بين طلبة الفنون والصنايع الذين أصيبوا محمد عبد الغنى ، واستمرت المظاهرات وكانت قوية عنيفة فى ميدان الاسماعيلية ٠ وأصيب يوسف ابراهيم الغاياتى « كلية الحقوق » وفى شارع قصر العينى ٠ تضاعفت خطورة الحالة ، اعتقل من طلاب الطب : محمد محمد غلاب ومن طلبة التجارة مراد لوقا ، محمد كامل ، ومحمود عيد ، ومحمد سعيد ، ومن طلبة مدرسة الدواوين : صلاح عزت ، واشترك طلاب المعهد الازهرى فى المظاهرات وقد منعت قوات البوليس اجتماع مصر الفتاة الذى تحددت اقامته ، فى كازينو آل لطف الله بالجزيرة ٠٠ وقد تظاهر أكثر من ٥٠ شخصا من جمعية مصر الفتاة وقد أعتقل البوليس ١٤ شخصا منهم : محمد أفندى صبيح رئيس تحرير الصرخة وابراهيم أفندى شرف الدين وأحمد أفندى على من محررى الجريدة ٠ وفى هذا اليوم صدرت الأوامر ــ بعد الظهر ــ الى جنود الجيش المصرى وضباطه بالاشتراك مع رجال

البوليس فى قمع المظاهرات والمحافظة على النظام ، وقد رابط جنود الجيش فى ميدان الاسماعيلية وشارع قصر العينى ، ومعهم العصى الغليظة والخوذات فوق رءوسهم ! .

***

وقال بلاغ صادر عن وزارة الداخلية ان عدد المصابين الذين نقلوا الى مستشفى قصر العينى ١٩ من رجال البوليس ، ١٨ من الأهالى والطلبة بينهم ٩ من تلاميذ مدرسة شبرا الثانوية سقط بهم سلم المدرسة ، وأشار البلاغ الى وقوع صدام بين البوليس وطلبة المعهد الدينى . والمعهد الأحمدى ، وبعض المدارس فى طنطا وبلغ عدد المصابين من رجال البوليس ٤٥ منهم ١٣ اصابة شديدة وناشد بلاغ وزارة الداخلية الجمهور ، أن يخلد الى السكينة . فالموقف دقيق والاخلال بالأمن يجر مخاطر كثيرة ، على البلاد وكرر البيان النصح للطلبة أن يرجعوا الى مدارسهم ، ويعلن البيان أن الوزارة على أتم استعداد لمواجهة الحالة ولاقرار الأمن والنظام ، بكافة الوسائل اذ تنشر الصحف البريطانية أنباء الاضطرابات التى حدثت فى يوم ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ ، وتتوقع جريدة الايفننج ستار ان يطوح قرار الوفد بوزارة نسيم باشا فقد كان الوفد يؤيد نسيم باشا على أنه سيعيد الى البلاد دستور ١٩٢٣ .

***

وتقول الايفننج ستار : ولما لم يتم هذا كانت النتيجة أن النحاس باشا قد صادف صعوبة شديدة فى منع المتطرفين من اتباعه عن مهاجمة الوزارة . وتقول الجريدة : الآن يصرخ الزعماء ، المصريون جميعا ، بصوت واحد ، والصعوبة القائمة الآن هى الى أى حد يستطيع نسيم باشا ، أن يقف فى وجه صراخهم وهو فى موقفه المعروف من القصر ، وعدم تأييد الشعب له ، والجدير بالذكر أن الأستاذ الدكتور محمود عزمى ، قد ذكر ـ ضمن ذكرياته ـ أنه عندما قام الموظفون سنة ١٩١٩ بما قاموا من اضطرابات ، واضرابات طلب المتظاهرون الى توفيق نسيم ان ينضم الى حركتهم فما كان منه الا أن أجابهم قائلا : أما أنا فلم أصب بعد بمرض الوطنية !

وتستمر المظاهرات فى يوم ١٤ فبراير ١٩٣٥ ، ويقتحم البوليس « أحد الضباط الأجانب ومأمور قسم السيدة زينب وبعض الكونستبلات والجنود ، مشرحة قصر العينى ويفتحون عنوة احدى الثلاجات ويسرقون جثة أحد الشهداء ثم حملوها الى خارج المستشفى حيث وضعوها فى سيارة لورى ، وانطلقوا بها الى حيث لا يعلم موظفو المستشفى .

***

وبعد ان انتهت تلك العملية عادوا على الفور واستخرجوا جثة الشهيد محمد عبد المجيد الطالب بكليـة الزراعة ، الذى استشهد أمس برصـاص الكونستبلات هاتفا بحياة مصر وقد كانت الجثة موضوعة فى احدى الثلاجات داخل غرفة المشرحة فحملوها وصنعوا بها ما صنعوا بالجثة الأولى لفوها فى قماش ، ووضعوها بعد ذلك فى سيارة لورى وانطلقوا بها الى حيث لا يعلم أحد وجهتها ! هذا ومن المعروف أن بعض الطلبة كانوا قد عارضوا نقل الجثتين ، الا أن رجال البوليس حطموا أبواب الثلاجة مدعين أنهم أهل الشهيدين ! وعندما عرض عليهم الطلبة أن يصحبوهم ، الى حيث يمكن تشييع الجنازتين ، رفض « الأقارب المزعومون » .

★★★

وكان محمد محمود باشا قد توجه بدعوة الى الأمة يدعوها مرة أخرى الى الاتحاد متجاوزا — فى سبيل هذه الدعوة — عن كل تعريض ولمز ، « وأمد يدى للتشاور مع كل مخلص للاتحاد من الزعماء فانى أذكرهم بأنهم بتحقيق هذه الوحدة يلبون نداء الواجب ويحملون عبء القضية للوطن عن أبنائهم فلعل الله يجمع كلمة الآباء ، لخير الوطن ولانقاذه من محنته . فانهـا اذا اجتمعت رد اجتماعها حقوق مصر اليها ورد بذلك الأمن والطمأنينة الى ربوعها : ان الساعة عصيبة : والموقف دقيق ، والوطن يدعو أبناءه جميعا للوقوف صفا واحدا دفاعا عنه : هانذا قد دعوت وبلغت فليشهد الوطن وأبناؤه » . وكان الرصـاص الغزير ، قد أطلق على طلبة الجامعة ، وكانت معركة دامية قد وقعت عند كوبرى عباس وكان ضباط انجليز وكونستبلات انجليز قد ظهروا فى الميـدان ولهم — كما قيل — وقتئذ شهرتهم البعيدة فى الرماية ، وكان من بين الطلبة الذين أصيبوا : محمود عبد الحكم ، محمد عبد الله مكى ، رجائى كامل حسين ، ومحمود عيد « كلية الآداب » وعبد القادر حسن زيادة « كلية الحقوق » وابراهيم شكرى وقد أصيب فى فخـذه « كلية الزراعة » كمـا أصـيب البكباشى ليزاريك والكونستابل ادوار أكاتور .. وكان من آثار ملحمة ذلك اليوم ، استشهاد محمد عبد الحميد مرسى « كلية الزراعة » الذى قضى نحبه متأثرا بنزيف فى تجويف الصدر وكانت آخر كلماته — كما سبق أن ذكرنا — تحيا مصر ، وكانت أخت الشهيد — الآنسة احسان مرسى — تعمل ممرضة فى قصر العينى ، وتقوم بعملها بين زميلاتها وزملائها ومعهم أطباء المستشفى الكبير قد استقبلت شقيقها دون أن تعلم من أمره شيئا ، ولكنها دمعت حين رأت أخاها الطالب يلفظ أنفاسه الأخيرة وينتهى ، الى آخرته ، والجدير بالذكر أن البكباشى ليز قومندان حرس الوزارات عندما نقل الى مستشفى قصر العينى لاسعافه من اصابته كان يفتخر بأنه قتل ثلاثة برصاص مسدسه ! وقد أسعف من اصابته وانصرف ، وأغلقت الجامعة — بناء على قرار من الجامعة — كما أغلق نادى الاتحاد الجامعى فى ١٤

نوفمبر ١٩٣٥ نظرا لأن اجتماع الطلبة فى الكليات هو المشجع الأول لعوامل الاخلال بالنظام ، وكان من بين المصابين فى ١٣ نوفمبر حسن أفندى يس وكذلك أصيب حمد سيف النصر بك ٠

★★★

وقد صححت الصحف واقعة سرقة الجثتين وقال رجال البوليس ان جثة الطالب محمد عبد المجيد مرسى ، كانت موضوعة فى غرفة المشرحة ، وكان الدكتور بلال يحمل مفتاح الغرفة ، ولما حضر رجال البوليس ولم يجدوا المفتاح ، اتصلوا بوكيل المستشفى مصطفى بك فهمى وبواسطة رجال المستشفى فتحت الغرفة واستخرجت الجثة ، ووضعت فى عربة نقل الموتى رقم ٢١٢٥ - وليس فى سيارة لورى كما أشيع - وسافرت بالطريق الزراعى الى الاسكندرية ٠ ويكتب الأستاذ العقاد ، عن وزارة نسيم قائلا : كل الوزارات المصرية كانت خيرا من الوزارة النسيمية » ، وتعطلت الدراسة فى الأزهر ٤٥ يوما ٠

★★★

وتحتفل مصر بيوم شهيد دار العلوم « على طه عفيفى » وكانت جثة على طه عفيفى قد وضعت - كما قالت الصحف الصادرة يومئذ - فى غرفة المشرحة تحت حراسة بعض ممرضى المستشفى ، وأبلغ أحد الحانوتية مأمور قسم السيدة زينب الصاغ محمود أفندى عاشور انه علم أن الجثة ستسرق من المشرحة ، حتى لا يتمكن البوليس من أخذها ودفنها واتصل البوليس بوكيل مستشفى قصر العينى الذى أكد لهم أن هذا الذى يقوله الحانوتى غير معقول ، ولا يمكن أن يحدث ، ولكن البوليس ، لم يطمئن فأقام حصارا كبيرا حول مستشفى قصر العينى حتى شاطىء النيل ، وحضر على باشا ابراهيم عميد الكلية ٠ ووكيل المستشفى مصطفى بك فهمى ، والدكتور خليل عبد الخالق ، ورجال القسم السياسى ، والجنائى بحكمدارية العاصمة . وبذل الجميع أقصى جهودهم واستنفذوا آخر حيلهم مع الطلبة لكى يظهروا الجثة ، واعدين بأنهم سيسمحون لهم بتشييعها كما يشاءون وذلك بعد أن يئسوا من العثور على الجثة ٠

وفى الساعة الواحدة بعد الظهر ذهب الحانوتى الى المأمور ، وأبلغه أن الجثة سرقت ، واكتشف المأمور ووكيل المستشفى أن الثلاجة التى كانت الجثة قد وضعت بها مكسورة ، واشتبه البوليس فى طالب بكلية الطب ، وفتشوا منزله فلم يعثروا على الجثة وبعد أن وعد اللواء رسل باشا حكمدار العاصمة ، الطلبة بموافقته على تشييع جنازة الشهيد ، ظهرت الجثة ، وكانت مخبأة فى غرفة المحاضرت ، وخرجت الجنازة من مستشفى قصر العينى يتقدمها طلبة دار العلوم

وكلية الطب والحقوق وبعض طالبات الجامعة وكان النعش محمولا على أعناق الطلبة وجاء تقرير الطبيب الشرعي ليؤكد أن الشهيد ضرب على رأسه بعصا مرتين ، وقد نجم عن الضرب ان دخلت عظام الرأس في المخ ٠

وتنتقل الاضرابات من القاهرة ، والاسكندرية الى شبين الكوم ، والجيزة ، والمنصورة ، وبنها ، ومشتهر ، وسوهاج ، وأسيوط ويقلد بوليس أسيوط بوليس القاهرة ، فيفتح الكوبرى فى أسيوط ليقطع طريق المتظاهرين ٠

★★★

ولم تكن الحركة حركة طلبة فقط ، وانما كانت حركة عمال أيضا ٠ وقفت طويلا عند أحد البيانات الصادرة عن نقابة عمال طرق النحاس : « كان البيان يقول بالحرف الواحد : اجتمعت الهيئة التنفيذية لنقابة عمــال طرق النحاس بالقاهرة وذلك فى الساعة الثالثة بعد ظهر يوم السبت ١٦ نوفمبر ١٩٣٥ ، وظلت مجتمعة الى الساعة الرابعة والنصف مساء ، وكان محور هذا الاجتماع تلبية واجب وطنى ، وشعور كامن حساس قد استفزته حكومة قيل انها خير حكومة أخرجت للناس فاذا بها تعلن عن نفسها بعملها ، انها شر حكومة أخرجت للناس ، وقد أصدرت الهيئة القرارات الآتية : الاحتجاج الصارخ على أعمال الحكومة التى تأتيها ويبدو أنها ستتمادى فيها ولم تخجل من أنها قد أصبحت بعيدة كل البعد عن ثقة الشعب و ٠٠ و ٠٠ وتتخذ النقابة قرارا بالاضراب يومى الأحد والاثنين ١٧ و ١٨ نوفمبر حدادا على شهداء الوطن الأوفياء الذين صدقوا ما عاهدوا عليه الوطن وما بدلوا تبديلا وكان رئيس النقابة التى أصدرت هذا البيان : إبراهيم شوشة ، وكان سكرتيرها العام عبد السلام بلح ٠٠

★★★

وكان من بين تعليقات الصحف البريطانية على الأحداث الجارية فى مصر ما نشره مراسل الاوبزرفر فى القاهرة حيث قال : لقد كانت المظاهرات الأخيرة ، وما سفك فيها من دماء سببا جديدا يدفع نسيم باشا الى الاصرار على بقائه فى الحكم ليستطيع أن يعيد النظام ٠ الى ما كان ولينفذ ما يعتقده واجبا يدعوه ضميره الى أدائه ، ونعنى بذلك ادارة شئون الأمة فى هذا الظرف الدولى العصيب ومن الأمور المعروفة أن الوزراء موافقون على أعمال رئيس الوزارة ، وهــذه الأعمال من التصرفات الحازمة التى اتخذت كوسيلة وحيدة لقمع الهياج الذى أشار به المعارضون تعزيزا لاحتجاجهم ، الى أن يقول مراسل جريدة الاوبزرفر : لا شك أن موقف الأحرار الدستوريين قد أرغم الوفد على أن يدافع عن مركزه وأن يقحم نفسه فى ميدان المزايدة ٠٠ أما الوفد فما كان له أن يتكدر من تعرض السير هور للمسألة الدستورية لأنه كان عالما بها منذ ستة أشهر على أن الذى

آله انما هو ذكر المسألة علنا ومن جهة أخرى كان ذلك سببا فى أن المعارضة تشتد فى مطالبة الوزارة بالاستقالة مع أن الوفد فى الواقع يريد بقاءها أكثر مما يريد الانكليز ، ومن رأى بعض الأذكياء أن اصرار نسيم باشا على بقائه فى منصبه ليس معناه غضب الوفد عليه كلا : فان الذى يثير غضب الوفد حقا هو استقالة الوزارة تنفيذا لرغبـــة الوفد الظـــاهرة فالواقع أن الغرض من معارضة الوفد للوزارة انما تهدئة أنصاره المتطرفين من جهة ومزاحمة الأحرار الدستوريين فيما يودون أن يكسبوا به عطف الرأى العام من جهة أخرى .

***

ولقد سبق أن نشرنا بعض ما جاء على لسان مكاتب جريدة « الأوبزرفر » البريطانية فى القاهرة عن معرفة الوفد — ومنذ ستة أشهر — برأى الحكومة البريطانية ، الذى أعلنه سير صمويل هور ، ومن أن معارضة الوفد ، لوزارة توفيق نسيم باشا — التى أجمع الشعب على ضرورة التخلص منها — ليس — فى رأى مراسل « الاوبزرفر » — الا من قبيل المناورة .

ونضيف أيضا ، ما جاء على لسان هذا المراسل من انه من رأى الوفد عدم التمادى فيما يزيد موقف الوزارة حرجا ويدلل على رأيه بما يلى :

« ما زعمه النحاس باشا عن توعك صحته وامتناعه عن الذهاب الى المسجد ، لصلاة الجمعة وعدم قيامه بواجب زيارة الجرحى كما فعلت السيدة صفية زغلول — ويلاحظ أن النحاس باشا لم يذهب الى الجرحى فى الأيام الأولى لوقوع الحوادث .

***

ويمضى مراسل الاوبزرفر فى رسالته التى نشرها بتاريخ ١٧/١١/١٩٣٥ قـائلا :

« ولقد كان معروفا أن رئيس الوفد جرى على سنة الصلاة أسبوعيا فى ظروف المحن السياسية خصوصا عقب « هياج » كهذا الهياج ، الذى حدث فى هذا الأسبوع ، ولم يعرف عنه ، من قبل انه امتنع عن القيام بأية حركة يرى من الممكن أن تخلق فرصة لتأليف مظاهرات تؤدى الى تفاقم الاضطرابات !

***

على أن الحكومة البريطانية — كما يبدو من اتجاهات الرأى العام البريطانى ، ومما نشرته الصحف البريطانية ومن تعليقات الكتاب والسياسيين — انها كانت قلقة الى أبعد حدود القلق لما وصلت اليه حال الأمن فى مصر ولعنف المظاهرات ، التى قامت فى كل أنحاء البلاد ، ولشدة الهتافات ، التى كان يطلقها المتظاهرون ،

ضد بريطانيا . ورغم أن الحكومة البريطانية كانت منشغلة يومئذ بالانتخابات البريطانية الا أنها بعد اجتماع لمجلس الوزراء البريطاني لبحث الأحوال في مصر ، رأت أن عوامل القلاقل المصرية ليست سطحية بل هي عميقة وخفية في وقت واحد .

***

ولقد أعلنت مصر ، عن اضراب عام في يوم ٢٢ نوفمبر وأعلنت الصحف المصرية عن مشاركتها في هذا الاضراب ، وقامت بريطانيا - كعادتها في مثل تلك المناسبات - بمناورات للاسطول البريطاني في مياه الاسكندرية حتى يعرف المصريون أن الاسطول البريطاني الذي ضرب الاسكندرية في ١١ يوليو ١٨٨٢ ، وكان ضرب الاسكندرية مقدمة لنزول القوات البرية الى مصر ، تمهيدا للاحتلال البريطاني ، على استعداد لضرب الاسكندرية مرة أخرى ، و .. و .. ولكن المصريين لم ينزعجوا أبدا لهذه المناورات بل لقد اعتبر الوطنيون المصريون قيام الحكومة البريطانية بهذه المناورات سبة للوطنية المصرية ودعا هؤلاء الوطنيون المصريون الى مقاطعة شهود تلك المناورات من قبل المصريين ، وأنذروا كل من يحضرها ، بالويل والثبور وعظائم الأمور .

« ورغم أن الوفد المصري احتج لدى عصبة الأمم ، على الأحداث الأليمة التي وقعت في مصر ، الا أن الحكومة البريطانية - كما روت صحيفة « المانشستر جارديان » البريطانية - رفضت ابداء رأيها في هذا الاحتجاج ، أو في هذا الذي سمته بعض الصحف البريطانية « نداء » لا احتجاجا !!

***

ولقد اهتمت الصحف البريطانية بما حدث في « بيت الأمة » يوم ٢١ فبراير حيث خطبت في الجماهير فتاة لا تتجاوز الرابعة عشرة من عمرها ، خطبة تلتهب حماسة رغم أن البوليس ، كان يقبض - بالجملة - على كثير ممن تجمهروا حول بيت الأمة ، وكان عددهم يزيد على المائتين !

ولم تعلق الصحف البريطانية الصادرة في ٢٢ نوفمبر ، على ما حدث في مصر ، في يوم الحداد . وان كانت قد أبرزت أحداث ذلك اليوم ، واعتقال حوالى ٥٠٠ من الطلبة واطلاق « الرش » من رجال البوليس ووصفت صحيفة الديلي هيرالد يوم ٢٢ نوفمبر - يوم الحداد - بأنه اليوم الذي يمثل وبحق الاحتجاج المنظم ، المؤثر ، في الموقف البريطاني حيال مصر .

***

وحول مناورات الأسطول البريطاني في مياه الاسكندرية نشرت صحيفة « ستار » البريطانية مقالا ، سجلت فيه أخطاء السياسة البريطانية في مصر ،

ان من بين ما قالته صحيفة « ستار » : يندر أن يفوت ممثلينا فى مصر
رص ، حتى يتحقق الوقوع فى الأخطاء ، فالغضب الذى أظهره المصريون على
ريح السير صمويل هور ، ورفض الموافقة على دستور سنة ١٩٢٣ ، دستور
ر الديمقراطى ، ازداد تجلى التعبير عنه بانفراد حضرة صاحب السمو الأمير
مد على بحضور مناورات الاسطول البريطانى فى مياه الاسكندرية ، ورفض
ور كثير من الشخصيات البارزة من المصريين الذين وجهت اليهم الدعوة » ٠

والأمير محمد على ـ كما تقول صحيفة « ستار » : « شخصية جذابة محبوبة
المجتمع البريطانى ، وهو صديق شخصى للسير مايلز لامبسون ، ولكنه من
ارضين لسياسة القصر » ٠

ولعل هذا الذى قالته صحيفة « ستار » البريطانية يكفى لكشف الأمير
مد على ، وميوله البريطانية ٠

***

ونستأذن فى الوقوف عند دعوة كريمة راحت فى استحياء تدعو الى وحدة
دة والزعماء من أجل مصر التى أضناها تمزق وحدة الأبناء ٠

الفصل الثالث

وبدأت الدعوة إلى توحيد صفوف الزعماء والقادة

وبعد تلك الالمامة السريعة باتجاهات الرأى العام البريطانى تجاه الأحداث الخطيرة التى وقعت فى مصر ، نعود الى تلك الأحداث ذاتها .

لقد استمرت المظاهرات والاضرابات فى كل أنحاء البلاد ، شاركت كل طوائف الشعب ، من محامين ، وصحفيين ، وأطباء ، وعمال ، وتجار فى الاضرابات وفى مظاهرات الحداد ، ولم يعرف أن فئة مصرية واحدة قد شذت عن المشاركة فى أحداث نوفمبر ١٩٣٥ .

وفى الوقت الذى كانت الاضطرابات قائمة ، كانت المحاكمات تجرى فى كثير من المحاكم ، بصورة مستعجلة لمحاكمة من اعتقلوا فى تلك الاضطرابات . وكم كان مؤلما أن بعض الذين اعتقلوا لم توجه اليهم من تهم الا تهمة « الهتاف بحياة الأمة ، وحياة مصر » .. !!

وأذكر من بين ما ذكره المحامون الموكلون بالدفاع عن المعتقلين العبارات التالية : « هؤلاء الشبان هم صفوة أبناء هذه الأمة .. هم أملنا فى الحياة .. فى المستقبل .. هم رجال الابوة للبنوة الصالحة . ان الدفاع يعتقد أن الاتهام سينظر اليهم النظرة البعيدة عن كل أسراف ، من ناحية سوء القصد منه أو معنى الاجرام فيه .. » .

لقد غضبت الأمة غضبتها الكبرى ، وسحبت من الوزارة ثقتها . وطلبت منها الاستقالة . فاذا بالادارة تسيل الدماء ، وتزهق الأرواح ، كان الهتاف لمصر جرم .



يقول الأستاذ جبريل شحاتة معوض المحامى :

« فان يكن الهتـاف لمصر جرما .. فأنا أهتف فى الجلسـة بحياة الأمة وأتحدى النيابة أن تقاضينى » .

« ان هؤلاء المتظاهرين لم يرتكبوا ما يحاكمون عليه ، بل قاموا بعمل نبيل يجب أن تظاهرهم فيه النيابة ، وأن تظاهرهم المحكمة . ولكنهم يقولون لنا القانون القانون » .

ويتساءل بعد تلك العبارة الأستاذ أحمد حسين المحامى قائلا :

« يا سيدى القاضى : هل أنت تجلس فى خدمة القانون أم أن القانون فى خدمتك .. أما أنا فأقول بحق ، معبرا عن روح التشريع أن القاضى والقانون يجلسان فى خدمة العدالة . فالقضاء هو العدالة ، والقانون هو العدالة . من ذا الذى يقول ان القانون مظهر من مظاهر الظلم . من الذى يجرؤ على القبول ، بأن القاضى يجلس فى خدمة الظلم .. لا أحد .. لا أحد . فالنيابة هى العدل فاذا ما تعارض القانون والعدالة ، فليتحطم القانون ، وليحطمه القاضى ، حارس العدل وأمين العدل .

« ان مصر تشاطر هؤلاء الأبرياء عواطفهم وآراءهم .

« ان مصر تظاهرهم وتغضب لغضبهم .

« ان مصر بأسرها تنتظر حكمك ، وهى تطالب كل مصرى أن يقوم بواجبه ، وأنت مصرى قبل أن تكون قاضيا » .

***

والجدير بالذكر .. أن بعض القضاة كانوا يحرصـون على عدم ادخال السياسة فى المحاكمة . ففى محكمة السيدة زينب ، التى كان يرأسها الأستاذ عبد العزيز محمد ، وكان من المتهمين مراد لوقا ، ومحمد محمود الغراب ومحمد كامل الدماطى ، ومحمد أنيس الدفراوى ، وكان من المحامين عنهم : ابراهيم عبد الهادى ، وزهير صبرى ، وكرم عبد الهادى ، وأحمد حسين . قال القاضى ، وهو يعلق على كلمة لأحد المحامين التى قال فيها « ان الوزراء لم ينصفوا التاريخ ولم ينصفوا الأمن » .

قال القاضى :

« ليس المجال مجال خطابة ، فنحن فى قضية جنائية » .

وعندما أصر الأستاذ واصـف رزق الله على الاسـتمرار فى الكلام فى السـياسة .. منعـه القاضى .. وان كان القاضى ، قد أفرج فيما بعد عن جميع المتهمين بكفالة ثلاثة جنيهات لكل منهم .

وكان من بين قرارات اللجنة الادارية للحزب الوطنى ، أثر اجتماعها برياسة الأستاذ حافظ رمضان ، رئيس الحزب : الاحتجاج أشد الاحتجاج على الفظائع ، التى ارتكبتها الحكومة فى الحوادث الأخيرة ، وما أفضت اليه من سفك دماء الأبرياء ، وضياع أرواح الشهداء ، وتحميل الانجليز والوزارة القائمة مسئولية هذا الفظائع .

***

وكان الحزب الوطنى قد ناشد من دعوا لمشاهدة مظاهرة الأسطول البريطانى من المصريين الا يلبوا هذه الدعوة المهينة للشعور الوطنى ، وبخاصة فى وسط الحزن القومى العام .

وكان من بين قرارات اللجنة الادارية للحزب الوطنى : ضرورة اخراج القضية المصرية ، من الحيز المصرى الانجليزى .. الى الحيز الدولى ، ودعوة الزعماء المصريين الى ارسال وفد قومى الى جمعية الأمم للاتصال بها ، ونشر الدعاية والدفاع عن القضية المصرية وردها الى وضعها الصحيح . كما طالبت اللجنة الادارية زعماء أن يرجئوا النزاع الدائر بينهم حول شروط الائتلاف وأن يجعلوا الائتلاف فى ذاته سابقا على شروطه ، حتى اذا اجتمعوا تقديراً للكوارث الحاضرة ، تفاهموا فيما يجب أن يضعوه من شروط ويرسموه من خطط ، تتناسب والموقف الحاضر فتكون هذه الخطط والشروط نتيجة تآلفهم واتفاقهم .

***

ومن الصفحات المؤثرة فى تاريخ مصر .. صفحات الشهيد محمد عبد الحكم الجراحى الذى كان قد ترك الدراسة فى فرنسا ، وحضر الى مصر قبل أسبوعين فقط ليلتحق بكلية الآداب . وكلماته الأخيرة ، قبل أن يسلم الروح ، والاحتفال الرهيب بتشجيع جنازته كل ذلك من الصفحات الرائعة التى يجب أن يتوقف عندها أبناء مصر بين فترة وأخرى ليستمدوا منها العظة والعبرة .

وصف اليوزباشى عباس زغلول اللحظات الأخيرة من حياة محمد عبد الحكم الجراحى ، فقال :

« كان الشهيد فى نوبته الغاشية مؤمنا بأنه ملاق ربه عما قليل ، فكان عباس زغلول يسأله عما يريده من طعام أو شراب ، ولكنه لم يستمع منه الى جواب . غير أن الشهيد قبل لحظات من ملاقاة ربه ، طلب منه أن يسلم له على أخيه طالب الهندسة فى جامعة « شفيلد » . ثم امتدت الغشية اليه فكان لا يفيق منها .. الا « ليهتف لتحيا التضحية » .. انى أموت . تحيتى الى أخى « على » . أنا محمد عبد الحكم » .



والجدير بالذكر ٠٠ أن قطارا خاصـا قام من القاهرة ، متجها الى الاسكندرية ، وقد أقل بعض المصريين والأجانب ، الذين قبلوا الدعوة الانجليزية الى مشاهدة مناورات الاسطول البريطانى بمياه الاسكندرية · ومن بينهم : الأمير محمد على ، ومحمد توفيق نسيم باشـا ، وعلى ماهر باشـا ، وأحمد عبد الوهاب باشا ، وعزيز عزت باشا ، وعبد العزيز محمد بك ، وكمال ابراهيم بك · ومن بينهم أيضا صليب سامى بك ، وصادق أمين باشا ، وحسن نشأت باشا ، وسيزوستريس سياروس باشا ، وعبد الملك حمزة بك ، وشريف صبرى بك ، وحسين سرى بك ، ومحمد حيدر بك مدير عموم السجون ٠٠ وكان رجل الأعمال الوحيد الذى دعى فى الدعوة هو أحمد عبود باشا ·

والجدير بالذكر أيضا ٠٠ انه عندما تقرر اقامة صلاة الغائب على أرواح الشهداء حاصر الجنود المسلحون الجامع الأزهر ، والمشهد الحسينى ٠٠ حيث منعوا جماهير المصلين من الدخول ·

على أن ذلك الحصار لم يمنع جماهير المصلين من دخول الجامع الأزهر والمشهد الحسينى ، حيث أقام المصلون صلاة الغائب على أرواح الشهداء الطاهرين · وبعد الصلاة قبض رجال البوليس على أكثر من ١٥٠ شخصا نقلوا فورا الى قسم عابدين ·

***

وقد عمدت الوزارة الى تعطيل الصحف ، ومصادرتها ·

وكم كان مؤلما أن مستر « كين بويد » قد ذهب الى ادارة المعاهد الدينية ، ثم انتقل الى مكتب فضيلة الأستاذ الشيخ المراغى شاكيا الى فضيلته طلبة القسم الثانوى من المعهد الازهرى · ثم نهض مستر « كيمبويت » بعد ساعة قضاها فى مبنى المعاهد الدينية ومكتب شيخ الأزهر ، منذرا وموعدا ·

وقد عقد مجلس الأزهر الأعلى جلسة سريعة ، تقرر فى أثرها ، وقف الدراسة فى الأزهر أسبوعا كاملا ·

والجدير بالذكر كذلك ٠٠ أن أساتذة الجامعة قد أبوا الا أن يشـاركوا طلبتهم فى احتجاجهم على الأحداث الجارية وكان أول المحتجين من أسـاتذة الجامعة ٠٠ هم أساتذة كلية التجارة ، حيث اجتمع أساتذتها ووضعوا بيانا ، احتجوا فيه على الحكومة الانجليزية ، لاعتدائها المتواصل على حقوق مصر ، وتدخلها فى شئونها الداخلية تدخلا ٠٠ لا يتفق مع أبسط قواعد القـانون الدولى · كما احتجوا أيضا على استعمال وسائل العنف فى قمع المظاهرات السلمية ، وعلى ما أهدر من دماء الطلبة · وكان الذين وقعوا أول احتجاج من أساتذة الجامعة عن كلية التجارة بالذات هم : على الزينى ، ابراهيم جرجس ،

أحمد ابراهيم ، محمد عبد الرحمن حافظ ، محمد توفيق سكر ، وهيب مسيحه ، محمد عبد الكريم ، زكى حسن ، نسيم كامل سليم ، محمد وهيبة ، مليكة عريان ، رضوان خالد ، عبد العزيز مهامة ، عبد المنعم ناصر الشافعى ، نجيب يوسف ، سليم أمين حجاج .

***

وبعد كلية التجارة توالت الاحتجاجات من أساتذة بقية الكليات .

هذا .. وفى يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٣٥ أصدر الوفد المصرى بيانا الى الأمة المصرية ، دعا فيه الى تكوين « جبهة وطنية » على الأسس الآتية :

● أن يعلن الجميع استقلال الأمة استقلالا صحيحا تاما .

● أن يطالب الجميع بعودة دستور ١٩٢٣ فورا ومن غير تأجيل ، ويكون ذلك برفع التماس بهذا المعنى الى جلالة مليك البلاد .

● أن يضرب الجميع عن الحكم حتى يعود دستور الأمة اليها .

ومما يذكر ، أن الوفد المصرى وهو يدعو الى تكوين جبهة وطنية ، قد أصر فى بيانه هذا على أن يتحدث عن « المنشقين من صفوف الأمة » .. وأن يعيب على رئيس حزب الأحرار الدستوريين ، أنه قال : « ان تحقيق الاستقلال المنشود يكفى فيه وعد من الانجليز بالمفاوضة بعد انتهاء الأزمة الدولية » .

وكان من بين ما عقب به الوفد المصرى على ما نسب الى محمد محمود باشا ، رئيس حزب الأحرار الدستوريين ، ما جاء فى بيانه : « انها لجريمة خطيرة ضد حقوق البلاد ، ولكنها ليست الأولى من خطيئاتهم .. قد أقسموا جهد ايمانهم ليحطمون الدستور أنقاضا ، فعطلوه الى أجل غير محدود باسم النظام ، وعادوا اليوم يحاولون تعطيله باسم الاستقلال » .

وقد ختم الوفد بيانه هذا بدعوة المصريين الى الحذر من الخديعة ، واتقاء الوقيعة ، والحرص على الوحدة « حرصكم على نهضتكم .. اسلكوا سبيل التضحية والكرامة الى حريتكم ..فما كان يثنيكم عنها تآمر المتآمرين ومكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين » .

***

ويصدر محمد محمود باشا بيانا يناقش فيه موقف الوفد ، من دعوته ــ محمد محمود باشا ــ الى وحدة الصف ، والى أنه ــ أى محمد محمود باشا أيضا ــ اقترح أن تعلن انجلترا قبولها لمشروع المعاهدة الذى انتهى اليه النحاس باشا نفسه ، ليعود الدستور ، وينعقد البرلمان ، فتبرم المعاهدة ، حتى تستقر الحياة

النيابية بابرامها ، وحتى تتبين البلاد حسن نية انجلترا ازاءها فتظل على معاونتها الصادقة فى هذه الأزمة الدولية الحاضرة

***

ويقول محمد محمود باشا · « بدل أن يلبى النحاس باشا هذا النداء الذى نادى به هو فى ٨ سبتمبر الماضى ، والذى يجمع كلمة الأمة ويوحد صفوفها بما يحمل انجلترا على النزول على اراداتها ·· أبى الا أن يصدر بيانا ، ظن أنه يضرب به هذه الوحدة فى صميمها ، بأن يطعن علينا ، ويخترع لذلك الأباطيل ، وبأن يتهمنا ، ويتهم أصدقاء الوحدة ، كى يلفت أنظار الأمة ، عما هو ماض فيه من تأييد هذه الوزارة الصديقة ، التى فرطت فى كل شىء ، وفى الدستور قبل كل شىء ، وظلت مع ذلك متمتعة بصداقته وتأييده الى اللحظة التى أصدر فيها بيانه الأخير فقد خلا هذا البيان من كل اشارة للوزارة ، والى اهدارها دم الشهداء الذين أهدرت دمهم ، والى انجلترا ووقوفها فى سبيل استقلال مصر ·

وكل ما انطوى عليه انما هو سفسطة وجدل ، يؤخر قضية مصر ولا يقدمها ، ويفت فى أعضاد الناهضين من الشباب بهذه الحركة المباركة ، فيردهم الى مثل ما كانوا فيه من يأس ، قبل أن ننادى فى البلاد بالدعوة الى الوحدة لاستكمال استقلال البلاد ، ولدفع التدخل الأجنبى فى شئونها » ·

***

ويقول محمد محمود باشا :

« أقل الناس ذكاء يعلم أن السياسى الذى لا تعظه التجارب ، سياسى قصير النظر ، ضعيف الحيلة · وقد دلت التجارب فى السنوات العشر الماضية على أن الدستور وسيلة غير صالحة لتحقيق الاستقلال ·· ولا أدل على ذلك من أن النحاس باشا نفسه ، أخذ بيده وثيقة الاستقلال مرتضيا اياها لمفاوضاته ، حائزا للثقة الاجماعية من برلمانه سنة ١٩٣٠ فذهب الى لندن ، ثم عاد بعد أن أضاع الاستقلال ، وعرض الدستور للضياع ·· يفاخر بأنه ان كان قد خسر المعاهدة ، فقد كسب صداقة الانجليز · ولم يلبث بعد أن طوح بالدستور ، كما طوح بوثيقة الاستقلال ، وكأنما يريد اليوم أن يعود الدستور ليكرر هذه المأساة مرة أخرى » ·

ويتساءل محمد محمود باشا قائلا

« أفيكون خائنا لوطنه من جاء بوثيقة الاستقلال ، فأعاد بها الدستور ، ومهد لابرام معاهدة بين مصر وانجلترا ؟ ·· أم الخائن لوطنه ، ولو عن غير قصد منه ، هو من ضيع الاستقلال ، وضيع الدستور جميعا » ؟ ··

« وأقول عن غير قصد ، لأننى أربأ بنفسى من أن أتهم مصريا بالخيانة ٠٠ فاذا اختلفت وجهة نظرى مع وجهة نظر غيرى ، فله دينه ولى دينى » .

وينهى محمد محمود بيانه أو « نداءه » للأمة ، كما سماه ، بقوله :

« ان وحدتكم هى سبيل نجاتكم ، والاستقلال هو مطلبكم منذ قمتم قومتكم فى سنة ١٩١٩ ، والفرصة اليوم سانحة لاستكمال ما عزمتم أمركم ، وعقدتم ارادتكم ، ووحدتم جبهتكم ٠٠ فاذا دللت انجلترا على حسن قصدها ازاء وطنكم بأن صرحت بقبولها المعاهدة التى ارتضت وارتضيتم ٠٠ أعاد لكم دستوركم مستقرا حصين السياج ، فاعملوا لهذه الوحدة ، وادعوا الخارجين عليها الى الانضمام اليها ، وهم لا شك نازلون على ارادتكم ، ما رأوا حزمكم وتصميمكم على استكمال استقلالكم ، فان فعلتم ، وانتم لا شك فاعلون خدمتم بلادكم خدمة صادقة ، لا يشوبها هوى ولا غرض ، وتركتم لجيلكم مجدا يفاخر به الأجيال ٠٠ ولتحيا مصر » ٠

***

كما دعا عبد الرحمن بك فهمى ، بعد صمت طويل واعتكاف أطول ٠٠ الى وحدة الصف ٠ وعبد الرحمن فهمى هو أحد الوطنيين الأصلاء الذين كان لهم ماضيهم المشرق فى الكفاح الوطنى السرى والعلنى ٠٠ قبل وأثناء ثورة ١٩١٩ وبعدها ٠ كان قد آثر اعتزال العمل فى السياسة ٠٠ بعد حادثة مصرع « السير لى ستاك » سردار الجيش المصرى ، والحاكم العام للسودان ٠٠ لأن وحدة مصر ـ كما قال ـ قد تفككت ، والأحزاب قد تعددت ، والحركة السياسية قد تحولت عن وجهتها الطبيعية ٠

***

وكان من بين الأسباب التى دعت عبد الرحمن بك فهمى الى العمل ما ارتآه من أن الظروف التى تمر بها البلاد تحتم الدعوة الى وحدة الصفوف ، والتلاقى عند الغاية التى يجب أن يعمل المصريون من أجلها ٠٠

وقد تحدث عبد الرحمن بك فهمى الى محمد محمود باشا بصفته رئيسا لحزب الأحرار الدستوريين ، فسره منه ، كما قال ، روحه الطيبة ، ورغبته فى التوفيق على الأساس الذى اجتمعت عليه كلمة الأمة فى سنة ١٩١٩ حينما أجبرت انجلترا على أن تنزل عند ارادتها وتحسب حسابها ٠

كما تحدث فى أمر توحيد الصفوف الى حافظ رمضان بك رئيس الحزب الوطنى ، وصدقى باشا رئيس حزب الشعب ، وحلمى عيسى باشا رئيس حزب الاتحاد ٠ وقد قبل الثلاثة ٠

وكان مما صرح به عبد الرحمن بك فهمى فى ٢٧ نوفمبر ١٩٣٥ :

« يؤسفنى كل الأسف أن أقول ان ما قبله الجميع ، وما نادى به زعيمنا الخالد سعد زغلول رحمه الله ، وما اجتمعت عليه كلمة الأمة ، لم يوافق عليه دولة النحاس باشا ، فهو يرى بأن الاجماع يجب أن يكون على الدستور .. لا على الاستقلال » .

***

ويمضى عبد الرحمن بك فهمى قائلا :

« ولكنى مازلت أرى بأن حكمة النحاس باشا ووطنيته سوف يحولان بينه وبين الاستمرار فى هذه السياسة التى يفرح لها الغاصب ، ويدمى لها قلب المواطن » .

ولم يقطع عبد الرحمن فهمى الأمل فى وحدة الصف مؤكدا بأنه سوف يستأنف جهوده مهما كانت درجة معارضة البعض لهذه الدعوة .

هذا ..وقد راح الشـباب يضـغط على زعماء الأحزاب ، وفى مقدمتهم الوفد من أجل توحيد الصفوف . وكان من بين البرقيات التى وصلت الى بيت الأمة ، تطالب بتوحيد الصفوف ، برقية وقعها عن الجامعيين : شفيق عبد الله ، سيد محمود عبد الحميد أبو زيد ، محمد عنبر ، أحمد البهى . وعن دار العلوم : محمد على ، والعوضى الوكيل ، وغيرهم وغيرهم ..

وقد عقد الجامعيون مؤتمرا اشترك فيه أكثر من الفى طالب فى مدرج كلية الطب ، كما اشترك فيه عدد كبير من طالبات الجامعة ، وممرضـات مستشفى قصر العينى . كما كان من بين المجتمعين فوج من طلاب الجامعة الازهرية . وقد افتتح المؤتمر « الأديب » نور الدين على طراف الطالب فى كلية الطب . كما تحدث بعد تلاوة أى الذكر الحكيم أحمد محيى الدين « دار العلوم » ، وفريد زعلوك « كلية الحقوق » ، ومصطفى السعدنى « كلية الآداب » ، وجلال الحمامصى « كلية الهندسة » .

***

وألقى فى نهاية المؤتمر الأديب محمود حسن اسماعيل قصيدة من عيون الشعر . واشترك فى المؤتمر أيضا وفى نهايته الأديب محمد بلال « الطالب فى كلية الطب » . وبعد ذلك كله ، أصدر المؤتمر قرارات هامة . وقد قامت ادارة المطبوعات بابلاغ الصحف ، كل الصحف ، ان نشر هذه القرارات سوف يعرض الصحف التى نشرتها للمصادرة .

ولهذا .. لم تستطيع أية صحيفة نشر أى قرار من هذه القرارات ، التى قررها مؤتمر الجامعيين .

هذا ، وقد راح الكتاب المصريون يوظفون كل امكاناتهم وقدراتهم للدعوة الى رأب الصدع ووحدة الصف . وكان من بين ما كتبه الدكتور محمود عزمى ، مقـال عنيف تحت عنوان « يتراشقون وبيزنطة تحترق .. فلينعم الانجليز ولتشقى مصر .. لكن لعل الشباب ينقذ ما يهدمه الشيوخ » وقد جاء فى نهاية مقال الدكتور محمود عزمى :

« انما نحن نعرف أن بيزنطة تحترق وأن أهلها يتجادلون ويتراشقون ، وخير لبيزنطة وأهلها أن يفيقوا ويتعاونوا على اطفاء الحريق الذى سيكونون هم أول وقود له .. اذا تركوه يمتد ويأتى على الأخضر واليابس جميعا . والحق أن اليأس من الشيوخ قد أخذ يتغلب على ما كنا نود أن تظل عامرة به قلوبنا من حسن الظن بالناس وحسن التفاؤل بالمستقبل القريب . ولذلك فاننا نتقدم للشباب داعين له بالتوفيق فى حركته الطاهرة ، وقد وضعت فيه مصر كل آمالها مادام شيوخها قد أنزلوا بها ما أنزلوا من مصائب ولعل لهذه الكنانة حقا .. ربايقيها شرور أعدائها وشرور أبنائها على السواء » .

وتتوالى احتجاجات أساتذة الجامعة .. من كل الكليات ..

وكان من بين هؤلاء الأساتذة المحتجين الدكاترة : أحمد زكى ، على مصطفى مشرفة ، أفلاطون بك ، عبد الرحمن عثمان .. و .. الخ .

هذا .. وقد احتجت الصحف ، كل الصحف ، على تصرف ادارة المطبوعات التى هددت بمصادرة أية صحيفة تنشر « مقررات » مؤتمر الجامعيين ، وقالت بعض هذه الصحف : اننا غير مستعدين لتلقى اشارات تليفونية من ادارة المطبوعات أو وزارة الداخلية ، تهدد الصحف بالمصادرة .. اذا هى نشرت قرارات اتخذها شباب الجامعة ، وعرفها مئات الألوف من أبناء الشعب .

***

وقد كتب الأستاذ عباس العقاد فى « روز اليوسف » مقالا حول الدعوة الى وحدة الصفوف والاختلاف حول من يعود أولا .. الدستور أم الاستقلال . وكان من بين ما قاله :

« ان الائتلاف على أى حال خير من الاختلاف » .

وقد ختم العقاد مقاله هذا مخاطبا المصرى الناظر الى مستقبل بلاده بقوله :

« ان الحقيقة لأظهر من أن تحتاج الى اسهاب ، اختصر الطريق ، وارجع الى نفسك فى أعماق ضميرك واسألها هل أحبط الوفد المصرى رجاء الانجليز

برفض الائتلاف ؟ ٠٠ ان استطعت أن تقول نعم : فأنت من أعداء الائتلاف ٠ أم أنه استحال عليك أن تفهم أن الانجـــليز قد أحزنهم قرار الوفد المصرى ، واستحال عليك أن تنـــكر انه قد أرضاهم وحقق رجائهم ، فأنت أقرب الى الحقيقة ، وأدرى بمصلحة الأمة فى الحالتين ، من أن تستمع الى جدال » ٠

***

والجدير بالذكر أيضا ـ وكان ذلك موضع هجوم من الصـــحف ـ أن الحكومة ، عندما قررت استخدام خراطيم المياه لتفريق المتظاهرين ٠٠ لم تكن أفواه هذه الخراطيم تحمل ماء نظيفا كما هى العادة ، وانما كانت تحمل مياها قذرة من المجارى ٠٠ !!

***

ونعود الى الحديث عن أجمل أيام مصر وأعظم أبناء مصر أيام النضال الذى قادة شباب ١٩٣٥ ٠

الفصل الرابع

صورة لشباب وزعماء ١٩٣٥

● كان من بين صور المبالغة فى استخدام البوليس القسوة فى تفريق المتظاهرين من الشباب المصرى انه استخدم خراطيم المياه ، ولم تكن المياه ، التى تحملها تلك الخراطيم ، مياها نقية كتلك المياه ، التى يشرب منها خلق الله ، ولم تكن مياها عادية ، كتلك المياه التى تروى منا الحدائق أو تغسل بها أرض الشارع ٠٠ وانما كانت مياها قذرة للغاية ، بل كاملة القذارة من أنابيب المجارى ٠٠

وقد علق الأستاذ « يوسف » فى جريدة روزاليوسف اليومية (أول ديسمبر ١٩٣٥) على هذا الاجراء الوحشى بقوله :

« أية فظاعة فى التفكير ؟ وأى تفنن فى ابتكار الأذى ، وأى اهدار للآدمية وأى استهتار بالكرامة البشرية ؟ انى لأفضل ألف مرة ان أقتل رميا بالرصاص على هذا الأسلوب المهين المزرى بانسانيتى المهدر لآدميتى ٠٠ حتى الماء الذى تجده الحيوانات شربا لها حتى الماء الذى يغسل فيه الدواب ، حتى هذا الماء تستكثره الحكومة على رعاياها المتظاهرين ٠٠ هذا حرام ، واثم كبير ٠ وهل نحن حملنا على الوزارة لاستعمالها طريقة القتل السريع ، لتستدير من ناحية أخرى فتبتكر أسلوبا للقتل البطىء ، بالماء الملوث الملىء بالجراثيم والأمراض ألهذا الحد هانت أرواح الشباب وأعمارهم ؟ انه اذلال أرفضه وترفضه كل كرامة انسانية ٠٠ انه اذلال أبشع من القتل الصريح من أفواه البنادق ، ومن سنان السيوف »

***

ووسط هذا الجو المشحون بالمآسى والدماء بدأت لندن ـ ولندن بالذات ـ تتحدث عن الجبهة الوطنية المصرية وعن عدم التوافق بين مزاج الوفديين ، ومزاج

الأحرار الدستوريين . وتعود الصحف البريطانية - فى أوائل ديسمبر ١٩٣٥ - لتؤكد من جديد ، أن الوفد يعتبر المعاهدة مع بريطانيا أمرا ثانويا يلى فى الأهمية دستور ١٩٢٣ بينما ان الأحرار الدستوريين ، والأحزاب الأخرى تصر على وجوب تقديم المعاهدة فى الأهمية قبل كل شيء .

ويقول مراسل صحيفة « الاوبزرفر » البريطانية فى القاهرة :

« ان الوفد باصراره على تقديم الدستور أولا ، يسعى بوثوق للاستيلاء على الحكم ، بشرط ان تكون الانتخابات حرة ، أما الأحرار الدستوريون فانهم لا يمتلكون الفرصة لتولى الحكم ، بمقتضى دستور ١٩٢٣ ولكن اذا عقدت المعاهدة أولا فانهم بصفتهم أبطال هذه الخطة السياسية يتمكنون من تبوء مقاعد الحكم » .

وينقل الساسة المصريون الحزبيون المعركة الداخلية بينهم من صفحات الصحف ، ومن ساحات الاجتماعات السياسية والمؤتمرات الحزبية الى الشوارع ، فتقوم أعداد وفيرة من الشباب فى الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم ٢ ديسمبر - ٦ رمضان - بالتجمع فى شارع سعد زغلول باشا ، ثم يأخذون طريقهم الى شارع الفلكى ، ولما وصلوا - وأنقل هنا عن صحف ذلك العهد - أمام دار محمد محمود باشا أخذوا يهتفون هتافات عدائية ، فأسرع خدم الدار وأغلقوا بابهـا الحديدى الكبير فى وجه المتظاهرين - وهم من صغار الطلبة والعمال - ولكنهم هجموا دفعة واحدة ، على الدار واندفعوا نحو بابها فى عنف فلم يحتمل الضغط وانفتح على مصراعيه واقتحم المتظاهرون الدار وكانت جيوبهم ملأى بالحجارة ، وكان البستانى يتعهد الحديقة بالماء فى هذه الأثناء ، فلما رأى هذه الجموع تقتحم الدار حول « خرطوم المياه » نحوهم فهجموا عليه وانتزعوا الخرطوم ، من يده واعملوا فى الدار تخريبـا واتلافا فحطموا زجاج النوافذ وصعدوا الى الجناح الخاص بالدائرة ، واعتدوا على موظف ثم كسروا النوافذ والمقاعد ، ثم خرجوا منه الى الجناح الآخر الخاص بمكتب دولة الباشا وأنجاله ، واقتحموه كذلك ، وأخذوا فى تكسير الزجاج والمقاعد وأوانى الزهر . وعمد فريق منهم الى اتلاف الحديقة وحطموا شجيرات الأزهار ، وبعض المقاعد المنثورة فيها . وكانوا أثناء انهماكهم فى الاتلاف والتخريب ، يهتفون بهتافات عدائية ضد صاحب الدار وأنصاره ، ويسبونهم بأقبح السباب وأفحش القول ، وكان الخدم فى تلك اللحظة يحاولون منع المتظاهرين من الاعتداء ، أو الاتصال بالمحافظة دون جدوى ، وكان دولة محمد محمود باشا اذ ذاك فى الطابق الثانى من المنزل ولكنه لم يخرج ، ولم يتعرض للمتظاهرين ، وبعد أن أوشك كل شيء على الانتهاء وصلت قوات البوليس ، ووصل الافوكاتو ، العمومى ، والأستاذ رياض رزق الله وكيل نيابة مصر .. وتم القبض على بعض الجناة .

***

وهكذا كان تعامل الأحزاب فيما بينها : اذا اختلف حزب مع آخر سير بعض الملتفين حوله ، والمتعصبين له ، الى دور الأحزاب الأخرى والى منازل زعماء الأحزاب الأخرى لتدميرها ، وللقضاء على هؤلاء الزعماء ان أمكن !

وللحقيقة وللتاريخ ان الرجل محمد محمود بعد حادث الاعتداء المشين على داره لم يضعف ، ولم ينزعج على الاطلاق ، بل انه عقب انتهاء الغارة على بيته ، خرج كعادته ــ الى ناديه ولم يقبل ان يعطى الاعتداء على بيته ، أية أهمية لأنه اعتداء مأجورين ولا أهمية له عنده وعندما عاد من النادى ، الى منزله مرة أخرى سأل هل قبض على أحد فلما قيل له ، لقد قبض على بعض الطلبة قال أين هم فلما أشاروا الى بعضهم اتجه اليهم قائلا :

« الطلبة لا يعملون هذا العمل الصغير ، ده عمل صغير عليهم ، وانا أقدر شعور الطلبة وأعتقد ان الرعاع هم الذين قاموا بهذه الحركة .

والتفت محمد محمود باشا ، الى المحقق قائلا :

« أرجو ان يراعى فى هذا التحقيق الطلبة الأبرياء من هذا العمل » .

وعندما قال أحد المقبوض عليهم ، موجها الكلام الى محمد محمود باشا « احنا يا دولة الباشا لم نكن من المتظاهرين ، واحنا نقدر دولتكم ، ثم هتف بحياة محمد محمود باشا فاسكته دولته قائلا ، لا مش عاوز هتاف .

ووفد على الدار بعد العدوان على بيت محمد محمود باشا ، علام باشا وبهى الدين بركات « بك » ومحمود بك حسن المستشــار الملكى ومصــطفى عبد الرازق والدكتور منصور فهمى . والدكتور محجوب ثابت ، وكان من بين المعتقلين الذين افرج عنهم : أحمد عفيفى سالم ، الرسام ، وفهمى فرج عثمان بائع السجاير .

***

وقد راحت بعض الجماهير ، الى محمد محمود باشــا ، تهنئه على نجاته وتستنكر العدوان على بيته .

وكان من بين ما قاله محمد محمود باشا :

« ان الأرواح التى تذهب فى سبيل مصر ، لا تذهب لكى يأتى محمد محمود أو مصطفى النحاس وانما تذهب فى سبيل الاستقلال والاستقلال وحده » .

وقال ق « ان وزارة نسيم باشا بقيت عاما كاملا فى الحكم ، فلم تعـد الدستور ولم تجهر ببرنامج سياستها ، بل ســلمت مرافق مصر وسلمت مستقبل مصر ، وعولت على خديعة الوفد وخديعة البــلاد من وراء الوفد ،

ولما رأيت الخطر يداهم البـــلاد ، والحرب على الأبواب وكأنمـــا مصر التى تتعرض للهــــول لا شـــأن لهـــا فى الأمرناديت بالخطر وأنذرت قـومى ليتفقـوا وليجدوا لوطنهم مخرجا من الورطة التى ساقتهم وساقتهم اليهـــا سـياسة الخديعـة والاســتسلام : رأيت كل هــــذا فدعوت الى الاتحـاد حتى نكون جبهة واحدة ، تدافع عن حقوق مصر وحرياتها السـيـاسية دعوت هـذه الدعوة ويعـــلم الله انها بريئة وقد نســيت فى سـبيلها كل طعن ، وكل حفيظة وكل حقد ، وقد زرت مصطفى النحاس باشا ، واسماعيل صدقى باشا : عملت حتى يكون الاتحاد تاما ، وحتى لا يخرج أحد من رجال البلد البارزين عن الاتحاد : ان المقصود بحركتنا هذه ان تكون البلد ، بكامل طبقاتها متيقظة عاملة على انقاذ نفسها من هذه الحالة التى آلت اليها وان نوجه جهودنا الى جوهر مطالبنا مباشرة ، ولكنهم أبوا علينا ذلك ، وحاولوا أن يصرفوا النهضة الى غير وجهتها الطبيعية فسخروا رجالا مخدوعين للوصول الى أغراضهم ، ولا أحسب رجلا ولا جنديا خدم الاستعمار أحسن مما خدمه مصطفى النحاس فى خطاباته التى ألقاها فى الأيام الأخيرة ٠

« انهم يريدون أن تدور البلاد فى حلقة مفرغة ، لا تعرف لها نهاية ولا لدورانها أمدا ٠٠ لا أرمى مصر بالخيانة ولو أن النحاس باشا يرمى المصريين كل يوم بالخيانة ٠

« انثى مرة ثانية أرجو النحاس باشا أن يتدبر الأمر ، وأن يعرف ان كل ما حصل اليوم لا يردنى عن جهادى ولا يثنينى عن عزمى فى خدمة البلاد ، مهما نالنا من أذى ، ومهما اقتضانا الجهاد من تضحية ٠٠ ويكفينى جزاء ما رأيت اليوم من غضب عام من جميع طبقات الشعب مما شجعنى على المضى فى خطتى حتى يتحقق لمصر استقلالها تاما، وحتى تتمتع بالمقام السامى اللائق بحضارتها» ٠

***

ويلقى د٠ محمد حسين هيكل كلمة كما يلقى حفنى محمود كلمة ، ويتحدث حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى عن ضرورة الوحدة الوطنية القومية فى أمثال هذه الأزمات ويشرح الأضرار التى تعود على البلد فيما لو لم تأخذ فى تنظيم صفوفها ٠

وتعلق الصحف البريطانية على العدوان على بيت محمد محمود ويشير مراسل « الديلى هيرالد » الخاص فى القاهرة الى الاعتداء على حفيد محمد محمود ويرثيه ، كما تشير الى سخط الأحرار الدستوريين على الحمـلات العنيفة التى يدبرها الوفديون ضدهم ويشير الى تهديد الأحرار الدستوريين باستقدام أعداد وفيرة من الفلاحين للدفاع عن محمد محمود باشا وليردوا عنه عدوان المعتدين ، ما دامت الدولة عاجزة عن الدفاع عنه وحمايته

وتقول التيمس البريطانية ، انه مما ضايق النحاس باشا من محمد محمود باشا انه عارض الاكتتاب الذى دعا اليه الوفد لجمع المال للاستعانة به فى الجهاد ، وأن محمد محمود قد حذر الجمهور من تلبية تلك الدعوة لأن هذا المال سينفق فيما لا نفع من ورائه للوطن و ...

ومرة أخرى أوضح محمد محمود باشا للجماهير التى زارته فى بيته مستنكرة الاعتداء عليه ، هدفه من تفضيل العمل من أجل الاستقلال على العمل من أجل الدستور لأنه لا قيمة أبدا لأى دستور فى بلد محتل ، وقال ان الدستور ليس الا بمثابة « محلل » يراد به الوصول الى الحكم ، وعندما هتف أحدهم بسقوط الوفد نهره محمد محمود باشا قائلا : دعونا من يسقط هذه وقولوا : تحيا مصر دائما وقال محمد محمود أنا مستعد كل الاستعداد لأن أضحى بكل شىء فى سبيل استقلال مصر ، بل اننى مستعد أن أضع يدى فى يد مصطفى النحاس باشا نفسه للعمل وللتضحية .. كل ذلك فى سبيل الاستقلال ولكننى لن أقدم تضحية لشىء آخر دون الاستقلال ... » .

***

ويعقد الطلبة فى دار الاتحاد العام لنقابات العمال ــ ٥ ديسمبر ١٩٣٥ ــ مؤتمرا مشتركا يفتتحه الأديب فريد زعلوك ويتحدث فيه ابراهيم عثمان « كليه الهندسة » ومحمد برهام « دار العلوم » وأحمد طلبة صقر « كلية التجارة » وسهير القلماوى « كلية الآداب » وكذلك زكى علام « الحقوق » وعبد الرافع الشافعى « دار العلوم » وفى هذا الاجتماع الذى عقده الطلبة فى دار الاتحاد العام لنقابات العمال بعد أن حاصر « البوليس » المكان الذى كان سيعقد فيه المؤتمر من قبل مدرج كلية العلوم ــ قرر الطلبة مقاطعة التجار والبضائع الانجليزية واستنكار حملة الصحف البريطانية على القضاء المصرى الذى برأ ١٦٠ متهما من ١٨٠ قبض عليهم البوليس ، والاحتجاج على نقل وزارة المعارف لبعض موظفيها لأسباب سياسية !

وكان أول حكم صدر بالحبس فى قضايا التظاهر التى بدأت فى ١٥ نوفمبر ١٩٣٥ قد أصدره الأستاذ عبد الفتاح السيد وكان قد جلس فى كرسى النيابة فى تلك الجلسة الأستاذ عبد الله حسنى ، وكان الأستاذ مصطفى رياض هو الذى يتولى الدفاع عن المتهمين . وكان المتهمان الثالث والرابع غائبين !

وقد بنى الأستاذ مصطفى رياض دفاعه على أن البوليس فى مثل هذه الحالات من التظاهر العنيف يقبض على أى فرد يتوسمون فيه انه كان من ضمن المظاهرة أو التجمهر ويلصقون به التهم جزافا ، يريدون أن يعودوا للقسم ، ومعهم اسلاب وغنائم لارضاء رؤسائهم فيتصيدون كل عابر سبيل . ويسأل القاضى المتهم الأول عيسى السيد : انت لك كام يوم محبوس ؟ ويرد المتهم :

١٥ يوما ٠٠ ويقول رئيس المحكمة الأستاذ عبد الفتاح السيد : كفاية عليك ، والمرة الجاية مش عاوزين نشوف حد منكم هنا ، وكان الحكم بالحبس على عيسى السيد أول حكم يصدر على متظاهر ، وكان قد حكم على المتهم الثانى بغرامة ٥٠ قرشا وعلى كل من الثالث والرابع بمائة قرش وأمرت المحكمة أن تضـــاف المصاريف على جانب الحكومة ٠

***

وكان الانقسام قد بلغ ذروته بين الطلبة وخاصة طلبة الجامعة ، حيث التف بعضهم حول الوفد يؤيدونه فى رأيه وهو الاهتمام بالدستور ، والتف البعض الآخر حـــول بعض الأحزاب يؤيدونهم فى رأيهم ، وهو الاهتمـــام أولا بالاستقلال ، وبذلت محاولات شاقة ومضنية من أجل توحيد كلمة الطلبة ، وقد أصدر الطلبة بيانا فى ٦ ديسمبر ١٩٣٥ كان له دويه عند الرأى العام وقد جاء فى هذا البيان :

« لقد قام الشباب بحركته الأبية يوم عيد الجهاد ، صـــارخا من اعتداء الاستعمار مطلقا صوته القوى داويا مجلجلا فى أنحاء العالم بعد ان نفد معـــين صبره ، وتمزق آخر ستار عن رياء الانجليز وخداعهم ورأى الشباب أن خير وسيلة لمجابهة هذا العدو المشترك ، هو ان تكون صفوف الأمة كلها قلبا واحدا ، ويدا واحدة كالبنيان المرصوص ، أمام طغيانه وبهتانه ، « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » (قرآن كريم) ٠ ولما ساروا فى طريقهم اعترضهم خلاف برىء فى الرأى أوجد بعض الأمل عند المستعمرين فى فشل حركتهم فراحوا يتغنون بذلك فى صحفهم ٠ واليوم وقد بدا من تصريـــح وزير خارجية انجلترا فى مجلس العموم أمس اصرار الانجليز على اهدار حقوق الوطن رأى الطلبة من واجبهم ان يوحدوا جبهتهم ، ويجمعوا كلمتهم على أن يواصلوا السعى الى :

***

أولا : الاستقلال لمصر والسودان استقلالا تاما وتحقيق جميع المطالب الوطنية ومن ضمنها دستور سنة ١٩٢٣ مؤكدين العزم على تقديم كل تضحيه مهما غلت فى سبيل ذلك ٠

ثانيا : دعوة جميع الأحزاب والهيئات الى ترك المناقشات والخلافات الحزبية وأن يوجهوا جميع قواهم الى عدو الجميع المشترك وهو الانجليز ، وأن يعملوا على تكوين جبهة وطنية قوية ضدهم ، وقد وقع على هذا البيان أعضاء اللجنة التنفيذية وهم :

كلية الطب : نور الدين طراف ، ابراهيم عبود ، أحمد عبد الله ، حسن توفيق ، قاسم فرحات ، محمود لبيب الشاهد ، حافظ حسين ، عبد اللطيف جوهر ، محمد بلال .

كلية التجارة : محمد كامل الدماطي ، أحمد طلبة صقر ، ألفونس زكي ، عبد الله بغدادي أباظة ، أحمد حلمي .

كلية الحقوق : فريد زعلوك ، الظاهر حسن أحمد ، عبد العزيز الشوربجي ، زكي علام ، علي كريم ، فكتور مكرم عبيد .

كلية الآداب : مصطفى السعدني ، سهير القلماوي ، عبد العزيز يونس ، محمود أبو رحاب ، أحمد بشير .

كلية الهندسة : جلال الدين الحمامصي ، ابراهيم عثمان ، مصطفى السعيد ، عبد العزيز سامي ، عبد العزيز كامل .

كلية الزراعة : حسن الأبياري ، مصطفى كامل منصور ، أحمد الدمرداش التوني ، حسين أبو حسين عزت ، عبد الوهاب عبد السلام حسن .

كلية العلوم : محمود لاشين ، سعد الدين الشيشيني ، فؤاد سالم ، حبيب المصري ، عماد الدين الشيشيني .

مدرسة دار العلوم : محمد برهان ، فؤاد أحمد ، محيي الدين عبد الحكم .

هذا وقد كانت المانشتات الرئيسية التي تصدرت صحف يوم السبت ٧ ديسمبر ١٩٣٥ تحمل عناوين كثيرة من بينها : « الطلبة يصدرون قرارا وطنيا رائعا يزول به انقسامهم » . ويكتب الأستاذ حمادة الناحل كلمة يعقب بها على البيان الذي أصدره الطلبة جاء فيها :

« بين ذرف الدموع على أرواح أزهقت ، وجهود بذلت ، ووحدة تفككت وما كان الاختلاف الا في سبيل عقيدة أو فكرة ، ثم ما كان التلاقي الا لأن العقيدة والفكرة تركزتا في الوحدة فاستحالتا قوة يجردها الوطن فاذا بها سلاحه البتار .. شكرا للعناية الالهية ان عاد الى الشباب وحدته ، والى الروح جديته « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » . ومن ثم .. هأنذا حيث عهدني اخواني أعمل مع الجماعة في سبيل مصر ، ومن أجل قضيتها راجيا من المولى جل وعلا أن يهبني من الايمان ما أستطيع به أن أكون المصري الذي يعرف واجبه في كل حين » .

***

ونستأذن في الانتقال الى تعقيب آخر وافانا به د. محمد بلال :

● تعقيب من الدكتور محمد بلال

السيد الأستاذ صبرى أبو المجد ..

● فى متابعتى لحلقات سنوات ما قبل الثورة لا يفوتنى ورغم انشغال الأذهان بالظروف السياسية الداخلية .. ان أعقب على كثير مما جاء ذكره . وذلك بوصفى واحدا ممن شهدوا تلك الحقبة وأسهموا بقسط فى أحداثها . ولا يخفى أن نضال الشباب قبل ١٩٥٢ يمثل حلقة خالدة فى تاريخ مصر وجزءا نابضا فى وجدان من عاشوا تلك الحقبة وأحب أن أبدى الملاحظات التالية :

أولا : كان الشهيد الأول لثورة شباب ١٩٣٥ من العمال وليس من الطلبة هو اسماعيل الخالع وقد دفن فى مدافن زينهم وليس فى مكان مجهول ..

ثانيا ـ الاسم الصحيح لشهيد كلية الزراعة صباح ١٤ نوفمبر هو محمد عبد المجيد مرسى .. وقد دفن فى مدافن العمود بالاسكندرية .. ولم يكن الذين صحبوا جثمانه مع رجال المباحث أقارب مزعومين كما ورد فى الحلقة المذكورة بل كانوا من أسرته ولكنهم تحت تهديد رجال البوليس أخفوا شخصيتهم ..

ثالثا ـ الشهيد الثالث ـ على طه عفيفى من دار العلـوم والذى سرقنا جثمانه .. كيف يتفق مع السرد السليم ان ينزل عميد الكلية ورجال المباحث يفاوضوننا على اظهار الجثمان قبل ان يخطرهم الحانوتى بنبأ اختفائه بعد الظهر ؟ ومن هو الطالب الذى فتش البوليس منزله بحثا عن الجثمان ؟ وماذا وجد فى منزله ؟ وما هو الاتفاق الذى تم بيننا وبين العميد ووكيل الداخلية والحكمدار خاصة بتشييع الجنازة ؟ الوقائع هى أن تواجد البوليس بالكلية وحصاره لها كان قائما منذ ١٤ نوفمبر وأن تصور البوليس أن الجثمان أخرج من الكلية كان سذاجة وان تفتيش منزلى بالمنيرة وبجوار الكلية بعد كسر أبوابه كان بعيدا عن العقل مما ركز حملة البحث عن الجثمان داخل الكلية بعد الظهر دون جدوى .. وأن من شروطنا للافراج عن الجثمان كان دعوة الهيئات وفى مقدمتهم رجال الأحزاب للاشتراك فى تشييع الجثمان وكان ذلك سابقة أتبعناها فى الجنازة التالية لشهيد كلية الآداب وفكرة آمنا بهـا للتقريب بين الزعماء وحشدا لمشـاعرهم حول استشهاد أبنائهم من الطلاب اعدادا لقيام الجبهة الوطنية التى حققناها وكان الثمن هو أرواح شهدائنا الأبرار .. وكان لقيام تلك الجبهة دورها المعروف فى مواجهة الانجليز وعقد معاهدة ١٩٣٦ . وقد شيع الجثمان المخطوف قبيل الغروب فى مسجد السيدة زينب ودفن فى مدافن المجاورين .

رابعا : شهيد كلية الآداب هو محمد عبد الحكم الجراحى وليس كما جاء بالمقال محمود عبد الحكم وهذا الأخير كان طالبا بالصناعات الميكانيكية أصابه

طلق نارى من كونستابل انجليزى فى مظاهرة تالية بعد ١٤ نوفمبر وبعد حادث كوبرى عباس الثانى وأدخل المستشفى ثم أخرج بعد شفائه وقد اشتهر بأن الرصاصة اخترقت صدره بين الأوعية الكبرى للقلب وقدرت له النجاة ليعيش ويناضل من جديد .. وليس شهيد الآداب محمد عبد الحكم الجراحى صاحب السيرة الوطنية المعروفة مما يجهل اسمه بين الشهداء الأبرار وقصة استشهاده وبطولته لحظة احتضاره وخطابه لرئيس وزراء انجلترا .. حقائق لا ينساها التاريخ ..

***

ولا بد أن أشير هنا الى ان فى حلقاتى السابقة للمصور عن ثورة ١٩٣٥ وبناء على طلبكم قد سردت تلك الوقائع تفصيلا وزودت المصور بمجموعة من الصور التاريخية وذكرت ان لدى أفلاما تسجيلية قامت بها كلية الطب واحتفظ بها للآن وأنها رهن اشارة هذا الجيل للعرض والعودة الى ذلك العهد الذى لا ينسى . ولقد كان سردى للوقائع ينبع من أعماقى كواحد ممن احتوتهم تلك الثورة واندمجوا فى أحداثها بكل وجدانهم وايمانهم - سردتها يوما بيوم وواقعة بواقعة ومن مواقعها المختلفة هنا وهناك ..

***

هذا عن أحداث ثورة الشباب ١٩٣٥ فى المقال المذكور غير أن هناك الكثير به من متناقضات .. منها :

أولا : ان الوزارة النسيمية لم تسمح لأى من الأحزاب بالاحتفال بذكرى عيد الجهاد الوطنى فيما عدا الوفد .. فهل يطابق الواقع التاريخى ذلك ؟ ..

ثانيا : جاء فى الحلقة المذكورة ان مقالا نشر فى مجلة روز اليوسف بتاريخ ١١ نوفمبر سنة ١٩٣٥ ان وفدا من جماعة مصر الفتاة قابل دولة مصطفى النحاس باشا وانهم خرجوا من لدن الوفد مغضوبا عليهم لأنهم يدعون الى الغاء الامتيازات الأجنبية ويفكرون فى القومية الوطنية ويحاربون اللهو والانحلال .. ولست أدرك أى حكمة تاريخية يراها « المصور » فى اعادة نشر هذا المقال ضد الزعيم الذى ألغى الامتيازات الأجنبية فى مونتريه والرجل الذى عرف عنه استقامة الخلق وصلابة الجانب الدينى فى حياته ..

ثالثا : ذكرت « الحلقة » أن مصطفى النحاس أعلن فى ١٢ نوفمبر ١٩٣٥ توجيه الدعوة للأمة جميعها بعدم التعاون مع الانجليز لأنهم اعتدوا على الدستور والاستقلال وأن كل وزارة تقبل التعاون مع الانجليز خارجة على البلاد ويقاومها الوفد بما يستطيع . وطالب بعودة دستور الأمة ناجزا وفورا مع استقلال البلاد .. وقال موجها الخطاب للمواطنين : « عرفتم ما يراد بدستوركم وبيبيت

لقضيتكم وهذا يوم الجهاد والتضحية فاجمعوا على الجهاد أمركم واعقدوا على التضحية عزمكم ولن تغلو تضحية من أجل مصر » .

أو ليس عجيبا ومثيرا ان تختم الحلقة حديثها عن مصطفى النحاس بمقال لصحيفة « الأوبزرفر » ان الوفد لم يتكدر من موقف الانجليز من الدستور في تصريح هور لأنه كان عالما بها منذ ستة أشهر وان الوفد يريد بقـاء الوزارة النسيمية أكثر مما يريد الانجليز .

دكتور محمد بـلال

وتعقيب على التعقيب

سمحت لنفسي ولأول مرة فيما يتعلق بتعليقات د. محمد بلال ، أن أحذف بعض الكلمات مثل كلمات الاهواء ، والظنون ، والوجه غير المنسق وغير الدقيق ، والأمور التي لا يستسيغها الذوق الوطني ، والتناقض المقيت ، والخروج عن القيم التاريخية والخلقية .. كما انني سمحت لنفسي بحذف بعض العبارات التي تسيء الى بعض زملاء الدكتور بلال الذين شـهدوا مثله الفترة وشـاركوا مثله أيضا في صنع بعض أحداثها ، وهدفي من كل ذلك ألا أخرج عن الخط السليم الذي اختططناه لأنفسنا في تلك السلسلة الوطنية التي حظيت ولله الحمد ، بتقدير المصريين جميعا على اختلاف نزعاتهم واتجاهاتهم الحزبية وغير الحزبية والذي لا يريد د. بلال أن يفهمه اننا ، ونحن نحاول الكتابة عن تاريخ تلك الفترة لانأخذ جانبا معينا ولا ننحاز الى حزب دون آخر فنحن مع الحق ، ومع التاريخ العام ولسنا أبدا مع هذا الزعيم أو ذاك والذي أخذه على الدكتور بلال اننا عندما نمجد الوفد نكون منصفين وعادلين ، وعندما نسجل بعض أخطاء الوفد نصبح في رأيه مجافين للحقيقة خارجين على المعاني القومية والقيم التاريخية والخلقية . والذي لا يريد د. بلال أن يفهمه اننا ننقل وجهات نظر مختلفة عبرت عنها وقتئذ صحف مختلفة الآراء والاتجاهات ، وليس من الضروري اننا عندما ننقل رأيا معينا نكون مؤمنين به أو مقتنعين به ، وفي أحيان كثيرة نحن نحرص على أن نفسر الرأي ونقيضه في وقت واحد ، كما اننا لا نكتفي بأن ننقل وجهات نظر المصريين تجاه حادث معين وانما ننقل رأي الانجليز أيضا باعتبارهم أصحاب السلطة الفعلية في كل ما يتعلق بأمور مصر . صغيرها وكبيرها ، ونحن عندما نكتب عن تلك الأحداث التي حدثت في مصر نكتب عنها على أنها جزء من التاريخ وهي ليست ملكا لمن شاركوا في تلك الأحداث فقط وانما هي ملك للشعب كله وللحق وللتاريخ أيضا ..

واذا كنت قد أبحث لنفسي أن أحذف من كلمة الدكتور بلال بعض الكلمات والعبارات فقد سبق أن أبحث لنفسي ألا أنشر تعليقات كثيرة عما كتبه د. بلال

لأنها كانت تحتوى على عبارات جارحة ، ولأنها كانت تستهدف تصفية حسابات قديمة بين بعض المشاركين فى القمصان الزرقاء وبين البعض الآخر منهم ، وليس لى من تعليق على ما ذكره د٠ بلال ، الا اننى وأنا أعود الى صحف تلك الفترة بين وقت وآخر لا أنقل الا ما جاء فى تلك الصحف التى كانت آراؤها فى الأحداث وقتئذ هى تلك الآراء التى نقلتها ، أما اننى نقلت مقالا للأستاذ فتحى رضوان عن رأى مصر الفتاة وقتئذ فى مصطفى النحاس فلم يكن الهدف منه ايذاء سمعة مصطفى النحاس ، الذى قرأ المقال وقتئذ ولم يحتج بشدة وبعنف على المقال ولم يوجه تهمة الحقد والكراهية لكاتب المقال وناشره كما فعل د٠ بلال واذا كان الهدف اعطاء صورة صحيحة وصادقة لاتجاهات الرأى العام فى مصر وقتئذ ، أما قولنا بأن الوزارة النسيمية قد سمحت للوفد بأن يحتفل بذكرى ١٣ نوفمبر دون بقية الأحزاب الأخرى ، وتساؤل د٠ بلال بقوله : هل يطابق هذا الكلام الواقع التاريخى ، فنحن نقول للدكتور بلال ان أى رأى فى هذه السلسلة ليس منسوبا الى أحد ، انما هو رأينا وهو صادق مائة بالمائة ، والحقيقة ان الواقع التاريخى يقول ما قلناه ٠٠ لقد صادرت وزارة نسيم باشا حق الأحزاب الأخرى غير الوفد فى الاحتفال بذكرى ١٣ نوفمبر ، وكان عباس محمود العقاد قد أعد قصيدة ليلقيها فى احتفال الجزيرة ، فلما صـودر الاحتفال اكتفى بنشر تلك القصيدة فى روزاليوسف ، وكان أحمد حسين وفتحى رضوان قد أعدا بدوريهما كلمتين لالقائهما فى الاحتفال فلما حيل بين مصر الفتاة وبين الاحتفال بالذكرى اكتفيا بنشر الكلمتين فى الصحف ، واذا كان د٠ بلال لا يصدقنا فما عليه الا أن يخطف رجله ويذهب الى دار الكتب ليطلع على « المخطوطات » من صحف ذلك العهد ٠ وأخيرا وليس آخرا ، فليتأكد د٠ بلال وغيره اننا فى كل ما نكتبه ، ومنذ أكثر من ثلث قرن نروى بالقسطاس سيرة الأجيال ٠

صبرى أبو المجد

ونعود الى ثورة جديدة قام بها شباب ١٩٣٥ ٠

الفصل الخامس

ثورة جديدة من ثورات الشباب عام ١٩٣٥

● سبق أن رويت بعضا من تصرفات أحزاب مصر حيال بعضها البعض فى منتصف الثلاثينات وفى الصفحات التالية نقرأ معا كيف كانت بريطانيا المحتلة تسوس هذه الأحزاب » ٠

والغريب ان يختلف الزعماء حول من تكون له الأولوية ، الدستور ، أو الاستقلال فى الوقت ، الذى لا يكون فيه الدستور الا فى أيدى الانجليز ، ولا يكون فيه الاستقلال الا فى أيدى الانجليز أى ان خلافات الزعماء ، واختلافاتهم لم تكن على أمور هم قادرون على تحقيقها أو انها فى ايديهم وانما كانت فى أيدى الانجليز ٠

وقد ذكر أحدهم زعماءنا وشبابنا فى تلك الأيام ، بحكاية جحا وبنت السلطان ، والحكاية ــ كما رواها ذلك « الواحد » ان جحا طلب من أصدقائه ، وأهله ان يستعدوا ليوم زفافه الذى سيتم بعونه تعالى بعد أيام ، وراح الأهل والأصدقاء ، يتسابقون فى الجود بالموجود وغير الموجود وقال الأهل ، ولكن يا جحا من تكون تلك سعيدة الحظ ، التى هيأتها الاقدار ، لتكون شريكتك فى الحياة ، فقال جحا ، الا تعرفونها ؟ قالوا : لو عرفناها لما سألناك عنها ، قال ، اعرفوا اذن انها بنت السلطان فقال الجميع فى صوت واحد بنت السلطان ؟ قاتلك الله ألا تترك المزاح يا جحا ، ولو كان من ورائه الخسائر والدمار ، وقال جحا : وأى مزاح فى هذا : أقسم لكم ان المسألة أوشكت على الانتهاء ، لقد رضيت بها زوجة ولم تبق الا موافقتها وموافقة أبيها السلطان ٠٠

وزعموا ان ساستنا المصريين يتنازعون حتى اليوم على ما يجب ، ان توجه اليه جهود الشباب لا جهود الساسة ، الكبار ، وقالت الأمة المجاهدة لساستها الكبار : ما الذى ترونه الآن يا ساسة ، فى ضوء هذه الدماء التى سالت بالقتلى ،

والجرحى من الشباب ؟ فقال الساسة الكبار انتهى كل شيء ولم يبق الا الاتفاق ، على ايهما يجب ان يكون هدفا للجهاد استقلال البلاد المفقود أم دستورها ، الموعود ، وظل الساسة الكبار ، وهم ، على هذه الحالة من الهزل والمزاح ، ينتظرون من أنفسهم عملا جديا انتظار ، جحا لبنت السلطان ٠

★★★

ولأول مرة ، يمنع البوليس ، أصحاب القمصان الخضراء ، من ارتداء ، قمصانهم ويحتج مجلس جهاز مصر الفتاة ، على هذا المنع ٠

وتنشر الصحف نص خطاب أرسله اسماعيل صدقي باشا الى مصطفى النحاس باشا ومحمد محمود باشا بصفته الشخصية ، وليس بصفته رئيسا لحزب الشعب !

ومن بين فقرات خطاب اسماعيل صدقي باشا تلك الفقرات :

★★★

« لعل دولتيكما لا تريان فائدة تذكر من تبادل شديد الكلام ، بشأن التقديم ، والتأخير في أمر الدستور ، ٠٠ ان المسألة لم تعد مسألة تقديم ولا تأخير ، بل أصبحت بيننا وبين بريطانيا ، مسألة دستور ، ومسألة استقلال لهذا الدستور ٠ الذى تبدى فيه الحكومة البريطانية ، رسميا بعض الآراء ، لا يمكن ارجاء التكلم فيه الى حين ، والاستقلال الذى لا يرى الانجليز انه قد جاء وقت الكلام في استكماله ، لا يصح الاسترسال في البحث في تعجيل الكلام بشأنه واثارة الخلف فيما بين نواحي الرأى العام ، على هذين التقديم ، والتأخير ٠

أهيب بدولتيكما ان تجددا معي دعوتكما الى اتحاد الأمة في هذا الوقت الخطير من حياتها العامة ، وان تتعاهدا ، معي على ان ينسى كل منا ما بينه ، وبين أخيه مما يرجع معظمه الى اعتبارات أصبحت لا تتفق والمصلحة العامة ، وأحسب ان وطنية كل منا ستنير أمامه سبيل الحق ، والمصلحة فلا يفكر منا أحد ، في غير مصر ، العظيمة الخالدة ، التى تتألم الآن من انصراف أبنائها عن خدمتها ولا يزهو ، أحدنا بأكثريته ، أو بكفايته ومقدرته ، واننا جميعا نكمل بعضنا بعضا ، ويشد بعضنا أزر بعض ، اذا نحن اجتمعنا في صعيد البحث والمشاورة ، بل وأسمح لنفسي ، أن أدعوكما للنظر في اجتماع ثلاثتنا لهـذا الغرض كما أرى ان لصاحب الدولة مصطفى النحاس باشا وهو أقدمنا عهدا في المركز الرسمي ، الذى يشغله في البلاد ، ان يدعو صاحب الدولة محمد محمود باشا ، ويدعوني لنخلو ، بعضنا ببعض موطنين النفس على اسـقاط

حساب الماضى من بيننا ، ماضين بعد هذا الى التفكير فى الخطة ، التى ندعو أنصارنا وباقى أصحاب الرأى فى البلاد ، الى نهجها ٠٠ » ٠

وتدعو الصحف البريطانية ، الأحرار الدستوريين وبقية الأحزاب المصرية الاخرى الى عدم التنافر ، والتشاجر ، لأن ذلك يبعد مصر عن المفاوضة ـ كما تقول مجلة الايكونومست البريطانية ، كما أن من سوء حظ مصر ، ثانيا ، أن يبقى الزعماء ، فى اختلاف وشـــجار ، وتمضى الايكونومست البريطانية فى تعليقها على الأحداث الجارية فى مصر قائلة : ونحن نأمل أن ينجح الوفد ، ونسيم باشا ، ومحمد محمود باشا ، فى تكوين جبهة متحدة ، للوصول ، الى مفاوضة حرة ، يتفق فيها الطرفان ، على تسوية مرضية سارة » ٠

***

ويدعو الأستاذ العقاد ، نسيم باشا ، رئيس الوزارة المصرية الى أن يستقيل احتجاجا ، على تصريح الحكومة البريطانية عسى أن يكون فى هذا الاحتجاج ، بعض التكفير ويدعو الساسة المصريين الى رفض الحكم ، بعد استقالة الوزارة النسيمية وعدم قبوله ، الا على أساس احترام الحقوق ، المصرية ٠ وتسليم الدفاع عن البلاد فى هذه الأزمة العالمية ، الى أيدى المصريين وواجب الساسة ـ كما قال العقاد أيضا ـ أن يتفقوا على انقاذ الدفاع عن البلاد من أيدى دولة أجنبية ، واقامته ، على أساس الاستقلال ، وأن يتفقوا ، فى الوقت نفسه على تحريم ، المساس بدستور ٢٣ ، لأن التسليم فيه برأى الانجليز خيانة للاستقلال٠ ويدعو ، العقاد الزعماء الى الاتفاق ، وعدم فتح الجروح ، الماضية ، اتفقوا ، أولا وأفتحوا ، كل باب يؤدى الى الوفاق ، فذلك ، أجدى ، وأوجب فى فتح هاتيك ، الأبواب التى لا ينفذ المصريون منها الى مطلب واحد فى استقلال أو دستور أو ما دون الاستقلال والدستور وانما ينفذ منها الانجليز الى كل ما يريدون كما نفذوا من قبل كل ما أرادوه ، اتفقوا ، اتفقوا وأنت أيتها الأمة قديرة عليه ٠٠ الاتفاق فذلك هو الحق ، وذلك هو الواجب وانت أيتها الأمة قديرة عليه ٠٠

ويسافر الأستاذان أحمد حسين وفتحى رضوان على ظهر الباخرة النيل الى أوروبا لنشر الدعاية للقضية المصرية ٠

وتتصاعد حركة الشباب المصرية ، لتضغط على الزعماء والقادة المصريين لكى يتفقوا ويزداد احتكاك البوليس بالشباب ، ويصاب ـ عند منيل الروضة ـ الضابط الانجليزى لوكاس بك مساعد حكمدار العاصمة ، فى رأسه ، وينقل الى مستشفى الانجلو أمريكان بالجزيرة ، فى حالة خطرة ٠

ويذهب رسل باشا حكمدار العاصمة ومعه قوة بوليس كبيرة ، الى منيل الروضة حيث أصيب لوكاس بك ، وتحاصر القوة جميع المنازل التى وقعت

المظاهرات أمامها ، وتفتش منزل السيد أحمد أبو الفضل الجيزاوى عضو الهيئة الوفدية ، ويعتقل البوليس شقيق زوجه وهو من طلبة المدرسة الخديوية .

وتشتعل المظاهرات ليلا ، ويعتقل البوليس فى قسم واحد ، هو قسم الموسكى ، ٨٤ شابا ، ويشرف النائب العام ، على التحقيق حتى ساعة متأخرة من الليل .

***

وكانت مظاهرات الشباب ، قد بدأت تتصاعد - وبشكل عنيف - مع صبيحة يوم السبت ٧ ديسمبر عندما رأى الجامعيون تخليد ذكرى شهدائهم ، الذين سقطوا ، فى ساحة النضال ، فأعدوا نصبا تذكاريا تمثل أضلاعه السبعة كليات الجامعة ، المختلفة وتقوم أسماء الشهداء عليه معبرة عن جهود الشباب ، وكان الجامعيون ، وقد اعتزموا ازاحة الستار عن هذا النصب فى حرم ، الجامعة يوم ، السبت ٧ ديسمبر - قد خافوا ما عسى أن يكون البوليس ، قد بيت لهم ، من أسباب تحول بينهم وبين اقامة النصب التذكارى ، فعمدوا من جانبهم الى حمله ، على سيارة كبيرة ، من سيارات النقل ، ومضوا به تحت جنح الليل حتى بلغوا أبواب الجامعة ، ففتحوها دون عناء ، ثم أقروا النصب التذكارى تحت شجرة كبيرة وراحوا يسدلون عليه أوراق الشجر ، وأغصانه حتى لا يلتفت اليهم فى الصباح ، وشاء جماعة منهم ان يكونوا الى جانبه حفظة عليه ،وحراسا ، ولكنهم رأوا فى آخر الأمر أن يتركوه فى حراسة الليل ، بل فى حراسة الحرم الجامعى ، بل فى حراسة الله ، فلما جاء صباح السبت أخذت قوات كبيرة من بوليس الجيزة يلبس أفرادها الملابس (الجاكية) وكانوا مشاه ، وفرسانا يتسلحون فى أيديهم بالعصى ، الغليظة ، وعلى رءوسهم ، الخوذات ، أخذت قوة هائلة فى محاصرة الجامعة المصرية والشوارع المؤدية اليها احتياطا لما عسى ، أن يكون ، وراح الجامعيون يقدمون الى حرمهم المقدس من كل صوب وينتهون اليه من مختلف الكليات استعدادا ، لرفع الستار ، عن النصب التذكارى الذى أقيم عند مدخل الجامعة ، تخليدا لشهدائها الأبرار ، وتجمعت جموع الشباب فى فناء الجامعة حتى أربى عددهم على الألفين وفيهم طالبات الجامعة جميعهن وأخذوا يهتفون بالهتافات الوطنية والعدائية ضد الانجليز ، وتصريحى السير صموئيل هور واقبل الجامعيون على الموضع الذى أقروا فيه النصب التذكارى وراحوا يحملونه بين أحر ، الهتافات وأروع النداءات وأخذوا يتجهون به الى الحديقة ، التى تتوسط كليات الجامعة وبين زمرة من الزهر ، والشجر أقروا النصب الخالد ، ثم انصرفوا الى الصمت ، دقيقتين حدادا وراحوا ، بعدئذ ، يهتفون ، ويخطبون وينشدون ! واستجاب أحمد لطفى السيد ، مدير الجامعة ، الى طلب الجامعيين فى ان يشترك ، واياهم فى ازاحة الستار ، عن النصب التذكارى ونزل من مكتبه وقال وهو

يشترك فى عملية ازاحة الستار : اننى أحيى فيكم هذا الاتحاد الجامعى وتلك القوة الجامعية التى ظهرتم بها ولى الشرف العظيم ان ازيح معكم الستار ، عن هذا النصب ٠

★★★

واتجه الجامعيون ، الى كلية الزراعة ليزيحوا الستار عن النصب التذكارى ، الخاص بشهيدها محمد عبد المجيد مرسى ، وكذلك شرعوا فى الاتجاه الى مدرسة دار العلوم ، لازاحة الستار عن لوحة رخامية ، كتب عليها اسم ، على طه عفيفى ، شهيد المدرسة فاذا بهم يجدون مصلحة الكبارى ، بتعليمات من البوليس ، قد فتحت كوبرى عباس حتى لا يستطيع الجامعيون ومن معهم من الطلاب اجتيازه الى القاهرة ، ولكن الطلاب راحوا يحاولون اغلاق الكوبرى معتمدين على جهود بعض طلاب كلية الهندسة ، ومدرسة الصناعات ، وقد تمكنوا من اتمام مهمتهم بنجاح ولكن البوليس ، كان لهم بالمرصاد ، عندما اجتازوا كوبرى عباس ووجهوا بقوات البوليس التى أعدتها القاهرة لاستقبالهم : وكانت معركة كبيرة وخطيرة ، الطلاب بأسلحتهم ، وهى الحجارة ، والبوليس بالبنادق والعصى ٠

وفيما يلى تعقيب حول أول مدرسة تظاهرت بعث به الينا الأستاذ بولس نخلة جرجس ٠

مدرسة التجارة المتوسطة بالمنصورة ٠٠ أول من تظاهر

● قلتم مدرسة التجارة المتوسطة بالمنصورة كانت أول من تظاهر احتجاجا على تصريح هور وزير خارجيـــة بريطانيا ويشرفنى أن أذكر اننى أول من نادى بسقوط هور صبيحة يوم ٩ أو ١٠ نوفمبر ١٩٣٥ لا أذكر ثم انتقلنا بالمظاهرة الى شارع المدارس وبه مدارس الرشاد والصنايع والثانوية ٠

وأذكر أيضا ان البوليس أطلق علينا النار أمام المدرسة الثانوية وأصيب الكثيرون ونقلوا للمستشفى الأميرى ٠

وأذكر أيضا انه فى الليلة الأولى استشهد أحد الطلبة فما كان من البوليس الا ان أخذ جثته ونقلها لبلدته المجاورة للمنصورة ودفنه سرا ٠

وهنا اجتمعنا « لجنة الطلبة » وقررنا عمل حراســة مشددة على باقى المصابين بالمستشفى وفى اليوم التالى استشهد الطالب الثانى وكان فى السنة الأولى الثانوية ومما يذكر ان والده القاضى بالمحكمة الأهلية كان قد ألحقه بمدرسة المنصورة الثانوية من شهر تقريبا تفاديا لوجوده بالقاهرة لكثرة المظاهرات ولكن شاء قدره أن يستشهد فى المنصورة ــ وقد حاصرنا المشرحة فور نقله اليها

وشددنا الحراسة عليها واجتمعنا فى نفس الليلة وقررنا تنظيم جنازة وتفويت الفرصة على البوليس لتكرار عملية التهريب — وقد كانت فعلا جنازة هائلة اشترك فيها الى جانب جميع طلبة المدارس بعض الهيئات من التجار والمدرسين والمحامين والأهالى وكانت الهتافات تشق عنان الســماء مهما اضطر البوليس لمحاصرتها دون تفريق خوفا من العواقب الى أن اخترقنا المدينة ووضعنا الجثمان فى سيارة اسعاف حيث نقلتها للقاهرة لدفنها فى مقرها الأخير ·

أما عن الشق الخاص بالقبض علينا فأذكر اننا « لجنة الطلبة » فى اجتماع لترتيب مظاهرات اليوم التالى وأذكر ان الاجتماع كان بمنزل الزميل عثمان الجواهرجى عضو اللجنة وعند خروجنا حاصرنا البوليس ونقلنا فى لورى لقسم البوليس الذى احتجزنا لليوم التالى حيث حضر محمد باشا الشمناوى عضو الوفد ومعه المرحوم الفريد قسيس المحامى والدكتور حلمى الجيار وبعدها أفرج عنا بالضمان والتعهدات ـ الا اننا بعد خروجنا وجدنا أوامر الفصل فى انتظارنا لمدة ١٠ أيام وانذارا بالفصل النهائى عند العودة للتظاهر ·

هذا ما أردت ايضاحه

بولس نخله جرجس

بالمعــاش

ص·ب ٣٩ أسيوط

الفصل السادس

وزير المعارف أصدر قرار اغلاق الجامعة من حانة سان جيمس

سبق أن وقفنا عند صبيحة اليوم السابع من ديسمبر ١٩٣٥ عندما صمم شباب المدارس والجامعة على أن يحتفلوا رغم أنف السلطات الحاكمة بازاحة الستار عن النصب التذكارى لشهداء لجامعة ، بل شهداء مصر ، كلها ٠

وقد قلنا ان الشباب المصرى قد احتفل بازاحة الستار عن النصب التذكارى احتفالا رهيبا ، شارك فيه ، ولا نقول اشرف عليه مدير الجامعة وقتئذ الاستاذ أحمد لطفى السيد ، وكان اجماع الشباب على التواجد فى الحرم الجامعى فى صبيحة ذلك اليوم مفاجأة مذهلة لسلطات الاحتلال البريطانى ، ولوزارة توفيق نسيم باشا بالذات التى بادرت باتخاذ أعنف الاجراءات البوليسية ، لتحول بين الشباب المصرى فى الجيزة وبين الوصول الى مدرسة دار العلوم بالقاهرة لمشاركة طلبتها فى الاحتفال بازاحة الستار ، عن اللوحة التذكارية التى تحمل اسم شهيد دار العلوم بل شهيد مصر كلها على طه عفيفى ٠

وكان من بين الاجراءات البوليسية التى اتخذتها وزارة توفيق نسيم باشا بالاتفاق ــ بالطبع ــ مع دار المعتمد البريطانى فتح كوبرى عباس الموصل بين الجيزة ، وبين القاهرة ٠

وقد تمكن الطلاب من اغلاق الكوبرى بالاستعانة بجهود طلبة كلية الهندسة ، وطلبة مدرسة الصناعات ٠

ولم يكد الطلبة ينجحون فى عبور الكوبرى ويصلون الى منيل الروضة حتى وجدوا رجال البوليس فى انتظارهم ومعهم بنادقهم ، وعصيهم الغليظة ، ولم يكن مع الطلبة من أسلحة الا الطوب ٠

ولعل أهم المفارقات العجيبة أن لجنة الطلبة التنفيذية العليا فى احد اجتماعاتها قد قررت فتح اعتماد بمبلغ ثلاثة جنيهات لشراء طوب يتسلح به الطلبة

فى مظاهراتهم اتقاء لعصى رجال البوليس ، وبنادقهم وكان بعض زعماء الطلبة قد احتفظوا بصورة من هذا القرار الخاص بفتح اعتماد لشراء الطوب .

وقد طلبنا من بعض هؤلاء الزعماء موافاتنا بصورة من هذا القرار ، ولم يتيسر لنا حتى كتابة هذه السطور الحصول على صورة من القرار المكتوب ، ونحن نرجو ممن توجد لديه صورة من القرار موافاتنا به لنقله ورده الى أصحابه لأنه فعلا أول قرار من نوعه فى تاريخ لجان الطلبة فى العالم .

***

وقد أطلق البوليس النار على الطلبة الذين لم يستطيعوا جميعا ، الوصول ، الى مدرسة دار العلوم ، حيث كان الطلبة قد راحوا منذ الصباح الباكر يخطبون شعرا ، ونثرا ، منتهين الى اتخاذ القرارات التالية : تأييد بيان اللجنة العليا ، والاستمرار فى الحركة الوطنية ، حتى تتحقق مطالب البلاد ووضع اللوحة التذكارية لشهيد دار العلوم .

وقد احتفل الطلبة بازاحة الستار عن اللوحة التذكارية المقامة على باب المكتبة فى صمت ، ثم خرجوا فى مظاهرة عنيفة اشترك فيها بعض الأهالى .

وكان من بين الطلبة الذين اعتقلهم البوليس يحيى ابراهيم شاهين ، الذى أتهم بالاعتداء بالسب على الملازم أول اسماعيل ابراهيم ضابط مباحث قسم السيدة زينب عندما رآه يحاول ضرب زملائه وكان قد هرب الى مدرسة دار العلوم، غير أن ناظر المدرسة قد أرشد البوليس عن اسمه ، لاعتقاله .

وكانت مظاهرات أخرى قد نشبت فى كثير من أحياء العاصمة : فى الروضة ، فى العباسية ، فى شبرا ، فى الموسكى .. هذا فى الوقت ، الذى كان يقف فيه بعض الشباب .. أمام المحاكمات المستعجلة متهمين بالتظاهر والتجمهر الخاصتين بدار محمد محمود باشا وكان يتولى الدفاع عن هؤلاء الطلبة الاساتذة سليمان عبد الحليم اليمانى ورافع محمد رافع ، ومصطفى رياض ، وزكى سرور ، وواصف ززق الله ، وعبد الرازق سلامة ، ومصطفى العسال ، ، وقد أصدر القاضى — عبد الفتاح حسين — الحكم فى قضية التظاهر بحبس كل من محسن محمد أبو طالب وجاد السيد موسى مدة شهر مع الشغل ، وتغريم محمد ابراهيم عبد الله ٦٠٠ قرش وحكم نفس القاضى فى قضية التجمهر بحبس كل من زكى الدين أبو طه ، وصبحى أحمد ، وعبد الستار الطنطاوى لمدة شهرين مع الشغل وأمر القاضى بوقف التنفيذ بالنسبة للأول .

***

وكانت النيابة ، قد قسمت قضية الاعتداء ، على منزل محمد محمود باشا الى قضيتين :

الأول خاصة بسبب محمد محمود .

والثانية : اقتحام الدار واتلاف أشجار حديقتها ، وكسر أصص الأزهار وتحطيم زجاج النوافذ واتلاف ثلاث سيارات و .. و ..

وقد حدث تطور خطير فى القضية المصرية نتيجة لوحدة كلمة الشباب ، ومساعى اللجنة التنفيذية العليا للطلبة حيث صرح محمد محمود باشا لوفد من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا بانه نزولا على ارادة الطلبة يقبل الائتلاف على أساس الدستور ثم المعاهدة وكان هذا التصريح نقلة جديدة فى سياسة حزب الأحرار الدستوريين ، الذى كان يرى المعاهدة أولا ثم الدستور .

***

وكان مما قاله محمد محمود باشا للطلبة ــ وهو قول خطير للغاية ــ :

« ان المعاهدة هى السياج للدستور ، وان الاتحاد يجب أن يكون على أساس المعاهدة حتى اذا تمت لم يبق لانجلترا ان تتدخل بأية صورة من الصور فى أمر الدستور ، ومشروع معاهدة ١٩٣٠ جاهز للتوقيع ، وأنا متفق مع دولة النحاس باشا على تأجيل مسألة السودان منذ سنة ١٩٣١ والانجليز متى رأوا فى الظروف الحاضرة ، ان وحدة مصر تحققت لتوقيع المعاهدة فانهم يرون من مصلحتهم ومصلحة مصر ومن العدل الذى تدافع عنه انجلترا ــ هكذا فى أصل التصريح !!! ــ أمام عصبة الأمم ، أن توقع انجلترا هذه المعاهدة وأنا مستعد أن أذهب غدا مع دولة النحاس باشا الى السير مايلز لامبسون كممثل لانجلترا ، فى مصر ، لنطلب ذلك ومتى فعلت انجلترا وهى لا شك تقبل متى علمت بأن توقيع المعاهدة معناه الاستعداد الصادق للوقوف الى جانبها فى الأزمة العالمية ، الحاضرة فان دستور سنة ١٩٢٣ ، يعود ، واننى لا أرى بأسا اذا أراد النحاس باشا من أن يعود برلمان سنة ١٩٣٠ وان لم يكن فيه حر دستورى واحد اليبرم هذه المعاهدة وان يوقعها النحاس باشا فالمسألة عندى أكبر من أن تتعلق بشخصى أو بحزبى ، بل هى مسألة الوطن كله فأما أن يجيء الدستور من غير معاهدة فيسأل نائب عن الاجراءات الحزبية التى تتخذ فى هذه الازمة وترى الوزارة البرلمانية القائمة أنه على حق فى سؤاله وقد يكون سببا فى الغاء الحياة النيابية وفى الغاء الدستور فذلك كلام أظنكم توافقوننى على أنه جدير بالتضحية فى سبيله » ويضيف محمد محمود باشا ، وهو يتحدث الى أعضاء لجنة الطلبة التنفيذية العليا قائلا : « ان الفرصة الحاضرة فرصة ذهبية وقد أتاحها لنا السنيور موسولينى لنربط بمعاهدة بيننا وبين انجلترا على حد تعبير الدكتور دلتون لو اننا طلبنا المعاهدة اليوم ، على ما انتهت اليه مفاوضات سنة ١٩٣٠ التى قام بها النحاس باشا لوجدنا أنصارا كثيرين جدا فى انجلترا فليكن اتحادنا على الاستقلال اذن حتى لا نضيع فرصة لا يعرف أحد متى يعود مثلها أرجوكم أن تبلغوا النحاس باشا ، صادق

تحياتى وتؤكدوا له اننى لا أرمى من وراء دعوتى الى أية فكرة ذاتية وأنا مستعد لمقابلته ، والتحدث اليه لأن التفاهم والاتفاق يكونان أدنى للتحقيق بتبادل الرأى مباشرة أكثر مما يتحققان عن طريق المفاوضة بالوساطة ومصلحة الوطن التى دعتنى لأهيب بالأمة كى تتحد تهيب بنا جميعا بعد حوادث الشهر الأخير أكثر مما كان الحال يوم الدعوة الى الاتحاد .. » .

***

ويصرح مصطفى النحاس لوفد من لجنة الطلبة التنفيذية العليا «بأنه يقبل الائتلاف مع دولة محمد محمود باشا بشرط أن تكون اعادة دستور ١٩٢٣ قبل ابرام المعاهدة .. » .

ويعلق محمد محمود باشا على تصريح هور ، الخاص بدستور ١٩٢٣ فيقول انه لمن المخجل أن يدخل رئيس الوزارة المصرية الحكومة الانجليزية فى أمر أمر الدستور ، وهو مسألة داخلية محضة » .

والجدير بالذكر ، أنه كان من بين خطباء دار العلوم الأديب أحمد الحوفى الذى قال ضمن ما قاله :

« لقد صرخت مصر ، وضجت من أقصاها الى أقصاها ، وجاءت ساعة الروع وفغرت القلوب فاها ، فاستبق اليها الجراحى ، والخالع ومرسى ، وعلى طه » ..

***

والجدير بالذكر ــ أيضا ــ انه فى احتفال دار العلوم الذى سبق الاحتفال بازاحة الستار عن اللوحة التذكارية الخاصة بالشهيد على طه عفيفى ألقى الأديب محمود أفندى اسماعيل قصيدة رائعة جاء فيها :

مصر ظمأى وذلك الدم رى
لصداها فلا تنوحوا عليه
كم سقتنا من سلسل النيل خمرا
الم تفض كأسها سوى شفتيه
مالنا نرخص الدموع اذا ما
سفكت قطرة على شاطئيه
وهو احرى بان نسوق الضحايا
حاشدات تزف لهفى اليه

وكان من بين أبيات الشعر التى القاها الأديب الشاعر محمد أفندى برهام رئيس لجنة الطلبة التنفيذية فى مدرسة دار العلوم ــ على ما روت الصحف يومئذ :

أزجر النيل كى يضن بمائه

وليفض ساعة على شهدائه
عجبا ، جلل الأسى جانبيه
وهو يمشى كعهده فى صفائه
رب ماذا هناك حتى رأينا
كل يوم مضرجا فى دمائه !
وطن يبتغى الفكاك من الأسر
ويبغى الخلاص من أعدائه
قل لهذا الشباب ان لم يدافع
عن حماه وانوفى عن فدائه
لا تعش تحت ظله وتفيأ
غير ظلاله ، وغير هوائه
تمموا مجدكم ففى القبر ناس
وضعوا بالدماء أسس بنائه

***

والجدير بالذكر ، أيضا ، انه كان للاستاذ عباس محمود العقاد رأى فى ائتلاف الأحزاب نلخصه فيما يلى ، نظرا لأهميته التاريخية ونظرا لأن هذا الرأى كان من بين الأسباب التى جعلت العقاد يختلف مع رفاق دربه ومن بينهم أسرة روز اليوسف يقول الاستاذ العقاد :

« فى سنة ١٩٣٠ حصل الائتلاف بين الأحزاب المصرية ، والساسة المصريين وكان العدوان الذى تواجهه الأمة يومذاك أقل وأهون من العدوان الذى تواجهه اليوم لأن الانجليز فى ذلك الحين كانوا يتظاهرون بالحيدة فى شئون مصر الداخلية ولا يدعون لأنفسهم الحق ، فى وضع دساتيرنا واختيار المواعيد الملائمة ، لمجالسنا النيابية ، ولكنهم ينقضون اليوم ما اعترفوا به من حقوقنا حتى فى تصريح ٢٨ فبراير ويبسطون أيديهم على دواوين الحكومة كما تعودوا

فلماذا جاز الائتلاف ــ بل وجب ــ قبل خمس سنوات وامتنع بل حرم فى هذه الأيام ؟

ان الأحزاب ، لم تتغير والزعماء لم يتغيروا فى هذه السنوات لماذا قبل النحاس باشا الائتلاف بالأمس ولم يقبله اليوم ؟! انما قبل النحاس باشا ، الائتلاف بالأمس لأنه كان يحسب حسابا لزملائه فى الوفد ويعلم أنه لا يستطيع أن يسوقهم كيف يشاء الى حيث يشاء ومهما تكن من آراء فتح الله بركات وواصف غالى ، وعلى الشمسى ، وحمد الباسل ، وسلامة ميخائيل ، وفخرى عبد النور وعطا عفيفى وأصحابهم الآخرين ، فرئيس الوفد لا يستطيع أن يفرض عليهم الأوامر من عل ، وهم صاغرون وانما كان ينبغى معارضتهم كما ينبغى

معارضة الأنداد ويجرى معهم على حكم الاقناع اما الى الموافقة ، أو الامتناع فاذا أرادوا الوفاق فليس فى وسعه أن يصر على الخلاف واذا اقترحوا عليه أمرا فليس فى وسعه ، أن يرفضه ويتهاون برفضه » .

***

ويقول العقاد :

« الانجليز يعقدون المؤتمرات بين الدول ويستكتبون العهود ويعلمون ان كل دولة من هذه الدول تسول لها المصلحة ، أن تنقض عهدها فى يوم من الأيام ولكنهم يعلمون ان كتابة العهود على كل حال انفع ، وأسلم من ترك الأمور على عواهنها واطلاق الفوضى فى سبيلها ولولا « العهود » ، والدفاع عنها لما تغلبوا على ايطاليا فى ميدان السياسة ، العالمية واننا لنعلم انهم لا يحرصون على عهد مصون وان الدول التى وافقتهم فى توقيع العقوبات ليست بأفضل منهم فى صيانة العهود ولكن الموقف يملى ارادته على الواقفين فيه ، فيعملون للمبادىء والأصول من حيث يضمرون المصالح ، واللبانات فلماذا يا ساسة البلد ويا قادة الأراء لا تتفقون لمصلحة البلد ، بحكم الموقف القهار فى هذه الظروف » .

« ان الموقف المتفق عليه ، ليملى ارادته ، على أصحاب الماضى المتهم وأصحاب الماضى السليم فاذا اجتمعوا الى رأى واحد فالذى يشذ عنه يضعف ويفقد الرجاء فى كل سياسة يفرضها على بلاده وهى متفقة عليه وجرمه فيها ظاهر مفضوح ، وذلك كسب للقضية الوطنية لا ريب فيه أما اذا سارت الأمور على ما نروم فقد نجح الائتلاف غاية النجاح ، وربحنا كل ما نقدره له من الارباح ولولا اننا نؤمن بحكم الموقف القهار ، لما دعونا الى الائتلاف الساسة المختلفين ونحن لا نطمئن منهم الى كثير ، ولكنهم اذا وقفوا فى الميدان ، فالفرق هنالك قريب بين الشجاع والجبان لأن الموقف يعلمهم ان الشجاعة ، أجدى لهم من الجبن وانهم يفقدون المصلحة الخاصة والعامة معا ، حين يلتفتون الى المصلحة الخاصة دون غيرها كما يفقد الجندى الشرف والحياة ، وهو يحاول ان ينجو بالحياة » .

***

ويلتهب الموقف ، فى البلاد ، مرة أخرى بعد التصريح الجديد لصمويل هور وبعد الموقف المخزى الذى اتخذته وزارة نسيم باشا ، ازاء هـذا التصريح وتطلق النيران على الشباب ليلا نهارا ويجتمع مجلس الجامعة ضحى ٨ ديسمبر ١٩٣٥ برئاسة الاستاذ أحمد لطفى السيد نائب مدير الجامعة المصرية ويقرر بالاجماع تأجيل استئناف الدراسة الى أجل غير مسمى .

وبينما كان مدير الجامعة يضع صيغة القرار دق جرس التليفون وكان المتحدث وزير ، المعارف الذى أبلغ رئيس الجامعة ان مجلس الوزراء يفكر فى أصدار قرار باغلاق الجامعة .

ويترك مدير الجامعة مكتبه ، ويتجه الى وزير المعارف ، ويذهب وأياه الى وزارة المالية ، ويعلن مدير الجامعة استقالته من منصبه احتجاجا على اعتداء الحكومة ، على استقلال الجامعة .

ويقرر عمداء الكليات وعلى رأسهم الدكتور على ابراهيم باشا عميد كلية الطب التضامن مع مدير الجامعة وخاصة بعد ما تأكد لهم أن وزير المعارف كان يصدر أوامره بغلق الجامعة وكان يتصل بادارة الأمن العام بصدد الجامعة وجوانبها من حانة سانت جيمس المعروفة بشارك الفى بك ..

ولكن ماذا كان موقف لندن من غضبة الشباب المصرى ؟ هذا ما سنحاول الرد عليه ونحن نكمل حديثنا عن ثورة الشباب .

الفصل السابع

بريطانيا تثور لغضبة شباب مصر

سبق أن ذكرنا أن مجلس الجامعة المصرية برئاسة الاستاذ أحمد لطفى السيد قرر فى الجلسة التى عقدت فى ٨ ديسمبر ١٩٣٥ : « تأجيل استئناف الدراسة فى الجامعة الى أجل غير مسمى » وان مجلس الوزراء قرر « اغلاق الجامعة » وقد رأى مدير الجامعة وأعضاء مجلسها أن قرار مجلس الوزراء يعتبر تدخلا معيبا فى شئون الجامعة كما يعتبر اعتداء صارخا على استقلالها : صحيح أن الرئيس الأعلى للجامعة هو وزير المعارف ولكن من المعروف انه ليس من حق هذا الرئيس ولا من حق مجلس الوزراء مجتمعا أن يتخذ أى قرار بشأن الجامعة دون أن يكون هذا القرار نابعا من مجلس الجامعة وبلا أى ضغط من أية جهة أخرى حتى ولو كانت تلك الجهة مجلس الوزراء ، الذى من بين أعضائه وزير المعارف الرئيس الأعلى لمجلس الجامعة : ثار مدير الجامعة وثار معه عمداء الكليات ، وفكر الرئيس الأعلى للجامعة فى أن يعدل قانون الجامعة تعديلا يلغى استقلال الجامعة ويعيدها الى تبعية وزارة المعارف ، حتى تتحكم السلطة التنفيذية فى المعهد العلمى ، الأعلى بل ان وزير المعارف ، الرئيس الأعلى للجامعة راح يفاوض زميله وزير المالية ، فى شأن عدم صرف مرتبات الاساتذة فى الجامعة عقابا لهم على ثورة مدير الجامعة وعمداء الكليات والطلبة .

★★★

ولما كان من المفروض قانونا ان يوقع وزير المعارف على استمارات صرف مرتبات الاساتذة قبل ان تذهب الى وزارة المالية ، تمهيدا لصرفها كما هى العادة ، فقد رفض وزير المعارف أن يوقع استمارات صرف مرتبات الاساتذة المصريين وان كان قد وقع — كما قيل وقتئذ — على استمارات صرف مرتبات الاساتذة الأجانب !

وكان وزير المعارف كما سبق أن ذكرنا ــ حقيقة وليس من قبيل الفكاهة ــ يتصل بادارة الأمن العام ، بصدد أمور الجامعة وحوادثها ويتصل بوكيل وزارته وكل الجهات ذات الصلة بالجامعة من حانة « سانت جيمس » المعروفة بشارع ألفى بك ونبتت فكرة عند بعض أساتذة الجامعة فى ألا يقدم مدير الجامعة وعمداء الكليات استقالاتهم وان يبقوا فى وظائفهم مدافعين عن الجامعة واستقلالها ، بحيث يمكن أن يستقيل الجميع ، مديرا وعمداء وأساتذة ، اذا فشلوا فى الدفاع عن استقلال معهدهم العتيد ٠

***

وبينما أساتذة الجامعة يناقشون مدير الجامعة ، وعمداء الكليات فى تلك الفكرة اذا بمصر تقوم ولا تقعد واذا بمظاهرات الشباب والفتيات تملأ البلاد ، واذا بالصحف كلها ــ فيما عدا ، صحيفة ، أو صحيفتين ــ تصف اليوم الثامن من ديسمبر ١٩٣٥ بأنه يوم من أخلد أيام الحركة الوطنية المصرية : التقى ــ مثلا ــ الطلاب فى كلية الطب بقصر العينى ، بعد أن تعذر عليهم الوصول ، الى مبنى الجامعة فى الجيزة وقامت قوات البوليس برئاسة حضرة صاحب السعادة اللواء رسل باشا حكمدار بوليس القاهرة ، وجناب المستر كين بويد مدير الادارة الأوروبية فى وزارة الداخلية بحصار كلية الطب وصعد الطلبة الى سطح الكلية وقامت ملحمة عنيفة بين بعض الطلبة وبين القوة المرابطة أمام كلية الطب استخدم الطلبة خراطيم المياه كما استخدم رجال البوليس العصى والبنادق وما حدث فى كلية الطب حدث أيضا فى كلية التجارة وخرج الطلبة من كلية الطب أثر اتفاق تم بين عميد كليتهم على ابراهيم باشا ، ووكيل مستشفى قصر العينى د٠ مصطفى بك فهمى ، وبين رسل باشا حكمدار العاصمة ، ووكيله بيكر بك ومضمون هذا الاتفاق الا يقوم البوليس بالقبض على أى طالب من الطلبة ، المجتمعين فى كلية الطب وكذلك خرج طلبة كلية التجارة من مبنى كليتهم بعد اتفاق ، مماثل ٠ وكان البوليس لا يسمح باخراج الطلبة الا فرادى حتى لا تتاح لهم فرصة التجمع مرة أخرى والقيام بمظاهرات ٠

***

وقد اشتركت الطالبات فى تلك المظاهرات وكانت أول مظاهرة للطالبات مظاهرة طالبات مدرسة الأميرة فوزية حيث خرجت طالبات تلك المدرسة فى مظاهرة سلمية يهتفن للاستقلال والحرية ٠

وكانت أحداهن تحمل فى يدها العلم المصرى ٠

وكانت وزارة الداخلية طوال ذلك اليوم المشهود أشبه ما تكون بمبنى القيادة فى زمن الحرب ٠ وكانت اجراءات وزارة المعارف الخاصة بمقاومة

الحركة الطلابية بالغة العنف ــ مثلا ــ أصدرت وزارة المعارف قرارات خاصة بتلاميذ مدرستى الفنون والصناعات بالعباسية ، والفنون التطبيقية بالجيزة ، من بين تلك القرارات تعطيل الدراسة بهاتين المدرستين الى أجل غير مسمى : لا يقبل بهاتين المدرستين أى تلميذ الا اذا قدم طلبا جديدا وتعهدا من ولى أمره بالمحافظة على النظام : تلغى المجانية والاعفاء المتمتع بـه بعض تلاميذ هاتين المدرستين وكذلك كان الأمر بالنسبة لمدرسة التجارة وبعد ذلك أصبح الأمر عاديا بالنسبة لكثير من المدارس : الغاء المجانية التى يتمتع بها الطلبة لاجبارهم على عدم المشاركة فى المظاهرات ضد الاحتلال الأجنبى ٠

***

وما حدث فى يوم ٨ ديسمبر يتكرر وبصورة أشد فى ٩ ديسمبر ١٩٣٥ ، نزل الجيش الى القاهرة وعسكر فى حديقة الازبكية ٠

شهد شقيق وزير الحقانية وهو يطل على المتظاهرين من شرفة منزلـه بالعمارة رقم ٢٠ بشارع قصر العينى رجال البوليس وهم يطلقون النار على المتظاهرين فأصيب هو ونجلا كريمته ــ زوجة ابراهيم أفنـدى زكى ــ وكانا طفلين كما أصيب ثلاثة من الخدم برصاص البوليس ! ولم يفعل شقيق وزير الحقانية أكثر من أن ذهب وبقية الجرحى الى مستشفى قصر العينى ومن هناك اتصل بشقيقه وزير الحقانية الذى قال عندما حضر الى المستشفى : أيه وحشية البوليس دى !

***

والطريف ــ لـو كان فى مثل تلك الحوادث الدامية ما يمكن أن يسمى بالطريف ــ أن طالبات مدرسة السنية خرجن فى مظاهرة سلمية يهتفن للحرية والاستقلال فلما وصلن الى مقربة من مستشفى قصر العينى أسرعت اليهن قوات البوليس وعلى رأسها ضابط برتبة صاغ وقبل ان يعتدى الجنود على الطالبات تقدم اليهن حضرة الضابط النشط وسألهن ماذا تقصدن ؟! ولم ينتظر الاجابة من أحد اذ قال : أولى لكن أن تنصرفن الى بيوتكن ٠ فأجابه البعض : اننا نبدى شعورنا كمصريات وطنيات استنكارا للحوادث التى تمس سمعة البلاد ٠٠ فاذا بالضابط الهمام يقول لهن : انتم عاوزين عرسان ! وهنا بصقت أكثر من واحدة منهن فى وجهه وتركنه يمسح الرذاذ ، الذى لمع على جبينه وعلى أنحاء وجهه ٠٠ وكانت قسوة رجال البوليس الانجليزى لا حد لها لدرجـة أن « كونستابـل انجليزيا » اسمه ماركنز أطلق من مسدسه الرصاص على طالب أعزل فى شارع بستان ابن قريش المتفرع من شارع الحوياتى فأصابت الرصاصة صدره بالقرب من القلب ٠ وكان هذا الطالب اسمه محمد محمود عبد الحكم ضمن طلبة مدرسة الصناعات الميكانيكية ببولاق « قسم السيارات » وخرجت طالبات مدرسـة

الأميرة فوزية في يوم ٩ ديسمبر في مظاهرة سلمية ، كانت مثار اعجـــاب المواطنين جميعا ، وقد أردن المرور من كوبرى فؤاد الأول الى الزمالك فالجيزة ولكن البوليس ضرب نطاقا حولهن فلم يستطعن المرور من الكوبرى الا عندما أقفل الكوبرى لكى يمر سعادة السير مايلز لامبسون المندوب السامى البريطانى، وبعد أن مر سيادته فتح الكوبرى من جديد فظل عدد كبير جدا من طالبات مدرسة الأميرة فوزية وكان قد انضم اليهن طالبات مدرسة الأميرة فوقية وكلية البنات معلقا على الجزء المتحرك من الكوبرى فترة طويلة من الزمن حتى ثارت بعض جماهير الشعب وقامت بانقاذهن من هذا الموقف الصعب !

★★★

وكانت اعداد كبيرة من المتظاهرين تقدم الى المحاكم فى جلسات مستعجلة وكان من بين تلك القضايا قضية اتهم فيها محمود عبد الحليم عاصم (كلية الزراعة) وسعد الدين الشيشينى (كلية العلوم) وتولى الدفاع عنهما محمود سليمان غنام وواصف رزق الله وأنور زقلمة ومحمد فرج الدالى وقد نظرت القضية أمام محكمة جنح الازبكية برئاسة الاستاذ السعيد رمضان وفى أثناء نظر القضية ظهر أن بائع حلوى اسمه ك٠ م٠ د ، كان يرشد البوليس الى أماكن تواجد الطلبة وقد ضربه الطلبة أكثر من علقة ساخنة ٠

وقد امتنعت عن ذكر اسم بائع الحلوى هذا لانه « بعد سنوات عديدة أصبح شخصية هامة » دخلت احدى النقابات المهنية وكان له دور خطير فى بعض الأحداث ٠

والغريب ، ان النيابة قد قدمت بائع الحلوى هذا فى القضية باعتباره متهما حتى تصبح الحكاية « مسبوكة تماما » ، وبعد أن ترافع الدفاع عـن المتهمين : محمود عبد الحليم عاصم ، وسعد الشيشينى برأت المحكمة الشيشينى و « ك٠ م٠ د٠ » بالطبع وحكمت بتغريم المتهم الأول محمود عبد الحكليم عاصم ٣٠٠ قرش ٠

★★★

وثارت لندن بسبب مظاهرات الطلبة فى يومى ٨ ، ٩ ديسمبر : كانت الصحف البريطانية تنشر أخبار تلك المظاهـرات فى صفحـاتها الأولى : قال مندوب الديلى تلجراف : ان من بين أسباب حوادث الطلبة الخطب التى ألقاها النحاس باشا » والتى نادى فيها بالثورة !! وقال ان من بين أهم أسباب تلك الحوادث لين الحكومة فى معاملة الطلبة فقد أصدرت الأوامر الى البوليس بمنع اطلاق النار وقد تساهل القضاة الوفديون فى معالجة قضايا المظاهرات المعروضة عليهم للحكم فيها ، وقال انه لأول مرة يهتف المتظاهرون باسم نســيم باشا ،

وقال مندوب التيمس البريطانية فى القاهرة : فى خلال اليومين الأخيرين ٨ ، ٩ ديسمبر وقعت حوادث مخجلة نتيجة أعمال الرعاع وأسباب هذه الحوادث هو السماح للطلبة بالافصاح عن ميولهم فى المشاكل السياسية وقد أوشك الكولونيل لوكاس بك ان يقتل و ٠٠ و ٠٠ و » وقال مندوب التيمس : ان هناك أموالا دفعت بقصد تشجيع المظاهرات وقال مندوب جريدة نيوزكرونيكل فى القاهرة ان ثمانمائة من طلبة كلية الطب قاتلوا قوة كبيرة من رجال البوليس وانهم ظلوا يقاتلون القوة خمس ساعات وقد قذفوا البوليس بالحجارة من فوق سطوح الابنية ، وكانت الذخائر ترفع اليهم بواسطة « سلال » مشدودة بحبال ، وقد انسحبت قوة البوليس ، وتشير بعض الصحف البريطانية الأخرى الى قيام رجال الجيش بحراسة كوبرى قصر النيل ، والى اطلاق البوليس النار على الغوغاء الذين كانوا يقذفون الأتوبيسات بالحجارة ، وقد قتل واحد منهم !

★★★

وكانت مصر ، تغلى بشكل أعاد الى الاذهان ما حدث عندما نشبت ثورة ١٩١٩ ٠٠ وكان الموقف الدولى متوترا للغاية : موسولينى دكتاتور ايطاليا ، يحرز انتصارات هائلة فى الحبشة : بريطانيا تتزعم حملة الدعوة ، الى مقاطعة نظام موسولينى الخلاف بين بريطانيا وموسولينى يبلغ أشده ، ولأن ايطاليا كانت على حدود مصر فى ليبيا ، فقد خشيت بريطانيا ان يقوم موسولينى بمهاجمة القوات البريطانية الموجودة فى مصر وخاصة فى الصحراء الغربية ، بل ان بريطانيا كانت تخشى فى ذلك الوقت نشوب حرب عالمية ، جديدة ، وكانت بريطانيا تحارب فى مصر الشعب المصرى ، وكانت تخشى أن يهاجمها الايطاليون فينضم المصريون الى الايطاليين ، ولذلك انتهزت بريطانيا فرصة خطورة الأحوال الداخلية فى مصر ، وخطورة الأحوال الدولية لتدعيم من وجودها العسكرى فيها ، ولتقضى على الحركة الوطنية التى بدأت تنتشر فى كل مكان : أصدرت وزارة الحربية المصرية ، التى يسيطر عليها البريطانيون الأوامر الى جنود الاورطة الثالثة مشاة والى احدى فرق الفرسان بمغادرة ثكناتها بالعباسية وضرب خيامها فى حديقة الازبكية بالقاهرة ٠ وزعت وزارة الحربية ، قوات الجيش على المديريات والمراكز التى يخشى منها على النظام والأمن ، ومن ناحية أخرى سلمت السلطات البريطانية ـ التى كانت تتوقع الحرب وكانت تتوقع استخدام الغازات السامة فى تلك الحرب ، كميات من الكمامات الواقية لتوزيعها على الجيش المصرى المرابط فى الاسكندرية ومناطق الصحراء الغربية على أن تقوم وزارة الحربية بدفع ثمن تلك الكمامات ، الى قيادة الجيش البريطانى ٠

★★★

كانت الاجتماعات مستمرة بين سبنكس باشا المفتش العام للجيش المصرى ، واللواء فوريس باشا وكيله والقائمقام همرسلى بك رئيس العمليات

الحربية ،والقائمقام كتشنر بك مدير قسم المهمات ، اهتمت الحكومة البريطانية بشق الطرق ، فى الصحراء الغربية كما اهتمت أيضا باصلاح كل الطرق الحربية ، عززت بريطانيا سلاح الهجانة فى سيوه ، بل لقد انتقل اللواء سبنكس باشا الى الحدود الغربية للتفتيش على القوات المصرية ، المرابطة هناك وفى نفس الوقت أجريت مناورات عامة وهامة وكانت الطوافة الأميرة فوزية لا تكف عن نقل كميات من الذخائر والقنابل الخاصة بالمدافع البرية الضخمة وكذلك الفرق البريطانية من الاسكندرية الى السواحل الغربية ٠

***

وتستمر المظاهرات فى أيام ١٠ ، ١١ ، ١٢ ديسمبر ، ويكون للطالبات فى هذه الأيام ، دور أكثر أهمية وخطورة ، وكان هذا الدور مثار اهتمام وتعليق مندوبى الصحف الأجنبية فى القاهرة ، وكان من بينهم مندوبالنيوزكرونيكل الذى قال ضمن ما قاله وهو يصف أحداث تلك الأيام : ان طالبات المدارس الثانوية كان لهن أثر كبير فى الاضطرابات التى حدثت فى الأيام الأخيرة ، وان الحماس استولى عليهن لدرجة انهن كن يوبخن ويعنفن من البوليس ولكن كان حماسهن عنيفا ، وكانت هتافاتهن الوطنية تدوى فى الارجاء ، ودفعت الحماسة بعضهن الى الهجوم على عربات البنزين ومصابيح الكهرباء فحطمنها » ويقول مراسل جريدة الديلى ميل وهو يشير الى اشتراك الفتيات فى المظاهرات : لقد كن الطليعة اقتداء بالأساليب ، الشيوعية ، وذلك لكى تكون قوات الرجال الموجودة فى المؤخرة بعيدة عن الأذى » ووصفت الصحف المصرية أقوال هذا المراسل بالسخف والافتراء والكذب !

وقبل أن نختتم هذا الباب ننشر رسالة تلقيناها من أحد المتهمين بالاعتداء على منزل محمد محمود باشا ٠

● ربطونا نحن السبعة فى حبل لنسير الى المحكمة

الأخ الفاضل صبرى أبو المجد

تحية طيبة وبعد ٠٠

فقد يكون تكرارا لما قاله الكثيرون أن ما تنشرونه عن « سنوات ما قبل الثورة » هى تذكرة لمن نسى تاريخ فترة من أهم فترات تاريخ مصر الحديث أو من الجيل الجديد الذى تعرض لحملة تعتيم أو تزييف لأحداثها ٠٠ ولا أطيل عليك ٠

أولا : أقدم لك نفسى أنا محمد ابراهيم عبد الله المتهم فى قضية الاعتداء على منزل محمد محمود باشا ٠ واعترف للمرة الأولى بعد ٤٣ عاما أن هذا الاسم

لم يكن اسمى الحقيقى • وقد اضطررت لتغيير اسمى حتى لا يعرف أهلى فى البلد انه قد قبض على — ولانى استهونت الأمر واعتقدت ان الافراج سيتم فى اليوم التالى على الأكثر وقد مررت بهذه التجربة قبل ذلك • المهم بمساعدة مأمور قسم عابدين فى ذاك الوقت تم الاتفاق مع أهلى على ان استمر بهذا الاسم والا تعرضت لمصيبة أخرى •• وقبل أن أنتقل من هذه النقطة أحب أن أسجل ان الشعب المصرى عندما قاوم الاستعمار كانت كل فئاته تشترك فى هذا العمل كل حسب ظروفه سواء الطلبة أو العمال أو الفلاحون أو رجال البوليس •

ثانيا : لقد جاءت واقعة التظاهر والتجمهر الخاصة بمنزل محمد محمود باشا مختصرة ومرت دون ايضاح أسبابها ومبرراتها رغم أهميتها فى تطور الأحداث فى تلك الفترة •

وأحب أن أوضح من مركز المشاركة الفعلية فى الأحداث دون تأثر بأى هوى حزبى أو رغبة فى ادعاء بطولة لا داعى لها الآن •

الأحداث :

كانت وزارة توفيق نسيم باشا تتولى الحكم فى أواخر عام ١٩٣٥ وكان الوفد يؤيد تلك الوزارة لأن هناك اتفاقا قد تم معه أولا على اعادة دستور سنة ١٩٢٣ الذى كان الوفد يضعه فى أول قائمة مطالبه والأمر الثانى أن وزارة توفيق نسيم كانت هى التى ستتولى عملية اجراء الانتخابات •

وفى هذه الفترة أصدر وزير خارجية بريطانيا السير صموئيل هور تصريحا أيد فيه دستور سنة ١٩٣٠ وعارض عودة دستور سنة ١٩٢٣ • وقد أدلى محمد محمود باشا بتصريح أيد فيه السير صموئيل هور • وهنا هاجت الدنيا •• وقام الوفد بتعبئة الشعور ضد هور ومحمد محمود وانطلقت المظاهرات تهتف وتصف هور بانه ابن الطور •

★★★

أما واقعة منزل محمد محمود •• فقد خطب مكرم عبيد فى بيت الأمة وكنا فى شهر رمضان المبارك وكانت له قدرة سحرية على اثارة شعور مستمعيه ، مثل قوله : أيها الشباب ثوروا ثم ثوروا فوالله ان ما ثرتم ما شببتم — المهم ما أن انتهى من خطابه العاصف ضد محمد محمود باشا حتى انطلقنا فى مظاهرة غاضبة الى منزل محمد محمود باشا فى شارع الفلكى الذى لم يكن يبعد عن بيت الأمة بأكثر من ٥٠٠ متر . وأخذنا نهتف ونشير الى المنزل ونقول هذا : منزل هور — وهنا انطلقت جحافل من رجال محمد محمود المختبئين فى بدروم المنزل يحملون العصى وأخذوا يتصدون للمظاهرة بالشوم • ولما كنت من المتصدرين للمظاهرة فقد حاولنا الدفاع عن أنفسنا بقذف المنزل بالطوب ولكن رجال محمد

محمود باشا تمكنوا من امساك ثلاثة من المتظاهرين كنت أنا أصغرهم سنا الأمر الذى خفف عنى الحكم الى غرامة ٦٠٠ قرش ٠٠ وبعد أن سلمنا الى البوليس استمر التحقيق معنا بمعرفة المرحوم الأستاذ أسمر ابراهيم أسمر وكيل النيابة الى الصباح ٠٠

وفى اليوم التالى صدرت جريدة السياسة وفى صدورها بالخط الكبير عنوان « الرعاع يعتدون على منزل الزعيم النبيل » وقامت الدنيا ٠٠ المرحوم حفنى محمود يداوم اتصالاته بالسلطات العليا لاستعدائها ٠ والشـــباب قام بمظاهرة ضخمة ضد محمد محمود باشا تصدى لها البوليس فى ميدان الفلكى وشتتها قبل وصولها الى سراى محمد محمود باشا حيث قبض على أربعة من المتظاهرين ــ والسابع أذكر أنه كان طالبا بكلية الزراعة وقد صدر الحكم عليه بالبراءة ٠٠ وقد يكون ذلك سبب عدم ذكر اسمه ٠

والحقيقة التى أحب ان أوضحها فى هذه العجالة ٠ اننا منذ القبض علينا عوملنا أسوأ معاملة فى سجن قسم عابدين لمدة ١١ يوما وتحقيقات النيـــابة مستمرة ٠ ولم يقدم لنا حزب الوفد أى مساعدة ولم يسأل عنا أحد فى فترة السجن ولولا شخص مجهول لم أكن أعرفه تقدم لى وأعطانى بالطو كان يلبسه وقال لى ستحتاج اليه وأخذ يرسل لى كل يوم ما احتاج اليه من مأكل قبل ان يحضر أهلى من البلد ٠٠ هذا الشخص حضر يوم المحاكمة وبعد أن شكرتــه وأعدت له البالطو لم أره حتى هذه اللحظة وكل أملى أن أعثر عليه حتى أقبل يديه ٠٠

***

هذا هو الشعب المصرى الأصيل يا أستاذ صبرى وليس مدعى البطولة والدعاية ٠

ويوم المحاكمة أصر « لوكاس » وكيل المحافظ « رسل باشا » ان نربط نحن السبعة فى حبل ونسير من قسم عابدين الى المحكمة وهى مدرسة الآن ومكانها أمام منزل محمــد محمود باشا ٠ وقد استجاب الله لدعائنا فانه بعد انتهاء الجلسة حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر طلعت علينا جريدة البلاغ بنبأ اصابة لوكاس بحجر فى احدى المظاهرات أفقده عينه وفعلا خرج من الخدمة ملعونا من الله والناس ٠٠

وفى الجلسة كانت المظــاهرة الكبرى الذى لم يتول الدفاع عنا أكثر من ١٥ محاميا ٠

حقيقة كان بعض هؤلاء الاساتذة يقومون بهذا الواجب بدافع وطنى قوى

ولكن البعض كان يفعل ذلك استجلابا للدعاية الحزبية والانتخابية لا سيما وان المرافعات كانت تنشر فى الجرائد ٠

وهذا هو كل دور حزب الوفد بالنسبة للمتهمين ٠٠

ان النضال قام به البسطاء من الشعب الذين قتلوا والذين فصلوا من أعمالهم ٠٠ والذين سجنوا ٠٠

أما زعماء الأحزاب فلم يقتل منهم أحد ٠٠ ولم يفصل منهم أحد ٠٠ ومن سجن منهم فقد أقاموا له التماثيل ٠٠

من الذاكرة ٠٠ كتبت لك ٠٠ ومن الوثائق يمكن الرجوع الى الحقائق ٠٠ وأرجو لك التوفيق ٠٠ واستمر على بركة الله ٠

محمود على شرف

وكيل وزارة التعمير والمجتمعات الجديدة

وشكرا للأخ محمود على شرف الذى عرف باسم محمد ابراهيم عبد الله ، اذ أزاح الستار عن أكثر من واقعة فى رسالته الموجزة ٠

وننتقل بعد كل ذلك الى مرحلة جديدة من مراحل نضالنا الوطنى مرحلة اجبار الشباب للقادة والزعماء على جمع الكلمة ، ووحدة الصفوف ٠

البـــاب الثـــامن



الفصـــــل الأول

الشباب يجبرون الزعماء على الاتحاد فى جبهة واحدة

فى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ ــ ولأول مرة منذ مارس ١٩١٩ اتفق زعماء مصر ،

ووجد زعماء البلاد انهم أمام حالة جديدة هامة وخطيرة تفرض عليهم وحدة الكلمة ، فاذا بالأحزاب كلها تجتمع : الوفد المصرى ، برئاسة مصطفى النحاس ، الوفد السعدى ، برئاسة حمد الباسل باشا ، حزب الشعب برئاسة اسماعيل صدقى ، حزب الاتحاد ووكيله حلمى عيسى باشا ، كل هذه الأحزاب وغيرهـا راحت تجتمع ليل نهار على أمل الوصول الى صيغة واحدة يلتقى عندها الزعماء والقادة • وراح الشـباب ، ولجنـة الطلبة العليـا ، يجتمعون بدورهم بالساسة الحزبيين والمستقلين على أمل الحصول منهم على ما يطمئنهم على سلامة الجبهة الوطنية ، وعلى رفضهم المطلق الاشتراك فى أية وزارة تقوم على غير أساس المطالب التى تتفق عليها الجبهة الوطنية •

★★★

فى ليلة ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ افتتحت الفرقة القومية موسمها الأول بمسرحية أهل الكهف للاستاذ توفيق الحكيم ، اخراج الاستاذ زكى طليمات وكان خليل مطران شاعر القطرين هو مدير الفرقة القومية ــ وكانما جاء عرض مسرحية أهل الكهف منسجما مع الأحوال القائمة وقتئذ ، فى مصر • وقد اشترك فى هذه المسرحية حسين رياض ، زكى رستم ، عزيزة أمير ، عمر وصفى ، منسى فهمى وكان لعرض مسرحية أهل الكهف صدى عميق عند الرأى العام والصحافة بصفة خاصة ، اذ كانت بعض الصحف تنشر الاخبار عن « أهل الكهف » فى صفحاتها الأولى ، وكأنما كانت تلك الأيام الخالدة ، أيام ثورة سياسية وثورة فنيـة أيضا ! وفى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ تمكن الزعماء والقادة من الاتفاق على وثيقة ترفع الى الملك أحمد فؤاد ، وقد وقع الزعماء والقادة على العريضة فى نادى

المحامين ما عدا محمد محمود باشا ، الذى وقعها أمام بقية الزعماء ، فى الديوان الملكى ، مكتب على ماهر باشا وقد وقع الزعماء على الوثيقة حسب الترتيب التالى : مصطفى النحاس ، رئيس الوفد المصرى ، محمد محمود رئيس حزب الأحرار الدستوريين ، اسماعيل صدقى ، رئيس حزب الشعب ، يحيى ابراهيم رئيس حزب الاتحاد ، عبد الفتاح يحيى ، حمد الباسل (رئيس الحزب السعدى) حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى ، حافظ عفيفى .

★★★

رفع زعماء الأحزاب العريضة التالية الى الملك :

حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك .. الجلالة مولانا الملك ..

نتشرف نحن الموقعين على هذا بان نرفع الى سدتكم الرفيعة هذا الملتمس الذى تتمثل فيه ارادة الشعب المصرى مجتمعة كلمته ، منيعة جبهته ، فلقد حلت بالبلاد أزمة سياسية خطيرة اجتمع فيها الخطر الخارجى الذى يهدد البلاد بحرب جائحة الى الخطر الداخلى الذى يهدد حريتها وطمأنينتها ويمس حقها المعترف به فى تصريف أمورها ، والاستمتاع بدستورها مما أدى الى انتشار روح القلق فى البلاد واضطراب المصالح العامة والخاصة معا ، واننا لنرى بكل احترام انه ما من مخرج من هذه المحنة أو علاج حاسم لها الا بأن يعود الى الأمة فورا دستورها الصادر فى سنة ١٩٢٣ . وما كنا فيما نرى صادرين الا عن الرأى الذى ارتضته حكمة جلالتكم السامية فى كتابكم الملكى الصادر الى مجلس الوزراء ، بتاريخ ١٢ ابريل ١٩٣٥ والذى ورد فيه ما يأتى بحروفه : ان أعز أمانينا كما تعلمون هو ان تحيا البلاد الحياة الدستورية التى ترضاها سواء باعادة دستور سنة ١٩٢٣ ، معدلا ، على النحو الذى يرتئيه حسب المقتضيات نواب الأمة ، طبقا لأحكام المواد ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، من ذلك الدستور أو بوضع دستور تصدق عليه جمعية تمثيلية وطنية وأنا مع ذلك نفضل الطريقة الأولى .

★★★

يا صاحب الجلالة ، اذا كان الشعب ممثلا فى هيئاته وأحزابه السياسية قد أجمع هذا الاجماع الرائع ، على وجوب عودة دستور الأمة منذ الآن فانه انما يقصد الى استقرار نظام الحكم على أساس سلطة الأمة توصلا لايجاد حكومة دستورية تعمل لاصلاح ما فسد وتحقيق استقلال البلاد .

ولما كان الدستور من حق جلالتكم والشعب المصرى ، ولما كنا نعلم ان من أسمى رغبات جلالتكم أن تطمئن الأمة الى سلامة حقوقها ، ومرافقها فتهيىء لنفسها المصير ، الذى ينتظرها ، والمكان اللائق بها بين الأمم ، لذلك نلتمس من جلالتكم التعطف باصدار أمركم ، الكريم باعادة دستور ١٩٢٣ فورا ، ونرفع

الى سدتكم مع هذا الالتماس ، أسمى فروض الولاء لعرشكم والاخلاص ، لذاتكم ، وما زلنا يا صاحب الجلالة لمقامكم العالى ، المطيعين المخلصين .

مصطفى النحاس رئيس الوفد المصرى
محمد محمود رئيس حزب الأحرار
اسماعيل صدقى رئيس حزب الشعب
عبد الفتاح يحيى ابراهيم رئيس حزب الاتحاد
حمد الباسل ، رئيس الوفد السعدى
حافظ رمضان ، رئيس الحزب الوطنى
حافظ عفيفى ..
وكان حافظ عفيفى قد اختير كممثل للمستقلين .

***

وربما كانت هذه العريضة أولى العرائض السياسية فى التاريخ المصرى التى « تميزت » ـ لو جاز لنا استخدام هذه الكلمة ـ بالكثير ، الكثير ، من صور النفاق السياسى : زعماء مصر وقادتها ؛ يعرفون جميعـــا ، وأكثر من غيرهم ان الملك أحمد فؤاد يكره ـ الى أبعد الحدود ـ كل ما يمت الى الحياة الدستورية بصلة فهو الذى أقال ـ بالفعل ، وان لم يكن بالاسم ـ أول وزارة دستورية تلك التى ألفها سعد زغلول باشا ، عقب بداية الحياة النيابية فى مصر ، وهو الذى جاء بأحمد زيور باشا الذى قضى على الدستور ، وهو الذى حل برلمانا لم يطل عمره أكثر من ست ساعات وهو الذى جاء بمحمد محمود الى الحكم ، وجعله يعطل الحياة النيابية ثلاث سنوات قابلة للتجديد ، وهـــو الذى أقال حكومة النحاس باشا المتمتعة بثقة البرلمان و .. و ..

! ومع ذلك ، يخاطبه قادة البلاد وزعماؤها باعتباره منقـذ الدستـور ، ويرددون على مسامعه ما سبق ، ان قاله ـ رغم انهم يعرفون جيدا ، انه غير صادق فيما يقوله ـ من أن أعز أمانيه ان تحيا البلاد حياة دستورية محمـد محمود باشا ، الذى قال ، ما قال فى دستور ١٩٢٣ ، والذى عطل الحياة النيابية ثلاث سنوات قابلة للتجديد حكم فيها البلاد حكما مطلقا ، يلح فى المطالبـة بعودة دستور ١٩٢٣ قبل الاتفاق ، على انهاء المشكلة المصرية البريطانية وكان قبل أيام يصر على أن الدستور يجىء بعد الاتفاق على حل المشكلة المصرية ، البريطانية .

***

اسماعيل صدقى باشا الذى قال ما لم يقله مالك فى الخمر ، عن دستور ١٩٢٣ ، والذى الغاه لأنه لا يصلح للبلاد ، واستبدل به دستورا آخر رأى

فيه الخير كل الخير للبلاد : اسماعيل صدقى يوقع على عريضة تطالب بعودة دستور ١٩٢٣ ، فورا ، وبدون ابطاء ، حتى مصطفى النحاس ، الذى كان يرفض باستمرار وجود تنظيم سياسى باسم الوفد ، السعدى ، ويرى فى حمد الباسل ورفاقه ، انهم منشقون عن الوفد ولا يمثلون الا أنفسهم ، مصطفى النحاس الذى رفض قبل ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ مئات المرات ، ان يلتقى فى مكان واحد بمن يمثل الوفد السعدى لأن الوفد ، المصرى كل لا يتجزأ ، ولأن الوفد المصرى هو وحده ، الذى يمثل سياسة ومبادىء سعد زغلول بعكس حمد الباسل باشا ، ورفاقه ، الذين لا حق لهم على الاطلاق فى أن يشكلوا حزبا باسم ، الوفد السعدى حتى ولا بأى اسم آخر ، مصطفى النحاس باشا ، يتراجع ، عن كل ما قاله فيمن كان يسميهم ساخرا حزب السبعة ونصف ــ حمد الباسل ورفاقه ــ ويقبل ان يضع توقيعه على عريضة تحمل توقيع حمد الباسل رئيس الوفد السعدى ويطول الأخذ والرد حول صيغة البلاغ الذي يجب ، أن يتقدم به الزعماء والقادة الى المندوب السامى ، البريطاني ويتفق الزعماء والقادة على النقاط ، الرئيسية التى يجب أن يحتوى عليها البلاغ ، كما يتفقون فى نفس الوقت على أن يحمل مصطفى النحاس باشا البلاغ الى المندوب السامى ، البريطانى ويتم اجتماع فى دار أحمد بك كامل ، واجتماع آخر فى نادى المحامين لاتمام كتابة البلاغ ويتوجه بمشروع البلاغ أحدهم الى دور الزعماء والقادة ليوقعوا عليه فى الوقت الذى كان فيه مصطفى النحاس مجتمعا بسير مايلز لامبسون ، المندوب السامى البريطانى ويصل الرسول ، الى دار المندوب السامى ومعه ، البلاغ موقعا عليه من كل الزعماء والقادة فيما عدا مصطفى النحاس ، الذى يوقع عليه ويسلمه الى المندوب السامى البريطانى والبلاغ فى مقدمته يتوجه الى حضرة صاحب الفخامة المندوب السامى لدولة بريطانيا العظمى ، ويشير فى البداية الى حرص المصريين على المطالبة بالاستقلال والى رغبتهم فى أن يتم الاتفاق بين مصر ، وانجلترا ، بتجديد علاقاتهما وحل المسائل ، المعلقة بينهما « وقد قوى أملهم فى اتمام الاتفاق حين انتهت مفاوضات الربيع فى سنة ١٩٣٠ الى نصوص رضيها الطرفان وأوشكا أن يوقعاها لولا خلاف حدث فى اللحظة الأخيرة أدى الى عدم وقوعها » .

★★★

ويشير بلاغ الجبهة الوطنية الى ان عدم اتمام الاتفاق ، بين مصر وبريطانيا يثير الاحتكاك من حين الى حين ولا شىء أحب الى مصر من أنى تتجنب كل سبب يدعوك الى هذا الاحتكاك ، الذى يفسد جو العلاقات بين الدولتين وعدم اتمامه ، يعوق تقدم مصر ، ويضع العقبات فى سبيل رقيها ، ويذكر البلاغ بعض الأمثلة ، على ذلك من بينها بقاء الامتيازات الأجنبية الذى يعتبر ماسا بسيادة مصر ويحول بينها ، وبين حق التشريع المالى وغير المالي ، الذي يسري ،

على المقيمين بمصر جميعا ، كما يشير البلاغ الى وجود ادارة أوروبية الى جانب ادارة الأمن العام المصرية ، والى حرمان البلاد من أن يكون لها قوة دفاع مصرية صالحة للذود عنها « وللمعاونة حليفتها » وكذلك حرمان مصر من الاشتراك فى الحلبة الدولية وعدم دخولها عصبة الأمم لتساهم بنصيبها مع دول العالم فى خدمة التقدم ، والسلام ، كما يشير البلاغ الى أن بقاء المسائل المعلقة بغير حل يؤدى ، الى عدم استقرار الحكم ، والطمأنينة في البلاد كما يؤدى في كثير من الأحيان الى اضطراب المرافق العامة اضطرابا شملت اثارة المصريين والأجانب ، المقيمين فى مصر على السواء ويشير البلاغ . الى أنه منذ بداية الأزمة الدولية ، التى نشأت عن نزاع ايطاليا والحبشة فى هذا العام ازداد المصريون يقينا بضرورة المسارعة الى عقد معاهدة مصرية ، بريطانية كما يشير ، البلاغ الى مشاركة مصر فى النزاع الايطالى الحبشى بتوقيع الجزاءات على ايطاليا بناء على دعوة من عصبة الأمم ، كما اتخذت بريطانيا اراضى مصر . ميدانا لاستعداداتها الحربية ، اتقاء للطوارىء وقامت الحكومة ، المصرية من جانبها بتمهيد كل ما تستطيع من اسباب الدفاع عن المواصلات وتهيئة الجيش ونقل وحداته الى الجبهات ، التى تقضيها الظروف ويتحدث البلاغ فى أكثر من فقرة ، عن أهمية عقد معاهدة بين مصر ، وبريطانيا ، كما يتحدث أيضا عن أهمية مشروع الاتفاق الذى وصل اليه الطرفان المصرى . والبريطانى فى ١٩٣٠ وكيف أنه « لو أن هذا الاتفاق ، أبرم ونفذ منذ سنة ١٩٣٠ لكان المصريون اليوم أكثر اقبالا على التعاون مع انجلترا بدافع من مصلحة وطنهم وتحقيقا لمحافتهم ولكانت مصر ، فى موقف يجعل تعاونا مع انجلترا ، أقوى أثرا ، مما هو الآن ، ويرجو الزعماء ، والقادة فى بلاغهم باعتبارهم ممثلين للشعب المصرى ، على اختلاف هيئاته وأحزابه السياسية ، أن يتفضل المندوب السامى البريطانى فيبلغ الحكومة البريطانية طلبهم ، بأن تصرح ــ أى الحكومة البريطانية ــ بقبولها ــ أى الحكومة البريطانية ــ ابرام معاهدة بينها وبين حكومة مصر ، الدستورية بالنصوص التى انتهت اليها مفاوضات هندرسون النحاس وان تحل المسائل التى لم يكن قد تناولها الحل فى المفاوضات ، المذكورة بالروح الوطنية التى سدات تلك المفاوضات .

***

ويوقع على البلاغ الموجه الى المندوب السامى البريطانى . مصطفى النحاس اسماعيل صدقى ، حمد الباسل ، يحيى ابراهيم ، عبد الفتاح يحيى ، حافظ عفيفى .

ولا يوقع على البلاغ حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى لأن الحزب الوطنى يعارض ــ منذ بداية انشائه ــ عقد معاهدة بين مصر ، وبريطانيا .

الفصـــل الثـــانى

القضـاة يدافعـون عن اسـتقلال القضـاء

ويرحب الزعماء ، والقادة بما انتهـوا اليه من خطوات قومية ، ويتجه صدقي باشا ، بنفسه الى بيت الأمة ولشدة الزحام ، لا يتمكن من الوصول الى بيت الأمة ، فيبعث مع الأستاذ محمود رشيد ، ببطاقة الى صـاحبة العصـمة السيدة الجليلة ، أم المصريين مهنئا ، أياها بتأليف الجبهة الوطنية مع تحياته واحتراماته وكذلك يتوجه الغرابلى باشا : أحد الأعضاء الذين فصلهم الوفد ، المصرى الى بيت الأمة ليقابل هو ، وعبد الحميد سليمان باشا دولة مصطفى النحاس باشا ويتوجه مصطفى النحـاس الى الجماهير الغفيرة التى اتجهت الى بيت الأمة بكلمات ، يهنىء فيها الشعب بدسـتوره الذى أجمعت الأمة على أسترداده كاملا ، غير منقوص ويتوجه بشكر خاص ، خالص الى الطلبة الذين قاموا بالبناء الأكبر فى هذه النهضة المباركة فاجتمعت حوله الأمة بسائر طبقاتها وكان من أثر ذلك تلك البوادر العظيمة بوادر النصر فى استعادة دستور الأمة وفى تحقيق استقلال البلاد كاملا ٠ ويهتف باسم الملك الدستورى وباسم الملك الشعبى وبينما الزعماء والقادة منهمـكون فى اعداد عريضـتهم الى الملك ، و « بلاغهم » الى المنـدوب السـامى ، كانت البـلاد ، فى حـالة فـوران لا مثيل لها : قوات البوليس ـ مثـلا ـ لم يخل منهـا شارع أو ميـدان فقـد أخذ ـ كما تقول الصـحف الصـادرة يومئذ ـ المشروفون عليهـا يوزعونهـا أدق توزيع ، تعرفه نظم الحرب ، ويألفـه المتجهون الى ميـادين القتال وكانت هـذه القوات البوليسية على مألوف عهـدها بقبض أفرادها بأيديهم على البنادق ، أو العصى ،ويتشحون على رءوسهم بالخوذات ، ويقودهم ، طائفة من الضباط ، الذين وكل اليهم توزيع هذه القوات الهائلة ، والاشراف عليها وقد كانت هذه القوات الموزعة ، على أفواه الشوارع ومسالك الميادين ، كانت تكفى وحدها لتأدية ما يريد الذين وزعوها ، وأحكموا توزيعها ان تؤديه ،

★★★

ولكن حكمدارية العاصمة رأت أن تبالغ فى التهويل ، مبالغة هائلة حين أخذت تحشد جنود البوليس فى سيارات اللورى لتطوف بهم فى الشوارع نذيرا من أبشع النذر ، وأكثرها قسوة وقد بقى الجيش المصرى حريصا على المساهمة بنصيبه فى الميدان ، الذى كان البوليس الى أيام معدودات ينفرد به انفرادا فهذه الكتيبة التى احتلت كلية التجارة وصيرتها الى قاعدة حربية قد خرجت عن ثكنتها الجديدة فى الصباح وراح أفرادها ، يطوفون بسياراتهم الكبيرة ، فى العاصمة ، وتجاوزت قوات البوليس أبعد مدى من الكثرة فى هذه المنطقة التى ينظر المشرفون على توزيع البوليس اليها نظرة خاصة وهى المنطقة التى تبدأ من ميدان الاسماعيلية وتنتهى الى مستشفى قصر العينى ٠

★★★

فالبوليس يذكر لهذه المنطقة كثير خطرها ، وموفور ما ازدحم عليها من حوادث ومن أجل ذلك كثرت قواته كثرة هائلة وكان توزيعها على أدق نظام ، حتى أصبحت هذه المنطقة محتلة احتلالا ، عسكريا هائلا ومع هذا فان العاصمة بقيت تزدحم شوارعها بالمظاهرات ازدحاما لم يخل شبر واحد من تسجيل هتاف المتظاهرين لمصر وحريتها واستقلالها التام ولم تكن المظاهرات تملأ شوارع القاهرة ، والاسكندرية ، وطنطا والزقازيق ، وأسيوط ، وغيرها ، وغيرها من المدن الكبرى وحسب وانما امتدت الى المراكز ، والقرى ؛ قرأت مثلا عن مظاهرات قامت فى صالحجر « غربية » اشترك فيها الشيخ محمد يوسف فايد ، والشيخ أحمد الدربى ، ومحمود محمد فايد ، وقرأت عن اجتماع شباب المنزلة ، وتأييدهم الجبهة الوطنية واستنكارهم تدخل الانجليز فى شئون مصر الداخلية ، واحتجاجهم على الصحف البريطانية لما لغطت به من هراء نحو القضاء المصرى ، ونحو القضاة المصريين ، ومقاطعتهم البضائع الانجليزية بطريقة جدية ، عملية ، ووقع على قرارات شباب المنزلة : زكى السودة ، رأفت جلباية « كلية الحقوق » على السودة « كلية التجارة » أحمد السقطى فؤاد رحمو « دار العلوم العليا » ، أنور الشيلى ، عبد المنعم شحاته « الفنون والصناعة » محمد سويدان ، محمد عنبر ، أحمد صقر « الأزهر الشريف » عبد الغفار حمزة حكيم عزيز ، الدسوقى عبد الجواد « المدارس الثانوية » محمد محمود العريان « المدارس الصناعية » وقد اعتقل البوليس فى يوم واحد « ١٢ ديسمبر » ٨٠ طالبا فى بنى سويف ، وكان البوليس يقتحم المنازل ، ويقبض على من فيها من الطلبة وقد استمرت عملية القبض على الابرياء حتى منتصف الليل ، واستخدم البوليس وسائل العنف والضرب والاهانة والأذى بكل ألوانه ، وأنواعه الأمر الذى دعا الأهالى الى الشكوى المرة ، من تصرفات البوليس ، الى النيابة ، وكان يشرف على التحقيق الاستاذ ثابت بك ثروت رئيس النيابة وكانت لجنة الدفاع عن الطلبة المعتقلين قد شكلت من الأساتذة على كمال حبيشة بك ،

وقسطندى برسوم ، وعبد العال محمود ، وزكى شعيب المحامين وكان من بين المعتقلين نجلا سعادة على اسلام باشا ، وأنجال محمد بك على سليمان والشيخ تهامى معارف وعباس أفندى كرم ، ولم يسمح رئيس النيابة للصحفيين بحضور التحقيق والجدير بالذكر • ان عبد العزيز باشا فهمى رئيس محكمة النقض والابرام كان قد قرأ فى جريدة الأهرام ان حضرة صاحب السعادة حكمدار البوليس قد أرسل منشورا الى أقسام البوليس جاء فيه أن حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء قد أطلق يد البوليس ، فى قمع المظاهرات مع ضمان التعضيد الكلى من جهة المحاكم ، ويكتب عبد العزيز فهمى باشا خطابا الى وزير الحقانية يقول فيه : ان اطلاق يد البوليس فى قمع المظاهرات بلا شبهة من حق دولة رئيس الحكومة ، بل من واجبه لان قوانين البلاد يجب احترامها وتنفيذها على الوجه الأكمل الذى يستقر به النظام ، وأما ضمان التعضيد الكلى من جهة المحاكم فانها عبارة لم نتبين المراد منها تماما فان كان المراد بها أن القضاء مستعد دائما للعمل بما توجبه القوانين الموضوعة لاستتباب الأمن والنظام ، وان هذا الاستعداد مضمون دائما وفيه بطريق اللزوم ، التعضيد الكلى للبوليس واعانته على القيام بواجبه ، فان هذا المراد يكون مرادا حقا سليما لا غبار عليه اما ان كان المراد بتلك الجملة أن القضاء لم يكن فى عمله من قبل ما يشجع رجال البوليس على القيام بواجباتهم القانونية وان دولة رئيس الحكومة ضمن تعديل القضاء لخطته ، فان هذا المراد الذى يتبادر أيضا من هذه العبارة المذكورة ، يكون مرادا خارجا عن سلطة مريده ولا تقبله كرامة القضاء ، ويطلب عبد العزيز فهمى باشا رئيس محكمة النقض والابرام من وزير الحقانية ، ان يطلب الى من يلزم بيان حقيقة المراد من تلك العبارة ، وأرجو — هكذا قال عبد العزيز فهمى باشا — ألا يكون المراد بها غير المعنى الأول » •

***

ويرد وزير الحقانية على رئيس محكمة النقض والابرام قائلا : تسلمت كتاب سعادتكم الخاص بمنشور سعادة حكمدار القاهرة ، الى ضباطه فطلبت من وزارة الداخلية ان تبعث الى بهذا المنشور وفهمت منه ما قدرتموه فى فرضكم الأول من أن المقصود به هو استعداد القضاء دائما للعمل بما توجبه القوانين لاستتباب الأمن والنظام وقد اتصلت مع ذلك بحكمدار القاهرة فأكد لى أنه لم يقصد غير هذا المعنى وانه بعيد عن التفكير فيما يمس استقلال القضاء وكرامته •• » •

وهكذا كان رجال القضاء ، كبارا يدافعون عن استقلال القضاء ، حتى لا تمتد اليه يد معتد آثم ، أو حتى لا يفكر احد فى النيل منه تماما مثلما كان رجال الجامعة ، رجالا كبارا • يدافعون عن استقلال الجامعة • ويرفضون أى

تدخل فى شئونها ، ولو كان هذا التدخل من قبل — مجلس الوزراء الذى يوجد ضمن أعضائه وزير المعارف الرئيس الأعلى للجامعة .

***

والجدير بالذكر أيضا أن المحاكم التى كان يحاكم بها الشباب كانت تبدو أشبه بالثكنات الحربية حيث ترابط داخلها ومن حولها قوات بلوك الخفر ، المسلحة وما أكثر المعارك التى نشبت حتى فى داخل المحاكم بل وأثناء انعقاد الجلسات بين المتهمين ورجال البوليس الموجودين داخل الجلسات وفى قضية مظاهرة المنيل التى أصيب فيها الاميرالاى لوكاس بك مساعد الحكمدار بفرقة ب اصابة خطيرة وكان أحد المصابين ابراهيم أفندى رشاد قد أصيب فى عينه اصابة خطيرة فلما سئل عن ظروف اصابته قال : ان رسل باشا حكمدار البوليس ضربه بعصاه كما ضرب غيره من المتهمين عند القبض عليهم وذلك أمام أحد وكلاء النيابة .

وقد وقف الأستاذ صبرى أبو علم يترافع عن المتهمين ، وكان من بين ما قاله : شارك مدير الجامعة وعمداؤها الطلبة فى شعورهم الوطنى وبين هؤلاء العمداء ، عميد أجنبى نزل يحيى هذا الشعور النبيل وخلع قبعته احتراما وتحية .

***

المدير والعمداء اشتركوا مع الطلبة فى ازاحة الستار عن النصب التذكارى فعلى النيابة أن تجىء بالمدير والعمداء وتحشرهم عدا فى هذا القفص ووسط مرافعة الأستاذ صبرى أبو علم قال الأستاذ محمد كامل البندارى : خرجوا شوية عساكر علشان يخففوا الزحمة : عاوزين نتنفس ! وأصدر القاضى حكمه بتسليم حسام الدين ثابت والسيد عبد الفتاح ومعتمد عبد العزيز وشوقى عبد الرحيم لذويهم لحداثة سنهم وتجديد حبس محمد على عوض الله أربعة عشر يوما ، والافراج بكفالة عن كثير من المتهمين و .. و ..

***

وقد نجحت مقاومة الشعب فأعادت دستور ١٩٢٣ على النحو الذى نفصله فى الفصل التالى :

الفصل الثالث

العودة الى دستور ١٩٢٣

كان هذا يجرى في مصر ، فماذا كان رأى الانجليز في كل الذى يجرى في مصر ؟

● اهتمت الصحف البريطانية الى أبعد الحدود بالعريضة التى رفعتها الأحزاب الى الملك مطالبة بدستور ١٩٢٣ ، وكذلك بلاغ الأحزاب السياسية الممثلة فى الجبهة الوطنية الى المندوب السامى البريطانى بخصوص : مطالبة الحكومة البريطانية ، باعلان موافقتها على التفاوض مع مصر ، لوضع حل للمشكلة المصرية ـ البريطانية على أساس مشروع اتفاق النحاس ـ هندرسون ، والذى كان قد توصل اليه الجانبان المصرى ، والبريطانى فى عام ١٩٣٠ .

وكان مما نشرته جريدة « التيمس » البريطانية ، ان مقابلة نسيم باشا ، للمندوب السامى ، جعلت الصحف المصرية تقرر القول ، بأن استقالة الوزارة راجعة الى ان نصيحة الحكومة البريطانية ضد دستور ١٩٢٣ ، على انه لا يوجد من الأسباب ما يؤيد هذا الحدث والاحتمال والمرجح هو أن نسيم باشا ، اقتنع بأن من المرغوب فيه الآن وجود شخص آخر على رأس الوزارة ، وقد كان فى اتحاد الأحزاب فجأة على خطة واحدة ، عنصر جديد يسوغ لنسيم باشا ، ان يقدم استقالته .

وتقول التيمس البريطانية : أما مسألة وجود خلف لنسيم باشا ، فلا تزال فى مكانها من الخطورة ، على ان الضرورة تحتم قيام حكومة قوية اذا كان من المرغوب فيه الا تتطور الحالة وتنتهى بنتائج جديدة تنجم عن الاضطرابات .

وتشير صحيفه « المورننج بوست » الى أن على ماهر باشا سيتولى تأليف الوزارة القادمة ، وان من بين أعضائها حسن صبرى بك ، ومحمود شاكر بك

« هذه هى المرة الأولى التى يشار فيها الى احتمال تولى على ماهر باشا » رئاسة الوزارة » ٠

★★★

وأشارت « التيمس » وهى تتحدث عن الأحوال الحاضرة فى مصر — الى أن أول ثمرة للاتحاد الذى جاء فجأة هو استقرار رأى نسيم باشا على الاستقالة ، ولقد كان مركز نسيم باشا عسيرا بعد أن تحول جلالة الملك الى دستور ١٩٢٣ ، وانه الآن أشد ، عسرا بسبب ما تركه جمود السياسة البريطانية من آثار نفسية ان مشروع معاهدة ١٩٣٠ لم يوقع الخلاف على مسألة السودان ، وان مواده العسكرية غير ملائمة للظروف الحاضرة فى البحر الأبيض المتوسط ، وقد جاءت الحوادث الأخيرة معززة للانتقاد الموجه الى فكرة نقل الجنود البريطانيين ، الى منطقة القناة ، وينحصر هذا الانتقاد فى أن ذلك النقل سيكشف حدود مصر الغربية ، ويحق لنا أن نعتقد بأن الزعماء ، المصريين الذين اتحدوا على المطالبة بتوقيع معاهدة سنة ١٩٣٠ يدركون معنى الالحاح فى وجود مشروع تقضى كل مادة فيه على نفسها بنفسها ولا يمكنهم ان يأملوا فى انتظار تعهد من الحكومة البريطانية بالمفاوضة فى الوقت الذى يجدونها فيه مشغولة بأزمة دولية أو أن تسمح لهياج الطلبة أن يؤثر فيها ، ولا ريب ان من الممكن اتخاذ حلول بكل حكمة ترضى الأمانى المصرية المعقولة ومثال ذلك عقد محالفة عسكرية دفاعية بين انجلترا ومصر ؛ تؤكد التعاون البريطانى المصرى ولا ندرى ، لماذا تعجل الحكومة البريطانية ، مع تعذر حل مسألة امتيازات الأجانب ، بالتنازل عن هذه الامتيازات القديمة مقابل عقد اتفاق ، تلتزم الدول بمراعاته على ألا يمس هذا الاتفاق الحالة ٠٠ الا بعد أن تنسج الدول الأخرى على منوال انجلترا ، اعتقد حلا كهذا ، يبدد ما ظهر من غيوم فى الجو المصرى ٠

★★★

ويقول مراسل « روتر » فى القاهرة : ان الجبهة الوطنية المتحدة من الوفديين والأحرار الدستوريين قرروا الموافقة على معاهدة سنة ١٩٣٠ التى تشترط ان تتحمل بريطانيا الدفاع عن مصر ، ورعاية شئون الأجانب والأقليات وان معاهدة سنة ١٩٣٠ لذات أهمية خاصة بالنسبة للازمة الدولية الحاضرة ، واعتبار الاسكندرية قاعدة للاسطول البريطانى فى البحر الأبيض المتوسط وقوات الجيش الايطالى المحتشدة فى ليبيا وتنص هذه المواد على انسحاب الجيش الانجليزى من منطقة قنال السويس ٠

وتقول جريدة « الديلى ميل » كان لا بد للملك من مهلة للتفكير وقد رددت بعض الدوائر ، انه يتمهل ليحصل من الوفد على بيان نهائى يشرح فى المستقبل قبل اذاعة البيان الخاص ، باصدار الدستور : أن الموقف الرسمى البريطانى

أزاء حالة مصر ، هو انها لا يمكنها التدخل فى شئون مصر الداخلية ، ولكنها تبدى أسفها فى الوقت نفسه لعمل مثل اعادة دستور سنة ١٩٢٣ الذى عطل قبل ذلك مرات ومن حقها ان تنظر الى الحالة نظرة انزعاج ولكن موقفها سيظل على حاله دون تغيير وهى على استعداد لأن تستأنف المفاوضات قريبا » .

وقالت جريدة « الديلى هيرالد » : ان السير صمويل هور ليس بالرجل الذى يصلح لمعالجة المشكلة المصرية أو المشكلة الحبشية ، انه رجل فاشل ، وليس فى استطاعتنا تحمل فشله وهو يتصرف فى الشئون الخارجية ..

وفى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ رفع توفيق نسيم باشا الى الملك رسالة قال فيها :

***

«قد ظهر الحق ووضح الخفاء وجاء تصريح الحكومة البريطانية الأخير على لسان وزير خارجيتها بأن ما سبقه من التصريح بشأن دستور مصر كان نصيحة أبديت على حسن نية وسلامة وطيبة بناء على الاستشارة واستطلاع الرأى ، ولكن ولسوء الحظ اسىء فهمها فأدى ذلك الى فورة غضب صونا للحق ، واحتفاظا به وهى لا تلبث أن تهدأ وتستقيم الأمور فى نصابها ، وبعد ان تغير الحكومة الانكليزية تقاليدها وسيرتها خصوصا مع دولة صديقة يربطهـا بهـا اشتراك المصالح وتبادل حسن القصد ، والمنفعة .

***

« وأصبح من حق الملك والشعب ان يرجع اليهما فى وضـع الدستور بمقتضى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، الذى دعمه وأيده تصريح السير صمويل هور وزير خارجية انكلترا الذى قرر فى خطبته الأخيرة بتاريخ ٥ ديسمبر الجارى بالبرلمان الانكليزى ان أمر الدستور متروك لمصر ، وانه لم يقصد فيما قال لا املاء شىء ولا الزاما بأمر ولقد أخذت الحكومة للأمر عدته ، بناء على ما أبدته أغلبية الأمة من الرغبة فى دستور سنة ١٩٢٣ فطلبت من جلالتكم اعادة هذا الدستور فى كتابها بتاريخ ١٧ ابريل ١٩٣٥ ووافقتم جلالتكم فى ردكم ٢٠ ابريل سنة ١٩٣٥ على ذلك وبعد مباحثات طويلة بيننا وبين المندوب السامى أوشكت ان تنتهى على أساس هذه العودة ، قبل ان يأتى تصريح السير صمويل هور الأخير ، بأيام هذا التصريح الذى قرر هذا الحق ، مؤيدا ومدعما ، لتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ : فالحكومة المصرية تقرر من الآن عودة دستور سنة ١٩٢٣ ملتمسة من جلالتكم اصدار الأمر الملكى القاضى بذلك ، وهى بحمد الله الذى وفقها الى اعلان ذلك بعد المجهودات التى بذلتها فى هذا السبيل ، وكل من ساعدها على نيله ، وانه لمن دواعى الغبطة والسرور ان يتم فى القريب العاجل

الاتفاق المأمول بين بريطانيا العظمى ومصر ، الدولتين اللتين تجمعهما المصلحة المشتركة وتربطهما من زمن روابط الصفاء والمودة تحقيقا لمستقبل سعيد يعود علينا بالخير العميم والنفع العظيم ، وبذلك نكون قد قمنا بالواجب علينا ووفينا بعهدنا « للبلاد » . ان العهد كان مسئولا ، وتكون أرضينا الحق والضمير وكذلك وفقنا الى ارضاء كل الأمانى ورغبات البلاد وصح ان نقول خاتمين : « مات الدستور ليحيا الدستور وانى لجلالتكم العبد الخاضع والمخلص الأمين » .

***

ويصدر الملك أحمد فؤاد الأمر الملكى رقم ١١٨ لسنة ١٩٣٥ الذى أعاد العمل بدستور سنة ١٩٢٣ .

وقد وقع الملك على هذا الأمر ، ووقع بعده على الأمر الملكى محمد توفيق نسيم رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية وعبد العزيز محمد وزير الأوقاف ، وكامل ابراهيم وزير الزراعة ، وأمين أنيس وزير الحقانية ، وأحمد عبد الوهاب وزير المالية ، وعبد العزيز عزت وزير الخارجية ، ومحمد توفيق عبد الله وزير الحربية والبحرية ، وعبد المجيد عمر وزير الأشغال العمومية والمواصلات ، وأحمد نجيب الهلالى وزير المعارف العمومية والتجارة والصناعة .. » .

***

والغريب ، انه بعد ان وقع الملك أحمد فؤاد الأمر الملكى باعادة دستور ١٩٢٣ صرح توفيق نسيم باشا ، بتصريح غريب قال فيه :

« اننا بعد تقديم الشكر لله تعالى على تتويجه جهودنا الطويله بالنجاح ، وبعد اعرابنا عن شكرنا واخلاصنا لجلالة الملك المعظم نحيى حسن النية والبادرة اللتين أظهرتهما الحكومة البريطانية بسعيها لازالة سوء التفاهم الذى أحدثته فى مصر مع الأسف تصريحات السير صمويل هور التى القاها عن غير قصد وبحسن نية فى الجيلدهول » .

ثم يقول رئيس وزراء مصر :

« ولا يفوتنا ان نشكر بوجه خاص سعادة السير مايلز لامبسون السفير البريطانى من أجل ما أظهره أثناء مفاوضاتنا الطويلة على الأخص خلال شهرى نوفمبر وديسمبر من تقدير صحيح للموقف حتى أوشكت ان تنتهى المفاوضات على أساس عودة دستور ١٩٢٣ ، قبل تصريح السير صمويل هور الأخير » .

ويهيب رئيس الوزارة المصرية — فى الختام — بالشعب المصرى كافة صغاره وكباره ولا سيما بالطلبة ان ينصرف كل الى عمله ودروسه ويترك للحكومة مهمة تنفيذ الدستور راجين ان يكون العهد الجديد الذى يبدأ اليوم عهد خير وسلام ، للبلاد » .

ويقول مصطفى النحاس عن عودة دستور ١٩٢٣ : هذا اليوم هو عيد الأمة لأنه يوم نصر لها فى جهادها ، اليوم اذ يعود الى الأمة دستورها يحق لكل مصرى أن يسر لتلك الثمرة الأولى من ثمار جهاد الأمة ، وواجب الوزارة الآن ان تسرع فى اجراء الانتخابات لكى تيسر للأمة ممثلة فى نوابها وشيوخها ان تختار الحكومة الدستورية التى تتولى توقيع المعاهدة ·

ويقول محمد محمود : ان الدستور مطلوب ولكنه يجب ان يقرن بالاستقلال والسيادة والكرامة والحرية تتمثل جميعها فى الاستقلال ، والدستور يظهر سلطة الأمة فى الداخل ، وعنوان الحكم ، ولا تظنوا – كان محمد محمود يخاطب حوالى خمسين طالبا من طلاب الجامعة كانوا قد قاموا بزيارته – اننا نمتنع عن دخول الانتخابات اذا جاء وقتها وانما ندخلها ونحن نضمر قبل دخولها ، وفى حلبتها ، وبعد استوائنا فى مقاعدنا النيابية نضمر السعى ، الى الاستقلال وابرام المعاهدة المحدودة لعلاقاتنا بالانجليز ونحن من الآن نتخلى ومستعدون دائما للتخلى عن مظاهر الحكم والنيابة معا ، اذا تحققت آمال الأمة فى الاستقلال · وليوقع المعاهدة من يوقع ، فالمطلب الاسمى هو الاستقلال ، وأمامكم تشيكوسلوفاكيا فقد جاء الرئيس مازايك من أمريكا ووقع معاهدة فرساى ، وذهب الى بلاده يحمل وثيقة الاستقلال قبل ان يقوم فيها دستور ، أو يتقرر نظام للحكم » ·

***

وقال د· محمود عزمى تحت عنوان « عاد الدستور وكأنه لم يعد : » ·

« نسيم باشا يجعل للانجليز الحق الأول فى منحه وفى منعه » ويقول د· محمود عزمى مضيفا : هذه هى المرة الأولى التى نذكر ان رئيس وزارة مصرية قد اجترأ فيها على ان يضمن كتابا مرفوعا الى حضرة صاحب الجلالة ملك مصر ، بصدد النظام الدستورى المصرى مثل تلك العبارات المستندة الى أحاديثه مع المندوب السامى البريطانى والى تصريحات يدلى بها وزير الخارجية البريطانية – هكذا كان يكتب د· عزمى ، التاء فى بريطانيا بدلا من الطاء – فى خطبة انتخابه أو فى بيانه لمجلس العموم البريطانى ! واذن فنسيم باشا لا يتورع عن جعل الحق الأول فى منح الدستور لمصر ، ومنعه عنها للانجليز ووزارة خارجيتها ودار مندوبها السامى ، ولا يتورع عن تضمين هذا البهتان الماس بكرامة مصر ، والمعتدى على سيادتها وثيقة من أخطر الوثائق الرسمية ، للدولة المصرية ، التى ابتليت بتوليه رياسة حكومتها فى هذه الأوقات العصيبة : وبعد فقد كانت الدلالات كلها منذ أذيع الأمر ، الملكى باعادة دستور ١٩٢٣ اعادة نظرية واذيع معه كتاب نسيم باشا لجلالة الملك ناطقة باستمرار خيبة أمل البلاد فى نسيم باشا ووزارته ، وناطقة بعدم انزلاق الأمة الى الانخداع ، بهذه المظاهر ، التى

يحسبها صاحب دولة هذا الزمان انها معينة له ، ومعينة للانجليز معه على بقائه فى الحكم واستمراره الى ان يتم واجبه الذى فرض على نفسه فيه ان يسلم للانجليز ما بقى ـ من حقوق ومرافق وله فى هذا المضمار سابقة مشهورة هى سابقة حذف السودان من لقب الملك فى الدستور » .

***

وتحت عنوان « أضاع الاستقلال ، وجلل الأمة بالهزيمة فى يوم نصرها » كتب الأستاذ عباس محمود العقاد يقول :

« ماذا استفدنا من دستور يعيده توفيق نسيم على هـذا النمط ، الا تضييع الاستقلال وافساد الأمر كله على الأمة فى يوم نصرها واجتماع رأيها ، واقتراب رجائها .

« أكان حراما على نسيم باشا أن تمر به هذه الفرصة دون أن ينتفع بها الانجليز أكبر انتفاع يتوقون اليه ودون ان تخسر فيها القضية المصرية أكبر خسارة تخشاها ؟ ماذا كان على الرجل لو انه قال انه يطلب الدستور لأن الموانع قد زالت من طريق الدستور ؟ ماذا كان عليه لو انه قال ان الدستور من حق الملك والشعب ولهذا يطلبه وقد حان أوانه من الملك باسم شعبه » .

ويقول ، العقاد مخاطبا نسيم باشا رئيس مجلس الوزراء :

« يا نسيم باشا ، يرحمك الله دع البلاد وشأنها ودع دستورها واستقلالها ودع اتفاقها واختلافها ، فحسبها وحسبك ، ما جنيت عليها وحسبها وحسبك ما أفسدت من حاضر جهادها ، وسابق سعيها .. ومقبل رجائها : انك لا تخطو خطوة ، ولا تقول كلمة الا وفيها ضياع لحق ، واعتراف بعدوان فكفى ما صنعت للانجليز : كفى ما صنعت بمصر كفى ما أفسدت من أمور يعييها الاصـلاح استترح ، وارحنا يرحمك الله ، فان كثيرا على رجل واحد ان ينكب البلاد كما نكبتها فى عام ، وبعض عام » .

***

ولا تتوقف المظاهرات وانما تزداد قوة ، وعنفا . وكل ما فعلته وزارة توفيق نسيم باشا لتهدئة ، الحالة ، انها رفعت الحصار عن بيت الأمة ! وان النيابة العامة بدأت تفرج عن بعض المتهمين وقد اجتمعت لجنة الطلبة التنفيذية للمدارس ، الخصوصية والثانوية فى ١٥ ديسمبر وقررت تهنئة الأمة ، بعودة دستور ١٩٢٣ وعدم الاكتفاء بعودة الدستور ومواصلة الجهاد ، وبث الدعوة فى أفراد الشعب حتى تنال الأمة الاستقلال التام لمصر والسودان ، الثقة التامة بالجبهة الوطنيـة لتحـذير الأمة من الدسائس الاستعمارية ـ مطالبة رئيس الوزراء بالغاء القوانين الاستثنائية التى صـدرت فى عهـد وقف الدستور ،

والافراج عن المحكوم عليهم فى الحركة الوطنية الأخيرة وانتداب وفد من اللجنة لمقابلة وزير المعارف ومطالبته باعادة الطلبة المفصولين — مقاطعة التجارة الانجليزية بطريقة عملية ، الاشتراك مع لجنة الطلبة العليا فى تأبين الشهداء ٠

وقد كان أعضاء اللجنة الذين وقعوا هذه القرارات : محمود التونى ، أحمد السيسى ، عبد المنعم عبد الرحمن ، عبد الوهاب حسنى ، السيد عبد الغنى زكى ، محمد محمود السبع ، جمال عبد الناصر ، حسين وصفى النشار ، حسنين محمد حسنين حمادة ، رجائى كامل ، محمد على الشنتناوى ، فريد أحمد راشد ، عبد الحميد محمد ، محمد عبد الحميد سالم ، أحمد فؤاد ، محمد أحمد الراغب ، صلاح أحمد عبد الله ، أحمد الشافعى ، أحمد حسين ، حسن علاء الدين ، سليم بباوى ، عبد الحى اسماعيل ، ابراهيم لطفى ، حسن محمد عبد الرحمن ٠

***

واجتمعت الجبهة الوطنية فى ١٥ ديسمبر بحضور : مصطفى النحاس محمد محمود ، اسماعيل صدقى ، على الشمسى ، حمد الباسل ، حلمى عيسى ، حافظ رمضان ، عبد الرحمن الرافعى ، الدكتور أحمد ماهر ، وحافظ عفيفى ٠٠ وقررت مطالبة الوزارة ، باصدار قانون الانتخاب ، والغاء القوانين الاستثنائية واقترحوا على الوزارة ان تستقيل اذا لم يتم تنفيذ ذلك خلال ثمان وأربعين ساعة ٠

وعادت الوزارة بعد اشتداد المظاهرات الى محاصرة الأندية مثل نادى المحامين ، ونادى العمال ٠ ولوحظ أن مظاهرات الطالبات قد شملت جميع المدارس الثانوية ٠ وكانت مظاهرات المطالبات فى هذه المرة بل ولأول مرة ، تمر بدور الأحزاب وتطلب من الزعماء والقادة أن يتحدثوا اليهن ، وقد حيا فيهن اسماعيل صدقى شباب الأمة اليقظ وأبدى فرحته الكبيرة بعودة دستور ١٩٢٣ ، الذى كان قد الغاه دولته فى سنة ١٩٣٠ ودعت جمعية مصر الفتاة الى تجنيد جيش المقاطعة ومهمة جنود هذا الجيش الامتناع عن مشترى بضائع العدو ، وان ينصحوا غيرهم باتباع هذا السبيل !

والجدير بالذكر ، ان النحاس باشا قد توجه الى الطلبة بضرورة الكف عن الاضطرابات بعد أن طلب الى نسيم باشا أن يستخدم جميع ما لديه من نفوذ ، فى منع تكرار المشاغبات فى الشوارع ، وأن المندوب السامى البريطانى

طلب من نسيم باشا ، أن تتخذ الحكومة المصرية التدابير اللازمة لحماية الأجانب والجنود البريطانيين من اعتداءات الطلبة ٠

***

وفى ١٦ ديسمبر ١٩٣٥ أصدرت محكمة النقض والابرام حكمها فى قضية شعبان أفندى حافظ ـ وكانت من القضايا التى أثارت انتباه الجماهير ـ وهو يقضى بنقض حكم البراءة المطعون فيه من النيابة ، واعتبار ما وقع شروعا فى ترويج مذهب يرمى الى تغيير مبادىء الدستور الأساسية ، ومعاقبة المتهم بالحبس مع الشغل ثلاث سنوات ٠

وقد أصدرت لجنة الطلبة التنفيذية بيانا وايضاحا الى الأمة أكدت فيه على أن أهدافها من ثورتها كان : الحصول على الدستور كجزء من الاستقلال ، ولا يغنى عنه تحقيق الاستقلال ، والمطالبة بابرام المعاهدة فى غير ابطاء ، وقد أقسمنا على ألا نهدأ ، أو نلين حتى نحصل على الغايتين معا ٠

***

ويقول البيان : ومما لا شك فيه ان الفضل فى اعادة دستور ١٩٢٣ باعتراف الجميع راجع الى الشباب فهم الذين ضحوا ، وهم الذين بذلوا ٠ وهم الذين عملوا على توحيد الأمة ، وهم الذين زحزحوا الوزارة من موقعها ٠ ووصف البيان والايضاح موقف الوزارة من الحركة بأنه موقف لا يحبه مصرى لوطنه ، ولا يرتضيه فقد قاومت الحركة الوطنية بقوة الرصاص فقتل من قتل من شباب الأمة البواسل بغير ما داع وانتهكت فى جرأة عجيبة حرمات البلاد الأساسية بان :

● اعتدت على استقلال الجامعة ، واستقلال القضاء ـ ملأت السجون بالطلبة والعمال ، ولا ذنب لهم ، الا تعبيرهم عن مطالب بلادهم ـ اعتدت على حرمة المنازل والدور ، كما اعتدت على حرية الصحافة وأبقت القوانين الشاذة معمولا بها ، ولم تحاول الغاءها وكرر الشباب العهد بأنهم مستمرون فى حركتهم ، مستهينون بأية تضحية فاتحون صدورهم لأى أذى ما دام كفاحهم فى سبيل الاستقلال التام حتى يحصلوا عليه ، وترجو لجنة الطلبة التنفيذية بوصفها الممثلة للشباب المصرى من الشعب المصرى أن يشاطرهم كفاحهم ، ويلحوا عليه فى أن تكون مظاهراته بعيدة عن التخريب والاعتداء بكل أنواعه ، ويوقع على البيان :

● كلية الطب : نور الدين طراف ، أحمد عبد الله ، ابراهيم عبود ، قاسم فرحات ، أعضاء اتحاد : عبد اللطيف جوهر ، حسنى العامرى ٠

● كلية الآداب : مصطفى السعدنى ـ عضو اتحاد ـ طلعت خالد ، سامى ناشد ، عثمان عسل ، محمود يوسف رضوان ٠

● كلية الحقوق : الظاهر حسن ، أحمد عبد العزيز الشوربجى ـ عضوا اتحاد ـ محمد حسن حمزة ، طاهر نعمان ، محمد أبو بكر الهوارى ، مراد يس ، أحمد شرف الدين ، خليل جمال الدين ، عبد الغفار متولى ، محمود فهمى ، أبو غدير ، حمادة الناحل ٠

● كلية الهندسة : جلال الدين الحمامصى ، ابراهيم عثمان ، مصطفى السعيد ، أعضاء اتحاد ، عز الدين كامل ٠

● كلية الزراعة : حسين الابيارى ، أحمد الدمرداش التونى ـ عضوا اتحاد ـ عبد المقصود عزت ، حسين حلمى ، فؤاد على ، محمد محمد سرحان ٠

● كلية التجارة : عبد الله بغدادى أباظة « عضو اتحاد » ابراهيم الدسوقى ، أحمد حلمى ، أحمد شلبى ٠

● دار العلوم : محمد برهسام ، أحمد محيى الدين ، سعيد العجان ، سليمان النمكى ٠

● الفنون التطبيقية ، أنور الصدر ، محمود قدرى ٠

★★★

ووسط ذلك الغليان العنيف يقع اعتداء على جندى بريطانى واحد فاذا بالصحف البريطانية تعلن ثورتها على مصر ، وعلى حكومة مصر ، واذا بالسير مايلز لامبسون المندوب السامى البريطانى فى مصر ، يقدم احتجاجا عنيف اللهجة الى رئيس الوزارة المصرية ، بسبب محاولة الاعتداء على جندى بريطانى واحد بينما لم تثر الصحافة البريطانية ولم يثر المندوب السامى البريطانى لمصرع الكثيرين من أبناء مصر ، الذين لقوا مصرعهم ببنادق البوليس ، الذى يشرف عليه ، ويوجهه ويصدر اليه الأوامر رسل باشا الانجليزى ! ٠

ويعتذر نسيم باشا رئيس الوزراء للمندوب السامى البريطانى ٠

ويعرب عن أسفه العميق لمحاولة الاعتداء على جندى بريطانى وهو الذى لم يعرب أبدا عن أى مشاعر ، بعد أن امتلأت الشوارع بدماء الشباب المصرى ٠

★★★

والجدير بالذكر أن آخر مقال كتبه الأستاذ عباس محمود العقاد فى روزاليوسف اليومية كان فى ١٨ ديسمبر ١٩٣٥ وكان بعنوان « خطة لم تتغير ، ولكننا قادرون على تغييرها » ، وفى هذه المقالة يقول :

« فى مصر يشتغل الانجليز بالتحصين السياسى كما يشتغلون بالتحصين العسكرى ويعنون بالحاضر والمستقبل ، أشد من كل عناية رأيناها منهم فى أيام الاحتلال ، فالوقت وقت اشتغال بالقضية المصرية لا وقت اهمال لهذه القضية ، ولكنهم أهملوها ، لأننا نحن كنا نستحق الاهمال . أما اليوم فلا سبيل الى اهمالها ، مع اتفاق الكلمة ويقظة الشعور » .

ويقول العقاد :

« العراقيل المصطنعة فى طريق المسألة المصرية ، انما تنشأ على الأغلب الأعم ، من طرفين اثنين أحدهما فى مصر ، والآخر فى البلاد الانجليزية . أما فى مصر ، فقد اشتهر فريق صغير من الانجـليز المحليين بكراهيـة التوفيق بين البلدين محافظة منهم على نفوذهم ومراكزهم ، أو ذهابا منهم من شعور النقمة والمرارة الذى تخلف فى النفوس من آثار العراك اللدود فى ابان الثورة الوطنية . وأما فى انجلترا فهناك العسكريون الذين يجهلون كل شىء الا اختلاق الطوارىء ثم اختلاق العدة لاتقانها ، ولو أطيعوا كما قال أحد الساسة الانجليز لطلبوا احتلال القمر ، اتقاء للمغارة من المريخ .

« وقد بدأ هؤلاء ، وهؤلاء يتحفزون .

فالانجليز المحليون المعارضون للوفاق يكتبون الى صحفهم الاستعمارية منذرين بسوء الحال ، مبشرين انحـلال « الائتـلاف » المصرى أو اشرافه على الانحلال .

« والانجليز العسكريون ينشطون هناك ، كما أنبأتنا الصحف للمعارضة الشديدة فى تنفيذ الشروط الحربية من المعاهدة المطلوبة » .

***

الى أن يقول العقاد :

ان الوقت ، وقت الاشتغال بالقضية .. والانجليز يهملون القضية المصرية ، لأننا كنا نستحق الاهمال . وان العراقيل المصطنعة فى طريق المسألة المصرية انما تنشأ .. من طرفين اثنين احدهما فى مصر والآخر فى البلاد الانجليزية .

وأما فى انجلترا ، فهناك العسكريون الذين يجهلون كل شىء الا اختلاق الطوارىء .

وقد بدأ هؤلاء وهؤلاء يتحفزون .

الانجليز المحليون يعارضون الوفاق ، منذرين ومبشرين بانحلال الائتلاف المصرى أو اشرافه على الانحلال ·

والانجليز العسكريون ينشطون ويعارضون تنفيذ الشروط الحربية من المعاهدة المطلوبة ·

***

ويواصل العقاد مقاله قائلا :

« ·· ولكنها عقبات يتغلب عليها الحكماء من الانجليز لو شاءوا وبذلوا العناية ، مع المشيئة ، وانما يشاءون ويبذلون العناية اذا نحن سهرنا على قضيتنا وثابرنا على السهر ، واتفقنا على المثابرة ، ولم نضيع الفرصة ، فى خلاف عقيم على من يفاوضون ومن لا يفاوضون · وفى الجبهة الوطنية ومن ورائها قوة الأمة اليقظى ضمان السداد والتوفيق » ·

وفى العدد التالى من جريدة روزاليوسف اليومية الصادر فى ١٩ ديسمبر ، يحتل مقال الأستاذ توفيق صليب الصدارة ، فى المكان الذى كانت تنشر فيه مقالة الأستاذ العقاد بعنوان « الجبهة الوطنية ، تعمل آلت على نفسها منذ نزلت الى ميدان العمل الصحفى ان تقدم من جهود الى الوطنية المصرية سلاحا جديدا ، والى الرأى الحر ، والعقيدة المنزهة أسلوبا فى الكفاح فريدا ، أتقدم اليوم وبكل فخار بكتابى الى الرأى العام ، الذى آذرنى دائما فى كل محنة وشاطرنى النصر ، والمجد فى كل موقعة كتب فيها النصر والمجد للوطنية المصرية والذى غمرنى بالتشجيع ودوجنى بالاعزاز وكان لى من مؤازرته وتشجيعه واعزازه عزاء عما كان ينزل بى من بطش القوة ، واضطهاد الظالمين ·

***

« قد تخرج اليوم ، بعض الزميلات على الناس بنبأ أو اشارة الى نبأ تخلى الأستاذين عباس محمود العقاد ومحمود عزمى عن عملهما فى جريدتى اليومية · وانى لابدأ هذا الكتاب بتوجيه أصدق التمنيات لهما فى أعمالهما الجديدة مشتركين أو منفصلين ، أما بعد فانى أرى أن أكتفى بهذا بالنسبة للأستاذ عزمى الذى يهم الصالح العام فى خلافه وايأى شىء يسير أفضل الاستغناء عن طرحه أمام الناس الا اذا شاء الأستاذ الفاضل ان يشرك الرأى العام فيه والمشيئة فى ذلك له وحده ·

أما الأستاذ الكبير العقاد ، فخلافنا معه خلاف يمس الرأى العام والنفع العام ، عن قرب ، ومن حق الناس أن يعرفوا شيئا عن تفاصيله · وانه ليؤلمنى أشد الألم أن ينتهى الأمر هذه النهاية بينى وبين العقاد بعد أن تكاتفنا فى العمل

ما يقرب من عشرة أشهر كانت فى حياتى ، ولعلها أيضا فى حياته أعز أشهر قضيتها وقضاها فى الكفاح الصارم من أجل الحق ، والضمير ، والوطن . ولكن ما يعزينى هو اننا اجتمعنا على الحق والضمير والوطن وافترقنا أيضا على الحق والضمير ، والوطن » .

★★★

وتقول السيدة روزاليوسف :

« ان شرارة الحركة المباركة التى قام بها الشباب طارت أول ما طارت من صحائفهـا ، وبين سطورهـا فألهبت كل قلب ، ونبهت كل غافل . حتى استطاعت الأمة أخيرا أن تقطف الثمرة ، وتستعيد دستورها منتزعا من أنياب الذئب . والجبهة الوطنية أيضا خرجت فكرتها من هذه الجريدة وكانت فكرة من القوة بحيث أنسى خلالها الماضى ، ومحا جمالها من القلوب سيئات الاحن والأحقاد فرأينا الزعماء والقادة يجتمعون على خير مصر من جديد ويوقدون بيد واحدة شموع الهدى للأمة الصابرة . المكافحة ، ولما لم يكن حزبا من الأحزاب خارجا على الجبهة الوطنية ولما كانت الأحزاب كلها قد انضمت الى هذه الجبهة ولما كنا صحيفة تعتبر منبرا من منابر الرأى العام ، فقد كان لزاما علينا ونحن أول الساعين الى تأليف القلوب وتناسى الأحقاد ألا نضع أمام الجبهة الوطنية المتحدة ، ما يعرقل سعيها الناجح فى سبيل القضية المصرية المقدسة ، هـذه هى وجهة النظر التى أدين بها وأشد ما أكرهه ، هو أن أناقض نفسى فأدعو اليوم الى تكوين الجبهة الوطنية باعتبارها المثل الأعلى للسياسة المصرية فى الوقت الحاضر ثم أعرقل هذه الجبهة بأن أضع أمامها ما لا يقدم ، أو يؤخر ، فى الصالح الوطنى واختلفت وجهة نظرى هذه مع وجهة نظر الأستاذ العقاد ، اذ هو يرى عدم الهوادة مع الجبهة ، ويرى استمرار الحملة على الوزارة الحاضرة ومطالبتها بالاستقالة » .

★★★

وتقول السيدة روزاليوسف . انها رأت أن تضييع نشاط الأستاذ العقاد ونشاط الجريدة فى حملة مستمرة على الوزارة أمر غير مجد ، ولا منتج لأن من تحصيل الحاصل ان نطالبها بالاستقالة ، والجبهة الوطنية لا ترى الى الآن ذلك ، وهى لن تبقى فى الحكم أكثر من أسابيع معدودة تتولاه بعدها وزارة دستورية من المؤكد أنها ستكون مؤيدة من الجبهة الوطنية ومن الخير لمصر ، أن يتجه قلم العقاد الى وجهة أخرى أكثر نفعا وانتاجا وخصوصا واننا لم نتورط ، ولن نتورط فى تأييد الوزارة بل ان موقفنا منها هو موقف المراقبة والحذر ، ولن يمنعنا أحد أن نحمل عليها ونسير فى الحملة يوم نجد ما يدعو الى ذلك من

الأسباب التي حفزتنا على اطلاق العنان لأقلامنا في اندفاع وقوة يقين طوال الأشهر المنصرمة من عمر الوزارة ٠

وتختتم الأستاذة روزاليوسف كتابها المفتوح بقولها :

« هذا الموقف كله بين الأستاذ العقاد وبيني ، وهذا هو الذي دعاه الى ترك العمل في جريدتي ، وانه ليؤسفني حقا ، أن نختلف بعد ذلك التعاون الصادق الجميل ، ولكن بعض العزاء أجده في أننا كما سبق أن قلت قد اجتمعنا على الحق والضمير ، والوطن وافترقنا على الحق ، والضمير ، والوطن ٠٠ » ٠

★★★

ولأول مرة — في ٢٢ ديسمبر ١٩٣٥ — في يوم عيد الفطر المبارك يعرف الشعب ، أن الملك أحمد فؤاد مريض وذلك من الرسالة التي بعث بها الى الشعب في العيد ، وكذلك اعتذاره عن عدم استطاعته المشاركة في التشريفات الخاصة بالعيد ، حيث يضطر الى الوقوف لساعات طويلة ، مما يسبب له الاجهاد الذي يؤثر على صحته ، وقد رفعت الجبهة الوطنية في ٢٤/١٢/٣٥ مصطفى النحاس ، محمد محمود يحيى ابراهيم ، اسماعيل صدقي ، محمد حافظ رمضان ، عبد الباسل عبد الفتاح يحيى ، حافظ عفيفي — رفعت الجبهة الوطنية خطابا الى الملك تشكره على رسالته الى الشعب في يوم العيد ، وعن تفضله باجابة ملتمسها الاتفاق مع رغبته السنية ، باعادة دستور الأمة !

ويستمر الطلاب في مظاهراتهم ، وفي دعوتهم الحكومة الى اصدار مشروع قانون العفو الشامل ٠ وقد ظهر أن الحكومة البريطانية تعارض في اصدار هذا القانون وقد كلف المندوب السامي البريطاني مستر وسلي رئيس قلم المخابرات التابع للادارة الأوربية بوزارة الداخلية أن يقوم بجولة في كل أنحاء البلاد ليدرس الأحوال الداخلية ، ولكي يتصل بكبار الأعيان ، والتجار ، وأهل الرأي في مختلف الطبقات !

وكذلك ، لكي يعد تقريرا عن نشاط الجالية الايطالية وكانت الجالية الايطالية ذات أعداد وفيرة ، وكان لها مدارسها ، وجمعياتها بل وتشكيلاتها شبه العسكرية ، وكانت بريطانيا تعلق أهمية بالغة على موقف ايطاليا على الحدود الغربية ، وفي داخل مصر ، فقد كانت بريطانيا تعتقد أن ايطاليا لا بد وانها سوف تهاجم مصر ، وكانت ايطاليا تحشد قواتها على الحدود المصرية ، وكانت بعض حوادث الحدود قد وقعت لتؤيد وجهة النظر القائلة بأن ايطاليا ستهاجم مصر ! وقد اعتذرت ايطاليا أكثر من مرة ، عن بعض حوادث الحدود التي دبرها رجالها هناك ٠

★★★

مظاهرات الطلبة عام ١٩٣٥ اتجد لها صدى فى سوريا وفلسطين :

● الجدير بالذكر أنه ما من حدث سياسى وقع فى مصر ، الا وكان له صداه فى كل الأقطار العربية الشقيقة ، وقد حدث مثلا أن مظاهرات رائعة اندلعت فى دمشق ونابلس فى ٢١ ديسمبر ١٩٣٥ ، كرد فعل لما قام فى مصر من مظاهرات .. كانت مظاهرات دمشق قد بدأت بعد الصلاة ، حيث خرج عشرات الألوف من المصلين بقيادة الأستاذ فخرى بك البارودى نائب دمشق ، وعندما بدأوا يجتازون بعض شوارع المدينة انضم اليهم عشرات الألوف هاتفين لمصر ولسورية وللاستقلال التام .

وبعد أن اتجهوا الى قبور الشهداء نثروا الورود والأزهار وخطب فيهم رجال الكتلة الوطنية .. داعين الأمة السورية الى استئناف جهادها فى سبيل الحرية والاستقلال . وكان المتظاهرون ـ كما أجمعت رسائل مراسلى الصحف الأجنبية فى دمشق ومندوبى وكالات الأنباء ـ يهتفون لمصر ولفلسطين والأقطار العربية . وقد عادوا الى المدينة بعد أن زاد عددهم على خمسين ألف متظاهر . وكان كثيرون منهم يحملون الأسلحة ، ويطلقون العيارات النارية .

وفى اليوم الأول لقيام تلك المظاهرات ٢١ ديسمبر ١٩٣٥ ـ صدرت أوامر السلطات الفرنسية التى كانت تحتل سورية الى رجال البوليس بعدم التعرض للمتظاهرين فكانوا يخلون لهم الطريق ويتوارون عند مرور المظاهرات ، بحيث لم تقع آية مصادمات .

وقد استمرت المظاهرات فى الأيام التالية ، وسقط كثيرون . وكانت الكتلة الوطنية فى سورية قد دعت كثيرين من الزعماء والأدباء ، وقادة الرأى فى مصر ، وفلسطين ، وسورية والعراق ، ولبنان ، للاشتراك فى حفل تأبين زعيم سورية الكبير ابراهيم هنانو بك ، وقد خشى الاستعمار الفرنسى من أن يتخذ حفل تأبين ابراهيم هنانو ، ذريعة لمضاعفة الاضطرابات فى سورية فراح يضع العراقيل تلو العراقيل ضد اقامة هذا الاحتفال .. خاصة وأن الحالة كانت متوترة فى سورية ، لسبب آخر غير ازدياد المظاهرات .. ذلك أن التحقيق قد بدأ مع أعضاء الحزب القومى السورى وعلى رأسهم الأستاذ أنطون سعادة بتهمة قلب نظام الحكم فى سورية ، ولبنان بالقوة العسكرية .

★★★

وكانت الاضطرابات . قد أشدت أيضـــا فى فلسطين . وكان المندوب السامى البريطانى فى فلسطين قد قابل فى ٢١ ديسمبر ١٩٣٥ زعماء الأحزاب العربية ، وأبلغهم أن الحكومة قد قررت انشاء مجلس تشريعى بفلسطين على الوجه التالى : ١٢ عضوا منتخبين ، منهم ثمانية من المسلمين وثلاثة من اليهود ،

وواحد من المسيحيين ، وأحد عشر معينين منهم أربعة من اليهود وثلاثة من المسلمين ، واثنان من المسيحيين ، واثنان من التجار . ويضاف الى هؤلاء جميعا خمسة موظفين بحيث يتكون المجلس من ثمانية وعشرين عضوا . ويكون رئيس المجلس انجليزيا ويشرف عليه المندوب السامى البريطانى . أما صفة المجلس فاستشارية بحتة ، وللمندوب السامى ، أن يأخذ برأيه ، أو يرفضه حسبما يرى .

وكانت المظاهرات قد اشتدت بصفة خاصة فى مدينة نابلس . وكان يقودها الطلبة الذين كانوا يهتفون بالاستقلال التام لفلسطين ويطلبون من الزعماء عدم التعاون مع اليهود والانجليز ، وكانوا يهتفون بنوع خاص لشهداء العصبة الثائرة ، التى كان يقودها الثائر الفلسطينى عز الدين القسام .

ويستقبل المندوب السامى البريطانى فى فلسطين فى ١٩٣٥/١٢/٢٢ ممثلى الهيئات والجمعيات . وبمجرد أن سلم كلا منهم نسخة من مشروع المجلس التشريعى . أجمع ممثلو الهيئات ، والجمعيات اليهودية على رفض المشروع ، كما أعلنوا — فى الحال — أنهم مصممون على مقاطعته ، هذا بينما أعلن زعماء الأحزاب العربية أنهم مختلفون فى الرأى حول قبول المشروع أو عدمه ، وأنهم بحاجة الى أسبوعين على الأقل لبحث هذا المشروع !

وقد اتفق المسلمون ، على الامتناع فى عيد الفطر ، عن المعايدة ، وكذلك اتفق المسيحيون ، على الامتناع عن المعايدة ، فى عيدى الميلاد ، ورأس السنة ، وذلك احتجاجا ، على الحالة الحاضرة وحدادا على الشهداء .

وقد امتنع السوريون أيضا جميعا عن المعايدة احتجاجا على الحالة القائمة فى سورية .

وقد رأت بريطانيا ، ان تغير من بعض مظاهر سياستها الخارجية فاستبدلت بصمويل هور ، وزير الخارجية البريطانية المستر انتونى ايدن ، وكان وقتئذ وزيرا لشئون جمعية الأمم ، وكان صمويل هور ، قد أثار بعض البلدان وفى مقدمتها مصر ، بتصريحاته العنيفة ، وكان انتونى ايدن ، خبيرا فى مسائل الشرق ، فأرادت بريطانيا ، أن تغير بتغيير وزير خارجيتها بعض ديكور السياسة البريطانية الخارجية .

***

ونعود ، بعد ذلك الاستطراد الخارجى ، لنقول ان العمال المصريين قد حرصوا على الاشتراك فى كل أحداث البلاد .. شأنهم تماما شأن الطلبة ولما كان اسماعيل محمد الخالع ، أحد شهدائهم ، وشهداء الوطن ، فقد قرروا عقد اجتماع هام فى دار الاتحاد العام لنقابات العمال وعمل اكتتاب لأسرة شهيد

العمال والوطن وألفوا من بينهم لجنة لجمع التبرعات تكونت من الأساتذة : رافع محمد رافع المحامى ، والأستاذ أحمد محمد أغا المحامى ، والأستاذ حسن النحاس المحامى « أعضاء المجلس الأعلى » .. والأستاذ محمود حجاج المحامى ، والأستاذ مصطفى العسال ، والأستاذ عبد الحليم رافع والأستاذ أحمد الخضرى « مستشارى » نقابات العمال وأعضاء لجنة قضايا الاتحاد العام » . ومن فاضل أحمد فاضل . المعلم . محمد مصطفى ، أحمد على بدوى ، محمد ابراهيم رمضان ، عبد العال موسى رشاد دوس ، حسن السيسى ، محمد عثمان أحمد من العمال .

وكان الاتحاد العام لنقابات العمال ، قد قرر ـ فى ٢٢ ديسمبر ١٩٣٥ ـ تأليف كتلة برلمانية عمالية ، الغرض منها تمثيل الطبقة العاملة ببعض أفرادها ، وبمن تأنس فيهم التوفر على مبادئها ، فى البرلمان القادم ، وتأييد مبادىء الجبهة الوطنية . والعمل على دعم دوامها واستمرارها .

وكان الاتحاد العام ، برئاسة الزعيم عباس حليم ، قد أرسل الى أمين يحيى باشا ـ وكانوا يسمونه رسول السلام ـ أرسل اليه رسالة يبلغه فيها بالقرار الخاص بانشاء كتلة برلمانية عمالية ، ويقول فيها :

« وانني واثق أن كلا من حضرات أعضاء الجبهة المصرية وزعماء مصر السياسيين سيرحبون بهذا القرار الذى يصدره العامل المصرى لأول مرة فى تاريخنا الحديث بعد أن كان فى الماضى يعتمد على سواه فكانت النتيجة حرمانه من الحماية التشريعية حتى الآن . وحرمانه مما يتمتع به من غير هذا التشريع ، كما حدث أخيرا فى مشروع قانون عقد العمل فنجد أن ما يتقاضاه العامل ، مكافأة على عمله طول حياته بمرتب أربعة أشهر ، وهذه النقطة التى انتجت قرار العمال الأخير ، ان هى الا نتيجة ليقظة البلاد التى جمعت بين زعماء الأحزاب السياسية ، فى جبهة وطنية بفضل وساطتكم وحسن بلاء زملائكم ممن اشتركوا معكم فى رسالة السلام ! »

وكان الاتحاد العام ، لنقابات عمال القطر المصرى قد احتج على مشروع قانون العمل الفردى ، وكان فى مقدمة الموضوعات التى احتجت عليها استثناء خدم المنازل من مشروع القانون اذ استثناهم القانون وحرمهم من التمتع به ، كأنهم ليسوا من العمال ولا من أبناء الأمة ولا من الجنس البشرى ، وكأنهم من الرقيق مع أن عهد الرقيق قد انتهى ، وحرمته جميع قوانين العالم ، وان المبادىء الدستورية لا تفرق بين المصريين ، وقد اعتبرتهم أمام القانون سواء » .

حرص عمال مصر على الاشتراك فى أحداث البلاد .. مثل الطلبة تماما .. كما قرر الاتحاد العام تأليف كتلة برلمانية عمالية ، الغرض منها تمثيل الطبقة أفرادها .. فى البرلمان ..

وقد أرسل عباس حليم بمذكرة الى أمين يحيى باشا يبلغه القرار الخاص بانشاء كتلة برلمانية عمالية .. كما أن الاتحاد العام فى القطر المصرى ، احتج على مشروع قانون العمل الفردى ..

● ونبدأ باستكمال ما وقفنا عنده ، حول احتجاج الاتحاد العام :

***

ويطالب الاتحاد العام ، لنقابات عمال القطر المصرى — ضمن ما يطالب به — أولا : الحكومة بأن تسارع الى الانضمام الى مكتب العمل الدولى وأن تقوم — ثانيا — بتعديل تكوين المجلس الاستشارى الأعلى للعمل والعمال بحيث يكون عدد ممثلى اتحاد العمال مساويا لممثلى اتحاد الصناعات ، ويطالب الاتحاد العام لنقابات العمال — ثالثا — باصدار قانون الاعتراف رسميا بالنقابات العمالية ، ورابعا نشر جميع مشاريع القوانين الخاصة بالعمل والعمال على صفحات الجرائد لكى تتمكن هيئة الاتحاد والنقابات من دراستها : وابداء ملاحظاتها عليها . وخامسا : تحديد ساعات العمل ، بثمانى ساعات فى اليوم . وسادسا : ضرورة منح العامل يوما للراحة فى الأسبوع وشهرا فى السنة ، وتقرير نظام الاجازات المرضية . وسابعا : تقرر منح العامل مرتب شهر مكافأة عن كل سنة قضاها فى العمل . ثامنا : الغاء نظام اليومية . تاسعا : ضرورة تطبيق نظام التأمينات الاجتماعية فى مصر ضد المرض ، والاصابات والشيخوخة والعاهات المستديمة ، والبطالة والوفاة . عاشرا : الغاء نظام الوساطة للمقاولين وجعل أصحاب الأعمال المسئولين شخصيا عن كل ما يخص العمال .. كانت هذه مطالب العمال فى ٢٧ ديسمبر ١٩٣٥ .

***

وكان من ابرز نقابات العمال : نقابة النقل الميكانيكى ، نقابة البويات والزخرفة ، نقابة ترام القاهرة ، نقابة الطهاة العامة ، نقابة الترزية الأفرنجى ، نقابة الأحذية ، نقابة ثورنيكروفت ، نقابة البياض والزخرفة ، نقابة الساعاتية ، نقابة الممرضين ، نقابة السروجية ، نقابة الاستر ، نقابة المنجدين ، نقابة المخابز البلدية ، نقابة موظفى المحال التجارية ، نقابة الترزية العربى ، نقابة الملاحة الداخلية ، ونقابة فن الكهرباء ، نقابة متعهدى الاغذية ، نقابة مفتشى وابليسيهات السجائر ، نقابة فن النجارة ، نقابة الغزل والنسيج ، نقابة صانعى الحلوى ، نقابة نحت الجرانيت بأبى زعبل ، نقابة ورش ترام مصر الجديدة .

***

ونختم هذا الفصل برسالة هامة تلقيناها من الأخ الشاعر ، عامر بحيرى :

الشاعر عامر بحيري يروى بعض الأسرار الوطنية :

أخي العزيز الأستاذ صبرى أبو المجد ..

تحية طيبة وبعد . فقد كان واجبا علي أن أشكرك سابقا ، على نشر رسالتى اليك الخاصة بأحداث ثورة ١٩٣٥ ، وكنت قد عزمت على كتابة بعض الذكريات الأخرى ، التى تزخر بها هذه الفترة . ولكنى آثرت الانتظار ، لأفسح المجال لغيرى .. فكل من شهد هذه الفترة ، وهو على قيد الحياة الآن ، جدير بأن يسجل ما رأى وما سمع وما عمل وما علم .. لأنى أعتبر ثورة ١٩٣٥ هى « ثورة بين ثورتين » .. بين ١٩١٩ ، ١٩٥٢ .. فهى القنطرة التى وصلت فيها الحركة الوطنية بفضل جهود الشباب الى ثورة مصر الكبرى ، التى قام بها أبطـــال من الجيش هم فى نفس الوقت من أبطال ١٩٣٥ .

ولما رأيتك تطلب من بعض من وردت أسماؤهم أن يكتبوا ذكرياتهم . سعدت بذلك . واذا كان اسمى لا يرد فى صحف تلك الأيام كثيرا ، فذلك انى كنت أتجنب الظهور ، لأسباب عدة .. حتى القصيدة الهامة التى ألقيتها فى الحرم الجامعى فى ٧ ديسمبر ، أشرت بيدى على المصور (بكسر الواو المشددة) أن يبعد آلة التصوير عنى وأنا ألقيها ، تجنبا للقبض على يومئذ .. (وقد ظهرت هذه الصورة على صدر عدد المصور الصادر فى يوم الخميس ١٢ ديسمبر ، ١٩٣٥ ، لحشود الطلاب وهم يستمعون لهذه القصيدة بالذات .. وهى صورة معبرة ، حبذا لو نشرت الآن مع هذا التفسير ..) .

ان يوم ٧ ديسمبر ١٩٣٥ يوم هام جدا .. وهو موضوع حديثى هذا .

ففى ليلة الجمعة ٦ ديسمبر (ولغرائب الصدف انها توافق يوم العاشر من رمضان ١٣٥٤ هـ) .. كنت فى نادى المحامين ، حيث تنظم المظاهرات الليلية . فى احياء القاهرة .. وبدأ الشباب ينزلون من النادى حين عرفوا مكان تجمعهم ، وبقيت فى موضعى أكتب .. وحينئذ تقدم منى أحد المشرفين على النظام بالنادى — صديقى المرحوم محمد زكى علام — وقال لى : لماذا لم تقم مع زملائك ؟ فناولته الورقة فى يدى ، فقال : هل تكتب قصيدة لتلقيها غدا فى الحرم الجامعى ؟ قلت : نعم . فقال : اذن فانتظر .. وصرف الطلاب ، وبقيت فى مجلسى الى نحو منتصف الليل حتى أتممت القصيدة فى ثلاثة وثلاثين بيتا .. وساروى هذه القصيدة هنا كلها لأهميتها :

قم يا شهيد ، فمصر في آلامها   نسيتك ، بين عشية وصباح !
نسيت قميصك بالدماء ملوثا   مزقته ذات الجذب والالحاح
نسيت جبينا من شعاع طاهر   خلط التراب بصفرة التفاح
نسيتك تحت الشمس ، ملقى في دم   هدر .. على حرم الطريق مباح !
ترنو بعين للسماء كليلة   وتئن من ألم ، وبثق جراح ...
« عبد المجيد » وأنت أول باذل   للنفس ، دون حمى لمصر مباح
أنت اللواء على دماك تهافتت   زمر الشباب كريمة بالساح
ولقد هوى للموت لما أن هوى   عجلا يضمد جراحك « الجراحي » !
ملك سماوي حداك برحمة   فحداه شيطان ، ببطش سلاح
دفنتك أيد بالظلام كأنها   لص .. يحاذر أعين الفضاح
لو انصفوا جعلوا ثواك حديقة   عبقت بمنعقد الشذا نفاح
انا استعضنا عن وداعك مشهدا   خشعت له الأيام ، غير متاح
خرجت تشيعه القلوب خفوقة   بمفجر من حزنها طفاح

***

خرجت كبحر اللا نهاية زاخرا   والنفس فوق الموج كالسباح !
وعلا بكاء الآنسات كأنما   طعن السماء بلحنه النواح
حتى بدا جبل المنايا .. لابسا   في الأفق ثوب الليل ، والاتراح
ولقد أفكر كيف ضل سبيله   عند احتراق الضوء في المصباح
عجبا ، أهل كسره الشهيد سريره   يبغي الرجوع ليقظه وكفاح ؟
هذا اللهيب دليل ثورة نفسه   رغم الرضى ، وضميره المرتاح !
يا يها النصب العزيز تحية   لو كنت تغني عن هدى وسماح

***

حرم يضمك في الجوانح خافق   حين الرخام معرض لرياح !
لله « جامعة » حبتك بعطفها   عطف الأبوة آية الافصاح
حزنت لمهتصر الزهور ، وانما   غضبت لحق كالنهار صراح !
ورد الشهيد الحوض من فردوسه   يطفي غليل النار ذات صباح
فسقاه ساق دون سائر أمة   ضربت نطاق تزاحم وتلاح
وسعت اليه الحور تنشد لحنها   لحن الزفاف ، ولحن كأس الراح
خضبت له الحناء ، موضع جرحه   خضبت البنان الرخص في الافراح !

***

ومضت تقص عليه قصة موته   ما بين جد خالص .. ومزاح !
قالت له : ان الشهيد منعم   وكذا الجزاء السمح للسماح

ان الذى خـــان الشـــهيد بقبره ... فى الليل منزعج من الأشــباح
ان الجسوم لسوف يعلوها الصدأ ... والخــلد كل الخـلد .. للأرواح
ان الدماء على نفاســـة قدرهـــا ... ثمن الرضى ، والصبر ، والاصلاح
وعلى شعاع من هـــداها ثاقب ... شعب .. يكلل سعيه بنجـاح !

***

تلك هى القصيدة .. التى لم تنشر فى الصحف يومئذ ، وان الحقتها بديوان « اليخت الذهبى » الذى ظهر فى أول يناير ١٩٣٦ بل هى وحى ثورة ١٩٣٥ .. التى كانت مصدر وحى لكثير من الشعراء بعد ذلك ..

وقد ألقيتها على الألوف المؤلفة من الشباب فى الحرم الجامعى ، صباح السبت ٧ ديسمبر ... من ذلك العام . وأعيدت واستعيدت مرارا .. كلما حضر وفد من خارج الجامعة ، طلب منى القاءها من جديد .. وكان ذلك أمام مبنى كلية الحقوق .. حتى حان الوقت ونزل مدير الجامعة وعمداء الكليات (وكان عميد كلية العلوم انجليزيا هو مستر جراهام) . فأزيح الستار عن النصب التذكارى .. ثم توجهت المظاهرة الكبرى الى كوبرى عباس ..

***

وفى وسط كوبرى عباس .. عندما أغلقه الطلاب بصورة عكسية .. فالتقت أطرافه عند زوايا حادة رهيبة .. كنت أقف لاشرف على مرور الطلاب واحدا واحدا ، من فوق قنطرة الموت .. حتى لا تحدث مضاعفات .. وتقدم منى حينئذ ضابطان للبوليس .. فقال لى احدهما : انت زعيم هذه المظاهرة ؟ قلت : لماذا ؟ قال : ان الطلاب يطيعون أوامرك ! قلت : اننى أقوم بعمل انسانى .. وحينئذ همس للضابط زميله ، فتركنى الى حين .. ولما انتهى مرور الطلاب وتوجهت مع آخرين للخروج من ناحية الروضة ، وجدت الكوبرى مغلقا بكردون من البوليس ، واللواء سليم زكى يجلس فى ناحية منه ، يصدر أوامره .. والطلاب يخرجون تحت اشراف البوليس واحدا واحدا .. وعندما جاء دورى للمرور .. نادانى ذلك الضابط .. ولكنى استطعت أن أفلت منه مسرعا ، واندمج فى مؤخرة المظاهرة .. وفى نفس اللحظة صدر الأمر بضرب المظاهرة بالعصى الغليظة والبنادق من الخلف ، وبدأت المعركة الرهيبة ، واختلط الحابل بالنابل .. وبالرغم مما أصاب الطلاب من ايذاء شديد ، الا انهم قاموا بالدفاع عن أنفسهم ببطولة .. وألقى أحد الرياضيين من رماة « الجلة » .. بحجر أحكم تصويبه ، نحو لوكاس بك ، نائب الحكمدار الانجليزى .. وعندئذ بدأ اطلاق الرصاص . وكنت حينئذ قد لجأت مع البعض الى حديقة شرقى شارع المنيل ، تتصل بقصر الأمير السابق محمد على .. وكانت الحديقة خالية ، الا أن البوليس دخلها وأحسسنا بالرصاص يقترب .. فلجأنا الى المنازل فى غرب المنيل ..

وهنا كنت أرى جموع الشعب تشترك فى احراق مركبات الأتوبيس ، وكانت انجليزية لشركة ثورنكروفت ...

***

حوالى العصر ، كنت مع البعض فى منزل صديق لنا ، هو المرحوم ابراهيم محمود عيسى ، وكان والده موظفا كبيرا بمجلس النواب ، فأخبرنا أن البوليس قد حاصر المنطقة كلها ، وسيقبض على كل من يجده من الطلاب . ونصحنا بالتعجيل بالانصراف .. وعندئذ توجهنا الى شاطىء النيل ، وكان المكان خاليا .. فاستأجرنا قاربا ، عاد بنا الى شاطىء الجيزة ، قبالة حديقة الحيوان .. ومن هناك ركبت الترام عائدا الى القاهرة ..

هذه احداث ذلك اليوم .. فيما أذكر انني شاركت فيه .. وقد بقيت أيضا أشياء هامة تتصارع مثل التدريب العسكرى ، التى لم يشر اليها من تحدثوا عن القمصان الزرقاء ، والخضراء .. وقد نشأت هذه الحركة فى كلية الآداب ، وكنت مشتركا فيها .

***

أما عن الشعر .. وقد كان سلاحا فى المعركة .. فأهم ما أذكر ان الدكتور أحمد زكى أبو شادى رحمه الله أقام مهرجانا فى الاسكندرية لشهيه الوطنية عبد الحكيم الجراحى ، وعضو جماعة أبوللو .. وكتب الى خطابا للمشاركة فى ذلك ، فانتدبنى اتحاد كلية الآداب ، واتحاد الجامعة لتمثيلهما فى ذلك الحفل .. الذى أعده مهرجانا شعريا تاريخيا .. عظيما .. وقد جمع الدكتور أبو شادى كل الكلمات والقصائد التى ألقيت فى عدد من مجلة « الامام » بتاريخ يونية ١٩٣٦ .

ولعل فى هذا ما يكفى للتعبير عن « بعض » ما عندى .. الآن .. مع مضاعفة شكرى لك على اتاحة هذه الفرصة النادرة .. لتذكر شباب اليوم ببعض أعمال شباب الأمس .. وليعلموا ان حب الوطن من الايمان ..

تحياتى لك وتقديرى ..

المخلص : عامر محمد بحيرى

***

الفصل الرابع

بريطانيا تجاهلت حكومة نسيم باشا

وراحت تفاوض زعماء الجبهة الوطنية

ومع آخر أيام عام ١٩٣٥ افتتح مؤتمر الجراحة الدولى ، الذى اشترك فيه ممثلو ٣٨ أمة فى مبنى الجامعة المصرية ، وكان طلاب الكليات السبع : وطلاب المدارس الثانوية ، ومدارس الفنون قد تأهبوا لاسماع العالم كله صوت مصر ٠ فالتقى منهم حوالى خمسة آلاف طالب عند مدخل الجامعة ، يهتفون بحياة مصر والسودان ، والحرية والاستقلال ، وفى داخل القاعة كان طلاب آخرون يهتفون كلما وفد على قاعة المؤتمر ، أحد الوفود : وكان هتافهم بسقوط انجلترا باللغة العربية ، وباللغة الانجليزية ، وباللغة الفرنسية ، وفجأة رفعت صورة الشهيد محمد عبد الحكم الجراحى ، فزادت حماسة الطلاب : واشيع فى قاعة الاجتماعات ان الوفد البريطانى سوف ينسحب من المؤتمر وقيل ان الانجليز طلبوا ترضية ، وانهم قبلوا الاستمرار فى المؤتمر حتى تجىء الترضية ، وثارت الصحف البريطانية لأن الطلبة تظاهروا أثناء افتتاح مؤتمر الجراحة ، الدولى ، الذى خطب فيه نجيب الهلالى وزير المعارف ، وكان الملك أحمد فؤاد ينوى افتتاح هذا المؤتمر ، ولكن الأطباء نصحوه بعدم مغادرة فراشه ٠٠ حرصا على صحته ٠



وكان الطلبة قد انقسموا فيما بينهم : بعضهم يفضل الانتظام فى سلك الدراسة بعد عودة الدستور والبعض الآخر يرى الاستمرار فى المظاهرات ، والاضرابات حتى يتحقق الاستقلال ٠٠ أو على الأقل ، تتقدم بريطانيا نحو تحقيق الاستقلال خطوات جديدة ، البعض رغب فى التقيد برأى الجبهة الوطنية فى ضرورة الانتظام فى الدراسة ، والبعض الآخر رفض الاستجابة الى نداء الجبهة الوطنية لأن انجلترا لا تزال تراوغ وتماطل فى تحقيق المطالب القومية و ٠٠ وقد انتقلت انقسامات الطلبة من القاهرة الى الاقاليم ، وذلك رغم

توالى البيانات من الزعماء والقادة ، التى تدعو الطلبة الى العودة الى دراستهم ، ومن بين تلك النداءات التى امتلأت بها صفحات الصحف ، بيـان من شيخ الجامع الأزهر ، الاستاذ الأكبر الشيخ مصطفى المراغى وقد قال فى بيانه :

لا شيء أحب الى الوطن والى القادة فيه من أن يخلد الطلبة الى السكينة وأن يحافظوا على النظام ، وان يقبلوا على واجبهم العلمى ، اقبالا ، يشغلهم بالعلم وحده » .

ومن بين ما جاء فى ذلك البيان يقول الشيخ المراغى :

« انى أرى انه من خير الوطن ومن مصلحته المجدية علينا حقا ان يترك الأمر ، كله للقادة والزعماء ، حتى يتمكنوا من العمل فى جو هادىء ، يستطيعون معه السعى لخير البلاد ولمصلحتها ، وذلك انى أرى أن الاضطراب فى هذا الظرف الدقيق مما يعوق سير الأعمال النافعة ويقف بها دون ما نرجو لها من نجـاح وتوفيق .

***

ومع بداية العام الجديد عام ١٩٣٦ بدأ المندوب السامى البريطانى يستقبل الزعماء المصريين .

وقد قابل فى ٢ يناير ١٩٣٦ محمد محمود باشا رئيس حزب الأحـرار الدستوريين وقد انصب حديث محمد محمود مع المندوب السامى البريطانى ، على موضوع واحد ، هو موضوع المعاهدة وضرورة الاسراع فى أبرامها لضمـان سير الأمور فى مجرى لا يبعث على القلق .

ومع ٣ يناير ١٩٣٦ ، تشتعل الجامعة والمدارس مرة أخرى ، ويصاب ٢٥ طالبا فى مظاهرات مدرسة واحدة ، هى مدرسة فؤاد الأول الثانوية ، وكان من المصابين الطلبة كمال رفعت ، محمد عبد الوهاب ، أحمد أحمد حسنين ، فريد خزام ، صلاح الدين الضوى ، عبد الرحمن سعيد ، محمد ثروت ، اسماعيل فرن ، زايد سامى ، كما أصيب أيضا حسن مصطفى النشار « مدرسة النهضة » عبد المنعم محمد عبد الرحمن سباك ويبلغ من العمر عشر سنوات .

وكان طلبة مدرسة فؤاد الأول الثانوية ، عندما رأوا زملاءهم يصابون برصاص البوليس وهراواتهم قد اندفعوا نحو مقاعد الدراسة فحطمها البعض واتجه آخرون الى غرفة الطعام حيث حطموا المقاعد والأطباق وأوانى الماء ، وحطم قسم ثالث غرفة المعمل وما فيها من عقاقير وأدوات ، كما حطم كثير من لطلبة أصص الأزهار والأشجار الصغيرة ، ثم اندفعوا الى مخزن العهدة ، فاتلفوا ما فيه ، ومزق بعضهم الخرائط المعلقة فى غرفة الجغرافيا ، وحطموا نموذج الكرة الأرضية وقد ثمنت هذه الخرائط وحدها بمبلغ ٦٠٠ جنيه و ٠٠ و ٠٠

وبعث الأستاذ حافظ رمضان بك رئيس الحزب الوطني بخطاب مفتوح . الى دولة رئيس الوزراء يقول فيه :

يا صاحب الدولة ..

لا تزال الأحداث تتعاقب ولا يزال ايمانى بحق مصر ، على الجميع يحملنى مهما لزمت الصمت وآثرت السكوت ، على أن أجهر بالحق ، مرة ومرة ثانية .

لم أخطىء يا صاحب الدولة لو دعوتك قبلا الى الاستقالة وها هى الأيام تتوالى وأنت على عهدك أشد ما تكون استمساكا بالحكم ، لغير سبب ظاهر واننى مهما أخفيت الأسباب وانبهمت الدوافع لا أزال أجد نفسى مضطرا الى أن أنبه الى الخطر وأدق الناقوس لمن يريد أن يستمع ، ولا أدرى فيم بقاؤك فى الحكم بعد أن تخطى المندوب البريطانى حكومتك ومد يده الى رجال الجبهة يجادلهم فى شئون الدولة وبعد أن وقف الشعب حائلا بينك وبين حفل الافتتاح فى مؤتمر الجراحة وفى ركابك رجال السلطة التنفيذية ، الا ترى يا دولة الوزير ان الارادة الاجماعية توجهت اليك فى اعتزال الحكم : هل ترى دولتكم أن بقاءكم فى الحكم تبرره بالاعتمادات المالية ، التى تقررها وزارتكم للدفاع عن المواصلات البريطانية !

أم مبرره ما تحتمله دولة أجنبية من هذه الاعتمادات لتقف فى الغد منادية بحقوق جديدة باسم البذل فى أعمال التحصين والدفاع !

ان مبرره عجز وزارتكم عن انفاذ قانون العفو ، عن الطلبة بعد أن القت فى سمع الجمهور ان العقبة ، فى سبيل انقاذه هى تدخل دار المندوب البريطانى ثم لم تلبث هذه الدار أن تترك الناس أحرارا فى أن يفهموا انها لا تعارض وان مرجع الأمر ، فى ذلك الى وزارتكم .

صدقنى يا دولة الوزير ، ان تجاهلك كل هذه الأحداث وتجاهلك التقاليد ، وتغاضيك عامدا ، أو غير عامد ، عما يظهره الشعب كل يوم يدعونى بعد أن هيأت لكم الأحداث المفاجأة مكان الصدارة ، ان أدعوك للمرة الأخيرة ان تعتزل الحكم » .

ويتعرض حافظ رمضان ، لحملة عنيفة من الصحف الوزارية ، لأن الوزارة النسيمية ليست وزارة استقرار ، بل وزارة انتقال وبقاؤها فى الحكم لن يتجاوز أشهرا قليلة ستتسلم زمام الحكم ، بعدها الى الوزارة الدستورية ، وان استقالة الوزارة الزيورية قد يقيم امام الجبهة مشكلة البلاد فى غنى عنها .

***

وتفاجأ البلاد مرة أخرى ببيان من لجنة الطلبة التنفيذية العامة بالقاهرة تشكر للطلبة حسن تقديرهم للموقف ورجوعهم ، الى الدراسة ، وترك الفرصة للجبهة الوطنية للعمل واستجابة منهم لزعيم البلاد دولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا .

ويوقع عن كلية العلوم : محمود لاشين ، سعد الدين الشيشينى ، عماد الدين الشيشينى ، كمال حليم ، عبد الغنى محمود ، اسماعيل السباعى ، صبرى سامى .

وعن كليو الحقوق : محمد فريد زعلوك ، محمد زكى علام ، فيكتور مكرم عبيد ، عبد المنعم شوقى ، على كريم ، عبد المنعم ندا ، أحمد عبد النبى ، نصيف مرقص حنا، على حسيب ابراهيم مغازى .

عن كلية الآداب : سهير القلماوى ، عبد العزيز يونس ، محمد حسين الزيات ، عبد القادر حجاب ، أحمد كمال يونس : أحمد بشر ، عبد الهادى نجم الدين .

وعن كلية الزراعة : أحمد الدمرداش تونى : محمد عبد السلام حسن ، حسين أبو حسين ، محمد عزت عبد الوهاب ، زكى شمس الدين ، محمد أبو المجد التونى ، حسن سالم .

وعن كلية التجارة : محمد كامل الدماطى ، التونسى زكى مرقص ، أحمد طلبه صقر ، محمود فتحى عمر ، فرج محمد ابراهيم ، نجيب وهبة ، عبد الجواد عابد ، حسن شعبان العيسوى .

وعن كلية الطب : محمد بلال ، يوسف فهمى ، قاسم فرحات ، حافظ حسنى ، يوسف رشاد ، أحمد لطفى ، مظهر عاشور ، صلاح فهمى محمد قناوى ، محمود الشاهد .

***

ويصدر « لاشين » عضو اتحاد الجامعة ، وعضو اللجنة التنفيذية بيانا يقول فيه :

« أعلن فى ايمان انى حين كنت عضوا فى اللجنة التنفيذية وبعد أن انسحبت منها ما كنت أعمل ، الا ما يوحيه الى ضميرى ، متجها فى ذلك الى صالح مصر وحدها وما كنت فى يوم ما لاناوىء ، هيئة أجمعت الأمة ، على أنها الأمة ، ويؤلمنى كل الألم أن تقوم حركة سافلة تفسد على وعلى الشباب ما قام بعمله ، فى سبيل مصر ، من تنظيم صفوفه ، وتقوية أجسامه بأن استخدموا ذلك « دعاية سوء » فاتخذوه وسيلة للتغرير بأمة اجمعت كلمتها ، على أن الوفد

هو الممثل لها ، وأناشد أخوانى الذين اشتركوا معى فيما سمى « كتلة الطلبة القوميين » ان تتفتح عيونهم وتتيقظ ضمائرهم ، حتى لا يتخذهم الغير ، وسيلة الى نيل مآربه ، وافساد الغرض ، الذى قمنا من أجله ، وحيث انه قد اتضح اتصال بعض الأعضاء بهيئة من الهيئات وكانوا بذلك خارجين عن قوانين الكتلة وأسسها فقد قررت انسحابى من هذه الكتلة داعيا الشباب الذى استصوب فكرتى حين ناديت بهـا ان يحذوا حذوى ، فيمـا فعلت ومازلت لمصر ، الخادم الأمين !

***

وتجتمع اللجنة التنفيذية لطلبة الدقهلية الممثلة لجميع مدارس المنصورة فى ٣ يناير ١٩٣٦ ، وتتخذ قرارات عديدة ، من بينها استنكار انقسام اللجنة التنفيذية العليا ، ودعوة أعضائها الى الاتحاد والترابط ، كما ترسـل اللجنة خطابا الى أصحاب الدولة ، والسعادة زعماء الجبهة الوطنية ، مستنكرة تصريح مستر أنتونى ايدن ، وزير الخارجية البريطانية الذى قال فيه « أنه على استعداد لبحث المسألة المصرية بعد المامه بها ، حيث أنه حديث عهد بوزارته » .

***

ويقول البيان :

« اليس من المعقول أن يرشح وزير لوزارة ويتولى شئونها ، من غير أن يكون على خبرة بجميع تلك الشئون وبخاصة وأن كل انجليزى يدخل فى السلك السياسى لا يجهل القضية المصرية بحذافيرها ، فنهيب بكم أنتم زعماء الأمة وقد أخذتم على عواتقكم خدمة مصر ، أن ترسلوا الى المندوب السامى كتابا تطلبون فيه تحديد موعد قريب لابرام معاهدة ١٩٣٠ »

ويوقع البيان : عنتر قابيل ، السيد عبد الرشيد ، محمد سامى حسين ، أحمد مرسى حسين ، محمود عزت حسين عثمان محمد عثمان الجواهرجى .

***

وفى الزقازيق يقرر اتحاد الطلبة بمديرية الشرقية ، تأييد الجبهة الوطنية ودولة رئيسها ، ومطالبة الحكومة باصدار العفو ، عن الطلبة المحكوم عليهم ، والاحتجاج ، على تدخل انجلترا فى شئوننا الخاصـة ، كمـا يعلن الطلبة أنهم منتظمون فى دروسهم تلبية لنداء دولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا .

ويقرر الطلبة أيضا اقامة نصب تذكارى ، للشهداء ، بأحد الميادين الهامة وتكون توقيعات ممثلى الاتحاد كما يلى .

● **المعهد الديني :**

محمد متولى الشعراوى ، محمد عبد المنعم خفاجة ، محمد يوسف شلب محمد السيد شمس الدين ، محمد الحسين .

مدرسة الصنايع : محمد على عطية ، محمد فتحى ابراهيم ، محمد أحمد حسن .

مدرسة فؤاد الأول ، محمد فهمى حسن ، السيد عبد الحميد مرسى ، السيد عبد الهادى ؛ نزيه رزق ..

***

وفى ٣ يناير ١٩٣٦ ، وفى الحفلة التى أقامتها لجنة الطلبة العامة ، بالشرقية القى الأستاذ الشيخ متولى الشعراوى قصيدة فى حفل تأبين الشهداء أستعيدت — كما قالت الصحف الصادرة فى ٤ يناير ١٩٣٦ — مرارا لما فاضت به من حماسة ووطنية وبلاغة .

وتجرى كلية الزراعة انتخابات اللجنة التنفيذية التى تنوب عن طلبة الكليات فتنال أغلبية الأصوات بالترتيب التالى : أحمد الدمرداش تونى ، محمد عبد السلام حسن ، حسين أبو حسين ، زكى شمس الدين ، محمد عزت عبد الوهاب حسين الابيارى ، أبو المجد التونى حسن سالم .

وكان المندوب السامى ، البريطانى قد بدأ يستقبل أعضاء الجبهة الوطنية فرادى فاستقبل محمد محمود باشا رئيس حزب الاحرار الدستوريين فى ٢ يناير ١٩٣٦ ، واستقبل عبد الفتاح يحيى باشا فى ٧ يناير ١٩٣٦ ، وقد أثارت صحيفة الاجبشيان جازيت موضوعا ثبت أنه غير صحيح . وهو أن الطلبة المصريين اعتدوا على العلم البريطانى ومزقوه يوم افتتاح مؤتمر الجراحة الدولى . وقيل ان بريطانيا اهتمت اهتماما غير عادى بهذا الموضوع فقابل سير ألكسندر كين بويد مدير الادارة الأوربية بوزارة الداخلية توفيق نسيم باشا رئيس الوزارة المصرية لفترة طويلة . كما قابل نسيم باشا ، مستر سمارت السكرتير الشرقى بدار المندوب السامى .. مقابلة غير قصيرة .

***

وبعد خروج مستر سمارت من عند رئيس الوزراء أمر دولته باجراء تحقيق سريع ، دقيق فى مسألة العلم البريطانى ، وما قيل كذبا عن تمزيقه . وقد جيء بالعلم فى حرز والذى أحضره هو الدكتور خليل عبد الخالق سكرتير المؤتمر الدولى وقد ثبت من التحقيق أن العلم سليم لم يمس بأى تمزيق .

وقامت الصحف المصرية بحملات عنيفة على صحيفة الاجبشيان جازيت التى زعمت ، أن العلم البريطانى أهين فى مؤتمر الجراحة الدولى أمام ممثلى نيف وأربعين دولة « ولا يهمها حين تزعم هذا أن يكذبها فى زعمها ممثلو هذه الدول الأربعين وانما الذى يهمها هو أن تشعل النار لحظة واحدة لعلها فى هذه اللحظة تلتهم الأخضر واليابس معا وليكن بعد ذلك ما يكون » .

والجدير بالذكر ، أنه رغم قسوة الأحداث التى تمر بها مصر الا أن ميزة الفن والثقافة لم تتوقف ، ففى هذه الأجواء أصر وزير المعارف - أحمد نجيب الهلالى باشا - على حضور الحفل الختامى ، لموسم الأوبرا ، جرى تمثيل مسرحية تاجر البندقية لشكسبير ، وكانت الفرقة قد مثلت عدة روايات فى نفس الموسم : أهل الكهف ، والملك لير ، وأندرو ماك ،

« فى مثل هذه الأيام من العام الماضى كان التمثيل يحتضر فى مصر ، حتى قيل انه ليس فى مصر ممثلون ، وليس فيها جمهور يتذوق الفن ، فأثبتم ان فى مصر ، ممثلين وان فيها جمهورا يتذوق الفن وبذلك أنصفتم أنفسكم وأنصفتم الجمهور .

وسيكتب لكم فى تاريخ الفن صفحة مجيدة .

ويشيد زكى طليمات مخرج رواية تاجر البندقية وممثل أهم أدوارها ، بما بذل حافظ عفيفى باشا ، وخليل بك مطران من انشـــاء وتدعيم الفرقة القومية المصرية التى نجحت فى موسمها الأول نجاحا كبيرا .

***

وفى اجتماع لمجلس الوزراء ، عقد فى ٨ يناير ١٩٣٦ تقرر منح الاستاذ زكى طليمات الموظف الفنى بدار الأوبرا وعضو الفرقة القومية مكافأة قدرها ٢٠ جنيها فى الشهر أثناء موسم التمثيل بصفته مخرجا وممثلا بالفرقة ، كما قرر مجلس الوزراء أيضا اعادة حسن مصطفى جاد الوردانى أفندى ، الذى كان يعمل مدرسا بمدارس الخاصة الملكية وفصل لأسباب سـياسية ، الى وظيفة بوزارة المعارف وبدرجته وماهيته السابقتين .

***

وتحتفى مصر فى هذا الجو العصيب أيضا باختيار المصرية « شارلوت واصف » ملكة جمال العالم ، ويقول الشعراء ، الكثير فى شارلوت واصف .

ومن بين القصائد التى أذكرها - وكانت شارلوت ، لا تعرف العربية - قصيدة الشاعر حسن عبد الحليم اليمانى .. قال فيها :

***

والحسن يا شارلوت أنت وفيك باسمة حلاه
والحسن يا شارلوت أنت وفيك زاخرة قواه ·
أنت النداء سرى يهز الشعب محمودا سراه ·
يجتاح اشباح الظلام ، ويوقظ الغافي صداه ·
قد كرموا بالامس فيك النيل والصيد والهداه
قد كرموا شعب الخلود ، وكرموا أرض البناه
قد كرموا فيك الجمال ، ومهده مصر الفتاه

***

وتبدأ الحملات ضد القمصان الملونة :

ينزعج الانجليز من القمصان الزرقاء ويذهب سير « كين بويد » الى النادى السعدى ، ليخبر من فيه بقرار وزارة الداخلية الخاص بمنع الجماعات المنظمة من السير فى الشوارع ، والطرقات العامة وخاصة الشبان الذين يحملون شارات خاصة وأزياء كالقمصان الزرقاء وغيرها

ويتحدث كين بويد مع محمد بلال « أفندى » ــ وهو من الشبان الوفديين المعروفين بالذكاء والنشاط ــ كما قالت جريدة روز اليوسف وقتئذ ــ وقد طلب كين بويد من محمد بلال أن يشرح له ولمن معه ، فكرة تكوين الفرق ونظامها ، والغرض من انشائها ·· فشرح لهم ما أرادوه بدقة ·

وتقول جريدة روز اليوسف : ونحن لا نفهم معنى للتعليمات التى ظهرت بعد زيارة سير كين بويد ، والضيوف الانجليز · ولا نفهم مبررا للانزعاج من تمرينات رياضية لم يترتب عليها أى أثر سيىء ، وقد شهد كل منصف للشبان فى الحركة الأخيرة بالحكمة والتزام جادتها ، وعرف كل من له عين وأذن كيف كان الشباب المثقف يمنع الغوغاء من القيام بأى عمل عدائى ما استطاع الى ذلك سبيلا

وعن القمصان الزرقاء وفكرتها وأهدافها أصدر الأستاذ محمد حافظ رمضان بك باعتباره رئيسا للحزب الوطنى بيانا قال فيه :

يتحدث الكثيرون عن أصحاب القمصان الزرقاء ، وتذكر بعض الصحف ان هذا النوع من التكوين يراد به ارهاب طوائف معينة ، من المصريين واستخدامه وسيلة للضغط فى الانتخابات أو تحقيق غايات سياسية على أنى كنت عاملا فى تكوين هذه الفرق منذ بضع سنين ·

وتالفت بالفعل جماعات البازى ، فى سنة ١٩٣٢ ، حتى لقد تقول البعض علينا فى ذلك التاريخ ببجاحة اننا نصرف الشبان عن العمل السياسى ، لم تشأ

جماعات البازى المصرى حين تكونت أن ترد مطاعن الطاعنين أما اليوم وقد لغط الكثيرون بالكلام فقد أصبح لزاما على البزاة أن يفصحوا عن غايتهم مخافة ان يظن بانهم يعملون تحت تأثير حزبى .

ويراد بهذا النظام ، تربية الشبيبة تربية رياضية علمية ، أخلاقية ، ولعل هذه التربية الزم الأمور لبلد محروم أهله من التجنيد الاجبارى ونسبة التعليم فيه ضئيلة جدا ، وبالفعل يخضع أفراد لبازى لدستور أخلاقى طبعوه وتداولوه منذ انخراطهم فى سلك النظام ، ولهم شعار يحملونه ، شأنهم فى ذلك شأن الجماعات الرياضية المختلفة . فترى منقوشا على هذا الشعار ، رسم « البازى » ذلك الطائر المعروف بالنشاط اذ يغادر وكره قبل انبلاج الشمس ، من مشرقها كما هو رمز الشجاعة والقوة ، وعلى رأسه رسم تاجا الوجه البحرى ، والقبلى دليلا على وحدة المصريين ، وتماسكهم .

***

فهو اذن عمل قومى ، لا شأن للحزبية فيه والبزاة يلبسون القمصان الزرقاء منذ سنين ولم يكن يدور بخلدهم ان يسجلوا لأنفسهم هذا الرداء .

وقد قاموا بتمريناتهم ورحلاتهم الرياضية فى عهد الحكومات ، التى تألفت منذ سنة ١٩٣٢ ، تارة فى وادى حوف ، وتارة تحت سفح الأهرام ، وأحيانا فى أماكن خلوية بالصحراء ، ولم تفكر احدى الحكومات فى مقاومتهم ، ذلك لانهم هم أنفسهم لن يفكروا فى أن يكونوا أداة للارهاب ، أو وسيلة ضغط على غيرهم ، بل جعلوا فى مقدمة دستورهم الأخلاقى « أد الواجب ، ودع ما يكون »

والآن نرى انه يجب اثارة الأذهان فيما يتعلق بالبزاة ، ذوى القمصان الزرقاء ، فهم ليسوا جماعة سياسية ولا يتأثرون بحزب معين ، بل هم هيئة ترمى الى تمرين أجسامهم ، وتقويم أخلاقهم ، حتى يستطيعوا أن يكافحوا فى مستقبلهم متاعب الحياة وهم يتقيدون بأقوم مبادىء الأخلاق فى جو يسوده النظام ، والكمال » .

وكان يشرف على فرق البازى الاستاذ مصطفى المنزلاوى ، وكان من بين قادة تلك الفرق ـ وقتئذ ـ الأستاذ محمد ابراهيم جمعة شاعر الحزب الوطنى .

***

ويستمر البريطانيون ، الذين ، كلفوا ببحث مشكلة فرق القمصان الملونة فى اجتماعاتهم ، وفى مقابلتهم للمسئولين ، من البريطانيين والمصريين تمهيدا لحل تلك الفرق ، وكان من بين هؤلاء ، الذين أوكل اليهم بحث هذا الموضوع ، لورد لويد الذى عبر عن انزعاج بريطانيا لانتشار القمصان الملونة فى مصر ،

وكذلك الرايت انوريل ابيل لوكر ، ابن عم المندوب السامى البريطانى ، فى مصر ، و « كين بويد » مدير الادارة الأوربية فى وزارة الداخلية المصرية ، الذى أنعم عليه أثناء مشاركته فى بحث تلك المشكلة بلقب « سير » وكذلك القائمقام « نويل » المفتش بحكمدارية بوليس القاهرة وبعض ضباط الجيش البريطانى ، وقد عقد هؤلاء سلسلة من الاجتماعات مع المندوب السامى البريطانى ، فى مصر ، ومع رئيس الوزارة المصرية ، ومع وزير المعارف وكذلك مع حسن فهمى وكيل وزارة الداخلية ، وحمدى محبوب ، مدير الأمن العام ، وبعض مديرى المديريات وكان الهدف من كل هذه الاجتماعات التمهيد لحل تلك الفرق ، تدريجيا ، وكان أول خطوة اتخذتها السلطات البريطانية ، والمصرية ، عدم السماح لفرق القمصان الملونة ، الزرقاء أو الخضراء بالسير فى الشوارع والطرقات العامة كما سبق أن ذكرنا .

وفى هذا الجو السياسى ، المتوتر ، وتحت راية الجبهة الوطنية أجريت انتخابات نقابة المحامين . وقد فاز فى انتخابات مجلس النقابة ، عن المحامين الذين قضوا فى المهنة أكثر من عشر سنوات الأساتذة : كامل صدقى حصل على ١٠١ صوت . ومحمد كامل البنـداري ١٠٥ أحمد محمد أغا ١٠٩ ابراهيم عبد الهادى ١٠٧ وفاز الأستاذ حسين نبيه المصرى بالتزكية عن المحامين ، الذين تنقص مدة اشتغالهم بالمحاماة عن عشر سنوات .

كما فاز الأستاذ مكرم عبيد بمنصب نقيب المحامين .

وكان من بين ما قاله مكرم عبيد ، اثر انتخابه نقيبـــا مخاطبا زملاءه المحامين :

« الواقع انكم انما انتخبتمونى نقيبا منكم ، ولكم وليس نقيبا عليكم : ومما زاد فى جمال صنيعكم معى انكم اذ رفعتمونى الى هذا المنصب السامى لم ترفعونى ، فى عين نفسى بل على الضـــد من ذلك قد زدتمونى احساسا على احساس بأننى كبير بكم قليل بنفسى » .

★★★

وكان من بين قرارات الجمعية العمومية لنقابة المحامين : تهنئة الأمـة المصرية بعودة دستورها ــ دستور ١٩٢٣ ــ والمطالبة باتمام الاتفـــاق بين الوزارة الدستورية المصرية والحكومة البريطانية على أساس معاهدة النحاس ــ هندرسون فى سنة ١٩٣٠ ، تحقيقا لاستقلال البلاد » .. وهو ما كان الوفـد يطالب به ، ولكن تدريجيا : فى البداية كان يطالب بأن تتم المفاوضات بين بريطانيا ومصر ، على أساس مشروع اتفاق النحاس ــ هندرسون ــ ثم طالب فيما « بعد » بأن تقر الاتفاق الجديد ، حكومة دستورية ، وفى قرارات نقابـة

المحامين ـ وهى مؤشر له دلالته ، دعوة ، الى ان يتم قريبا الاتفاق ، بين الوزارة المصرية ؛ والحكومة البريطانية ، على أساس معاهدة النحاس هندرسون ، ١٩٣٠ ، أى انه الغى الجبهة الوطنية وجعل مسألة الاتفاق بين الوزارة المصرية ، الدستورية ـ أى وزارة الوفد المصرى ، باعتبار ، ما سيكون ـ والوزارة البريطانية !

★★★

وقد ذهب مجلس نقابة المحامين ، برئاسة مكرم عبيد ، الى دار اتحاد المجلس الأعلى ، للعمال ، حيث وضع الجميع اكليلا من الزهور ، على النصب التذكارى لشهيد العمال المرحوم ، اسماعيل محمد الخالع ، ويعد مكرم عبيد العمال ـ باسم الوفد ـ بتحقيق مطالبهم فى الحياة الدستورية المقبلة ويطالب العمال ان يكون من بين مرشحى البرلمان القادم ، حضرات الأساتذة الذين عملوا بين العمال ، في حركتهم الأخيرة من أعضاء المجلس الأعلى ، ليكونوا المعبرين عن أمانى العمال فى الحياة البرلمانية القادمة .

★★★

ويقول مكرم عبيد ، ان الوفد الذى ينزل عند رغبة الأمة ، والعمال سيحقق ان شاء الله كل رغباتهم !

كم كانت مطالب العمال ، وقتئذ متواضعة ؟

انهم لا يطلبون ان يكون من بين النواب عمال ، ولكنهم يطلبون أن يكون الأساتذة من أعضاء المجلس الأعلى للعمال ـ وكلهم محامون ـ هم الذين يعبرون عن مطالب العمال من الذين يرشحهم الوفد ، للانتخابات البرلمانية القادمة .

كان المجلس الأعلى لاتحاد العمال وقديا ، وكان زعيم العمال ـ بعد خلاف الوفد مع الشريف عباس حليم ـ حضرة صاحب العزة ، أحمد حمدى سيف النصر بك .

وقد عقد مجلس العمال مؤتمرا فى ١٦ يناير ١٩٣٦ تحت اشراف المجلس الأعلى افتتحه أحمد حمدى سيف النصر بك ، وقدم الأستاذ رافع محمد رافع سكرتير المؤتمر ، يوسف بتشو بك عضو المجلس الاستشارى الأعلى للعمل ، بوزارة الداخلية .

وفى هذا المؤتمر تحدث د. محجوب ثابت عضو المجلس الاستشارى الأعلى كما تحدث فى هذا المؤتمر الأستاذ زشاد أفندى دوس ، الذى ألقى كلمة العمال ، وتحدث عن آلامهم ، ومتاعبهم كما تحدث الأستاذ رافع محمد رافع عن مشروع قانون العمل الفردى ، وما به من اجحاف ، وقال ان مثل هذه المشروعات ،

اذا ما قدر لهاان تصبح تشريعا سوف تهدم ما اكتسبه العمال ، من حقوق ، نابعة فضلا عما فيها من اجحاف .

***

وقد تحدث أيضا فى هذا المؤتمر الاستاذ زهير صبرى ، عضو المجلس الأعلى .

وقد عقد المؤتمر فى ميدان الأوبرا وحضره – بالاضافة الى من سبق ذكر أسمائهم – أعضاء مكتب الاتحاد العام ، ورؤساء الاتحادات المركزية ورؤساء وأعضاء النقابات العامة ، ووفود الاتحادات المركزية ، وأعضاء مجالس ادارات النقابات العامة – وكان من بين قرارات ذلك المؤتمر : الاحتجاج على ما ورد بمشروع قانون عقد العمل مجحفا بحقوق العمال ومستخدمى الشركات ، وعلى الخصوص ما جاء خاصا بفصل العامل ، من عمله ، والتعويض عن ذلك ، وكذلك الاحتجاج على صدور مرسوم القانون الثانى الخاص بساعات العمل ، فى الأعمال الخطرة ، والمضرة بالصحة ، وما جاء به مجحفا ، بحقوق العمال ، وصحتهم واغفاله الطوائف الأخرى ، المشابهة لحالة من ذكروا فيه كالطهاة ، والسائقين وغيرهم .

***

ومن بين هذه القرارات أيضا مطالبة الحكومة بارجاء النظر فى مشروع قانون عقد العمل واعادة النظر فى مشروع قانون ساعات العمل على وجه السرعة ، حتى يتيسر مناقشة القانونين فى البرلمان القادم ، بواسطة نواب الأمة .

ومن بين قرارات المؤتمر ، التوجه الى الديوان الملكى ، ورئيس الحكومة ووزير التجارة والصناعة لتبليغهم هذه القرارات وطلبات العمال ، وكذلك التوجه الى بيت الأمة ، لتحية حضرة صاحب الدولة ، زعيم الأمة مصطفى النحاس باشا وتبليغه رغبات العمال لتكون موضع رعايته فى الحياة الدستورية القادمة ، وتبليغه رغبة العمال فى أن يكون بين مرشحى الوفد للبرلمان القادم حضرات الأساتذة من غير النواب السابقين – الذين عملوا فى حركتهم من أعضاء المجلس الأعلى ليكونوا بين الهيئة الوفدية ، الممثلة لهم فى البرلمان القادم .

***

وفى نفس الوقت ، الذى كان يعقد فيه العمال المنضوون تحت لواء المجلس الأعلى مؤتمرهم كان العمال الخاضعون لرئاسة عباس حليم ، يعملون على عقد مؤتمر خاص بهم أيضا فى دار التمثيل العربى ، تشترك فيه النقابة

الدولية لموظفى المحلات التجارية المختلفة ،و يتحـــدث ، فيه عباس حليم ، « الزعيم » وصالح ابراهيم من عمال ترام مصر الجديـدة وعضـو المجـلس الاستشارى الأعلى للعمل والعمال عن العمال • ويتحدث فيه أيضا بالفرنسية ــ جوزيف مورى سكرتير عام النقابة الدولية لموظفى المحلات التجارية وعضـو المجلس الاستشارى الأعلى للعمل والعمال ، وكذلك كلمة من الافوكاتو فيلكس حموى مستشار قضائى الاتحاد العام ، والنقابة الدولية لموظفى المحلات التجارية وكلمة عامة من الدكتور محجوب ثابت ــ الذى كان قاسما مشتركا بين كـل القوى العمالية وأخيرا كلمة من أحمد المصرى السكرتير ، الدولى للاتحاد العام برئاسة انزعيم عباس حليم •

***

ولأن وزارة توفيق نسيم باشا كانت تكيل بكيلين صرحت للمجلس الأعلى لاتحاد العمال ، باشراف أحمد حمدى سيف النصر الوفدى ، بعقد مؤتمره ، فى الوقت الذى منعت فيه الاتحاد العام ، للعمال باشراف عباس حلىم ، من عقد مؤتمره •

وأنقل هنا ــ حتى لا ينبرى أحد بتكذيب ما أقوله ــ عن الصحف الصادرة فى يوم ١٣ يناير ١٩٣٦ ، العبارات التالية :

كانت لجنة تنظيم مؤتمر العمال برياسة الشريف عباس حليم قد حددت بالاتفاق مع أولى الشأن ، موعدا لعقد المؤتمر هو الساعة العاشرة من مساء أمس بدار التمثيل العربى للتشاور فى مشروع قوانين العمال ، وأخذت وفود العمال تفد الى مكان الاحتفال قبل الموعد المحدد وقد بلغ عددها حوالى الأربعة آلاف عامل بين أجانب ، ومصريين ، ولكنهم وجدوا الدار محاصرة بالبوليس فظلوا أمامها فى انتظار وصول الشريف عباس حليم الذى وصل بصحبة الأستاذ حسنى الشنتناوى المحامى ، فطلب الشريف عباس حليم من العمال المتواجـــدين ان يذهبوا الى مقر نقابة موظفى المحال التجارية فمضوا قاصدين الى النقابة ولكن قوة من البوليس كانت قد حاصرت هذا المكان ، فلما وصل اليه الشريف ، ومعه الأستاذ حسنى تقدم الأستاذ حسنى من رئيس القوة ، وأفهمه انه قادم الآن من ادارة الأمن العام وقد اتفق مع مديرها بحضور الشريف على التصريح بعقد المؤتمر فى مكان غير دار التمثيل العربى وفى هذه اللحظة تلقى رئيس القوة أمرا تليفونيا من حكمدارية العاصمة بمنع الاجتماع فى أى مكان • وعلى هذا رأى العمال أن يكتفوا بعقد لجنة تنظيم العمل وأصدرت قرارات من بينها : الاحتجاج على مشروع عقد العمل ، وتحديد ساعات العمل ، فى المحال الخطرة ، ورفع الاحتجاج ، الى رئيس الوزارة المصرية ووزير الحقانية ووزير التجارة •• والى سفراء الدول فى مصر ، والى مكتب العمل الدولى بجنيف ، واتحاد العمال فى

باريس ، والى رئيس محكمة الاستئناف المختلطة ورئيس محكمة الاستئناف الأهلية وكذلك الاحتجاج على عقد المؤتمر فى المكان الذى سمحت الحكومة من قبل بعقده فيه وتوجه ، العمال فى مظاهرة ، كبيرة الى دولة رئيس الوزارة فى مبنى رئاسة الوزارة وحدث ، احتكاك بينهم وبين رجال البوليس ، و ٠٠ و ٠٠

ويصرح مدير الأمن العام ، بأن مثل هذه الاجتماعات العمالية من شأنها احداث الشغب ولهذا تقرر مصادرتها ٠

وسنعود لمواصلة الحديث فى هذا الموضوع بعــد نشر رسالتين هامتين لاثنين من أبناء بعض المجاهدين المصريين :

● كتشنر لم يدخل المنصورة

السيد الاستاذ الكبير صبرى أبو المجد

تحية طيبة وبعد ٠٠

أرجو افادة سيادتكم بنبذة من تاريخ مجاهد من أعضاء الحزب الوطنى هو المرحوم الدكتور نصر فريد طبيب العيون بالمنصورة والذى كان رئيسا لبعثة الهلال الأحمر الطبية المصرية التى سافرت الى ليبيا لاسعاف جرحى الحرب بين تركيا وايطاليا سنتى ١٩١١ ـ ١٩١٢ ٠

فى سنة ١٩١٢ قرر المعتمد البريطانى كتشنر زيارة المنصورة ضمن جولته الى عواصم مديريات القطر المصرى ـ وقد قامت المديرية بعمل الترتيبـــات لاستقباله رسميا واقامت السرادقات أمام محطة المنصورة ٠

وقبل وصول القطار المقل للورد بدقائق ٠٠ ترك الدكتور نصر فريـد عيادته المواجهة لمحطة المنصورة وخطب فى الجماهير خطبة وطنية ضد الانجليز وأنهى خطابه بكلمة هى مادمت موجودا بالمنصــــورة فلن يدخلها انجليزى » وهنا قامت الجماهير بهدم السرادق المقام أمام المحطة وهتفت ضد المستعمرين ولم يتمكن كتشنر من دخول المنصورة ٠ وعاد من حيث أتى ٠ بعد أن أمر مدير الدقهلية فى ذلك الوقت حافظ حسن باشا ٠٠ باعتقال الدكتور نصر فريـد واحضاره الى القاهرة وتم اعتقاله بالقلعة لمدة ٦ أشهر ٠

هنا قامت الحرب الكبرى الأولى سنة ١٩١٤ ونفى الدكتور نصر فريد الى مالطة وتمكن من الهرب وتوجه الى ايطاليا التى كانت على الحياد فى ذلك الوقت، ثم سافر الى تركيا ومن هناك الى ألمانيا حيث تطوع فى الجيش الألمانى كطبيب ـ فحكمت عليه السلطة الانجليزية العسكرية بالاعدام مع مصادرة أملاكه وأمواله

بمصر . حيث أعلنت الأحكام العرفية ـ وظل بالجيش الألمانى حتى نهاية الحرب سنة ١٩١٨ .

***

وبعد الهدنة عمل طبيبا بمستشفيات النمسا وألمانيا .

وقد زامل الزعيم محمد فريد وكان يسكن معه فى حجرة واحدة طوال اقامته فى برلين حتى آخر أيامه .

ولما لقى وجه ربه الزعيم محمد فريد قام مع الجالية المصرية بدفن جثمانه ببرلين .

وقد أرسل للمرحوم سعد زغلول ما يفيد بوفاة محمد فريد وطلب منه بصفته رئيسا للوفد مصاريف شحن الجثة الى مصر ليدفن بها ـ ولكن للأسف لم يستجب سعد زغلول لطلبه وخطب فى الجماهير وقال « ان فلوس الوفد ليست لاحضار الجثث !! » .

وقد قام الحاج خليل عفيفى التاجر بفاقوس بارسال مبلغ ٢٠٠ جنيه كمصاريف لشحن جثمان الزعيم محمد فريد . وقد احضرت الجثة « حيث قام الوفد بالاحتفال بتشييع الجنازة » .

وبعد الغاء الأحكام العرفية حضر الى القاهرة الدكتور نصر فريد حيث افتتح عيادة مجانية بشارع كوبرى قصر النيل « التحرير حاليا » الى أن توفى فى يناير سنة ١٩٤٥ .

أرجو ان تكتبوا عن تلك الشخصيات التاريخية التى لعبت أخطر الأدوار فى تاريخنا .

أحمد نصر فريد

***

● نحن أبناء المجاهدين : نطالب بتكريم أسماء آبائنا

الاستاذ / صبرى أبو المجد

من موقعك فى صحافتنا الوطنية ، عودتنا دائما أن تؤرخ لتاريخنا الحديث، بنظرة جديدة ، صادقة ، واعية ومنذ أسابيع كانت دعوتكم الوطنية الصادقة للمناضلين الأحرار ، الأحرار من زعماء الحركة الطلابية ، لكى يكتبوا ، عن تلك المرحلة النضالية ، الهامة ، والخطيرة وقد كان ، لدعوتكم الطيبة أبلغ الأثر فى نفوسنا ، جميعا ، وخاصة نحن أبناء أولئك الزعماء والقادة لحركة شباب

١٩٣٥ ، وعندما بدأت أسطر بعض كلمات ، عن أبي ، باعتباره كان رئيس اتحاد طلاب كلية الآداب وكان عضوا في اللجنة التنفيذية ، العليـا عـام ١٩٣٥ ، لم يطاوعني قلمي ، وجدت الكلمات تتبخر ماذا أكتب عن والدى المرحوم عبد العزيز يونس ، الذى كان من أعدى أعداء الاستعمار ، وكان خصما عنيفا للطغيان ؟ ووجدت أن المناضل الشريف صبرى أبو المجد قد كفانا بقلمه الحـر ، عبء الكتابة عن تلك الشخصيات الوطنية بما يكتبه فى تلك الحلقات السياسيـة الهامة • وتبقى كلمة أحملك مسئوليتها ، وأمانتها ، هل نطمع نحن أبناء هؤلاء القادة والزعماء الذين لعبوا ، أخطر الأدوار فى مرحلة هامة وخطيرة من مراحل نضال شعبنا أن تحملوا ومعـكم كل كتاب مصر ومثقفيهـا وسياسييها الدعوة لتكريم أسماء أبنائنا المجاهدين الذين أعطوا لبلدهم كل شيء ولم يحصلوا بعد حتى على تخليد ذكراهم وذكرى القضايا الوطنيـة التى كافحوا من أجلها ، ولك كل تقدير •

حمدى عبد العزيز يونس

المحـامى

الفصــل الخامس

على ماهر يؤلف وزارة المائة يوم

ولمواصلة الحديث عن مصر فى الفترة من نهاية ١٩٣٥ وبداية عام ١٩٣٧ يقول مدير الأمن ، الذى صرح بعقد مؤتمر مماثل فى يوم سابق يقول فيــه العمال ومن يناصرونهم مثل ذلك الذى كان سوف يقال فى مؤتمر آخر ٠

يقول حمدى محبوب بك مدير الأمن العام : « ان شـــكاوى العمال ان وجدت ـ تصور ! ـ تقدم للجهات المختصة ، التى تفتح أبوابها لها على مصاريعها وان للعمال ممثلين فى المجلس الاستشارى الأعلى للعمل يدافعون عنهم عنــد الاقتضاء ٠٠

ويرد عباس حليم بقوله :

« ان نظرية احتمال الشغب ، لو أصبحت قاعدة فى الحكم على الاجتماعات لتعطل الدستور ، وقضى على حرية الاجتماع ، ولذلك وضع القانون قواعد لهذه الاجتماعات لم نغفل واحدا منها فى طلب المؤتمر الأخير ، وفضلا عن ذلك ، فان تشجيع الحكومة لعمال المجلس الأعلى ، على الاجتماع ٠٠ مع أنهم حزبيون سياسيون ومصادرتها لعمال الاتحاد العام من وطنيين وأجانب ٠٠ مع بعدهم عن السياسة ، يبين ان فى المسألة تدبيرا مجهولا ، وسياسة مرسومة ٠ وأما باب الجهات المختصة المفتوح على مصراعيــه ، فقد طرقناه منذ ستة أعوام ٠ وحينما لم نسمع وراءه مجيبا ، وجد العمال انه لا محيص الهم من عقد المؤتمرات وتاليف النقابات للدفاع عن حقوقهم فى حدود القانون ٠

« واما تمثيل العمال فى المجلس الاستشارى الأعلى للعمل ، فنجيب عنه بان مدير الأمن العام بنفسه ، كان من المصوتين ضد مطالب العمال فى مشروع قانون العمل الأخير ، الذى كان من الأسباب الأولى لانعقاد المؤتمر العمالى ٠ ولم

يعمد العمال الى عقد مؤتمرهم الا بعد أن يئسوا من المجلس المذكور ، هذه هى أبوابهم المفتوحة جميعها ، فان كان لهم باب آخر فليدلونا عليه » .

والجدير بالذكر أنه فى مؤتمر العمال الذى عقد تحت اشراف المجلس الأعلى .. كان من بين ما قاله بتشو بك عضو المجلس الاستشارى الأعلى للعمل والعمال : ان المحاكم المختلطة كانت فى أحكامها منصفة للعمال .. اذ أعطت غالبية هذه الأحكام نصف شهر عن كل سنة للعامل عند الاستغناء عنه . وبعض الأحكام أعطت العامل شهرا كاملا عن كل سنة .

وكان من بين ما قاله الدكتور محجوب ثابت : ان العامل فى انجلترا يأخذ أربعة أشهر عند فصله من العمل ، بالاضافة الى نظم التأمينات الموجودة هناك ، التى يدفعها صاحب العمل فى انجلترا ، بل وفى كثير من البلدان الأوربية بنسبة مئوية ، ويدفع مثله العامل وكذلك الحكومة .. وهو ما يسمى بالتعاون الثلاثى ، لاعانة العامل عند فصله من العمل .

***

ويطالب محجوب ثابت بانصاف العمال ، لأن فى انصافهم انصافا للشعب .

وكانت الحركة العمالية تكسب كل يوم الكثير بسبب نشاط قياداتها وعدم خشية تلك القيادات من مجابهة السلطة . بل ان هذه القيادات كانت تتعرض للسجن والاعتقال دون ان تضعف أو تلين ، ودون أن تتنازل قيد انملة عن حقوق العمال .

وكانت ــ وهذا مهم جدا ــ تضحيات القيادات العمالية موضع تقدير كبير جدا من العمال أنفسهم .

ونعود الى الحديث عن الجبهة الوطنية ، حيث راح المندوب السامى البريطانى السير مايلز لامبسون ، يستقبل أعضاء الجبهة واحدا واحدا فى محاولة منه لسبر غورهم ، واستكشاف نواياهم . وبينما كانت الجبهة الوطنية تواصل اجتماعاتها ونشاطاتها ، كانت تجرى احتياطات عسكرية خطيرة ، حيث كان الأفق الدولى ينذر بهبوب عاصفة شديدة .. وحيث كانت دول العالم تواصل استعداداتها العسكرية .

وبطبيعة الحال ، كانت الحكومة المصرية تسير خلف الحكومة البريطانية ، التى كانت بدورها ، خائفة جدا من الانتصارات التى كانت تحرزها ايطاليا فى الحبشة ، وكانت بريطانيا ، هى قائدة التيار العالمى الذى ينادى بفرض العقوبات الاقتصادية على ايطاليا ، وفى مقدمتها حظر البترول .

لقد أحرزت الجبهة الوطنية نصرا هائلا .. !! .. عندما ألفت لجنة لتنظيم شئون الترشيحات للانتخابات النيابية القادمة . وكان تشكيل هذه اللجنة على النحو التالى :

حافظ عفيفى عن المستقلين
مكرم عبيد عن الوفد
ابراهيم دسوقى أباظة عن الأحرار الدستوريين
عبد الرحمن الرافعى عن الحزب الوطنى
أحمد كامل عن حزب الشعب
حلمى عيسى عن حزب الاتحاد
على الشمسى عن الوفديين السعديين

كانت الجبهة تولى موضوع الانتخابات أهمية كبيرة . بل ان بعض أعضاء الجبهة كانوا يولون موضوع الانتخابات أهمية أكبر وأخطر من تلك التى يولونها لحل القضية المصرية .

كان الوفد المصرى مثلا ، يعطى أولوية خاصة للانتخابات المقبلة ، لأنه على ثقة مطلقة من أن الأغلبية فى البرلمان الجديد سوف تكون من نصيبه .

وكان الوفد المصرى يرفض فكرة الوزارة القوميـة التى تضم الأحـزاب المصرية ، لانه يريد أن ينفرد بالحكم . ويؤكد دائما ان فكرة الوزارة القومية فكرة غير مجدية .

وقد راح كثير من الزعماء ، وتيار كبير من الشباب يؤيدون فكرة تأليف وزارة اتحاد وطنى برئاسة مصطفى النحاس باشا . فقد كانت ظروف البلاد تدعو فعلا الى تأليف مثل هذه الوزارة لأن الملك فؤاد كان يعانى من مرض خطير، حال بينه وبين مباشرة عمله كما يجب ، ولأن الأوضاع الداخلية كانت تحتم تأليف مثل هذه الوزارة .

★★★

وقد بحث الوفد المصرى فى اجتماعه فى ٢٣ يناير ١٩٣٦ هذا الموضوع ورفض أن يشترك فى الوزارة الائتلافية ، لأن التجربة السابقة للائتلاف انتهت بالفشل . ورحب الوفد المصرى ، بقيام وزارة انتقالية تجرى الانتخابات . وفى نفس الوقت رحب الوفد على لسان مصطفى النحاس باشـا ، بانه عندما تجرى الانتخابات ويفوز الوفد بالأغلبية ، سوف يشرك أعضاء من الجبهة الوطنية فى وفد المفاوضات .

ولقد ناقشت بعض الجهات العليا الموقف ٠٠ بعد أن رفض الوفد المصرى فكرة الاشتراك فى الوزارة القومية ، واقترح البعض ان يشكل الوزارة الجديدة محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين ، على أن يشترك معه فى الوزارة ممثلو الأحزاب الأخرى فيما عدا الوفد ، ولكن المسئولين البريطانيين فى مصر عارضوا الفكرة لانهم لا يريدون أغضاب الوفد ، فى تلك المرحلة العصيبة ٠

وقد عبر مراسل « النيوزكرونكل » فى القاهرة عن رأى هؤلاء البريطانيين عندما قال انه من الصعب أن يرى المرء كيف يتسنى لأى ائتلاف ان يمثل المصريين ، ما دام الوفد ليس منضما اليه ٠

وفى هذا الجو نشط على ماهر باشا نشاطا غير عادى وقابل مصطفى النحاس بحضور مكرم عبيد ، ومحمود فهمى النقراشى ، وأحمد ماهر ، وطال الاجتماع ، واستمر تقليب الموقف على جميع وجوهه ساعتين ، كما قابل محمد محمود باشا الذى أبلغه انه ــ أى محمد محمود باشا ــ يرفض تماما فكرة اسناد رئاسة الوزارة اليه ٠

***

وفى ٢٣ يناير ١٩٣٦ ، يذهب مصطفى النحاس ومكرم عبيد ، وأحمد ماهر ، الى سراى عابدين ، لمقابلة على ماهر ، وكان على ماهر فى الصباح قد اتجه الى النادى السعدى وقابلهم ويتجه اسماعيل صدقى الى عابدين لمقابلة على ماهر أيضا وبعد اسماعيل صدقى ، يتجه الى عابدين محمد محمود باشا لمقابلة على ماهر كذلك ٠

واذ كان يوم ٢٣ يناير ١٩٣٦ ، يوما عصيبا فقد كان يوم ٢٤ يناير ١٩٣٦ أكثر خطورة ، مصطفى النحاس يلتقى مع على ماهر ، وعلى ماهر ، يلتقى مع محمد محمود ، وجوهر اللقاءات الاقتراح الذى تقدم به الوفد المصرى بتأليف وزارة محايدة تتولى اجراء الانتخابات وفى الوقت نفسه يؤلف الوفد الرسمى ، للمفاوضات من جميع الأحزاب ٠

***

ويشتغل على ماهر ، عشرين ساعة بلا انقطاع فى يوم ٢٥ يناير ١٩٣٦ ٠

انه يقابل ــ ضمن من قابلهم فى هذا اليوم الخطير ــ حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى وحمد الباسل باشا ، وبعد هذه المقابلات يتوجه على ماهر ، الى دار المندوب السامى البريطانى ، ليعرض ، عليه نتيجة ما انتهى اليه الرأى فى مباحثاته مع الزعماء وتستغرق المقابلة ٤٥ دقيقة ٠

ويخرج « معالى » على ماهر باشا ، رئيس الديوان الملكي من مكتب دار المندوب السامي البريطاني الى قصر القبة ليتشرف بمقـابلة صاحب الجـلالة الملك فيفضي اليه بما دار من حديث بينه وبين السير مايلز لامبسـون ٠ ثم يلتقي بعد ذلك كله بأعضاء الوفد لمدة ثلاث ساعات ونصف ٠٠ وكان عـلى ماهر يستأذن من المجتمعين ويخرج ليتحدث فى التليفون الى جهة غير معروفة ثم يعود كما تقول صحف ذلك اليوم ٠

ويجتمع الوفد المصرى لفترة طويلة وتتكرر الاجتماعات فى أيام ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ يناير وكانت بعض الاجتماعات تتم فى أماكن غير مألوفة مثل محل حلوانى « صولت » بشارع قصر النيل ، وكان د٠ محمد حسين هيكل ، ومكرم عبيد يفضلان أن يلتقيا فى هذا المكان ٠

***

وكانت قيادة الطلبة تتعامل مع الطلبة بالشفرة ٠

وفى مساء ٢٦ يناير أصدر فريد زعلوك رئيس لجنة الطلبة بيانا فى خمسـة أسطر يقـول : حدث عند منتصف ليل أمس ، فى الموقف ظروف خطيرة ، تقتضى أن يتريث جميع الطلبة اليوم فأرجو أن يكون ذلك موضـع تقدير اخوانى الطلبة وفى مقدمتهم أعضاء اللجنة التنفيذية الذين لم يتيسر لى الاتصال بهم فليتريثوا جميعا ، ويراقبوا تطورات الحوادث ٠

ويسقط فى دمنهور شهيد جديد هو حمزة محمود الرومى الطالب بمدرسة دمنهور الزراعية الذى توفى اثر اصابته بطلق نارى من رجال البوليس عنـد اقتحام حكمدار البحيرة دار المدرسة بجنده يوم ٧ يناير أثناء الاضراب وسقط فى المنصورة ، شهيدان جديدان ، سقطا برصاص رجال البوليس عندما تظاهر الطلبة احتجاجا على التسويف البريطانى وهما محمد شطا محمد « ١٧ سنة » على حسين حسن « ١٢ سنة » ، وكانت مصر ، قد عادت من جديد ، الى غضبها فى ٢٦يناير،٢٧ يناير ١٩٣٦ ، وكان الذى يحمل لواء الغضب ــ فى هـذه الأيام ــ الطلبة القوميون رغم أنف الطلبة الوفديين ٠

ولوحظ ، ان طلاب الأزهر ، قد شاركوا فى هذه المظاهـرات العنيفة ٠ وكان طلاب الأزهر ، قد سرى بينهم الخلاف الذى جعل منهم فريقين وطلب كل منهما اتحادا أزهريا ، حتى لقد استقل الأزهريون باتحادهم هذا عن كل شىء فراح فريق منهم يؤيد الاتحاد الذى يرأسه الشيخ أحمد حسن الباقورى وراح فريق آخر يؤيد الاتحاد الذى يرأسه الاستاذ عبد المجيد الغايش ٠ وكان هـذا الخلاف بين الاتحادين ــ كما أجمعت كل الدوائر ، المتصلة بالأزهر ــ مدعاة أسف بالغ ٠

***

وقد قام الاستاذ الشيخ ثابت أبو المعالى بالجمـــع ما بين الاستاذين الباقورى ، والغايش ، وفى اجتماع ثلاثى ، اتفقوا على أن يظهر الأزهر ، كلمة واحدة ٠

ففى ٢٧ يناير التقى فى الجامع الأزهر ، قرابة الفين من الطلاب حـول المنبر ، واقبل الاستاذان الباقورى ، والغايش معا ، فقـــوبلا من أخـوانهما بالتصفيق والهتاف ٠

وتحدث الاستاذ ثابت أبو المعالى عن الوحدة ، ومكانتها فى حياة الشعوب، كما تحدث الشيخ الباقورى حديثا ، أدرك منه الأزهريون ان الخصـومة بينه وبين زميله الغايش قد استقرت فى رمسها ٠

وقد أكد الشيخ الباقورى ان الأزهريين وقد عرف منبرهم ، كيف يغذى النهضة فى بواكيرها ، ليسوا اليوم الا على ما كانوا عليه فى الأمس من قوة بأس ، وروعة ثبات وانهم فى مقدورهم ان يقودوا الثورة ، ويحملوا ، أثقـل أعبائها ، على كواهلهم ٠

وسجل الشيخ الباقورى ، ان وحدة الأزهريين تستمد قوتها من وحـدة الشعب الممثلة فى جبهة واحدة وان أى عبث يتناول هذه الجبهة سيكون مصير القائمين به النفور المحقق من تأييد الأزهريين ٠

***

وتحدث الأستاذ الشيخ عبد المجيد يوسف الغايش فأذاع مزيد اغتباط بهذه الروح ، التى أوحت الى زميله أن يحسم هذا الخلاف ٠

وتحدث فى هذا الاجتماع الشيخ محمد متولى الشعراوى مندوب اتحاد الجامعة الأزهرية فى معهد الزقازيق ، كما تحدث الى المجتمعين الشيخ عبد الرحمن عبد الحليم درويش والشيخ محمد المهدى ، والشيخ النمر والشيخ عبد الرحمن عثمان ، والشيخ عبد الرحمن الجندى وكذلك الأديب فهمى أبو غدير أفنـدى الطالب بكلية الحقوق ، وأحمد حسان عمر الطالب فى كلية الأداب ، وعبد الملك هاشم الطالب فى الخديوية ٠

وكان طلبة مدرسة الصناعات الزخرفية قد حرقوا المكاتب ، والنوافذ ، وأشعلوا النيران فى بعض الأخشاب التى كانت فى المعمل ، ولكن جانبا من الطلبة أسرعوا الى اخمادها قبل أن تعلق بمحتويات المعمل ٠

وكانت الحالة فى طنطا قد تدهورت حتى لقد وصل الى طنطا فى صبـاح ٢٧ يناير قطار خاص يحمل الاورطة العاشرة من البيادة من الجيش المصرى و ٠٠ و ٠٠

وأسخف شيء ، فى تلك المظاهرات أن كثيرين من أساتذة المدارس ونظارها وكثيرين من رجال الادارة ، كانوا يخرجون أولادهم من المدارس قبل اطلاق النيران عليهم من قبل رجال البوليس !

***

وتغلق الجامعة المصرية أبوابها مرة أخرى الى أجل غير مسمى ، وقد عاد مجلس الجامعة المصرية ، فحدد فترة الاغلاق بيوم ٤ فبراير ١٩٣٦ .

ويعقد الطلاب ، مؤتمرات ، عديدة يتخذون فيها الكثير من القرارات .

وكان من أهم هذه المؤتمرات ذلك ، الذى عقد فى ساحة الجامعة فى صباح ٢٨ يناير ١٩٣٦ والذى خطب فيه فريد زعلوك وعلى كريم ، وحمادة الناحل ، وجلال الحمامصى ، ومحمود أبو رحاب ، وابراهيم عثمان ، وعبد العزيز الشوربجى ، وأحمد الدمرداش تونى ، ومحمود شامل .

وفى دار العلوم يأبى الطلبة الا أن يتجهوا فى مظاهرة الى قصر عابدين محتجين ، على الأوضاع الراهنة ، فلما حال البوليس بينهم وبين الاقتراب من سراى عابدين اختاروا الأديبين أحمد الحوفى والسيد العجان حيث سمح لهما بالدخول الى السراى ، وتقييد اسميهما فى دفتر التشريفات ثم قابلا محمد بك حسن الأمين الأول حيث قدما اليه طلبات طلبة دار العلوم !

***

وكان من بين قرارات مؤتمر الطلبة تحميل الانجليز مسئولية الأحداث التى وقعت والتى ستحدث فى مصر ، والتى نشبت من موقفهم الشاذ وتدخلهم فى شئون البلاد .

وقد بعثت اللجنة التنفيذية العليا للطلبة بوفد الى دمنهور للتعزية فى وفاة شهيديها وكان الوفد مكونا من نصيف مرقص وابراهيم مغازى ، وحافظ شيحا ، وابراهيم الفار ، وأحمد الحوفى ، وقد ذهب الوفد الى أسرة الشهيد حمزه الرومى ، والى أسرة محمد المسلمانى وبعد زيارة أسرتى الشهيدين توجه الوفد الى سراى سعادة محمد باشا الوكيل التناول الغداء على مائدته .

وعطلت الدراسة أيضا فى الجامعة الأزهرية وفى معهدى طنطا والاسكندرية وتدهورت الأحوال فى معاهد أسيوط ، والزقازيق ، ودسوق ، ودمياط وكان الطلبة الأزهريون بعد أن أغلق الأزهر يلجأون الى الاجتماع فى بعض المساجد ، ومن بينها مثلا مسجد المؤيد ، ورغم ذلك كان البوليس يحاصر المساجد ويمنع الأزهريين من الدخول اليها .



وكان الطلبة ذات مرة قد طلبوا الى مصطفى النحاس أن يخطب فيهم اثر عودته من سراى عابدين فاعتذر منيبا عنه مكرم عبيد الذى قال ان النحاس باشا ما اعتذر عن الكلام ، الا لتعب خفيف طرأ عليه ، ولكنه تعب لا يخلو من راحة فان خدام الفكر يجدون راحة النفس فى متاعب الحس » .

***

وكان من بين ما قاله الاستاذ مكرم عبيد ردا على مراسل جريدة التيمس البريطانية : ان نغمة التفريق بين عنصرى الأمة قد عفا عليها الزمن ، وصهرتها نار الحوادث والمحن ، وليعلم خصوم الأمة ، ان أولئك الذين جمعت بينهم صلة الدم ، الموروث ، بل وصلة الدم المسفوك لن يفرق ، بينهم داعية ، أو دعاة من المستعمرين فان ما جمعه الوطن ، لن يفرقه أعداء الوطن ، وما جمعه الله ، لن يفرقه انسان : الوطنية ديننا هذا ما قاله زميلنا المغفور له سينوت حنا بك ، وبهذا نادى شهداؤنا وعلى مثل هذا تقوم فلسفة الوطن فالمسلم والمسيحى ، أخوان شقيقان فى ايمانهم الوطنى ، وما المسيحى دينا مصرى موطنا » .

وكان مندوب التيمس البريطانية قد حاول التفرقة بين أبناء الأمة الواحدة ، فقال ان الأقباط ، الذين ينتسب اليهم مكرم عبيد لهم ، مصلحة خاصة فى بقاء النفوذ الاستعمارى !

وكان من بين خطباء الطلبة حمادة الناحل الذى قال ذات مرة فى دار الأحرار الدستوريين اننا لا نتبع حزبا من الأحزاب واذا كان ولا بد من صلة بيننا وبينكم أيها الأحرار الدستوريون فانما هى صلة العداء ، لا الولاء ، فما قمنا قومتنا الا لنقوى الروح المصرية الخالصة البعيدة ، عن الحزبية وتحارب كل روح ترمى ، الى النفع الشخصى ونسيان مجد البلاد واستقلالها .

وفجأة وفى مساء ٣٠ يناير تنفرج الأزمة ويؤلف على ماهر باشا رئيس الديوان الملكى الوزارة الجديدة ويدخل معه الوزارة : أحمد عبد الوهاب ، اللواء على صدقى ، محمد على علوبة ، حسن صبرى ، صادق وهبة ، حافظ حسن ، أحمد على .

ونشر تعليقا آخر وأخير — فى هذا الكتاب من د. محمد بلال .

د. بلال يعقب :

الأستاذ صبرى أبو المجد

فى سياق الحديث عن القمصان الزرقاء وزيارة سيركين بويد مدير الادارة الأوربية بالداخلية وآخرين لى فى النادى السعدى وعن تعليمات معه بقرار من وزير الداخلية بمنع الفرق من السير فى الشوارع والأماكن العامة ٠٠ رأيت تصحيحا لتلك الواقعة أن أوضح بأن الحديث الذى دار معى لم يشمل تعليمات من أى نوع لسبب واحد وهام وهو انه لم يكن من حقه اصدار تعليمات للشباب وفى مقر داره كما لم يكن للشباب أن يقبلوا تعليمات منه أو من غيره لأن ذلك لا يكون عن غير طريق رئيس الوفد ٠٠ وقد دار الحديث بيننا عن الأهداف التى يسعى الشباب لتحقيقها من وراء قيام هذه الفرق ٠٠ وكان بصحبته مسئول آخر قدم على أنه موفد من وزارة الخارجية البريطانية ومسئول ثالث من أعضاء السفارة ٠٠ وتركز اهتمامهم فى السؤال عن علاقات الفرق الخارجية والتحقق من أى اتصال بالفرق المشابهة لدول المحور بأوربا (الفاشيست والنازى) وهم أصحاب القمصان السوداء بايطاليا والقمصان البنية بألمانيا ٠

وقد سبق أن قلت ان الضباط البريطانيين فى وزارة الداخلية لم يكفوا لحظة عن متابعة نشاط وتحركات هذه الفرق وان الحكمدار اللواء رسل ونائبه الأميرالاى فيتز باتريك كانا دائمى النشاط فى هذه المتابعة وانى كثيرا ما رأيت فيتز باتريك يرقب الاجتماعات فى بعض المعسكرات ويتحرى عن قرب بنفسه وبرجاله من أمثال القائمقام نوبل ٠ عن تحركات الشباب ٠٠ وكثيرا ما قام بزيارات مفاجئة لى أثناء مرورى فى بعض المعسكرات مما كان يثير كثيرا من الغضب والتبرم بين صفوف الشباب وكان موضع اعتراض منى واحتجاج لدى المسئولين ٠٠

هذا من ناحية ٠٠ ومن الناحية الأخرى فمن المناسب وللشرح التاريخى أرجو أن توضح أن فرق القمصان الزرقاء نشأت كفكرة فى أواخر ١٩٣٥ أثناء مظاهرات الطلبة وقامت فى أوائل ١٩٣٦ وسميت الفرق بعدها الشباب تحت لواء الوفد ، وهى غير جماعة البازى وأرى أن ما جاء فى حديث حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى عن فرق القمصان بصفة عامة يصور كثيرا من الجانب القومى والوطنى للشباب فى تلك الحقبة فى تاريخ مصر ٠٠

تحية لابن بار : وقد أسعدنى كثيرا ما قرأته من حديث لابن عن أبيه هو الزميل الراحل عبد العزيز يونس ٠٠ كان مناضلا شريفا وعضوا بلجنة الطلبة ممثلا عن كلية الآداب مع باقى الزملاء ٠٠ وكان حريصا على حضور الجلسات ومتابعة القرارات ٠٠ وكان قوى العارضة لا يمل حديثا أو حوارا فى

سبيل القضية الوطنية يدعم رأيه بالحجة والبيان ·· لا يترك شاردة ولا واردة دون مناقشتها حتى يتحقق وجه الصواب ··

والحديث صورة من وفاء جيل الأبناء لجيل الآباء وقراءة كريمة لنضـــال سابق وجهاد باق على الأيام ·· وكم يسعدنا ويملؤنا اعتزازا أن نرى أبناءنا يتصفحون كتابنا وأن يعطوا من وقتهم وكفاحهم من أجل حياتهم ساعات لمطالعة تاريخ آبائهم ·· حينئذ نطمئن الى أن راية الكفاح من أجل مصر سوف تظل مرفوعة وأن رسالة الآباء بين يدى أبناء بررة أمناء ·

دكتور محمد بلال

★★★

وبعد ذلك لابد فى رأينا – من أن نكتب – فى ايجاز قصة على ماهر الذى لعب أخطر الأدوار فى تاريخ مصر فى الثلاثينات ·

الفصل السادس

سطور من تاريخ علي ماهر

روينا بعض الأحداث التى صاحبت تأليف على ماهر لوزارة المائة يوم ونكمل اليوم قصة على ماهر فى ايجاز مختصر ·· أين ولد وتربى وكيف برز فى الحياة السياسية محاميا نايها ثم قاضيا يصر على « حرمة » القضاء الى الدرجة التى يقف فيها فى وجه تدخل سعد زغلول ـ ناظر الحقانيـة ـ فى شئونه كقاض ·· والظروف التى هيأت لعلى ماهر ان يبرز فى الحياة السياسية قبل معـاهدة ١٩٣٦ ·

● وعلى ماهر أحد خمسة أولاد أنجبهم محمد ماهر باشا ، وكان من خيرة ضباطنا العسكريين · تدرج فى سلك المناصب الى أن صـار وكيلا لوزارة الحربية · ثم وقعت حادثة الحدود المشهورة ، عندما أبدى الخديو بعض الملاحظات على تدريب الجيش المصرى ، واعتبر المعتمد البريطانى تلك الملاحظات اهانة له وللضباط الانجليز ·

وقد وقف محمد ماهر باشا الى جانب الخديو فى هذه الأزمة ، التى دفع ثمنها غاليا ، وهو اقصاؤه عن منصب وكيل وزارة الحربية ·

والأولاد الخمسة الذين أنجبهم محمد ماهر باشا هم : مصطفى ، وعلى ، ومحمود ، وأحمد ، وأمين ·

ولقد عمل اثنان منهم بالسياسة ووصلا الى أعلى المناصب ، فكان على ماهر رئيسا للوزارة أكثر من مرة · وكان أحمد ماهر رئيسا لمجلس النواب أكثر من مرة أيضا · وآخر منصب تولاه أحمد ماهر رئاسة الوزارة ، وهى الوزارة التى أعقبت وزارة مصطفى النحاس باشا ، وزارة ٤ فبراير ١٩٤٢ ·

وكان تأليف أحمد ماهر للوزارة فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ ٠ ولم يمكث فى رئاسة الوزارة أكثر من بضعة أشهر حيث اغتاله محمود العيسوى ، أحد شباب الحزب الوطنى فى أواخر فبراير ١٩٤٥ ٠

***

درس على ماهر فى مدرسة الخديوية الثانوية ، ورأس جمعية كان اسمها « الهلال والنجمة » ٠٠ أسست لتدريب التلاميذ على الخطابة والبحث ، أسوة بالجمعية الأدبية التى أنشأها مصطفى كامل فى مرحلة دراسته الثانوية ٠

وقد حدث أن تلاميذ المدرسة الخديوية لجأوا ذات يوم الى الاضراب ٠ وأراد ناظر المدرسة « المستر اليوت » أن يتدارك أسباب الاضراب ، وأن يعالجها حتى لا يلجأ اليه التلاميذ مرة أخرى ٠٠ فنادى رئيس جمعية « الهلال والنجمة » ٠ على ماهر ، وسأله :

ـ هل تتعهد بعدم وقوع اضراب جديد ؟

فأجابه على ماهر : بأنه لا يستطيع الوعد بذلك ، فهو ـ أى على ماهر ـ وان كان لا يحب الاضراب ٠٠ الا أنه لا يحب الاستبداد أيضا ٠٠ !!

وقد تخرج على ماهر فى مدرسة الحقوق ٠ وعمل محاميا فترة من الوقت أمام المحاكم الأهلية ، وأمام المحاكم المختلطة ٠ وقد وقع له أثناء اشتغاله بالمحاماه، ما أغضبه ٠٠ فقرر أن يترك المحاماة الى القضاء ٠

وقف مرة محامى خصوم موكلى على ماهر يطلب التأجيل لأن لديه مستندات جديدة تتطلب هذا التأجيل ٠ وكان على ماهر يعرف أنه ليست هناك مستندات جديدة ٠ فنهض وأمسك بيد الزميل ، وطلب الى المحكمة ، أن تتسلم منه المستندات ، وأخذت المحكمة الأوراق التى كان المحامى يمد يده بها فوجدتها بيضاء !!

ونطق القاضى بالتأجيل ٠٠ فاحتج على ماهر على هذا التصرف وانسحب صائحا : « أعجب لمحام يكذب ، وأعجب لقاض يصادق على الكذب » ٠

***

وبعد ثلاث سنوات من اشتغال على ماهر بالمحاماة ، اختارته وزارة الحقانية للقضاء ٠٠ فعمل فى محكمة الأزبكية ، كما عمل فى محكمة عابدين ، واهتم بأحوال الأحداث ٠ ولم يكن يحكم عليهم قبل أن يعرف الظروف الاجتماعية لكل واحد منهم ٠

ويقول الدكتور محمود عزمي : ان السنوات الخمس التى تولى فيها على ماهر القضاء ، لم يكن يتقيد بحرفية القانون ، بل كان ينظر الى القضايا التى يفصل فيها ، نظرة اجتماعية الى جانب النظرة القضائية البحتة ·

وكان يشق عليه حين يتضح له تزوير الشهادة ، أن يخرج شهود الزور من ساحة المحكمة أحرارا هانئين ، بينما يظل المحبوسون من جراء الشهادة ـ التى ثبت زورها ـ فى السجون ·· فكان حين تثبت لعلى ماهر شهادة الزور ، يأمر بادخال شهودها فى قفص الاتهام ، وباخراج المتهمين منه فى الجلسة ذاتها ، وهو لا يجهل أن التنفيذ فورا يسرى فى حالات معينة ، ليس من بينها حالة شهادة الزور ·· اللهم الا أمام القاضى المدنى ·· ولكنه كان يتوسع فى التطبيق ، ويقيس على ما يقع أمام القاضى المدنى فى حالة شهود الزور ·· دون تقيد بحرفية القانون ·

وكان الى جانب اجتهاده وواقعيته ، ونظرته الى المشـــاكل القضـــائية والتغييرات الاجتماعية ، يحس باستقلاله فى القضاء احساسا عميقا ·

عرضت عليه قضية ذات مرة ـ اتهم فيها ممول من كبار الممولين الذين يستطيعون مغادرة القطر فى لحظات · ودفع الوكيل بعدم اختصاص المحاكم الأهلية · وكانت المحكمة المختلطة قد حكمت بعدم اختصاصها هى الأخرى من قبل ·

وطلب المحامى الافراج عن موكله ·· ولو بكفالة ·

فقضى على ماهر باختصاص القضاء الأهلى ، وأفرج عن المتهم بكفالة قدرها ألف جنيه ·· ولم يضمن الحكم أسبابا لما رآه فى أمر الاختصاص ·

وكان سعد زغلول باشا ناظرا للحقانية · فاستدعى على ماهر وحدثه فى أمر الحكم بالاختصاص ، والكفالة التى لم تكن العادة قد جرت بالذهاب بها الى هذا الحد · فرفض على ماهر أن يجيب سعد باشا الى حديثه بشأن قضية ينظرها · وسأله على ماهر : بأية صفة يتحدث سعد باشا اليه ·· !!

وفطن سعد باشا الى الأمـــر ، فأجابه : أنه يتحـــدث بصفة الصديق ، لا بصفة ناظر الحقانية ·· !!

ولعل هذا الموقف يدل على عظمة القضاة المصريين ·· وان نزاهة مواقف القضاة المصريين من الكثرة والوفرة بحيث لا تحتاج الى أى دليل ·

★★★

وقد عمل على ماهر مفتشا فى النيابة · فرئيسا لادارة المجالس الحسبية

وكان له اتصال ، قبيل الهدنة ، بالشخصيات التى كانت تعتزم تأليف الوفد المصرى ٠

وقامت ثورة ١٩١٩ ٠٠ بعد القبض على سعد زغلول باشا ورفاقه ، وثارت مصر كلها ثورة عارمة ٠ ووقف لورد « كيرزون » وقال قولته الشهيرة : « ان فئة الموظفين ، وهى الفئة العاقلة المتفقهة ، ليست مع الوفد فى حركته ٠ بل هى فى ناحية الانجليز » ٠

وقامت قيـــامة الموظفين المصريين وبدأت حركتهم فى مكتب مدير ادارة المجالس الحسبية ، على ماهر ٠ الذى اقترح أن يبدأ اضراب المواطنين بعد قبض المرتبات ٠٠ حتى يكون تحمل الصرف ميسورا ٠

والجدير بالذكر أن على ماهر بك ٠٠ كان يرفض أن يجتمع منـدوبو الموظفين ، خارج ديوان وزارة الحقانية ٠ بل كان يصر على أن يعقدوا اجتماعاتهم فى مكتبه بديوان الوزارة ٠ ولما طلب اليه المستشار الانجليزى ألا يعقد لجنة الموظفين بمكتبه رفض ٠٠ وصرح بأن الموظفين يطالبون بحقوق وطنية فى فترة من فترات الأمة التاريخية ٠ فلا تتنافى المطالبـة بهـذه الحقوق وقيام الموظفين بواجباتهم العامة ٠

وقد انتقمت وزارة محمد سعيد باشا من زعماء اضراب الموظفين ، فنقلت على ماهر بك فى ١٩ يونيو ١٩١٩ وكيلا لمحكمة أسيوط على الرغم من أقدميته ٠ فرفض النقل بكتاب سجل فيه الهدف الذى تقصده الوزارة من ذلك النقل ٠ ورفعت وزارة الحقانية كتابه الى مجلس الوزراء الذى قرر فصله ٠

★★★

بعد ذلك بدأ على ماهر يتفرغ للعمل فى الحقل السياسى ، فاختاره سعد زغلول باشا ، وهو فى باريس ، عضوا فى الوفد المصرى ٠٠ فشارك على ماهر فى وضع بيان قصير وقعه محمود باشا سليمان رئيس لجنة الوفد المركزية بالقاهرة ٠

ولم يكن البيان يتجاوز الخمسة عشر سطرا ٠٠ ولكنه كان رفضا صريحا للحماية وتأييدا تاما للاستقلال ٠٠

وقد اعتقل على ماهر ، واعتقل معه محمود باشا سليمان ، وابراهيم باشا سعيد وكيل لجنة الوفد العامة بالقاهرة ٠

والجدير بالذكر أن ضابطا وثلاثين جنديا انجليزيا بخوذاتهم الحديدية ، قد حاصروا بيت على ماهر ٠٠ من أجل اعتقاله ٠ وعندما عرف على ماهر أن الضابط الانجليزى والثلاثين جنديا جاءوا لاعتقاله ، قدم ـ متهكما ـ للضابط

سيجارا ‥ وسأل الضابط : هل طاف بالحديقة ليرى ما فيها من زهرة « الكريزانتيم » ؟ !!

وطلب منه الضابط أن يركب السيارة ٠

فركب معه على ماهر الى ميدان باب الحديد ٠ وهناك سأل الضابط على ماهر قائلا : انك لم تسألني الى أين أنت ذاهب ؟ ٠

فأجابه على ماهر : لا فائدة من السؤال اذا عرفت انني فقدت حريتي ، وان رحلتي هذه ستنتهي بي الى المقام في غرفة ذات جدران أربعة ‥ » !!

وأعجب الضابط الانجليزى بشجاعة على ماهر ، فقال له انك ذاهب الى « قشلاق » أو معسكر قصر النيل ٠

وفي معسكر قصر النيل ، رفض على ماهر باشا ان يقوم الجنود الانجليز بتفتيشه ، لأنه قاض ‥ وأنه يحس بأن عملية التفتيش هذه اهانة ‥ له !!

وبقى على ماهر في معسكر قصر النيل ٠

ثم طلب منه بعد عشرة أيام أن يختار مكانا يقيم فيها بعيدا عن القاهرة ، فاختار أن تكون اقامته في فندق « وينتر بالاس » بالأقصر ٠ حيث مكث به حتى ٣ يناير ١٩٢٠ ٠

والطريف أنه في الوقت الذى حددت فيه اقامة على ماهر ، في فندق « وينتر بالاس » بالأقصر ٠ كان يقيم في نفس الفندق الكاتب الانجليزى سير « فالنتين شيرول » ‥ ليضع كتابه عن « المسيرات المصرية » ٠

وقد تعرف الكاتب الانجليزى على على ماهر ‥ وكثر تبادل الحديث بينهما حول القضية المصرية ٠

وبعد الافراج عن على ماهر ‥ راح يزاول نشاطه مع الوفد المصرى وكان أحد ثلاثة ــ هو ، وعبد العزيز فهمى ، ومحمد محمود ــ رأى الوفد المصرى ايفادهم الى لندن ، لمرافقة عدلى يكن باشا ، أثناء اتصاله باللورد « ملنر » ٠

وعندما حدث الخلاف بين سعد زغلول وعدلى يكن ‥ رفض على ماهر أن يقف الى جانب سعد ٠ وكتب اليه أنه يختلف معه في السياسة العامة ، ولا يمكنه تحمل مواقف الوفد منها ، ولكنه بصفته مصريا يضع نفسه رهن الاشارة في كل عمل يفيد القضية المصرية ٠

★★★

وآثر على ماهر أن ينسحب من العمل السياسى الى داره ، مبتعدا عن المنازعات الحزبية ٠

ويعتذر على ماهر عن المشاركة فى وزارة ثروت باشا ٠٠ وان كان قد قبل أن يكون عضوا فى لجنة الدستور ٠

ولعلى ماهر ٠٠ مواقف رائعة فى لجنة الدستور ٠٠ نذكر منها دفاعه الحار عن حرية الصحافة ، وعن حرية الاجتماعات ٠

وكان من بين ما جاء فى محضر الجلسة التاسعة عشرة للجنة الدستور المنعقدة فى يوم الثلاثاء ١٥ أغسطس ١٩٢٢ ما يلى :

« حضرة على ماهر بك : أرى تقرير نص المادة الرابعة عشرة كالآتى :

« حرية الصحافة مضمونة ، فلا يجوز وضعها تحت الرقابة ، ولا تقييدها بامتياز ، والمسئولية المترتبة على اساءة استعمال هذه الحرية ، يحددها القانون ٠ الحرية الصحفية هى المظهر الأول لسائر أنواع الحريات الأخرى ٠ وانما أريد من اثبات هذا النص ، انه لا يمكن ، ولا للبرلمان — وخصوصا فى الأحوال العادية — وضع الصحافة تحت أية مراقبة ٠ ولا أن يكون للسلطة الادارية الحق فى منع أحد من اصدار صحيفة ٠ أرى أن يكون هذا الحق ثابتا مطلقا من كل قيد ٠ فاذا أساء أحد استعماله بأى نوع من أنواع الاساءة ، ففى القانون العادى غنى وكفاية » ٠

ويقول على ماهر مرة أخرى ردا على سؤال للأستاذ محمد على علوبة هو :

هل يعطى للبرلمان الحق فى سن القوانين اللازمة للصحافة ٠٠ تأمينا للنظام وصونا للأعراض ٠٠ أم لا ؟!

يقول على ماهر مجيبا :

« هذا ما تكفل به قانون العقوبات ، والذى أريده ألا يكون للبرلمان — وخصوصا فى الأحوال العادية — الحق فى تقرير قوانين تبيح للحكومة مراقبة الصحف : أو عدم الترخيص باصدارها » ٠

وترفض اللجنة اقتراحا تقدم به على ماهر بك ، يتضمن أمرين :

أولهما : أن كل انسان له الحق فى مزاولة مهنة الصحافة ، بدون تصريح ٠

والثانى : انه لا يمكن اصدار قانون يجعل الجرائد تحت مراقبة أو عقوبة ادارية ٠

★★★

وفى الجلسة الرابعة والعشرين ، بتاريخ ٢١ أغسطس ١٩٢٢ يتكلم على ماهر مرة أخرى عن حرية الصحافة فيقول :

« حرية الصحافة قانونا معناها حرية اصدار الصحف ، لأن حرية الرأى والكتابة قد سبق لنا تقريرها ٠٠ وحرية اصدار الصحف لا تكون الا اذا لم توضع قيود وعقبات فى سبيلها ٠ وأهم القيود ٠٠ الرقابة والرخص ٠

« وليس معنى منع الرقابة ألا تحاكم الجرائد على ما تكتب ٠٠ اننى لا أرضى الفوضى أبدا ٠ ان ما أتكلم الآن عنه : الرقابة على الصحف : قبل صدورها ٠٠ وهذه هى الرقابة التى قررت الدساتير منعها ٠ فليس يصح أن تعرض صحيفة قبل نشرها على هيئة ادارية للتصريح بنشر شىء : وتحريم نشر شىء آخر فيها ٠٠ هذا لا يجوز مطلقا فى الأزمنة العادية ٠٠ ولهذا تقرر مبدأ عدم الرقابة فى بروسيا العسكرية ، وحتى فى تركيا ٠ وكما اننا لا نريد الفوضى ، فنحن لا نريد الاستبداد أيضا ٠ فأرجو أن تقرروا أن الرقابة على الصحف قبل نشرها ممنوعة »

ويقول على ماهر مرة أخرى :

« ان لكل فرد حق اصدار الصحف بلا ترخيص متى توفرت فيه الصفات التى يقررها القانون ٠٠ حتى لا تتحكم الادارة فى العطاء والمنع : ولا تمييز بين الأشخاص الذين يتقدمون لها ما داموا حائزين للصفات التى اشترطها القانون ٠

« اننا نريد أن نحول دون استبداد الادارة ، ومتى كان الطالب حائزا للشروط المطلوبة قانونا وجب ، أن يرخص له باصدار صحيفة » ٠

وتعترض غالبية أعضاء اللجنة ٠٠

ويقول توفيق دوس :

« يجوز أن يقرر البرلمان شروطا أخرى غير الشروط الشخصية » ٠

فيرد على ماهر :

« نريد أن نمنع البرلمان من هذا »

ويوافق محمد على علوبة على رأى على ماهر ، مؤكدا موافقته على عدم اعطاء الحكومة حق اعطاء الرخص أو منعها ٠ فقد يكون ــ كما يقول محمد على علوبة ــ طالب الرخصة من حزب الأقلية ٠٠ فترفض الحكومة اعطاء الرخصة ٠ والحكومة دائما من حزب الأكثرية ، فتجد مؤيدا لها فى عملها ، واذ ذاك تستبد الأكثرية بالأقلية ، استبدادا يمنعها من أن تنشر آراءها » ٠

***

ويوضح على ماهر فكرته فيقول :

« اشترط فى الدخول فى مدرسة الحقوق ، أن يكون الطالب حائزا على

البكالوريا ، وأن يكون سنه كذا .. فلا يصح منعه بعد ذلك من دراسة الحقوق .. مثل هذا هو ما أطلبه فى الصحافة » .

ويقول على ماهر كذلك :

« هناك فى بلاد أخرى ضمانات للصحفيين ، كاشتراط المحلفين فى محاكمتهم حتى فى الجنح .. ويمكن النص فى القانون الذى يصدره البرلمان ، على أنه لا يتولى الصحافة غير الاكفاء ، ويمكن تشديد العقوبة عند المساس بالآداب العامة .. وهذا أفضل أثرا من الترخيص والرقابة . فقد رأينا حكم قانون المطبوعات أن الجرائم التى تعتدى على الآداب لن تمس بسوء ، مع أن البرلمان له أن يمنع ذوى الاخلاق الفاسدة من احتراف الصحافة » .

ويعترض على ماهر مرة أخرى فى الجلسة الرابعة والثلاثين بتاريخ ٢١ سبتمبر ١٩٢٢ .. « على أن لجنة التحرير ــ وهى لجنة فرعية من اللجنة الدستورية العامة ــ قد انقصت شيئا مما تقرر فى اللجنة العامة ، وهو النص على أن لكل مصرى ، حق اصدار الصحف » ..

ويرد عبد الحميد بدوى قائلا :

« المادة ١٣ قررت حرية الاعراب عن الرأى بكل الطرق ، ومنها الكتابة . فلم يبق لحرية الصحافة معنى ، سوى ابداء الرأى على صورة مخصوصة ، وهى اصدار الصحف ... الخ » .

وتوافق اللجنة بالاجماع على ابقاء المادة على حالها .

« ويؤكد على ماهر مرة أخيرة فى الجلسة التاسعة والثلاثين بتاريخ ٥ أكتوبر ١٩٢٢ .. « على أن ما يريده هو ، منع تسلط الادارة على الصحف بأية طريقة من الطرق .. فلا يباح للادارة انذار الصحف أو اقفالها » .

ويقول عبد العزيز فهمى :

« نحن متفقون على منع جهة الادارة من ارسال انذارات الى الصحف أو وقفها بغير حكم قضائى . وسأتفق مع حضرة على ماهر بك على وضع الصيغة المطلوبة » .

وتوافق اللجنة على ذلك ، على أن يعرض النص فى الجلسة التالية .

وفى الجلسة التالية : يعلن عبد العزيز فهمى نص المادة ١٤ من الدستور ــ كما يلى :

« الصحافة حرة فى حدود القانون ، والرقابة على الصحف محظورة ، وانذار الصحف أو وقفها أو الغاؤها بالطريق الادارى محظور كذلك » .

ويتم اختيار على ماهر ناظرا لمدرسة الحقوق ، وبعدها يختار وكيلا لوزارة المعارف ، فوزيرا لها • ثم يختار وزيرا للمالية فى وزارة محمد محمود باشا • فوزيرا للحقانية فى وزارة اسماعيل صدقى باشا •• ليستقيل اثر حادث « البندارى » •• كما سبق أن أشرنا •• ويعين على ماهر فى أول يونيو سنة ١٩٣٥ رئيسا للديوان الملكى •• الى أن يختار ـ بينما الملك أحمد فؤاد قد اشتد عليه المرض ـ رئيسا للوزارة على النحو الذى سبق الاشارة اليه ••

ونكمل الحديث عن وزارة المائة يوم فى الجزء الثانى من هـذا الكتاب بمشيئة الله تعالى •

***

استدراك

من مصطفى المنزلاوى الى صبرى أبو المجد

فاتنا ـ وعذرا ـ نشر رسالة الأخ مصـطفى المنزلاوى فى مكانها من الكتاب بعد الجزء الخاص بقضيتى نزاهة الحكم ، وفيما يلى الرسالة •

السيد الأستاذ الكبير صبرى أبو المجد ••

● تحية طيبة وبعد :

نشرتم فى « سنوات ما قبل الثـورة » مرافعة المرحوم الأسـتاذ ابراهيم الهلباوى دفاعا عن جريدة السياسة والمرحوم حفنى محمود فيما سمى وقتئذ بقضية « نزاهة الحكم » وكان كل من المرحومين ابراهيم فهمى كريم وزير المواصلات وعلى المنزلاوى وزير الزراعة قد قدما بلاغا ضد جريدة السياسة ورئيس التحرير المرحوم حفنى محمود للتحقيق فى واقعة القذف فى حقهما كل فيما يخصه أثناء تولية الوزارة وادعيا بالحق المدنى أمام محكمة الجنايات التى نظرت القضية خلال عامى ٣٤ ، ٣٥ ثم جاء فى العدد ٢٧٨٦ من المصور الصادر فى ٣ مارس سنة ١٩٧٨ انه فى يوم ٢١ من مايو سنة ١٩٣٥ حكمت المحكمة حضوريا ببراءة حفنى بك محمود ورفض الدعاوى المدنية كلها قبلة وقبل محمود باشا عبد الرازق والزمت المدعيين بالحق المدنى بالمصاريف •

***

ومعنى هذا الحكم هو ثبوت واقعة القذف المنسوبة الى المدعيين بالحق المدنى ويهمنى فى هذا الصدد احقاقا للحق أن أذكر ما حدث بعد ذلك من طعن أمام

محكمة النقض وأود أن أركز الحديث عن قضية المرحوم على المنزلاوى وماذا تم بخصوصها أمام محكمة النقض وقبل ذلك أرى من الضرورى دون أى اطالة أن أوضح ما نسب اليه فى جريدة السياسة مما دفعه الى تقديم الشكوى ضدها ولم يؤثر الصمت كما كان يفعل الكثيرون

نشرت جريدة السياسة فى عددها الصادر فى ٢٢ مارس سنة ١٩٣٤ مقالا تحت عنوان « وزير الزراعة يشترى ما تنتجه وزارة الزراعة فيحرم جمهور المزارعين منه » وأشارت الى أنها سبق أن نشرت من أشهر أن حضرة صاحب العزة على بك المنزلاوى قد اشترى لنفسه تقاوى برسيم من وزارة الزراعة وانه اليوم تكررت هذه المسألة فأخذ وزير الزراعة ما تنتجه الوزارة من أشجار الفاكهة بثمن بسيط جدا كما نشرت الصحيفة المذكورة مقالا قبل ذلك بتأخره فى سداد الأموال الأميرية المستحقة فى مواعيدها ٠

★★★

وقد فحصت محكمة النقض هـذه الوقائع ومدى صحتها وانطباق حكم القانون عليها ثم أصدرت بتاريخ ٢٤ من فبراير سنة ١٩٣٦ حكمها بنقض حكم محكمة الجنايات بالنسبة لعلى بك المنزلاوى وجاء فى حكمها ما يأتى بالحرف الواحد :

« ومن حيث انه يظهر مما تقدم جميعه ان الحكم أخطأ فى تطبيق القانون على الواقعتين الثابتتين به وهما واقعة تقاوى البرسيم وواقعة أشجار المعرض ولذلك وجب نقضه بشأنهما والزام حفنى بك محمود الذى حرر ونشر مقالات القذف التى اشتملت على الواقعتين المذكورتين ومحمود عبد الرازق باشا صاحب امتياز جريدة السياسة والمسئول مدنيا عما يرتكبه رئيس التحرير من جرائم النشر بالتعويض الذى يستحقه على بـك المنزلاوى بسبب ما ناله من الضرر الناشىء عن فعلها وتقدر المحكمة هذا التعويض بمبلغ مائة جنيه يحكم به على المدعى عليهما متضامنين » ٠٠ وتراجع مجلة المحاماة السنة السابعة عشرة العدد الأول ص ٢٣ الى ٢٩ فى الطعن رقم ٢١٤٦ سنة ٥ق ٠

★★★

ومعنى هـذا الحـكم الصادر من أعلى هيئة قضائية أن ما نسبته جريدة السياسة الى المرحوم على بك المنزلاوى غير صحيح وان نزاهته ليست محل طعن وأود أن أذكر بهـذه المناسـبة أنه رحمة الله كان من أوائل من أدخل زراعة البرتقال أبو صرة فى مصر وأنه كثيرا ما أمد الجهات الحكومية بشتلات من عنده قبل أن يكون وزيرا للزراعة ويجب أن نذكر له أنه أثناء توليه الوزارة بذل جهودا متواصلة لاصدار قانون منع خلط القطن وكان الأمر يقتضي موافقة الدول

الأجنبية ذات الامتيازات وقتئذ لأنه سيسرى على رعاياها بما فيه من شروط وجزاءات وكان لهذا القانون أثره الفعال فى رفع سمعة القطن المصرى فى الأسواق العالمية وكان عماد الثروة المصرية حينئذ . ولم أشأ أن أدخل فى جميع جزئيات هذه القضية وانما أردت أن أوضح أن حكم محكمة الجنايات الذى نشر المصور مضمونه بعدده الصادر فى ٣ مارس سنة ١٩٧٨ قد ألغته محكمة النقض بالحكم المشار اليه بالنسبة للمرحوم على بك المنزلاوى وكنت أتوقع أن مجلة المصور الغراء فى حرصها على الحقيقة ستشير الى حكم النقض وأخذت انتظر وخاصة أنه فى كل عدد يختم بحث « سنوات ما قبل الثورة » بعبارة للحديث بقية كما كنت من جانبى أبحث وأنقب عن هذا الحكم لأنه يتعلق بسمعة والدى الى أن عثرت عليه ولله الحمد وأملى كبير ان ، تنشروا هذه الكلمة احقاقا للحق وانصافا لشخص ظل طوال حياته يعمل من أجل مصر دون ما جلبة أو دعاية ولم يدخر وسعا فى سبيل ذلك وقد كان من أوائل من تعاون مع زعيم الوطنية وباعث حركتها المرحوم مصطفى كامل فاختاره عضوا فى اللجنة الادارية للحزب ولم يتجاوز عمره وقتئذ الخامسة والعشرين كما كان من الذين خدموا الاقتصاد المصرى مما يشهد به معاصروه ومحاضر جلسات مجلس النواب ومعذرة اذا كنت قد تناولت سيرة والدى وجهاده فى الحياة العامة فان المقام اقتضى ذلك وشكرا جزيلا .

مصطفى على المنزلاوى

شكرا جزيلا لأستاذنا الكبير مصطفى المنزلاوى على هذا التوضيح ، الذى تنشره ونحن سعداء به الى أبعد حدود السعادة ذلك لأننا عندما أخذنا على عاتقنا بعون من الله القاء أضواء متواضعة على تاريخنا لم يخطر فى بالنا أبدا الاساءة الى أى مواطن مصرى فما بالنا بشخصية مرموقة كشخصية المرحوم على المنزلاوى رحمة الله ، على أننا لم نشأ أن نكتب عن حكم النقض الصادر فى قضيتى نزاهة الحكم لأننا لا نزال غارقين بعد فى أحداث عام ١٩٣٥ وعندما سنصل الى فبراير ١٩٣٦ سوف نكتب وبالتفصيل عن حكم محكمة النقض فى هاتين القضيتين الهامتين اللتين شغلتا الرأى العام المصرى لفترة طويلة ص . أ

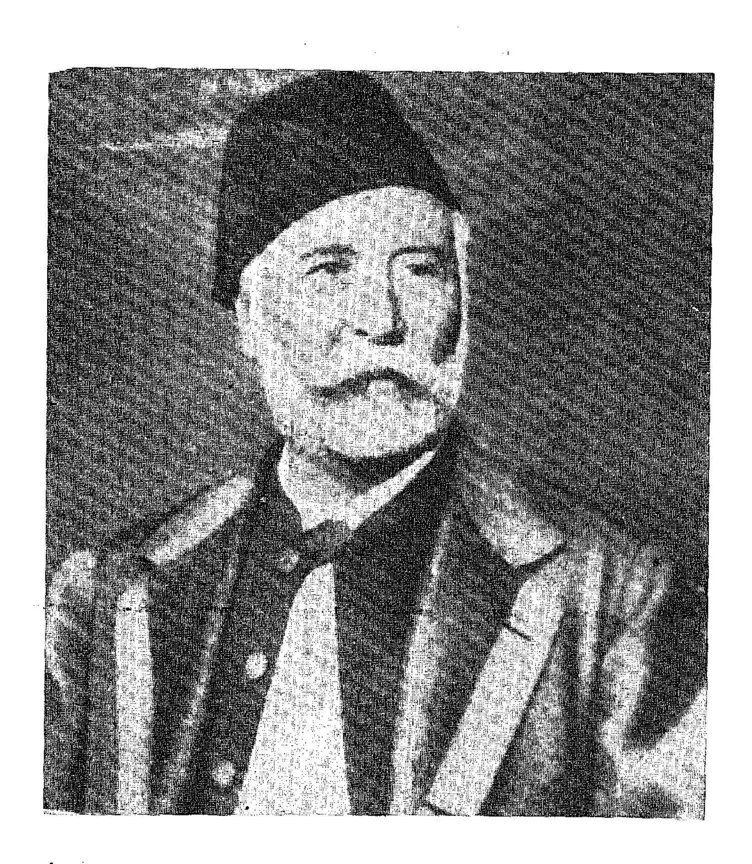
***

والى اللقاء فى الجزء الثانى من سلسلة سنوات ما قبل الثورة باذن الله ومشيئته .



سنوات ما قبل الثورة بالصور

هذه مجموعة صور نادرة تمثل مرحلة هامة من مراحل تاريخنا ننشرها هنا شاكرين لأصحابها موافاتنا بها لتكون ضمن وثائق هذا الكتاب : الصور تعود إلى الثورة العرابية وثورة ١٩١٩ وما بينهما والعشرينيات والثلاثينيات أيضا



(١) شريف باشا ، أبو الدستور المصرى . دستور ما قبل الثورة العرابية وأثناءها

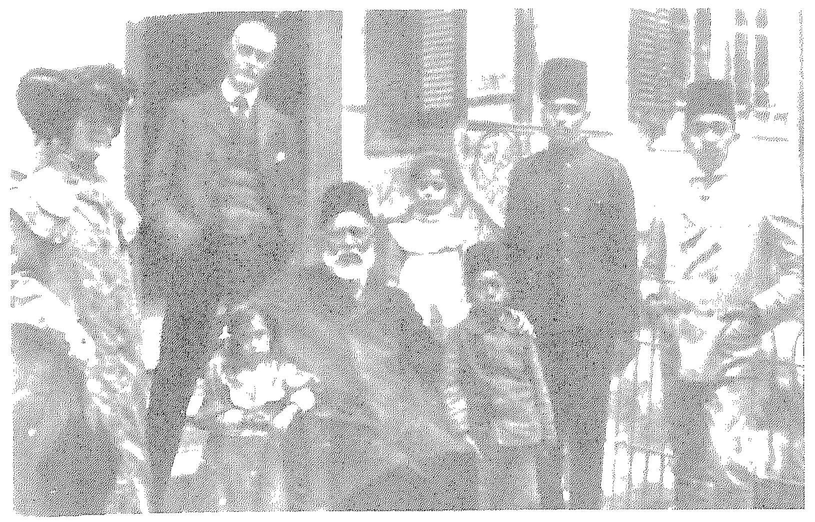


(٢ ، ٣) الخديو توفيق باشا وزوجته ثم
ابنهما الخديو عباس حلمى الثانى





(٤) أحمد عرابى باشا
مفجر ثورة ١٨٨١



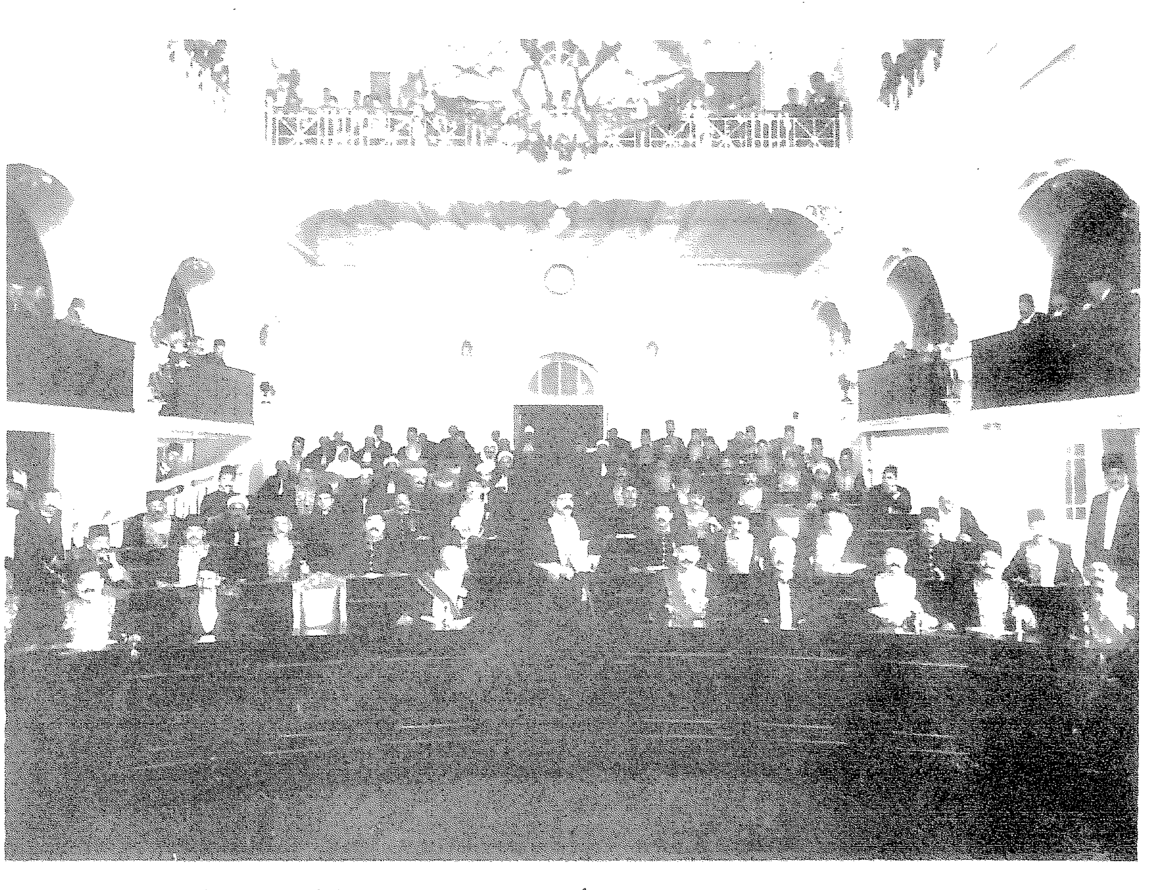
(٥) عرابى باشا فى المنفى (سيلان ــ سرى لانكا) مع بعض ضيوفه الاجانب



(٦) جويدان هانم زوجة الخديو عباس حلمى الثانى وقد كتبت مذكرات عن المرأة فى مصر



(٧) الخديو عباس حلمى يفتتح بعض المشروعات وإلى جانبه بعض الوزراء وبعض الأعيان

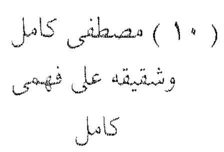


(٨) الجمعية التشريعية وفى الصدر الأعضاء يتقدمهم سعد زغلول باشا وكيل الجمعية



(٩) مصطفى كامل مؤسس اللواء والحزب الوطنى





(١٠) مصطفى كامل
وشقيقه على فهمى
كامل



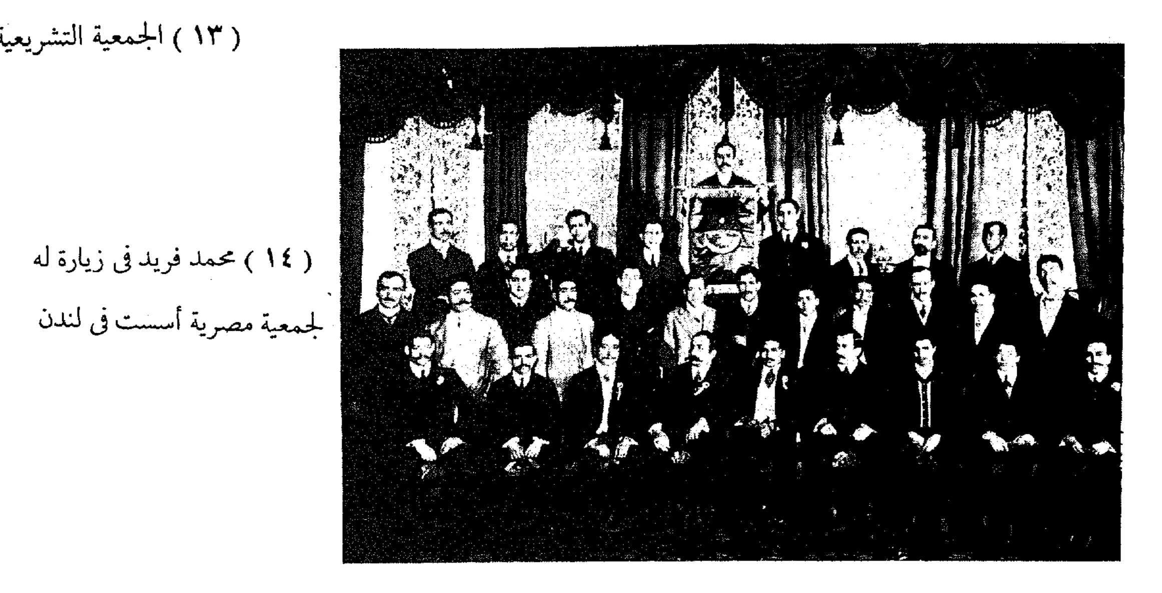
(١١) الشيخ عبد العزيز
جاويش ثانى رئيس لتحرير اللواء
بعد مصطفى كامل



(١٢) محمد فريد خليفة مصطفى كامل عندما كان
وكيلا للنائب العام

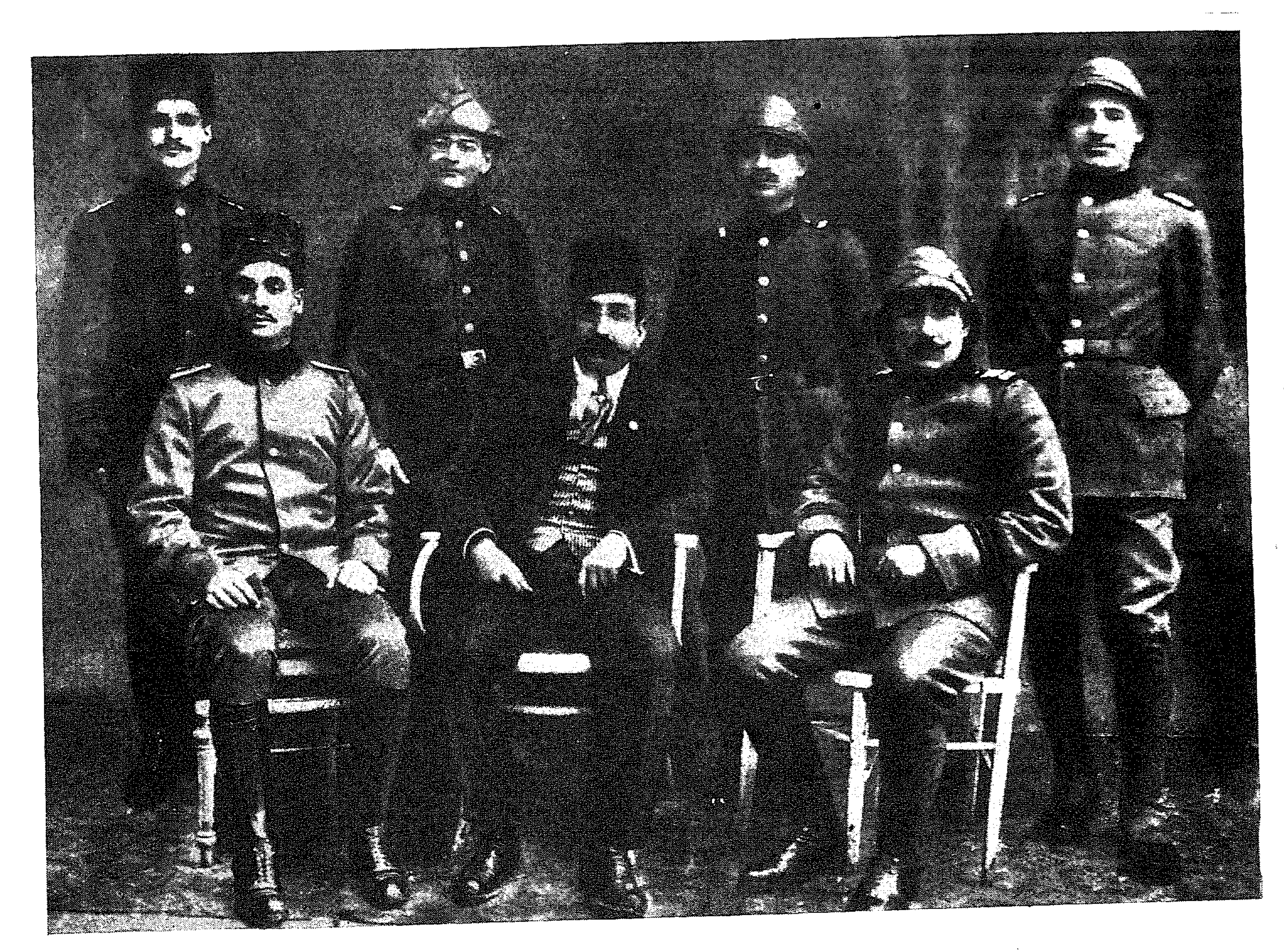


(١٣) الجمعية التشريعية



(١٤) محمد فريد فى زيارة له

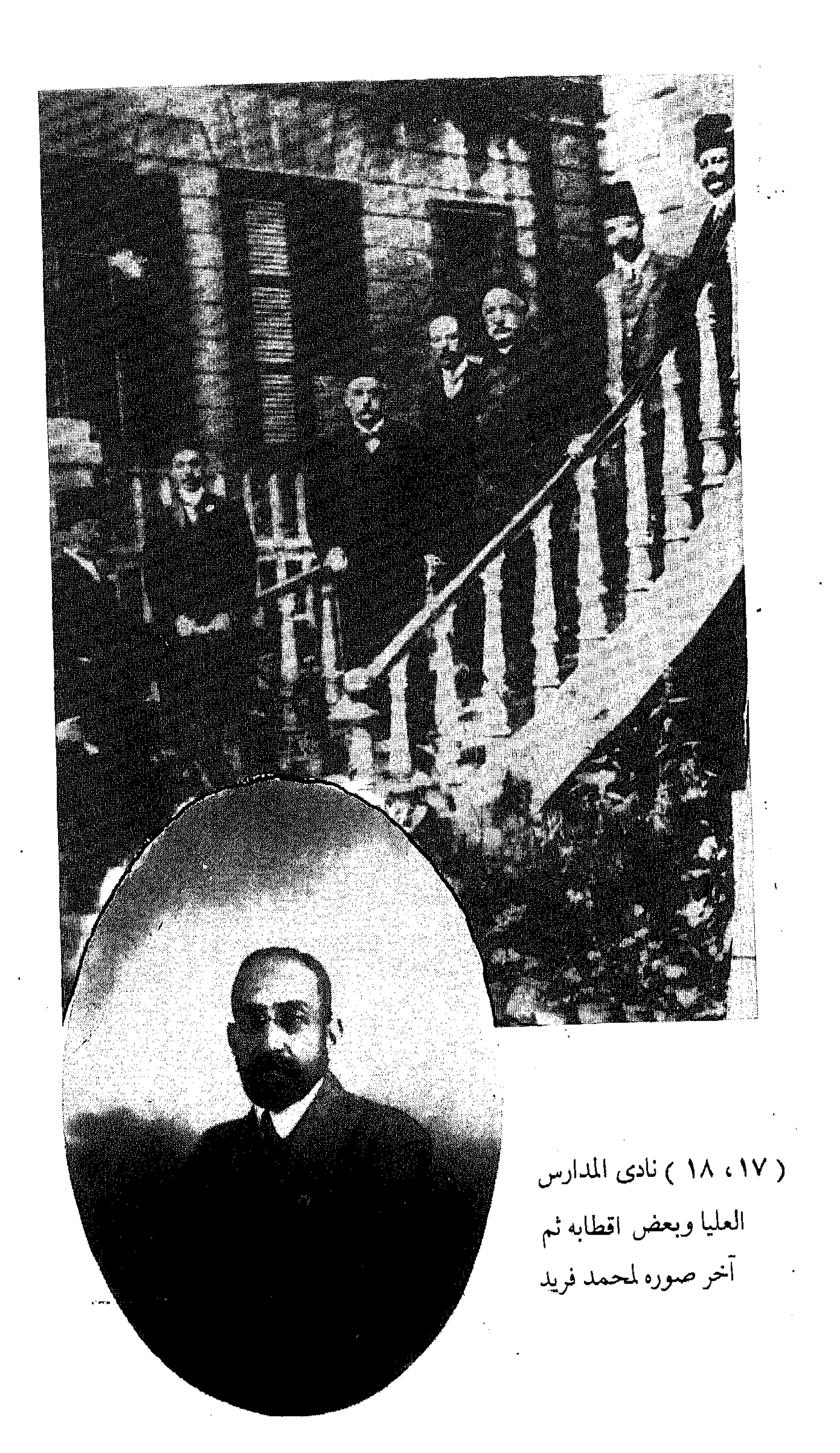
لجمعية مصرية أسست فى لندن



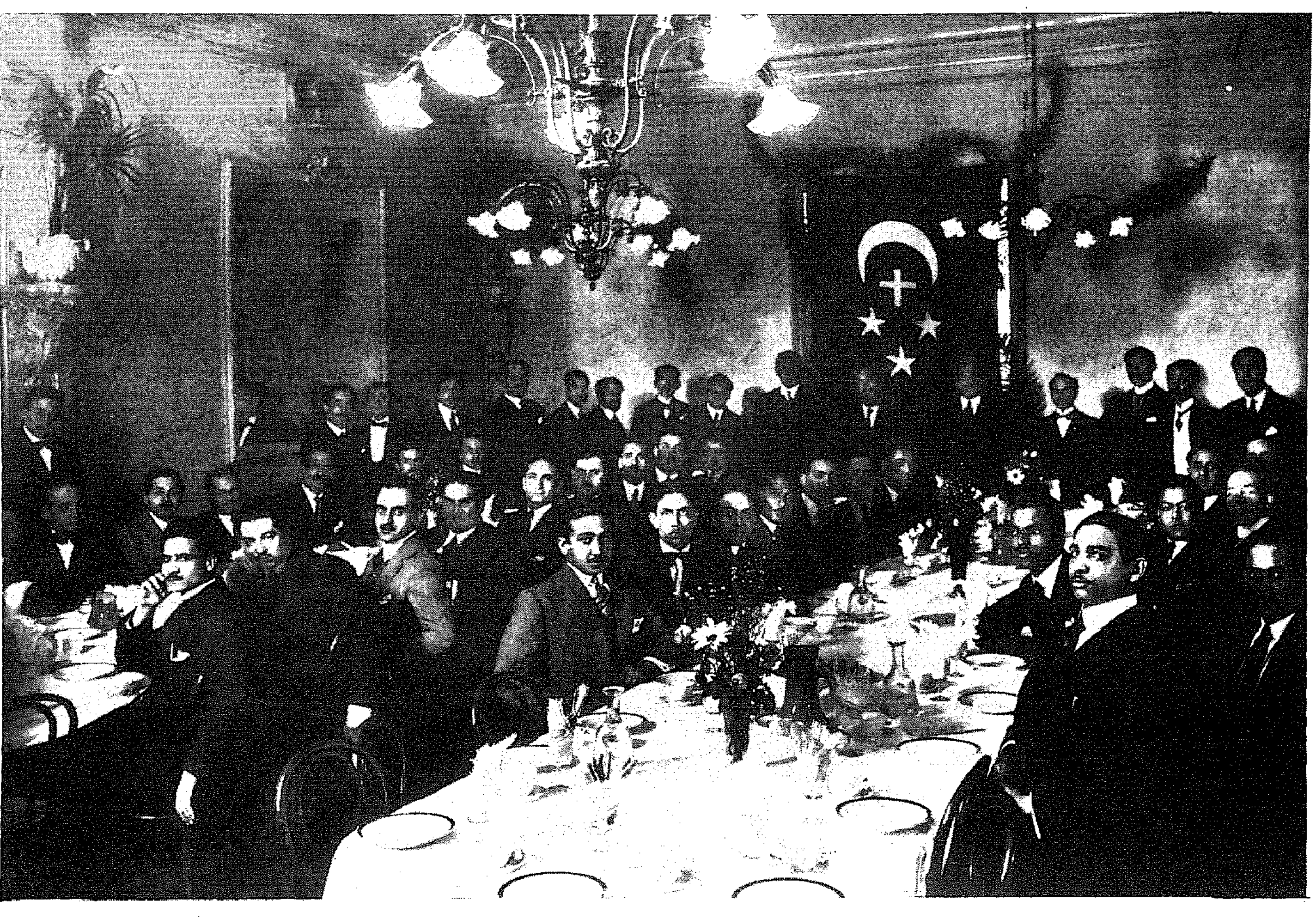
(١٥) محمد فريد وبعض المصريين الذين تطوعوا فى الجيش التركى فى الحرب العالمية الأولى



(١٦) محمد فريد
وابنه وبناته



(١٧ ، ١٨) نادى المدارس
العليا وبعض اقطابه ثم
آخر صوره لمحمد فريد



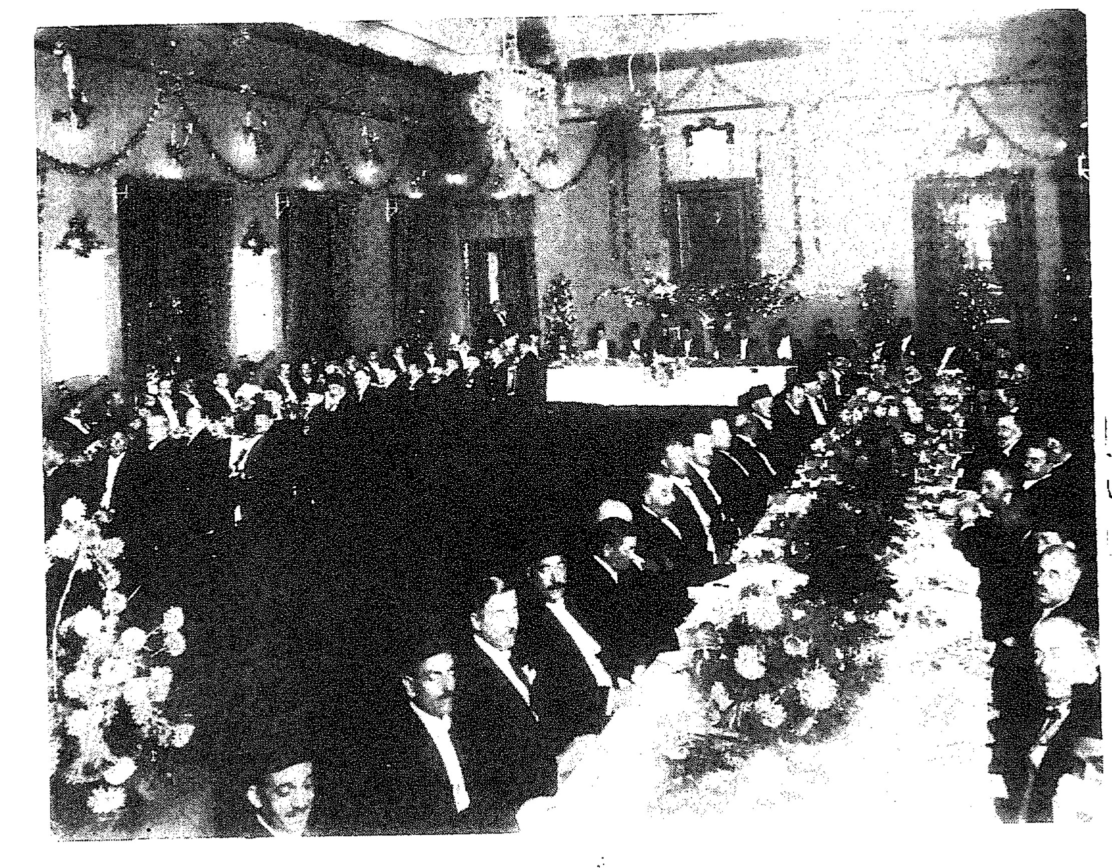
(١٩) اجتماعات الشباب المصرى فى ظل الهلال والصليب



(٢٠) سعد زغلول بين عدلى يكن ، وعبد الخالق ثروت وفتح الله بركات واسماعيل صدقى



(٢١) سعد زغلول فى إحدى حفلات تكريمه



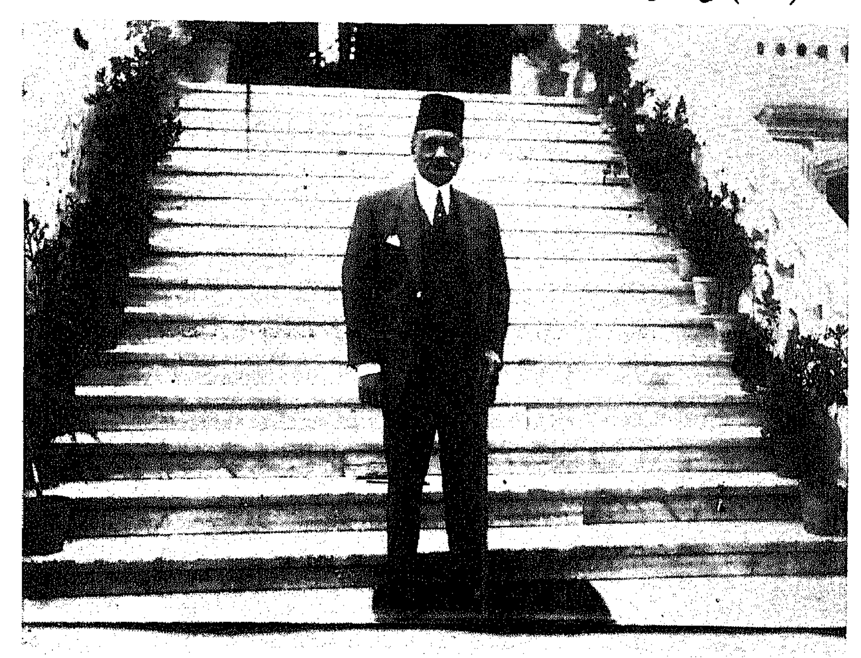
(٢٢) فى تكريم
سعد زغلول أيضا



(٢٣)علی شعراوی باشا

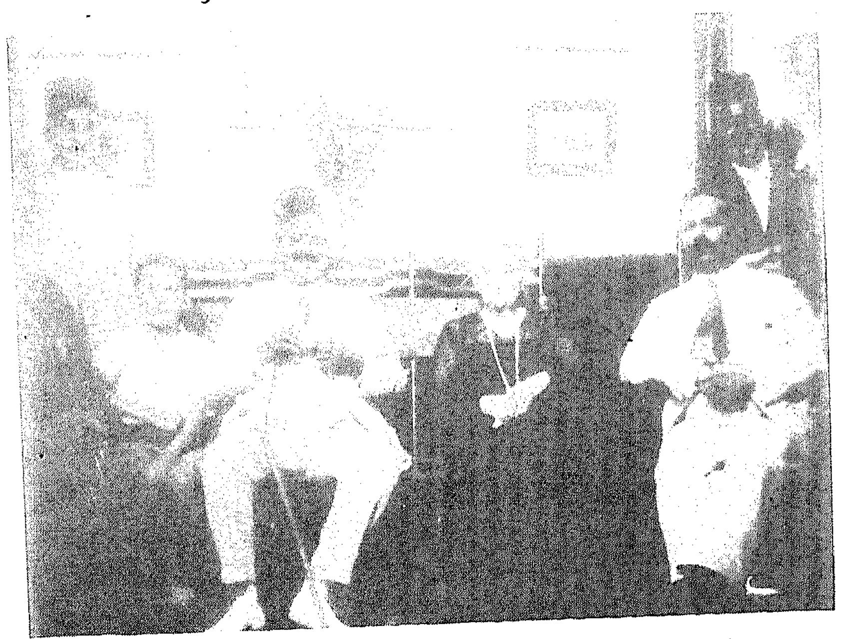


(٢٤)عبد الخالق ثروت باشا



(٢٥)عدلی یکن باشا

(٢٦)النواب الوفديون يكرمون سعد زغلول



(٢٧) أم المصريين صفية زغلول تتوسط مصطفى باشا النحاس ومكرم عبيد باشا


(٢٨) يوسف وهبه باشا


(٢٩)توفيق نسيم باشا

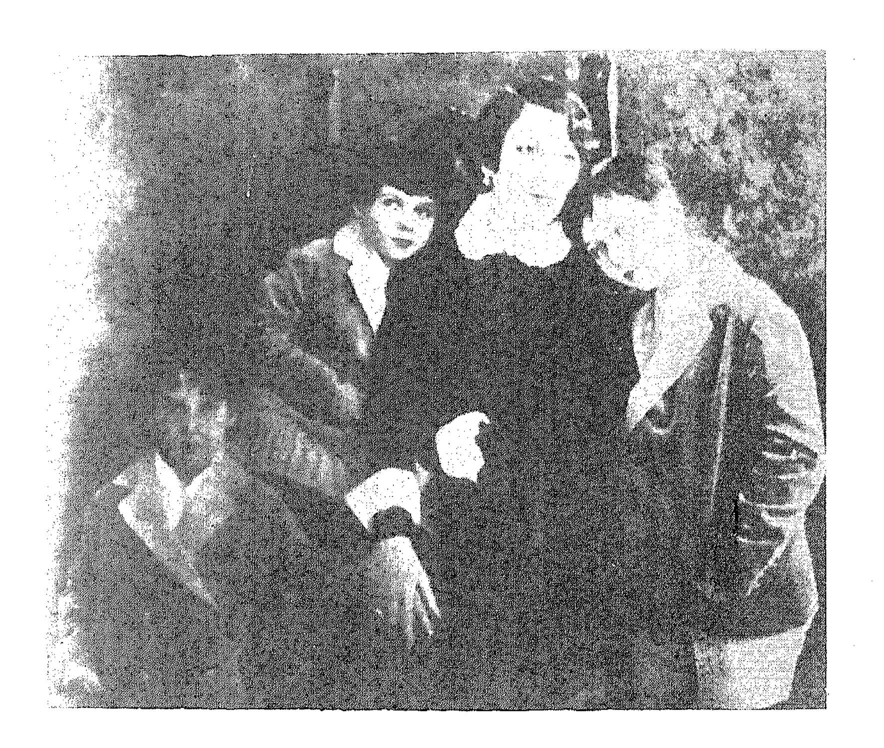

(٣٠)حمد الباسل باشا



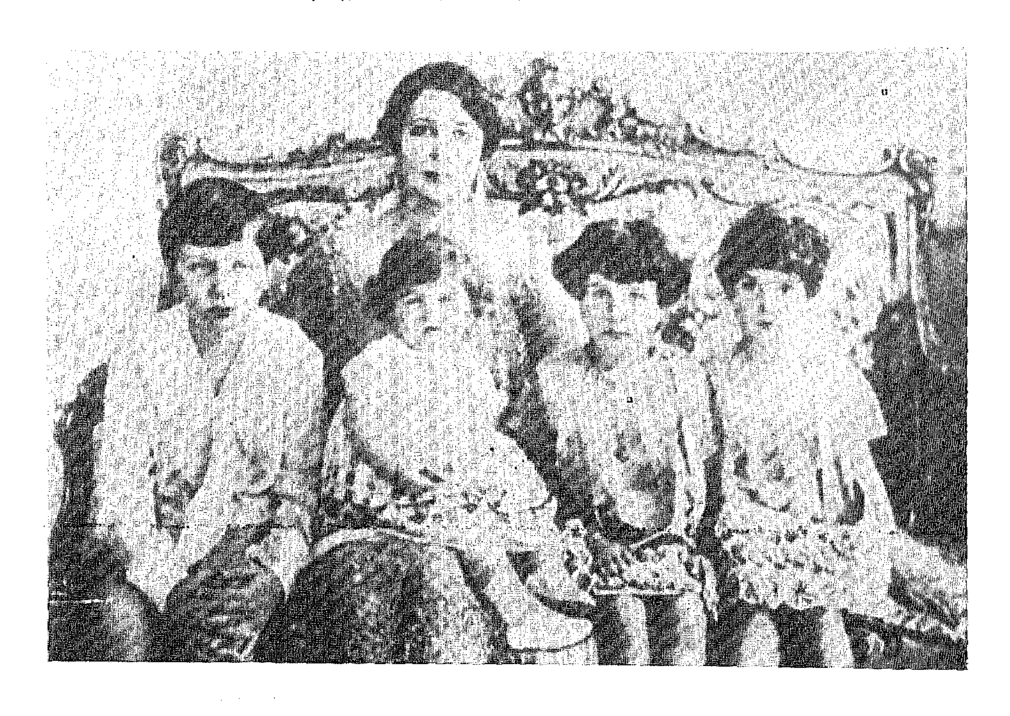
(٣١)الملك أحمد فؤاد



(٣٢)الملكة نازلى



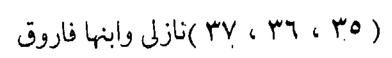
(٣٣ ، ٣٤) الملكة نازلى بين ابنها فاروق وبناتها











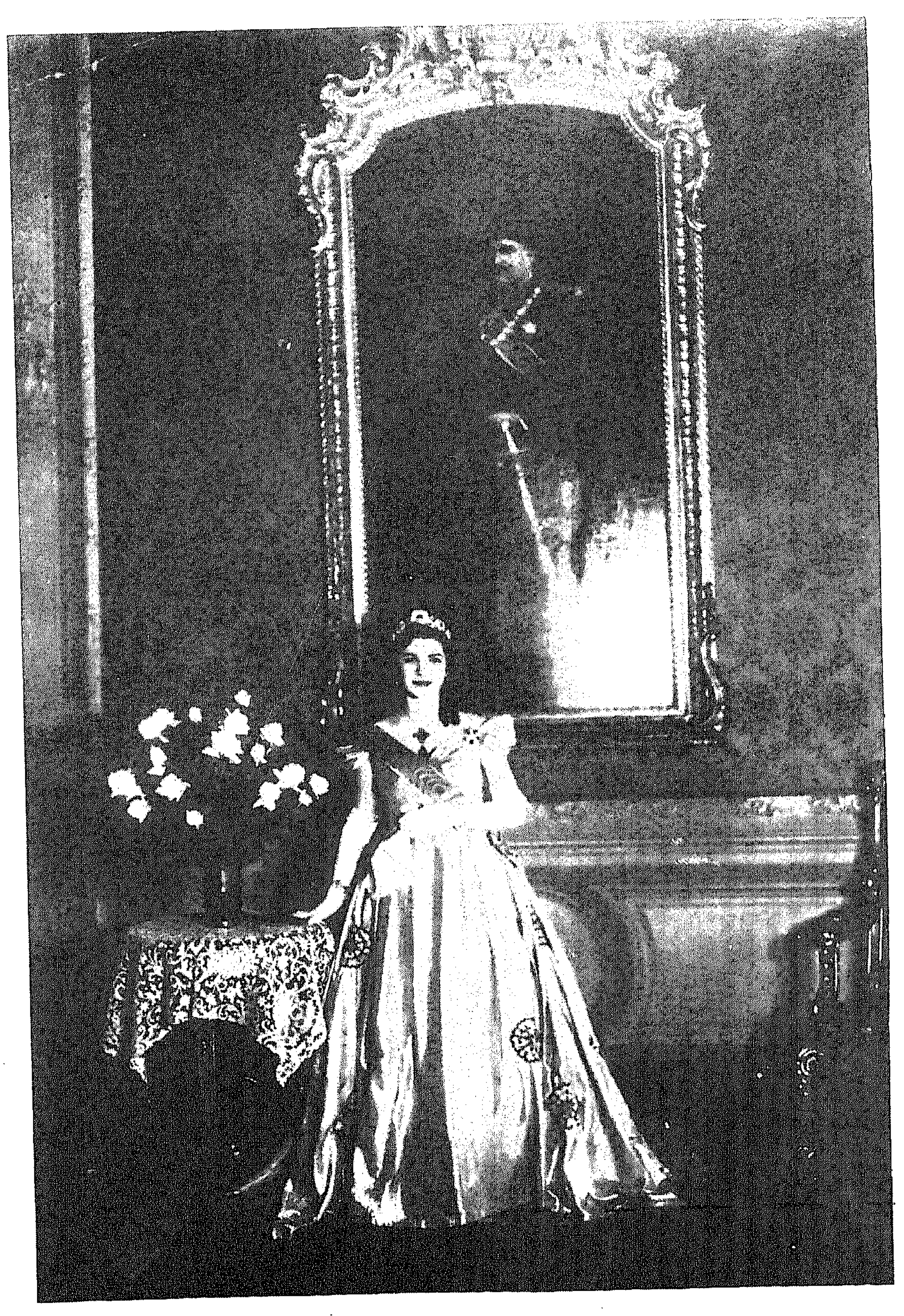
(٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧)نازلى وابنها فاروق



(٣٨)فاروق وأمه نازلى فى سويسرا



(٣٩) فاروق ملكا



(٤٠) فريدة ملكة مصر



(٤١) فريدة ملكة مصر

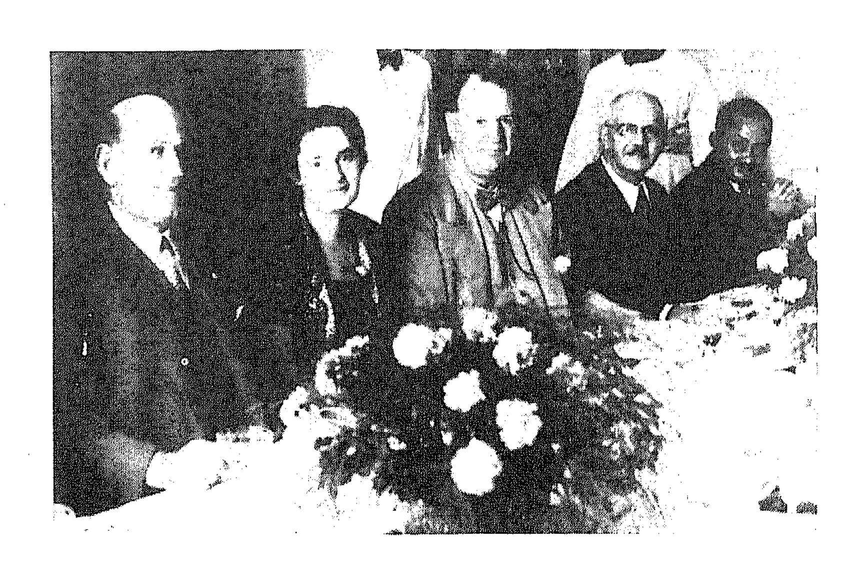


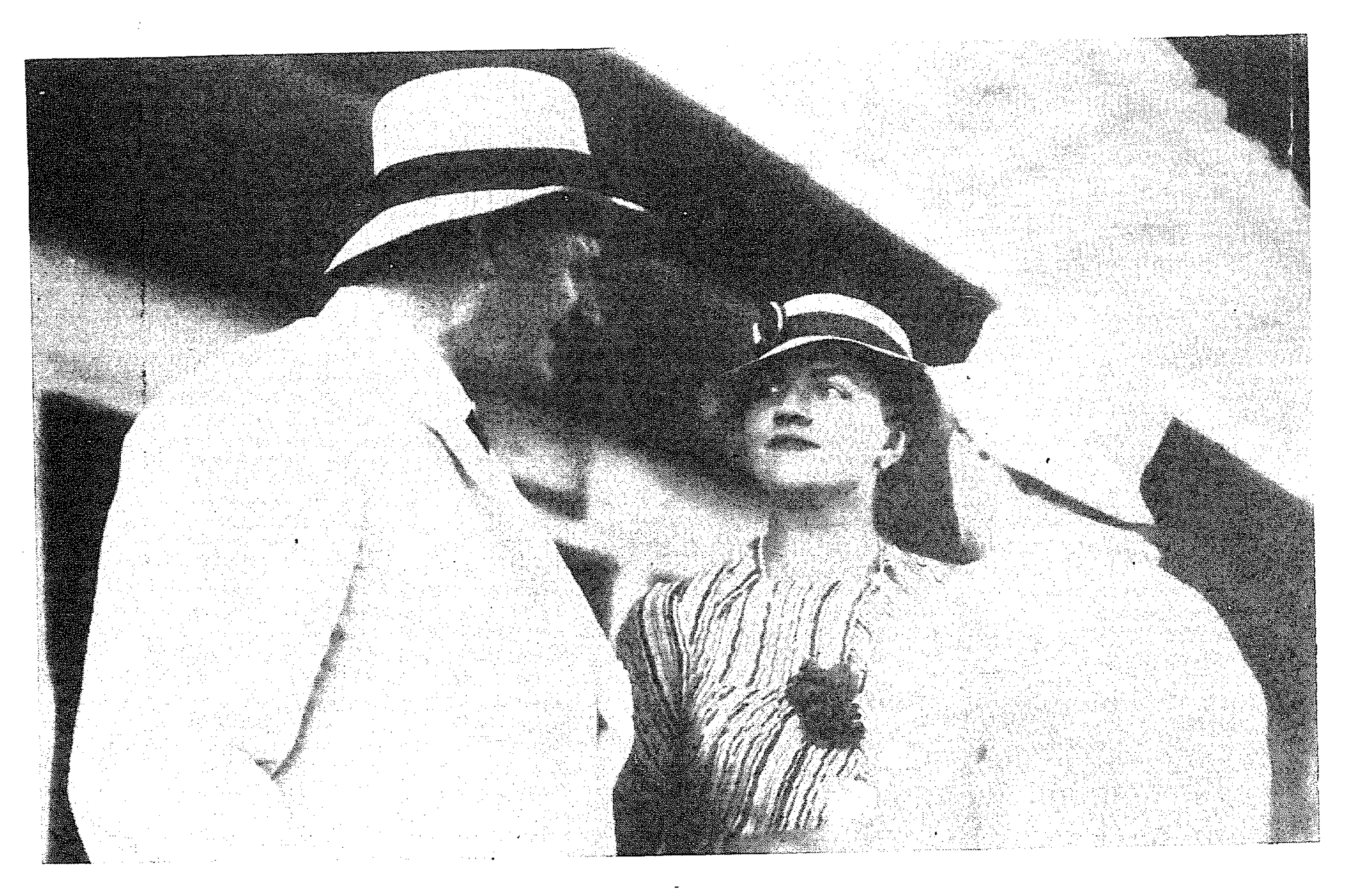
(٤٢) الأمير محمد على ولى العهد ونسل شاه





(٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥) ملوك غير متوجين كانوا يمثلون بريطانيا فى مصر ولكنهم كانوا ملوكها غير المتوجين ، ونجت كيتشنر ، لورد كيلرن





(٤٦) لورد كيلرن (سير مايلز لامبسون سابقا)



(٤٧) مصطفى النحاس باشا خليفة سعد ورئيس الوفد



(٤٨) حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى . . آخر رئيس له



(٤٩) علي ماهر باشا ووزارة المائة يوم



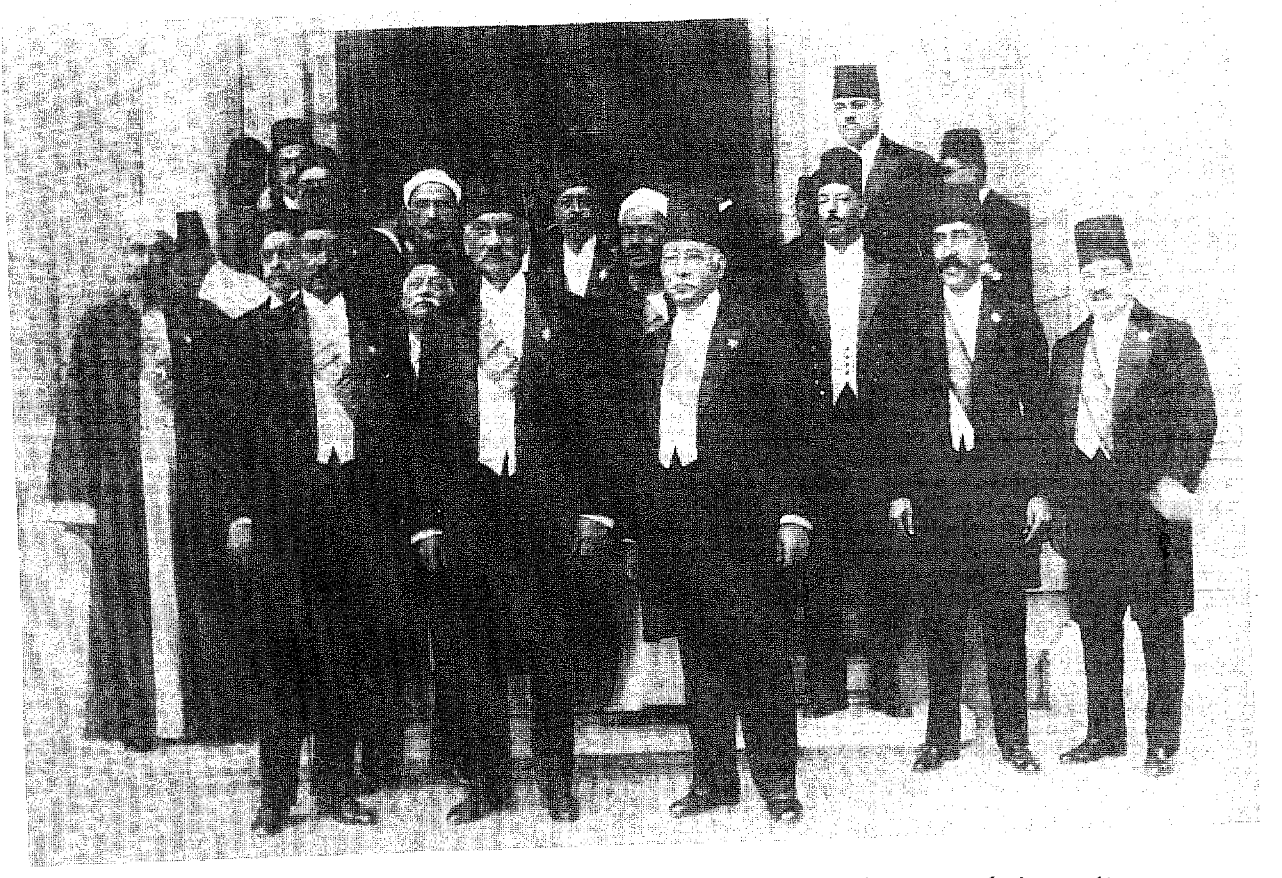
(٥٠) محمد محمود صاحب اليد الحديدية وبعض الوزراء



(٥١ ، ٥٢ ، ٥٣) : محمد محمود باشا ، ثم هو مع على ماهر ، والشيخ المراغى



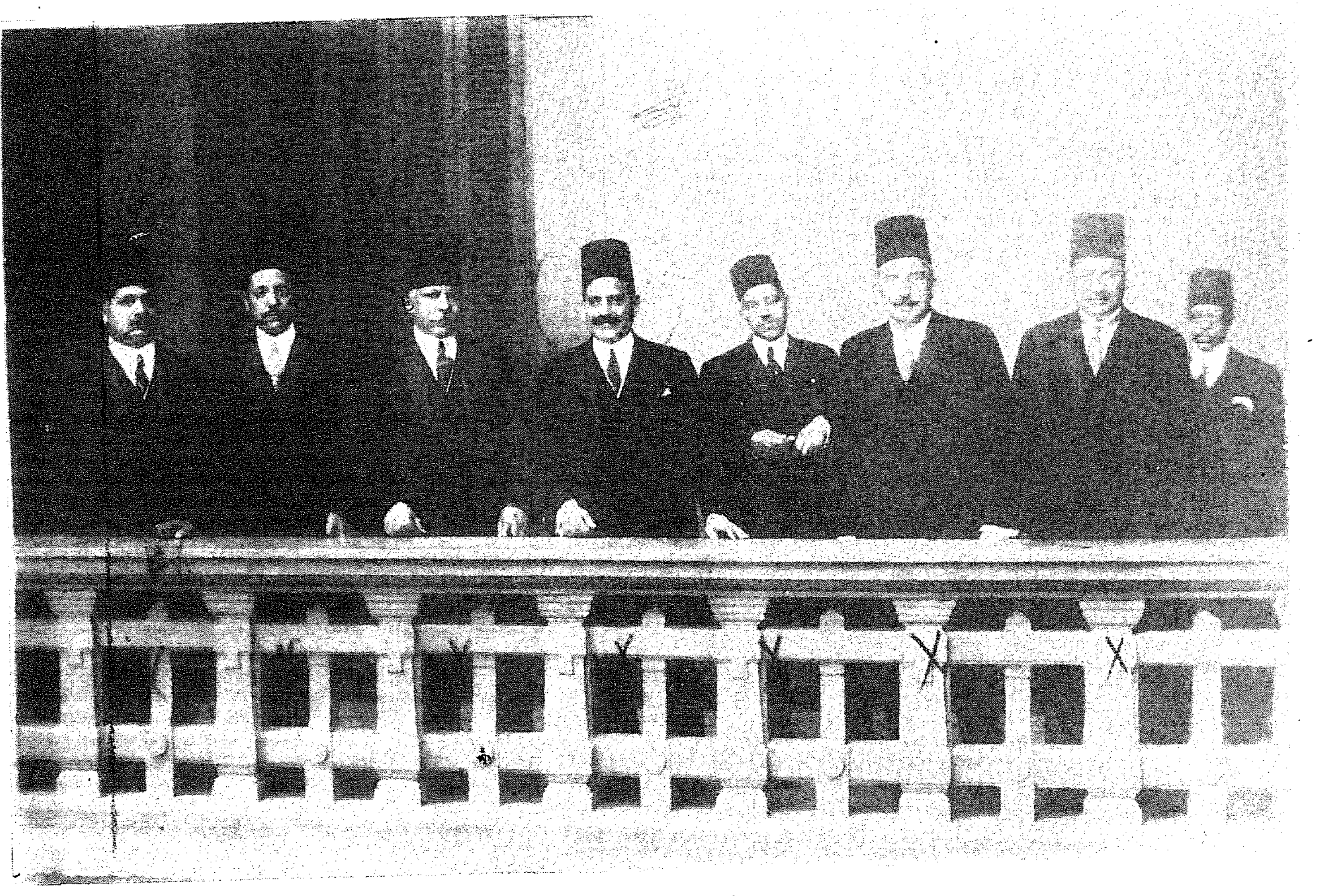




(٥٤) عدلى يكن باشا وقد أصبح رئيسا لمجلس الشيوخ مع قطاوى باشا ومحمد محمود خليل



(٥٥) مراد سيد احمد باشا ، طه حسين ، لطفى السيد وآخرون فى زيارة لكلية الآداب



(٥٦) مصطفى النحاس باشا واقطاب الوفد



(٥٧) د . أحمد ماهر ، ولطفى السيد وآخرون



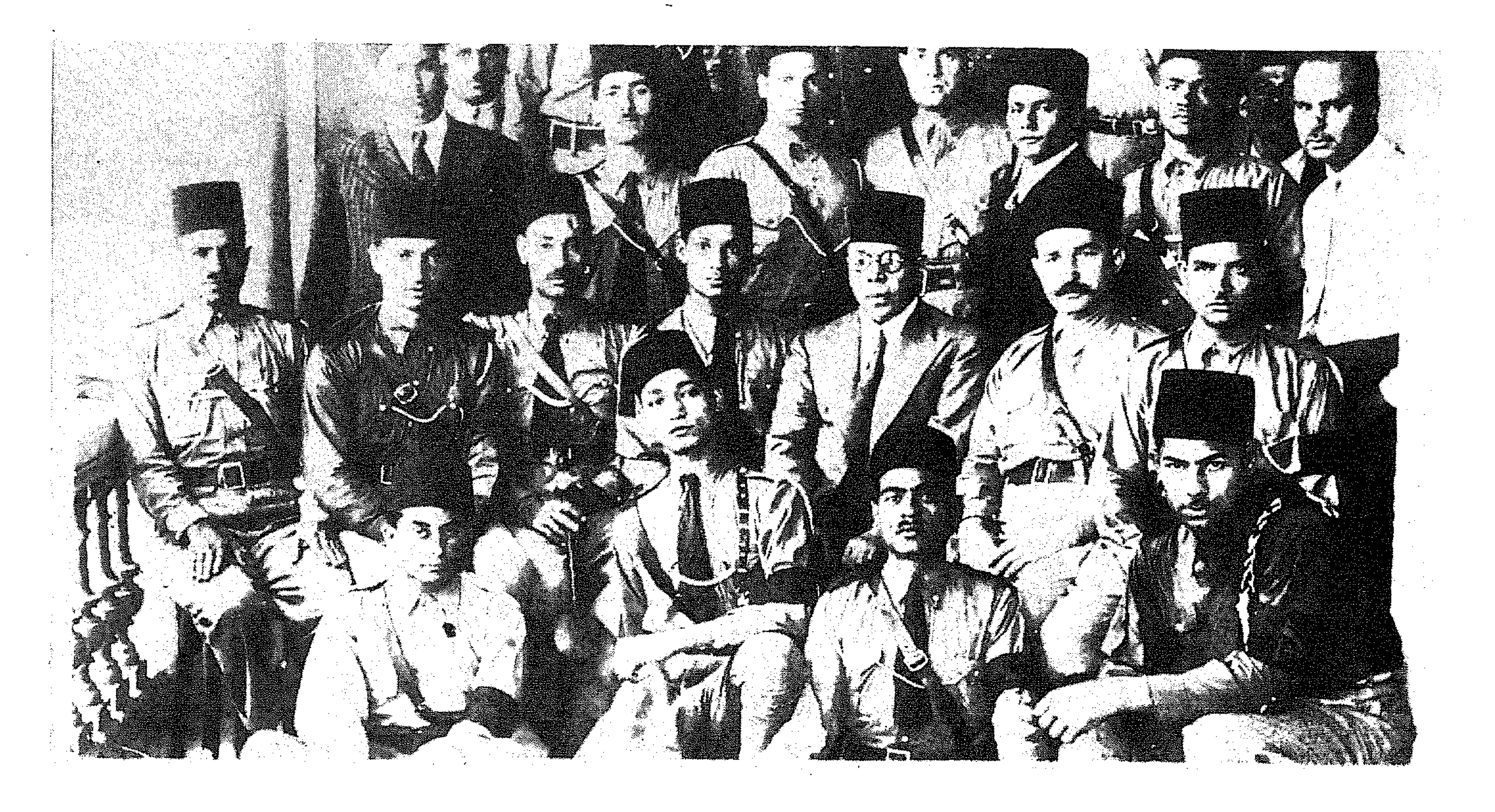
(٥٨) مكرم عبيد باشا وزملاؤه المحامون .



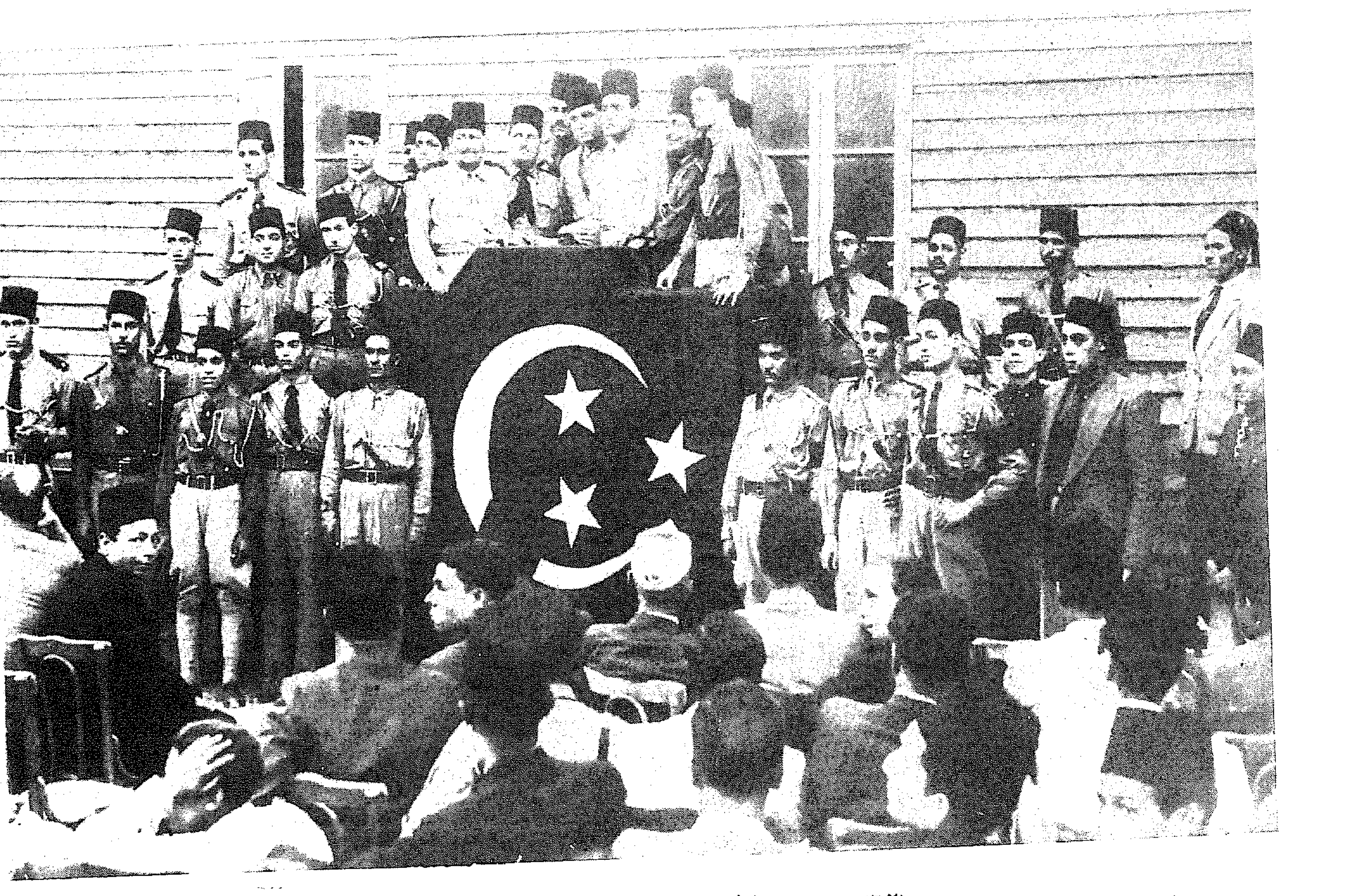
(٥٩) أحمد لطفى السيد باشا أستاذ الجيل



(٦٠) حفنى محمود باشا صاحب قضيتى نزاهة الحكم ، وكان فيلسوفا ساخرا



(٦١) القمصان الزرقاء التى شكلها الوفد مع توفيق دياب



(٦٢) د . محمد بلال قائد فرق القمصان الزرقاء وبعض رجاله



(٦٣) مصطفى النحاس باشا يستعرض بعض فرق القمصان الزرقاء وإلى جانبه د. محمد بلال



(٦٤) القمصان الخضراء التى شكلتها جمعية مصر الفتاة ومن بين المشتركين جمال عبد الناصر



(٦٥) حتى الحزب الوطنى شكل القمصان البنى . فى الصور/محمد محمود وحمد الباسل و د. هيكل وشباب الحزب الوطنى زمان !



(٦٦) شباب عام ١٩٣٥ يتظاهرون



(٦٧) مصطفى النحاس
وقد أصيب بجروح
فى إحدى المظاهرات



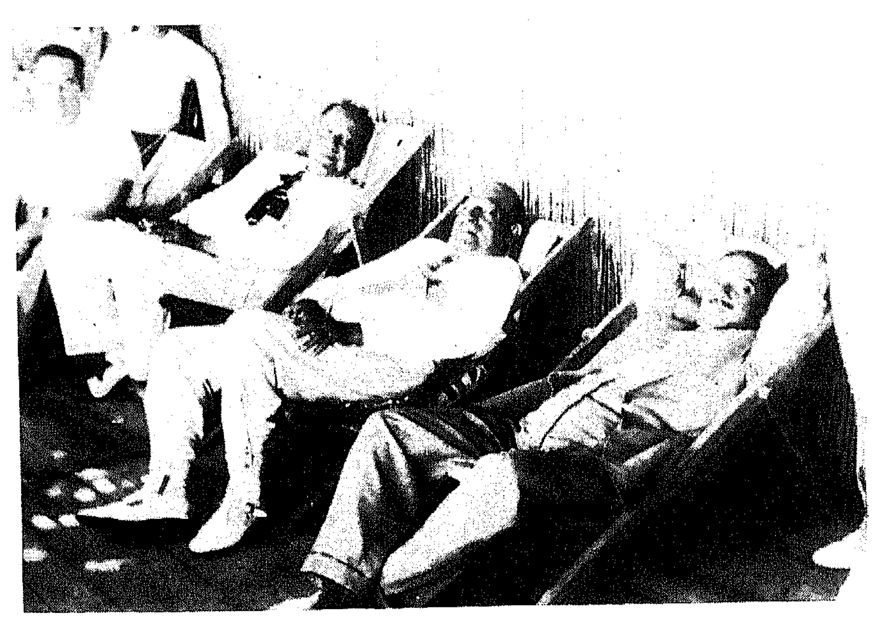
(٦٨) البوليس يتصدى لشباب ١٩٣٥



(٦٩) جنازة لشهداء الشباب



(٧٠) البوليس يتأهب لمظاهرات الشباب



(٧١) الزعماء على البلاج يستريحون ، مصطفى النحاس ومكرم وآخرون



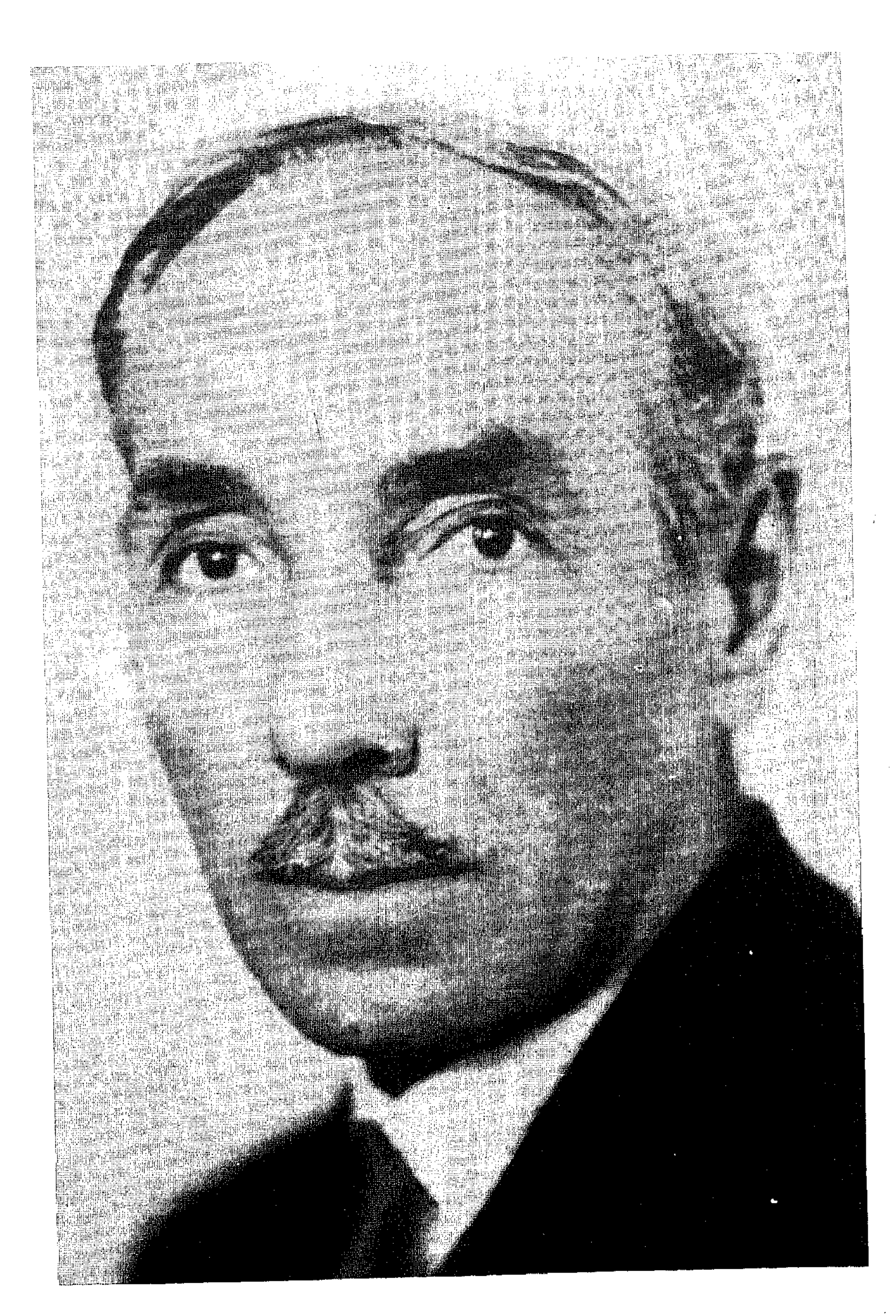
(٧٢) مكرم عبيد محمولا على اعناق الشباب



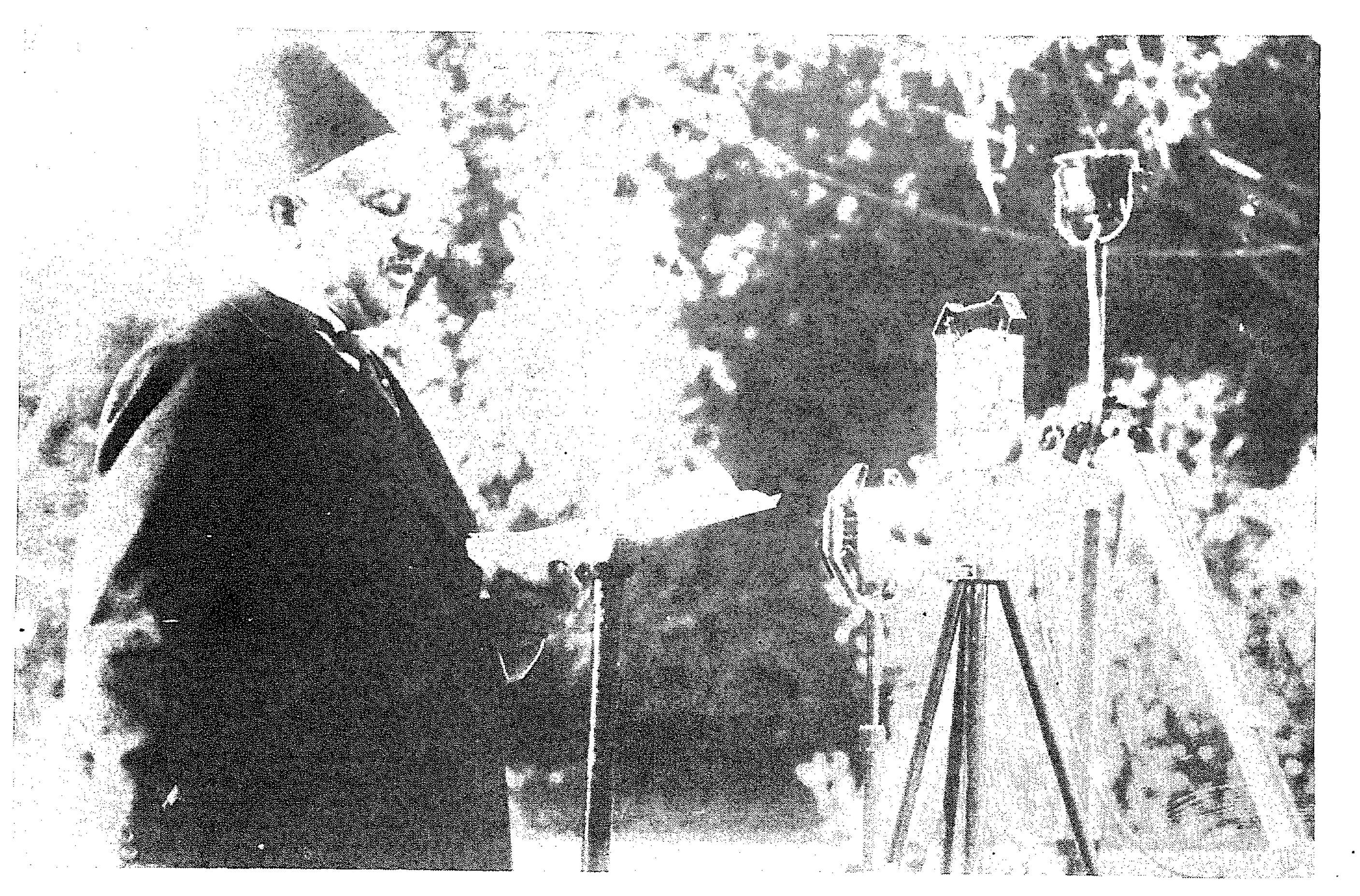
(٧٣) إبراهيم الهلباوى شيخ المحامين فى إحدى الحفلات

(٧٤) أحمد حسين وحافظ محمود وفتحى رضوان واحدى قضايا مجلة الصرخة





(٧٥) عزيز المصرى أبو الضباط الأحرار



(٧٦) طلعت حرب زعيم الاستقلال الاقتصادى



(٧٧) قاسم أمين : الرجل الذى حرر المرأة وقضية مظاهرة السيدات المصريات

قضية مظاهرة السيدات المصريات

أمام محكمة الجنح المستأنفة

مرافعة المجاهد الكبير الاستاذ مكرم عبيد

حماسة الجماهير والهتاف للدستور والحرية أمام دار المحكمة

جلسة حافلة — تعديل ليس من حق النيابة وتهمة جديدة — مرافعة الاستاذ مكرم عبيد — التضليل والخصومة السياسية — الانتخابات فى مصر بعد العراق — خصومة وحشية — ماذا تقول السيدات فى التحقيق — الوزارة وكرامة النساء — لماذا لم ترفع الدعوى على المعتدين ؟ بيت القصيد — (الترحيل) الى سجن الاجانب — التطبيق القانونى — قرار المحكمة — الهتاف للدستور والحرية والرئيس الجليل والاستاذ مكرم

لمندوب (الجهاد) القضائى

جلسة حافلة

كان بوليس الوايلى قد اعتقل صباح يوم إجراء الانتخابات المدنية الحسينية حضرات السيدات والآنسات :

حرم ابراهيم بك نور الدين ، حرم حسن نبيه بك ، فاطمة احمد كامل بك ، دولت الزينى ، نعمت عباس ، زينب عباس . حسنة شعبان القبانى . جليلة البحراوى . زينب لبيب . شريفة هيسوى . وهيبة نيازى . جميلة الجمال . نعيمة عوض سليمان ، عزيزة سامى ، ليزا ميخائيل مقار ، جميلة رشوان ، عريفة محمود طلعت ، أثناء وجودهن فى مكتب حضرة الاستاذ احمد محمد أبا العاص وقدمتهن نيابة الوايلى الى المحاكمة

أن يثبت فى محضره « ان النيابة تطلب تطبيق القانون باعتبار ان السيدات ألفن اجتماعا عاما من غير اخطار كان يمكن أن يدخله ودخله بالفعل أشخاص ليست بأيديهم تذاكر دعوة »

الاستاذ مكرم : وأنا أرجو ان يثبت فى المحضر أن هذا التعديل ليس من حق النيابة اذ ليس للنيابة أن تعدل التهمة أمام المحكمة الاستئنافية وتحرم الدفاع من الدرجة الابتدائية ولذلك نعتبر أن هذا التعديل باطل وفوق ذلك فاننا لم نعلن به من قبل وهذا على فرض جواز تعديل التهمة ونقول إن ذلك لايصح مطلقا .

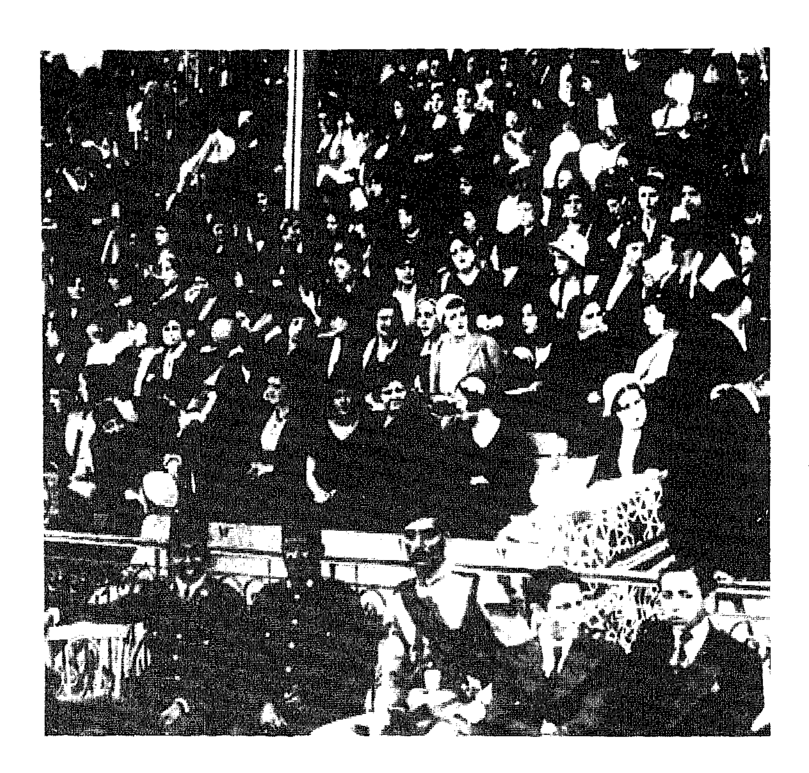
تهمة جديدة .



(٧٨) أول اجتماع لمبرة محمد علي برئاسة هدى هانم شعراوى



(٧٩) الطالبات المصريات يتظاهرن



(٨٠) مؤتمر نسائى هام يحرسه الرجال



(٨١) لطفى السيد وأحمد شوقى وروز اليوسف وفرقة فنية أجنبية



(٨٢) كريمة حفنى محمود باشا وزى العصر ـ زى الطبقات الراقية



(٨٣) أحمد حشمت باشا ، جورج أبيض سيلفان أحمد شوقى فى صورة فنية



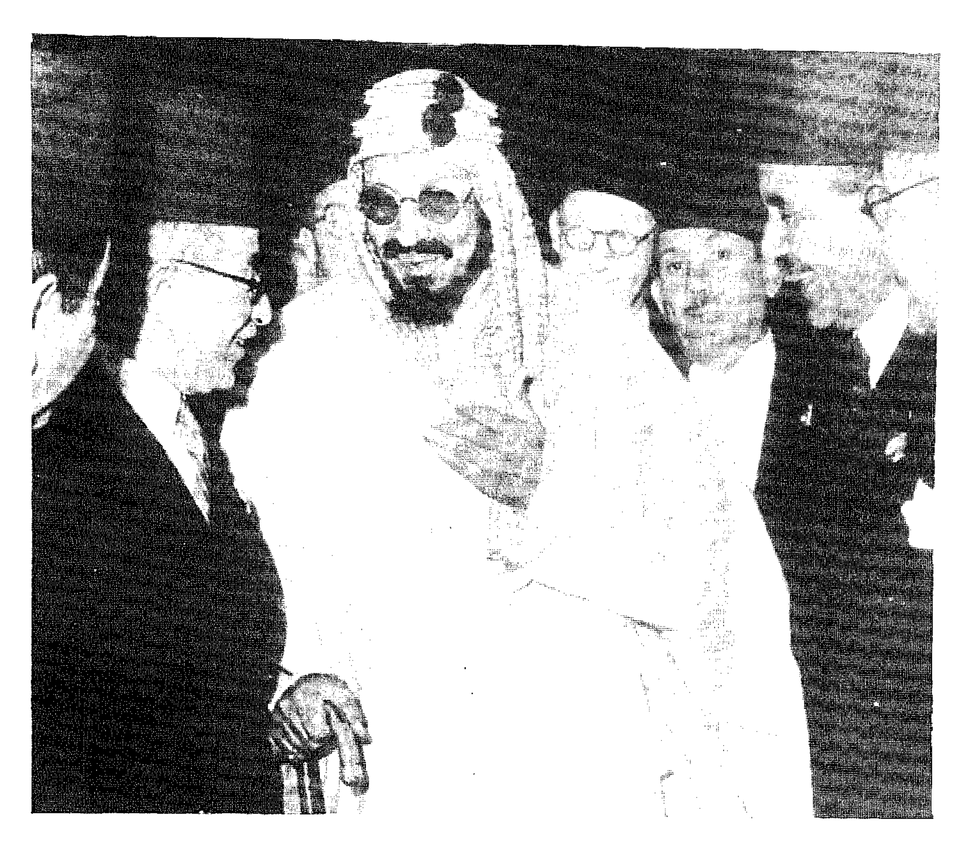
(٨٤) صورة فنية : سعيد لطفى ، محمد عبد الوهاب ، وسامى الشوا



(٨٥) الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين ولفيف من الطلاب الشرفيين وبعض الشخصيات يتوسطهم ــ جالسا على الأرض ــ محجوب ثابت بك



(٨٦) الحاج أمين الحسيني ومحمد على علوبة وحفني محمود ، وسعد اللبان ، ومحمد العشماوي والشافعي اللبان في زيارة مدرسة الأميرة فريال الابتدائية بالعباسية



(٨٧) الملك عبد العزيز آل سعود فى زيارته التاريخية لمصر ، فى الصورة د . هيكل باشا ، ومحمود فهمى النقراشى باشا



(٨٨) الحاج بشير السعداوى رئيس حركة تحرير ليبيا والمجاهد الإسلامى الكبير





سنوات ما قبل الثورة

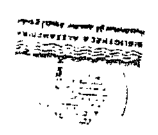
يناير ١٩٣٠ – ٢٣ يوليو ١٩٥٢

صفحة

صفحة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صفحة



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٩٣٠ / ١٩٨٧

ISBN ـ ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ١٤٦٤ ـ ٢



لعلها التجربة الأولى من نوعها فى دنيا التأليف أن يكتب الشعب تاريخه بنفسه وأن يجمع الكتاب الواحد بين الرأى والرأى الآخر عندما رأى المؤلف ، وهو شاهد عيان على ما حدث فى سنوات ما قبل الثورة أن يكتب ما شاهده وما عرفه أبى إلا أن يشرك معه فى كتابته الأحياء من الساسة الذين شاركوا فى صنع الأحداث كما أبى إلا أن يفتح الباب على مصراعيه لكل صاحب رأى وصاحب تجربة فى هذه السنوات التى سبقت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . إنها تجربة جديدة نأمل أن يكون التوفيق قد واكبها والرأى أولا وأخيرا للمتخصصين والدارسين والقراء .

الثمن ١٣ جنيهاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب